الموسوعة العالمية لسعادة البشرية ٢

هذا هو الإسلام

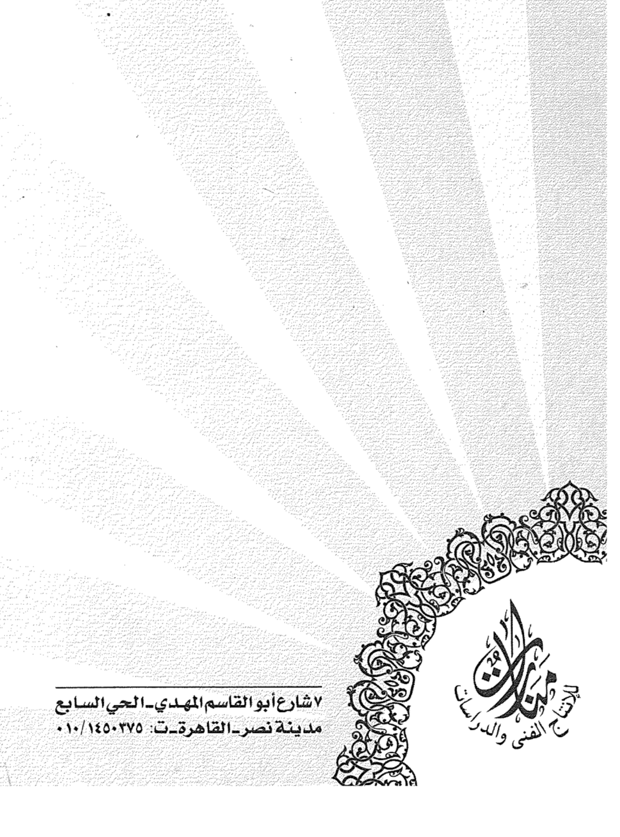
تأليف
محمد مصطفى

ضياء سعيدة

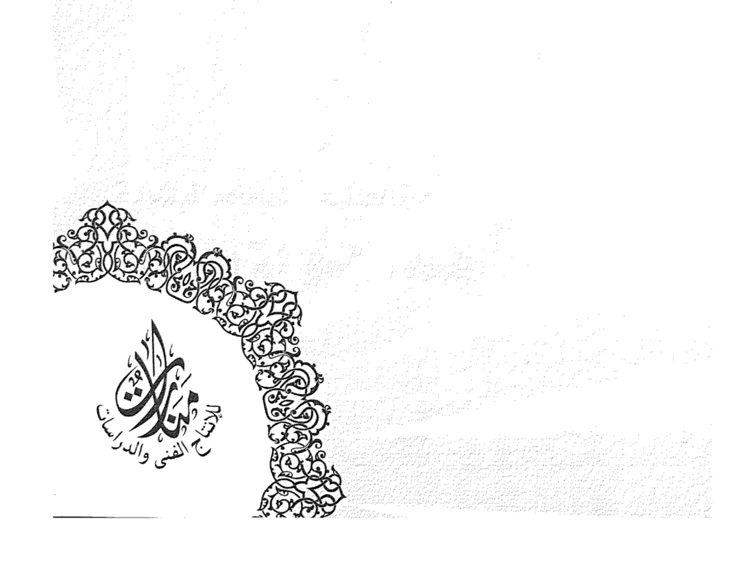
تقديم

أ. د. محمد عمارة

فضيلة الشيخ: عبد الخالق الشريف



٧ شارع أبو القاسم المهدي - الحي السابع
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٠١٠/١٤٥٠٣٧٥


مدارات
للإنتاج الفنى والدراسات

الموسوعة العالمية .. لسعادة البشرية

هــذا هــو الإســلام

الجــزء الثانـي

تأليف: محمد مصطفى عباس


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

قضايا معاصرة

■ **الفصل الأول : من خصائص الإسلام :**

١ ـ الوسطية.   ٢ ـ الشمولية.

٣ ـ يقوم على مبادئ: حق العدالة والمساواة ـ حق الحرية ـ الوحدة.

٤ ـ يعمل من خلال أنظمة : اقتصادية، تعليمية، تشريعية.

■ **الفصل الثاني: الدولة في الإسلام :**

ـ المبحث الأول : مصطلحات حديثة هامة .

ـ المبحث الثاني : لماذا الهجوم على نظام الحكم الإسلامي؟

ـ المبحث الثالث : كارثة فصل الدين عن الدولة.

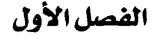
ـ المبحث الرابع : من فقه الدولة في الإسلام .

ـ المبحث الخامس : مبادئ ودعائم ومعالم الدولة الإسلامية.

ـ المبحث الخامس : معاملة غير المسلمين : (المحاربون ـ المعاهدون ـ أهل الذمة ـ تقرير المصير ـ موالاة غير المسلمين ـ استعانة المسلم بغير المسلم ـ حقوق المواطنة ـ الإسلام والعلاقات الدولية ـ شبهات وردود (الجزية ـ الديمقراطية ـ نحو فقه إسلامي سياسي ـ الإسلام منهج حياة).

■ **الفصل الثالث : فقه القضايا المعاصرة :**

ـ الإرهاب ـ حكم الاختطاف واحتجاز الرهائن ـ غسيل الأموال ـ العلمانية ـ القرآنيون ـ الحدود ودعوى الوحشية ـ الحوار بين الأديان ـ الزواج من الكتابيات ـ الفن والتمثيل والغناء ـ الفرق والجماعات ـ المهدي المنتظر ـ أحكام التأمين ـ فوائد البنوك والانهيار الاقتصادي



الفصل الأول

من خصائص الإسلام

١ ـ الوسطية.

٢ ـ الشمولية.

٣ ـ يقوم على مبادئ: حق العدالة والمساواة ـ حق الحرية ـ الوحدة.

٤ ـ يعمل من خلال أنظمة وأسس: اقتصادية، تعليمية، تشريعية .

وهو أصيل كذلك في وسطيته؛ لأنه يرتكز على دعائم أصيلة في أعماق الإنسان ويهدف إلى غايات إنسانية نبيلة، لا تخدم مصلحة طبقة أو فرد وإنما تخدم المجتمع كله والإنسانية كلها.

ومن أكبر دلائل أصالة المنهج الإسلامي أنه منهج رباني إنساني شامل؛ لأن كل جزئياته تنطلق من منبع واحد وهو الوحي الكريم وتتجه كلها إلى غاية واحدة هي العبادة «رضا الله»(١).

فليس في التصور الإسلام نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة أو لايطلب فيه تحقيق هذا الوصف (٢).

ولأنه منهج مستوف لكل نواحي الحياة، ومؤهل لعلاج كل أمراض النفس والمجتمع، فحسبك أن تنظر إلى مبدأ واحد، وهو المحور الذي تدور عليه سائر الأحكام مهما تعددت وتنوعت، وبيان ذلك كالآتي :

نظرة للتأمل:

إن من يتأمل أحوال العالم في عصوره المتعاقبة وأطواره المتتابعة يعرف حق المعرفة انه كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط. وكان ذلك شأنه في كل شيء: في العقائد، في الأخلاق، في صلة الإنسان بالحياة، في علاقة الفرد بالمجتمع، في علاقة الأمم بعضها ببعض، في طريقه التشريع، إلى غير ذلك من سائر الشئون.

وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بواحدة من هاتين الخصلتين، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية منافيتان لسنن الاجتماع التي تقضي بالوقوف عند الحد الوسط في كل شيء لضمان البقاء والصلاح، وعدم التعرض للانحلال والفساد.

فجاءت شريعة الإسلام وسطاً لا إفراط فيها ولا تفريط، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت في هذه الدائرة التي رسمها كتاب الله عز وجل:

---

(١) الوسطية والصياغة الإنسانية للمجتمع، د. عبد الحليم موسى، مجلة الرسالة، العدد ١٥ .

(٢) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص١٢٩ .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الانعام: ١٥٣).

من الأدلة على الوسطية(١) :

١ - هي في علاقة الإنسان بالحياة وسط :

بين المادية البحتة التي لا تعرف شيئا وراء ما يقع عليه الحس من طعام وشراب ولذات وشهوات وغلبة وبطش وجمع للأموال وتكاثر وتفاخر، **وبين الروحية البحتة** التي تزهد في الحياة وتعرض عنها إعراضا تاما، فلا زواج ولا سعي ولاعمل، ولكن تبتل مطلق وإهمال للأسباب! قال تعالى:

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (القصص: ٧٧).
﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (الجمعة: ١٠).
﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق... ﴾ (الأعراف: ٣٢).

٢ - وهي في طريق التشريع ووضع قوانين الحياة وسط :

لم تدع الناس يشرعون لأنفسهم في كل شيء، ولم تقيدهم بتشريع من عندها في كل شيء بل نصت وفوضت: نصت فيما لا تستقل العقول بإدراكه، كالعبادات زماناً ومكاناً وكيفيه ونحو ذلك، وفيما لا تختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، كالمواريث وأصول المعاملات من بيع وشراء وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك، وفوضت فيما يدرك العقل الخير فيه وتختلف المصلحة فيه بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص، ومن هنا وُجد الاجتهاد(٢)، وكان ركناً من أركان الشريعة الإسلامية حفظ الله به للعقل الإنساني كرامته.

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، مجلة الرسالة، ٤١٤، ١٤١٦هـ عام ١٩٤١م هدية الأزهر ربيع الآخر عام ١٤٢٢ هـ.
(٢) راجع موضوع الاجتهاد في الباب الثاني.

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٩).

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلمين أن ينشئوا ما شاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم في الدين أو الوطن في كل ما يرونه عوناً لهم علىٰ حياتهم في شئون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة، ينظمون ذلك كله علىٰ الوجه الذي يتبين صلاحه، والذي تقضي به سنن الاجتماع والفطرة، والذي لا يتعارض مع دستورهم الخاص، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلىٰ حد البر بهم والإحسان إليهم. وأساس الدستور العام في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨).

هذا هو الصراط المستقيم والمبدأ الوسط الذي تسير عليه الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها والذي صلحت به لكل زمان ومكان واستحقت به الخلود إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

٦ ـ فوائد الوسطية:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ (البقرة: ١٤٣).

إنها الأمة الوسط التي تشهد علىٰ الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتقول هذا حق وهذا باطل(١)، من خلال ماتعلمته من كتاب ربها، وسنة نبيها، فالرسول ﷺ يحدد للأمة وظيفتها، ويشهد علىٰ أعمالها. وهي تشهد علىٰ الناس جميعاً، فلا تتلقىٰ من الناس قيمها وموازينها، بل من رسولها ﷺ.

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، جـ١، ص ١٣٠ وما بعدها.

إنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد.

إنها الأمة الوسط في العبادات :

فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فكأنهم تقالوها (أي اعتبروها قليلة)، وقال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثاني: أما أنا فأصلي ولا أرقد، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، كل ذلك من أجل أن يزيدوا في العبادة، ويحصلوا كثير الثواب، وحينما جاء النبي ﷺ أخبروه، فأرسل إليهم وقال لهم: «**أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ..فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

ويدخل النبي ﷺ المسجد فيرى حبلاً مربوطاً بين ساريتين، فيسأل: «**لمن هذا الحبل؟**» قالوا: «لزينب تصلي فإذا تعبت تعلقت به». قال النبي ﷺ: «**حلوه.. ليصلي أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**»(٢).

فلا رهبانية في الإسلام، بل ذم الله أهل الكتاب فقال: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** ﴾ (الحديد: ٢٧).

إنها الأمة الوسط في المال والإنفاق والأكل والشرب :

ففي الإنفاق: قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ (الفرقان: ٦٧).

فالإسراف جريمة .. والبخل أيضاً جريمة، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾ (الليل)، **والحل**: الوسطية.. فلا إسراف ولا تقتير.

وفي الأكل والشرب واللباس والزينة: قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا**

---

(١) رواه البخاري في النكاح ١ .

(٢) رواه البخاري في التهجد ١٨، رقم ١١٥٠، ورواه مسلم برقم ٧٨٤ .

ثم أوضح أن الأرض لله الذي شرف الإنسان بخلافته فيها، وسخر له كل شيء، وأطلق حركته فيها، فلم يرهنه ببقعة معينة، أو بقطر بذاته؛ لأن هذه الأرض الواسعة مفتوحة له، إذا ضاق به مكان منها رحل عنه إلىٰ الآخر التماساً للسعة، وأينما ذهب فثم ملك الله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠). ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج: ٦٥). ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء: ٩٧). ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ (النساء: ١٠٠).

ولن يجد المتأمل للقرآن فيه لفظاً واحداً ينتصر للعرق أو للجنس.

فدعوته موجهة إلىٰ الإنسانية جمعاء، وهو يبغي ويطلب الخير والصلاح للمخلوقات الإنسانية طرا علىٰ وجه الأرض، وما فيه تفضيل لقوم أو لأرض، وإن أبدىٰ علاقة خاصة بأرض ما فبأرض مكة وحدها لكنه قال في شانها: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥).

يعنىٰ أن سكان مكة الأصليين يتساوون وغيرهم من المسلمين فيها[1].

---

(١) لهذا لم يسلم بعض فقهاء المسلمين بحق أحد في ملكية أرض مكة وكان عمر رضي الله عنه يمنع أهل مكة من إغلاق أبواب منازلهم حتىٰ ينزل الحجاج والزائرون منها حيث يشاءون، وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز يمنع أخذ أجرة مساكنها، وكتب إلىٰ أمير مكة يأمره أن يمنع الناس من فعل ذلك، وقال بعض الفقهاء أن من بنىٰ مسكناً علىٰ نفقته فليأخذ أجره إلا الميادين والفناءات وصحون المنازل فهي حق للجميع، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مكة حرام لا يحل بيع ربعها وأجور بيوتها**»، وقال في موضع آخر: «**إنما هي مناخ من سبق**»، هذا هو حال الأرض التي خصها الإسلام ذكراً.

أما من كان مشركاً من سكانها فهو نجس عليك إخراجه منها، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة : ٢٨).

وبهذا التصريح تستأصل «الوطنية» من الإسلام استئصالاً تاماً.

إن المسلم يستطيع في الحقيقة أن يقول :

«كل البلاد بلادي ؛ لأنها أرض ربي»(١).

ويهتف المسلم بالعالمية

ولست أدري سوى الإسلام لي وطناً   الشام فيه ووادي النيل سيان

وأينما ذُكِرَ اسمُ اللـه في بلـدٍ   عددت أرجاءه من لب أوطاني

وكذلك قول الشاعر :

يا أخي في الهند أو في المغرب   أنا منك أنت مني أنت بي

لا تسل عن عنصري عن جنسي   إنه الإسلام أمي وأبي

الزاوية الثانية : شمول الإسلام لحياة المسلم:

الإسلام يشمل كل شئون الحياة للإنسان المسلم لا يقبل استثناءً ولا تخصيصاً، فهو شمول تام، فلا يمكن للمسلم أن يقول إن هذا المجال لي أنظم أموري كما أشاء بمعزل عن تنظيم الإسلام، لا يمكن أن يقول هذا؛ لأن الإسلام يحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه، وللإسلام في كل ما يصدر عن الإنسان حكم خاص. ولا يجوز للمسلم أبداً أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم أي جانب من جوانب حياته؛ لأنه إن فعل ذلك يدخل في نطاق معنى قوله تعالى :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٥).

---

(١) بيت شعر تركي.

٤ ـ **جهاد بالكلمة** : ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٢).

وللحديث : «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[١].

٥ ـ **جهاد الشيطان**: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) ﴾ (الأعراف).

الهجرة: باب الهجرة مفتوح تستطيع أن تهاجر كل يوم يقول الله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

وللحديث : «**المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[٢].

وللحديث : «**العبادة في الهرْج كهجرة إليَّ**»[٣].

والهرْج : الفتنة حيث يختلط الحابل بالنابل، والحرام بالحلال.

الرزق: ويتسع مفهوم الرزق ليشمل الكثير من حياتنا وقد تقدم في الباب الأول.

وأقول لك: أنت إنسان متحرك ولست ساكناً فإذا كنت في كل حركاتك ذاكراً لله تعالى، محافظاً على البسملة في كل ما تأتي وما تدع، فقد جعلت الحياة كلها محراباً للعبادة.

الشمولية وأصول الفقه:

الثابت لأفعال الإنسان وتصرفاته وعلاقاته مع غيره هو الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة والصحة والبطلان والأفعال التي تتعلق بها هذه

---

(١) النسائي بيعة ٣٧، وابن ماجة، فتن ٣٠، حديث حسن.

(٢) البخاري، إيمان ٥، رقاق ٢٦، ومسلم، إيمان ٦٤، ٦٥.

(٣) رواه مسلم، فتن ١٣٠، والترمذي، فتن ٣١، وابن ماجة فتن ١٤.

الأحكام الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح والصحيح والباطل وأحكام الإسلام لم تغادر شيئاً إلا وبينت فيه حكماً فهناك أحكام العقيدة وهي تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر وأحكام الأخلاق وتنظيم علاقة الإنسان بخالقه كالعبادات ـ أحكام لعلاقات الأفراد ـ والقضاء.

وكلما أمعنا النظر في هذا التشريع تجد أن الإسلام لم يترك شيئاً إلا وضع له قانوناً (تشريعاً) يحافظ عليه ويحميه ويتميز به عن غيره.

فالشريعة راعت الأخلاق[1] بل واعتبرتها من أقوىٰ الأسس في التشريع الإسلامي علىٰ عكس غيرها، فالغدر والخيانة وعدم الالتزام بالكلمة معانٍ ذميمة في ميزان الأخلاق، ومن ثم فهي لا تجوز ولا تباح، كذلك راعت الشريعة ناحية الحل والحرمة ولم تراع في غيرها؛ لأن هذا يتطلب مطابقة الظاهر للباطن، ولأن الحكم حسب الظاهر لا يقلب الحلال حراماً، ولا يقلب الحرام حلالاً.

والقاضي يحكم بالظاهر وبالتالي لا يحل للمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله، وإن أباح له ذلك القضاء، يدل علىٰ ما قلناه قول النبي ﷺ : «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار**»[2].

وأقول : إن هذا الحديث من أعظم الأسس والقواعد التي تعيد الحقوق إلىٰ أصحابها؛ لأنه يقيم كل إنسان منا قاضياً علىٰ نفسه وانظر إلىٰ قوله : «**فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً**»، ثم يحذر العاقبة : «**أقطع له قطعة من النار**».

فيجعل المسلم رقيباً علىٰ نفسه، وبذلك يتحقق في الشريعة الشمول التام لحياة

---

(١) راجع باب الأخلاق من هذه الموسوعة.

(٢) أصول الدعوة، د. زيدان، ص ٥٦، والحديث رواه البخاري، شهادات ٣٧، أحكام ٣٠، حيل ١٠، ومسلم، أقضية ٤، والترمذي وغيرهم.

ثانياً : تنادي بأعلى صوتها على أبي ذر حينما قال لبلال : يا ابن السوداء، مُرددة كلام الحقوقي الأعظم ﷺ : **«يا أبا ذر أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية»**(١)، وها هو الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب يقول لعمرو بن العاص : «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

الآن والآن فقط حينما يستجيب الناس لله ولرسوله ينعمون بحياة طيبة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنفال : ٢٤).

ولا يوجد نقص ولا مطعن في ذلك، فالذي خلق هو الذي يُشرع، وهو الأعلم : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (المُلك : ١٤).

أولاً : حق العدالة :

معنى العدالة(٢) : عدل ـ عدلاً، عدل الشيء بالشيء سواه وجعله مثله قائماً مقامه، وعدل الأمتعة : جعلها أعدالاً متساوية لتُحْمَل، وتعادلا : تساويا.

الاعتدال : الوقت يتساوى فيه الليل والنهار في أرجاء العالم جميعه وهو : ربيعي ويكون في أول يوم من فصل الربيع وخريفي : ويكون في أول يوم في فصل الخريف.

ذكرت هذا المعنى اللغوي بالتفصيل لكي يتضح لنا التلازم التام بين العدالة والمساواة لذا أذكر اختصاراً لفظ العدالة بدلاً من العدالة والمساواة على اعتبار ما اتضح من المعنى اللغوي.

المساواة : تكتفي بأن تقر نظرياً بأن البشر متساوون، ولكن العدالة لا تكتفي بهذا الإقرار، بل تسعى لتتعامل مع الواقع القائم لتحقق التساوي الفعلي فيه، فالمساواة في نظر العدالة هدف وليست مجرد اعتراف، وهي هدف واقعي وليست

---

(١) رواه مسلم، إيمان ٤٠.

(٢) انظر : المعجم الوسيط، جـ٢ طبعة مجمع اللغة العربية، مادة عدل، ص ٦٠٩.

مجرد افتراض، لذا نجد أن الإسلام بعد أن يُقر المساواة وأن الناس جميعاً خُلقوا من ذكر وأنثى، وأن ربهم واحد، وأباهم واحد، وأن كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، بعد هذا الإقرار المؤكد في مصادر التشريع الإسلامي لا يكتفي الإسلام بذلك إنما يؤكد ويقرر ويشرع الأحكام لتحقيق العدالة[1].

ويدخل مبدأ[2] العدالة في دائرة الحقوق التي ينبغي إرساؤها كما ذكر ربنا في أول سورة الرحمن: ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠)** ﴾ (الرحمن).

إن الله بعد ما رفع السماء وقبل أن يضع الأرض وضع لها مبدأ استقرارها وثباتها ودوامها، فلا بقاء للأرض إلا بالعدالة (الميزان)، ولذلك كان وضع الميزان قبل وضع الأرض.

فالعدالة حق للجميع، وأول تدريب عملي للعدالة أن تمارسه مع الأولاد للحديث: « **قاربوا بين أبنائكم ولو في القبلات**»[3].

يقول **الشيخ محمد ابو زهرة** : العدالة ذات شعبتين ابتداءً :

الشعبة الأولى : العدالة النفسية بأن يُقدر كل إنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره، على ألا يزيد على الناس في حق وقد يفرض على نفسه في الواجب، يقول النبي ﷺ : «**أحب لأخيك ما تحب لنفسك**»[4].

---

(١) مجلة الرسالة، المستشار طارق البشري، العدد ٢٦ ، ذو الحجة عام ١٤٢٨ هـ.

(٢) المبدأ : مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها، فالنواة مبدأ النخل. ومبادئ العلم أو القانون قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها، المعجم الوسيط ، جـ١، ص ٤٣ ، مادة بدأ.

(٣) رواه مسلم، هبة ١٨ ، وأبو داود، صلاة ٩٣، والنسائي، إمامة ٢٨، واحمد ٤/ ٢٧٨ .

(٤) رواه البخاري، إيمان ٢ ، في اللؤلؤ والمرجان رقم ٢٨ من حديث أنس رضي الله عنه.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : قد يقول قائل كيف يحكم القاضي على ولي الأمر الأعظم وهو الذي ولاه وله أن ينزع من يده الحكم عليه؟

والجواب : «أن القاضي إذا تولىٰ لا يكون وكيلاً عن ولي الأمر، بدليل أنه إذا مات أو عُزل (الخليفة) لا يُعزل هو (القاضي)، فالولاية ليست توكيلاً، ولكنها تمكين ذي الأهلية للقضاء من أن يحكم، ومن جهة أخرىٰ هو يعمل للمسلمين ولا يعمل له هو ينفذ شرع الله تعالىٰ ولا ينفذ إرادته»(١).

وانظر إلىٰ هذا المبدأ الرائع في المساواة. . قال **عمر بن الخطاب** للناس يوماً: «ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة علىٰ معصية؟ يعني أتكفي شهادته في إقامة الحد عليها؟».

فقال له **علي بن أبي طالب** : «يأتي بأربعة شهداء أو يُجلد حد القذف شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين»(٢).

حكم التحريات السرية :

ومن هنا أقول ببطلان أي تحريات يجريها أفراد لا خلاق لهم(٣)، حيث تنتهك أعراض البيوت، وتُصادر الأموال، ويُسجن بسببها البرءاء تحت مسمىٰ (مصادرنا السرية)، وذلك لصالح أنظمة الحكم، انظر إلىٰ علي بن أبي طالب وهو يقول يا أمير المؤمنين الشهود أو حد في ظهرك!!

ب ـ العدالة الاجتماعية :

تعريفها : تمكن كل ذي طاقة من أن يعمل بمقدار طاقته بحيث تهيئ الفرص المناسبة لكي تعمل كل الطاقات، وتوضع كل قوة في مرتبتها وتُوجد الكافلين للعاجزين عن العمل لكي يعيشوا ، وينالوا حظهم في الحياة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حقوق الإنسان، الشيخ الغزالي، ص ٢٠ ، وراجع أيضاً: الإسلام دين عام خالد، أ. محمد فريد وجدي، ص ١٣٢ ، هدية مجلة الأزهر، ربيع الآخر، عام ١٤٢٦هـ.

(٣) وهؤلاء في نظر الشرع مجرمون يجب أن تُقام عليهم الحدود.

موقف الشرع منها:

١ ـ موجب العدالة الاجتماعية ليس التسوية المطلقة بين الناس إنما موجبها أن يتساوىٰ في تهيئة الفرص، فيتوافر التعليم المثمر لكل الناس فتظهر القوىٰ المختلفة وتنضج الفروق الفردية، فيوسد إلىٰ كل إنسان ما يصلح له من عمل.

٢ ـ ولا تقتضي العدالة الاجتماعية إلغاء الفقر من الوجود، بل هي معنية في الدرجة الأولىٰ بتلافي أسباب القصور في الإنتاج، والناس متفاوتون في قواهم تفاوتاً كبيراً ففي الحديث: **«الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»**[١]. فالممتازون امتيازاً مطلقاً في تفكيرهم هم أعلىٰ القمة في البناء الهرمي للهيكل الاجتماعي.

٣ ـ الفقر والغنىٰ: حقيقتان ثابتتان، وهما من طبيعة هذا الوجود الإنساني، وقد قرر الإسلام أن الله قسم الأرزاق بين الناس يقول الله تعالىٰ: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ (الزخرف: ٣١).

٤ ـ ولقد ذكرنا أن الإسلام قد سما في أحكامه عن الطبقية والأعراق والأنساب ونهىٰ عن التفاخر، وحينما عيَّر أبو ذر بلال بأمه قال له رسول الله ﷺ: **«أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية»**[٢]، ولقد كان الحكام العادلون يؤثرون الضعفاء الفضلاء السابقين إلىٰ الإسلام بالمكرمات، فلقد استأذن بلال وأبو سفيان علىٰ عمر بن الخطاب، فدخل الواقف علىٰ باب عمر يقول له بالباب أبو سفيان وبلال، فغضب عمر وقال للرجل: «قل بالباب بلال وأبو سفيان»[٣].

إن المنهج الذي يطبق هذه المبادئ لجدير بالتطبيق في المجتمع الإنساني وأن يُقتدىٰ بالمهج، بل ويُحمل علىٰ الأعناق؛ لأنه منهج سعادة البشرية.

---

(١) رواه مسلم، في فضائل الصحابة ٢٣٢، وأحمد في المسند، والترمذي آداب.

(٢) رواه البخاري، إيمان ٢٢، عتق ١٥، ومسلم، إيمان ٣٨.

(٣) حقوق الإنسان، الشيخ الغزالي، ص ٢٠.

الحكم: حكم الإسلام بإلغاء الاعتبار الطبقي حتىٰ لا يكون هناك أشراف يتحكمون في الناس باسم السلطان وجعل العبادات في الإسلام كلها حربا علىٰ الطبقية إن أُديت علىٰ وجهها .

العدالة الاجتماعية والواقع:

ما الذي يُهدر العدالة الاجتماعية، ويضعف تأثيرها في المجتمع؟

السبب الأول : الكسل ، نقول إن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والفتوة والحيوية والعطاء ، فالذي لا يعطي في هذه المرحلة لن يعطي في غيرها هذا هو الواجب في هذه المرحلة ، أما في الواقع أنك ترىٰ شباباً لاهياً ساهياً ، إنه شباب كما يقول الشاعر : تفنن في محاكاة العذارىٰ . . وخالفهن في وضع النقاب .

شباب لا يستطيع أن يعمل فهو عالة علىٰ أسرته لا ؛ لأن فرص العمل[1] غير موجودة ، بالطبع كلا ، ولكن هو لا يريد أن يعمل ، إنه هش البنية ، فانتشرت البطالة ونسو أن الشريعة أرشدت إلىٰ فرص العمل : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (المُلك : ١٥) .

ومن كان هذا حاله فهو لا يدري عن قضايا أمته شيئاً ، وانتشرت في المجتمعات المسلمة من هذه النماذج ما يستعصي علىٰ الحصر .

السبب الثاني : النفاق ، وما يجري علىٰ ألسنة النفعيين والمنافقين والمداهنين من ألفاظ تمس العقيدة الإسلامية ، وتدل علىٰ وهن في الاعتقاد ، وذلك من خلال العبارات التي تفيد التقديس للحكام والولاة ، فإذا تحدث أحدهم فأقل ما يقوله (صاحب الذات العلية المقدسة) أو (السيد صاحب السمو . . السيد صاحب الفخامة) فيتم رفع هؤلاء الحكام والولاة إلىٰ مرتبة عدم الحساب ، وبالتالي يعيثون في الأرض فساداً فهم فوق المساءلة .

ولذلك اقول : إن عدم إنزال الناس منازلهم ينافي العدالة الاجتماعية ولظهور

---

(١) راجع من هذه الموسوعة هجرة عبد الرحمن بن عوف .

طبقة الأشراف والخدم، ألا تسمع للنبي ﷺ يقول للرجل الذي دخل عليه فأصابته رعدة: **«هون على نفسك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»**(١).

لهذين السببين يحدث تآكل في العدالة الاجتماعية، ويحل محلها الحسد والحقد والأنانية والتكبر، وكل أمراض المجتمع التي تؤدي به إلى الهاوية.

جـ - العدالة الدولية:

تعريفها : قيام العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة، بل إن الإسلام يفرض أن العلاقات الإنسانية كلها على أساس من المودة الفاضلة والرحمة الكالئة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (الممتحنة).

ولأن الأصل في العلاقات في الإسلام بين الجماعات هي التواد والتراحم، والتعاون على استغلال ينابيع الخير في الأرض شرقها وغربها، وقاصيها ودانيها، وكأن الأصل في العلاقات العامة بين الناس دولاً وجماعات وآحاداً هو السلم، أما النزاع فلا يكون إلا لأمر عارض، ولذلك دعا الإسلام المؤمن إلى السلم عامة ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

خلاصة القول : أن العدالة الدولية تعني قيام العلاقة بين الدول على أساس المودة والتراحم والتعاون على استغلال ينابيع الخير.

موقف الشرع منها : لأهمية هذا القسم من العدالة نعرض لموقف التشريعات الأخرى منها، لنرى عظمة التشريع الإسلامي أشد جلاء:

إن اليهود كان مبدؤهم (وما زال) إيجاد الفرقة بين مخالفيهم. . يأكل بعضهم بعضاً، ولقد ذم القرآن مبدأهم فقال الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ**

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض، ص ١٠٣، رواه ابن ماجة، أطعمة ٣٠، وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.

بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (آل عمران: ٧٥).

إن اليهودية قد جاءت بتحريم الربا، ولكن اليهود حرفوه تحريفاً يدل على مقدار عدم تمسكهم بالعدالة والفضيلة بالنسبة لغيرهم، فقيدوا تحريم الربا بأنه ما يكون بين اليهود فقط، وجاء نصهم المحرف (أخاك الإسرائيلي لا تقرض بالربا)، أي أن التحريم بينهم بعضهم مع بعض، ومباح مع غيرهم، وبذلك ملأوا العالم بالربا وجعلوه أساساً للتعامل بين الناس[1].

ولذلك اقول: إن الربا وهو صناعة اليهود من مضادات العدالة الدولية، فالربا يمنع المودة، ويمنع الرحمة، ويحل على الإنسانية التقاطع والتحاسد والتدابر والكيد وتدبير المؤامرات، وهو ما حل بالعالم الآن.

أما في التشريع الإسلامي: فلن نستطيع الحصر لكل ما ورد ولكن نذكر إشارات فقط:

- دعا الإسلام إلى السلم عامة إلا لأمر عارض: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

- إذا نشبت الحروب كانوا يدخلون في السلام عند أول دعوة إليه: ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ﴾ (الأنفال: ٦١).

- واعتبر الذين يدخلون معه في القتال هم المحاربين وحدهم، أما المحايدون المسالمون ولو لم يكونوا مع المسلمين فقد قال الله في أمثال هؤلاء: ﴿ **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً** ﴾ (النساء: ٩٠).

---

(١) حقوق الإنسان، الشيخ محمد أبو زهرة، جـ ٣، ص ٧.

ـ ونهىٰ عن قتال كل من يلقي السلام ولو كان يدين بغير الإسلام[1] :
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء : ٩٤) .

ـ وقد فرض القتال علىٰ المؤمنين لضرورة ملزمة تقدر بقدرها فما جاء الإذن بالقتال إلا لرد الاعتداء علىٰ الحرية الدينية ، وما كان للدين الصحيح أن يأخذ طريقه إلىٰ قلوب الناس إلا بالحرية الدينية ومنع الفتنة في الدين ، ولذلك جاء النص بالقتال حتىٰ تُمنع الفتنة في الدين وإيذاء المتدينين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٣) .

ـ ما كان الإذن بالقتال إلا لحماية العقيدة الإسلامية وتأمين الدعوة من غير إكراه ولا إغراء ولا فتنة وحماية الأديان ، قال تعالىٰ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ (الحج) .

ـ والذين يدَّعون أن القتال في الإسلام كان لحمل الناس علىٰ اعتناقه بالسيف قد أعظموا الفرية علىٰ الإسلام وعلىٰ الحقيقة ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) . ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩) .

ـ فإذا كانت الحرب مفروضة علىٰ المسلمين كانت حرباً من جانبه عادلة فاضلة ، تكون العدالة باعثها ، وتكون الحرية أساسها وتظلها العدالة في الميدان : «إياكم أن تقتلوا شيخاً أو امرأة أو طفلاً» . (من رواية لابن عساكر وسيأتي كاملاً) .

---

(١) سيأتي تفصيل في مبادئ الحرب والسلام في الدولة الإسلامية .

الحكم : من خلال النقاط التي ذُكرت اتضح أنه يجب على المسلمين دولاً أو جماعات أو آحاد أن ينشروا العدالة الدولية بالمودة والرحمة، وأن يبذلوا الجهد في ذلك ما استطاعوا إليه سبيلاً.

د - صور إجمالية من حق العدالة (١) :

١ - من حق كل فرد أن يتحاكم إلى الشريعة وأن يُحاكم إليها دون سواها، لقول الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ (النساء: ٥٩). ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ (المائدة: ٤٩).

٢ - من حق الفرد أن يدفع عن نفسه ما يلحقه من ظلم، لقول الله تعالى: ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** ﴾ (النساء: ١٤٨)، ومن واجبه أن يدفع الظلم عن غيره بما يملك للحديث: «**لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، وإن كان مظلوماً فلينصره**»(٢).

٣ - من حق الفرد أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه وتنصفه وتدفع عنه ما لحق به من ضرر، وعلى الحاكم المسلم أن يقيم هذه السلطة للحديث: «**إنما الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه ويحتمي به**»(٣).

٤ - من حق الفرد ومن واجبه أن يدافع عن حق أي فرد آخر، وعن حق الجماعة (حسبة) للحديث: «**ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادة قبل أن يسألها**»(٤)، بمعنى أنه يتطوع بها حسبة دون طلب من أحد.

٥ - لا تجوز مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه تحت أي مسوغ، للحديث: «**إن لصاحب الحق مقالاً**»(٥)، وللحديث: «**إذا جلس بين يديك الخصمان فلا**

---

(١) حقوق الإنسان، الغزالي، ص ١٧٥ .

(٢) البخاري، مظالم ٤ ، إكراه ٧ .

(٣) رواه البخاري، جهاد ١٠٩ ، ومسلم ، إمارة ٤٣ .

(٤) رواه مسلم، أقضية ١٩ ، والترمذي، شهادات ١ ، وأبو داود، أقضية ١٣ .

(٥) رواه البخاري، استقراض ٤ ، وكالة ٦ ، ومسلم، مساقاه ١٢٠ .

تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»[١].

٦ ـ ليس لأحد أن يلزم مسلماً بأن يطيع أمراً يخالف الشريعة، وعلى المسلم أن يقول: «لا»، في وجه من يأمره بمعصية أياً كان الأمر للحديث: «**إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[٢]، ومن حقه على الجماعة أن تحمي رفضه تضامناً مع الحق للحديث: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه**»[٣].

ثانياً: حق الحرية:

تعريفها [٤]: الحرية تُفسر أحياناً بالانطلاق من القيود الإنسانية والأدبية.

وحرية الدولة تفسر بالتضييق على الآحاد وتقييد حركتهم في الجماعة.

الحرية: كلمة أُخذت من وصف الحر فالحرية والحر متلاقيان في المؤدى وإن كانت الحرية وصفاً والحر موصوفاً

الحر هو:

١ ـ الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية ويضبط نفسه فلا ينحط إلى سفاسف الأمور ولا ينطلق وراء شهواته وأهوائه ولا يكون عبداً لها.

٢ ـ يمارس الحر السيادة أولاً على نفسه وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهواته.

٣ ـ يضبط نفسه ولا يذل ويأنف من أن يُهضم حق نفسه وبالتالي لا يعتدى على حق غيره.

٤ ـ لا يكون معتدياً؛ لأنه مُسيطر على أهوائه وشهواته.

٥ ـ يعطي غيره ما يعطيه لنفسه.

٦ ـ يقدر الحرية في غيره كما يقدرها في نفسه.

---

(١) رواه مسلم، مساجد ٩٠.

(٢) رواه البخاري، جنائز ٩٦.

(٣) رواه البخاري، مظالم ٣، إكراه ٧، ومسلم، بر ٥٨.

(٤) هذه التعريفات للحرية عن كتاب المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص٩٨.

الأمة الحرة : يجب أن تتحقق فيها المعاني التي في الحر ؛ لأن الدولة شخصية معنوية ، وهي تتصف في المعاملة بما يتصف به الشخص فلا تفرض أن غيرها عبيد لها ، وأن لها من الحقوق علىٰ غيرها أكثر مما لها .

الحرية معنى اجتماعي: الإنسان اجتماعي بطبعه فهو لا يعيش إلا في مجتمع ، والحرية معنىٰ اجتماعي لا يوجد إلا في مجتمع يأخذ الآحاد منه ويعطون ، وتأخذ الدولة منه وتعطي .

والعدالة هي الميزان الذي يضبط كل عمل ، والحرية خاضعة لهذا الميزان فلايمكن أن تكون في دائرة الأخلاق الفاضلة إلا إذا كانت عادلة تعطي صاحبها بمقدار ما يطالب غيره به له لا يزيد .

واعلم أن تقييد حرية المُنطلقين المنفلتين بما يشكلونه من خطر علىٰ الحرية هو من حماية الحرية ذاتها وأن الإسلام حمىٰ الحريات بكل أنواعها .

موقف الشرع منها:

١ ـ يقول **الشيخ محمد الغزالي** ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر حق الحياة[1] ، قال في حق الحرية : وحرية الإنسان مقدسة كحياته سواء ، وهي الصفة الطبيعية التي بها يولد الإنسان ، للحديث : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**»[2] . وهذه الحرية مستمرة لا يُعتدىٰ عليها كما قال عمر بن الخطاب : «متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟» ، ويجب توفير الضمانات لحماية الأفراد ، ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة .

٢ ـ لا يجوز لشعب أن يعتدي علىٰ حرية شعب آخر ، وللشعب المُعْتَدَىٰ

---

(١) حياة الإنسان مقدسة لا يجوز الاعتداء عليها ، قال تعالىٰ : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** ﴾ (المائدة : ٣٢) .

(٢) رواه مسلم ، قدر ٢٥ .

عليه أن يرد العدوان، ويسترد حريته بكل السبل الممكنة: ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** ﴾ (الشورى: ٤١)، وعلى المجتمع الدولي مساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته، ويتحمل المسلمون في هذا واجباً لا ترخص فيه، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ (الحج: ٤١).

فائدة : وبعد أن ذكرنا حق العدالة والمساواة وحق الحرية أذكر باقي الحقوق إجمالاً فقط لتظهر عظمة الشريعة الإسلامية، غير أنني أذكر أن هذه الحقوق لن تزدهر وتصل إلى أصحابها إلا في جو من الحرية والعدالة والمساواة.

١ - حق الفرد في محاكمة عادلة [(١)]:

ويتمثل هذا الحق في مجموعة من القوانين الشرعية نذكر منها:

أ - البراءة هي الأصل، للحديث: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[(٢)]، وهذا مبدأ مستمر ما لم يثبت إدانة الشخص أمام محكمة عادلة إدانة نهائية.

ب - لا تجريم إلا بنص شرعي: ﴿ **مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (الإسراء: ١٥).

ولا يعذر مسلم بالجهل بما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولكن يُنظر إلى جهلة (متى ثبت) على أنه شبهه تُدرأ بها الحدود فحسب: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ** ﴾ (الأحزاب: ٥).

جـ - لا يُحكم بتجريم شخص ولا يعاقب على جرم إلا بعد ثبوت ارتكابه له بأدلة لا تقبل المراجعة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ (الحجرات: ٦).

---

(١) هذه الحقوق ذكرها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه: حقوق الإنسان، ص ١٧٤ .

(٢) رواه البخاري، أدب ٦٠، ومسلم، زهد ٥٢ .

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم: ٢٨)، فلا يجوز أخذ الشخص بالشبهة.

د ـ لا يجوز تجاوز العقوبة التي قدرتها الشريعة: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

ومن مبادئ الشريعة مراعاة الظروف والملابسات التي ارتكبت فيها الجريمة للحديث: «**ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله**»(١).

هـ ـ لا يؤاخذ إنسان بجريرة غيره: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: ١٥)، وكل إنسان مستقل بمسئوليته عن أخطائه: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور: ٢١)، ولا يجوز بحال أن تمتد المسائلة إلىٰ ذويه من أهل وأقارب أو أتباع وأصدقاء: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ (يوسف: ٧٩).

٢ ـ حق الحماية من تعسف السلطة:

لكل فرد الحق في حمايته من تعسف السلطة معه ولا يجوز مطالبته بتقديم تفسير لعمل من أعماله، أو وضع من أوضاعه، ولا توجيه اتهام له إلا بناء علىٰ قرائن قوية تدل علىٰ تورطه فيما يوجه إليه، قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٨).

---

(١) رواه البيهقي والحاكم بسند صحيح، وأبو داود، صلاة ١١٤، والترمذي، حدود ٢، وزاد الترمذي في روايته «فإن الإمام إن يُخطئ في العفو خير من أن يُخطئ في العقوبة»، والحديث الكاملاً عند الترمذي رقم ١٤٢٤.

وأقول أنه يقع باطلاً اتهام الشخص بمذكرات سرية ـ أو يُقال للقاضي ـ حسب مصادرنا السرية ـ؛ لأنه أثناء التقاضي وعرض الأمر على القاضي لا يجوز إخفاء شيء بحجة سرية المصادر) بل يظهر كل شيء علناً ويُعرض على الجميع، فهذا من قبيل الفعل المحرم، بل يُعد من أخطر الجرائم في الدنيا والآخرة أخذ الشخص ومعاقبته بهذه المصادر السرية، والأعجب من ذلك أنها تظل سرية حتى بعد الحكم على الشخص[1].

٣ـ حق الحماية من التعذيب:

أ ـ لا يجوز تعذيب المجرم فضلاً عن المتهم للحديث: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**»[2]، كما لا يجوز حمل الشخص على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها وكل ما يُنتزع بوسائل الإكراه باطل للحديث: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[3].

ب ـ مهما كانت جريمة الفرد وكيفما كانت عقوبتها المقدرة شرعاً فإن إنسانيته وكرامته الآدمية تظل مصونة.

٤ـ حق الفرد في حماية عرضه وسمعته:

لأن عرض الفرد وسمعته حرمة لا يجوز انتهاكها، قال ﷺ في خطبة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[4].

---

(١) ذكرت هذا الحكم قبل ذلك في موضوع كان لابد من ذكره فيه فليس ذلك تكراراً.

(٢) رواه مسلم، بر ١١٧، ١١٨، ١١٩، وأبو داود، إمارة ٣٢.

(٣) رواه ابن ماجة، طلاق ١٦، بسند صحيح.

(٤) رواه البخاري، علم ٩، ٣٧، فتن ٨، توحيد ٢٤، أضاحي ٥، مغازي ٧٧، حج ١٣٢، ومسلم، قسامة ٢٩، ٣٠.

٥ ـ حق اللجوء:

أ ـ من حق كل مسلم مضطهد أو مظلوم أن يلجأ إلىٰ حيث يأمن في نطاق دار الإسلام وهو حق يكفله الإسلام لكل مضطهد أياً كانت جنسيته أو عقيدته أو لونه، ويتعين علىٰ المسلمين توفير الأمن له متىٰ لجأ إليهم: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾ (التوبة: ٦).

ب ـ بيت الله الحرام (بمكة المشرفة) هو مثابة وأمن لا يُصد عنه مسلم: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران: ٩٧)،

﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ (البقرة: ١٢٥).

٦ ـ حق حرية التفكير والاعتقاد والتعبير:

أ ـ لكل شخص أن يفكر ويعبر عن فكره دون تدخل أو مصادرة ما دام يلتزم الحدود العامة التي أقرتها الشريعة ولا يجوز إذاعة الباطل ولا نشر ما فيه ترويج للفاحشة أو تخذيل للأمة: ﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً** ﴾ (الأحزاب).

ب ـ التفكير الحر بحثاً عن الحق: ليس مجرد حق فحسب بل هو واجب كذلك: ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ** ﴾ (الرعد: ٣٦).

جـ ـ من حق كل فرد ومن واجبه أن يعلن رفضه للظلم وإنكاره له وأن يقاومه دون تهيب من مواجهة سلطة متعسفة أو حاكم جائر أو نظام طاغ، وهذا أفضل أنواع

الجهاد، سئل رسول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ قال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»(١).

د ـ لا حظر على نشر المعلومات والحقائق الصحيحة إلا ما يكون في نشره خطر على المجتمع والأمة: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (النساء: ٨٣).

٧ ـ حق الدعوة والبلاغ:

أ ـ لكل فرد الحق أن يشارك منفرداً ومع غيره في حياة الجماعة دينياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً وأن ينشيء من المؤسسات ويصطنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠٨).

ب ـ من حق كل فرد ومن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

والحديث: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**»(٢).

٨ ـ حق حماية الملكية:

لا يجوز انتزاع ملكية نشأت عن كسب حلال إلا للمصلحة العامة: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ**

---

(١) رواه الترمذي، فتن ١٣، والنسائي، بيعة ٣٧، وأبو داود ملاحم ١٧، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي، تفسير سورة المائدة، فتن ٨، وأبو داود، ملاحم ١٧، وأحمد ١/ ٧، وقال الترمذي: حديث صحيح.

النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٨)، مع تعويض صاحبها تعويضاً عادلاً للحديث الشريف: «**من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**»(١).

تذكر بأن الذي يقدم من تعويض رمزي أقل من القيمة العادلة مئات المرات، هذا التعويض الرمزي يثير ضغينة الشخص المغبون، وينتهي به إلىٰ كراهية المصلحة العامة، بل ويتمنىٰ خسارتها إن لم يسعىٰ لإفسادها وتدميرها تماماً.

ولذلك عندما اختار النبي ﷺ مكان المسجد النبوي وهو المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ، اشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه.

وحرمة الملكية العامة أعظم، وحرمة الاعتداء عليها أشد؛ لأنه عدوان علىٰ المجتمع كله، وخيانة للأمة بأسرها للحديث: «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة**»(٢).

أقول: إن هذا الحديث إنذار رهيب لهذا الجُرم لمن يقومون بأعمال في الملكية العامة كالمقاولين والعاملين الذين يستحل بعضهم نهب المال العام نهباً(٣).

بل ونشير في هذا المقام إلىٰ ما هو أخطر من ذلك، وهو ما شاع من استغلال بعض المسئولين سلطاتهم في وضع يده علىٰ بعض الممتلكات العامة من أراض ومرافق، أو بيعها للآخرين بل والأجانب، نظير مبالغ هي أقرب إلىٰ الرشوة منها إلىٰ الثمن.

إن الاعتداء علىٰ الملكية يُضيع ثواب أكبر الأعمال بل ويجعله في النار للحديث: قيل: يا رسول الله إن فلاناً قد استشهد! قال: كلا لقد رأيته في النار بعباءة قد غلها (أي سرقها) ثم قال: «**يا عمر قم فناد، إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» ثلاثاً(٤).

---

(١) رواه مسلم، مظالم ١٣، بدء الخلق ٣.

(٢) رواه مسلم، إمارة ٣٠.

(٣) انظر: أمانة المال العام في الباب الثالث من هذه الموسوعة.

(٤) رواه البخاري، جهاد ١٩٠.

٩ ـ حق حرية الارتحال والإقامة :

أ ـ لكل فرد الحق في حرية الحركة والتنقل من مكان إقامته وإليه وله حق الهجرة والرحلة والهجرة من موطنه دون تضييق أو تعويق: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (الملك: ١٥)، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (النساء: ٩٧).

ب ـ لا يجوز إجبار شخص على ترك موطنه ولا إبعاده عنه تعسفاً دون سبب شرعي: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ (البقرة: ٢١٧).

جـ ـ دار الإسلام واحدة وهي وطن لكل مسلم، فلا تقيد حركته بأي حواجز جغرافية أو حدود سياسية، وعلى كل بلد مسلم أن يستقبل من يهاجر إليه استقبال الأخ لأخيه: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر: ٩).

وهناك أقسام كثيرة من الحريات وحقوقها ذُكرت في أماكنها من هذه الموسوعة.

آثار الاستبداد :

يُعد الاستبداد أخطر آفات المجتمع، إنه سوس المجتمعات الذي ينخر في عظامه، كما أن لكل مادة من المواد العينية سوساً ينخر فيها حتى تُصبح هذه المادة أثراً بعد عين، فالصدأ سوس الحديد لا يتركه حتى يصبح ذرات متناثرة، والأرضة سوس الخشب تتسلط عليه حتى يصبح هشيماً تذروه الرياح، والسوس الذي يأكل الحرية هو الاستبداد.

يقول الإمام الأكبر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر ـ رحمه الله ـ : إذا أنشبت الدولة برعاياها مخالب الاستبداد نزلت عن شامخ عزها لا محالة وأشرفت على حضيض التلاشي والفناء إذ لا غنى للحكومة عن رجال تستضيء بآرائهم في مشكلاتها وآخرين تثق بكفاءتهم وعدالتهم إذا فوضت إلى عهدتهم بعض مُهماتها، ونلخص الآثار السيئة للاستبداد منها :

١ ـ الأرض التي اندثرت فيها أطلال الحرية إنما تؤوي الضعفاء والسفلة، ولاتنبت العظماء من الرجال إلا القليل.

٢ ـ تتألف أعضاء الحكومة من أناس يخادعونها ولا يبذلون لها النصيحة في أعمالهم، وآخرين مقرنين في أصفاد الجهالة، يدبرون أمورها في حدود ما تدركه أبصارهم، وقديماً قيل : «ويل لأمة قادتها حمقى، وحكماؤها خرسى»، وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الأمة، فلا تلبث أن تلتهمها دولة أخرى وتجعلها في قبضة قهرها وذلك جزاء الظالمين.

٣ ـ يطبع الاستبداد نفوس الرعية على الرهبة والجبن ويميت ما في قوتها من البأس والبسالة، فإذا اتخذت الدولة منهم حامية أو كتيبة عجزوا عن سد ثغورها وشُلت أيديهم، وأسلموها إلى مصيرها، وإذا أردت مثالاً يثبت فؤادك، ويؤيد شهادة العيان، فاعتبر بقصة موسى لما أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدسة كيف قعد بهم الخوف عن الطاعة والامتثال وانظر ماذا قالوا : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ (المائدة : ٢٤)، إن الذي طرح في قلوبهم الجبن هو خُلق الانقياد.

٤ ـ الأمة محتاجة إلى الكاتب والشاعر والخطيب والاستبداد يعقد ألسنتهم إن الحرية تؤسس في النفوس قيم العزة والشهامة فإذا نظمت الحكومة منهم جنداً استماتوا تحت رايتها مدافعة ولا يرون القتل سُبَّة إذا ما رآه الناكسون رؤوسهم تحت راية الاستبداد.

٥ ـ من آثار الاستبداد ما تسيل به الأقلام من صديد الكلمات، التي صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة نحو : (مُقبل أعتابكم)، المتشرف بخدماتكم)، (عبد

نعمتكم). . . مما يُذكر بذلك الرجل الملقب بعائد الكلب وذلك لقوله :

إني مرضت فلم يعدني واحد　　　منكم ويمرض كلبكم فأعـود

٦ ـ الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق وفي دولة الاستبداد لا تطالب إلا بصفة الاستعطاف(١) : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر : ١٠).

وبعد هذا يقول الجُهال : إن الإسلام يعادي الحريات!!

يقول د. عبد العظيم المطعني(٢) : إذا صح القول أن الشمس مصدر الظلام في الكون، صح أن يُقال أن الإسلام يعادي الحريات : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف : ٥).

ثالثاً : الوحدة :

إن المتأمل في الشريعة الإسلامية يجد في أي ناحية منها دعوة إلى الوحدة إما دعوة صريحة أو ضمنية وذلك لأهمية الوحدة في المجتمع الإنساني بعامة فضلاً عن الأمة الإسلامية بخاصة.

وفي المعجم، اتحد الشيئان أو الأشياء، صارت شيئاً واحداً(٣).

الوحدة هي : اتحاد الدول أو البلاد والأفراد والجماعات في سائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم.

أهمية الوحدة:

لأهمية الوحدة نذكر بعض النصوص في الشريعة التي تحث على ذلك :

---

(١) الحرية في الإسلام، الشيخ محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر السابق، هدية مجلة الأزهر، ذي القعدة عام ١٤٢٥ هـ.

(٢) مجلة الرسالة، العدد ٩، ص ٧٦ .

(٣) المعجم الوسيط، مادة وحد، ص ١٠٥٨ ، المجلد الثاني .

أولاً : في القرآن :

رد الله تعالىٰ إنسانيتنا إلىٰ أصل واحد فكلنا لآدم : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات: ١٣).

ووضح الحق سبحانه أن الأمة واحدة والرب واحد : ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ (المؤمنون: ٥٢).

ووضح الحق سبحانه أن وحدة الأمة توجب علىٰ أبنائها ألا يتفرقوا في الدين وألا يختلفوا : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ (الشورىٰ: ١٣).

ووضح الحق سبحانه أن الذين يفرقون دينهم ويختلفون شيعاً يعادي بعضهم بعضاً بعيدون عن الدين الحق : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ثانياً : في السنة :

ولقد حذر النبي ﷺ من الفرقة، فالمتفرقون فريسة لأعدائهم يتغلبون عليهم بسهولة وتتداعىٰ عليهم الأمم كما تتداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها، فيُعتدىٰ عليهم في كل وطن، ويُقاتلون في كل مكان، ويضيعون فرقة بعد أخرىٰ، وجماعة بعد جماعة كما يكونون فريسة للشيطان للحديث: «**الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإن كانوا ثلاثة لم يهم بهم**»[1]، وللحديث : «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية**»[2].

---

(١) رواه مالك في الموطأ، استئذان ٣٦ .

(٢) رواه البخاري، فتن ٣ ، أحكام ٤ ، ومسلم، إمارة ٥٣ ، ٥٦ .

وأوضح النبي ﷺ أن قوة المؤمنين في وحدتهم، وأن ضعفهم في تفرقهم للحديث : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(١) .

وللحديث : «**مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢) .

إن وحدة أمتنا واجبة وضرورية لمواجهة التحديات والتكتلات والأخطار التي تحدق بالأمة من كل جانب، ولو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا الإسلامية والعربية من الثروة البشرية والمعدنية والبترول، والعقول والحضارة والعلم والزراعة، والموقع الجغرافي . . . إلى غير ذلك من أسباب القوة والمنعة ، لو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا من هذا كله . . لَكُنَّا على يقين بأننا حين نتوحد ونتجمع نصبح أكبر قوة مؤثرة في العالم كله .

من أجل هذا أدرك أعداء أمتنا سر قوتنا فراحوا يعملون على نشر مبدئهم بيننا، ومنها : (فَرِّق تَسُدْ) فكانت الحدود المصطنعة، وكانت أساليب التفرقة المتعددة في الثقافة، وفي نشر مبادئ الخلاف بين الأمة لإحداث شروخ بين فصائل الشباب المسلم، فكان تركيزهم على تضخيم بعض الاجتهادات والخلافات الفقهية .

وإلى جانب هذا سعوا جاهدين في فصل الأمة عن دينها ودستورها؛ لأنه يوحدها فقال **غلادستون، وزير بريطانيا الأول** وكبير أعمدة الاستعمار في الشرق الأوسط : «ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن» .

وقال **سيمون** : «إن الوحدة الإسلامية التي تجمع آمال الشعوب السمر وتعبر عن أمانيهم هي التي تساعدهم على رفض السيطرة الأوروبية والتخلص منها»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، صلاة ٨٨، أدب ٣٦، مظالم ٥، ومسلم، بر ٦٥ .

(٢) رواه البخاري، أدب ٣٧، ومسلم، بر ٦٦ .

(٣) دعوة الإسلام للوحدة، د. أحمد عمر هاشم، هدية الأزهر، المحرم عام ١٤١٨ هـ.

العوامل التي تساعد على الوحدة:

١ ـ فهم طبيعة هذا الدين أنه الخاتم، وأن أتباعه هم قادة العالم ومخرجوه من الظلمات إلىٰ النور.

٢ ـ معرفة بالفقه الإسلامي، وأنه علىٰ ثرائه وكثرة الآراء فيه مدعاة إلىٰ وحدة الأمة وليس تفرقها(١).

٣ ـ التجرد لله تعالىٰ وعدم السير خلف الأهواء والتأويلات الشخصية الباطلة.

٤ ـ الاعتصام بكتابه سبحانه وتعالىٰ وقد تحدث القرآن عن ذلك حديثاً شافياً هادياً للتي هي أقوم: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)** ﴾ (آل عمران).

٥ ـ الحرص علىٰ العبادات، فهي التطبيق العملي للوحدة، فصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد، وصلاة العيدين تجمع الناس في المصلىٰ الذي يتسع لأهل المكان، وصلاة الجمعة كل أسبوع رمز دائم للوحدة، والحج أعظم مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون، والصيام امتناع في وقت واحد والشرب في وقت واحد، الأذكار والأدعية في وقت واحد، ومما يغيظ أعداء الأمة أن يبدأ المسلمون الصيام معاً لذلك تجد معظم الدول الإسلامية تخالف بعضها في بداية ونهاية شهر رمضان بالرغم من أن معظم هذه الدول يشترك في جزء كبير من الليل إن لم يكن كله، فأصبح استطلاع الهلال سبب للفرقة بين الأمة بالرغم من أنه هلال واحد فقط بدلاً من أن يكون مظهر وحدة، وبالرغم من وجود أجهزة الرصد والاستطلاع في أعلىٰ درجات الدقة، ولكن الأعداء لا يريدون لنا أن

---

(١) راجع الباب الثاني تجد ذلك واضحاً بالأدلة.

نتحد حتىٰ ولو في الشكل الظاهري للعبادات.

٦ ـ أن تعرف نهاية الفرقة، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (النساء: ١١٥).

٧ ـ قراءة التاريخ للأمم والشعوب في الماضي والحاضر[١]، فما استطاعت أمة من أهل السلب والنهب والسطو أن تتمكن من غيرها إلا بعد أن تمكنت من تمزيق وحدتها، فأسلحة التفرقة أقوىٰ من أسلحة الميدان، لذلك نهيب بالمسلمين والعرب في شتىٰ الأقطار الإسلامية والعربية أن يلتقوا علىٰ كلمة سواء، ويدركون قيمة الهدي النبوي في حديث: «**يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار**»[٢].

٨ ـ حقائق التشريع الإسلامي تُوحد ولا تُفرق:

ـ اتسم الدستور السماوي (القرآن) بالعموم والخلود.

ـ اتسم المنهج الرباني بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فلم ينتشر بالقوة ولا بالسيف: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ـ موقف الإسلام من الاجتهادات الصحيحة موقف الإسلام من الاجتهادات غير الصحيحة لا تعصب في اجتهادات الأئمة[٣].

---

(١) التاريخ الحاضر يظهر ذلك واضحاً في فلسطين، فحينما تمزقت الأمة احتُلتْ فلسطين، أما أفغانستان، فما استطاعت روسيا أن تفعل شيئاً وانهزمت أمامها، ثم كانت الفتنة والفرقة، وفي العراق أحدثت أمريكا والصهيونية فتنة بين أهل الشيعة والسنة، فثبتت أقدامها، وطال بقاؤها . . . لكن كل ذلك سيزول بوحدة المسلمين إن شاء الله.

(٢) رواه الترمذي، فتن ٧، وقال الترمذي: حديث غريب، وعند الترمذي برقم ٢١٦٧ .

(٣) راجع الباب الثاني من هذه الموسوعة للتفصيل .

٩ ـ أن تكون على علم بالتحديات التي تواجه الأمة حتى تستعد من ناحية وتعرف مكمن الخطر من ناحية أخرى ومن هذه التحديات :

ـ **تحديات عسكرية** وتتمثل في احتلال كثير من البلاد والأقليات الإسلامية تحت مسميات واهية (نشر الديمقراطية ـ حماية الأقليات).

ـ **تحديات سياسية**.

ـ **تحديات اجتماعية** كنشر التقاليد الوافدة في الأسرة والبيئة والزي.

ـ **تحديات اقتصادية** ، ومنها نشر الربا (فهو صناعة اليهود، وتسميته بغير اسمه وإغراق الدول في الديون، فيهتز قراراها، وتضيع هيبتها.

ـ **تحديات صحية** (نشر الخمور والمخدرات وأمراض التحلل الجنسي).

ـ **تحديات ثقافية** : حدث ولا حرج عن الغزو الفكري يعمل على تغريب الأمة وتغييب رسالتها بإيقاف المد الإسلامي إلى الخارج وضربه من الداخل.

الخصيصة الرابعة: يعمل من خلال أنظمة

النظام لغة : الخيط يُنظم فيه اللؤلؤ وغيره .

النظام : هو الترتيب والاتساق ـ ونظام الأمر : قوامه وعماده، جمعها : نُظُم وأنظمة(١) .

تعريف النظم: النظم في الإسلام كلها مبنية على الأصل الخلقي ، وهو مراعاة مصلحة العباد بأكبر قدر سواء أكانت منفعة معنوية أم كانت مادية ، وسواء أكانت عاجلة أم كانت آجلة ، وسواء أكانت متعلقة بالمعاملات المالية ، أم كانت متعلقة بالزواجر الاجتماعية(٢) .

البيئة التي تحمي النظام في الإسلام: الإنسان ذلك الخليفة عن الله تعالى وهو حجر الزاوية في هذه الأنظمة سخر الله تعالى الكون لخدمته فترى هذه البيئة القرآنية بل ومجرد وقفة يسيرة مع الإنسان في القرآن نجد أن الإنسان لكي يحتفظ بآدميته لابد له من الحصول على الضروريات المادية التي بينها القرآن في قصة آدم عليه السلام : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩)** ﴾ (طه) .

فبينت الآيات أن هذه الضروريات المادية تتكون مما يلي :

١ ـ مسكن يقيه شر الحر والبرد ويؤويه .

٢ ـ ملبس يستر عورته ويحميه .

٣ ـ مطعم يسد جوعه ويغذيه .

والإسلام يؤكد على ضرورة توفير هذه الضروريات لكل إنسان تحت ويشترط في ذلك شرطين :

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ، نظم، ص ٩٧٠ .

(٢) الزواجر الاجتماعية هي العقوبات المقررة لحفظ المصالح الخمس (النفس ، الدين ، المال ، العقل ، النسل) .

١ ـ أن لا يُحرم منها أي إنسان ولو كان مجرماً.

٢ ـ أن لا تملكها هيئة أو شخص في يده حتى لا يتحول الناس إلى عبيد يتبعون تلك الهيئة أو ذلك الشخص.

وقد دلل العلماء[1] على هذا المعنى المهم بمثال عن الأسد فقالوا: إن الأسد في الغابة له مطلق الحرية في طعامه، ولذلك فهو في حريته يملأ الحديقة ويرجها بزئيره.. لكن الحال يتغير تماماً حيث يقع الأسد في شبكة الصياد، ثم يُباع إلى مروض السيرك الذي يُروض الأسد عن طريق تملك طعامه فيأمره بالقفز من طوق النار فينفذ سريعاً لكي يأكل، ولذا يتحول الأسد إلى أسد جريح في السيرك.

لواء الأنظمة:

وهكذا يصبح الناس تحت لواء الأنظمة التي تمتلك لقمة العيش، وذلك مثل الأنظمة الماركسية التي تصبح الشعوب فيها أسوداً جريحة في أقفاص السيرك الماركسي[2].

لذا أمر الإسلام بتحرير هذه الضرورات المادية وكفلها لكل إنسان تحت لوائه.

ولكن لِمَ حرص الإسلام على ذلك؟

أ ـ إن الإسلام كان بذلك في غاية المنطق؛ لأن الإنسان الجائع مشغول بخواء معدته، وصراخ أمعائه، فلا يسمع لموعظة، ولا يتعقل دعوة، ومثله في ذلك العاري والمتشرد.

إن الإسلام يطعم من جوع، ويكسو من عُري، ويُؤَمِّن من خوف، ثم يدعو الناس إليه، وهو بذلك يخالف كل الفلسفات الاجتماعية الوضعية التي تنادي بجمع الضرورات المادية في يد النظام الحاكم كأنهم يريدون تحويل الشعوب إلى قطعان جائعة تبعاً لقاعدة (جوع كلبك يتبعك).

---

(١) النظم الإسلامية، أ.د. يسري هانئ، ص ٨٧ طبعة دراسية.

(٢) انظر: الماركسية، أ.د. عمارة بخيت.

ب ـ يبين القرآن الكريم النعمة العظمىٰ علىٰ المجتمع القرشي حيث يقول : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④ ﴾ (قريش) .

هنا نرىٰ السورة الكريمة تحدد العوامل الأساسية التي تكفل للواقع البشري الاستقرار والازدهار والتحرر ، كما تحدد المعالم والقواعد التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية بما يكفل لها الدوام والثبات .

إنها تجعل ذلك كله يكمن في عاملين أساسيين :

١ ـ الإطعام من الجوع .

٢ ـ الأمن من الخوف .

- **والإطعام هنا يمثل** في اللغة المعاصرة الموارد الاقتصادية التي تحقق الشبع للناس في ظل أي مجتمع .
- **والأمن يمثل** وجود النظام العادل الذي يحفظ هذه الموارد ويوزعها علىٰ الناس بالعدل[1] .

يقول الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ : «لا يحرك النفوس ، ويثير الخواطر ، ويؤلم المشاعر شيء كالضائقة المالية ، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين ضروريات الحياة ، فضلاً عن كمالياتها ، ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف ، ولاعضة أقوىٰ من عضة الجوع والمسغبة ، ولا حاجة أشد من حاجة القوت ، وطالب القوت ماتعدىٰ ، دخلت الجارية علىٰ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة فقالت : ياسيدي فني الدقيق ، فقال : قاتلك الله ! ! أذهبتِ من رأسي أربعين مسألة»[2] .

---

(١) النظم الإسلامية ، أ . د . يسري هانئ .

(٢) الرسائل ، للإمام حسن البنا ، ص ٢٤٧ .

النظام الاقتصادي الإسلامي

ونعني به ما يتعلق بأمر الملكية وتنظيم الأموال بأنواعها كسباً وإنفاقاً وتوزيعاً وطرق استثمارها ووسائل انتقالها إلى الغير(١).

المالية العامة للدولة الإسلامية:

تختص بالإيرادات العامة للدولة الإسلامية ونفقاتها العامة، وتحقيق التوازن بينهما ورسم السياسة المالية لها وإدارة هذه السياسة(٢).

أهمية النظام الاقتصادي الإسلامي:

النظام الاقتصادي هو العمدة بين الأنظمة كلها؛ لأن استقرار النظام الاقتصادي استقرار للأنظمة كلها، فلن يتحرر النظام السياسي إلا بالاستقرار الاقتصادي، وإلا كان هذا البلد إما مُحتلاً أو تابعاً أو مديناً، وكذا النظام التعليمي لا تتحرر قواعده وقوانينه والثقافة التي يبثها إلا بالحرية الاقتصادية وهكذا في كل الأنظمة، بل أقول الأنظمة لا تنمو نمواً صحيحاً إلا في ضوء الاستقرار الاقتصادي.

خصائص وسمات النظام الاقتصادي الإسلامي:

إن أي نظام لا يقوم ويعمل في حياة الناس إلا إذا كانت له خصائص وسمات ومميزات تميزه عن غيره، وهذه الخصائص نظرية لا تصبح واقعاً إلا إذا كان لهذا النظام مقومات يقوم عليها، وهذه المقومات لابد وأن تتميز بالواقعية.

ولذلك أقول: إن المقومات الموجودة في النظام الاقتصادي الإسلامي لا توجد في أي نظام اقتصادي على الإطلاق، سواء كانت نظما اشتراكية أو رأسمالية ولذلك تتراجع هذه الأنظمة الآن مخلفة مساوئ للبشرية لا حصر لها، ويكفي من هذه المساوئ الربا الذي أغرق معظم الدول في مستنقع الذل والتبعية، ومن هنا تبدو أهمية النظر في الجانب الاقتصادي الإسلامي وتعاليمه الهادية التي تقدم للبشرية منهاجاً مستقيماً ينقذهم من الحيرة والضلال ويقوم على أصدق حقائق النفس والحياة.

---

(١) المنهاج القرآني، د. عبد الستار فتح الله.

(٢) المالية العامة للدولة الإسلامية، قطب إبراهيم محمد طبعة دراسية، ص ٩٧.

يقول **الدكتور محمد شوقي الفنجري** [(١)]: في رأينا أنه يمكن رد السياسة الاقتصادية في الإسلام إلىٰ ثلاثة أركان أو خصائص رئيسية هي :

الخصيصة الأولى : الجمع بين الثبات والتطور :

بمعنىٰ أنها سياسة ثابتة من حيث أصولها الاقتصادية التي وردت في نصوص القرآن والسنة، وهو ما يُعبر عنه (بالمذهب الاقتصادي الإسلامي)، وسياسة متطورة من حيث تفاصيل التطبيق بما يلائم الزمان والمكان، وتختلف التطبيقات الإسلامية باختلاف المجتمعات، وهو ما يعبر عنه (النظام الاقتصادي الإسلامي) أو النظم الاقتصادية الإسلامية، فهذا المنهج إلهي من حيث النظام، فالاقتصاد الإسلامي مرجعه ومصدره الله تعالىٰ .

أ - ورد في القرآن والسُنَّة مبادئ وأصول اقتصادية :

ففي القرآن قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٨)، ﴿ **مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الحشر: ٧)، ﴿ **وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴾ (النور: ٣٣)، ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ (الذاريات: ١٩)، ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ (البقرة: ٢١٩).

وفي السُنَّة حديث : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[(٢)].

وقوله ﷺ عن الصدقة: «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»[(٣)].

---

(١) ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي، د. محمد شوقي الفنجري، ص ١٣، طبعة الأزهر، جمادي الأولىٰ عام ١٤٢٤ هـ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩٧، والطبراني في الكبير والأوسط .

(٣) رواه البخاري، فضائل الصحابة ٨، زكاة ١، ٣، ٤١، ومسلم، إيمان ٢٩ .

وقوله : «**من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**»[1] .

وقوله : « **ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار**»[2] .

وقوله : «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنوات**»[3] .

واصطلاح محتجر من الأحجار إذ كان العرب يصنعون أحجاراً يحددون بها الملكيات .

ب ـ نماذج من تطبيقات لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية ، ومنها على سبيل الأمثلة لا الحصر :

ـ رفض الخليفة عمر بن الخطاب اعتبار الأرض المفتوحة بالشام والعراق في حكم الغنائم توزع على الفاتحين وإحالتها إلى ملكية جماعية .

ـ اعتراض الصحابي أبو ذر الغفاري على استئثار أقلية في عهد الخليفة عثمان ابن عفان بخيرات المجتمع .

ـ ما ذهب إليه الإمام مالك بأنه «يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم»[4] .

ـ وما أفتى به ابن حزم وغيره من العلماء بأنه : «إذا مات رجل جوعاً في بلد اعتبر أهله قتلة ، وأخذت منهم دية القتيل»[5] .

ـ وما أفتى به الشاطبي بأنه « إذا خلا بيت المال وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم ، فللإمام إذا كان عدلاً أن يوظف على الأغنياء ، أي يفرض عليهم ضرائب ما يراه كافياً لهم والحال إلى أن يظهر مال في بيت المال

---

(١) أخرجه مسلم ، نكاح ٨٨ ، لقطة ١٨ .

(٢) البخاري ، شرب ٢ ، حيل ٥ ، ومسلم ، مساقاة ٢٧ ، ٣٨ ، وابن ماجة ، رهون ١٦ .

(٣) الخراج ، ليحيى بن آدم ، باب التحجر .

(٤) القرطبي في تفسير ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

(٥) الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية ، للشيخ الغزالي ، طبعه ١٩٥٢ ، ص ١٢٠ .

ووجه المصلحة ظاهر فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك بطلت هيبته وصارت ديارنا عرضه لاستيلاء الكفار(١).

- وما أفتى به العز بن عبد السلام حين جمع السلطان قطز قضاة وعلماء مصر للحصول على موافقتهم في أخذ الأموال من الشعب للاستعانة بها على جهاد التتار، فأكدوا ما أبداه بأنه لا يجوز ذلك إلا بشرط أن يؤخذ ما عند الأمراء من الحوائض، أي القلادات المذهبة والآلات النفيسة، وأن يقتصر كل واحد على سلاحه ومركوبه فإذا لم يكف ذلك جاز أخذ أموال من الشعب بقدر الحاجة(٢).

الخصيصة الثانية : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة أو خاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة:

ينفرد الإسلام منذ البداية بسياسة اقتصادية متميزة لا ترتكز أساساً على الفرد شأن المذهب الفردي والنظم المتفرعة عنه، والتي تدين بها دول المعسكر الغربي، ولا ترتكز على المجتمع فحسب، شأن المذهب الجماعي والنظم المتفرعة عنه، والتي تدين بها دول المعسكر الشرقي، وإنما قوامها الموائمة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع وهي السياسة الوسط أخذاً من قول الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقول الرسول ﷺ: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»(٣).

ماذا تعنى الوسطية :

أ - تعني الاعتدال والملاءمة .

ب - ليست وسطية حسابية مطلقة

---

(١) الاعتصام، للشاطبي جـ٢، ص ٢٩٥ طبعة المنار .

(٢) انظر : د. عبد الله الوهيبي في مؤلفه : العز بن عبد السلام حياته وآثاره، ص ٢٥، الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

(٣) رواه البخاري، اعتصام ٥ .

جـ ـ إنها وسطية تمنع من السرف والترف حتى في الحلال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٧) ، فليس هناك شيء أنفع للاقتصاد من هذه الوسطية في الإنفاق التي تُرَشِّد مسالك الحلال نفسه وتقي من الانزلاق في الكسب الحرام والإنفاق الخبيث .

د ـ إنها وسطية اجتماعية نسبية ، إذ الاعتدال وهو سمة الإسلام وأسلوبه في كافة نواحي الحياة لا يمكن أن يوضع في قالب جامد أو صيغة محددة ، ولكنه أمر اعتباري يختلف باختلاف الزمان والمكان .

ولذلك أقول : إن الإسلام في كل نُظمه يضع إطاراً عاماً ويترك للأفراد أساليب التطبيق داخل هذا الإطار بما يلائم كل زمان ومكان .

وبالمثال يتضح المقال :

وضع الإسلام السياسة الوسط ، فقد واءم بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، غير أنه في الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالات الحروب أو المجاعات أو الأوبئة حيث يتعذر التوفيق بين المصلحتين العامة والخاصة فإنه بالإجماع تُضحى بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة ؛ لأن المصلحة العامة هي حق الله تعالى الذي يعلو فوق كل الحقوق .

ونخلص من ذلك إلى :

١ ـ مناط الاقتصاد الإسلامي هو المصلحة .

٢ ـ التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في حالة التعارض .

٣ ـ تقديم المصلحة العامة على الخاصة في حالة عدم إمكان التوفيق ، وانظر :

أ ـ حين نهى القرآن الكريم عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١٧٣) فللمصلحة ، وحين رخص في ذات النص بأكلها في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٣) فللمصلحة .

ب ـ وحين حرم الرسول بيع المعدوم بقوله تعالىٰ : «**لا تبع ما ليس عندك**»[١] فللمصلحة، وحين رخص في السلم[٢] فللمصلحة .

جـ ـ يقول د. شوقي الفنجري : وهي أيضاً المصلحة التي دعت الخليفة عمر ابن الخطاب إلىٰ وقف حد السرقة وعدم إعماله عام المجاعة[٣] .

ولذلك نرىٰ أن أساس التشريع الاقتصادي الإسلامي هو المصلحة كما قال الأصوليون (حيث وُجدت المصلحة فثم وجه الله) .

يقول ابن القيم : «إن الشريعة مبناها وأساسها العدل وتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلىٰ الجور وعن الرحمة إلىٰ ضدها وعن المصلحة إلىٰ المفسدة وعن الحكمة إلىٰ العبث فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل»[٤] .

ويقول الشيخ عبد الوهاب خلاف : «إنما تُربط جميع الأحكام بالمصالح ، إذ الغاية منها جلب المنافع ودرء المفاسد ، حتىٰ أن الرسول كان ينهي عن الشيء لمصلحة تقتضي النهي ثم يبيحه إذا تغيرت الحال وصارت المصلحة في إباحته ، فغاية الشرع هو المصلحة والسبيل إلىٰ تحقيق المصالح حيث لا نص من قرآن أو سنة هو اجتهاد الرأي»[٥] .

---

(١) رواه أبو داود، بيوع ٦٨ ، والنسائي، بيوع ٦٠ ، وابن ماجة، تجارات ٢٠ ، وأحمد ٣/ ٤٠٢ ، والترمذي، بيوع ١٩ ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٢) السلم، من التسليم والاستلام، ومعناه لغة استعجال رأس المال وتقديمه. وفي الاصطلاح الشرعي : شراء آجل بعاجل حيث يدفع الثمن مقدماً ويُسلم المبيع عند تواجده ويعتبر عقد السلم هو أساس شرعية العمليات الآجلة ببورصة البضائع ، حيث الثمن يكون معجلاً والمبيع مؤجلاً .

(٣) تعليق مجلة الأزهر ، للدقة العلمية نقول أن ذلك ليس من قبيل وقف النص أو تعطيله ، وإنما من قبيل عدم توافر شروط تطبيق النص وهو ما يُعبر عنه باصطلاح زوال الوصف. ؛ لأنه لا يملك أحد أن يُوقف نصاً أو يُعطل حداً من حدود الله ، فلقد وجد العلماء أن شروط حد السرقة في عام الرمادة لا تنطبق علىٰ السارق كما بين الفقهاء أن هناك شروطاً في قيمة الشيء المسروق وفي حرزه (أي مكان وجوده) كما أنهم قالوا أن من سرق ليأكل فلا حد عليه .

(٤) ابن القيم، أعلام الموقعين جـ٣ الفصل الخاص بتغير الفتوىٰ واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات .

(٥) السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاف، ص ٦ ، ٧ ، طبعة ١٣٥٠هـ .

د ـ ترتيب المصالح بحسب أهميتها فالضروريات ليست في مرتبة واحدة فلا يُراعى ضروري إخلالاً بضروري أهم منه وكذلك الحاجيات والتحسينيات :

ـ ومن ثم أُبيح شرب الخمر لإزالة غُصة محافظة على النفس من الهلاك، ولم يراع حفظ العقل ؛ لأن حفظ النفس ضروري أهم من ضرورة حفظ العقل .

ـ وأبيح كشف العورة إذا اقتضى هذا العلاج عملية جراحية ؛ لأن ستر العورة تحسيني، والعلاج ضروري .

و ـ الحرية الاقتصادية للأفراد، وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي يتوازيان[1] :

ـ قرر الإسلام حرية الأفراد في ممارسة النشاط الاقتصادي، فنجده يضع قيوداً على هذا النشاط، فلا يجوز بيع الخمور، أو التعامل بالربا، أو الاحتكار، أو حبس المال عن الإنتاج، أو الإضرار بحقوق الآخرين، أو المغالاة في تحديد الأسعار، بل إنه يُنشئ نظام الحسبة الذي هو صورة من صور تدخل الدولة لمراقبة سلامة النشاط الاقتصادي .

ـ وهناك أوجه نشاط يصير شرعاً (فرض عين على الدولة) كمد خطوط السكك الحديدية وتعمير الصحاري ـ مدارس ـ مستشفيات .

هـ ـ يكفل الإسلام حد الكفاية أي المستوى اللائق للمعيشة لا (الكفاف) أي المستوى الأدنى للمعيشة لكل فرد، فإن ذلك يتطلب تدخل الدولة، ولذلك أقام الإسلام منذ أربعة عشر قرناً مؤسسة الزكاة التي هي بالتعبير الحديث (مؤسسة الضمان الاجتماعي) .

ي ـ يحرص الإسلام على تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع، وينكر استئثار

---

(١) أما في الاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي يتعارضان، ففي ظل الاقتصاد الإسلامي يمارس الأفراد حريات غير محدودة ولا مضبوطة بحيث تكاد تنعدم القيود الأخلاقية والدينية والقانونية التي يمكن أن تحد نزوات الأفراد، وتحول دون استغلال الثروة والسلطة استغلالاً سيئًا، وتنفصل الصناعة والإنتاج والعلم عن الأخلاق، أما النظام الاشتراكي فإنه يُصادر حريات الجميع، ويقوم نظامه على القهر والكبت والاضطهاد .

أقلية بخيرات المجتمع : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر : ٧)، فإن ذلك يتطلب تدخل الدولة لإعادة التوازن في توزيع الثروة بين الأفراد وهو ما فعله النبي ﷺ حين خص المهاجرين دون الأنصار بفيء بني النضير، وهو ما يُطلق عليه (تفتيت الثروات)[١].

وقد وضع الإسلام علاجاً عملياً لها ومن ذلك:

١ ـ أرشد إلىٰ عدالة التوزيع : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر : ٧).

٢ ـ ندد بالكنز وإمساك المال والبخل : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة: ٣٤).

٣ ـ فرض في الثروة الزكاة وحث علىٰ الصدقات وحث علىٰ الوصية.

٤ ـ ثم قسم التركات (الميراث) بنمط إسلامي فريد أثلاثاً وأسداساً وأنصافاً وأثماناً وينقل منه أجزاء إلىٰ بلاد أخرىٰ وأسر أخرىٰ عن طريق توريث المرأة.

الخصيصة الثالثة: الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية، أو استشعار وجود الله تعالى ومراقبته في كل تصرف:

كيف يكون النشاط الاقتصادي روحياً في الإسلام؟

يكون النشاط الاقتصادي روحياً حينما يتجه المرء بنشاطه الاقتصادي إلىٰ الله تعالىٰ ابتغاء مرضاته وخشيته، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٤٨)، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ (الشرح).

ولذلك كان القول المشهور «العمل عبادة»[٢].

---

(١) المنهاج القرآني، د. عبد الستار فتح الله، ص ٦١٠ .

(٢) اتضح ذلك من الشمولية (بداية هذا الباب).

وللحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

وهذا التوجه إلى الله بالنشاط الاقتصادي يُنتج:

١ - حماية للفرد من نفسه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (النمل: ٤).

٢ - صمام أمان لسلامة النشاط الاقتصادي، بل الوسيلة الفعالة لصلاح الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢)، ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج: ٣٧)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٠).

٣ - عدم الفصل بين الدين والدولة[2] فالإسلام لا يعترف بهذا الفصل، ويتضح ذلك من هذا الحديث: رأى أحد الصحابة شاباً قوياً يسرع إلى عمله فقال بعضهم: لو كان هذا في سبيل الله؟ فرد عليهم النبي ﷺ: **«لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»**[3].

٤ - جعل الإسلام علامة الإيمان الصحيح في العمل النافع والإنتاج المادي الذي يعود بالصالح على المجتمع، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥)، ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٤).

---

(١) أخرجه البخاري، بدء الوحي ١، إيمان ٤١، نكاح ٥، طلاق ١١، مناقب الأنصار ٤٥، عتق ٦، أيمان ٢٣، حيل ١، ومسلم، إمارة ١٥٥، وفي حديث نبوي، ورد بسنن ابن ماجة **«إنما يُبعث الناس على نياتهم»**.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك .

(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، في الترغيب رقم ٢٨٦٨ .

٥ ـ الرقابة في الاقتصاد الإسلامي ذاتية ، لضمان سلامة السلوك الاجتماعي ، وشرعية النشاط الاقتصادي ، فإذا أفلت من رقابة ومساءلة القانون فلن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى ، ومن هنا كان أساس المسئولية في الإسلام : **«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**(١) ، وللحديث : **«لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**(٢) ، ويمكن أن نطلق على ذلك تسمية الضوابط الخلقية : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة : ٢٨٠) .

٦ ـ المال في الإسلام ليس غاية في ذاته ولكن المسلم يطلبه وينميه ليصبح وسيلة فعالة معينة له في رحلته إلى الله ، ويوضح القرآن أن المادة مطلوبة : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الجمعة : ١٠) .

وفي الحديث : **«طلب كسب الحلال فريضة»**(٣) إلا أنها ليست مقصودة لذاتها ، قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩)** ﴾ (النازعات)، وللحديث : **«تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم»**(٤) .

وحرم الإسلام الغش بكل صوره، فقال ﷺ : **«من غشنا فليس منا»**(٥) .

وحرم الغرر والجهالة للحديث : **«نهى النبي عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر»**(٦) ، ونهى الإسلام عن الاستغلال والتغابن : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)** ﴾ (المطففين) .

---

(١) رواه مسلم، الحديث الثاني في الأربعين النووية .

(٢) أخرجه البخاري، مظالم ٣٠ أشربة ١ ، حدود ١ ، ٦ ، ١٤ ، ومسلم، إيمان ١٠٠ ، ١٠٤ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، والبيهقي ـ رحمه الله ـ ، وفي الترغيب رقم ٢٥١٦ ، ٢٥١٧ .

(٤) أخرجه البخاري، ٧٠ ، رقاق ١٠ .

(٥) رواه مسلم، إيمان ١٦٤ .

(٦) رواه مسلم، بيوع ٤ ، والترمذي، بيوع ١٦ .

ونهي عن الاحتكار وكل ما يؤدي إلى منافسة غير متكافئة، فقال ﷺ: **«لايحتكر إلا خاطئ»**(١).

وإنما المال في الإسلام مطلوب لذكر الله : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الجمعة: ١٠)، وفي الحديث: **«نعم المال الصالح للرجل الصالح»**(٢).

وفي سبيل المواءمة بين الجانب المادي والروحي يقرر القرآن في نصيحة المؤمنين (لأكبر رأسمالي) أخبرنا الله تعالى عنه : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ (القصص: ٧٧).

يقول د. عبد الستار : « ومن هنا أيضاً يتضح أن هذا الجانب على أهميته البالغة يضعه الله حيث يجب أن يوضع (وسيلة لا غاية) وخادماً لأهداف الإنسان العليا وليس مهيمناً عليه ولقد كانت خطيئة (المذاهب المادية) أنها خلطت بين الوسيلة والغاية، بل استبدلت الوسائل بالمعاصي، وعجزت عن تنمية الكيان الإنساني في شقيه، بل عجزت في الجانب المادي نفسه عن الموازنة بين الحقوق الفردية والاجتماعية، فطغى أحد الجوانب على الآخر دائماً في أنظمة الإنسان ومناهجه»(٣).

ومن الخصائص التي تميز الاقتصاد الإسلامي : الواقعية والتخطيط.. ونذكر فقط نماذج طُبقت بالفعل :

١ - **الواقعية :** وتعني أنه طُبق وكان له واقع مُشرف في حياته الإنسانية

- على مستوى الفرد : نموذج فذ في التطبيق إنه عبد الرحمن بن عوف.
- على مستوى الدولة : النموذج الذي طُبق في ذلك في عهد عمر بن عبدالعزيز، ما جاعت الطير في عهد عمر بن عبد العزيز.

---

(١) رواه مسلم، مساقاة ١٣٠، ١٣٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩٧ ، والطبراني في الكبير والأوسط .

(٣) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٥٩٥ .

٢ ـ **التخطيط** : النموذج الأول : يوسف عليه السلام ، ضرب القرآن الكريم مثلاً للتخطيط السليم الذي قام على أسس منطقية فأمكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعاً بالهلاك بسبب التخطيط السليم الذي قام به يوسف حين فسر رؤيا الملك : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٣).

إن يوسف فسر الرؤيا، وزاد عليها بأن قدم خطة عملية:

ـ تستغرق القطر كله، والشعب المصري كله.

ـ خطته اعتمدت على التشغيل الكامل للأمة.

ـ البرمجة الكاملة للوقت.

ـ التشغيل الكامل لطاقة كل فرد في الأمة «تزرعون».

ما الذي خطط له يوسف؟

ـ مضاعفة الإنتاج.

ـ تقليل الاستهلاك لأن الظروف الاستثنائية والأزمات تحتاج إلى سلوك استثنائي.

خطة يوسف :

قسم خطته إلى ثلاث مراحل ووازن بين هذه المراحل :

المرحلة الأولى : ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٧)، وهذا هو الجانب الأول جانب الإنتاج.

المرحلة الثانية : ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٨)، وهذا هو الجانب الثاني جانب الادخار.

المرحلة الثالثة : ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٩)، وهذا هو الجانب الثالث جانب الاستهلاك، وأن يعيد استثمار بعض المدخرات، وليس كل المدخرات: ﴿ **إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ (يوسف: ٤٨). فكان

هذا الجزء المدخر هو (الخميرة) التي تستطيع بها الأمة أن تقابل متطلبات البذر الجديد بعد السنوات العجاف وهو ما يسمى الآن إعادة استثمار المدخرات[1].

وأرى أن هذه الخطة التي قدمها يوسف عليه السلام هي نموذج يجب على الأسرة المسلمة أن تمارسه تطبيقاً عملياً في معيشتها، فتسلم من الأزمات والشدائد، وتسعد بالعائد في حالة الرخاء والوفرة.

إن التخطيط في حقيقته يعتمد على دعامتين وخمسة عناصر..

أما الدعامتان فهما : التنبؤ والأهداف.

وأما العناصر فهي :

١ ـ الوسائل والأدوات.

٢ ـ السياسات.

٣ ـ الموارد المادية والبشرية.

٤ ـ الإجراءات والبرامج الزمنية.

٥ ـ الموازنة التخطيطية التقديرية.

يقول علماء الإدارة والتخطيط : لا إدارة فعالة إلا بتنظيم ووفق تخطيط سليم مُسبق وهذا عين ما فعله يوسف وزاوله لقد جاء إلى الحكم يوم جاء وبرنامجه الإصلاحي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتربوي والإعلامي والزراعي كل ذلك في ذهنه قد أُعد إعداداً كاملاً دقيقاً[2].

إن الإسلام لا يقوم على التخمين أو التواكل، ولكنه يهتم بأدق الأساليب وأعمقها، سواء في جوانب الاقتصاد أو السياسة أو غيرهما.

إن التخطيط من الفطرة التي فطر الله الناس عليها واستخدمه الرسول ﷺ في كل مراحل دعوته، وعلى الإنسان أن يكون مستخدماً له في سائر حياته.

---

(١) فقه النصر والتمكين، د. الصلابي، ص ٣٢٦، طبعة الإيمان.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

فالصانع والزارع والعامل كل منهم يخطط ليومه وغده فيحدد :

١ ـ مطالبه. ٢ ـ التزاماته. ٣ ـ يحدد قدرته على الوفاء بها.

٤ ـ الاستفادة من تجاربه السابقة. ٥ ـ تقدير الظروف الطارئة المحتملة.

مقومات النظام الاقتصادي الإسلامي:

يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على مجموعة من المقومات الأساسية أستطيع حصرها في ركنين أساسيين هما : القوة البشرية ، والموارد المالية، كما يقوم على مجموعة من الضوابط لأمنه واستقراره. . .

١ ـ القوة البشرية:

وأعني بها الإنسان (مجموعة الأشخاص) فالشخص في الاقتصاد الإسلامي هو حجر الزاوية، وعُدة النظام الإسلامي هو الإنسان المسلم أولاً، ثم يأتي المال بعد ذلك، فماذا ينفع المال مع مُبَذِّر، أو مع كسول، أو مع لاهٍ عابث، أو مع تابع؟[1].

إن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الشخص القوي الجاد، ولا يقوم على الغثاء الموجود الآن في أمتنا، ففي دول البترول وغيرها في كثير من بلدان المسلمين شباب كثير يعيش بلا هدف، فهو عابث مبذر للمال في كل نواحي الإسراف الفاسدة، وفي السودان ملايين الأفدنة الخصبة التي تكفي الأمة الإسلامية إنتاجاً ولكن أين الشباب الجاد؟. . وفي مصر الشباب والحيوية ولكنها التبعية الذليلة التي أوردته إياها الأنظمة الفاسدة ولولا ذلك لقاد شبابها وشيبها العالم بأسره.

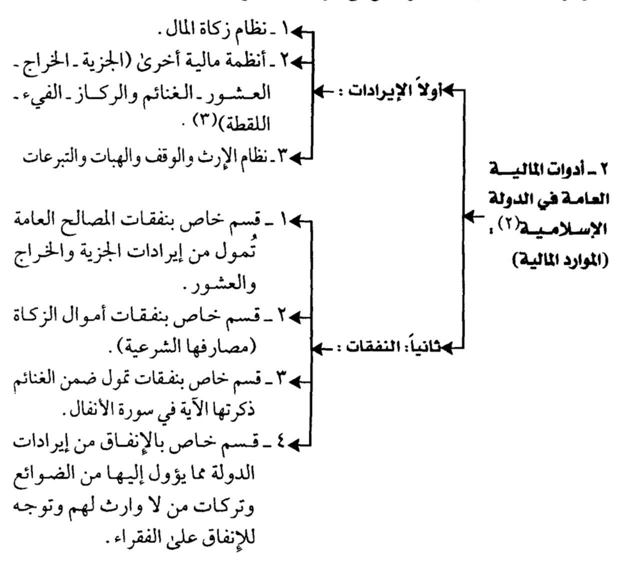
ويقوم الاقتصاد الإسلامي على الشخص القوي في بدنه وعقيدته: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ (القصص: ٢٦).

ويقوم على الشخص الجاد الذي يعمل ويجتهد ويأخذ بالأسباب مهما كانت مشقة العمل: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ (مريم: ٢٥). إن الله يطلب من مريم وهي في حالة الإعياء الشديد من الولادة أن تهز جذع النخلة.

(١) أما الشخص القوي الهمة يستطيع الثراء بجهده وعمله حتى ولو لم يكن معه مال، (راجع عبدالرحمن بن عوف في هذه الموسوعة).

ولا أجد أجمع من هذه الصفات التي يجب أن تتوافر في الفرد لكي يكون الدعامة الحقيقة للاقتصاد الإسلامي، إنه الشخص سليم العقيدة ـ صحيح العبادة ـ قادر على الكسب ـ منظم في شئونه ـ نافع لغيره ـ مثقف الفكر[1].

وهذه الصفات اجتمعت كلها في فرد مسلم رصيده المالي صفر حتى أصبح مليونير المسلمين، إنه عبد الرحمن بن عوف كما ذكرت.



---

(١) راجع هذه الصفات بالشرح العملي لها في باب الأسرة وتربية الأولاد من هذه الموسوعة، ورحم الله واضعها وهو الإمام حسن البنا رحمه الله.

(٢) المالية العامة للدولة الإسلامية، قطب إبراهيم، ص ٩٧ طبعة دراسية.

(٣) **الجزية :** ما فُرض من مال على رؤوس أهل الذمة الذين دخلوا في حوزة المسلمين من أهل الكتاب والمجوس جزاء أن يأمنوا على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم. =

القروض :

يرىٰ الماوردي أنه يجوز للدولة الالتجاء إلىٰ الاقتراض لتغطية الإنفاق العام كما انه يجوز التعجيل في دفع الزكاة لأكثر من سنة لوجود عجز في بيت المال فقد عجل النبي ﷺ زكاة مال عمه العباس لمدة سنتين لحاجته إلىٰ المال(١).

وأرىٰ أنه لا يجوز لولي الأمر الاقتراض إلا إذا وافق أهل الحل والعقد علىٰ هذا الأمر أو وافق الشعب علىٰ ذلك فالاقتراض ضرورة تُقدر بقدرها.

٣ـ ضوابط الأمن والاستقرار في الاقتصاد الإسلامي (٢) :

يقوم النظام المالي الاقتصادي الإسلامي وكذلك مؤسساته المالية علىٰ مجموعة من القواعد التي تحقق له الأمن والأمان والاستقرار وتقليل المخاطر أهمها:

أولاً : منظومة من القيم والأخلاق مثل الأمانة والصدق والشفافية والتيسير والتعاون فلا اقتصاداً إسلامياً بدون أخلاق وفي نفس الوقت حرمت الشريعة المعاملات المالية التي تقوم علىٰ الكذب والمقامرة والتدليس والغرر والجهالة والاحتكار والاستغلال والجشع والظلم وأكل أموال الناس بالباطل.

ويعتبر الالتزام بالقيم الإيمانية والأخلاقية عبادة وطاعة لله يُثاب عليها المسلم وتضبط سلوكه سواء كان منتجاً أو مستهلكاً أو بائعاً أو مشترياً وذلك في حالة الرواج والكساد وفي حالة الاستقرار أو في حالة الأزمة.

= **الخراج،** ما يوضع من الضرائب علىٰ الأرض الزراعية أو محصولاتها.

العشور : هي الضرائب التي تفرض علىٰ السلع الواردة للبلاد الإسلامية أو الصادرة منها.

الركاز : هو ما يوجد في الأرض من معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص، وفيه الخمس باعتباره غنيمة، وأرىٰ أن يضاف إلىٰ هذه الأنواع البترول والغاز الطبيعي واليورانيوم.

الفيء : كل مال وصل من غير المسلمين بدون قتال ولا هجوم (إيجاف).

(١) الرقابة المالية في الدولة الإسلامية، د. عبد الرحمن بدوي، طبعة ٢٠٠٦م، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

(٢) أ. د. حسين شحاتة، خبير المعاملات الإسلامية، عن مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥٢٠، ص ٣٢.

ثانياً : قاعدة المشاركة في الربح والخسارة وفق ضابط العدل والحق فلا يوجد فريق رابح دائماً وفريق خاسر دائماً فأباحت الشريعة العقود التي تقوم على ضوابط شرعية مثل صيغ التحويل بالمضاربة أو بالمشاركة وبالمرابحة وبالاستصناع وبالسلم وبالإجازة والمزارعة والمساقاة ونحو ذلك وحرمت كافة العقود القائمة على التحويل بالقروض بفائدة والتي تُعتبر من الأسباب الرئيسة للأزمات المالية .

ثالثاً : حرمت الشريعة الإسلامية نظام المشتقات المالية والتي تقوم على معاملات وهمية يسودها الغرر والجهالة فهي من المقامرات المنهي عنها شرعاً .

رابعاً : حرمت الشريعة الإسلامية جميع صور وصيغ وأشكال بيع الدين بالدين مثل : خصم الأوراق التجارية وخصم الشيكات المؤجلة السداد كما حرمت نظام جدولة الديون مع رفع سعر الفائدة ولقد نهى النبي ﷺ عن بيع الكالئ[(١)] بالكالئ يعني بيع الدين بالدين .

خامساً : مبدأ التيسير على المقترض الذي لا يستطيع سداد الديون لأسباب قهرية يقول الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨٠) .

مميزات النظام الاقتصادي الإسلامي وعيوب الأنظمة الأخرى :

نكتفي بذكر نقاط محددة اكتفاءً بما ورد :

---

(١) رواه البيهقي .

عيوب النظام الاقتصادي الرأسمالي[١]	عيوب النظام الاقتصادي (الشيوعي) الاشتراكي	مميزات النظام الاقتصادي الإسلامي
غرضه : تحقيق أكبر ربح ممكن ويتم ذلك على حساب العمال بضغط أجورهم وعلى حساب المستهلكين برفع الأثمان إلى أكبر درجة ممكنة .	غرضه : إشباع الحاجات على الأقل الرئيسية منها ولا توجد ملكية فردية ـ وشيوع المال العام . لا يهتم بالضعفاء بل ويعتبرهم سبب المشاكل .	غرضه : تحقيق مصلحة الأفراد والجماعة (مع احترام حقوق أهل الذمة في دار الإسلام) ويتم ذلك بالربح العادل، والأجر العادل، والثمن العادل، وعدم استغلال الضعفاء اقتصادياً واجتماعياً بل حمايتهم فجعل لهم حقا معلوما في أموال الأغنياء (التكافل الاجتماعي) .
يجعل مصلحة الفرد هدفا مباشرا ومصلحة الجماعة هدف غير مباشر . الأصل حرية ممارسة الأفراد للنشاط الاقتصادي .	يجعل مصلحة الجماعة هدفا مباشرا ومصلحة الأفراد هدف غير مباشر . الأصل هو تدخل الدولة وانفرادها بالنشاط الاقتصادي .	يجعل مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة كل منهما هدفا مباشرا (لأنها فلسفة وسط لأمة وسط) . وحرية الأفراد في النشاط الاقتصادي وتدخل الدولة يتوازيان .
الأصل الملكية الخاصة وهي مقدسة .	الأصل : الملكية العامة والملكية الخاصة غير مصونة إذ هي في نظره سبب المشكلات .	الأصل الملكية الخاصة والعامة في وقت واحد وكلاهما ليس مطلقاً بل هو مقيد بالصالح العام والملكية الخاصة مصونة وليست مطلقة .
الأساس في التوزيع : الملكية الخاصة يمتلك الفرد ما يشاء .	الأساس في التوزيع هو العمل: والحاجة بمعنى تحقيق الوفرة لتكفي حاجات الناس جميعاً كالهواء والماء وفي هذا الاقتصاد الوهمي تختفي ظاهرة التفاوت في الدخول .	الأساس في التوزيع : الحاجة أولاً (حد الكفاية) ثم بعد ذلك يكون الكل تبعاً لعمله .

(١) دراسات اقتصادية إسلامية، د. رفعت المحجوب، ط. دراسية، عام ١٩٨٥م، ص١٤، ١٥ .

كلمات اقتصادية :

١ ـ من أسباب التمكين أن تهتم الحركات الإسلامية بالجانب الاقتصادي فالقوة الاقتصادية هي عصب الحياة والضعيف فيها يُقهر ولا يُحسب له حساب إلا في ظل شرع الله تعالىٰ .

٢ ـ علىٰ التجار المسلمين (إظهار أخلاق الإسلام في سلوكهم ـ التزود بالخبرات الميدانية لكي يهيمن الاقتصاد الإسلامي ـ أن يستوعبوا علم الاقتصاد الإسلامي ـ أن يسعوا إلىٰ أسلمة المؤسسات الاقتصادية بحيث تنسجم مع الاقتصاد الإسلامي .

٣ ـ يقول الأستاذ الراشد : وعلىٰ خطة الدعوة أن تتوب توبة نصوحاً من إسرافها القديم في تعليم الدعاة كراهة المال وحب الوظائف الحكومية[١] .

٤ ـ أن الهيمنة علىٰ الاقتصاد وتحكيم شرع الله فيه جهاد عظيم وله آثار علىٰ المجتمعات البشرية ، منها : إنقاذ البشرية من مساوئ الأنظمة الوضعية الفاسدة ـ وجود الاقتصاد الإسلامي يؤدي إلىٰ الوحدة السياسية وتحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة ، فلا عزة لأمة يكون سلاحها من صنع غيرها يتصرف فيها كيف يشاء وبشروط ـ ولاسيادة حقيقية لأمة تعتمد علىٰ خبرات أجانب عنها في أخص أمورها وأخطر أسرارها ، ولا استقلال لأمة لا تملك قوتها في أرضها ، ولا تجد الدواء لمرضاها ، ولاتقدر علىٰ النهوض بصناعة ثقيلة إلا بالاستيراد ، ولا أستاذية لأمة لا تستطيع أن تبلغ دعوتها عن طريق الكلمة المسموعة أو المقروءة أو المصورة المرئية إلا بشرائها من أهلها[٢] .

واقول : هيا إلىٰ العمل والاجتهاد حتىٰ تعود للأمة عزتها ، وحتىٰ يتحقق للأمة الاستقلال[٣] والسيادة الحقيقية : ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ (النساء : ١٤٣) .

---

(١) صناعة الحياة، ص ٤٦ .

(٢) فقه النصر والتمكين، د. الصلابي، ص ٣٤٢ ، طبعة دار الإيمان .

(٣) رحم الله شيخنا : الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي قال : «من لم يكن طعامه من فأسه فقراره ليس من رأسه» .

ويتحقق للأمة مكان الأستاذية والشهادة على العالم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

فائدة :

بعد هذا التفصيل . . أذكر تلخيصاً لما ذُكر عن النظام الاقتصادي الإسلامي :

١ ـ اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره.

٢ ـ إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

٣ ـ تحريم موارد الكسب الخبيث.

٤ ـ الكشف عن منابع الثروات الطبيعية والاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد.

٥ ـ تقريب الثقة بين مختلف الطبقات تقريباً يقضي على الثراء الفاحش والفقر المُدقع.

٦ ـ الضمان الاجتماعي لكل مواطن وتأمين حياته والعمل على راحته وإسعاده.

٧ ـ الحث على الإنفاق في وجوه الخير وافتراض التكافل بين المواطنين ووجوب التعاون على البر والتقوى.

٨ ـ تقدير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

٩ ـ تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم والتدقيق في شئون النقد.

١٠ ـ تقرير مسئولية الدولة في حماية هذا النظام.

النظام التعليمي

إن التشريع الإسلامي تشريع فريد في النظام التعليمي لم يطاوله ولن يطاوله تشريع آخر على الإطلاق، وحسبك في ذلك أنه حث على القراءة في أول لفظ نزل فيه ﴿اقرأ﴾، ثم أثنى على العلماء ومكانتهم فقال: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧).

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨)،

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨).

ثم دعا إلى التدبر: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).

ثم نجد السنة تحث على ذلك : ، قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[1].

وقال أيضاً: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، والحوت في جوف البحر لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناس الخير»[2].

يقول د.حسان حتحوت: النهضة التي تُبنى على العلم والتعليم هي الطريق الصحيح؛ لأن التعليم أربح ما تستثمر فيه الدول، وهو مفتاح المغاليق، وحَلاَّل الأزمات، وراسم قسمات المستقبل.

العلم : عماد الحرب، وعدة السلم، وحافظ المال أن يُنهب، والحق أن يُسلب، فما أبصرت بنوده تُرفع وقبابة تُضرب، وأروقته تمتد في عالمنا الإسلامي وعالمنا العربي إلا شاع في النفس الرضا.

---

(١) رواه البخاري، علم ١٠ .

(٢) رواه الترمذي، علم ١٩ برقم ٢٦٨٢ ، وفي إسناده قيس بن كثير الشامي، وثقة ابن حبان.

وهذا الصوفي الذي كان يستعيذ بالله كلما احس بالرضا كان يقصد ان الإغراق في الرضا قد يعمي عن العيوب خاصة أفدح العيوب ، التي قال عنها أبو الطيب:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً   كنقص القادرين على التمـام

الفأر المدخن .. والفأر غير المدخن :

يقول د. حتحوت : كنت في زيارة أخ في أمريكا اضطرته الظروف للهجرة فرأيت ابنه ذا السنوات العشر يشرح كيف قدم واجبه المدرسي ، وكان الواجب فأرين وضع كلا في قفص وكان عليه أن يقوم على رعايتهما في بيته فترة من الزمان مع وضع سيجارة مشتعلة في مخبأ بقفص أحدهما كل يوم عدة مرات ، وفي اليوم الموعود تم تخديرهما وشق صدريهما ، فإذا الرئتان سوداوان في الفأر المدخن ، بيضاوان من غير سوء في الفأر غير المدخن .

الزيارة الثانية : وكان في الثانية عشرة من عمره شارك في مسابقة علمية فاختار موضوع تجلط الدم والذي يصيبه أخذ دماً من بنك الدم وأتى بالكيماويات والعقاقير فما تحدث عن وجه إلا أجرى التجربة التي تثبته أمام الحضور بأسلوب حسرني على طلاب الطب والأطباء في كثير من كلياتنا الطبية .

الزيارة الثالثة : ولهذا لم انزعج في زيارة تالية عندما اتصل به (نادي الكيوي) في مدينة يسأله على استحياء إن كان يقبل أن يحاضر في اليوم التالي عن موضوع الإسلام وسياسة الشرق الأوسط .

التربية والتعليم في مفهوم الإسلام (١) :

يقول أ . محمد قطب : إن كل كلمة في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ هي جزء من منهج التربية الإسلامية ولو كانت توجيهاً سياسياً أو اقتصادياً أو قصة من قصص الأقدمين أو وصفاً لمشهد من مشاهد القيامة كله داخل في منهج التربية الإسلامية .

---

(١) هذا البحث للأستاذ محمد قطب ، كتاب الإسلام كبديل عن الأفكار المستوردة ، طبعة مكتبة السنة ، ص ٦١ وما بعدها طبعة ١٩٩٣ .

إن هذا المنهج يأخذ الإنسان كله جسمه وروحه وعقله ويأخذ ألوان نشاطه كلها ويأخذ دنياه وآخرته ويأخذ عمله الظاهر وخواطره التي يكنها في نفسه، بل ويدخل في النية بها ولو لم يفعل، ومن هنا فهو أشمل منهج عرفته البشرية أو يمكن أن تعرفه في يوم من الأيام.

هدف المناهج البشرية:

كل المناهج البشرية - باعتراف أصحابها - تسعىٰ إلىٰ تكوين المواطن الصالح، وكل منهج من مناهج التربية البشرية الأرضية يكتب في ديباجته أنه يسعىٰ إلىٰ تكوين المواطن الصالح.

هدف المنهج الإسلامي:

يسعىٰ إلىٰ تكوين الإنسان الصالح، وهناك فرق مبدئي، ورئيسي، وواسع جداً بين المواطن الصالح وبين الإنسان الصالح.

الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن في هذا البلد أو ذاك.

إن الإنسان الصالح حتماً مواطن صالح لأن الذي يستطيع الأكثر يستطيع الأقل.

- **الأمريكي** الذي يقتل الزنوج في الشارع ورجل الشرطة الأبيض يتفرج ويسجل الواقعة ضد مجهول هو مواطن صالح في نظر المنهج الأمريكي والذي يبيح لهم كذلك أن يكتبوا علىٰ محلاتهم ممنوع دخول السود والكلاب.. إن منهجهم التربوي يبيح لهم هذا ويعتبرهم بذلك مواطنين صالحين.
- **البريطاني** الذي يسفك الدماء ويمتص الخيرات ويسلب الأرض لصالح الإمبراطورية البريطانية في نظر المنهج البريطاني مواطن صالح.
- **الروسي** الذي يتجسس علىٰ أبيه وأمه وأخيه وأخته وابنته وابنه وزوجته وكل من يحيط به لصالح الوطن الأعلىٰ في زعمهم مواطن صالح.
- **المسلم المواطن الصالح** هو ذاته الذي رُبي علىٰ احترام الإنسان من حيث هو

إنسان واحترام الحق من حيث هو حق، بصرف النظر عن كون صاحبه ضعيفاً أو قوياً، وليس الالتزام بالأخلاق لأنها تجلب مصلحة في الأرض. ولكنه التزام رباني لأنه ميثاق بين الإنسان وبين الله: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ (المائدة: ٧).

هذا هو الميثاق الأخلاقي الإسلامي، ميثاق بين الإنسان وربه لا يعتمد على المصلحة، إنه يُطبق في جميع الأحوال، في حال المصلحة وعدمها.

أمثلة من المناهج البشرية:

المثال الأول: يقول أ. محمد قطب: صورة رأيتها هي وثيقة، صورة في كتاب ـ والصورة لا تكذب ـ صورة لفارس بريطاني أيام الاحتلال البريطاني في الهند ـ (فارس) أي راكب حصان ـ يستبيح لنفسه أن يطأ فوق ظهر الهندي الراكع أمامه ليعلو حصانه!

يعني بدلاً من أن يستعمل الركاب في الوثوب إلى حصانه يستعمل ظهر الهندي! ويستبيح لنفسه ذلك ببساطة ولا يرى جُرماً، وإنما بكل صلف وكبرياء وبكل إذلال لآدمية هذا الآدمي يعلو ظهره ليركب حصانه، ويرى في ذلك خدمة للإمبراطورية!.

المثال الثاني: وقد هزني أكثر من الأول، في أثناء الحرب العالمية الثانية كانت هناك معارك كر وفر في الصحراء الكبرى بين الجيش الألماني وجيوش الحلفاء، فقد ظلت تكر مدى سنوات طويلة، حتى المعركة الحاسمة في العلمين.

وفي مرة من المرات ـ لعلها في سنة ١٩٤٣م ـ أخلى الألمان طبرق وهم منسحبون، وكانوا يعلمون طبعاً أن الحلفاء سيحتلون طبرق، فلغموا الأرض، وهذه بديهة من بديهيات الحرب أن كل جيش مُنسحب يلغم الأرض لكي يحدث أكبر قدر من الخسائر في الجيش الذي يتبعه، ويستولي على الأرض بعده.

وكانت العادة أن تستخدم الحمير والجمال لتفجير الألغام: يثيرونها ويطلقونها في الأرض، فتفجر الألغام وتموت، وليس في ذلك شيء.

أما في تلك المعركة - ولأمر لا أعلمه حتى اللحظة! - فقد شاء الإنكليز أن يفجروا الألغام بواسطة الهنود، فأطلقوا الفيلق الهندي، ووراءه المدافع الرشاشة ليفجر الألغام وتفجرت الألغام بالفعل في أجسام هؤلاء الهنود! وهم بشر مثلهم، وأعضاء مثلهم في الكومنولث البريطاني.

وصدرت النشرة الحربية وبنفس البساطة التي كان الإنكليزي يعتلي بها ظهر الهندي ليركب حصانه - بنفس البساطة - صدرت النشرة «استولينا على طبرق، خسرنا بعض الخسائر، فني الفيلق الهندي عن آخره».

هذا لون من ألوان التربية في المناهج البشرية.

أمثلة عملية من المنهج الإسلامي لتبرز مزايا هذا النظام الرباني:

أبو عبيدة في حرب الشام: كان قد فتح شمال الشام، وأخذ الجزية من أهلها، ثم سمع أن هرقل يجهز له جيشاً عظيماً، فرد الجزية إلى أهلها وقال لهم: أخذنا منكم الجزية بشرط أن نحميكم، وقد سمعتم ما يجهز لنا، وإنا لا نقدر على ذلك - أي لا نقدر على حمايتكم - ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم.

فبعد أن دخل المال حوزة أبي عبيدة يرده على أصحابه؛ لأنه لم يستطع أن يوفي بالشرط الذي اشترط على نفسه.

فلما انتصر عاد فأخذ الجزية، أعطاها له الناس متطوعين، وقالوا له وللمسلمين: إنكم - ولستم على ديننا - أحن علينا وأرأف بنا من قومنا، وكان من نتيجة ذلك أن حصون الشام الباقية كلها سُلمت للمسلمين؛ لأنهم رأوا النموذج الإسلامي.

وعمر رضي الله عنه يقول لقائده في حرب الفرس: إذا لاعب أحدكم - بمعنى لاغى - أحد الفرس فظن أنه يعطيه عهد أمان فأنفذه.

معنى هذا حين نُفصله: جندي مسلم يتكلم فيظن أحد الفرس وهو لا يعرف العربية أن الجندي المسلم يعطيه عهد أمان.

وعمر يأمر القائد أن ينفذ هذا العهد ـ.

هذا العهد الذي لم يعط في الحقيقة! فالجندي المسلم لم يعط عهداً، ومع ذلك فلأن الجندي الفارسي ظن أنه يعطيه عهد أمان فعلى القائد المسلم أن ينفذ هذا العهد! نموذج لم يوجد ولا يمكن أن يوجد في غير الإسلام!

وعلي كرم الله وجهه، تضيع منه درعه، فيتفقدها فيجدها عند يهودي فيقول له: هذه درعي، فينفي اليهودي أنها درع علي كرم الله وجهه، فيأخذه إلى قاضيه (شريح) ويعرض عليه القضية، حتى إذا وقف الخصمان بين يدي القاضي شريح يقول علي كرم الله وجهه: الدرع درعي ولم أبع ولم أهب - يعني لا أنا بعتها ولا أنا وهبتها! - فيلتفت القاضي إلى اليهودي يقول: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

فيقول اليهودي: الدرع درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

قولة ملتوية كما ترون.

فيلتفت إلى أمير المؤمنين، يقول: يا أمير المؤمنين هل من بينة، هل لك بينة على أن هذه درعك؟

فيقول علي أمير المؤمنين: صدق شريح! ما لي بينة.

فيقضي القاضي بالدرع لليهودي وهو يعلم في دخيلة نفسه أن أمير المؤمنين لا يمكن أن يكذب، ويعلم يقيناً أن الدرع درع أمير المؤمنين، لكن القاضي لا يحكم بعلمه، لابد من بينة، فهو يطبق الشريعة بحذافيرها، فيسأل أمير المؤمنين: هل لك من بينة؟ فلما وجد أنه ليس عنده بينة قضى بالدرع لليهودي فمشى اليهودي خطوات ثم يعود فيقول: أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه؟

إن هذه أخلاق أنبياء، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فيقول علي كرم الله وجهه: أما إذا أسلمت فهي لك(١).

ثم يقول الأستاذ محمد قطب: هذه النماذج قد اخترتها بالذات لمعنى معين: ففي الحالات الثلاثة هناك تعامل بين مسلمين وغير مسلمين:

---

(١) ابن عساكر في تاريخه (ترجمة علي بن أبي طالب، جـ٣، ص ٢٤٤، ٢٤٦).

في الأولى: أبو عبيدة مع مسيحي أهل الشام.

في الثانية: عمر رضي الله عنه يتعامل مع المجوس (الفُرس).

في الثالثة: علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه يتعامل مع اليهودي.

اتضح الآن الفرق بين تكوين المواطن الصالح وتكوين الإنسان الصالح.

وإذا كان هذا تعامل المسلمين مع غير المسلمين فمن، باب أولى أن يكون تعامل المسلمين مع بعضهم وبعض سائراً على ذات الدستور الرباني.

أقول: ولذا كان تعريف التربية في المنهج الإسلامي: هو نقل الإنسان من حالة إلى حالة تُقربه من الله تعالى.

حكم طلب العلم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١).

ما هو العلم المفروض:

نتيجة للفهم الخاطئ عند بعض المسلمين انتشر في الآونة الأخيرة وخاصة بين طالبات الجامعة اتجاه يدعو إلى ترك المواد الدراسية والاهتمام بالكتب الإسلامية مُرددين: «علينا أن نتعلم العلم الشرعي فقط» أما العلوم الأخرى (هندسة ـ طب . .) فليس واجباً علينا تعلمها.

---

(١) رواه ابن ماجة مقدمة ١٧ رقم ٢٥، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان، وقال السيوطي: سئل الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي سنداً وإن كان صحيحاً أي معنى، وقال تلميذه جمال الدين المزي: هذا الحديث رُوي من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال: فإني رأيت له خمسين طريقاً وقد جمعتها في جزء. انتهى كلام الإمام السيوطي وفي رواية ابن ماجة: «وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب».

ولكن الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ يُصوب هذا الفهم فيقول: « والعلم الذي يُقبل المسلم عليه ويستفتح أبوابه بقوة ويرحل لطلبه من أقصىٰ المشارق والمغارب ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية، فكل ما يوسع منادح النظر، ويزيح السدود أمام العقل النهم، إلىٰ المزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود، ويفتح له آماداً أبعد من الكشف والإدراك، وكل ما ينتج له السعادة في العالم، والتحكم في قواه، والإفادة من ذخائره المكنونة، ذلك كله علم ينبغي التطلع فيه ويجب علىٰ المسلم أن يأخذ بسهم منه.

وسياق الأحاديث التي ذُكرت توجه إلىٰ أي علم يُطلب: تعلم الخير ـ الحكمة ـ ما يقي من الضرر ـ ما يقرب من النفع، لكن من الخطأ أن تظن العلم المحمود هو دراسة الفقه والتفسير وما شابه ذلك من الفنون فحسب، وأما ما وراءها يؤديها من يشاء تطوعاً أو يتركها وليس عليه حرج.

هذا خطأ كبير.. فإن علوم الكون والحياة ونتائج البحث المتواصل في ملكوت السماء والأرض لا تقل خطراً عن علوم الدين المحضة، بل قد يرتبط بها من النتائج ما يجعل معرفتها أولىٰ بالتقديم من الاستبحار في علوم الشريعة»[1].

وإذا كان المسلمون مأمورين بطلب العلم ولو في الصين[2]، فمن المعلوم أن الصين لا شأن لها بعلوم الدين، إن الإسلام حث علىٰ الاهتمام بتخريج المعلمين الذين يُعلمون الناس، بل وأمر الأمة أن تتعلم منهم وتتلقىٰ عنهم ما فهموه من دينهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ (التوبة: ١٢٢).

---

(١) حقوق الإنسان، للشيخ محمد الغزالي، ص ١٤٨ .

(٢) في المقاصد الحسنة للسخاوي، حديث رقم ١٢٥ : «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم». وذكر تخريجاً عن أنس مرفوعاً عند البيهقي في الشُعب والخطيب في الرحلة، وغيره، وقالوا عن الجملة الأولىٰ في الحديث: «اطلبوا العلم ولو بالصين» ضعيف، وهذا الحديث إشارة علىٰ أن المقصود لم يكن العلوم الشرعية وحدها، فهذه لم تكن الصين مصدرها.

ثم يصحح الشيخ الغزالي - رحمه الله - هذا الفهم عند بعض علماء الأمة فيقول:

«إن قصر باعهم في علوم الحياة هو أبشع جريمة يمكن أن تُرتكب ضد الإسلام . . . وهذا القصور إن أمسوا به في هذه الدنيا متخلفين فهم عند الله ورسوله أشد تخلفاً وأسوأ عقبىٰ .

إن الانحطاط الفكري في البلاد المحسوبة علىٰ الإسلام يثير اللوعة . .

وإن اليقظة الفكرية في الأقطار الأخرىٰ تثير الدهشة .

ولا يحملنا علىٰ العزاء إلا إن هذه اليقظة صدىٰ الفطرة التي جاء بها الإسلام يُعلىٰ شأننا أما تخلف المسلمين فسببه الأول تنكرهم لهذه الفطرة السليمة وتخاذلهم عن السير معها».

واقول: إن جميع العلوم التي علمها الله تعالىٰ لآدم علوم شرعية بدليل قول الله تعالىٰ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، «علمه أسماء كل شيء»(١)، فعلوم الفلك والطب والهندسة والجغرافيا وعلم النفس فكلها علوم شرعية وإذا أردنا الحديث عن علوم الإسلام فنقول علوم شريعية أي ما يختص بعلوم الشريعة فكل علوم الدنيا علوم شرعية وفي بعض الأوقات تتعين هذه العلوم (أي تصبح فرض عين)، ولقد ذكرنا في فقه الأولويات : إذا كان هناك خمسون فقيهاً في قرية ولا يوجد بها إلا طبيب واحد من أهل الذمة فيكون الفرض الآن هو تعلم الطب .

---

(١) يقول ابن كثير : علَّمه أسماء جميع المخلوقات، لتفسير هذه الآية راجع مختصر بن كثير، ص ٥١، / ٥٢ .

محاور النظام التعليمي

المحور الأول: المُعلم:

برقيات إلى المعلمين والمعلمات :

من أنتم أيها المعلمون ؟

١ ـ أنتم المرفوعون عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (المجادلة: ١١).

٢ ـ **أنتم المندوبون عن الأمة** : يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ (التوبة: ١٢٢).

٣ ـ **أنتم الوارثون** لقول رسول الله ﷺ : «**العلماء ورثة الأنبياء**» [١].

٤ ـ **أنتم المأجورون** لقول رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٢].

٥ ـ **أنتم المحسودون** : أي حسد غبطة لقول رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[٣].

٦ ـ **أنتم الموروثون** : كما كنتم الوارثون لقول رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**»[٤].

---

(١) رواه البخاري، علم ١٠ .

(٢) أخرجه مسلم ، إمارة ١٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري ـ علم ١٥ ـ زكاة ٥ .

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه (سبق تخريجه).

٧ ـ **انتم الأولون** : فكل أحد ليست له بداية إلا بالتعليم يقول الله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ (محمد: ١٩). دلالة على أن العلم هو الطريق إلى الإيمان.. وعقد البخاري فصل في كتاب العلم من صحيحه قال : «باب العلم قبل القول والعمل»، وانظروا إلى الوزراء والمديرين والأطباء والمهندسين والفقهاء.. من الذي علمهم بدايات القراءة والكتابة وباقي العلوم.

٨ ـ **انتم المجاهدون** ، يقول الخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه والمتفقه): إن الجهاد حماية لبيضة الإسلام بالدفاع عن المسلمين وإن التعليم حماية للمسلمين بالحفاظ على الدين. والعلم نوع من الجهاد في سبيل الله يقول بن القيم : إنما جُعل طلب العلم من سبيل الله، وذكر نوعين من الجهاد باليد والسنان، وجهاد بالحجة والبيان وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)** ﴾ (الفرقان).

٩ ـ **انتم المدافعون عن قيم الأمة ، وحُماة أخلاقها وحضارتها**، فالمعلم يجاهد الجهلة بالتعليم ويجاهد الحماقة بالتقويم ويجاهد الشطط بالاعتدال ويجاهد الخمول والكسل بالتوجيه إلى الجد والعمل.

١٠ ـ **انتم المصلحون لما يفسده الآخرون** ، فقد يفسد الطالب أهله وهو المطالب بإصلاح الجميع.

ولذلك عليك أخي المعلم أختى المعلمة :

١ ـ استشعار المسئولية .

٢ ـ الأمانة العلمية .

٤ ـ الصبر .

٤ ـ التواضع ، ولين الجانب .

٥ ـ القدوة .

٦ ـ التجديد والابتكار .

وختاماً لهذه البرقية نُذَكِّر بهذه الفوائد:

عند الحساب يقول الله تعالى: ﴿ **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ (الإسراء: ١٥).

إلا المُعَلِّم يقول الله تعالى: ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾ (النحل: ٢٥).

لماذا؟ لأن الله تعالى في خلق أي شيء كان يقول له: «**كن**» فيكون، إلا الإنسان فقد كرَّمه الله تعالى وخلقه بيديه، وأنت أيها المُعَلِّم تتعامل مع هذا الخلق المُكَرَّم من الله تعالى.

ولذلك وضع الله منهجاً للتعامل معه، قال الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

واستعمل التحفيز فقال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ (يوسف: ٦٥).. ثم بعد ذلك تكون الصرامة والحزم.

برقيات إلى الطلاب [١]:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه**»[٢].

---

(١) ذكرتُ هذه التوصيات للطلاب في داخل محور المُعَلِّم ولم أذكرها في محور المُتَعَلِّم للآتي:

أ ـ بيان فضل المُعَلِّم على المُتَعَلِّم في الإسلام.

ب ـ يستشعر الطالب مكانة المُعَلِّم في الشريعة، وفضل احترامه وإجلاله.

جـ ـ تذكر الطالب بالواجبات قبل الحديث عن الناحية الأكاديمية للتفوق.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وفي الترغيب رقم ١٧٢، مجمع الزوائد: ١/ ٧٥، وفيه عباد ابن كثير، وهو متروك الحديث.

٣ ـ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثٌ لا يَستخف بهم إلا منافق: ذو الشيب في الإسلام، وذو العلم، وإمامٌ مقسط**»(١) .

٤ ـ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد (عند الدفن)، ثم يقول: « **أيهما أكثر حفظاً للقرآن**» (٢) فإذا أُشير إلى أحدهما قدَّمه في اللحد.

نستخلص من ذلك تلك الوصايا :

١ ـ التواضع للمُعَلِّم :

ـ كما يتواضع المريض مع الطبيب، ويعلم أن ذُله لمعلمه عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة.

ـ كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب معلمه ويقول: «هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا».

ـ ويقول الغزالي : «لا يُنال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع».

٢ ـ إجلال المعلم واحترامه :

ـ يقول **الشافعي** : «كنتُ أصفح الورقة (يعني يقلبها) بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها».

ـ وقال الربيع : «والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً منه».

٣ ـ إعطاء المعلم حقه، وعدم نسيان فضله :

يقول أحمد شوقي ـ رحمه الله :

قُم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

كما ينبغي أن ندعو للمعلم ونرعى ذريته بعد موته، وزيارة قبره، والاستغفار له، والصدقة عليه إن أمكن.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وفي الترغيب رقم ١٧٤ ، ومجمع الزوائد: ١/ ٧٤ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، وفي الترغيب رقم ١٦٤ .

٤ ـ الأدب مع المُعَلِّم :

ـ الجلوس بين يديه بسكون وتواضع واحترام ينظر إليه مقبلاً عليه لا يلتفت عنه إلا لعذر ـ الوقار ـ عدم العبث بالأشياء ـ عدم رفع الصوت ـ عدم الضحك ـ عدم النفخ ـ عدم البصاق ـ ستر الفم عند التثاؤب .

ـ **يقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه** : « من حق المعلم عليك أن تُسلم على القوم عامة، وتسلم عليه خاصة وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيدك، ولا تغمز بعينيك وغيره، ولاتقولن: قال فلان خلافاً من قوله، ولا تغتابن به عنده أحد، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره لله تعالى، إن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، ولاتسارر أحداً في مجلسه، ولا تأخذن بثوبه، ولا تلح عليه إذا كَلَّ، ولاتشبع من طول صحبته، فإنه كالنحلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .

٦ ـ عليك عدم الدخول على المُعَلِّم إلا بإذنه :

ـ ليكن طرق الباب برفق ، وتدخل كامل الهيئة ، طاهر البدن، لطيف الثياب، فارغ القلب من الشواغل، لتعي ما يقول .

ـ يُروى عن ابن عباس أنه كان يجلس في طلب العلم على باب ثابت حتى يستيقظ ، فيقال له : «ألا نوقظه لك»، فيقول : «لا ، ربما طال مقامه وقرعته الشمس» .

٧ ـ الإصغاء إلى المُعَلِّم حتى وإن علم ما يقول :

ـ يقول عطاء : « إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا على علم به منه فأريه من نفسي أني لا أُحسن منه شيئاً» .

ـ وقال : «إن الشباب ليتحدث الحديث فأسمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يُولد» .

المُعلِّم :

ولعل من المؤشرات التي تقيس اهتمام الدولة بالتعليم اهتمامها بالمعلم .

دور المعلم في المجتمع :

تقدير الدولة للمعلم صورة مرآتية لتقديرها لذاتها.

أليس المعلم هو الذي يصوغ ناشئتها فهو يصنع لها رجالها وقادة غدها.

أليس هو فلاح شجرتها التي تُرتجىٰ علىٰ يديه ألا تكون خبيثة تجتث من فوق الأرض بل طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أليس هو القالب الذي يجتازه فتية اليوم ليكونوا أصحاب الغد؟

إن عز ذلك علىٰ الدولة فقد عز الأجر وعز الأجير.

وإن هان فهوان نفس علىٰ ذاتها ومن يهن يسهل الهوان عليه

ما هو حق المعلم؟

١ ـ وأظلم المعلم أن قَصَرْتُ إنصافه علىٰ الدراهم والدنانير فحسب، فهي واحدة ولكنها ليست الكبرىٰ بل الركاز هو السياج المتين من الرعاية والتوقير وعرفان الكريم لقدر الكريم..

٢ ـ الاحترام الموفور الذي يؤديه الكبير قبل الصغير والوالد قبل الطالب والمجتمع قبل الأفراد.

٣ ـ إن توقير المعلم تراث إسلامي وأثاث حضاري.. وإني لأرجو ألا يكون صحيحاً ما تناقله الأنباء بين آن وآن من أن تلميذاً في بلد كذا تطاول علىٰ أستاذه[1].. أو أن السلطات انحازت إلىٰ التلميذ لأن المعلم لم يكن ابن البلد أو كان من بلد فقير.

٤ ـ وفي تراثنا قصة عمر، وعُمر وابن عمر ابن الأكرمين.. احترام المعلم قيمة ينبغي أن تصان لذاتها ولذات الوطن.

---

(١) بل إن الواقع المر الآن أن التلميذ يضرب أستاذه ويسيء إليه، بل ويذهب إلىٰ أقسام الشرطة حيث المجرمين وقطاع الطريق ومتعاطي المخدرات.. الواقع يقول: كلما انحدرت مكانة المعلم في مجتمع فالمجتمع ليس في طريق الانحدار بل في طريقه إلىٰ الزوال والفناء حسياً ومعنوياً أو كليهما.

٥ ـ والتمرد على المعلم بداية التمرد على الأب ثم على النظام العام .

٦ ـ احترام المعلم مرضاة لنفس الطالب الأصيل والوالد الأصيل والمجتمع الأصيل .

٧ ـ والأصالة قيمة فهي أرفع منالاً من المال والجاه والسلطان وأبخس الناس شأناً من رضي أن يُقال له كم أنت بدلاً ممن أنت ، وشتان في الدنيا وفي الآخرة بين ناس لهم قيم وناس لهم أسعار .

المحور الثاني: « المُتَعَلِّم » الطالب العزيز :

رسالتي إليك للتفوق.. وطريق التفوق من الذي يُعَبِّدُهُ ؟

الأب والأم . . أم أنت أيها الطالب المبارك ؟

أولاً الآباء [1] :

ـ كم من الآباء يهتم ويسارع إلى العلاج إذا لاحظ في أولاده ضعف العقيدة ، وسوء السلوك ؟

ـ كم من الآباء يبذل جهداً من وقته لتعليم بنيه ويغرس فيهم القيم الفاضلة ويرشد المسيء المقصر ويزجر المتعمد للإساءة؟

ـ كم من الأسر تصاب بالذعر عندما ترى الأبناء لا يحرصون على طاعة الله ولا يصبرون على تحصيل العلم النافع ولا يحترمون أوقاتهم؟

ـ كم من الآباء جلس مع أولاده يعلمهم أصول المذاكرة الصحيحة وأصول احترام الدروس والإنصات له والانتفاع بعلمه؟

ـ كم من الآباء جلس مع أبنائه يبين لهم قيمة الوقت وأهمية وضرورة الانتفاع بكل ساعة تمر في عمل نافع مفيد يعود عليه وعلى أمته بالخير؟

ـ كم من الآباء استعرض أمام أولاده تاريخ العظماء والمفكرين وبين أن السبب في تفوقهم وعظمتهم كان الجد والكفاح والمثابرة والصبر في طلب العلم وسهر الليالي والسلوك الصحيح في الحياة؟

---

(١) الشيخ محمد عبد الله الخطيب تقديم كتاب للتفوق طريق ، د. خالد جمال .

ثانياً : دورك أيها الطالب المبارك في التفوق ينحصر في هذه المراحل :

المرحلة الأولى : قبل المذاكرة . . التدريب على فن المذاكرة . .

١ ـ استعن بالله تعالى دائماً . . واقرأ ما تيسر من القرآن الكريم . . وعليك بالأذكار كل يوم ففيها : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل» .

٢ ـ حافظ على إرضاء الوالدين وقبّل أيديهم وانظر إليهما نظرة ود وإجلال تحظ بدعائهما .

٣ ـ ضع أمامك هدفاً معيناً واسع دائماً لتحقيقه .

٤ ـ اختر أفضل الأوقات للمذاكرة ومنها بعد صلاة الفجر إلى الثامنة ـ بعد العصر إلى المغرب ـ بعد العشاء إلى النوم .

٥ ـ كن قدوة في أخلاقك يُشار إليك بالبنان من أصحابك وجيرانك ومدرسيك .

٦ ـ ابحث عن محاسن الأخلاق وتحلّ بها فإن أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق .

٧ ـ لا تذاكر وتتفوق لتنال مغانم الدنيا ولكن ذاكر وتفوق لله للحديث : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله عليه أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة(١) .

٨ ـ احرص على الترفيه والراحة لقول الرسول : «**روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت**»(٢) .

٩ ـ وإليك إرشاداً لطريقة حل بعض المشكلات التي تعوق التفوق(٣) :

---

(١) رواه ابن ماجة ، زهد ٢ ، والترمذي قيامة ٣٠ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) الديلمي والزهري عن أنس ، ويشهد له ما في صحيح مسلم وفي المقاصد رقم ٥٣٠ .

(٣) طريقك إلى التفوق .

نوع المشكلة	سببها	طريقة التخلص منها
المشاكل الاجتماعية	الخلافات المستمرة بين الوالدين أو مع الأقارب.	محاولة الابتعاد عنها وعدم تذكرها وخاصة وقت المذاكرة
المشاكل الاقتصادية	عدم قدرة الأم والأب على إعطائي المزيد من المال لأغطي احتياجاتي من الدروس والملبس اللائق إلى غير ذلك.	القناعة بما في اليد والاعتماد على النفس وهذا ما يجعل منك رجلاً قادراً على تحمل الأزمات وتذكر أن كثيراً من العظماء كانوا يستذكرون على لمبة من الكيروسين
المشاكل النفسية	قد يكون من التأخر في المذاكرة أو النظر لما في يد الآخرين مع عدم القدرة على الحصول عليها	محاولة المذاكرة أولاً بأول وعدم النظر للغير **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾** (الزخرف: ٣٢).
المشاكل البدنية	الشعور بالإرهاق الجسماني وضيق في التنفس والصداع المستمر مع أقل مجهود.	المحافظة على ١٥ دقيقة يومياً تمارين رياضية ولعب الكرة مرة كل أسبوع على الأقل.
المشاكل العاطفية	الشعور والميل للجنس الآخر والمبادرة إلى التعامل والحديث معهم والانشغال بهم.	قطع كل الصلات بالجنس الآخر والمحافظة على غض البصر فإن النظرة سهم من سهام الشيطان.
المشاكل الذهنية	الشعور بالإرهاق وعدم القدرة على التركيز والحفظ وأن الذهن مشتت.	اختيار أفضل الأوقات للمذاكرة والنوم أثناء الليل
المشاكل الدينية	عدم الانتظام في أوقات الصلاة وقراءة القرآن وعدم قراءة أذكار الصباح والمساء	الصلاة عند الأذان في أقرب مسجد وقراءة القرآن قبل المذاكرة والمحافظة على أذكار الصباح والمساء

المرحلة الثانية : أثناء المذاكرة :

- **عليك بالدعاء** : « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلاً » .

- **عليك بصلاة الحاجة أولاً** عن عبد الله بن أوفى قال : خرج علينا رسول الله فقال : من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم يصلي ركعتين ثم يثني على الله تعالى وليصل على النبي ﷺ وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يُقدر .

التهيئة المكانية :

١ ـ الهدوء وعدم الضوضاء .

٢ ـ تجنب تعليق الصور لأشخاص أو حيوانات لمنع التشتت .

٣ ـ الغرفة متجددة الهواء .

٤ ـ الإضاءة غير مباشرة على العين ، وإذا كان هناك أباجورة تضاء الغرفة بضوء خفيف .

٥ ـ المكتب والكرسي لا يكون مريحاً جداً يدعوا للنوم ولا متعباً يدعو ا للقلق .

٦ ـ مفارش المكتب تكون سادة بدون نقش .

٧ ـ وضع المكتب في مواجهة الحائط ولا يكون بجوار شباك حتى لا يقل التركيز .

٨ ـ لا تضع على المكتب إلا المادة التي ستذاكرها فقط ومعها الأدوات اللازمة لها .

٩ ـ اهتم بالجلسة الصحيحة بحيث يكون الظهر مستقيماً .

١٠ ـ الكتاب يبعد عن العين مسافة لا تقل عن ٣٠ سم .

١١ ـ اجعل لكل مادة مكاناً مخصصاً لها ولو دوسيه من الورق تجمع فيه كل ما يخص هذه المادة ولو قصاصات ورق صغيرة .

١٢ ـ يفضل أن يكون لك مكان ثابت محدد تذاكر فيه تغيره مرة عند الملل .

١٣ ـ اجتهد أن تجلس في اتجاه القبلة للبركة .

التهيئة النفسية :

١ ـ الاهتمام بنظافة جسمك وملابسك والاستحمام بصفة دورية ـ قص الأظافر ـ تمشيط الشعر ـ العناية بالأسنان ـ ممارسة رياضة بدنية ولو في البيت ـ أعط لجسمك حقه من الراحة ، واعلم أنه من لا يجيد فن الراحة لا يجيد فن المذاكرة والعمل .

٢ ـ تجنب المهدئات والأقراص المنومة والمهدئة تماماً وعليك بالكشف الدوري ـ أكثر من شرب الماء والسوائل والعصائر الطازجة ولا تفرط في الشاي والقهوة .

٣ ـ اتبع نظاماً غذائياً سليماً وأكثر من الأطعمة التي تنشط الذاكرة وتساعد على التركيز وتقوي الذكاء وخاصة فيتامين ب المركب وهو موجود في الفواكه والخضروات الطازجة ، والمنتجات الحيوانية والألبان والبقوليات وعليلك بعسل النحل ففيه كثير من المعادن اللازمة مثل الحديد والماغنسيوم والفوسفور والكالسيوم واليود والنحاس وفي الصباح تناوله مخففاً بالماء لفعل النبي ﷺ ذلك وعليك بالحبة السوداء لأن فيها حديداً وفسفوراً وهما منشطان للعقل والذاكرة .

٤ ـ حاول أن تنسى أي موضوع أو مشكلة (عائلية ، مادية ، دراسية) .

٥ ـ في تنظيم الوقت : نظم جدولاً لنفسك ـ ابدأ بالمادة التي تحبها ثم المواد الأكثر صعوبة ـ لا تجعل المواد الصعبة خلف بعضها وكذلك لا تجعل المواد النظرية خلف بعضها ، بل افصل بينهما بمواد علمية ـ اجعل فترة المذاكرة للمادة الواحدة متصلة ـ واجعل فترات الراحة بين المواد وليس أثناء المادة الواحدة ـ اجعل أوقات الصلاة فاصلاً بين فترات المذاكرة . . وفي مذاكرتك اليومية اجعل جزءاً من مادة تحتاج إلى حفظ لغة عربية مثلاً وجزء من مادة تحتاج إلى فهم (فيزياء مثلاً) وجزءاً من مادة تحتاج إلى حل رياضيات .

٦ ـ حدد لنفسك ساعات للمذاكرة ، واجعل لنفسك جائزة إذا التزمت بها ، واطلبها من والديك .

٧ـ ضع لنفسك محفزات ورقة على باب الغرفة : **(كن الأول على مستوى الجمهورية).. (اجتهد فالآخرون يجتهدون).. (الأمة الإسلامية تنتظرك).. (العلماء ورثة الأنبياء)**[١]. (١٠ ساعات مذاكرة يومياً ـ ٨ ساعات نوم ـ ٢ ساعة طعام وشراب ـ ٣ ساعات وضوء وصلاة وأذكار وقرآن ـ ساعة ترفيه واستجمام).

المرحلة الثالثة : بعد المذاكرة :

١ ـ عليك بالدعاء بعد المذاكرة : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . اللهم هذا وديعة عندك فرده إليّ حين حاجتي إليه ـ اللهم إني استودعك ما قرأت وما حفظت فرده إلى حين حاجتي إليه . .

٢ ـ تعلم كيف تحتفظ بالذاكرة بشكل جيد ـ كيف تراجع المصطلحات الكثيرة ـ متى تحفظ .

٣ ـ تذكر يوم النتيجة : من صور هذا اليوم ـ صديقك الذي كان يدعي أنه لا يذاكر أصبح في هذا اليوم فرحاً لأنه من المتفوقين .

ـ وهذا صديقك الذي كان يؤكد لك أنه سيكون من الأوائل تجده من الراسبين .

ـ وهذا يجري فرحاً منتشياً بالنجاح ـ وهذا يبكي حزناً للرسوب . . وهذا المستهتر الذي لا يصلي ينجح وهؤلاء جيرانك وأصدقاؤك وأهلك يسألون ماذا فعل فلان؟ كم من الدرجات قد حصل؟ فإما أن تكون من الفرحين المسرورين، وإما . . . ونسأل الله لك الأولى لا الثانية .

المرحلة الرابعة : يوم الامتحان :

نم مبكراً استيقظ مبكراً ـ أمسك بكتاب المادة واستعرض الأفكار الرئيسية.

---

(١) من هذه المحفزات : قراءة سيَر العلماء والتأسي بهم، وفي المنهج الإسلامي نماذج فذة، فعن خارجة بن زيد بن ثابت، أن أباه زيداً قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة ذُهِبَ بي إلى النبي فأُعجب بي، فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأَعجب ذلك النبي ﷺ وقال : «يا زيد تعلّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي»، قال زيد : «فتعلّمتُ كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنتُ أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب» (رواه البخاري، أحكام ٤٠).

مهارات الامتحان :

- الاسترخاء النفسي قبل الامتحان بنصف ساعة هادئ - مسترخي في حديقة في جو هادئ - شرب مشروب ساخن - الدعاء عند الخروج من المنزل : « **بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أضل، أو أذل أو أُذل، أو أجهل أو يُجهل عليَّ ، أو أظلم أو أُظلم**»[١] .
- مهارة دخول اللجنة : مستقر ، هادئ ، ترتيب الأدوات على اليسار ، الورقة على اليمنى ، الساعة أمامه ، تسطير ورقة الإجابة ، ثم ينظر إلى ورقة الأسئلة .
- يسمي الله ثم يقرأ الورقة كلها ، وخاصة رأس الموضوع ، تحديد الأسئلة .
- عمل مسودة في نهاية كراسة الإجابة ويكتب عليها مسودة ويسجل فيها كل المصطلحات والمعاني والروؤس ، يكتب إجابة السؤال الأول .
- تقسيم الوقت على الأسئلة كل سؤال له وقت ويتركه حين ينتهي وقته ولو لم يتمه .
- اترك ربع ساعة في النهاية للمراجعة ولا تخرج قبل نهاية الوقت .
- بعد الخروج من اللجنة ذاكر المادة التي بعدها .

توجيهات عملية :

١ - إياك أن تعتقد أو تظن أن المذاكرة والاجتهاد هما يصنعان النجاح هذه أسباب والله هو الرازق والنجاح رزق .

٢ - إياك والحقد والحسد والغيبة والنميمة لزملائك .

٣ - أحب لزملائك ما تحب لنفسك ولا تتكبر عليهم .

٤ - إياك أن تستهزئ بمعلميك للحديث : «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا**»[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجة ، دعاء ١٨ ، أبو داود ، أدب ١٠٣ .

(٢) رواه الترمذي ، بر ١٥ ، وأبو داود ، وفي الترغيب رقم ١٧١ ، وأحمد ١/ ٢٥٧ ، وقال الترمذي : حديث غريب .

٥ ـ إياك أن تُكثر من الطعام والشراب والنوم فمن أكل كثيراً شرب كثيراً نام كثيراً، وإذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وما ملأ أبن آدم وعاء شراً من بطنه .

٦ ـ إياك والذنوب : كان **الإمام الشافعي** يضع عينه على الصفحة فيحفظها وذات يوم كرر الحفظ مرات فعجز . . فذهب إلى أستاذه وكيع . .

ويصور ذلك الشافعي قائلاً :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبـرنـي بإن العلـم نـــور ونورُ اللـه لا يُهدىٰ لعاصي

وكانت المعصية أنه كان يسير فحرك الهواء ثياب امرأة فرأىٰ أسفل قدمها (مايسمىٰ عند العامة الكعب) وصدق الله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

٧ ـ إياك وعدم النظام . فالغبي المنظم أفضل من العبقري غير المنظم ـ ونحن قد نظمنا لك كل شيء فخذ به وفقك الله .

اقتراح : بعمل دورات تعليمية للطلاب في فن المذاكرة والدراسة ولاسيما إن كانت هذه الدورات تقام في بداية العام الدراسي .

المحور الثالث : حقائق تحيط بالنظام التعليمي:

الحقيقة الأولى :

يقول الشيخ عبدالخالق الشريف : سمعت أستاذنا الشيخ محمد الغزالي عام ١٩٦١م على منبر الجامع الأزهر يقول : «إذا أُهين العالم والقاضي والمدرس في دولة أذهب الله عنها خيرها»(١) .

الحقيقة الثانية: واقع التعليم في بلادنا :

« واقع التعليم في بلادنا جعلني في حالة عطف وإشفاق على المسئولين عنه

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٢٩ ، ص ٢١ .

ورسم سياسته لما أدركت من فداحة مسؤلياتهم أمام الله عن هذه الأمة .

ومازال التعليم في الغالب الأعم في بلادنا خارج حلبة الواقع اليومي بل إن من الطلاب من يقضي سنوات الدراسة حتى يتخرج من الجامعة وهو بعد لا يحسن التعامل مع دائرة كهربائية أو صنبور لا يمسك الماء .

ومازال التعليم في بعض بلادنا يعتمد نظرية ملء الوعاء لا نظرية قدح الشرارة ، فإذا انتهى العام سكب الطالب ما استودعه وآلمنى أني رأيت أكثر من مرة في نهاية العام الدراسي وظهور النتائج فإذا الكتب ومن بينها كتب الدين بقرآنها وحديثها ملقاة في القمامة على قارعة الطريق» (١) .

مقياس التقدم والتخلف للدول :

إن نظرة صائبة إلى العالم كفيلة أن تبين أن قسمة الدول إلى متقدمة ومتخلفة مردها الأول والأوحد إلى العلم والتعليم لا إلى وفرة المال .

هل نحن دول نامية أم متخلفة؟

النظرة الصافية ترينا الزيف الكبير والخطير الكامن في تسميتنا بالدول النامية أو المتنامية فالأمور نسبية وإذا كنا نتقدم فعلاً بسرعة ميل في كل يوم وغيرنا يتقدم بسرعة ألف ميل فنحن إذن عملياً نتأخر بنسبة ٩٩٩ ميلاً في كل يوم وهذا هو الحاصل في أغلب بلادنا العربية .

التاريخ الإنساني وواقعنا الآن :

إن التاريخ الإسلامي منذ بدأ لم يشهد ما يشهده الآن من اتساع الهوة بين المتقدمين والمتخلفين وهي آخذة في التصارع في كل يوم مكون من أربع وعشرين ساعة .

ثابت أن الإنسانية في الأعوام المائة الأخيرة حصلت من العلم قدر ما حصلت طيلة التاريخ البشري والسنوات الخمس المقبلة ستشهد تضاعف كمية المعلومات .

ماذا نصنع؟ ولا سبيل لنا إن شئنا لأبنائنا وذرارينا ما يصون الكرامة ويستر

---

(١) د. حسان حتحوت ، جراح وأفراح .

العرض ويقيم الأود إلا أن نصب كل ما لدينا من جهد ونفقة لنرتفع بالتعليم إلىٰ ما ارتفع لدىٰ غيرنا وإلا فقد قضينا علىٰ أمتنا أن تصبح خدماً وتبعاً وذيلاً يأتمر ولا أمر له.

أهم من الثراء والاقتناء واستيلاب المال وحفظ السلطان والتطاول في البنيان وبلوغ الآمال والمناصب والمتعة والنعمة أن نخترق حجاب الثورة العلمية والتقنية المعاصرة وبسرعة.

وأن يكون لنا مكان علىٰ صهوة هذا المارد الجبار وإلا قضت علينا حوافره.

هذا المارد الذي يسمونه العلم ويسميه القرآن سلطاناً : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ (الرحمن: ٣٣).

الحقيقة الثالثة: واقع التعليم في مصر:

هذا الواقع الأليم سببه الرئيسي أن أقل ميزانية إنفاق في الدولة هي علىٰ التعليم ويذهب إلىٰ البحث العلمي فتات الفتات من هذه الميزانية فكان من نتيجة ذلك الآتي:

١ ـ كان العالم كله يتطلع إلىٰ العلماء المصريين في كل المجالات د. مصطفىٰ مشرفة ـ وغيره الكثير ومنذ أعوام طويلة جف هذا النبع الصافي فحدث انحسار رهيب في أعداد المصريين وسوف يزداد إن لم نتدارك هذا الأمر.

٢ ـ ارتباط ترقية المديرين ووكلاء الوزارة بنتائج الامتحانات في مدارسهم فيتم نقل الطلاب وتسريب الامتحانات وبيعها مما أدىٰ إلىٰ انحدار رهيب فمعظم الطلاب في المراحل الثانوية لا يجيدون القراءة ولا الكتابة والذي وصل منهم بهذا الأسلوب إلىٰ الكليات تعرض للتعثر لسنوات طويلة وخاصة في كليات القمة كما يسمونها.

٣ ـ الاختبارات والامتحانات التي تجرىٰ تقيس جانب الحفظ عند الطلاب وفقط وإذا كان هناك سؤال كما يقولون للطالب الذكي لا يتعدىٰ خمس درجات فيتخرج عندنا حفظة ولا نرىٰ علماء.

٤ ـ التخبط في السياسة التعليمية فمعظم وزراء التعليم ليسوا أبناء العملية التعليمة فنقوم بإلغاء سنة دراسية بعد فترة تعود السنة الدراسية ـ نضع مناهج ثم نغيرها كل فترة قانون للثانوية ـ إنها في الواقع سياسة تعليمية عشوائية بدون تخطيط ثم يقولون تطوير المناهج ولكن الذي حدث (تصغير المناهج) وإلغاء مواد كثيرة!! .

٥ ـ معظم المدارس غير مناسبة للدراسة لعدم وجود إمكانيات بها وقلة عدد الفصول فهناك مدارس تعمل فترتين في اليوم ومدارس ثلاث فترات فيتم نقل التلاميذ إلى المراحل التالية حتى يقوموا بإخلاء أماكنهم لمن بعدهم من الطلاب الجدد .

٦ ـ إلغاء مبدأ الثواب والعقاب في المدارس والتشهير بالمدرسين وإظهارهم في المجتمع بصورة الوحوش الكاسرة وتصويرهم على أنهم أعداء للطلاب وما تجرأ أحد أن يحاسب أو يتكلم فقط عن بعض الضباط في أقسام الشرطة الذين يذيقون الناس صنوف العذاب!!

٧ ـ سوء أحوال المعلم المالية والاجتماعية في الوقت الذي لا يجد فيه من يتبنى قضيته ولا أحد يدافع عنه حتى نقابته ذات أكبر دخل واكبر عدد حكى لي زميل معلم اختير معلماً مثالياً فقال ذهبت إلى القاهرة لاستلام المكافأة فكانت ثمانية وأربعين جنيهاً ـ وكافأني المحافظ بخمسة عشر جنيهاً .

ضوابط لازمة لإصلاح التعليم في البلاد الإسلامية :

تقوم العملية التعليمية على محاور وهذه المحاور تصلح في عمومها لجميع البلدان الإسلامية وقد تختلف في جزئيات بسيطة أثناء التنفيذ وهذه تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية فأهمها على الإطلاق المنهج ثم المعلم ويأتي بعد ذلك المحور المالي ونشير إلى هذه المحاور إشارات رئيسة ونترك التفاصيل للتطبيق .

١ ـ محور المنهج .

٢ ـ محور المعلم والمتعلم وفنيات العملية التعليمية .

٣ ـ المحور المالي .

المحور الأول: المنهج :

إن هدف المنهج الإسلامي إيجاد الإنسان الصالح ، وقد اتفق أعظم علماء

التربية في العهد الحاضر على (أن عملية التربية في أمة وبلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات أو المواد الخام، أو الحاجيات أو المخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد، إنما هو لباس يُفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية، وتقاليدها الموروثة، وآدابها المُفضلة، وأهدافها التي تعيش لها، وتموت في سبيلها، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالإقناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز وتسليحها بالدلائل العلمية، إذا احتيج إليها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة، ونقلها إلى الأجيال القادمة[١]، وأن أفضل تفسير لنظام التربية هي أنها (السعي الحثيث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمن بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة[٢].

أقول: إن استيراد مناهج وأنظمة ومستشارين أجانب لتنفيذ سياسة تعليمية في البلدان الإسلامية إنما يعني ذوبان هوية هذه البلدان والأمة في كيان هذه الدول المصدرة لهذه الأنظمة ويصبح مستشاريها قدوة لأبناء هذه البلدان فتُمسخ شخصياتهم.

ويقول الأستاذ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - في ذلك: وقد أعجبني ماقاله الأستاذ Don Adams عن هؤلاء المُوجهين أو المستشارين الأجانب في كتابه (المخطط التربوي للمجتمعات المعاصرة) يقول: «إن أبلغ مثل يضرب للأضرار التي تلحق بالشعوب بخطأ يصدر من المستشارين التعليميين الأجانب، ما جاء في حكاية شرقية، تُصور موقف هؤلاء الماهرين تصويراً دقيقاً، زعموا أن ناحية من النواحي أصيبت بفيضان عظيم، تورط فيه قرد وسمكة، وكان القرد شاطراً ومحنكاً قد جرب مثل هذه الفيضانات، فتسلق فرع شجرة وأمن خطر هذا الفيضان، ووقع

(١) الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها أ. أبو الحسن الندوي، ص ١٧ طبعة دار الصحوة عام ١٩٨٩م الطبعة الأولى

(٢) يرجع إلى دائرة المعارف البريطانية مقالة (التربية)، وكتابات أحد أئمة فن التربية في العهد الحالي، جان ديوي John Dewey نقلاً عن الأمة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٨ .

بصره على السمكة تكافح تيار الفيضان، وتطفو على سطح البحر، واحتمل القرد العطف على هذه السمكة المسكينة ورق لها قلبه، فنزل من الشجرة وأنقذ السمكة بكل إخلاص من هذا الخطر، وجاء بها إلى الساحل وألقاها على الرمل حيث لاتصل إليها الأمواج وكانت النتيجة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير».

المحور الثاني: محور المُعلم وفنيات العملية التعليمية:

١ ـ إن موقف الدولة من معلمها هو الذي يحدد لنا أي شيء نريده فإن كانت صادقة في بناء ذلك النشء فعليها أولاً أن ترفع ثقافة المعلم وتحيطه بكل رعاية وعناية وإجلال وإلا فالأرض السبخة لا تنتج الفاكهة، ولذلك على الدولة توفير العيش الكريم للمعلم وأسرته لتفريغة لأداء مهمته المقدسة فالتعليم هو المهنة التي امتن الله تعالى بها على عباده بعد الخلق مباشرة فقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن). فمن المغالطة أن يُكلف بتلك الرسالة معلم لا هم له إلا ضمان أدنى قدر من المعيشة.

٢ ـ أن تكون للمعلم حصانة لا تقل عن الحصانة القضائية ولا الحصانة البرلمانية فهو الذي يقوم على تعليم هؤلاء فلا بد وأن يظل أعلى شأناً منهم وبهذه الحصانة للمعلم نكون قد أصلحنا الأصل فينصلح الفرع (المتعلم) هذه الحصانة تجعل المدرس مبدعاً في كل شيء يخص العملية التعليمية (الشرح مبدعا ـ الامتحانات ـ التقويم) فهو يتحرك بحرية في مجال عمله.

٣ ـ لابد من عمل دورات تعليمية للطلاب في فن المذاكرة والدراسة ولاسيما إن كانت هذه الدورات تقام في بداية العام الدراسي.

٤ ـ إصلاح نقابته وأن تكون مستقلة وأن تكون ملاذاً له إذا حدث له شيء.

٥ ـ عمل دورات تدريبية ومؤتمرات للمعلمين لكل ما يُستجد من العلوم والمعارف والمخترعات حتى تستطيع الطلاب من خلال المعلم مسايرة التطور العلمي والتكنولوجي، وتبصير المعلم بالوسائل التي شرعها الإسلام للثواب والعقاب وكيفية التدرج في هذه الوسائل وتطبيقها التطبيق التربوي السليم[١].

---

(١) راجع: منهج الإسلام في الثواب والعقاب، باب المدنية والحضارة (التلميذ الذي انتحر).

٦ ـ ركز د.حسان حتحوت في إصلاح التعليم على التعليم الابتدائي فقال:

١ ـ أهم مراحل التعليم هو التعليم في الطفولة فهو بداية التعليم ولكنه مكمن التربية .

٢ ـ الطفولة ألين الحديد وأطوعه للتشكيل . . وأعي تماماً ان مفاهيم الصدق والأمانة في الطفولة وتقديس الواجب كلها مكتسبات تلقيتها في طفولتي فارتسمت على صفحة النفس البيضاء وصارت من بعدُ نقشاً على حجر ثبت في تالي الأيام على عوامل التعرية من رغد الحياة ورهبها .

٣ ـ النصيب الأكبر من التأنق في العلمية التربوية في الدول الكبرى مكانة الطفولة ففيها يُوجه الإنسان إلى وجهته التي هو موليها ومهما امتد به النمو ففي نفس الاتجاه .

٤ ـ تعليم الطفولة في نظري أهم على المدى الطويل من التعليم الجامعي وما قبله وما بعده ، تمنيت أن يكون اختصاصاً مهماً وأن أرى فيه حملة الدكتوراه من المعلمين والمعلمات يمارسونه بإخلاص وتقدير ، ويُرقون فيه في ميدانهم لأعلى المناصب فلا يعتبر نقلهم إلى تعليم الكبار ترقية بل تضييعاً .

٥ ـ ولما كان كل طفل عربي ينشأ صالحاً هو ذخر عربي عام ، وكل طفل عربي ينشأ طالحاً هو عبء عربي عام فكم تمنيت أن تتكافل الدول العربية في أمر التعليم وإنه لأمر باهظ النفقة وكلنا ركاب سفينة إن انخرق قعرها في مكان الدرجة الثالثة لم ينج من الغرق ركاب الدرجة الأولى .

المحور الثالث: المحور المالي :

أن تكون أعلى ميزانية في الدولة هي للتعليم والبحث العلمي وإذا لم توجد إمكانيات فيتم رفع ميزانيات لجهات تتأثر بالتعليم فمثلاً من أعلى الميزانيات ميزانية الشرطة والأمن المركزي لو تحولت هذه الميزانية إلى التربية والتعليم كان ذلك أفضل فسوف يتخرج لدينا جيل يحب وطنه ويحافظ عليه وذلك مراعاة لله تعالى وليس خوفاً من الشرطة والأمن ؛ لأنه كلما زادت أعداد الشرطة زادت الجريمة ولن يقلل الجريمة إلا إصلاح التعليم ، ولن ينتشر الخير في الوطن إلا بإصلاح التعليم .

---

(١) الواقع : في مصر ميزانية البحث العلمي (نصف ٪) من الناتج القومي ، أما ميزانية البحث العلمي عند اليهود المحتلين لأرض فلسطين فهي (من ٥ : ٦ ٪) من الناتج القومي .

الفصل الثاني

الدولة في الإسلام

- المبحث الأول : مصطلحات حديثة .
- المبحث الثاني : لماذا الهجوم على نظام الحكم الإسلامي؟
- المبحث الثالث : كارثة فصل الدين عن الدولة.
- المبحث الرابع : من فقه الدولة في الإسلام .
- المبحث الخامس : مبادئ ودعائم ومعالم الدولة الإسلامية.
- المبحث السادس : معاملة غير المسلمين : (المحاربون - المعاهدون - أهل الذمة - تقرير المصير - موالاة غير المسلمين - استعانة المسلم بغير المسلم - حقوق المواطنة - الإسلام والعلاقات الدولية - شبهات وردود (الجزية - الديمقراطية - نحو فقه إسلامي سياسي - الإسلام منهج حياة - شبهة انتشار الإسلام بالسيف).

الفصل الثاني

الدولـة فـي الإسلام

المبحث الأول

مصطلحات حديثة

لكل عصر من العصور مصطلحات خاصة به تميزه عن غيره ويتعين على الإنسان أن يعرف مصطلحات عصره إذا أراد أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع الإنساني وحتى يتسنى له العيش بأمان وسلام، ففي الحديث: «**لم يَبعث الله نبياً إلا بلغة قومه**»[١]، ولقد طلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت تعلم السريانية فتعلمها في سبعة عشر يوماً[٢].

الهدف من ذكر بعض المصطلحات الحديثة:

١ ـ هناك مصطلحات تحارب الإسلام وتحاول القضاء عليه مباشرة أو من طرف خفي فعلينا أن نعرف خطرها ونمنع شرها عن الأمة.

٢ ـ توضيح المصطلحات التي يُظن أنها تقترب أو تبتعد عن الإسلام حتى لا يُساء فهم الإسلام (مثل الديمقراطية وغيرها).

٣ ـ العلم بالمصطلحات الحديثة؛ لأنه كما يُقال من جهل شيئاً عاداه، وكما قلت فنحن في عصر اكتشاف علوم كثيرة[٣].

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٥٨ .

(٢) رواه الترمذي، رقم ٢٧١٥ ، وقال: حديث حسن صحيح .

(٣) لا أقول عصر العلم؛ لأن عصر العلم بدأ بقول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العَلَق: ١).

■ **أولاً: مصطلحات يجب الحذر منها:**

والإجهاز على مفترياتهم حتى يخر عليهم سقفهم مثل :

١ ـ الإسلامو فوبيا [١] : أو التخويف من الإسلام والمسلمين :

« ـ **الفوبيا الاجتماعية أو السياسية:** صورة من الهلع الثقافي قد يحدث إثر شيوع موجات من الحذر العام تجاه دولة أو حركة سياسية أو دعوة دينية أو حضارة موازية أو معاصرة لحضارة من الحضارات، وذلك مثلما حدث إزاء الهلع من النازية قبل وخلال الحرب العالمية الثانية وتخوف العالم الرأسمالي الغربي من الاشتراكية أو الشيوعية خلال فترة صعود الاتحاد السوفيتي السابق وتمكن النظام الشيوعي في الصين وشرق أوروبا وكوبا، ومنها أيضاً إحلال التخوف والفزع من الإسلام (الإسلام فوبيا) مكان التخوف من الشيوعية برعاية الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية والمعية الإسرائيلية لها .

ـ **الرهاب أو الفوبيا** : مرض نفسي ويعني الخوف الشديد والمتواصل من مواقف أو نشاطات أو أجسام معينة أو أشخاص، وهذا الخوف الشديد والمتواصل يجعل المصاب عادة يعيش في ضيق وضجر، فمثلاً: فوبيا القلق أو الخوف اللا منطقي يكون فيها المريض مدركا تماما أن الخوف الذي يصيبه غير منطقي .

ـ **الرهاب أو الفوبيا** مرض يصيب الجماعات والمجتمعات والدول .

ـ **الرهاب أو الفوبيا** مرض يصيب الفرد في الأساس وله أعراضه كالشعور بالاختناق وسرعة ـ خفقان القلب وتقلب المعدة والارتعاش الشديد فهو إذا مرض نفسي له أعراض عضوية مما يدخل في نطاق أمراض (السيكو سوماتيك) أي المرض النفسي العضوي .

ـ **الإسلام فوبيا مصطلح مسكوك:** إن مصطلح الإسلام فوبيا لم تفرزه أحداث سبتمبر ٢٠٠١م حيث وجد عديد من المسلمين أنفسهم في الغرب موضعا للشبهات والتحرش والتمييز العنصري، وأشيع بين الغربيين أن الإسلام عقبة في حد ذاته معارض للغرب .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي : أ. د. صلاح عبدالمتعال العدد ٥١٢، ص ٣٤ ربيع الآخر عام ١٤٢٩هـ إبريل عام ٢٠٠٨م .

ـ لقد كان المصطلح سابقاً على هذه الأحداث بل تبين أن من (سكه أو نحته) مؤسسة راني ماد الفكرية المستقلة في بريطانيا ١٩٩٧م وذلك لتوصيف وضعين مختلفين من التميز العنصري وذلك إزاء الكيان الهيكلي العام للكتلة (الأمة الإسلامية) وأيضاً بالنسبة للتعصب ضد المعتقدات الثقافية والدينية لدى المسلمين» .

وأقول: إن مصطلح الرهاب أو الفوبيا أمر وارد إذا خاف الإنسان من نزول كوارث بشرية طبيعية مثل (زلزال ـ براكين ـ سيول ،) أو كوارث بشرية يصنعها الإنسان مثل (الحروب ـ الثورات ـ الفوضى الاجتماعية والسياسية) .

والسؤال هنا :

لماذا لم نسمع مصطلح الصهيونو فوبيا، أو الإنجيلو فوبيا ؟

أو لماذا أُلصقت هذه الفوبيا بالإسلام؟

بالرغم أن الإسلام هو التشريع الوحيد الذي ينهى عن الرهاب والتخويف والترويع حتى في إخفاء النعل ولو مزاحاً[١] ، أو يشير الإنسان لأخيه الإنسان بحديدة في وجهه[٢] . والإسلام هو الدين الوحيد الذي يحث على حياة الأمن للحديث : «من بات آمناً في سربه»[٣] .

٢ ـ مصطلح الإرهاب.

٣ ـ مصطلح العلمانية.

٤ ـ مصطلح العولمة : والتي تعني أنه لا يكون هناك سوى :

أ ـ نظام سياسي واقتصادي واحد بزعامة أمريكا .

ب ـ نظام ديني واحد بزعامة الكاثوليكية الفاتيكانية[٤] .

---

(١) رواه الطبراني ، وفي الترغيب رقم ٤٠٥٧ .

(٢) رواه مسلم ، وفي الترغيب رقم ٤٠٦١ .

(٣) رواه الترمذي ، زهد ٣٤ ، بن ماجة ، زهد ٩ .

(٤) الإرهاب ، العلمانية ، ذُكرت في هذا الباب بالتفصيل ، العولمة ذُكرت في الحوار بين الأديان من هذا الباب .

٥ ـ ثيوقراطية: (دولة دينية):

هذا نظام حكم يستند إلىٰ أفكار دينية مسيحية ويهودية بموجبه يتم الحكم بالحق الإلهي وظهر هذا النظام في العصور الوسطىٰ علىٰ هيئة دول دينية تميزت بالتعصب الديني وكبت الحريات السياسية والاجتماعية فنتج عن ذلك مجتمعات متخلفة سُميت بالعصور المظلمة.

ولذا يحاول أعداء الإسلام إلصاق هذا المصطلح بالإسلام لإقصاء الحكم الإسلامي عن حياة الناس استنادا إلىٰ ما سبق في الدولة الدينية، أما الواقع فيقول إن للإسلام نظاماً متفرداً فهو منهج حياة ولا مجال فيه للكبت والاستبداد والتعصب ولا مجاملة ولا صكوك غفران ولكن: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[1].

٦ ـ الصهيونية:

حركة يهودية سياسية تهدف إلىٰ إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين وذلك بتشجيع هجرة اليهود إلىٰ فلسطين وإقامة المستوطنات اليهودية علىٰ الأراضي العربية الفلسطينية عن طريق تهجير السكان الفلسطينيين أصحاب الأرض باستخدام وحشية إجرامية من مذابح وغيرها.

■ ثانياً: مصطلحات يجب دراستها جيداً:

حتىٰ لا يُساء فهم الإسلام اقتراباً أو ابتعاداً عنها فلا نندفع في تقريب الإسلام منها أو العكس أو التشبيه بينها والإسلام.

١ ـ الديمقراطية[2]:

المعنىٰ الحرفي للكلمة هو حكم الشعب وذلك عن طريق حكم قائم علىٰ مشاركة الجماهير في اتخاذ القرارات السياسية التي تؤثر في حياتهم الفردية

---

(١) البخاري ومسلم، وسبق تخريجه.

(٢) راجع ذلك في الكلام عن الديمقراطية من هذا الباب.

والجماعية على السواء عن طريق المجالس النيابية أي ينتخب فيها المواطنون ممثلين لهم أو نواباً يقومون بتشريع قوانين المجتمع ومراقبة الحكومات والموافقة على الميزانيات ورغم أن الديمقراطية النيابية تقوم على حكم الأغلبية ولكن لابد من حماية حقوق الأقلية .

ومن المبادئ التي يجب توافرها في المجتمع الديمقراطي المساواة أمام القانون : حرية الكلمة والتعبير ، وحرية الاجتماع ، وحرية تكوين الأحزاب والجمعيات .

ونظام الحكم الديمقراطي قائم على مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث (السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية) .

٢ ـ الشيوعية :

يشير هذا المصطلح إلى الاشتراكية الثورية أي التي تتحقق عن طريق الثورة بدلاً من التدرج ، يقوم ذلك المعنى على كتابات كارل ماركس الذي طالب بتغيير الأوضاع الاجتماعية القائمة وتحطيم الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وقيام مجتمع لا طبقي يحصل فيه الفرد على حاجته بقدر ما يبذل من طاقة .

٣ ـ الاشتراكية (الملكية العامة) :

نظرية سياسية تستهدف تحقيق ملكية المجتمع ككل لوسائل الإنتاج (رأس المال ـ أرض ـ ثروة) يتولى المجتمع إدارتها من أجل المصالح العامة .

٤ ـ الرأسمالية:

نظام اجتماعي اقتصادي تطلق فيه حرية الفرد في المجتمع السياسي للبحث وراء مصالحة الاقتصادية والمالية بهدف تحقيق أكبر ربح شخصي ممكن بصرف النظر عن تعارض ذلك مع مصالح الغالبية الساحقة من الناس .

■ ثالثاً: مصطلحات يتعين معرفتها:

١ ـ كاريزما :

خاصية خارقة تتميز بها شخصية فرد معين تجعل صاحبها يمتلك قدرات ومواهب تفوق ما هو طبيعي فيستطيع ممارسة القيادة بشكل خارق أي قيادة ملهمة تعمل على فرض الطاعة والالتزام أي تحول القائد إلى بطل .

٢ ـ مواطنة :

علاقة اجتماعية بين شخص وبين الدولة تؤدي هذه العلاقة إلى التزامات متبادلة من جانب الأشخاص والدول فالشخص يحصل على حقوقه السياسية والمدنية نتيجة انتمائه للدولة لكن عليه في نفس الوقت أن يؤدي بعض الواجبات ويحكم المواطنة مبدأ المساواة .

٣ ـ الفدرالية (الاتحاد داخل الدولة الواحدة) :

مصطلح يستخدم للإشارة إلى نظام سياسي يعترف بوجود حكومة مركزية للدولة إلى جانب حكومات إقليمية أخرى ذات استقلال ذاتي ، ومن ثم تتوزع قوى الحكومة ووظائفها المركزية والحكومات الإقليمية ومثال ذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

٤ ـ كونفدرالية :

يعني الاتحاد التعاهدي أو الاستقلالي وفيه تبرم اتفاقيات بين عدة دول تهدف إلى تنظيم بعض الأهداف المشتركة بينها كالدفاع وتنسيق الشئون الاقتصادية والثقافية وإقامة هيئة مشتركة تتولى تنسيق هذه الأهداف وفي هذا النظام تحتفظ فيه كل دولة بشخصيتها القانونية والسياسية الخارجية والداخلية ولكل منها رئيسها الخاص .

٥ ـ تكنوقراطية :

مصطلح سياسي نشأ مع اتساع الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي ويعني حكم التكنولوجي أو حكم العلماء والتقنيين فتكون لهم سلطة التخطيط الاستراتيجي وتخصيص صرف الموارد في الدول التكنوقراطية والمصطلح استحدث

عام ١٩١٩م على يد وليام سميث الذي طالب بتولي الاختصاصين العلمانيين مهام الحكم في المجتمع الفاضل .

٦ ـ ديماجوجية :

مصطلح سلبي يصف القيادة التي تكتسب رضا الجماهير عن طريق خداعهم وإثارة حماسهم لتستحوذ على عطفهم بغرض تحقيق مكاسب عاجلة .

٧ ـ أوتوقراطية (حكم الفرد) :

شكل من أشكال الحكم تتركز فيه السلطة المطلقة في يد شخص واحد (الأوتوقراطي) الذي يشغل منصب القمة ويمكن أن تكون الأوتوقراطية استبداد ودكتاتورية ، وخاصة إذا كانت تقوم على الوراثة أو القوة العسكرية ومثال على ذلك الحزب السياسي الواحد الذي يشكل الحكومة ويدير الدولة .

٨ ـ برجوازية (طبقة الملاك) :

يشير هذا المصطلح إلى الطبقات الوسطى في المجتمعات المختلفة وأعطت الماركسية معنى جديداً لهذا المصطلح وهي طبقة الإقطاعيين حتى تخلق عملية الصراع الطبقي أي صراع العمال مع أصحاب العمل أو الملاك وأصحاب المصانع .

٩ ـ بيروقراطية :

مصطلح يعني إدارة المكتب أو الإدارة عن طريق الموظفين وفي الاستخدام الشائع تنطوي على بعض المعاني السلبية مثل القواعد الجامدة في الإدارة وانتشار الروتين وتعقيد الإجراءات والاهتمام بالتفصيلات مما يعيق العمل .

١٠ ـ فاشية :

حركة نشأت في عام ١٩١٩م واستولت على مقاليد الحكم في إيطاليا تحت رئاسة موسوليني في أكتوبر ١٩٢٢م ومعنى الفاشية مشتق من الأصل الإيطالي Fascimo وتستهدف إقامة نظام ديكتاتوري يعارض الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية ويعتقد الفاشيون بتفوق الجنس الإيطالي .

١١ ـ الأيديولوجية :

هي تلك المعتقدات والتقاليد والمبادئ والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع معين وتعكس مصالحها واهتماماتها السياسية والدينية والاقتصادية وتعتبر ببساطة هي العقيدة السياسية لمجتمع ما .

١٢ ـ الليبرالية (الحرية السياسية) :

مذهب وتوجه سياسي يقوم على الاعتقاد في أهمية حرية الفرد ورفاهيته وتنادي الليبرالية بتوسيع الحقوق المدنية للأفراد مثل حرية التعبير والحقوق الانتخابية وتعارض الليبرالية صور التدخل الحكومي في الأنشطة الاقتصادية بل عليها أي الحكومة أن تتخذ خطوات إيجابية لضمان حرية كل فرد في المجتمع ورفاهيته .

١٣ ـ استطلاع رأي :

طريقة في الاستبيان المنظم تستخدم عند دراسة آراء الأشخاص بصدد موضوعات أو مسائل محددة على عينة من السكان .

١٤ ـ حكومة برلمانية :

نظام حكم تجتمع فيه الحكومة والأعضاء المنتخبون معاً داخل البرلمان وتقتسم السلطة التنفيذية بين رئيس الدولة ، والحكومة التي يرأسها رئيس الوزراء مهمة اختيار أعضاء الوزارة الذي يخضعون للبرلمان وغالباً ما يكونون أعضاء فيه أمثال فرنسا وإيطاليا ، الهند ، تركيا .

١٥ ـ الحزب :

هو جماعة من الأفراد تشترك في تصور واحد حول بعض المسائل السياسية وتكون رأياً انتخابياً واحداً وتهدف إلى الوصول للسلطة .

١٦ ـ التعددية السياسية :

مصطلح يستعمل لوصف مجتمع مكون من مجموعات سياسية مختلفة تقبل

كل مجموعة فيه الأخرىٰ دون السعي لإقصائها أو القضاء عليها وفي هذا المجتمع يجب أن تراعىٰ القرارات السياسية المصالح والتوفيقات بين هذه المجموعات وعلىٰ الدولة في هذا المجتمع أن تكون فصيلاً محايداً وليس منافساً.

١٧ ـ البراجماتية :

هي نظرية تؤكد علىٰ أن المنفعة هي المعيار في الحكم علىٰ أي مبدأ وأن الخير هو ما يلبي حاجة ما والمشكلات الأخلاقية يجب أن يحلها الإنسان بحيث لا يراعي إلا الحالة الملموسة وأن العقل له شأن كبير في حل مسائل الأخلاق.

١٨ ـ جماعة ضغط :

مجموعة من أشخاص تربطهم معاً أهداف واتجاهات مشتركة ويحاولون اتخاذ قرارات تدعم القيم التي يفضلونها وذلك بشتىٰ الوسائل وخاصة بالتأثير علىٰ النظام السياسي القائم.

١٩ ـ طبقة البروليتاريا :

هي طبقة العمال الفقراء الذين يزاولون عملاً يدوياً وليس لديهم رأس مال ومن ثم يبيعون قوة عملهم للحصول علىٰ ما يسد حاجتهم.

٢٠ ـ العنصرية :

نظرية تؤكد أنه لا مساواة بين الأمم والشعوب وتعتقد بتفوق بعض السلالات علىٰ الأخرىٰ نتيجة لصفات بيولوجية ووراثية وعوامل اجتماعية بينية مثل النازية في ألمانيا والصهيونية والفاشية.

٢١ ـ الراديكالية :

تشير إلىٰ الفكر السياسي والسلوك العملي المرتبط به الذي يطالب بضر . إحداث تغييرات جذرية ومباشرة في النظم القائمة، والليبراليون هم الذين يقومون بالتغييرات البطيئة والمحافظون يقاومون التغيير.

٢٢ ـ أرستقراطية :

تعني باللغة اليونانية سلطة خواص الناس ، وسياسياً تعني طبقة اجتماعية ذات منزلة عليا تتميز بكونها موضع اعتبار المجتمع ، وتتكون من الأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم عن طريق الوراثة وكانت هذه الطبقة تتمثل في الأشراف الذين كانوا ضد الملكية في القرون الوسطى وعندما ثبتت سلطة الملوك بإقامة الدولة الحديثة تقلصت صلاحية هذه الطبقة سياسياً واحتفظت بالامتيازات المنفعية وتتعارض الأرستقراطية مع الديمقراطية .

٢٣ ـ دكتاتورية :

كلمة ذات أصل يوناني تدل معناها على سياسة تصبح فيها جميع السلطات بيد شخص واحد يمارسها حسب إرادته دون اشتراط موافقة الشعب على القرارات التي يتخذها وغالباً ما يستند في حكمه إلى القوة العسكرية .

٢٤ ـ رجعية :

مصطلح سياسي اجتماعي يدل على التيارات المعارضة للمفاهيم التقدمية الحديثة وذلك عن طريق التمسك بالتقاليد الموروثة والتشبث بالماضي .

٢٥ ـ شوفينية :

مصطلح سياسي يرمز إلى التعصب القومي المتطرف والعداء للأجانب واستُخدم هذا المصطلح لوصف الأفكار الفاشية والنازية في أوربا وكان أول ظهور لهذا المصطلح في جيش نابليون نسبة إلى اسم أحد جنوده .

٢٦ ـ يسار ـ يمين :

مصطلحان استخدما في البرلمان البريطاني حيث كان يجلس المؤيدون للسلطة في اليمين والمعارضون في اليسار وتطور المصطلحان حيث أصبح يطلق مصطلح اليمين على الداعين للمحافظة على الأوضاع القائمة ومصطلح اليسار على المطالبين بتغيرات جذرية ثم استخدم مصطلح اليسار للدلالة على الاتجاهات الثورية واليمين للدلالة على الاتجاهات المحافظة والاتجاهات التي لها صبغة دينية .

مصطلح الدولة :

خلق الله الإنسان اجتماعي الطبع ، لا يستطيع أن يعيش بمفرده ، ولذلك جعل الله تعالىٰ له محضناً اجتماعياً صغيراً وهو الأسرة ، ومحضناً كبيراً وهو الدولة .

والدولة تتكون من :

١ ـ شعب .

٢ ـ أرض .

٣ ـ حكومة (١) .

٤ ـ نظام يحكم هؤلاء جميعاً وينظم سبل الحياة فيما بينهم .

أي دولة لا يطلق عليها دولة إلا بهذه المكونات ، وسوف نناقش هذه المكونات لنرىٰ قُرب أو بُعد الدولة الإسلامية عن هذه المكونات ، وهل الدولة الإسلامية بدع من الدول في ذلك الشأن ، أم أن لها نفس مكونات الدولة التي ذكرناها؟ .

١ ـ لا خلاف علىٰ أن الشعب من مكونات أي دولة ، والمسلمون يشكلون شعب الدولة الإسلامية .

٢ ـ لا خلاف علىٰ أن هذا الشعب يقطن إقليماً (أرضاً) معيناً بصفة دائمة ، وهناك أرض شاسعة للدولة الإسلامية يقطنها المسلمون .

٣ ـ لا خلاف علىٰ أن هذا الشعب علىٰ هذه الأرض إن لم يكن هناك من يقوده انتشرت الفوضىٰ ودُمر الشعب وخرب الإقليم وحينما جاء الإسلام كان هناك قائد للمسلمين إنه الرسول ﷺ ثم كانت الخلافة حكومة إسلامية .

٤ ـ أما النظام الذي يحكم هؤلاء ، وينظم لهم سبل الحياة فيما بينهم ، فإننا نوضحه فيما يلي :

---

(١) الحكومة غير الدولة ، فالحكومة هي الأداة التنظيمية التي تعتمد عليها الدولة في تحقيق أهدافها .

تعريفات النظام :

تعريف النظام بوجه عام هو : ما اصطلح عليه المجتمع من أوضاع أو قوانين أو علاقات تنظم شئون الأفراد في كل مجالات الحياة حيث يلتزم الجميع بها ويخضعون لها(١).

ألا ترىٰ من هذا التعريف الاصطلاحي أن كل مجتمع يطبق من الأحكام والقوانين الخاصة به ما لا يفرضه عليه أحد؟، وهذا موجود!!

فكل دولة تختار النظم والمبادئ والتشريعات التي تحتكم إليها، سواء من وَضْعِهَا أو وَضْعِ غيرها، فالشيوعيون يحكمهم نظامهم، والرأسماليون يحكمهم نظامهم، والذين يعبدون البقر لهم قانونهم ونظامهم وحكمهم، ولم يعترض عليهم أحد!!

وللمسلمين كذلك تشريعهم ونظامهم الذي يحكمهم ويحتكمون إليه..

لكن هنا اعتراضات.. وتقوم الدنيا ولا تقعد!!

فَلِمَ تثور هنا ثائرة أعداء الدين؟

تعريف النظم الإسلامية:

هي مجموعة التشريعات التي تقوم عليها الحياة الإسلامية في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها وشريعتها، والتي تشمل حركة الفرد والجماعة في كل مجالات الحياة(٢).

يتضح من هذا العرض أن لكل مجتمع أن يختار النظام الذي يحكمه، ولكن المشكلة هنا أن المسلمين إذا أرادوا كشعب علىٰ أرضهم أن يحتكموا لشريعة ربهم وخالقهم انطلقت الألسنة المرجفة تطعن وترمي الإسلام بأقذع الألفاظ والتهم بدون أدنىٰ سند، ولا حتىٰ سند تاريخي عقلي.

النتيجة : أن الدولة الإسلامية لها نفس مكونات أي دولة من شعب وأرض، ولها نظامها الإسلامي يحكمها، ولها مبادئها الإسلامية في اختيار حكومتها وفق أنظمتها الشرعية.

---

(١) مصنعة النظم الإسلامية، د. مصطفي كمال وصفي، ومعلمة الإسلام، أ. أنور الجندي، عن النظم الإسلامية، د. يسري هاني.

(٢) النظم الإسلامية، د. يسري هانئ، طبعة دراسية، ص ٨ .

المبحث الثاني

لماذا الهجوم على نظام الحكم الإسلامي؟

١ ـ الهجوم لم يبدأ مباشرة على الحكم الإسلامي، ولكن أصل الهجوم هو الأسرة (النموذج المصغر للدولة) :

فلم يتعرض كيان بشري إلىٰ هجوم بكل الوسائل المحرمة والممنوعة مثل كيان الأسرة المسلمة، والسبب في ذلك أن الأسرة هي اللبنة الأولىٰ للدولة الإسلامية[١].

فالأسرة المسلمة هي المحضن الأول لتربية الأبناء علىٰ الطهر والعفاف، فعمدوا إلىٰ الآتي :

- مؤتمرات بكين والقاهرة وغيرها لإلغاء نظام الأسرة ـ وثيقة الطفل .
- إشاعة ونشر ما يُسمىٰ الزواج العرفي بين المسلمين .
- الهجوم علىٰ حجاب المرأة المسلمة .
- نشر الإباحيات في وسائل الإعلام .

٢ ـ نحن أمة الأخلاق :

يقول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) دولة إسلامية أي تُحكم بالإسلام وتتسمىٰ به وتتعامل به، وأهل الذمة فيها لهم حقوقهم كاملة كما سيأتي، حيث إنني لا أفضل التقسيمات الموجودة لشعوري أنها تأتي علىٰ استحياء أو إرضاءً أو محاولة عدم الاصطدام، ومن هذه التقسيمات : دولة دينية، دولة مدنية، دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية، ألا ترىٰ أن التعبير (دولة إسلامية) تعبير قوي مُشرق غير تابع .

- فما الذي يُرتَجىٰ للبشرية من دولة تقوم علىٰ الظلم والقهر والاستعباد والجبروت؟ لقد زالت دول الظلم والقهر من رومان وفرس وفراعنة.
- وما الذي يُرتجىٰ للبشرية من دولة أفرادها مخمورون في العمل مخمورون في الشارع؟.
- وما الذي يُرتجىٰ للبشرية من دولة أبناؤها غير شرعيين بالملايين لا ينتمون لأسرة؟ فكيف يطلب إليهم الانتماء والولاء للدولة ودولتهم الصغيرة (الأسرة) لا أصل لها؟
- وما الذي يُرتجىٰ للبشرية من دولة تتنكر لخالقها؟ وتنكر وجود رازقها، ولقد زالت الشيوعية واندحرت دولتهم، وهؤلاء جميعاً أضحت الدول عندهم إما منهارة أو في طريق الانهيار، أو تحمل عوامل فنائها في داخلها.

٣ ـ عندهم دولة الانتحار:

إن النظم البشرية حين جنحت إلىٰ المادية المغرقة في إنكار الإيمان وجحود الله، والاستمساك بكل ما هو مادي، ورفض ما يتصل بالدين الصحيح، إنها حين فعلت ذلك قادت الإنسان إلىٰ البوار والدمار، وسببت له القلق النفسي والاضطراب، وجلبت له أمراض الحضارة، وسلبت منه السعادة الحقة، وغلَّفت له الشقاء في صورة وردية، وورق مزركش، فدست له السم في الدسم، فازداد الشقاء والقلق والحيرة والشك والانتحار: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ** ﴾ (إبراهيم: ٢٨).

إن دولة السويد من أعلىٰ دول العالم في متوسط دخل الفرد والحضارة المادية فيها وصلت إلىٰ ذروتها، مصانع ناجحة مزارع منتجة، وأسواق رائجة، ومساكن عالية، وسيارات فارهة، وأموال سائلة، وجنات كبيرة وشهوات عارمة، وليس بين الإنسان وبين الاغتراف من هذا النعيم حائل أو مانع، حتىٰ الشهوات الجنسية لا يحجز المرء عنها شيء في زمان أو مكان.

لقد شرب الإنسان من خمر هذه الحضارة كأسها حتىٰ الثمالة، حقق الجانب

المادي علىٰ أعظم ما يحب ويشتهي، ولكن للأسف نسي شيئاً آخر!!

نسىٰ أن له جانباً آخر هو الروح التي تنكرت لها الحضارة الحديثة!!

نتيجة لذلك.. فقد جنح الإنسان بدوره إلىٰ متاهة لا يحس فيها بالسعادة رغم ما حصل من المادة وشهواتها فارتفعت نسبة الانتحار في السويد حتىٰ حصلت هذه الدولة علىٰ أعلىٰ نسبة في الانتحار عالمياً!!

لماذا ينتحرون؟ لماذا يزهقون أرواحهم؟

هل قصرت المدنية الحديثة في جانب من جوانب الحياة؟

لا.. إنها أعطت وأعطت، ولكنها حرمت فقتلت!! أعطت في المادية عطاءً واسعاً بينما نزلت بالروح إلىٰ هوة سحيقة من التردي، وإلىٰ مستنقع آسن جاهلي، ليس بالمادة وحدها يحيا الإنسان، ولكن معها الروح سبب الحياة.. الروح المؤمنة التي تعرف ربها فتطمئن وتسعد: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾ (الفجر).

إننا حين ننادي البشرية لتأخذ بالنظم الإسلامية نبغي فوزها وسعادتها[(١)].

٤ ـ الدولة الإسلامية دولة الأمن والسعادة:

الإنسان كائن ثنائي التكوين، أي أنه مكون من جسد وروح، فالجسد هو الجزء المادي فيه، وهو مخلوق من طين الأرض، لذلك أنبت الله له غذاءه من الأرض، أما الروح فهي نفخة علوية من روح الله، قال تعالىٰ: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (الحِجْر: ٢٩).

ومن ثم جاء غذاء الروح علوياً عن طريق الوحي.

فإذا أراد الإنسان حياة آمنة كان لزاماً عليه أن يعطي كل جزء غذاءه دون جور من واحد علىٰ الآخر، أن يعطي الجسد غذاءه من طعام حلال:

---

(١) النظم الإسلامية، د. يسري هانئ، طبعة دراسية، ص ١٤.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

ويعطي الروح غذاءها على النحو الذي شرعه الله تعالى، فهو أبصر بها: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (المُلك: ١٤).

إنه حين يفعل ذلك يعيش حياة الأمن والسلام، حياة العز والتمكين، ويموت ميتة الرضا والفوز: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

لذا جمعت النظم الإسلامية بين مطالب الجسد والروح فأحلت للجسد كل الحلال وحجبته عن كل حرام خبيث: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

جاءت النظم الإسلامية ففتحت آفاق الكون أمام الإنسان وطالبته بالبحث والتنقيب والاعتبار: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (المُلك: ١٥).

٥ ـ إنهم لا يثبتون أمام الاحتكام للعقل:

الصنعة تستمد قانونها من الصانع، والمخلوق يستمد تشريعاته من الخالق.

يقيننا أن البشر صنعة الله، وأن الصنعة إذا رعاها صانعها سلمت من كل عيب؛ لأنه أدري بها وأعلم: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (المُلك: ١٤)، أما إذا تولى أمر الصنعة غير صانعها، أو عهد إليه بصيانتها جاءها العطب، ولحقها الدمار.

ماذا يكون الحال لو تعطلت سيارة فذهب بها صاحبها إلى جزار ؟!

ماذا يكون الحال لو مرض إنسان فذهب به أهله إلى نجار ؟!

ماذا يكون الحال لو أراد إنسان ذبح بهيمة فذهب بها إلى المستشفى ؟!

ماذا يكون الحال لو أراد إنسان صنع شباك فذهب إلى طبيب ؟!

إن الناس في كل هذه الأحوال يذهبون بكل شيء إلى صانعه. فالسيارة للميكانيكي، والبهيمة للجزار، والمريض للطبيب، والشباك للنجار. أما حين يقال للبشر: سلموا أنفسكم لمولاكم واتبعوا منهجه، قال المُتعالون والعلمانيون والملحدون: «لا داعي لذلك فنحن أدرى بأنفسنا وبالتشريع النافع لنا! نحن لا نريد الرجعية ولا التخلف ولا نريد التعصب والتطرف، نحن نريد حكماً مدنياً بعيداً عن الأديان!».

فهؤلاء ألغوا عقولهم .. فكيف تحدثهم؟!!

أما العقلاء إذا عرضت عليهم نظم الإسلام قالوا: لقد وجدنا في الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة» الفيلسوف الفرنسي المسلم (روجيه جارودي)[1].

٦ ـ الدولة الإسلامية حال قيامها تكشف سوآتهم جميعاً:

فيثور عليهم المحكومون المقهورون، وتكون نهايتهم في مزبلة التاريخ، فإن عدالة عمر بن الخطاب وعظمته في حكمه لم تزل تؤرق حكام اليوم[2] حتى أضحوا يكرهون سيرته؛ لأنها قَزَّمَتْهُم، «أي جعلتهم أقزاماً».

٧ ـ تعالوا إلى كلمة سواء:

إن أعظم إنصاف نقدمه لكل الذين يهاجمون الحكم الإسلامي أن نقول لهم

---

(١) المصدر السابق، ص ١١ .

(٢) في مصر طلب نظام الحكم فيها من الشيخ التقي الورع عبد الحميد كشك، ألا يتحدث عن سيرة عمر بن الخطاب وإلا مُنع من الخطابة، ولكن الشيخ تحدث عن السيرة العطرة لعمر بن الخطاب وعدله وسهره على راحة الرعية فمُنع من الخطابة حتى لقى الله ساجداً.

خلوا بين الناس وبين الحكم الإسلامي فإذا كانت مبادئه وتشريعاته وحشية وخاطئة فسوف يلفظها الناس؛ لأنها تخالف فطرتهم، وبهذا تكونوا أرحتم أنفسكم من عناء هذا الهجوم الحربي واسترحتم من هذا الحكم الذي لفظه الناس أليس هذا إنصافاً[1]؟!

---

(١) نُذكر بموقف أسيد بن حضير حينما جاء إلى مصعب بن عمير وهو يُعَلِّم المسلمين القرآن في المدينة، وقال أسيد لمصعب : قم من هنا، فقال مصعب : أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال أسيد : أنصفت، فجلس وكَلَّمَهُ مصعب فأسلم.

المبحث الثالث

كارثة فصل الدين عن الدولة

الكارثة التي حلت بالبشرية[١] فصل الدين[٢] عن الدولة[٣].

فمن ظن أن الدين ـ أو بعبارة أدق الإسلام ـ لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام، فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وجميل قول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ : «اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمعدوم، وما لا حارس له فضائع»، فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها.

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل، ففصلنا الدين عن السياسة عملياً، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظرياً، فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرؤوس، والنظرة الإسلامية في النفوس والجمال الإسلامي في الأوضاع، باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائماً بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة، وهذا أول الوهن وأصل الفساد[٤].

---

(١) كرثه، الأمر وغيرة كرثاً، اشتد عليه وبلغ منه المشقة فهو كارث، الكارثة، النازلة العظيمة والشدة، الجمع كوارث، كرثته الكوارث (أقلقته)، المعجم الوسيط جـ٢، ص ٨١٣.

(٢) أقصد بالدين الإسلام، يقول الله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

(٣) يسميها الشهيد سيد قطب، الفصام النكد، ويسميها د. يسري هانيء، ضلالة، ويسميها الشيخ عبد الخالق الشريف، جريمة.

(٤) الرسائل، للإمام حسن البنا، ص ٢٢٧.

في أي بيئة ظهرت قضية فصل الدين عن الدولة ؟[١] .

من وقت سقوط الخلافة نعقت البوم في ديار المسلمين بدعوىٰ غريبة الشكل مبتوتة الصلة بديننا ومجتمعنا المسلم ألا وهي دعوىٰ فصل الدين عن الدولة، وقد صدع بها في ديار المسلمين قوم حملوا أسماء المسلمين[٢]، ولكنهم ولدوا ولادة عقلية في أوروبا، فأرضعتهم هذه الأم البائسة لبن الحقد والكراهية لدينهم وأمتهم، فأصبحوا معنا بأجسامهم لكن أرواحهم هناك عند أمهم ومرضعتهم أوروبا فتعست المرضعة وبئست الفاطمة .

ميلاد هذه الضلالة:

عاش اليهود في أوروبا في عمل دائب (كعادتهم) للسيطرة علىٰ الاقتصاد وأمور المال، وهناك أنشبت الأفعىٰ اليهودية أظافرها في جسد الشعوب بواسطة الربا الذي أذاقوا به الناس الويل والثبور، حتىٰ صور ذلك تصويراً دقيقاً وليم شكسبير الكاتب الإنجليزي الشهير في روايته (تاجر البندقية) .

وليت الشعوب الأوروبية عانت هذا الويل وحده، بل انضاف إليه الإقطاع بظلمه وجبروته ليزيد من أنين المطحونين، ليشكل مع الربا اليهودي ثنائياً بغيضاً يكتم أنفاس الأمة .

وكانت ثالثة الأثافي أن يضم الحكام إلىٰ هذا الموكب الفاسد فزاد الطين بلة وعم الكرب، وزاد الهم والغم، وأصبحت الشعوب الأوروبية بين مطارق ثلاث :

---

(١) النظم الإسلامية، أ . د . يسري هانئ، طبعة دراسية، ص ٤١ .

(٢) إنه الشيخ علي بن عبد الرازق في كتابه : الإسلام وأصول الحكم، طبعة عام ١٩٢٥م وبعد نشر هذا البحث توالت الردود عليه ومنها : حقيقة الإسلام وأصول الحكم، الشيخ محمد بخيت المفتي في مصر ساعتها، وكتاب الإسلام وأصول الحكم، للإمام الأكبر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر عام ١٩٥٢م، وكتاب نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس للمذهب المالكي، وقد ترتب علىٰ صدور هذا البحث اتفاق الملك فؤاد مع لجنة كبار العلماء علىٰ عقاب صاحبه فصدر قرار بفصله من عمله في القضاء وسُحبت منه الشهادة العالمية .

١ ـ ربا اليهود.

٢ ـ عنت الإقطاع.

٣ ـ ظلم الحكام.

وأمام هذه الحالة المأساوية لم يعد لهذه الشعوب أمل سوى رجل الدين الأوربي، فهو محط الأنظار، ومعقد الآمال الذي تعلقت به أنظار الشعوب لعله يزيل هذا الكابوس عن شعوبه، ويبدد الظلمات.

لكن خاب أمل الشعوب حين رأت رجال الدين والبابوات: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (النور: ٣٩).

بل تحول هذا الأمل إلى واقع مر أليم لا تدانيه مرارة ولا تشبهه في لظاه حرارة، حيث حكم البابوات بحق التفويض الإلهي، وأرهبوا جميع الناس بمن فيهم الملوك.

وأقاموا محاكم التفتيش وقتلوا العلماء وعلقوهم في المشانق، ثم أخذوا في إصدار قرارات الحرمان من رحمة الله، وباعوا صكوك الغفران، فاحتد الصراع بين الدين والسياسة، حيث أضحى الناس في دوامة عنيفة من تنازع السلطات بين البابوات والأباطرة ورجال الحكم، وكان الشعب ميدان الصراع والضحية في الحالتين، فتارة يجذبه رجال الحكم والسياسة، وتارة يخضعه رجال الدين واللاهوت، وهو في حيرة من أمره إلى أن وجد الحل كما يتصور بأن يقتسم المتنازعان السلعة، فكان التنافس وكانت الازدواجية وارتضت الكنيسة بالصلوات والطقوس والنذور والركوع في الهيكل.

أضف إلى ذلك:

- فشل الكنيسة في أن تدير دفة الحياة؛ لأن التشريعات التي عندهم مُحرفة كما أثبت ذلك **الشيخ احمد ديدات** في مناظراته الفذة مع القس جيمي سواجارت في أمريكا أن الأناجيل الموجودة ليست كلمة الله.

- غرق البابوات في بحور الترف والبذخ والجاه والمتع والشهوات.

من أسباب ظهور هذه البدعة في بلادنا:

١ ـ كراهية الغرب الصليبي والشرق الشيوعي والصهيونية العالمية للإسلام والمسلمين، فإن هذا الثالوث الخطير يعمل ليل نهار للحيلولة بين المسلمين وبين العودة إلى دينهم الكامل، وكما قال أحد هؤلاء قريباً: إنها حرب صليبية[1].

٢ ـ انبهار بعض المسلمين بالحضارة الغربية واقتناعهم خطأً بأن سبيل الحضارة والتقدم هو طلاق الدين، ومن أمثال ذلك ما قاله طه حسين: «يجب أن نكون شركاء في الحضارة الأوروبية خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يعاب»[2].

٣ ـ وجود ذيول للاستعمار الغربي الحاقد في ديار المسلمين لتنفيذ خططه ومؤامراته.

٤ ـ انتشار الجهل بين فئات كثيرة من المسلمين والمسلمات.

من وسائل نشر هذه الضلالة في بلاد المسلمين:

١ ـ إقامة المدارس التبشيرية التي يُربي فيها قادة الغد وتُصنع فيها عقول الناشئة.

٢ ـ إنشاء الأحزاب الادينية أو النفعية.

٣ ـ إقامة دور للنشر، وتشجيع الصحف التي تتبنى هذه الضلالة.

٤ ـ توظيف المناهج الدراسية لخدمة هذه القضية.

٥ ـ احتقار الحضارة الإسلامية والعقل الإسلامي وتقديس العقل الأوروبي، والتغني بحضارته ويساعدهم الإعلام.

٦ ـ حجب التعليم عن الدين حتى يخرج المتعلمون أميين في دينهم فيسهل صيدهم.

---

(١) إشارة إلى ما قاله الرئيس الأمريكي بعد أحداث سبتمبر.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، عن النظم الإسلامية، د. يسري هاني، ص ٤٧.

موقف الإسلام من هذه البدعة [١] :

أولاً : القــرآن :

بين الحقُ تبارك وتعالى أنه الخالق والهادي ، فقال : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) ﴾ (الأعلى). وقال أيضاً: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) ﴾ (الشعراء).

وقلنا إن الذي خلق يُشرع : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٥)، ولن يكون ذلك إلا بدولة تحمل هذا الأمر وتطبقه في دنيا الناس ، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة: ٤٨). ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: ٤٩)، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾ (المائدة)، ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧).

وقد حذر الله تبارك تعالى من الأخذ ببعض القرآن وترك بعضه [٢] :

---

(١) كتاب : النُظم الإسلامية ، د. يسري محمد هانئ ، طبعة دراسية ، ص ٥١ .

(٢) فيحذر المسلمون هذا السلوك فيطبقوا الإسلام كله في كل حياتهم ، لا أن يأخذوا شيئاً ويتركوا أشياء ، فمثلاً يكون عقد الزواج على كتاب الله ، وتكون إقامة الأفراح والتجهيزات على غير منهج الله .

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٥).

والقرآن الكريم يؤكد على فكرة قيام الدولة والسلطة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: ٥٩).

ثانياً : السُّنَّة :

أثبتت السنة أن النبي ﷺ قام بكل ما تطلبه القيادة، فحكم بين الناس بالعدل ـ طبق شرع الله ـ قاد الجيوش ـ عين القضاة ـ ولى عمال الصدقات والمؤذنين والحراس ـ بعث السفراء والرسل ـ قابل الوفود ـ عقد المعاهدات ـ كان يدير شئون الأمة الداخلية والخارجية على أحسن وجه وأجمله، وفي الحديث : «**لتنقضن عُرى الإسلام عُروة عروة، فأولها نقضاً الحكم، وآخرها الصلاة**»[١].

وفي الحديث : حينما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : «**بم تحكم؟**»، قال : بكتاب الله، قال : «**فإن لم تجد؟**»، قال : «فبسنة رسوله ﷺ»، قال : «**فإن لم تجد؟**»، قال : أجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ : «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله**»[٢].

ثالثاً : السيرة والتاريخ :

ـ **كان النبي** ﷺ إماماً في المحراب ـ قاضياً بين الناس ـ قائداً في الحروب ـ معلماً في المسجد ـ راعياً للدولة ـ يبرم العقود والمواثيق بين المسلمين والمشركين كما حدث في صلح الحديبية.

ـ **وأبو بكر حين تولى الخلافة قال** : «أما بعد أيها الناس فإني وليت عليكم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥١ عن أبي إمامة الباهلي .

(٢) أخرجه أبو داود، أقضيه، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٣٥٩٢) والترمذي، أحكام ١٣٢٧ .

ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، الكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»(١).

- **مقاتلة أبي بكر لمانعي الزكاة** . . فإصرار أبي بكر على قتالهم نص يؤكد أهمية الترابط بين مفاهيم الإسلام وأوامره ونواهيه وتشريعاته.

- **السلطان بايزيد - العثماني** - حضر إلى المحكمة أمام القاضي شمس الدين القناوي قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رُفعت إليه، فما كان من القاضي إلا أن فاجأ الناس برد شهادة السلطان ولم يقبلها، ولما سأله السلطان عن ذلك جاء الرد حاسماً قوياً من القاضي الذي يخاف الله : إنك تارك الصلاة مع الجماعة، فنهض السلطان فبنى مسجداً ولم يتخلف عن الجماعة فيه بعد ذلك أبداً»(٢).

فماذا يقول علماء الثقافة المستوردة؟

إن السلطان لم يقُل للقاضي تلك صلاة وذلك قضاء، فما العلاقة بينهما؟

رابعاً : ما ورد على ألسنة علماء المسلمين:

- **يقول ابن تيمية - رحمه الله -:** «وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل السلطنة، والصغرى مثل الشرطة، وولاية الحكم، أو ولاية المال وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة»(٣).

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢/ ٢٢٤، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) جوانب مضيئة من تاريخ العثمانين، للأستاذ زياد أبو غنيمة، ص ٧٣ .

(٣) الحسبة في الإسلام، ١٩/ ٢٢ .

- يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - تحت عنوان الفصام النكد:

«ليس من طبيعة (الدين) أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية، والأخلاقيات التهذيبية، والشعائر التعبدية، أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية، ركن ما يسمونه (الأحوال الشخصية).

ليس من طبيعة (الدين) أن يفرد الله - سبحانه - قطاعاً ضيقاً في ركن ضئيل - أو سلبي - في الحياة البشرية، ثم يسلم سائر قطاعات الحياة الإيجابية العملية لآلهة أخرى وأرباب متفرقين، يضعون القواعد والمذاهب، والأنظمة والأوضاع، والقوانين والتشكيلات على أهوائهم، دون الرجوع إلى الله.

ليس من طبيعة (الدين) أن يشرع طريقاً للآخرة لا يمر بالحياة الدنيا!! طريقاً ينتظر الناس في نهايته فردوس الآخرة عن غير طريق العمل في الأرض، وعمارتها، والخلافة فيها عن الله وفق منهجه الذي ارتضاه!!.

ليس من طبيعة (الدين) أن يكون هذا المسخ الشائه الهزيل!! ولا هذه الألعوبة المزوقة التي يلهو بها الأطفال ولا هذه المراسم التقليدية التي لا علاقة لها بنظم الحياة العملية»[1].

- يقول الشيخ المودودي - رحمه الله - (الدين والقانون)[2] : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (النور : ٢).

إن أول شيء ينبغي الالتفات إليه في هذه الآية أن قانون العقوبات فيها يسمى دين الله كذلك تبين هذه الآية أن الدين ليس مجرد الصلاة والصوم والحج والزكاة إنما هو أيضاً قانون البلاد وإقامة الدين لا تعني الصلاة فقط بل تعني إقامة قانون الله وشرعته كذلك فإن رُفض وألقى به خلف الظهور واختير قانون غيره فهذا لا يعني سوى رفض دين الله ذاته.

---

(١) سيد قطب، المستقبل لهذا الدين، ص ٢٤ ، طبعة دار الشروق .

(٢) الحكومة الإسلامية، المودودي، ص ٦٨ .

خامساً : فتاوى علماء المسلمين:

يقول كبير علماء المسلمين في الدولة الإسلامية في العهد العثماني الشيخ مصطفى صبري ـ رحمه الله ـ : «فصل الدين عن الدولة ارتداد في الإسلام من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً إن لم يكن ارتداد الداخلين في حوزة تلك الحكومة باعتبارهم جماعة، وهو أقصر طريقة إلى الكفر من ارتداد الأفراد، بل إنه يتضمن ارتداد الأفراد أيضاً لقبولهم الطاعة لتلك الحكومة المرتدة»(١).

يقول العلامة الكوثري : « وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن دين الإسلام جامع لمصلحتي الدنيا والآخرة ولأحكامها دلالة واضحة لا ارتياب فيها، فتكون محاولة فصل الدين عن الدولة كفراً صراحاً منابذاً لإعلاء كلمة الله، وعداءً موجهاً إلى الدين الإسلامي في صميمه، ويكون هذا الطلب من هذا الطالب إقراراً منه بالانتهاذ والانفصال فيلزمه بإقرار فنعده عضواً مفصولاً عن جماعة المسلمين، وشخصاً منفصلاً عن عقيدة أهل الإسلام، فلا تصح مناكحته ولا تحل ذبيحته؛ لأنه ليس من المسلمين ولا من أهل الكتاب»(٢).

يعلق الأستاذ الدكتور يوسف العظم ـ رحمه الله ـ على ذلك فيقول : « أرأيتم ما يدعو بعض الناس إليه من فصل الدين والحيلولة بين الإسلام والحكم مما يخرجهم من ربقة الإسلام وهم لا يشعرون؟

وهل من فتوى بعد هذا يسأل عنها المتعاملون الذين أغراهم ترف الحياة وبريق المناصب فباتوا لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ليشاركوا أصحاب النفوذ وزرهم فيما يحكمون»(٣).

ويقول الشيخ العلامة محمد الخضر حسين ـ شيخ الجامع الأزهر سابقاً ـ وهو عالم عدل لم يرضخ لطغيان او يسر في ركب منافق، يقول:

« فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم الدين، ولا يقدم عليه المسلمون ـ إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين».

(١، ٢، ٣) فصل الدين عن الدولة، أ . يوسف العظم، ص ٤٠ وما بعدها .

ويقول الأستاذ الكبير، والعالم النحرير أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ:

«فإذا آمنت بدين من الأديان وأيقنت في نفسك بأنه (الدين) المنزل من السماء فلم يبق بُد لك من أن يكون ذلك الدين ديناً لحياتك بأسرها، محيطاً بفروعها وشعبها، وإن كان ذلك الدين ديناً لحياتك الشخصية، فليت شعري ما الذي يمنعه أن يكون ديناً لبيتك ولتربية أطفالك ومدرستك ومنهاجها التعليمي، ولا ندري ماذا يعوقه من أن يكون ديناً لتجارتك ومكاسب رزقك وحياتك الاجتماعية؟ وديناً لخطتك في الحياة وحضارتك وسياستك وأدبك وكل ما يتصل بالحياة البشرية من علم وأدب وفن، ومما يأباه الذوق والعقل السليم أن نتبع ديناً في حياتنا الشخصية؟ ثم إذا قمنا بتنظيم شئون حياتنا المختلفة يبقى بعض فروع تلك الحياة المنظمة مستثني من دائرة نفوذ ذلك الدين خارجاً عن حدوده وعلى قوانينه»(١).

ومن هنا نستنتج أن هذه الضلالة لن تدوم في ديار المسلمين لأسباب كثيرة نذكر منها :

١ ـ القرآن الكريم، وهو منهج الدين والدنيا محفوظ من التحريف والتغيير: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر: ٩)، توجد مليارات النسخ من المصحف ولا تختلف نسخة عن الأخرى في أدنى شيء، ولو كان في حركة الحرف الواحد، أما الأناجيل التي أضرت بأوروبا فليست كلمة الله تعالى وهي كلماتهم ولا يزالون يضيفون ويحذفون منها حسب أهوائهم: ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ (المؤمنون: ٧١).

٢ ـ إن الهدف الأساس للتشريع الإسلامي إيجاد حياة كريمة للإنسان: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٧٠).

ويتجلى هذا التكريم في أن الله تعالى سخر جميع الكون للإنسان فهو الخليفة عن الله: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة: ٣٠)،

---

(١) الدين القيم، للمودودي، نقلاً عن المصدر السابق.

وهذه الحياة الكريمة لا تكون إلا وفق منهج وتشريع من الخالق حماية للمخلوق.

٣ - وجود شباب الصحوة الإسلامية الذين يفضحون ممارسات هؤلاء الحكام الفسدة، ولا يخافون في الله لومة لائم.

ولقد خرج علينا الرؤساء الغيورين على مناصبهم وكراسيهم في السبعينات ليقول للأمة: «لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة».

ونقول: إن الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة إنما يغمض عينه عن بدهيات في الإسلام مُسَلَّمَة:

- **فهل يصلي المسلم ثم يتعامل بالربا؟**
- **وهل يصوم المسلم ثم يشرب الخمر؟**
- **وهل يعمل المسلم في المصنع والحقل مبتور الصلة عن الأمانة والإتقان وهما من ضمير دينه؟**
- **هل يترك المسلم الجهاد ليذل لغيره تحت دعوى المنهزمين؟** [1].

ثم ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وقوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ٢١٦)؟

وما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ (البقرة: ٤٣).

وبين قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٠)؟

---

(١) النظم الإسلامية، د. يسري هانئ، ص ٦٣، طبعة دراسية.

وما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ (إبراهيم: ٣١).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة: ١).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)؟

وما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠)؟

وبهذا يتأكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الحياة تحت ظلال الإسلام منظمة تنظيماً دقيقاً[١].

خلاصة القول:

للذين يعترضون ويحاربون المنهج الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية ألخص لهم هذه الحقائق وأذكرها في صورة جدول لتقريب المعنى فقط، وليس للمقارنة :

---

(١) لتمام هذا الموضوع راجع من هذه الموسوعة الباب الأول الفصل الرابع .

من حيث	أي دولة	الدولة الإسلامية
الدستور	كل دولة لها دستور لم يعترض عليه أحد .	لها دستورها يعترض عليه الحاقدون والأغبياء .
مصدره	علماء كل دولة وفقهاء القانون فيها ولا أحد ينكر عليهم ذلك .	﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه : ٤) .
تسميته	هناك دول تسميه دستور وأخرىٰ تسميه قانون الدولة وهكذا لم يعترض أحد ولم يهنه أحد .	القرآن[١] ، (اعتراضات فاشلة والحمد لله ؛ لأنه لا توجد به عيوب ـ ـ تمزيق وإهانة من أعداد الإنسانية) .
مكانته	من حق أي فرد أن يرفعه ويدافع عنه ويُحاكم إذا أساء إليه ولا يعترض أحد .	يرفعه المسلم ويهتف ليل نهار القرآن دستورنا . . إذا رفعه المسلم قالوا تخلف ورجعية ـ وإذا دافع عنه قالوا إرهاب ـ ويجيزون أكثر الناس إساءة إلىٰ القرآن .

تأكد إذن أن الإسلام دين ودولة ـ مصحف وسيف ـ الدولة الإسلامية قانونها وتشريعها من القرآن ولا بد للدولة من سيف يدافع عنها ويحميها ، والعجيب أن كل دولة لها ترسانة سلاح برية وبحرية وجوية ، ولا أحد يعترض فكل دولة حرة ، ولكن مجرد ظهور رمز السلاح في شعار الأمة المسلمة في نظر هؤلاء خطورة وتهور ، والله طالبنا بإعداد القوة لتبقىٰ الحقيقة أن المستقبل لهذا الدين : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٢١) .

---

(١) له أسماء كثيرة ، راجع علوم القرآن الباب الثاني من هذه الموسوعة .

المبحث الرابع

من فقه الدولة في الإسلام (١)

يقول د.القرضاوي: اتفق العلمانيون على حرمان الإسلام من إقامة دولة له، ولفقوا من أجل ذلك مزاعم حول طبيعة هذه الدولة المرجوة، وتقولوا عليها الأقاويل، وصوروها تصويراً مليئاً بالأخيلة والتهاويل.

قالوا: إنها دولة (دينية)، ويعنون بالدينية: أنها دولة كهنوتية، تتحكم في أهل الأرض باسم السماء، وتتحكم في دنيا الناس باسم الله، ويدعون أن (حاكمية الله) التي قال بها داعيان كبيران من دعاة العصر: أبو الأعلى المودودي في باكستان، وسيد قطب في مصر: توجب أن تكون هذه الدولة دينية، كذلك الكنيسة الأوروبية فيما سمى: (العصور الوسطى).

وهذه الدولة في رأيهم: إنما يملك زمامها (رجال الدين) الذين ليس لأحد غيرهم أن يفسر الدين أو يصدر الأحكام، وهم يفسرون الدين من منطلق الجمود والأفق الضيق، ويرجعون إلى الأوراق القديمة، ولا ينظرون إلى الآفاق الجديدة.

وهذه كلها دعاوى ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها برهان.

فالحق ان الدولة الإسلامية: دولة مدنية، ككل الدول المدنية لا يميزها عن غيرها إلا أن مرجعيتها الشريعة الإسلامية.

ومعنى (مدنية الدولة): أنها تقوم على أساس اختيار القوى الأمين، المؤهل للقيادة، الجامع لشروطها، يختاره بكل حرية: أهل الحل والعقد، كما تقوم على البيعة العامة من الأمة، وعلى وجوب الشورى بعد ذلك، ونزول الأمير أو الإمام على رأي الأمة، أو مجلس شوراها، كما تقوم على مسؤولية الحاكم أمام الأمة، وحق كل فرد في الرعية أن ينصح له، ويشير عليه، ويأمره بالمعروف وينهاه عن

(١) هذا المبحث من كتاب فقه الدولة في الإسلام، د. القرضاوي، طبعة دار الشروق عام ٢٠٠٦م.

المنكر، بل يعتبر الإسلام ذلك فرض كفاية على الأمة، وقد يصبح فرض عين على المسلم، إذا قدر عليه، وعجز غيره عنه، أو تقاعس عن أدائه.

إن الإمام أو الحاكم في الإسلام مجرد فرد عادي من الناس، ليس له عصمة ولا قداسة، **وكما قال الخليفة الأول:** «إني وليت عليكم ولست بخيركم»[(١)]. **وكما قال عمر ابن عبدالعزيز:** «إنما أنا واحد منكم، غير أن الله تعالى جعلني أثقلكم حملا»[(٢)].

هذا الحاكم في الإسلام مقيد غير مطلق هناك شريعة تحكمه وقيم توجهه وأحكام تقيده وهي أحكام لم يضعها هو ولا حزبه أو حاشيته، بل وضعها له ولغيره من المكلفين: رب الناس ملك الناس إله الناس ولا يستطيع هو ولا غيره من الناس أن يلغوا هذه الأحكام ولا أن يُجمدوها ولا أن يأخذوا منها ويدعوا بأهوائهم: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾** (الأحزاب: ٣٦).

وهناك أمة هي التي اختارت هذا الحاكم، وهي التي تحاسبه، وتقومه إذا إعوج وتعزله إذا أصر على عوجه ومن حق أي فرد فيها أن يرفض طاعته إذا أمر بأمر فيه معصية بينة لله تعالى، بل من واجبه أن يفعل ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[(٣)].

والقرآن الكريم حين ذكر بيعة النساء للنبي ﷺ، وفيها طاعة النبي ﷺ وعدم معصيته، قيد ذلك بقوله: **﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾** (المُمتحنة: ١٢).

هذا وهو المعصوم المؤيد بالوحي، فغيره أولى أن تكون طاعته مقيدة.

---

(١) جزء من خطبة أبي بكر.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣٤٠، والدارمي في المقدمة ٤٣٣، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٢٩٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٦٤.

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير ٢٩٥٥، ومسلم، إمارة ١٨٣٩.

ولم نر أحداً من الخلفاء في تاريخ الإسلام، أضفىٰ علىٰ نفسه أو أضفىٰ عليه المسلمون: نوعاً من القداسة بحيث لا ينقد ولا يقوم ولا يؤمر ولا ينهىٰ.

بل تراهم جراوا الناس على ان ينصحوهم ويقوموهم كما قال **ابو بكر في اول خطبة له:** «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»[١].

وكان عمر يقول: «مرحباً بالناصح غدواً وعشياً»، وقال قولته المعروفة: «من رأىٰ منكم فيَّ اعوجاجاً فليقومني»[٢].

أتمثل هذه الدولة، وهذا منهاجها، وهؤلاء أفرادها ـ دولة دينية تحكم بالحق الإلهي؟

أم هي دولة يحكمها بشر غير معصومين تقيدهم شريعة الله وتراقبهم الأمة وتحاسبهم تعتبرهم أُجَراء عندها؟

وقولنا: إن الدولة الإسلامية دولة مدنية، قاله من قبلنا الإمام محمد عبده في رده الشهير علىٰ فرح أنطون في كتابه الأصيل المعروف: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.

قال الأستاذ الإمام: إن الإسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية التي عرفتها أوروبا فليس في الإسلام سلطة دينية سوىٰ سلطة الموعظة الحسنة، والدعوة إلىٰ الخير، والتنفير من الشر وهي سلطة خولها الله لكل المسلمين أدناهم وأعلاهم، والأمة هي التي تولي الحاكم، وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي تخلعه متىٰ رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة، عند المسلمين بما يسميه الأفرنج (ثيوكرتيك) أي سلطاناً إلهياً، فليس للخليفة بل ولا للقاضي أو المفتي أو شيخ الإسلام أدنىٰ سلطة علىٰ العقائد وتحرير الأحكام وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قدرها

---

(١) جزء من خطبة أبو بكر .

(٢) رواه الطبراني في التاريخ ٢/ ٥٧٩ .

الشرع الإسلامي فليس في الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه، بل إن قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من الأساس هو أصل من أجل أصول الإسلام[١].

لكن نفىٰ (الوصف الديني) أعني الكهنوتي والثيوقراطي والحكم بالحق الإلهي بواسطة طبقة بعينها لا يعني نفي (الوصف الإسلامي) عنها فهي دولة (مدنية) مرجعيتها الشريعة الإسلامية.

وذلك لأن الإسلام كما يقول الأستاذ الإمام: دين وشرع، فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق وصون نظام الجماعة والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر بل كان شأنه أن يحاسب قيصر علىٰ ما له، ويأخذ علىٰ يده في عمله فكان الإسلام، كمالاً للشخص، وألفه في البيت، ونظاماً للملك[٢].

وفي كل المذاهب الإسلامية ومذهب أهل السنة خاصة يرشح الشخص للمنصب: صفتان أساسيتان: القوة والأمانة، كما أشار إلىٰ ذلك القرآن: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ (القصص: ٢٦).

والقوة تعني: الكفاية والقدرة علىٰ أداء العمل بما لدىٰ الشخص من مواهب وثقافة وخبرة وقدرة فهذا يعني: الجانب العلمي والفني.

والأمانة تعني: الجانب الخلقي بحيث يخشىٰ الله في عمله، لا يغش ولايخون ولا يهمل ولا يتعدىٰ حدا من حدود الله ولا يجور علىٰ حق من حقوق الناس.

فهذا هو المطلوب في رجل الدولة المسلمة، قبل أي شيء آخر.

كلمة نيرة للشيخ الغزالي:

وتعجبني كلمات قالها شيخنا محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ حين كان يرد علىٰ الشيخ خالد محمد خالد تحت عنوان (شبهات حول الحكم الديني): أحببت أن

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، جـ١، ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق.

أسجلها لما فيها من روعة البيان وقوة الحجة، قال ـ رحمه الله ـ يقع الوهم أن الحكم الديني إذا أقيم فسيكون رجاله هم أنفسهم أولئك الذين نسميهم الآن (رجال الدين) وقد تثبت في الخيال صور لعمائم كبيرة ولحى موفورة وأردية فضفاضة.

وقد تتوارد هذه الصور وملابساتها الساخرة فنظن أن الوزراء في هذه الحكومة سيديرون عجلة الحياة إلى الوراء وينشغلون بأمور لا تمت إلى حقائق الدنيا وشئون العمران بصلة.

ومن يدري؟

فقد يشتغلون بالوعظ ومحاربة البدع والاستعداد للحياة الآخرة.

وحسبهم ذلك من الظفر بالحكم؟

وهذا وهم مضحك ولعله بالنسبة إلى الإسلام خطأ شائن.

فنحن لا نعرف نظاماً من الكهنوت يحمل هذا الاصطلاح المريب (رجال الدين).

وقد يوجد فريق من الناس بنوع من الدراسات العلمية المتعلقة بالكتاب والسنة ولكن هذا النوع من الدراسات لا يعدو أن يكون ناحية محدودة من آفاق الثقافة الإسلامية الواسعة، تلك الثقافة التي تشغل فنوناً لا آخر لها من حقائق الحياتين ومن المعرفة المادية وغير المادية.

والعلماء بالكتاب والسنة يمثلون فريقاً من المسلمين قد يكون مثل غيره أو دونه أو فوقه، ولم يكن التقدم الفقهي مُرشحاً للحكم في أزهى عصور الإسلام.

وقد كان أبو هريرة وابن عمر وابن مسعود من أعرف الصحابة بالكتاب والسنة ومن أكثرهم تحديثاً عن النبي ﷺ فهل كانت منزلتهم في بناء الأمة الإسلامية منزلة الخلفاء الأربعة أو منزلة ابن أبي وقاص، أو خالد بن الوليد، أو أبي عبيدة بن الجراح؟

الواقع إن المسلمين كافة رجال لدينهم أو ذلك ما يجب أن يكون والذي يخدم دينه في ميدان القتال أو السياسة أو الحكم أو الصناعة أو العلم هو لا ريب رجل لدينه لا غبار عليه.

وليس أحد أحق من أحد بهذا الوصف، ولا كان احتكاراً لطائفة دون أخرىٰ يوماً ما.

والصورة الصادقة للحكومة ـ كما يقيمها الإسلام ـ صورة رجال أحرار الضمائر والعقول يفنون أشخاصهم ومآربهم في سبيل دينهم وأمتهم.

صورة كفايات خارقة وثروات عريضة من بعد النظر ودقة الفهم وعظم الأمانة تسعد بها المبادئ والشعوب.

صورة أفراد لهم مهارة عبدالرحمن بن عوف في التجارة، وابن الوليد في القيادة، وابن الخطاب في الحكم، قد يولدون في أوساط مجهولة فلا تبرزهم إلا مواهبهم وملكاتهم في مناحي الدنيا وميادين العمل.

إن الحكم الديني ليس مجموعة من الدراويش والمتصوفة والمتنفعين في ظل الخرافات المقدسة، ويوم يكون كذلك فالإسلام منه برئ.

المبحث الخامس

مبادئ الدولة الإسلامية

١ ـ هدف الحكومة الإسلامية.

٢ ـ الشورىٰ .

٣ ـ العدل والإحسان.

٤ ـ مبادئ وأسلوب اختيار الحاكم.

٥ ـ مبادئ الحرب والسلام.

٦ ـ المبادئ العامة للسياسة الاجتماعية والتعليمية والخط السياسي.

٧ ـ دعائم الحكم الإسلامي.

٨ ـ معالم الدولة الإسلامية.

١ ـ هدف الحكومة الإسلامية :

يرىٰ القرآن أن هدف الحكومة هو إقامة القانون الإلهي، وتحقيق العدل، ونشر الخير، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ (الحج: ٤١).

أ ـ يعني أن صفات من يستحقون تأييد الله وعونه ونصرته أنهم إذا ما أُعطوا السلطة والحكم، نهجوا علىٰ إقامة الصلاة بدلاً من الفسق والفجور والكبر والغرور، وأنفقوا أموالهم في إيتاء الزكاة بدلاً من صرفها في الملذات والمتع، وكرسوا حكومتهم لخدمة وإعلاء شأن الخير لا تقويضه وذبحه والحط من قدره، واستخدموا سلطتهم في كف الشر وبتره والقضاء عليه لا في نشره وإشاعته.

فهذه الآية تبين وتقرر هدف الحكومة الإسلامية وخصائص عمالها وأولىٰ الأمر فيها، وفي مقدور أي عقل سليم أن يدرك من خلالها ما هية الحكومة

الإسلامية الحقيقية، ولا شك أن جعل هذه الأمة داعياً إلىٰ المعروف والخير والحق وتحقيقه وإنجازه في الإنسانية جمعاء علىٰ المستوىٰ الفردي والجماعي هو ما يشكل عظمتها وشرفها وامتيازها.

ب ـ قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وقال تعالىٰ أيضاً: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

هذا إعلان لإمامة وزعامة أمة محمد ﷺ، الأمة الوسط، هي أعلىٰ وأشرف جماعة تلك التي تقوم علىٰ طريق العدل والإنصاف والتوسط، ولها صفة الرئاسة وسط شعوب العالم. إن الفرد أو الجماعة التي يصدر إليها أمر من الله بأن تكون شاهداً من قبله علىٰ العالم لهي في الحقيقة جماعة عالية القدر رفيعة الدرجة في إمامة هذه الدنيا وزعامتها.

جـ ـ قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨).

إن انحراف أي شعب يبدأ بانحراف بعض أفراده، فإن كان ضمير الشعب الاجتماعي واعياً يقظاً قهر الرأي العام فيه هذه الشرذمة المنحرفة، ونجا الشعب جميعه من مهالك الانحراف والبوار، أما إن تساهل الناس وتهاونوا في أمر المخطئين، ولم يضربوا علىٰ أيديهم، وأعطوهم الحرية ليمارسوا أخطاءهم في كيان المجتمع، فإن نطاق الفساد ـ الذي كان قاصراً علىٰ دائرة محدودة تضم أفراداً قلائل ـ يتسع بالتدريج ليعم المجتمع بأسره وينتشر في دمه وعروقه، وهذا هو ما كان سبباً في انفراط عقد بني إسرائيل.

٢ ـ الشورى :

وضع القرآن الكريم للحكم الإسلامي أصولاً ثلاثة هي : الشورىٰ ـ العدالة ـ الطاعة لأولياء الأمر فيما أحب المؤمن وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإن الآيات الدالة علىٰ هذه الأصول ثابتة قائمة لا مجال للشك في دلالتها القوية القاطعة.

تعريف الشورى لغة : هي مراجعة الغير لمعرفة رأيه في أمر من الأمور، قال صاحب المصباح : أو شاورته في كذا : استشرته راجعته لأرىٰ رأيه فيه، فأشار عليَّ بكذا : أراني ما عنده فيه من المصلحة(١).

تعتبر الشورىٰ من الأصول التي جاء بها الإسلام وذلك؛ لأنها تعتبر أساس الحكم الصالح وهي السبيل التي تُبين الحق ومعرفة الأداء السليم والشورىٰ عنصر إيماني من عناصر الشخصية الإسلامية الحقة، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (الشورىٰ : ٣٨)(٢).

يقول الشيخ المودودي : تعد الشورىٰ في هذه الآية من أفضل صفات المؤمنين علىٰ حين جاءت الشورىٰ في سورة آل عمران بصيغة الأمر : ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ (آل عمران : ١٥٩)، وعلىٰ هذا فالشورىٰ من الدعامات الهامة التي يتأسس عليها طراز الحياة الإسلامية، أما إدارة دفة أمور المجتمع بلا شورىٰ ليست طريقة الجاهلية فحسب، بل هي خلاف صريح لقانون قرره الله وشرعه.

وتزداد أهمية الشورىٰ خطورة إذا كان الأمر يتعلق بحقوق الآخرين أو أمور مشتركة فلا يقضي فيها برأيه الفردي؛ لأن في ذلك تعظيماً للنفس واحتقاراً للآخرين، كما أن مسئوليتها جسيمة أمام الله تعالىٰ لحقوق الآخرين، ويزداد الأمر خطورة إذا كان الأمر في المسائل التي تتعلق بشعب بأكمله، إذ يُولي عليهم رئيس أو قائد برضاهم جميعاً، فيشاور في أمورهم أهل الرأي ممن يثق الشعب بهم ويبقىٰ

(١) المصباح المنير، مادة : شور .
(٢) مبادئ نظام الحكم والإدارة، د. محمد أنس قاسم، ص ٢١ .

قائداً رئيساً طالما أراده الشعب كذلك .

إن الإنسان المؤمن لا يرغب أو يحاول أن يكون رئيساً بالقوة والجبر أو أن يفرض نفسه على الشعب فرضاً، ثم يطلب منهم رضاهم كرهاً وغصباً، أو ألا يتشاور مع من أرادهم الشعب أن ينوبوا عنه برغبته وإرادته الحرة وينتقي هو بنفسه ممثلين يشيرون بما يرغبه، ويوافقون على كل أمر يتخذه، ولا يظهر ذلك إلا في النفس التي تلوثت بخراب الضمير والذمة .

إن من لا يتورع عن خداع الله والناس هو وحده الذي يحاول التمثيل والظهور أمام الناس بمظهر الديمقراطي الذي يطبق : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى : ٣٨) .

وتتطلب الشورى خمسة أمور [١] **:**

أولاً : أن ينال الناس الحرية الكاملة في التعبير عن آرائهم فإذا رأوا الخطأ عزلوا قادتهم وأولى أمرهم وولوا غيرهم؛ لأن تصريف أمور الناس مع سد أفواههم وتكبيلهم وتركهم دون علم بها لا يقبله إنسان يؤمن بالآية : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى : ٣٨) .

ثانياً : إن مسئولية تصريف أمور المجتمع لابد وأن تُلقى على كاهل من يتم تعيينه واختياره برضا الناس .

ثالثاً : أن يُختار للتشاور مع القائد أولئك الذين يحصلون على ثقة الشعب .

رابعاً : أن يشير هؤلاء الممثلون بما يمليه عليهم علمهم وإيمانهم وضميرهم وأن ينالوا حرية الرأى كاملة وإلا فسوف يشيرون بما يخالف ضميرهم وإيمانهم فلا مراعاة للمصلحة وينتهي بهم الأمر إلى الخيانة والغدر .

خامساً : التسليم بما يُجمع عليه أهل الشورى وأكثريتهم (سيأتي تفصيل هذه النقطة) .

---

(١) الحكومة الإسلامية، الشيخ المودودي، ص ١٠٦ .

لماذا أمر الله رسوله بالمشاورة مع أنه مؤيده وموفقه؟ [١] :

١ ـ لأن مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه إشعار لهم بعلو قدرهم وسمو منزلتهم، ويقتضي ذلك محبتهم له وإخلاصهم في طاعته.

٢ ـ علوم الخلق غير متناهية، ولا شك أن هناك مصالح صرح فيها النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»[٢]، وقال: «**ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم**»[٣]، وعند البخاري: «كان الأئمة بعد النبي ﷺ يشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلىٰ غيره اقتداءً بالنبي ﷺ»[٤].

٣ ـ أمر بالمشاورة ليقتدي به غيره من أمته.

٤ ـ أمر بالمشاورة خاصة بعد غزوة أحد ليدل علىٰ أنه ﷺ لم يبق في قلبه أثر من غزوة أحد، فلم يكن موافقاً علىٰ الخروج للعدو خارج المدينة، ولكنه نزل علىٰ الشورىٰ فحدثت الهزيمة.

٥ ـ أنه ﷺ إذا شاورهم اجتهد كل منهم في استخراج الوجه الأمثل في تلك الواقعة التي يتشاورون بشأنها.

هل الأمر بالمشاورة دال على وجوبها؟

قال تعالىٰ: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

---

(١) الشورىٰ والديمقراطية، د. محمد رأفت عثمان، ص ٦٨ ، طبعة وزارة الأوقاف.

(٢) رواه أحمد في المسند ج ٦/ ١٢٣ ، ورواه ابن ماجة، رهون ١٥ ، باب تلقيح النحل، حديث رقم ٢٤٧١ .

(٣) مصنف بن أبي شيبة ، جـ ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٤) البخاري، اعتصام ٢٨ .

نقل الإمام الفخر الرازي رأيين [١] :

١ ـ أن ظاهر الأمر الوجوب .

٢ ـ نقل رأي الشافعي أن الأمر في الآية محمول على الندب .

وأن الشافعي قال : هذا كقوله ﷺ : **«البكر تستأمر في نفسها»** [٢] . ولو أكرهها الأب على النكاح جاز ، لكن الأولى ذلك تطييباً لنفسها .

غير أن هذا الرأي للشافعي لم يسلم من معارضة فيرى الحنفية والأوزاعي والنووي وغيرهم أن الأب ليس من حقه أن يجبر ابنته البكر البالغة العاقلة على الزواج .

الرسول ﷺ يضرب المثل الأعلى في المشاورة:

نماذج من مشاوراته ﷺ :

١ ـ مشاورة الحباب بن المنذر يوم بدر حيث أخذ برأي الحباب .

٢ ـ المشاورة في أسرى بدر وفيها أخذ برأي أبي بكر .

٣ ـ مشاورة المسلمين في غزوة أحد وفيها أخذ برأي الشباب بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة ، وبالرغم من الرؤيا التي رآها النبي ﷺ .

٤ ـ مشاورته لأم سلمة في صلح الحديبية ونصيحتها له بأن يخرج ويذبح أولاً ، ونزوله على مشورتها ، حتى قال أبو هريرة : **«لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»** [٣] .

الرسول ﷺ يحث على الشورى :

قال ﷺ : **«ما ندم من استشار ، ولا خاب من استخار»** [٤] .

---

(١) مفاتيح الغيب ، الرازي ، جـ ٣ ، ص ٨٣ .

(٢) رواه البخاري ، حيل ١١ ، نكاح ٤١ ، إكراه ٣ ، ومسلم ، نكاح ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) السياسة الشرعية ، لابن تيمية ، ص ٧٥ ، والحديث رواه الترمذي ، جهاد ٣٤ .

(٤) تفسير القرطبي ، جـ٤ ، ص ٢٥١ ، والحديث أخرجه الطبراني في الصغير ، ومن طريقه=

وقال : «**ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي**»[١].

وعن عبد الله بن عباس قال : لما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ قال رسول الله ﷺ : «**أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً**»[٢].

انتهاج الخلفاء الأول مبدأ الشورى:

يقول ميمون بن مهران[٣] : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالىٰ فإن وجد فيه ما يقضي به قضىٰ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ فإن وجد ما يقضي به قضىٰ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضىٰ فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون قضىٰ بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ، جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم علىٰ شيء قضىٰ به، وكذلك كان يفعل عمر رضي الله عنهم.

كيف تتحقق الشورى[٤] **؟**

١ ـ لم يحدد الإسلام طريقة معينة للشورىٰ لا يصح سواها وإنما ترك ذلك للمسلمين أنفسهم يختارون ما يتناسب مع ظروفهم وعصرهم؛ لأن شريعة الله هي الخاتمة فهناك وجوه لا تتغير فيها المصلحة من عصر إلىٰ عصر كالديات والعقوبات علىٰ الجرائم (الحدود ـ وحقوق الأزواج والوصية).

=القضاعي من حديث عبدالقدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس به مرفوعاً، وفي المقاصد الحسنة، رقم ٩٥٤ .

(١) رواه القضاعي من حديث سليمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعاً، وفي المقاصد الحسنة رقم ٥٠٨ .

(٢) الخلافة، محمد رشيد رضا، ص ٣٠ .

(٣) إعلام الموقعين، لابن القيم، جـ١، ص ٦٢ .

(٤) الشورىٰ والديمقراطية، د. محمد رأفت عثمان، ص ٧١ طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

٢ ـ أما الأمور التي تتغير فيها وجوه المصلحة في التفاصيل من عصر إلىٰ عصر فإننا نجد دين الإسلام يبين فيها الأصل العام والقواعد العامة التي تنظم نواحي حياة الإنسان وأنشطته الاقتصادية، ومعاملات الناس، والسياسة والحكم والعلم والفكر والسلام والحرب وسائر مناحي حياة الإنسان، وحركته في المجتمع البشري.

٣ ـ تؤصل الشريعة قواعد عامة وتترك للناس لتحقيق ذلك حرية اختيار الصورة الملائمة لهم، فقد تحدث الشورىٰ بالانتخابات بالرغم من المحاذير الكثيرة علىٰ هذه الطريقة فهي ليست وسيلة مأمونة لما هو معروف .

من عيوب نظام الانتخابات :

١ ـ أن الأفراد الذين يذهبون لوضع أصواتهم في الانتخابات قليلون، فلا تُعبر النتيجة عن جزء من الحقيقة.

٢ ـ فساد الانتخابات في كثير من الأحوال، إما بالغش أو الخداع أو الإغراء بالرشاوي أو التزوير، حتىٰ ولو تمت انتخابات صحيحة فالأفراد يقعون تحت تأثير ما يحتاجه الحاكم.

وهناك صور كثيرة تتحقق بها الشورىٰ ، ومن الصور التي أرىٰ أنها مناسبة بأن يُختار أفراد من الصفوة وخيرة فضلاء الأمة مشهود لهم بالكفاءة والأمانة والفهم للدين، ولا يسعىٰ هو لهذا الأمر ولا يُختار لأي سبب سوىٰ كفاءته ليتكون منهم مجلس استشاري في جميع التخصصات وهذا المجلس له دستور يتحرك به من خلاله وهو القرآن وله هدف واضح قاله ربعي بن عامر لرستم : «نحن قومٌ ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد».

هل الشورىٰ ملزمة لرئيس الدولة ؟

إذا اجتمع مجلس الشورىٰ للنظر فيما يجب اتخاذه إزاء مسألة من المسائل فما هو السلوك الذي يسلكه رئيس الدولة بعد أن ظهرت أمامه آراء مجلس الشورىٰ؟

يجيب عن ذلك الإمام ابن تيمية فيقول [١] : «وإذا استشارهم فإن بيّن له بعضهم ما يجب اتباعه من كتاب الله أو سنة رسوله، أو إجماع المسلمين فعليه اتباع ذلك ولا طاعة لأحد في خلاف ذلك وإن كان عظيماً في الدين والدنيا قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ (النساء : ٥٩).

وإن كان أمراً قد تنازع فيه المسلمون فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه، ووجه رأيه فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ عمل به كما قال الله تعالى في الآية السابقة».

من النص السابق الذي اقتبسناه لابن تيمية نعلم بأن الرئيس أو الحاكم ملزم باتباع رأي من أشار عليه إذا بين المشير سند هذا الرأي من الكتاب أو السنة أو إجماع المسلمين، ولا يجوز لرئيس الدولة ولا لغيره أن يعدل عن مثل هذا الرأي، وأما الآراء التي لم يكن لها سند واضح من الكتاب أو السنة أو من إجماع المسلمين فعلى رئيس الدولة أن يتخير منها ما هو أقرب إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن هذا يتبين أن الحاكم في رأي ابن تيمية ليس ملزماً باتباع آراء المشيرين إلا في هذه الحدود المبينة فإذا لم يكن من هذه الآراء ما هو مستند إلى نص من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع المسلمين فإن ابن تيمية ـ كما علمنا ـ يرى أن لرئيس الدولة أن يخالف آراء المستشارين ويتبع ما هو في نظره متفقاً مع الأهداف العامة للإسلام محققاً للصالح العام حسب ما يمليه عليه دينه من غير أن يكون الدافع له إلى اختيار رأي بعينه غرضاً أو هوى في نفسه وإنما ينبغي أن يراعي في هذا الاختيار حق الله وحق الأمة.

هذا خلاصة راي ابن تيمية.

اما الرأي الثاني : أن رئيس الدولة مُلزم بإتباع ما يراه المستشارون، فيجب

---

(١) السياسة الشرعية، ص ٧٥، ٧٦، طبعة ١٣٣٢ هـ.

عليه أن ينفذ ما أجمعوا عليه أو قال به جمهورهم، وأرىٰ أن رئيس الدولة مُلزم باتباع رأي الشورىٰ وليس له أن يخالف أي وجه من وجوه المخالفة، ومستند هذا الرأي عندي ما يلي :

١ ـ التزم بالشورىٰ من هو خير منه وهو رسول الله ﷺ وهو مؤيد بالوحي.

٢ ـ رأي الجماعة أقوىٰ من رأي الفرد.

٣ ـ لم يخالف النبي ﷺ رأي الشورىٰ في غزوة أُحد بالرغم من الرؤيا التي رآها، أن الأفضل عدم الخروج.

ولذا أقول : إذا انعقدت الشورىٰ فلا مخالفة من أحد، ويجب علىٰ الجميع أن ينفذوا قرار الشورىٰ، وليس هذا وفقط، بل يجب علىٰ الجميع مؤيدين ومعارضين أن يدافعوا عن قرار الشورىٰ ويتحمسوا له ويتبنوه كأنهم لم يعارضوه من قبل.

والدليل علىٰ ذلك أن الجميع في غزوة أحد نهضوا للمعركة مؤيدين ومعارضين بعد الشورىٰ.

الرأي الثالث : هذا الرأي يرىٰ أن الضابط في ذلك ما تراه الأمة، فإن كانت قد جعلت الأمر إلىٰ رئيس الدولة مطلقاً وأعطته حق الانفراد بالرأي كان ذلك له، وإن كانت رأت أن رئيس الدولة ليس له أن يخالف أكثرية مجلس الشورىٰ كان من واجبه أن يتقيد بذلك؛ لأن رئيس الدولة نائب عن الأمة وواجبه أن يفعل كل ما يؤدي إلىٰ تحقيق مصلحة الأمة[١].

٣ ـ مبدأ العدل والإحسان :

١ ـ العدل في الأقوال، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

(١) الشورىٰ والديمقراطية، مصدر سابق، ص ٨٠.

٢ ـ العدل في الأحكام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨).

٣ ـ العدل في الشهادة طاعة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق : ٢).

٤ ـ العدل مع الصديق والعدو ـ قريب وبعيد ـ غني وفقير ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (مائدة : ٨).

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٩٠).

في هذه الآية المختصرة يأمر الله بثلاثة أشياء يتوقف عليها صلاح المجتمع الإنساني واستقامته ، وهي (الأول العدل ـ الثاني الإحسان ـ الثالث صلة الرحم).

الأول : هو العدل الذي يتركب من حقيقتين ثابتتين **أولاهما** : أن يتحقق التوازن والتناسب في الحقوق بين الناس ، **والثانية** : أن ينال كل ذي حق حقه بطريقة عادلة منصفة وليس معنى هذا تقسيم الحقوق مناصفة بين الإنسان والإنسان بالتساوي مما يختلف وأساس الفطرة .

فالعدل يقتضي في الحقيقة التوازن والتناسب لا المساواة التامة ، كما يتطلب ولا شك المساواة بين أفراد المجتمع في بعض الوجوه كحقوق المواطنة مثلاً[1] ، لكنه لا يتطلب المساواة في بعض الوجوه الأخرى ، كالمساواة الاجتماعية والأخلاقية بين الوالدين والأولاد ، أو المساواة في الأجور بين كبار الموظفين وصغارهم ؛ لأن

---

(١) سيأتي الحديث عن المواطنة .

المساواة التامة في هذه الأمور تخالف العدل وتجافيه، وتحقيق التوازن والتناسب يتطلب إعطاء كل إنسان حقوقه الاجتماعية والسياسية والقانونية والأخلاقية بأمانة تامـة.

الثـاني: هو الإحسـان ومعناه المعاملة الحسنة، والسلوك الكريم، والمشاركة الوجدانية، والتسامح وحسن الخلق والعفو، والاحترام المتبادل بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهذا شيء أكثر من الإنصاف، وتفوق أهميته في حياة المجتمع أهمية العدل، فإن كان العدل يقي المجتمع الآلام والأحقاد والمرارات فإن الإحسان يخلق فيه الألفة والعادات العظام والوئام.

قال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

ما علاقة الإحسان بإقامة الدولة؟

١ - **الإحسان في الدولة الإسلامية يحافظ على الميزانية العامة للدولة، فيمنع الاختلاس**، جاء الجندي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يحمل صندوقا من الذهب بعد المعركة، ووضعه أمام أمير المؤمنين ما اختلس منه جراماً واحداً رغم فقره وحاجته.

٢ - **الإحسان يمنع الاقتصاد في الدولة الإسلامية من الانهيار**، فيمنع الجندي في حرس الحدود أن يدخل من ناحيته جراماً من المخدرات.

٣ - **الإحسان يقلل التكاليف**، فتوفر هذه الملايين من جنود الأمن المركزي وما يتكلفه هؤلاء الجنود ومع ذلك فإن ظاهرة المخدرات تزداد خطورة من يوم إلى آخر.

٤ - **الإحسان يحافظ على القطاع العام**: فيوفر المراقبين على المقاولين والملاحظين على الموظفين ويعطي إنتاجا أجود وأعلى.

٥ - **الإحسان يمنع الجريمة**، ففي الدولة الإسلامية جاءت المرأة تطلب التطهر من الزنا وإقامة الحد عليها ولم يرها أحد وهي تزني، وفي الدولة الديمقراطية ملايين الحالات من الاغتصاب والزنا.

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الحديث الثاني في الأربعين النووية.

٦ - **الإحسان يحافظ على القطاع الخاص،** ففي الدولة الإسلامية منع الإحسان الراعي أن يأخذ شاة من القطيع ويقول لصاحب الأغنام أكلها الذئب!! وفي الدولة الديمقراطية انقطع التيار الكهربي ساعات قليلة فتم سرقة ٤٠٪ من المحال التجارية ولذلك يقول الأستاذ البنا رحمه الله : أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم على أرضكم.

٧ - **الإحسان في الدولة الإسلامية يضبط السوق التجاري ،** قال ﷺ: «من غشنا فليس منا»(١) . قالها النبي ﷺ لصاحب الطعام في السوق، وفي الدولة الديمقراطية مليارات الأوراق المالية المزورة والأمر يزداد سوءاً ولا يتوقف.

ولذا أقول : لو لم يكن الإحسان ديناً لكان خلقاً عظيماً يشعر صاحبه بالأمن والاستقرار والرضا النفسي عن سلوكه؛ لأنه ليس انتهازياً جباناً.

الثالث : هو صلة الرحم التي تعد صورة خاصة من صور الإحسان فيما يتعلق بذوي القربى وليس معناه أن يعامل الإنسان أقرباءه معاملة حسنة ويشاركهم حلو الحياة ومرها ويحميهم ويساعدهم في إطار الحدود الشرعية وكفى بل معناها أيضاً أن يؤدي الموسر حقوق ذوي قرباه من ماله كما يؤدي حقوق نفسه وأولاده فيه(٢).

يقول الشيخ المودودي : في مقابل هذه العناصر الخيرة الثلاثة ينهى الله عن ثلاثة شرور تدمر الأفراد من الناحية الشخصية والفردية وتحطم المجتمع كله من الناحية الجماعية :

١ - **الفحشاء** : وهي كل الأفعال المخجلة الفاضحة فكل سوء جد قبيح في ذاته فُحش : كالبخل والزنا والعري واللواط ونكاح المحرمات والسرقة وشرب المسكرات والتسول والسب والشتم وغيره، كما يعد القيام بالأفعال الفاضحة علانية على الملأ ونشر الآثام والشرور والمفاسد فحشاء كذلك، مثل الدعاية الكاذبة وتلفيق التهم والتشهير بالجرائم الخفية والقصص والمسرحيات والأفلام التي تدفع إلى

---

(١) رواه مسلم، إيمان ١٦٤ .

(٢) الحكومة الإسلامية، الشيخ المودودي، ص ١٠٧ .

البغاء وتساعد على الفساد، والصور العارية وتبرج النساء وهزهن الأعطاف والبطون، وإظهارهن مفاتن الأجساد وحركات الدلال والإغراء.

٢ـ **المنكر**: هو كل سوء يعرف كافة الناس أنه سوء ويسمونه دائماً سوءاً وتمنعه كل الشرائع الإلهية.

٣ـ **البغي**: ومعناه التجاوز عن الحد والتعدي على حقوق الآخرين سواء كانت حقوق الخالق أم حقوق المخلوق.

٤ ـ مبادئ وأساليب اختيار الحاكم في الإسلام: (انتخابات القيادات):

إن المبادئ التي يتم على أساسها انتخاب القيادات في الحكومة الإسلامية تخالف تماماً المبادئ التي تتبعها الحكومات الأخرى في هذا الصدد؛ لأن أساسها في الحكومة الإسلامية، الكفاءة والأمانة والدين والتقوى وحسن الخلق والسلوك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ (النساء: ٥٨)، ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢)** ﴾ (الشعراء)، يعني لا تطيعوا أمراءكم وحكامكم وقادتكم ممن يفسد نظام حياتكم في ظل قيادتهم ورئاستهم.

قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ (الكهف: ٢٨)، يعني لا تطيعوا قوله ولا تخضعوا له ولا تنفذوا رغبته ولا تتبعوه.

إن لفظ الطاعة في هذه الآية استخدم بمفهومه الواسع العريض.

أسلوب اختيار الحاكم في الإسلام:

ويعلمنا (اجتماع السقيفة) بعد وفاة الرسول ﷺ الحقائق التالية التي تحدد لنا أسلوب اختيار الحاكم في الإسلام:

أولاً : أنه ليس في الأحاديث الصحيحة المروية عن الرسول ﷺ نص على خلافة رجل بعده ولو وجد هذا النص لما استطاع أحد من المسلمين أن يخالفه .

ثانياً : إن النبي ﷺ لم يخصص الخلافة في قبيلة أو أسرة ولو عرف شي من ذلك لما أحجم أحد المجتمعين عن إعلانه .

ثالثاً : إن المسلمين كانوا مجمعين على ضرورة الخلافة .

رابعاً : إن المسلمين نظروا في قضية الخلافة إلى المصلحة العامة .

خامساً : إن المسلمين ـ في اجتماعهم الأول ـ عرفوا لقريش ـ عشيرة الرسول ﷺ ـ فضلها ، وأن العرب لا تنقاد إلا إليها فقبلوا أن تكون الخلافة فيها اعتماداً على حديث «**الأئمة من قريش**»(١) .

سادساً : أن المسلمين خافوا على أنفسهم الفرقة فأجمعوا على أن يكون لهم خليفة واحد ، يكون رمزاً لوحدتهم .

سابعاً : إن المسلمين أدركوا أن بقاء منصب الرئاسة شاغراً مدة طويلة فيه تعطيل لمصالح المسلمين وتهيئة للفتنة .

ثامناً : تدلنا الأحاديث التي دارت بين أصحابة على أنهم إنما بايعوا أبا بكر لسابقته في الإسلام وفضله وسنه وكان للسن شأنه الكبير .

تاسعاً : أن البيعة أخذت له من الحاضرين في المدينة ؛ لأن فيها جلة أصحاب الرأي(٢) .

أضف إلى ذلك أن الحاضرين كانوا يمثلون القبائل كلها ، وهذا يدل على أن الاختيار تم على أساس صحيح .

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٢٩ ، من حديث أنس بن مالك ، رقم الحديث ١٢٣١٥ .

(٢) د. عبد الحليم عويس ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٣ ، ربيع أول ١٤٢٨هـ ، إبريل ٢٠٠٧ ، ص٧٧

خلافة انتخابية : نموذج عملي

رشح عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق لخلافة النبي ﷺ فقبله أهل السقيفة وكانت لهم في الحقيقة صفة تمثيل البلاد بأكملها وبايعوه برضاهم ورغبتهم دون ضغط أو حرص أو طمع.

وقد أوصىٰ أبو بكر عند وفاته بالخلافة لعمر وجمع الناس في المسجد النبوي وقال: «أترضون بمن أستخلف عليكم فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة وإني قد استخلفتُ عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا»، فقال الناس: «سمعنا واطعنا».

وبينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحج في العام الأخير من حياته بلغه أن رجلاً قال: «لو مات أمير المؤمنين (عمر) لبايعتُ فلاناً، فإن بيعة أبي بكر كانت فلتة وتمت»[١]. فقال عمر: «إني لقائم في العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم».

ولذا ذكر هذه الحادثة في أول خطبة له بعد عودته إلىٰ المدينة، وروىٰ بالتفصيل أحداث يوم السقيفة والظروف الخاصة التي جعلته ينهض لمبايعة أبي بكر علىٰ الفور فقال: «وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوىٰ من مبايعة أبي بكر، فخشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم علىٰ ما نرضىٰ أو نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً علىٰ غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا».

وبمقتضىٰ هذه القاعدة التي شرحها في خطبته كوَّن مجلساً انتخابياً عند وفاته ليفصل في أمر الخلافة وقال: «من دعا إلىٰ إمارة نفسه بغير مشورة من المسلمين فاقتلوه»، ثم أصدر قراراً باستثناء ابنه من استحقاق الخلافة حتىٰ لا تصير منصباً وراثياً، وقد ضم ذلك المجلس الانتخابي ستة أشخاص رأىٰ عمر أنهم أكثر الناس تأثيراً وقبولاً.

---

(١) كان يشير إلىٰ أن عمر بن الخطاب قام فجأة في سقيفة بني ساعدة ورشح أبا بكر ومد يده وبايعه علىٰ الفور.

وفي نهاية الأمر قر قرار المجلس على إسناد اختيار الخليفة لأحد أعضائه وهو عبد الرحمن بن عوف، فتنقل بين الناس باحثاً عمن هو أكثر قبولاً لديهم حتى أنه سأل القوافل التي كانت عائدة من الحج، وانتهى من هذا الاستفتاء العام إلى أن أكثر الناس يميلون إلى عثمان بن عفان وعلى هذا تم انتخابه خليفة وبويع في مجلس عام.

وبعد استشهاد عثمان أراد بعض الناس تولية علي بن أبي طالب فقال لهم: «ليس ذلك إليكم إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الأمر».

ويروي الطبري أن علياً قال: «إن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين».

وعند وفاة علي رضي الله عنه سأله الناس أتبايع ابنك الحسن فرد عليهم: «لاآمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر».

وحينما أوصي أولاده آخر وصية سأله رجل: ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ فأجاب: «لا ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله ﷺ».

يتضح من هذه الوقائع أن الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ كانوا يرون الخلافة منصباً انتخابياً لا يُفصل فيه إلا بمشورة المسلمين فيما بينهم ورضاهم التام، أما الوراثة أو الوثوب إلى السلطة عنوة فلم يكن لديهم أمراً صواباً مستقيماً(١).

كيف تُجرى الانتخابات في الإسلام؟

١ - الإسلام وضع أسس وقواعد ومبادئ وتشريعات عامة.

٢ - ترك الكيفية والهيئة في التنفيذ حسب الظروف والأحوال إلا إذا اقتضى الأمر هيئة معينة أو كيفية محددة فإنه يحدد ذلك حسب الاستطاعة أيضاً فالصلاة قائماً - فإن لم يستطع فجالساً وهكذا...

---

(١) الحكومة الإسلامية، المودودي، ص ٢٢٣، ٢٣٤.

خذ مثلاً لذلك في الطعام أو الشراب : وضع الإسلام ضوابطاً وأسساً وتشريعات من أهمها لا تأكل من حرام[١]، وحذر من الشبع، أما بعد ذلك تأكل على السفرة أم على الأرض، أم تأكل بيدك أو بالملعقة، فهذه كلها هيئات وكيفيات تختلف زماناً ومكاناً وأفراداً.

ومما تقدم نقول : إن المهم في الانتخابات مراعاة الأسس في الاختيار[٢] على أي أسس سنختار هذا المرشح ـ أما الكيفية : في حضور الناس فإنها تختلف حسب الحال فقد يكون الناس قِلة (كما في سقيفة بني ساعدة) فيحضروا ويكون الاقتراع علناً طالما أن الحضور يمثل كل القبائل، أو يكون في لجان انتخابية أو يكون من خلال الإنترنت، أو يكون في صناديق زجاجية أو خشبية أو حتى بلاستيكية، المهم كما ذكرت ضوابط وأسس سير هذه العملية الانتخابية.

٥ ـ مبادئ الحرب والسلام [٣] :

علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول تكون على حالتين :

الحالة الأولى : حالة السلم والوئام، وهذه هي الحالة الطبيعية الأصلية.

الحالة الثانية : حالة الحرب والخصام.

ولما كانت الحالة الثانية واردة كان من أسس الحكومة الإسلامية أن تكون سليمة متينة من كل ناحية فكما أنها قوية متكاملة من الناحية الاجتماعية لابد وأن تكون كذلك من الناحية العسكرية؛ لأن أداءها لما تحمله من مسئولية لا يتم دون قوة دفاعية : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٦٠).

---

(١) راجع من هذه الموسوعة تحري الحلال واجتناب الحرام.

(٢) ذكرنا مبادئ وأسس اختيار الحاكم في الإسلام.

(٣) ذكرنا بعضاً من هذه المبادئ في موضوع العدالة في بداية هذا الباب.

وهذا معناه حتمية امتلاك معدات القتال وأن يكون الجيش مستعداً دائماً ومجهزاً ومعداً لخوض القتال في أي وقت(١).

أسباب الحرب في الإسلام (٢) :

حصر الإسلام أسباب الحرب المعقولة، وضيق من دائرتها تضييقاً يتناسب مع كونها ضرورة من الضرورات، وهذه الأسباب هي :

١ - دفع الظلم والعدوان وتقليم أظافر الطغيان وكبح جماح المفسدين : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (المائدة: ٣٣)، والمراد بحرب الله ورسوله الحرب ضد نظام الحكم الصالح الذي تقيمه الحكومة الإسلامية في البلاد.

٢ - إقرار حرية التدين : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (التوبة: ٣٦).

٣ - الدفاع عن الأوطان : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)** ﴾ (الحج).

وأساس الدستور العام في ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (الممتحنة: ٩).

---

(١) الحكومة الإسلامية، المودودي، ص ١١١ .

(٢) نظرات إسلامية، الشيخ شلتوت، شيخ الأزهر، هدية الأزهر، ربيع آخر عام ١٤٢٢ هـ .

حروب يرفضها الإسلام:

أسباب الحروب في تاريخ البشرية :

أ ـ الغيرة والمنافسة بين القبائل والعشائر .

ب ـ العدوان .

جـ ـ الجهاد .

د ـ حروب الدول مع الخارجين عليها .

يرفض الإسلام حرب البغي والفتنة وهي الصنفان الأولان، أما الحرب التي لها رسالة إنسانية ومهمة علاجية فمشروعة كالجهاد وما بعده[1] .

دستور الحرب: أخلاقيات الحرب في الإسلام :

وضع الإسلام للحرب نفسها نظاماً تشريعياً مفصلاً قوامه العدل والرحمة واحترام الحقوق، والغيرة على الإنسانية، وهذا النظام منه ما يسبق الحرب، ومنه مايكون في أثنائها، ومنه ما يكون في نهايتها .

أولاً : الدستور الذي يسبق الحرب :

يقرر الإسلام أنه لا يصح بدء الحرب إلا بعد أن تتحقق روح العداء للمسلمين وعلى المسلمين إذا تحققوا من ذلك أن يبلغوهم الدعوة . . . هو في العرف الدولي الآن الإنذار النهائي كما في حديث النبي ﷺ لأحد قواده : «**إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث...**»[2] .

وقد قال الفقهاء : «إننا بهذه الدعوة نعلمهم أننا لا نقاتلهم على أخذ أموالهم وسبي عيالهم فربما يجيبون إلى المقصود من غير قتال، وقتالهم قبل الدعوة إثم يستوجب غضب الله» .

ولعل التاريخ لم ير منتصراً يعدل من نفسه كالمسلمين إذا نفذوا أحكام القرآن

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، طبعة دار الفكر .

(٢) رواه مسلم، باب الجهاد، رقم ٣ وغيره .

وأحكام السنة، وإنه يُرْوَىٰ في هذا أن **أهل صفد**[١] شكوا إلىٰ الحاكم المؤمن العادل عمر ابن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أن القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يخيرهم بين الدخول في الإسلام أو العهد أو القتال، بل قاتلهم من غير هذا التخيير، والعهد الذي كان موضع التخيير مع غيره هو الذي قد يسمىٰ في هذه الأيام ميثاق عدم الاعتداء وإن أوغل المسلمون في أراضيهم، ويتضمن منع ظلم الحكام لرعاياهم ولو اشترط ترك يد الحكام في ذلك لكان الشرط باطلاً؛ لأن الظلم حرام كيفما كانت صورة. . . هذه هي الشكوىٰ.

فأرسل الحاكم العادل الذي ينفذ أحكام الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ القاضي ليجلس ويستمع إلىٰ شكوىٰ أهل الإقليم، فإن تبين له أن قتيبة دخل ديارهم من غير تخيير، أمره أن يعود بجنده إلىٰ ثكناتهم ويخرج من الأرض التي فتحوها ثم يخيرهم بين الأمور الثلاثة السابقة.

وقد درس القاضي[٢] الموضوع فتبين صدق الشكوىٰ، فأمر الجند أن يخرجوا من الديار التي دخلوها ويعودوا إلىٰ معسكراتهم ثم يخير الناس بين عهد عادل، أو دخول في الإسلام، أو القتال.

ثانياً: النظام الذي يكون في أثناء الحرب:

يقول الشيخ شلتوت: لا يريد الإسلام من الحرب تنكيلاً ولا تخريباً ولا يرضىٰ للناس أن ينسوا فيها واجب الإنسانية من الرفق والرحمة ورعاية العدل والخوف من الله، وإنه ليأخذ المسلمين في أثناء الحرب بآداب لو رعتها الأمم لخففت من ويلات البشرية، وضمدت من جراحها.

وفي هذه الظروف التي جُن فيها جنون العالم نذكر شيئاً من تلك الآداب الإسلامية للحرب، ليعلم الناس أن هذا الدين دين الرحمة والرفق والعدل والصلاح:

---

(١) صفد، إقليم في سمرقند.

(٢) سيأتي تحقيق لذلك «موضوع الإسلام منهج حياة» في هذا الباب.

١ ـ الإسلام لا يجيز قتل المرأة ولا الصبي ولا الشيخ الفاني ولا المُقعد ولا الأعمىٰ ولا المعتوه ولا يجيز قتل أصحاب الصوامع ولا الزراع ولا الصناع الذين لا يقاتلون: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩٠)

٢ ـ ولا يجيز المُثلة ولا التحريق ولا قطع الأشجار ولا هدم البنيان إلا إذا بدأ بذلك العدو: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الشورىٰ: ٤٠).

٣ ـ ولا يجيز الإجهاز علىٰ الجرحىٰ، ولا التحريق بالنار، وفي وصاياه ﷺ لأحد قواده: «**لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولاتخرب عامراً، ولا تعقر شاة إلا لمأكلة، ولا تفرقن نخلاً ولا تحرقه**»[١]. وفي الحديث أيضاً: «**وإن النار لا يعذب بها إلا الله**»[٢]. وفي الحديث: «**لا تقتلوا الذرية في الحرب**» فقالوا: يا رسول الله، أليسوا أولاد المشركين؟ فقال: «**أوليس خياركم أولاد المشركين**»[٣].

٤ ـ يقرر الإسلام عدم محاربة غير المحاربين، كما لا يجوز تجويع الأمة المحاربة ولا منع المواد الضرورية للحياة عنها، وإن كان يبيح ذلك بالنسبة للجيش المحارب، وعلىٰ هذا لا يجيز الإسلام الحصار الاقتصادي للدول.

٥ ـ ومن نُظم الإسلام في أثناء الحرب الدالة علىٰ السماحة أنه يبيح لأفراد وجماعات من الدول المحاربة أن تتصل بالمسلمين وتقيم في ديارهم وتزاول أنواع من المعاملات التجارية وغيرها في عصمة ما يعرف في التشريع الإسلامي باسم الأمان، ويقرر عصمة المستأمنين وعلىٰ المسلمين حمايتهم في أنفسهم وفي أموالهم بحيث لا يكونوا مصدر فتنة بقوة لهم أو منعة ولا يمكنون من التجسس علىٰ المسلمين

---

(١) رواه ابن عساكر ١/ ٩٥ .

(٢) البخاري: ٤/ ٦٠، ٧٥ .

(٣) تاريخ الطبراني ١/ ٦١، وابن حبان ١٦٥٨ .

والأصل في ذلك مبدأ لا يعرف له مثال حتىٰ في الأمم التي تقول أنها متحضرة: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٦)، وعلىٰ المسلمين أن يحتاطوا لأنفسهم ودينهم ودولتهم.

٦ ـ ومن تقاليد الإسلام في أثناء الحرب رعاية الرسل الذين يقومون بالسفارة، ومن أروع ما يروىٰ في ذلك ما يرويه أبو رافع، إذ يقول: بعثتني قريش إلىٰ النبي ﷺ فأتيته فوقع الإسلام في قلبي فرأيت ألا أعود إليهم فقلت: يا رسول الله لا أرجع إليهم، فقال: «**إنني لا أخيس العهد، ولا أحتبس البرد، ارجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع إلينا**»(١).

٧ ـ ومن تشريع الإسلام في أثناء الحرب قاعدة معاملة الأسرىٰ، فلقد قال النبي ﷺ في الأسير: «**أحسنوا إساره**»، وقال: «**اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه**»، وجعل القرآن تكريم الأسرىٰ من البر(٢): ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ⑨ ﴾ (الإنسان)، وشرع الإسلام للأسير الفداء بالمال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد: ٤).

٨ ـ شرع الإسلام تملك الغنائم علىٰ أساس من العدل والمساواة لمن حازها من المتحاربين المسلمين وغيرهم، ونذكر تلخيصاً لحالة الحياة في الدولة الإسلامية أثناء الحرب وغيرها من الدول في أثناء السلم، وليس ذلك من قبيل المقارنة ولكن من قبيل تثبيت الحقائق؛ لأن المقارنة تقتضي أن تكون أطراف المقارنة في حالة واحدة، ولكن الذي نذكره حالتين مختلفتين، فالدولة الإسلامية نذكرها في حالة الحرب وغيرها في حالة السلم.

---

(١) أبو داود، جهاد ١٥١، وأحمد في المسند٦ ٨ .

(٢) عندما وقع ثمامة ابن أثال أسيراً في أيدي المسلمين جاؤوا به إلىٰ النبي ﷺ فقال: «أحسنوا إساره»، راجع فقه السنة جـ٣، ص ٨٧ معاملة الأسرىٰ.

واقع الدولة الإسلامية في حالة الحرب	واقع الدول غير الإسلامية في حالة السلم
العدالة : شعارها في الحرب كما حدث من أهل صفد.	الظلم شعارها الدائم ـ تفرقة عنصرية بين الأبيض والأسود، الربا مباح إلا بينهم (أخوك الإسرائيلي لا تقرض بالربا)(١).
الأسير : يأكل ويشرب ـ القرآن يحث على ذلك ـ والسنة تحث كذلك. إن صلاح الدين رحم نصارى القدس، فلم يمسهم بأذى، وهو الذي أمد فيليب وقلب الأسد(٢) بالمرطبات والأزواد في أثناء مرضهما.	العقوبات الاقتصادية تُفرض على الشعوب تجويعاً بالقرارات بعد انتهاء معركة العاشر من رمضان ـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م مع اليهود صفوا الأسرى المصريين على الأرض وسارت عليهم الدبابات ذهاباً وإياباً
الأطفال : منع قتل الأطفال والشيوخ.	من الذي أطلق النار على الطفلة إيمان حجو الفلسطينية وعمرها أربعة أشهر؟ ونصف مليون طفل مشرد.
المرأة : ممنوع قتلها أو إهانتها (رأى النبي امرأة قتيلة في غزوة فأنكر وقال: **«ما كانت هذه لتقاتل»**(٣).	من الذي يغتصب النساء في الشوارع ويشردهن؟
المستأمن : من الدولة المحاربة (بعقد الأمان) معصوم النفس والمال وعلى المسلمين حمايتهم.	مصادرة الأموال وتأميم الشركات من الذي صادر أموال المهندس / يوسف ندا وغيره الكثير ومن الذي قتل د. المشد عالم الذرة ود. مشرفة .

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ أبو زهرة، جـ٣، ص ٧ .
(٢) وقد سجّل التاريخ أن صلاح الدين عندما كان يحارب الصليبيين قد أسر عدداً ضخماً من جيوش الفرنجة ولكن لم يجد عنده طعام يكفيهم، فأطلق سراحهم جميعاً، ولم تكاتفوا وكونوا من أنفسهم جيشاً ليقاتله رحب بذلك، ورأى أن يقتلهم في الميدان محاربين، ولايقتلهم في الأسر جائعين، «راجع نظرية الحرب في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٥٧٢).
(٣) رواه مسلم ، الجهاد والسير ٢٤، ٢٥ .

واقع الدول غير الإسلامية في حالة السلم	واقع الدولة الإسلامية في حالة الحرب
هدم المساجد وتحويلها إلى متاحف وغيرها من الذي هدم المسجد البابري بالهند ومن الذي أطلق النار على المصلين في المسجد الأقصى	دور العبادة : لا يجوز قتل أصحاب الصوامع أو هدمها.
من الذي يحرق ويدمر شعب فلسطين الأعزل وشعب العراق ومن الذي ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما.	لا يجيز المُثلة والتحريق وقطع الأشجار للحديث : «**لا تمثلوا ولاتقتلوا وليداً**»[١].
من الذي ترك الإمام الشهيد حسن البنا ينزف في الشارع والمستشفى؟ ومن الذي أعدم سيد قطب وإخوانه شنقاً؟	لا يجيز الإجهاز على الجرحى.

أما الدول غير الإسلامية في حروبها لا دستور ولا قانون ولا شريعة تحكم[٢]، واسألوا نساء البوسنة والهرسك من الذي اغتصبهن ووضع أجنة الكلاب في أرحامهن؟ ومن الذي قتل الشيخ المقعد أحمد ياسين؟ . . فإذا كان واقعها في حالة السلم بهذا السوء وهذه الوحشية . . فماذا سيكون واقعها في حالة الحرب؟

أسلحة الدمار الشامل :

لقد تطورت أسلحة الحروب في العصر الحديث تطوراً مذهلاً وعرفت أنواع منها تدمر الحياة بكل مجالاتها فالأسلحة الجرثومية والذرية والنووية وغيرها من

---

(١) رواه البخاري، مظالم ٣٠، ذبائح ٢٥، مغازي ٣٦ .

(٢) يقول جوستاف لوبون : «كان أول ما بُدأ به **ريكارد** أنه قتل صبراً معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير مسلم سلموا أنفسهم إليه بعد أن أعطاهم عهداً على نفسه بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف هذا القتل والسلب. وكذلك فعل **نابليون** لما أسر طائفة كبيرة من أهل الشام عند إرادته فتح عكا، ولما لم يجد لهم قوتًا حصدهم جميعاً حصداً بمدافعه».
يقول جوستاف : «إن هناك هوة سحيقة بين تفكير الرجل المتمدين وعواطفه، وتفكير الرجل المتوحش ونزواته» (انظر : نظرية الحرب، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٧٢).

الأسلحة التي لا يسلم منها الأهداف المدنية والعسكرية فهي أسلحة للدمار الشامل للكائنات الحية كلها[١].

الحكم الشرعي في أسلحة الدمار الشامل :

الحيثيات:

أ ـ حيث إن هذه الأسلحة في يد غير مأمونة ولا ضمير عندها ولا وازع من دين أو أخلاق بل يد حمقاء متهورة.

ب ـ وحيث إن الله تعالىٰ ذم هذا الصنف من الناس الذي يسعىٰ إلىٰ تدمير الحياة كلها حرثها ونسلها فقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥). لذا يقف الإسلام من هذه الأسلحة موقفاً مناهضاً فهو يُحرمها؛ لأنها تدمر الحياة كل الحياة.

وأرىٰ أنه من الأفضل للعالم، بل والأوجب عليه أن يقوم بتدمير هذه الأسلحة تماماً وإفنائها من الأرض.

ما الحكم إذا استخدم العدو هذه الأسلحة ضدنا؟

إن رد الاعتداء يبيح للمسلمين إذا استخدم عدوهم تلك الأسلحة ضدهم أن يردوا عليه بمثل هذه الأسلحة؛ لأن الإسلام إنما يجازىٰ بالمثل ولا يجيز الزيادة عليه تخفيفاً لشر الحرب ولا يلجأ إليها إلا ليدافع عن نفسه.

هل يجب علينا إنتاج هذه الأسلحة وامتلاكها؟

يجب علينا إنتاجها وامتلاكها لأسباب منها:

١ ـ رد العدوان إذا اعُتدي علينا بها.

٢ ـ إحداث حالة التوازن في امتلاك هذه الأسلحة هو السبيل لتحقيق السلام العادل وإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

---

(١) رؤية إسلامية في القانون الدولي الإسلامي ، أ.د. محمد الدسوقي، طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، العدد ١٥٦ .

فإن لم يكن بين المسلمين وأعداءهم توازن في امتلاك هذه الأسلحة المدمرة فإن البغي يتطاول والظلم يتفاقم والباطل يسود وبذلك تفقد الأمة مكانتها وحريتها، بل قد تفقد وجودها وتاريخها كما يجرئ الآن بالنسبة لفلسطين.

ثالثاً : وسائل إنهاء الحرب :

يطلب الإسلام من المسلمين أن يدخلوا في السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (الأنفال: ٦١).

١ ـ عن طريق المفاوضات سواء بوساطة رُسل أو سفراء.

٢ ـ عن طريق المعاهدات، ومن أنواع هذه المعاهدات:

ـ ينشئ المعاهدات بقاءاً علىٰ حالة السلم الأصلي مثل عهد النبي ﷺ لأهل الكتاب لأول عهده في المدينة، ويعترف فيها بحرية العقيدة وحرية الرأي.

ـ ينشيء المعاهدات لتحالف الحربي بينه وبين غير المسلمين، مثل قوله ﷺ: «**ستصالحون الروم صلحاً تغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم**»(١)، وقد حارب النبي ﷺ قريشاً وفاءً بعهد خزاعة الذي حصل يوم الحديبية.

ـ وينشئ المعاهدات لإنهاء الحرب إنهاءً مؤقتاً (الهدنة) أو الموادعة كما في معاهدة الحديبية أو لإنهائها دائماً كما حصل مع أهل نجران علىٰ أن يكونوا تحت حماية المسلمين في مقابلة ارتضوها.

ـ وهناك نوع من المعاهدات يترك فيه للدولة المعاهدة استقلالها الداخلي تحت ظل من السيادة كما فعل معاوية في عهده للأرمن فقد ترك لهم حريتهم في بلادهم وأن يُعينوا أمراءهم وقضاتهم ورؤساءهم ويحتفظوا بتقاليدهم الدينية والعسكرية.

ـ الإسلام يترك للمسلمين تقدير المصلحة في كل نوع من هذه المعاهدات بشرط ألا تمس المعاهدة القانون الأساسي، ولا تتعارض مع شريعته العامة، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «**كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**»(٢).

---

(١) أبو داود، رقم ٢٧٦٧، والحاكم ٤/ ٤٢١، وابن ماجة ٤٠٨٩، وفي الزوائد: إسناده حسن.

(٢) النسائي، طلاق ٣٢، وأحمد ٢/ ٢١٣، وابن ماجة ٢٥٢١ .

ـ المبادئ التي قررها الإسلام مراعاة للعهود يحتم أن تكون مبنية على التراضي وحب السلام وإقرار الأمن والعدالة ويمقت العهود التي يكون أساسها القهر والغلبة وتحكيم القوة ويمقت الخداع والخيانة في العهود: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٨).

ـ أما دستور الوفاء بالعهود: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل: ٩١).

وقد بلغ من حرص الإسلام على الوفاء بالعهود أنه لم يبح للمسلمين أن ينصروا إخوانهم المقيمين في بلاد أعدائهم الذين لم يهاجروا منها على المعاهدين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٧٢).

مراحل الجهاد في الإسلام:

لقد لخص الإمام ابن القيم سياق الجهاد في الإسلام فقال (١): «أول ما أوحي إليه ربه تبارك وتعالى، أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾، فنبأه بقوله: ﴿اقْرَأْ﴾، وأرسله بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضع عشر سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أُذِنَ له في الهجرة، وأُذِنَ له في القتال، ثم أَمَرَهُ أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون

---

(١) مختصر زاد المعاد، فصل عقده باسم (فصل في ترتيب سياق هديه ﷺ مع الكفار والمنافقين من حين بُعِث إلى حين لقي الله عز وجل)، اختصار محمد بن عبدالوهاب، ص ١٣٦، طبعة دار الريان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة وأهل حرب، وأهل ذمة، فَأُمِرَ بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأُمِر أن يقاتل من نقض عهده.

ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها: فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم.

فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: **قسماً** أمره بقتالهم وهم الذي نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم، **وقسماً** لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم، **وقسماً** لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر فإذا انسلخت قاتلهم، فقاتل الناكث لعهده، وأجل من لا عهد له، أو من كان له عهد مطلق صار إلى أربعة أشهر، وأمره أن يتم للموفي بعهده إلى مدته، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية، فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة. ثم آلت حالة أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة.

والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب.

أما سيرته في **المنافقين** فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويَكِل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمر أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونُهِي أن يصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم، فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين».

وسائل الجهاد في الإسلام:

١ - **المحاربة بالنفس** : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ (محمد).

٢ - **الحراسة والمرابطة في الثغور والحدود** واستطلاع خطط الأعداء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، ويقول النبي ﷺ : «**رباط يوم في سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه من المنازل**»[١].

٣ - **اللسان** ، للحديث : «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**»[٢]؛ لأن الحرب تحتاج إلى الكلمة لإشعال حماس المحاربين والحملة على الأعداء والكشف عن باطلهم، وتبيان طغيانهم وعداوتهم، للحديث : «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[٣].

٤ - **المال** : يقول الله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٤١)، وللحديث: «**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**»[٤]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة يُرجع إليها في أبواب الجهاد.

٥ - **المقاطعة الاقتصادية** لإضعاف اقتصاد العدو وتقوية اقتصاد الأمة الإسلامية حتى لا تكون عالة على أعدائها[٥].

---

(١) انظر : كتاب الجهاد، د. أحمد الحوفي، ص ٤٥ .

(٢) رواه أحمد ٣/ ٤٥٦، ٤٦٠-٦/ ٣٨٧ .

(٣) المصدر السابق، د. أحمد الحوفي.

(٤) رواه البخاري، جهاد ٧٣، ومسلم، إمارة ١٦٣ .

(٥) راجع موضوع المقاطعة في الموسوعة .

٦ ـ المبادئ العامة للسياسة الاجتماعية والتعليمية والخط السياسي :

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء) .

هذه الآيات توضح عدة مبادئ رئيسية يريد الإسلام بناء صرح الحياة الإنسانية كله على أساسها ، هذه الدعامات والمبادئ يتأسس عليها المجتمع الإسلامي وتُعرف بأسس دولته الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية(١) .

ويقول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام) .

---

(١) راجع لبسط هذه الآيات كواقع طبق في الدولة الإسلامية ، الحكومة الإسلامية ، المودودي ، ص ١١٥ .

أما ما يتعلق بـ **سياسة الدولة التعليمية**[(١)] يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢).

أما ما يتعلق بـ **السياسة الداخلية والخارجية** يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال : ٧٢).

هذه الآية مادة هامة من مواد القانون الدستوري في الإسلام فهي تنص على أن (الولاية) لا تكون إلا بين المسلمين داخل دار الإسلام وهم : إما سكان أصليون، أو مهاجرون نزحوا إليها، أما بقية المسلمين الذين يعيشون خارج حدود الدولة الإسلامية فلا بد وأن تظل بيننا وبينهم أخوة دينية.

الولاية في اللغة تعني: الحماية والنصرة والعون والمساندة والصداقة والقرابة.

٧ـ دعائم الحكم الإسلامي[(٢)] :

الحكومة في الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الإسلامي فهي تقوم على مسئولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال.

مسئولية الحاكم :

فالحاكم مسئول بين يدي الله وبين الناس، وهو أجيرٌ لهم، وعامل لديهم، ورسول الله ﷺ يقول : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[(٣)].

---

(١) راجع النظام التعليمي في هذه الموسوعة .

(٢) مجموعة الرسائل، للإمام الشهيد حسن البنا، ص ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٣) رواه البخاري، جمعة ١١ ، جنائز ٣٢، استقراض ٢٠، وصايا ٩ ، عتق ١٧، ١٩، نكاح ٨١، ٩٠، أحكام ١، ومسلم، إمارة ٢٠ .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة صعد المنبر وقال: «أيها الناس، كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لي من بيت مالكم»، وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي أفضل وأعدل تفسير، بل هو وضع أساسه فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة، فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه.

وحدة الأمة :

والأمة الإسلامية واحدة؛ لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير إلى الكبير ومن الكبير إلى الصغير، وذلك هو المعبر عنه في عرف الإسلام ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(١)، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، وقال: «**إذا رأيتَ أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودع منها**»(٢)، وفي رواية: «**وبطن الأرض خير لهم من ظهرها**»، وقال ﷺ أيضاً: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»(٣).

ولا تكون الفرقة في الشئون الجوهرية في الأمة الإسلامية؛ لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الإسلام، معترف به من أبنائها جميعاً.

والخلاف في الفروع لا يضر ولا يوجب بغضاً ولا خصومة ولا حزبية، يدور معها الحكم كما تدور، ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه، وما لا نص فيه فقرار ولي الأمر يجمع الأمة عليه، ولا شيء بعد هذا.

---

(١) البخاري، إيمان ٤٢، ومسلم، إيمان ٩٥ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٦٣ ـ ١٩٠، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وفي الترغيب رقم ٣٣٦٣ .

(٣) رواه الترمذي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وفي الترغيب رقم ٣٣٤٦ .

احترام إرادة الأمة (١) :

« ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة وأن تشير عليه بما ترىٰ فيه الخير، وعليه أن يشاورها، وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ الصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

وأثنىٰ به علىٰ المؤمنين خيراً فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (الشورىٰ : ٣٨) .

ونصت علىٰ ذلك سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده : إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأي من المسلمين، واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم لينذبونهم إلىٰ ذلك ويحثونهم عليه .

يقول **أبو بكر** رضي الله عنه : «فإن رأيتموني علىٰ حق فأعينوني، وإن رأيتموني علىٰ باطل فسددوني، أو قوموني» .

ويقول **عمر بن الخطاب** : «من رأىٰ فيَّ اعوجاجاً فليقومه» .

والنظام الإسلامي في هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متىٰ تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحكم صالحاً بدونها، ومتىٰ طبقت تطبيقاً يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغي علىٰ بعض ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحي والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم، وإن في المحافظة عليها وصيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث (بالوعي القومي)، أو (النضج السياسي)، أو (التربية الوطنية)، أو نحو هذه المصطلحات الألفاظ، ومردها جميعاً إلىٰ حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه، إذ إن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه» .

---

(١) مجموعة الرسائل، للإمام حسن البنا ـ رحمه الله ، ص ٢٢٩ .

٨ـ معالم الدولة الإسلامية [١] :

وبذلك تتضح معالم الدولة الإسلامية، وتتلخص تلك المعالم فيما يلي :

١ ـ **هي دولة دستورية شرعية** : دستورها ثابت، والشرع هو قانونها، أما القول بأن آيات سورة المائدة الثلاث ٤٤، ٤٥، ٤٧ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤). نزلت في أهل الكتاب فمردود؛ لأن الآيات نزلت بألفاظ عامة، والقاعدة الحاكمة في هذا السياق أن (عموم اللفظ مقدم على خصوص السبب)، وعلى هذا فالإسلام لا يقر الدولة الدينية ولا العلمانية.

٢ ـ **الإسلام يقر ان دولته عالمية** لا نصرانية ولا إقليمية ولا تعترف بحدود، قوامها العقيدة الواحدة، والحاكم في هذه الدولة الدستورية خاضع للمراقبة والتوجيه والمشورة عليه، بل والعزل كذلك.

٣ ـ **دولة أساسها الشورى الملزمة بالأمر** : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وبالإخبار بها باعتبارها من صفات التأسيس[٢] للإيمان : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨).

وقد أوضحنا ضرورة اختيار الأمة لمن يحكمها، وأنه مسئول أمام من اختاره، الناخب في ظل الشريعة شاهد، ويشترط فيه ما يشترط في الشاهد من العدالة وحسن السيرة : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق: ٢)، ولا مجال فيها لكتمان الشهادة لأنه : ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، واجتماع السقيفة

---

(١) فقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، طبعة دار الشروق .

(٢) يقول د. القرضاوي في هذه النقطة: «والشورى تتوافق مع الديمقراطية الغربية في نقاط» وهذه الجملة لا أفضل ذكرها؛ لأن النظام الإسلامي نظام متفرد وسيأتي إيضاح ذلك في مبحث خاص به (الديمقراطية والإسلام).

خير نموذج لذلك وهو في صورته المصغرة التي تم بها هي لجنة اقتراع، ولكن لقلة العدد واجتماعهم في مكان واحد لم تكن هناك الحاجة إلى صناديق اقتراع أو بطاقات.

ولذلك أقول : إن من الروائع في فكر الحركة الإسلامية المعاصرة، ألا يرشح الفرد نفسه لأمور منها :

- حديث النبي ﷺ : «**يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أوتيتها على غير مسألة أعنت عليها**»(١).
- وللحديث : «**إنا والله لا نولي على عملنا هذا أحداً سأله أو حرص عليه**»(٢).
- وحتى لا يكون في ذلك تزكية للنفس ويتضح ذلك من كلام الصديق : «إني وُليت عليكم ولست بخيركم» إنه يقول: «وُليتُ عليكم» وكذا قال نحوه عمر بن الخطاب.

٤ - **وهي دولة هداية لا جباية :** ولا يهمها تحصيل الأموال وإنما يهمها هداية الإنسان.

٥ - **وهي دولة لحماية الضعفاء** وترعى الفقير وتأخذ حقه من الغني بنصوص ثابتة ومقررة ففي البخاري إقرار بأن النصر للأمة وجريان الرزق عليها إنما هو بضعفائها والدولة المسلمة تقرر الحاكم راعياً مسئولاً عن رعاية رعيته والعمل على توفير الضرورات والأمن وحمايتها مما يهددها.

٦ - **وهي دولة الحريات ورعاية الحقوق من مبدأ حرية الاعتقاد :** ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وتحقيق الكفاية والأمن المادي النفسي : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤** ﴾ (قريش)، إلى حرية التفكير الذي يعتبره الإسلام فريضة.

٧ - **وهي دولة مبادئ وأخلاق**، ترعى الفضائل والمكارم، تعترف بأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وتقرر الوفاء، وتثيب عليه، وتصون مال المسلم وغيره، وترعى حرمة النساء، وبراءة الأطفال، وعجز الشيوخ ولو في حرب ضد عدو، وآثار إنكار النبي ﷺ للمساس بمثل هذه الطوائف مشهورة متداولة.

---

(١) رواه البخاري، أحكام ٥، ٦، أيمان ١، كفارات ١٠، ومسلم، إمارة ١٣، إيمان ١٩.

(٢) البخاري، كتاب الأحكام، ومسلم، كتاب الإمارة.

المبحث السادس

معاملة غير المسلمين عامة وأهل الكتاب خاصة

١ - قواعد عامة في معاملة غير المسلمين :

١ - يحكم **الأوضاع الدينية** للأقليات[١] المبدأ القرآني العام : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٢ - يحكم **الأوضاع المدنية والأحوال الشخصية** للأقليات شريعة الإسلام إن هم تحاكموا إلينا : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة: ٤٢).

فإن لم يتحاكموا إلينا كان عليهم أن يتحاكوا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي عندهم لأصل إلهي: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٤٣)، ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧).

٢ - معاملة الدولة الإسلامية لمن يعيش في بلادهم من غير المسلمين:

وضع الإسلام أساساً صالحاً لتنظيم معاملة غير المسلمين الذين يقيمون في ديار الإسلام[٢]:

١ - اشتراكهم مع المسلمين في الحقوق والواجبات العامة.

٢ - تركهم وما يدينون من غير تحكم في عقائدهم ولا في كنائسهم ولا في طقوس

(١) حقوق الإنسان، الشيخ الغزالي، ص ١٧٧ .

(٢) نظرات إسلامية، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، هدية الأزهر، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ.

عباداتهم ما دامت على وجه لا يفتن المسلمين في دينهم.

٣ ـ جواز الرجوع بهم في مسائلهم الخاصة إلى حاكم منهم، وأن يحكم الحاكم المسلم بينهم بمقتضى ما يدينون به إلا إذا خالف أحكام الإسلام.

٤ ـ الإحسان إليهم في الروابط الاجتماعية العامة في حدود ما بين المسلمين بعضهم مع بعض.

٣ ـ فقه علاقة المسلم بغير المسلم:

إذا أردنا أن نجمل تعاليم الإسلام في معاملة المخالفين له ـ في صورة ما يحل وما يحرم ـ فحسبنا آيتان من كتاب الله جديرتان أن يكونا دستوراً جامعاً في هذا الشأن وهما قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)** ﴾ (الممتحنة).

فالآية الأولى لم ترغب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ـ أي أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين المسلمين ـ بل رغبت الآية في برهم والإحسان إليهم، والبر كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه، فهو أمر فوق العدل، وهي الكلمة التي يعبر بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم وذلك هو (بر) الوالدين.

وإنما قلنا: إن الآية رغبت في ذلك لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ والمؤمن يسعى دائماً إلى تحقيق ما يحبه الله، ولا ينفي معنى الترغيب والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ**﴾ فهذا التعبير قُصد به نفي ما كان عالقاً بالأذهان ـ وما لا يزال ـ أن المخالف في الدين لا يستحق براً ولا قسطاً، ولا مودة، ولا حسن عشرة، فبيَّن الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم، بل مع المحاربين لهم، العادين عليهم.

ويشبه هذا التعبير قوله تعالى في شأن الصفا والمروة ـ لما تحرج بعض الناس من

الطواف بهما لبعض ملابسات كانت في الجاهلية : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٥٨). فنفي الجناح لإزالة ذلك الوهم وإن كان الطواف بهما واجباً من شعائر الحج[1].

٤ ـ المخالفون وأحكامهم:

المخالفون في نظر الإسلام إما :

١ ـ محاربون .

٢ ـ معاهدون .

٣ ـ أهل كتاب : ـ عامة ـ أهل ذمة .

١ ـ المحاربون : هم الذين يهاجمون الأمة الإسلامية ، أو يتحفزون للهجوم عليها ، أو يمدون أيديهم إلى حق من حقوقهم ، وحكم الإسلام في هؤلاء أن يُدْفَعوا إذا هاجموا ، ويُبَادَرُوا بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، ويُقاوَمُوا إذا اعتدوا على الحق حتى يُنْصِفُوا ، فالإسلام يأذن في دفع المهاجم ، أو كف المناوئ مع رعاية جانب الرفق والأخذ بالعرف ، ومن الرفق الذي أقام الإسلام عليه سياسته الحربية ـ إضافة لما ذُكر آنفاً ـ لا يجوز قتل النساء وإن استعملن لحراسة الحصون أو رمين بنحو الحجارة كما في حديث مسلم : «**ما كانت هذه لتقاتل**» ، وإذا وضع المحاربون الأطفال والنساء أمامهم وجب الكف عن قتالهم ، إلا أن يتخذوا ذلك ذريعة للفوز علينا ونخشى أن تكون دائرة السوء على جندنا .

٢ ـ المعاهدون : هم الذين انعقد بيننا وبينهم عهد على السلم فيجب علينا الوفاء بعهدهم وأن نستقيم لهم ما استقاموا لنا والإسلام يُوجب في حال الخوف من خيانة المعاهدين أن ننبذ لهم العهد علناً ففي القرآن الكريم : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٨).

---

(١) الحلال والحرام ، د. القرضاوي ، ص ٢٩٠ .

٣ـ أهل الكتاب :

أ ـ عامة أهل الكتاب :

وإذا كان الإسلام لا ينهىٰ عن البر والإقساط إلىٰ مخالفيه من أي دين، ولو كانوا وثنيين مشركين ـ كمشركي العرب الذين نزلت في شأنهم الآيتان السالفتان ـ فإن الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، سواء أكانوا في دار الإسلام أم خارجها.

فالقرآن لا يناديهم إلا بـ: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ** ﴾، و﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ يشير بهذا إلىٰ أنهم في الأصل أهل دين سماوي، فبينهم وبين المسلم رحم وقربىٰ، تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به الله أنبياءه جميعاً، قال تعالىٰ: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ (الشورىٰ : ١٣).

والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبة، ورسل الله جميعاً، لا يتحقق إيمانهم إلا بهذا، قال تعالىٰ: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وأهل الكتاب إذا قرءوا القرآن يجدون الثناء علىٰ كتبهم ورسلهم وأنبيائهم، وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليتجنبوا المراء الذي يوغر الصدور ويثير العداوات، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقد رأينا كيف أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم، مع ما في الزواج من سكن ومودة، وفي هذا قال الله تعالىٰ: ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ**

حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥).

هذا في أهل **الكتاب عامة**[١]، أما **النصارى منهم خاصة**، فقد وضعهم القرآن موضعاً قريباً من قلوب المسلمين فقال: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (المائدة: ٨٢).

ب ـ أهل الذمة :

هذه الوصايا المذكورة تشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا، أما المقيمون في ظل دولة الإسلام منهم هم الذين يسمون في اصطلاح المسلمين باسم أهل الذمة.

الذمة معناها : العهد : وهي كلمة توحي بأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين وهؤلاء في التعبير الحديث (مواطنون)[٢] في الدولة الإسلامية، أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة فإن الإسلام يتركهم وما يدينون.

وقد شدد النبي ﷺ الوصية بأهل الذمة، وتوعد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة: «**من آذى ذمياً، فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[٣]. وقال أيضاً: «**من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة**»[٤]، وقال: «**من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً، بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة**»[٥].

---

(١) الحلال والحرام، د. القرضاوي، ص ٢٩١.

(٢) سيأتي تفصيل عن حقوق المواطنة.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

(٤) رواه الخطيب بإسناد حسن.

(٥) رواه أبو داود، إمارة ٣٣.

وقد جرىٰ خلفاء الرسول ﷺ علىٰ رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين، وأكد فقهاء الإسلام علىٰ اختلاف مذهبهم هذه الحقوق والحرمات.

قال الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي : إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمتنا وذمة الله تعالىٰ وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدىٰ عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم أو أي نوع من أنواع الأذية أو أعان علىٰ ذلك، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام»(١).

وقال ابن حزم الفقيه الظاهري : « إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلىٰ بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالىٰ، وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة»(٢).

٥ ـ تقرير المصير :

يقول الشيخ محمد ابو زهرة ـ رحمه الله ـ : إذا كانت حرية الآحاد مكفولة فإن حرية الجماعات أشد ضماناً، وإذا كان الآحاد يقررون مصيرهم في ظل الدولة أو الإسلام، فالدول تقرر مصيرها في ظل الله تعالىٰ والعدل والأمن والسلام.

وقد نهىٰ الإسلام المسلمين عن الخضوع للذل أينما كانوا، فقد نهاهم عن أن يقيموا في ظل من لا يرعون حريتهم الدينية ولا يمكنوهم من إقامة شعائرهم.

وبالنسبة لغير المسلمين، فإن المسلمين لم يرهقوهم ولم يظلموهم ولم يفسدوا عليهم أمورهم بأن يتركوهم ما تركوهم يقررون مصيرهم، وإذا توقع المسلمون اعتداء طلبوا إليهم أن يعاهدوهم أو يدخلوا في دينهم أو يقاتلوهم، وإن الذميين الذين عاهدهم المسلمون كانوا يتركون لهم الأمر إذا عجزوا عن حمايتهم أو الوفاء بعهدهم،

---

(١) من كتاب الفروق للقرافي .

(٢) من كتاب مراتب الإجماع لابن حزم .

وأنه يُروىٰ في ذلك أن ابا عبيدة عامر بن الجراح عند دخول الشام عاهد أهل حمص علىٰ أن يدافع عنهم في نظير مال يدفعونه لجيش المسلمين، وقد دفعوا المال، فلما تفشىٰ الطاعون في جيشه عجز عن الدفاع عنهم، فأرسل إليهم برد أموالهم لعجزه عن الدفاع عنهم فردوا المال إليه، وهبوا مع المسلمين لمقاتلة الرومان.

وكان من تقرير المصير أيضاً ما ذكرناه بين قتيبة بن مسلم وأهل صفد، والشعوب حرة في اختيارها من تنضم إليه ومن ترفضه، وكل تَدَخُّل في ذلك ضد الحرية وحرمان من حق الاختيار»[1].

٦ ـ موالاة غير المسلمين ومعناها :

يقول د. يوسف القرضاوي : ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر، أو يتردد على بعض الألسنة وهو : كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين، والقرآن نفسه ينهي عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)** ﴾ (المائدة)؟

والجواب : إن هذه الآيات ليست علىٰ إطلاقها، لا يشمل كل يهودي أو نصراني أو كافر، ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوص الأخرىٰ التي شرعت موادة أهل الخير والمعروف من أي دين كانوا، والتي أباحت مصاهرة أهل الكتاب، واتخاذ زوجة كتابية مع قوله تعالىٰ في الزوجية وآثارها : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الروم: ٢١)، وقال تعالىٰ في النصارىٰ : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ**

---

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة جـ٣، ص ١١٦، هدية مجلة الأزهر، المحرم عام ١٤٢٦ هـ .

عداوةً للَّذين آمنوا اليهود والَّذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مَّودَّةً للَّذين آمنوا الَّذين قالوا إنَّا نصارى ذلك بأنَّ منهم قسِّيسين ورهبانًا وأنَّهم لا يستكبرون ﴾ (المائدة: ٨٢).

إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام، محاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم ـ وهو معنى الموالاة ـ واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته، وقد وضحت ذلك آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتُّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيَّنَّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (١١٨) ها أنتم أولاء تحبُّونهم ولا يحبُّونكم وتؤمنون بالكتاب كلِّه وإذا لقوكم قالوا آمنَّا وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إنَّ اللَّه عليمٌ بذات الصُّدور (١١٩) ﴾ (آل عمران).

فهذه الآية تبين لنا صفات هؤلاء وأنهم يكنون العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم وقال الله تعالى: ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ اللَّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (المجادلة: ٢٢)، ومحادة الله ورسوله ليست مجرد الكفر وإنما هي مناصبة الإسلام والمسلمين العداء قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقِّ يخرجون الرَّسول وإيَّاكم أن تؤمنوا باللَّه ربِّكم إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرُّون إليهم بالمودَّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السَّبيل ﴾ (الممتحنة: ١).

فهذه الآية نزلت في موالاة مشركي مكة الذين حاربوا الله ورسوله وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فمثل هؤلاء الذين لا تجوز موالاتهم بحال، ومع هذا فالقرآن لم يقطع الرجاء في مصافاة هؤلاء، ولم يعلن اليأس البات منهم، بل أطمع المؤمنين في تغير الأحوال وصفاء النفوس فقال في السورة نفسها بعد آيات: ﴿ عسى اللَّه أن يجعل بينكم وبين الَّذين عاديتم منهم مَّودَّةً

وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة: ٧). وهذا التنبيه من القرآن الكريم كفيل أن يكفكف من حدة الخصومة وصرامة العداوة كما جاء في الحديث: «**أبغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[١].

وتتأكد حرمة الموالاة للأعداء إذا كانوا أقوياء، يرجون ويخشون فيسعى إلى موالاتهم المنافقون ومرضى القلوب يتخذون عندهم يداً، يرجون أن تنفعهم غداً كما قال تعالى: ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ (المائدة: ٥٢)، ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)** ﴾ (النساء).

٧ ـ استعانة المسلم بغير المسلم:

أولاً: استعانة المسلمين بالمشركين على المشركين:

١ ـ المانعون: ذهب بعض الفقهاء إلى المنع مستدلين بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان تذكر منه بدأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لاتبعك فأصيب معك، فقال له رسول الله: «**تؤمن بالله ورسوله**»، قال: لا، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**»، قالت: ثم قضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، فقال: لا، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**»، قال: فرجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «**تؤمن بالله ورسوله؟**»، قال: نعم، فقال له: «**فانطلق**»[٢].

نهى عمر بن الخطاب عماله عن الاستعانة بغير مسلم في ولاية أمور المسلمين[٣].

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، ورمز له السيوطي بعلامة الحسن وأوله «أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما» رواه البخاري، في الأدب المفرد عن علي موقوفاً.

(٢) رواه مسلم، جهاد ٩٨، وأحمد ٣/ ٤٥٤، وأبو داود، جهاد ١٤٢ .

(٣) روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري قال: قلتُ لعمر رضي الله عنه: =

وعن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: أتيت النبي ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي ولم نُسلم، فقلنا: إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، فقال: «أسلمتما؟»، فقلنا: لا، فقال: **«إنا لا نستعين بالمشركين»** فأسلمنا وشهدنا معه[1]، ولأنهم غير مأمونين فأشبه ذلك المخُذل والمرجف[2].

٢ - **المجيزون**: أجاز بعضهم الاستعانة بالمشركين على المشركين مستدلين بالحديث عن ذي مخبر قال: سمعت رسول الله يقول: **«ستصالحون الروم صلحاً وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم»**[3]. وعن الزهري أن النبي ﷺ **«استعان بناس من اليهود في خيبر في حربه فأسهم لهم»**[4].

وقد ثبت في دستور المدينة: **«وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصرة على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب»**[5].

ولكن الفقهاء الذين قالوا بالجواز وضعوا لذلك شروطاً دقيقة، فقالوا: يشترط لذلك:

١ - أن يكون المستعان به حسن الرأي في المسلمين.

٢ - أن تدعوا الحاجة إلى الاستعانة بهم.

٣ - وأن تكون الشوكة للمسلمين والقدرة لهم على إخراجهم إذا ساءت النيات.

=إنَّ لي كاتباً نصرانياً، قال: مالَك، قاتلك الله، أما سمعتَ الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة: ٥١)، ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته، وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ هانهم الله، ولا أعزهم إذا أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.. (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص ٥٠).

(١) رواه أحمد ٦/ ٦٨-١٤٩، وأبو داود، جهاد ١٤٢، وابن ماجة جهاد ٢٧، والدارمي، سير ٥٣

(٢) المغني مع الشرح ١٠/ ٤٥٧.

(٣) رواه أحمد ٤/ ٩١، ٥/ ٣٧٢، وأبو داود، جهاد ١٥٦، ملاحم ٢، وابن ماجة، فتن ٣٥.

(٤) رواه سعيد في سننه، وأبو داود في مراسيله.

(٥) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري ١/ ٢٧٥، وراجع بنود الصحيفة (دستور المدينة)، السيرة النبوية للصلابي، جـ١، ص ٣٩٥، بند ٣٧ من الوثيقة.

واقول : بهذه الشروط اقترب هذا القول من قول المانعين ، ولذا أرىٰ أن رأي المانعين أولىٰ وأقوىٰ، وذلك لقوة دليلهم من حيث النقل، ومن حيث الواقع الآن للأمة الإسلامية.

ثانياً : الاستعانة بالمشركين على المسلمين من أهل البغي:

اتجهت آراء الفقهاء إلىٰ الإجازة بشروط وإلىٰ المنع منعاً باتاً:

١ ـ **المانعون** : قال الشافعية والحنابلة: لا يجوز أن يستعان علىٰ المسلمين البغاة بحربي ولا بذمي ولا بمن يستحل قتالهم مدبرين؛ لأنه يحرم تسليط الكافر علىٰ المسلم واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿ **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ (النساء: ١٤١)، وقوله تعالىٰ: ﴿ **مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾ (الكهف: ٥١).

٢ ـ **المجيزون بشروط** : وأجازت طائفة الاستعانة بهم علىٰ أهل البغي بشروط، وإلىٰ هذا ذهب الحنفية والمالكية والظاهرية وقالوا:

- لا بأس بأن يستعان عليهم بأهل الحرب وبأهل الذمة وبأمثالهم من أهل البغي عند الضرورة والهلكة والاضطرار، ولم تكن لهم حيلة.
- إذا أيقنوا أنهم في استنصارهم لا يؤذون مسلماً ولا ذمياً في دم أو مال أم حرمة مما لا يحل.
- إذا كان أهل العدل هم الظاهرون علىٰ من يستيعنون بهم أي يكونوا داخلين تحت سيطرة المسلمين وحكم الإسلام هو الغالب والجاري عليهم، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»(١).

---

(١) البخاري، جهاد ١٨٢، قدر ٥، ومسلم، إيمان ١٧٨ .

٣- يقول د. يوسف القرضاوي : «لا بأس أن يستعين المسلمون حكاماً ورعية بغير المسلمين في الأمور الفنية التي لا تتصل بالدين من طب وصناعة وزراعة وغيرها، وإن كان الأجدر بالمسلمين أن يكتفوا في كل ذلك اكتفاءً ذاتياً[١].

تعقيب وترجيح في استعانة المسلمين بالمشركين، سواء كانت الاستعانة على المشركين أو على المسلمين من أهل البغي :

١ - هناك فرق بين أن تكون الأمة وليدة (في طور النشأة) وأن تكون الأمة ضعيفة:

الأمة الوليدة (في طور النشأة)	الأمة الضعيفة
١ - ليس لها ضوء ولا حرارة ومعروفة في دائرتها فقط .	معروفة في دائرة أكبر وسمع عنها سواء في قوتها أو ضعفها .
٢ - ليس لها رصيد خبرة في المجتمع الإنساني.	لها رصيد خبرة في المجتمع الإنساني ولها قدرة على تصريف الأمور ومعرفة النافع من الضار .
٣ - لا يُعلم لها نتيجة سواء نجاح أو فشل .	كان لها فترات رائعة من النجاح والرقي والتقدم وحضارة البشرية بل وسادت العالم قروناً .
٤ - لا زالت تمر بمرحلة النظرية والتجريب .	مرت بمرحلة النظرية وطبقت نُظمها على الواقع فسعدت الإنسانية .
٥ - عندما مات النبي ارتد كثير من الناس .	بالرغم من ضعف الأمة وتأخرها إلا أن الإقبال على الإسلام يزداد برغم المحن والشدائد التي تمر بها .

(١) الحلال والحرام، د. القرضاوي، ص ٢٩٥ .

من هذه النظرية يتضح أن الأمة الوليدة تحتاج لقوانين ومعاهدات وضوابط خاصة بمرحلتها، ولا يجوز تطبيق ذلك على الأمة الضعيفة، فمن علامات فشل التلميذ في المذاكرة كثرة البدايات، فكلما أمسك بالكتاب يبدأ من جديد ولا يستغل رصيده المعرفي والعلمي السابق، فالأمة الضعيفة تنهض بالبناء على قواعدها وأسسها السابقة، وعلامة فشلها أن تبدأ من جديد، فالأمة الإسلامية الآن مع ضعفها تُلام إذا استعانت بالأعداء، أما في الصدر الأول للدعوة فإنها لا تُلام للمقارنة التي ذكرتها.

٢ - المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ مع اليهود بالمدينة بعد الهجرة إليها ليكونوا يداً واحدة على من يغزوها.

نقول : إن هذه كانت سياسة حكيمة ولا يجوز قياسها على المعاهدات التي عُقدت مع اليهود من كامب ديفيد إلى الآن؛ لأنه قياس مع الفارق كما يقول الأصوليون.

الوضع الآن	الوضع في المدينة
اليهود يحتلون أرض الإسلام بل والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين .	اليهود كانوا موجودين في المدينة عند الهجرة.
القيادة في أيدي اليهود ولهم السيطرة كاملة على فلسطين.	القيادة في يد النبي ويطبق تعاليم الإسلام.
اليهود طردوا المسلمين من أرضهم وديارهم وشردوهم وقتلوهم.	النبي ﷺ لم يطردهم من المدينة طالما التزموا العهود.

ولذا أقول إن جميع المعاهدات التي عُقدت مع اليهود بعد إعلان براءة[١] سواء قبل ذلك أو في وقتنا هذا من كامب ديفيد إلى الوقت الحالي وما سيكون بعده كل هذه المعاهدات تقع باطلة ولا قيمة لها ولا يترتب عليها أي أثر ولا تُحترم وفاعلها من المسلمين آثم ومعاقب؛ لأنه خان الله ورسوله والمؤمنين : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة: ١٢٠).

٣ - **يقول الإمام الماوردي** : «إن المعاهدة هنا ليست مطلقة، بل هي خاصة إذا علمنا أن غير المسلمين يميلون لأعداء الإسلام بأي صورة من الصور، حُرم الاستعانة بهم على الإطلاق ولو أظهروا المعاونة والمظاهرة»[٢].

٤ - **تقول موسوعة الفقه الإسلامي الصادرة عن الكويت : عن حكم الاستعانة بغير المسلمين** : «بأنها لا تجوز في حالة أن المسلمين قلة وأعداؤهم كثرة؛ لأنهم لن يستطيعوا أن يقفوا أمامهم وجهاً لوجه إذا غدروا بهم».

٥ - **وأقول : إن المشركين والأسوأ منهم اليهود غير مأمونين :**

فالمشرك خان فطرته المسلمة وأشرك بالله تعالى، واليهودي والنصراني خانوا شريعتهم فحرفوها وأشركوا بالله، بل وأساؤا إلى الله تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ (المائدة: ٦٤).

وإذا رأى المشركون فرصة للانتقام من المسلمين فعلوا، فقد حاصروا المسلمين في شعب أبي طالب، وما نراه الآن من : ذبح - قتل - تدمير، لبعض الدول : إنهم : ﴿ **لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾ (التوبة: ١٠)، وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله**»[٣]، وفي رواية ابن حبان: «**يهودي**»، وأخرجه الديلمي في مسنده ولفظه: «**ما خلا قط يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله**».

---

(١) يراجع في ذلك تفسير أوائل سورة براءة (التوبة).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي بتصرف .

(٣) المقاصد الحسنة، للسخاوي، رقم ٩٥٧ .

وكيف يكون مأموناً من يعبد البقرة، أو يعبد أعضاء التناسل، أو كان شاذاً، أو كان مخموراً؟

يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (الحجرات : ٩).

وأتعجب: هل المشركون أهل عدل حتى يُستعان بهم؟

اسألوا مكاييل الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وحق الفيتو. إنهم يكيلون للمسلمين بمكاييل خاصة، مكاييل الظلم والقهر والإفناء، فالمفاعلات النووية في إسرائيل للدفاع عن النفس، وعند المسلمين محظور محظور محظور، ومن يفكر (مجرد التفكير) من المسلمين في مفاعل نووي يُعاقَب، بل ومن يُشاع عنه أن عنده سلاحاً نووياً من المسلمين (مجرد إشاعة) يتم تدميره والمنطقة المحيطة به على سبيل الاحتياط، واسألوا العراق وأهله ومن حولهم عن هذه الأهوال.

وعلى هذا أرى : أنه لا يجوز استعانة المسلمين بالمشركين على المشركين، ولايجوز استعانة المسلمين بالمشركين على المسلمين من أهل البغي.

٨ ـ حقوق المواطنة :

تعريف مصطلح المواطنة(١) : إنها علاقة قائمة بين طرفين هي الشخص والدولة في إطار من سيادة القانون ومبادئ المساواة.

مفهوم الأقلية : يقصد بالأقلية كما جرىٰ في العرف الدولي هي مجموعة أو فئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث العرق أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية وتشمل مطالبها عادة المساواة مع الأغلبية في الحقوق المدنية والسياسية مع الاعتراف لها بحق الاختلاف والتميز في مجال الاعتقاد والقيم

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية، إشراف، د. إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م، ص ٥٨٠.

وتتأسس لها قيادات تحاول التعبير عن أعضائها وتجميعها وإقامة روابط بينهم وتبني الرموز الثقافية المعبرة عنها وتحقيق أمن مُعَاش وتكافل اجتماعي(١).

واقع المواطنة في العهد النبوي وحتى الآن:

تطبيقات العصر النبوي لها:

صبت في باب إقرار المشاركة والعمل لمصير الدولة بين طرفي المجتمع، وأهم وثيقة في هذا السياق وثيقة العهد الذي أُبرم بين النبي ﷺ والمهاجرين من جانب، وبين الأنصار واليهود من جانب آخر، وتَضَمَّن البنود التالية(٢):

١ ـ هذا كتاب محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢ ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس.

هذه الفقرة أول إعلان لمفهوم التعدد داخل الوطن الواحد، وهذه البنود تؤكد فكرة المشاركة لا التمايز، وهذه الصحيفة قامت على مبدأين هما: (مبدأ كفالة الحقوق الفردية، ومبدأ سيادة القانون)(٣).

في عصر الخلفاء الراشدين:

تشهد وقائع التاريخ بسماحة وعدالة الإسلام في أهل الكتاب، فقد حافظ المسلمون الفاتحون على معابدهم وكتبهم وحرم الإسلام التعرض لرجال الدين ولو في الحرب، وجعل للفقراء والضعفاء منهم راتباً من بيت مال المسلمين مثل ما فعله **عمر بن الخطاب** مع اليهودي الهَرِم، وما كتبه **خالد بن الوليد** لأهل الحيرة: «أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة، أو كان غنياً فافتقر فصار أهل دينه يتصدقون عليه طُرحت جزيته، وعيل هو وعياله من بيت مال المسلمين».

(١) حمدي عبد العزيز شهاب، مجلة الرسالة، العدد ١٩ .

(٢) الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ص ١ .

(٣) د. خالد فهمي، مجلة الرسالة، العدد ٢٠، ص ٧١، وراجع وثيقة المدينة المنورة.

وما كتبه **عمر بن عبد العزيز** إلىٰ عدىٰ بن أرطأة عامله علىٰ البصرة : «وانظر قبلك من أهل الذمة من كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، من الحق له أن يُجرىٰ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»[١] .

في العصر الحديث:

يقول علماء الأمة الإسلامية : لم يعد مقبولاً إلا أن يعمل الجميع من أجل هذا الوطن علىٰ قدم المساواة ، وأن يتحرك الجميع للتعاون من أجل تقدمه ورقيه ، وأن يرتقي النصارىٰ إلىٰ درجة يظهرون فيها أنهم حريصون علىٰ منجزات المواطنة التي استقرت عبر قرون طويلة من ممارسات المسلمين حتىٰ اليوم ؛ لأن المسلمين مأمورون ومكلفون بمشاركة النصارىٰ في الحقوق والواجبات .

أقوال علماء الأمة في (فقه المواطنة وحقوقها ومصطلحاتها) :

د.يوسف القرضاوي : في فقه الزكاة : في أحد مصارف الزكاة أنه يصح إعطاؤها لغير المسلمين .

وفي الحلال والحرام يقول : «ويجوز للمسلم أن يهدي إلىٰ غير المسلم ، وأن يقبل الهدية منه ويكافئ عليها ، كما ثبت أن النبي ﷺ أهدىٰ إليه الملوك فقبل منهم[٢] وكانوا غير مسلمين .

قال حفاظ الحديث : والأحاديث في قبوله ﷺ هدايا الكفار كثيرة جداً ، وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال لها : «**إني قد أُهديت من النجاشي حلة وأواقي من حرير**»[٣] .

إن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان ، فكيف إذا كان من أهل الكتاب؟ وكيف إذا كان معاهداً أو ذمياً؟

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ١٩ ، ص ١٠٥ ، د. أحمد محمود .

(٢) رواه البخاري ، هبة ٢٨ باب ما جاء في قبول الهدية من المشركين .

(٣) رواه أحمد ١/ ٢٠٢ ورواه الطبراني .

ومرت جنازة على النبي ﷺ فقام لها واقفاً، فقيل له : يا رسول الله إنها جنازة يهودي!! فقال : «أليست نفساً؟»(١)، بلى، وكل نفس في الإسلام لها حرمة ومكانة .

د. خالد فهمي (٢) : «وليعلم النصارى أنهم أمة مع المسلمين، دمهم دمنا، وعرضهم عرضنا، ولهم ما لنا كل ذلك سواء في الحرمة، ولا نستطيع ظلماً لا لهم ولا لنا، فباسم الإسلام نشاركهم الحقوق، وباسمه نتقاسم الهموم، وباسمه نحمل يداً بيد معهم الأعباء، وباسمه كتفاً إلى كتف نقوم بالواجبات».

د. جمال بدوي (٣) : وضع الإسلام مبادئ أساسية لعلاقة المسلم بغير المسلم في كتاب الله تعالى :

١ - **الرحمة** وتحقيق الخير للبشرية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧).

٢ - **لا إكراه في الدين**، فالمصطلح الإسلامي لنشر رسالة الإسلام هو : «الدعوة» ومن حق المدعو أن يقبل هذه الدعوة أو يرفضها .

٣ - **الرابطة الإنسانية** : بالرغم من أن الرابطة العقدية والأخوة الإيمانية أسمى الروابط، إلا أن هناك رابطة إنسانية وإخوة بشرية تسع الناس جميعاً مسلمهم وغير مسلمهم، وهناك آيات كثيرة تبدأ بيا أيها الناس .

ولو كانت محبة غير المسلم في ذاتها أمراً مذموماً أو مخالفاً (للولاء والبراء) لما أذن الله تعالى للرجل المسلم أن يتزوج من كتابية، وهي علاقة وصفها الله تعالى بالمودة والرحمة(٤).

---

(١) رواه البخاري، جنائز ٥٠، ومسلم، جنائز ٨١ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٢٠ ، ص ٧٠ وما بعدها .

(٣) مجلة الرسالة، العدد ١٩ ، ص ٨٤ .

(٤) يقول الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي : «من لا خير له في دينه لا خير له في وطنه؛ لأنه إذا كان بنقض عهد الوطنية غادراً فاجراً، فهو بنقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأفجر»، انظر : مجلة كلمات، العدد الثالث، ديسمبر ٢٠٠٧م، ص ٢٩ .

الحكومة [١] :

يرىٰ **الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ** أنه لا بأس من أن نستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة، ومناصب الولاية العامة منها: القضاء، ومنها أهل الحل والعقد الذين يكون من بينهم الخليفة ويختارونه، وكذلك ولاية الصلاة، وولاية الحج، وولاية الخراج، وولاية الجهاد، وولاية الصدقات وولاية الفيء، ووزارة التفويض.

أما الضرورة فتعني المصالح التي تقوم الحياة الإنسانية عليها، فإذا كانت الدولة قد شغر فيها منصب مهم جداً وليس في المسلمين من يملؤه وفي غيرهم من يسد هذا الأمر ويصلحه فيجوز أن يُستعان بغير المسلمين من قبيل الضرورة.

أما **د. فتحي يكن** فيؤكد أن المساواة تتضمن المساواة في القيمة الاجتماعية، وفي تقليد الوظائف الحكومية دون تمييز بين غير المسلم وبين المسلم إلا حسب الكفاءة والقدرة، ويستطيع غير المسلم أن يكون وزيراً في الدولة الإسلامية وله حق المساواة أمام القضاء، فضلاً عن حق المواطنة وهناك الحقوق الاقتصادية كحق تأمين العمل والتأمين الاجتماعي عند الفقر والمرض والجهل وحق التملك.

أهل الذمة والجزية :

سُئِلَ **الإمام حسن البنا** عن الجزية فقال: «أصبحت اليوم غير ذات موضوع مادام كل المواطنين ينخرطون في الخدمة العسكرية ويدافعون عن الوطن سواء بسواء، وقد كان المسلمون قديماً هم الذين يدفعون ضريبة الدم، فعلىٰ الآخرين أن يدفعوا ضريبة المال».

والواضح أنه يريد أنهم إذا اشتركوا مع المسلمين في القتال ضد أعدائهم سقطت عنهم الجزية.

حق المواطنة [٢] :

يؤكد الشيخ راشد الغنوشي أن المساواة هي قاعدة التعامل في المجتمع

(١ ، ٢) مجلة الرسالة ، العدد ١٩ ، ص ٩٦ .

الإسلامي، ويرىٰ أن مصطلح أهل الذمة لم يعد لازم الاستعمال في الفكر السياسي الإسلامي طالما تحقق الاندماج بين المواطنين، وقامت الدولة علىٰ أساس المواطنة، أي المساواة حقوقاً وواجبات.

واستشهد الغنوشي بالدولة الإسلامية في صدر الإسلام، حيث تعرضت الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ لبعض المشكلات مثل مشكلة المواطنة وأن جميعهم يكونون أمة من دون الناس وهي الأمة السياسية التي يشترك أفرادها في الإدارة المشتركة في التعايش السلمي والولاء والدفاع عنها.

الحكم بالشريعة الإسلامية (١) :

أما مسألة الحكم بالشريعة الإسلامية فيشرح الدكتور القرضاوي هذه القضية بتقسيم الإسلام إلىٰ شعب أربع : عقيدة وعبادة وأخلاق وشريعة.

فأما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الإسلام علىٰ أحد، وفي ذلك نزلت آيتان حاسمتان: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)، ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارىٰ يؤدون عباداتهم، ويقيمون شعائرهم في حرية وأمان كما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وفيما يتعلق بشعبة **الأخلاق** فهي - في أصولها - لا تختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض.

أما **الشريعة** فإنهم في **العلاقات الأسرية** يخيرون بين الاحتكام إلىٰ دينهم والاحتكام إلىٰ شرعنا، وفي **نظام المواريث** لهم ما يريدون، **والتشريعات المدنية التجارية والإدارية** ترتضيها الأغلبية، **التشريع الجنائي** قد لا يلزم أهل الذمة، **ويباح لهم** أكل الخنزير وشرب الخمر بشرط ألا يتحدوا مشاعر المسلمين.

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٧ .

ويشير القرضاوي إلىٰ أن (الأقلية) رضيت بالقوانين المستوردة من الخارج فأولىٰ بها أن ترضي بشريعة الإسلام، فهي قطعاً أقرب إلىٰ المثل العليا التي جاءت بها المسيحية من القوانين الأجنبية، ثم هي قوانين (الدار) التي تعيش فيها الأقلية وتتعامل معها، فالمسلم يتقبل الشريعة علىٰ أنها دين وانقياد لله، وغير المسلم يتقبلها علىٰ أنها قانون ونظام شأنه شأن سائر الأنظمة والقوانين.

أما **فضيلة الشيخ عبد الخالق الشريف** فيضع لنا هذه الخلاصة في موضوع المواطنة في النقاط التالية[١]:

١ ـ الدولة في الإسلام دولة مدنية.

٢ ـ مرجعية هذه الدولة هي الإسلام[٢].

٣ ـ ليست دولة ثيوقراطية يتحكم فيها رجل دين.

٤ ـ كل أفراد الدولة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ متساوون أمامها في الحقوق والواجبات.

٥ ـ تسمية غير المسلمين فيها بأهل الذمة هو علو بهم فإنها ذمة الله وذمة رسوله.

٦ ـ احترام غير المسلمين في الدولة المسلمة دين يتقرب به المسلم إلىٰ الله وليس منحة يعطيها ويمنعها.

٧ ـ وجود وظائف للمسلمين خاصة لا يعد انتقاصاً من المساواة في المواطنة؛ لأنها وظائف لها رسالة إسلامية والحال هنا حال المواطن الذي لم تجتمع فيه شروط المنصب.

٨ ـ أن الدولة وقيامها ليست في شريعة النصارىٰ بينما إنشاء الدولة شريعة إسلامية علىٰ استكمالها والقيام بها.

٩ ـ إذا كان إقامة الوحدة الوطنية شاذاً ـ علىٰ ما يقولونه ـ بانتقاص صفة الأقلية فإنه أكثر شذوذاً بانتقاص صفة الأغلبية.

---

(١) المصدر السابق، العدد ١٩، ص ١٠٧.

(٢) أرجح دائماً أن نقول: دولة إسلامية بدلاً من القول دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية.

١٠ ـ أن اليد الصهيونية واللادينية واضح أثرها في إثارة هذه البلبلة بين الحين والآخر.

١١ ـ المواطنة لا يصح أن تكون ديناً بديلاً للإسلام أو المسيحية ولذلك لابد من الحفاظ على خانة الديانة في البطاقة والأوراق الرسمية لما لها في حياتنا من أحكام شرعية.

الحقيقة والواقع :

أقول : لا يوجد ولن يوجد تشريع وضع دستوراً كاملاً للمواطنة مثل الإسلام:

ـ فلقد قرر أعظم حرية وهي **حرية الاعتقاد** : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهي أعظم نعمة.

ـ ثم تحدث عن **الزواج** فقال : ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ (المائدة: ٥).

ـ ثم تحدث عن **الطعام والشراب** فقال : ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ** ﴾ (المائدة: ٥).

ـ ثم تحدث عن **العلاقات اليومية** التي لا تخلوا من نقاش وجدال فقال : ﴿ **وَلاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ـ ثم أسقط ذلك على الواقع فتحدث عن **حُسن الجوار** : عن مجاهد أن عبدالله بن عمر ذُبِحَت له شاة في أهله فلما جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(١) ، وقد ذكر القاضي عياض عفوه ﷺ عن اليهودية التي سمتهُ في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية(٢).

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي : حديث حسن غريب وفي الترغيب رقم ٣٧١٨ .

(٢) الشفا، للقاضي عياض، ص ٨٢ طبعة محمد صبيح .

- ثم لوقوفه للجنازة وكانت ليهودي .

- ثم وفاءه للمطعم بن عدي مقابل دخوله ﷺ في جوار المطعم .

- ثم قبول الهدايا وإرسالها لغير المسلمين .

هذا الدستور النافع لحقوق المواطنة . . فإذا أرادت البشرية دستوراً للمواطنة في غير الإسلام فسوف تضل وتشقىٰ ، (وما التفريق بين الأسود والأبيض في أمريكا وغيرها إلا خير شاهد علىٰ ذلك ، وغير ذلك الكثير والكثير) .

ولذا أرىٰ أنه من الخير للبشرية أن ترتقىٰ في سلم الحضارة فتعامل الأقليات بنفس الدستور الذي وضعه الإسلام لمعاملة الأقليات فيسعد المجتمع الإنساني في ظل الإسلام .

٩ - الإسلام . . والعلاقات الدولية :

يقول الشيخ محمود شلتوت : «إن العلاقة بين المسلمين وغيرهم لا تخرج عن إحدىٰ حالتين : إما حالة سلم ووئام ، وإما حالة حرب وخصام .

والإسلام ينظر إلىٰ الحالة الأولىٰ علىٰ أنها الحالة الطبيعية الأصلية ولا يطلب من غير المسلمين فيها إلا أن يُخلوا بينه وبين ما يريد من الدعوة إلىٰ مبادئ دون أن يضعوا في طريقة العقبات أو يثيروا أمامه الفتن والمشكلات .

ذلك بأن دعوته هي دعوة الحق والصلاح والرشاد وأن العقول إذا خُليت وشأنها ارتاحت إليها وأمنت عن طريق الإقناع والرضا لا عن طريق الإلجاء والقهر : **﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾** (النحل : ١٢٥) .

ولا يحظر الإسلام علىٰ المسلمين أن ينشئوا بينهم وبين غيرهم من العلاقات ما يرونه مصلحة لهم وعوناً علىٰ حياتهم في شئون التجارة والصناعة والسياسة والعلم والثقافة .

أساس الدستور للعلاقات السليمة بين الدول:

١ - **عدم الاعتداء من الطرفين :** ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (الممتحنة : ٨)، فهذه الآية تبيح للمسلمين أن ينشئوا ما شاءوا من العلاقات إلىٰ حد البر بهم والإحسان إليهم.

٢ - **العدالة :** توجب علىٰ المسلمين أن يعاملوا غيرهم بمثل ما يعاملهم به غيرهم، وهذا ما يسمىٰ في العرف الدولي (المعاملة بالمثل)، والإسلام لا يسير في المعاملة بالمثل إلىٰ أقصىٰ المدىٰ؛ لأنه مقيد بالفضيلة والأخلاق السامية، فإذا كان المخالف من الدول ينتهك حرمة الفضيلة لا ينتهكها المسلمون ولو كان ذلك في حال حرب[1].

٣ - **الوفاء بالعهود** في سبيل العدالة الدولية أوجب الإسلام الوفاء بالعهود لقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ (الإسراء : ٣٤)، وأشد النكث في العهود ما يكون من رئيس الدولة الإسلامية، ففي الحديث : «**لكل غادر لواء يوم القيامة، يُرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدرة من غدرة أمير عامة**»[2]، ولقد بين الإسلام أن الوفاء بالعهد قوة، وأنه لا يصح أن تكون الزيادة في رقعة الدولة أو قوتها أو أسلحتها مسوغة للنكث في العهد، ولذلك قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)** ﴾ (النحل).

وأن هذا النص الكريم يدل على ثلاثة أمور أشرنا إليها وهي:

---

(١) المجتمع الإنساني، الشيخ محمد أبو زهرة، جـ٣، ص ٢٠ الأزهر .

(٢) رواه البخاري، جزية ٢٢، أدب ٩٩، حيل ٩، فتن ٢١، ومسلم، جهاد ٨، ١٠ .

أولها : أن العهد الذي يوثق هو عهد الله تعالىٰ فمن ينقضه فإنما ينقض عهد الله، وهو فوق ذلك قد كفله الله تعالىٰ .

ثانيها : أن العهد في ذاته قوة أمن واطمئنان، ولذلك شبه من ينقضه بحال الحمقاء التي تغزل وتحكم غزلها ثم تنقضه من بعد إحكامه أنكاثاً أي شعراً مجزئاً أجزاء صغيرة، ثم ذكر سبحانه أن فيه زللاً للقدم بعد ثبوتها، فالعهد فيه اطمئنان وبُعد عن إرهاق الأنفس وتثبيت للسلم، والسلم في ذاته قوة والنقض إزالة لهذه القوة، وإزالة للثبات المستمر .

ثالثها : أنه لا يصح أن تكون الرغبة في زيادة رقعة الأرض التي تكون فيها سيادة الدولة ولا قوة السلطان الوقتي سبباً في الغدر، ولذلك ذكر أن من بواعث الغدر الممقوت أن تكون أمة هي أربىٰ من أمة أي أكثر عدداً، وأوسع أرضاً، وأقوىٰ سلطاناً .

وإن هذا التشديد في الوفاء بالعهود هو عدالة في العلاقات بين الناس، وهي قوام العدالة في العلاقات بين الدول، وهو طريق الأمن والسلامة في هذه الأرض، وإذا كان السلم هو الأصل في العلاقات الإنسانية وهو العدل فإن العهود هي التي تثبته وتقويه، وإن توزيع الانتفاع بهذه الأرض طريقة العهود العادلة التي لا شطط فيها ولا مجاوزة للحد، لا يستضعف فيها ضعيف ولا يستعلىٰ فيها قوىٰ، بل إنه إذا كان الواجب علىٰ الضعيف أن يوفي فالواجب علىٰ القوىٰ ألا يتحكم ويستكبر ولا تأخذه العزة بالإثم[1] . ومن هذه الأسس الثلاثة يتكون أعظم دستور للعلاقة بين الدول .

١٠ ـ شبهات وردود :

يتعرض نظام الحكم الإسلامي للدولة الإسلامية لهجمات ضارية مُحاولة النيل منه واتخاذ ثغرات يدقوا أعناق المسلمين فيها ولكن هيهات هيهات فهذا المنهج ليس بشرياً : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ (البقرة) .

---

(١) المجتمع الإنساني، للشيخ محمد أبو زهرة، جـ ٣، ص ٢١ وما بعدها .

ونعرض لبعض القضايا التي تثار حولها شبهات عن قصد أو عن سوء فهم مثل :

١ ـ الجزية [١] :

الجزية : هي ما فرض من مال على رؤوس أهل الذمة الذين دخلوا في حوزة المسلمين من أهل الكتاب والمجوس [٢].

دليل مشروعيتها من القرآن : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة : ٢٩).

من السنة : ما كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم بدعوتهم للإسلام، فإن أبوا فالجزية، وبذلك كان النبي ﷺ يوصي أمراء جيوشه وسراياه.

حكمة فرضها : (سببها) : ما دام أهل الذمة سيكونون في ذمة المسلمين في الدولة الإسلامية ولم يدخلوا الإسلام واعتبروا مواطنين في هذه الدولة :

أ ـ يتعين عليهم أن يساهموا في الأعباء العامة وما تتحمله الدولة في سبيل أمنهم وأمان أموالهم من أعباء.

ب ـ لقاء تمتعهم بسائر الخدمات العامة في المجتمع الإسلامي خصوصاً وأن عبء الدفاع عن الوطن والتطوع له بالنفس والمال يقع على عاتق المسلمين.

جـ ـ المسلمون يمولون بيت المال بما يدفعونه من زكوات.

---

(١) الجزية، عُرفت قبل الإسلام عند اليونان والرومان والفرس والبيزنطيين، وقد فرضها الرومان على أهالي البلاد التي تخضع لحكمهم ما بين تسعة دنانير إلى خمسة عشر ديناراً في العام، وقد اختلفت الجزية في الإسلام عن جزية الدول الأخرى فاتسمت بالعدل والحماية والرعاية، فلقد مرَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: «ما أنصفناك أن كنا قد أخذنا الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك»، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه وكان فيما يتكلم به عمر بن الخطاب عند وفاته: «أُوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله أن يُوفي لهم بعهدهم وأن يُقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم».

(٢) المالية العامة للدولة الإسلامية، ص ١٨٥ .

هل يجوز قبول الجزية من أي مال؟

لا تؤخذ في الجزية الميتة والخنزير والخمر فقد نهى عمر رضي الله عنه عن ذلك عماله قائلاً : لا تفعلوا ولكن ولوا أربابها بيعها ثم خذوا الثمن منهم[١] .

قالوا عن الجزية :

- يقول أ. **قطب إبراهيم** في كتابه المالية العامة للدولة الإسلامية : «الجزية ليست عقوبة ؛ لأن الإسلام لا يُجبر الذميين على اعتناقه» .
- يقول د. **محمد عمارة** [٢] : «الجزية في الإسلام بدلاً من الجندية ، وليست بدلاً عن الإيمان بالإسلام» .
- يقول **الماوردي** [٣] : « تُفرض على الرجال دون النساء والأطفال ولا تفرض إلا على من جرت عليه الموسى[٤] من الرجال ، أي على كل ذكر بالغ قادر على القتال» .

ويُعفى من الجزية [٥] :

١ ـ المسكين الذي يُتصدق عليه .

٢ ـ والأعمى الذي لا حرفة له ولا عمل وإن كان له يساراً أُخذ منه .

٣ ـ الذمي الذي يُتصدق عليه والمقعد وإن كان لهما يساراً أخذ منه .

٤ ـ أهل الصوامع والمترهبون .

٥ ـ الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل .

٦ ـ المغلوب على عقله .　　٧ ـ المرأة .　　٨ ـ الطفل .

---

(١) الخراج ، لأبي يوسف ، ص ١٢٦ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ١٩ ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي .

(٤) يعني الذكور المدركين .

(٥) راجع من هذا الفصل ، المواطنة (أهل الذمة والجزية) .

حدود إعفاء الذمي من الجزية إذا أسلم:

إذا أسلم الذمي تسقط عنه الجزية للحديث: «**ليس على مسلم جزية**»(١).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض عماله يأمره أن يضع الجزية عمن أسلم وقال له: «**إن الله قد بعث محمد داعياً ولم يبعثه جابياً**»(٢).

٢ ـ الديمقراطية:

أسئلة كثيرة تثار حول موضوع الديمقراطية ومن هذه الأسئلة:

هل النظام السياسي الإسلامي نظام ديمقراطي؟

هل هناك وجوه اتفاق أو اختلاف بين النظام السياسي الإسلامي والديمقراطي؟

يرىٰ بعض الباحثين أن نظام الحكم الإسلامي والديمقراطي متشابهان أو متطابقان، وأنهما كالشيء الواحد، والبعض يقول: إن النظام السياسي الإسلامي ديمقراطي، والبعض يقول: إذا لم نأخذ بالديمقراطية اعتبرنا الغرب متخلفين؟ وبعض المتحمسين للدفاع عن الإسلام إذا وجدوا نظاماً مستحسناً من أنظمة البشر في عصر من العصور لا يكتفون بمقارنته بالفكر الإسلامي باستخلاص أوجه الشبه ولكنهم يذهبون إلىٰ أبعد من ذلك ويصفون الفكر الإسلامي به، فنجد البعض مثلاً في الناحية الاقتصادية يقول: إن الإسلام نظام اشتراكي عندما كانت الاشتراكية تستهوي الكثير من شعوب الأرض، ونجد البعض الآخر في الناحية السياسية يقول إن الإسلام نظام ديمقراطي؛ لأن الديمقراطية سمة للحكم الإسلامي المستحسن (عند الشعوب المقهورة من الحكام المستبدين الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار مدىٰ الحياة ولم يروا بل ولم يسمعوا عن النظام السياسي الإسلامي).

وأقول: لماذا نحاول نحن المسلمين إثبات أن نظام الحكم الإسلامي ديمقراطي أو أنه قريب من الديمقراطية، ونهلل فرحاً عندما يُقال ديمقراطية الإسلام؟

---

(١) الأموال، لأبي عبيد، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) المصدر السابق.

وماذا نقول بعد فشل الأمم الموسومة بالديمقراطية في أن تقود المجتمع الإنساني إلى الخير والرشاد وامتلأت مجتمعاتهم بالشواذ وأطفال الشوارع والجرائم والأمراض التي أصابت العالم بالذعر، ومن قبلها فشلت الاشتراكية فشلاً ذريعاً وانتهت إلى الأبد والرأسمالية عن قريب بها لاحقة؟

إن محاولة إثبات أن النظام السياسي الإسلامي ديمقراطي نوع من العبث، وهذا لا يكون إلا في فترات الضعف التي تمر بها الأمة.

ومما يضاعف المرارة في الحلق أن الأمة تتملق غيرها طلباً لرضاهم، وما هم براضين: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة: ١٢٠).

أرى أن ذلك إساءة للإسلام، بل عدم فهم للإسلام، المفروض أن تهلل هذه الأنظمة فرحاً إذا اقتربت من النظام الإسلامي، وتولول[1] حزناً إذا ابتعدت عن النظام الإسلامي، وألا يقر بها قرار كلما بعدت المسافة بينها وبينه كالربان كلما غاب عنه الساحل.

هل الذي لا يتبع الديمقراطية متخلف؟

أقول: إن **الاشتراكية** نظام من أنظمة الحكم اخترعه أصحابه ووضعوا قوانينه ليتحاكموا إليها، وهو نظام خاص بهم، ليس ملزماً لغيرهم، ولا يُلزموا أحداً به.

والرأسمالية كذلك: نظام من أنظمة الحكم اخترعه أصحابه ووضعوا قوانينه البشرية ليتحاكموا إليها، وهو نظام خاص بهم، وهذا النظام فيه الصواب وفيه الخطأ، والخطأ فيه هو الغالب.

ونحن المسلمين عندنا نظام فذ لإدارة شئون الحياة لا عيب فيه ولا خطأ وينسجم تماماً مع فطرة الإنسان؛ لأن الذي وضعه خالق الإنسان.

---

(١) ولولت المرأة، ولولة، دعت بالويل، المعجم الوسيط، ولي، ص ١١٠٠، الويل، حلول الشر، كلمة عذاب، الويلة الفضيحة. المعجم الوسيط جـ٢، ص ١١٠٤ ويل.

وعلىٰ هذا فليس من حق الرأسماليين أو الاشتراكيين أن يفرضوا علىٰ غيرهم أنظمتهم حتىٰ ولو كان يسير عشوائياً بلا نظام . . هذا هو المنطق الصواب .

فإذا هتف المسلم أن القرآن دستوره وقفت هذه الأنظمة الفاسدة في وجهه وكانت له بالمرصاد ، والحقيقة التي يجب أن تكون نصب أعيننا دائماً أن الإسلام ليس نظاماً بشرياً ، وإنما هو دين إلهي ، ونظراً إلىٰ أن الإسلام هو الشريعة الخاتمة التي لن يجئ بعدها شريعة من الله عز وجل فلابد أن تكون أحكامه صالحة صلاحية كاملة لتنظيم دنيا الناس في كافة مناحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك من ألوان النشاط الإنساني إلىٰ أن تنتهي الدنيا ، وإلا لكانت البشرية محتاجة إلىٰ دين جديد يفي بمتطلبات العصور المتجددة وهو ما لن يكون ؛ لأن محمد بن عبد الله ﷺ هو الخاتم للأنبياء والرسل قال عز وجل : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) ، ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

ولهذا فإن أي مسألة تَجِدُّ في دنيا الناس لابد أن يكون لها حكم في شريعة الإسلام ، إما بالنص عليها نصاً خاصاً في القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، وإما بالقياس علىٰ مسألة منصوص عليها في هذين المصدرين ، وإما دخولاً تحت قاعدة عامة من القواعد التي بينتها شريعة الإسلام .

فالإسلام بوصفه ديناً إلهياً هو الأكمل والأسمىٰ دائماً في تنظيم حياة المجتمعات البشرية ، سواء في مجال الحكم والسياسة ، أم في غير ذلك من سائر المجالات ، هذه عقيدتنا نحن المسلمين ، لا نكون مؤمنين بالإسلام حتىٰ يكون ذلك مستقراً في يقيننا لا يعتريه أدنىٰ لون من ألوان الشكوك ، قال الله عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء : ٦٥) .

وكمال نظام الإسلام وسموّه بجانب كونه عقيدتنا هو بالفعل كذلك عند المقارنة الموضوعية المجردة البعيدة عن أي لون من ألوان التعصب بين أحكام الإسلام وأية نظم أخرىٰ وضعية .

وعلى هذا فإن أية محاسن أو إيجابيات تتحقق في أي نظام آخر غير الإسلام وأقرتها العقول السليمة لابد أن يكون الإسلام مشتملاً عليها؛ لأن الإسلام ليس نظاماً وضعياً بل هو إلهي فله خصوصيته واسمه الخاص، فالإسلام هو إسلام، وليس ديمقراطياً، أو نظاماً استبدادياً، أو نظاماً ثيوقراطياً، أو غير ذلك من مسميات أو أسماء[1].

نحو فقه إسلامي سياسي رشيد:

نذكر رأي الدكتور يوسف القرضاوي[2] في بعض القضايا مثل: الحكم الإسلامي السياسي ـ تعدد الأحزاب ـ المرأة والعمل السياسي.

١ ـ تحديد **مدة الرئيس في الحكم** من قبيل المصالح لا من قبيل البدع، مثله في ذلك مثل مسائل عدة مرت على أمتنا في جمع المصحف وتدوين السنة واتخاذ السجون

٢ ـ تسمية **(الإسلام السياسي)** تسمية مرفوضة؛ لأن الإسلام واحد وليس ثمة أكثر من الإسلام، وهذا النفي في التسمية ليس نفياً للنشاط السياسي من دائرته؛ لأن الإسلام يوجه الحياة كلها بما فيها شئون الناس والحكم.

ولا يمكن تصور المسلم إلا سياسياً ينصح للأمة من باب **«الدين النصيحة»** على ما روى مسلم، فهو معارض عندما تقتضي مصلحة الأمة أن ينصح للإمام والحكام ولو سمى ذلك بالمعارضة فلا بأس.

وهو مأمور بمقاومة الفساد على درجات من التدرج من الوجوب إلى الندب، إذ تغيير المنكر فريضة، وجهاد الظالم لا يقل عن جهاد الغازي، ولا يصح أن ننسى أن خيرية الأمة منوطة بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجملة الفعلية بعد **﴿لِلنَّاسِ﴾** جاءت في مقام التعليل في قوله تعالى: **﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** (آل عمران: ١١٠).

---

(١) الشورى والديمقراطية، أ.د. صوفي أبو طالب، ، أ.د. محمد رأفت عثمان، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٤٩، رجب ١٤٢٨ هـ يوليو ٢٠٠٧م.

(٢) من فقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، نقلاً عن مجلة الرسالة، العدد ٢٣، ص٩٢.

وفي هذا السياق تتمايز مقاومة الفرد للمنكر ومقاومة الدولة للمنكر، وفي نصوص القرآن الكريم نفي لصريح الإيمان عمن لا يحض على طعام المسكين وعلى من يدع اليتيم.

وفي الصلاة وفي قلبها يمكن للمسلم أن يرى نفسه واقعاً في قلب بحر السياسة حين تُتلى آيات سورة المائدة : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧)، وفي القرآن نفسه تلاوة لقصص الجبابرة وما انتهت إليه مصائرهم.

وفي هذا السياق يجب أن نتوقف قليلاً أمام عدد من الشبهات لا يستقيم الأمر إلا بمناقشتها من مثل :

١ ـ **آيات الحكم بما لم ينزل الله** :لم تكن وحدها هي التي تناولت وصف من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر والفسق والظلم من مثل آية النساء : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

ثم يعلق الدكتور القرضاوي قائلاً : وهذه الآيات المحكمات غنية عن أي تعليق، فهي واضحة الدلالة على أن الإذعان لحكم الله ورسوله جزء لا يتجزأ من الإيمان، ومن مواضع الإجماع : الإجماع على وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى.

٢ ـ **مراتب تغيير المنكر** : وفي هذه المسألة يجب الالتفات إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة أكدها القرآن الكريم في أكثر من نص محكم.

وقد أكدت السنة على ما جاء في حديث مسلم : «**من رأى منكم منكراً فليغيره...**»[١]. غير أن هذا النص يتطلب فهماً وتدقيقاً في التعامل معه حيث قرر العلماء أن ثمة شروطاً تحكم تغيير المنكر وهي :

أ ـ أن يكون حراماً مجمعاً عليه.

---

(١) رواه مسلم، إيمان ٧٨ .

ب ـ أن يكون ظاهراً معلناً .

جـ ـ أن تمتلك القدرة الفعلية على التغيير بدليل ما جاء في حديث سالم : **«فمن لم يستطع فبلسانه»** .

د ـ عدم خشية منكر أكبر مما يراد إنكاره يقول النبي ﷺ : **«لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم»**(١) .

تعدد الأحزاب :

وفيما يتعلق بتعدد الأحزاب ، فإنه لا يوجد نص شرعي مانع من وجودها ، بل هي ضرورة عصرية تمنع من تفشي الاستبداد بشرطين :

١ ـ أن تعترف بالإسلام . ٢ ـ ألا تعمل لحساب معادٍ للإسلام .

وهذه الفتوى تستند على أنها تقوم بدور الناصح للإمام ، والتقويم لنشاطه ، ويمكن حمل هذا التعدد على تعدد المذاهب الفقهية والتعدد بعيداً عن الاختلاف المذموم ، ويعضده عدم تعارض العاملين للإسلام مع تعددهم ، ومن جانب آخر ينبغي أن يظل واضحاً أن الولاء هو في النهاية لله ولرسوله وللمؤمنين .

المرأة والعمل السياسي :

إن الخطاب القرآني كثيراً ما يوجه نداء ﴿يا أيها الناس﴾ رجالاً ونساءً ويقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ، فالتكليف للجميع في العبادات والأخلاق والمعاملات ، وفي كتب السنة أبواب مستقلة لـ«غزو النساء وقتالهم» ، كما في البخاري ، ومايقف في وجه إقرار ترشيح النساء للمجالس مردود عليه كآية : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (الأحزاب : ٣٣)؛ لأنها خاصة بنساء النبي ﷺ ومع ذلك خرجت عائشة .

---

(١) رواه البخاري، حج ٤٢ ، أنبياء ١٠ ، تفسير سورة البقرة، بلفظ : «لولا حُدثانُ قومِكِ بِالكُفر . . .» مسلم، حج ٣٩٩، ٤٠٤ .

إن المبدأ العام أن الحاجة تقتضي أن تدخل المسلمات الملتزمات معركة الانتخابات في مواجهة المتحللات والعلمانيات.

والدفع بسد الذرائع لا مجال للقول به هنا ما دامت تلتزم بشرع الله سبحانه، ولا دخل للترشيح للمجالس النيابية بولاية المرأة، ذلك أن عددهن أقل من الرجال، ثم إن القوامة مجال تطبيقها الحياة الزوجية، وما جاء من حديث البخاري: «**لعن من ولوا عليهم امرأة**» مقصور على الولاية العظمى.

ولا يمكن القول بأن تمكينها من عضوية المجالس النيابية يحمل في طياته تحقق الولاية العظمى في حقها؛ لأن لها بحكم هذه العضوية محاسبة رئيس الدولة ذلك أن المحاسبة فرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يرد نهي لها عن ممارستها، وفي جانب التشريع وهو العمل الثاني للمجالس النيابية لا يصح تضخيمه؛ لأن العمل في إطاره مقصور على الاستنباط ولم يعرف يوماً حرمان المرأة من عمل الاجتهاد الشرعي والفكري.

المشاركة في الحكم غير الإسلامي (١):

وفيما يتعلق بالمشاركة في الحكم غير الإسلامي، فالأصل عدم المشاركة اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿ **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٦٣).

وربما صح الخروج عن ذلك لاعتبارات شرعية من مثل تقليل الشر والظلم بقدر المستطاع، وارتكاب أخف الضررين. غير أن ثمة شروطاً للمشاركة هي:

١ ـ أن تكون المشاركة فعلية.

٢ ـ أن لا يغلب الطغيان على الحكم.

وممن أقر بذلك ابن تيمية والعز بن عبد السلام.

---

(١) فقه النصر والتمكين، للدكتور الصلابي، ص ٩٤ .

٣ ـ الإسلام منهج حياة [١] :

الإسلام منهج ـ منهج حياة ـ حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة (الوجود)، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني.

ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر، كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه والأسس التي يقوم عليها والسلطة التي يستمد منها والنظام السياسي وشكله وخصائصه والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته والنظام الدولي وعلاقاته وارتباطاته.

ونحن نعتقد أن المستقبل لهذا الدين بهذا الاعتبار، باعتباره منهج حياة يشمل تلك المقومات كلها مترابطة غير منفصل بعضها عن بعض.

المقومات المنظمة لشتى جوانب الحياة البشرية الملبية لشتى حاجات الإنسان الحقيقية المهيمنة على شتى أوجه النشاط الإنسانية.

ففي مجال الفرد عنيت النظم الإسلامية[٢] بتنظيم أموره في روعة عجيبة، لاتقتصر على حياته بعد مولده، بل تمتد إلى ثلاث شعب (قبل موته ـ بعد مولده ـ بعد موته).

فقبل مولده تسبق النظم الإسلامية وجوده فتهيئ له التربة الحسنة والبيئة الصالحة بحسن اختيار الزوج والزوجة، قال ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع لجمالها ومالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٣].

---

(١) المستقبل لهذا الدين، الشهيد سيد قطب، طبعة درا الشروق، ص ٥ .

(٢) النظم الإسلامية ، د. يسري هانئ، طبعة دراسية ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٣) رواه البخاري، في صحيحه كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ٧/ ٩، ومسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين ٢/ ١٠٨٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال ﷺ أيضاً: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه و دينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١).

وهذا تفصيل منه ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٣٣)، وقوله تعالىٰ: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ (القصص: ٢٦).

وتتدخل النظم الإسلامية عن طريق النظام الاجتماعي في تكوين الأسرة وتنظيم الحقوق والواجبات لكل من الزوجين وبيان مهمة الأسرة المسلمة.

فإذا جاء المولود استقبلته الشريعة الإسلامية والنظام الاجتماعي بالعقيقة، واختيار الاسم الحسن، ثم بمراحل التربية والتعليم في سنوات عمره إذا شب، وتزوج نفذ ما سبق، ثم تصاحبه النظم الإسلامية حتىٰ نهاية عمره.

فإذا مات لم تقف النظم صامتة، إنما تتدخل في غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ثم توزيع تركته وقضاء دينه وتنفيذ وصيته، ثم ببره والدعاء له.

وفي كل المراحل السابقة نجد النظم الإسلامية تصاحب الإنسان جسداً وروحاً كما سبق بيانه.

هذا بالنسبة للفرد وشمول النظم لحياته كلها..

أما بالنسبة للدولة فإن النظم الإسلامية شملت حياة الأمة في جميع أحوالها:

١ - **في النظام الإيماني (العقدي)**: قامت النظم الإسلامية بإثبات العقيدة الصحيحة في الله عز وجل، وفي النبوات، وفي السمعيات، وفي جانب الحياة والكون، فلم تترك فراغاً عقدياً إيمانياً يسبب للدولة التصدع والانهيار بل وضحت الطريق: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجة، نكاح ٤٦، وأخرجه الترمذي، وقال فيه: إنه حسن.

(٢) رواه ابن ماجة، مقدمة ٦، وأحمد ٤/ ١٢٦.

٢ ـ **في النظام التعبدي** : قامت النظم الإسلامية بربط الإنسان بربه وخالقه بالعبادات، من فروض ونوافل، كالصوم ونوافله، والصلاة ونوافلها، والزكاة ونوافلها، والحج ونوافله، وذكر الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله . . . إلى غير ذلك حيث يعيش المجتمع المسلم تحت ظلال هذا النظام العبادي وقد سعدت روحه بصلتها بربها واتباعها لنبيها ولم تترك فرجة لشيطان أو سبيلاً لإنسان لإضلال الأمة .

٣ ـ **في النظام الاجتماعي** : تجد أحكام الأسرة من زواج ورضاع ونفقة وتربية . . . الخ، كما تدخل النظام الاجتماعي في تنظيم أعمال البر الاجتماعية من بناء : المساجد، والمستشفيات، والمدارس، وكفالة اليتيم، وتحرير الرقيق. وتزويج الفقير، وسد أبواب الحاجة والعوز بالزكاة والصدقة، ثم العمل المنتج .

٤ ـ **في النظام السياسي** : قامت النظم الإسلامية ببيان طريقة اختيار الحاكم وطريقة عزله، والواجبات الملقاة على عاتقه للأمة، وحقه على الأمة، ثم وضعت أسساً فاضلة للحكم أهمها : الشورى الملزمة، وضمان حرية الفرد تحت لواء الإسلام، وقامت بتوضيح السياسة الداخلية وكيف ينفذها الحاكم المسلم، والسياسة الخارجية أو العلاقات الدولية، أي المسمى اليوم بالنظام الداخلي أو القانون الدستوري للدولة والقانون الدولي العام في الخارج .

٥ ـ **في النظام الاقتصادي** : وهو المسمى بالنظام المالي، نظمت الشريعة الإسلامية مجال المعاملات المالية والتجارية وموارد بيت المال ومصارفه من الزكاة والجزية والخراج والفيء والغنيمة والعشور، وكيفية تحقيق التكافل الاجتماعي، وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً . . . الخ .

٦ ـ **النظام القضائي (القانوني)** : نظمت الشريعة عن طريق هذا النظام أحوال التقاضي والتحاكم في كافة المنازعات والخصومات والاعتداءات من جنايات ـ حق مدني ـ أحكام شخصية (أسرة) ـ جنح . . . الخ .

وذلك يؤدي إلى صيانة الحقوق الخاصة للأفراد والحقوق العامة للجماعة، وهذا النظام في الإسلام يختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً عن القانون الغربي

الوضعي سواء أكان شرقياً أم غربياً، وهو إلى هذا نظام متكامل في شؤون الفرد والمجتمع والعبادة والعمل، والروح والمادة والنفس دون انفصام بل يتحرك كله في إطار أخلاقي شامل قوامه مراقبة الله عز وجل وتقواه[١].

يقول الشيخ الغزالي موضحاً عظمة وإعجاز النظام القضائي: « والشريعة لم تحص كل الوسائل التي تعين على إقامة العدل وعلى عقد محاكمات شريفة تمسك بالمجرمين وحدهم وتطلق سراح الأبرياء.

لقد تركت ذلك لاجتهاد الناس وتطور الزمان، وما دام العدل في نظر الشارع غاية تقصد لذاتها فكل ما يوصل إليه يُعد شريعة، وإن لم يصرح الشارع به، ويذكر تفاصيله!!

وقد توهم البعض أن المنقول من الكتاب والسنة استوعب ضروب الحيطة والإثبات في التحقيق والقضاء وقال بناء على ذلك: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

وقد ردَّ على ذلك العلامة ابن عقيل فقال: «السياسة هي الفعل الذي يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ أو نزل به الوحي».

فإن أردت بقولك ما وافق الشرع، أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة».

قال ابن القيم[٢]: «من له ذوق في الشريعة واطلاع على ما لها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، وتبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها.

وأن من أحاط علماً بمقاصدها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة فإن السياسة نوعان:

---

(١) معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص ٥٦٨ .

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم، ص ١٤، ١٥، طبعة دار المدني، جدة.

أ ـ سياسة ظالمة ، فالشريعة تُحَرِّمها .

ب ـ سياسة عادلة تستخرج الحق من الظالم الفاجر ، فهي من الشريعة علمها من علمها ، وجهلها من جهلها(١) .

٧ ـ **نظام الحسبة** : وهي تعني كيف يقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإشراف على تنفيذ نظم الإسلام الأخرى أي الإشراف المباشر على الحكام والمحكومين .

٨ ـ **النظام الإداري** : هو نظام يُعني بكيفية إدارة أجهزة الدولة في الأعمال والوظائف والمؤسسات المختلفة وتحقيق الأهداف الرئيسية (الاستراتيجية) المنوطة بها ، وتخلصها من البيروقراطية (أي سلطة المكاتب) أو تحكم الموظف وتعسفه في تنفيذ واجبه .

٩ ـ **النظام الجهادي الحربي** : وهو النظام الذي يقوم على حماية الدولة ونشر الدعوة والدفاع عن أرض أمة الإسلام ، وقد نظم الإسلام هذا الأمر ووضع أسسه من القرآن والسنة ، حتى يقوم بدوره خير قيام .

بعد هذا العرض الوجيز يظهر لنا شمول النظم الإسلامية لكل مناحي ونواحي الحياة حتى لا يهتز المجتمع المسلم أو ينهار ، قال تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ (المائدة) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً (١٧٥) ﴾ (النساء) .

---

(١) الطرق الحكمية ، لابن القيم ، راجع حقوق الإنسان ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ٢٥ طبعة دار الدعوة .

بشهادة التاريخ : الإسلام منهج حياة [1] :

إن التاريخ خير شاهد على نجاح الإسلام كنظام ومنهج للحياة في أن يحول العرب من أمة متخلفة إلى أمة ذات حضارة عريقة سادت الدنيا قروناً من الزمان، حضارة استوعبت بين جنباتها الأديان والألوان والأعراق وذلك باستثناء فترات الضعف والانحطاط أو الاستبداد، فذلك إنما مرده بُعد المسلمين عن تطبيق القواعد التي أرساها الإسلام للمجتمع الإسلامي والدولة المسلمة.

ولقد تميزت الحضارة الإسلامية بسمات منها أنها [2] :

١ ـ حكم صالح منظم.

٢ ـ فقه مستنير.

٣ ـ حضارة جامعة للأديان والأعراق.

٤ ـ عدل سابغ وقضاء حر مستقل.

٥ ـ ازدهار اقتصادي.

٦ ـ رخاء اجتماعي.

٧ ـ تكافل اجتماعي.

٨ ـ نهضة علمية وثقافية.

٩ ـ نهضة صحية وطب رفيع.

هذه السمات ذكرتها هنا إجمالاً؛ لأنها شُرحت بنماذج واقعية عملية من خلال أبواب الموسوعة ولتمام الفائدة أضيف للسمة الرابعة (عدل سابغ، وقضاء حر مستقل) هذه النماذج الفذة لهذا المنهج.

---

(١)، د. عادل فهمي، مجلة الرسالة، العدد ١٨، ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق. وسيأتي شرح هذه السمات في باب الأخلاق والمدنية والحضارة بالإضافة إلى ما سبق من هذا الباب .

مكانة القاضي بين السماء والأرض:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ ﴾ (الرحمن).

الأمة التي تحترم القاضي وتنفذ أحكام القضاء تسلك سبيل الرقي والتقدم والبقاء، والأمة التي تُهين القاضي ولا تنفذ أحكام القضاء فهي إلىٰ زوال محقق وتظل سيرتها السوداء في مزبلة التاريخ.

نماذج فذة من التاريخ الإسلامي:

١ ـ ذكرنا في الفصل الثاني (مبادئ الحرب والسلام) أن القائد قتيبة بن مسلم قاتل أهل (صفد) وانتصر عليهم قبل أن يخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال، ولما اشتكىٰ أهل صفد للقاضي وتحقق القاضي من الشكوىٰ، أمر القائد بسحب قواته من صفد، فنفذ القائد حكم القاضي وتنازل عن النصر لحكم القاضي.

٢ ـ في الفقه الإسلامي يجوز لولي الدم في حالة القتل أن يعفو إذا لم يصل الأمر إلىٰ القاضي، فإذا وصل للقاضي نفذ حكم القاضي، ولذلك حاول النبي ﷺ إبعاد الرجل عن دائرة الجريمة حينما اعترف بالزنا قال له النبي ﷺ: **«لعلك قبَّلت ـ لعلك فاخذت»**، ولذلك قال النبي ﷺ: **«تعافوا الحدود قبل أن تأتوني به»**[1].

الإسلام يُعلم الأمم الأخرى: «القضاء أولاً» [2]:

في أثناء الحرب العالمية الثانية اشتكىٰ سكان إحدىٰ مناطق لندن من وجود مطار عسكري بجوارهم مما يسبب لهم الإزعاج ويجعلهم عرضة لقذف النازيين فأصدر القضاء البريطاني حكماً بإغلاق المطار فاشتكىٰ العسكريون إلىٰ رئيس الوزراء تشرشل وطالبوه بعدم تنفيذ الحكم فقال: أن تخسر بريطانيا الحرب أفضل لها من أن لا تنفذ أحكام القضاء.

---

(١) أبو داود، حدود ٦، والنسائي، سارق ٥.

(٢) مجلة كلمات، العدد الأول، يوليو عام ٢٠٠٧ م.

اقول: إن النظم الإسلامية بعد هذا الشمول والكمال الإلهي ليست نُظُماً مغلقة تعاند غيرها على طول الخط كما يفعل الغرب مع الإسلام.

ولكن المسلم ذو عقل راشد كما يقول **الشهيد سيد قطب** : «هذا الدين يخاطب العقل الراشد».

فإذا وجد عند غيره صواباً أثنى عليه ، أو وجد حكمة أخذ بها ، كما أثنى النبي ﷺ على حلف الفضول الذي كان في الجاهلية.

رد شبهة انتشار الإسلام بالقهر والسيف :

ـ لقد ظلم الإسلام من روَّج أنه قام على القهر وانتشر بحد السيف لقد تكونت أمة الإسلام قبل الهجرة والضغوط كلها تحاول أن تصرفها عن الإسلام لا إليه.

ـ وقامت دولة الإسلام في المدينة على الاختيار الحر واحترام عهودها حتى مع الكفار، واعتدي على المسلمين عدواناً طويلاً فما رفعوا السيف لرد هذا العدوان حتى جاءهم إذن الله : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ (الحج: ٣٩) ، ووقع الصدام الحتمي بين الإسلام وبين العملاقين الرومي والفارسي، وانتصر المسلمون فما أجبر أحد على الإسلام بل عاش في حماية قول الله في قرآنه : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ـ وتسلم القدس لعمر فيعطي عهده لأهلها بالمحافظة على الأموال والكنائس والصلبان وهو الذي لا يؤمن بالصلب ولا بالصليب.

ـ ويدخل عمرو بن العاص مصر فيكون أول أعماله بعد انتصاره أن يستدعي أسقف الأقباط (بنيامين) وقد كان اختبأ في الصحراء الغربية من قهر الرومان وظلمهم ومحاولتهم على اعتناق مذهب بالقوة.

ـ فلقد كان المسلمون يخوضون لصالح الأمم حرب تحرير وتخيير لا حرب قهر وتسلط فإن الإسلام لم يضغط بالسكين على الرقاب.

ـ ولعلنا الآن نُجهز على فرية انتشار الإسلام بالعنف بنظريتين قديمة وحديثة فإن أمماً بأسرها دخلت الإسلام في السابق دون أن تطأها قدم جندي مسلم وإنما قرأوا الإسلام في قُصَّادِهم من تجار وزوار.

أما في الوقت الحالي. . فألوف من أهل الغرب في أوربا وأمريكا منهم السود والبيض ومنهم حملة الدكتوراه، ورواد الثقافة يدخلون في الإسلام الآن. .

فمن أجبرهم؟ ومن وضع السكين على رقابهم؟ أو فرض الإتاوة على أرزاقهم؟

بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وهنا لابد من وقفة: إن أخلاق الدعاة وكذا أخلاق التجار من المسلمين هي التي نشرت الإسلام لا السيف كما يدعي هؤلاء المبطلون قديماً وحديثاً(١).

وقد صرَّح بابا الفاتيكان (بنديكت السادس عشر) أن الإسلام انتشر بالسيف، وأن الجهاد يدل على العدوان، وأن محمداً لم يأت بخير، بل جاء بالشر، وأنه أمر بنشر الإسلام بالسيف.

وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بياناً بهذا الشأن في جلسته الطارئة يوم ٢٣ شعبان ١٤٢٧هـ، الموافق ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠٦م، وفنَّد البيان هذه المزاعم، وأن الله مدح الرسول ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ولقد ندد **الدكتور: محمد عمارة ـ المفكر الإسلامي** ـ بهذا الاتهام وتساءل قائلا:

ـ أَلاَ يعلم الحبر الأعظم أن كل غزوات النبي ﷺ كانت دفاعية، وأن ضحايا الغزوات من الجانبين ٣٨٦ فقط؟

ـ ألا يعلم الحبر الأعظم أن الحروب الدينية البروتستانتية والكاثوليكية أبادت ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا، بما يماثل ١٠ ملايين؟.

ـ ألا يتذكر الحبر الأعظم أن كنيسته شنت على العالم الإسلامي حروباً صليبية دامت قرنين من الزمان؟

---

(١) مجلة الأزهر، رمضان ١٤٢٧ هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٦ ج ٩ صفحة ١٥٢١ .

- ألا يعلم البابا أن الفتوحات الإسلامية حررت المشرق من الاضطهاد الروماني الذي دام قروناً عديدة من الإسكندر الأكبر وحتى هرقل؟ ألم يقرأ أن الفتوحات الإسلامية عملت على إنقاذ النصرانية من الإبادة الرومانية؟

- ألم يعلم أن الجهاد في الإسلام أوسع من القتال؟ فالرفق بالحيوان جهاد، والرفق بالإنسان جهاد، والرفق بالنبات جهاد، وطلب العلم جهاد، والعبادات جهاد، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان جهاد؟

- ألم يعلم أن القتال في الإسلام لا يجوز إلا ضد من يفتنوننا عن ديننا ومن يخرجوننا من أوطاننا وديارنا؟

- ألا يعلم أن القواعد العسكرية المسيحية والأساطيل البحرية تغطي أرض وبحار العالم الإسلامي؟

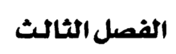
ووجَّه الدكتور عمارة سؤاله إلى البابا مباشرة من خلال **قناة الجزيرة الفضائية** قائلاً: من يغزو ؟! ومن يمثل من ؟! ومن يمارس العنف والإبادة ضد من ؟!

نحن إذن أمام جهل لا نظير له في التاريخ لا يليق بإنسان عادي فضلاً عن شأن من يحتل هذا المنصب[١] .. إن الغرب الاستعماري المسيحي إلى الآن هو الذي يمارس الإرهاب والدمار والقتل والابتزاز في عالمنا العربي الإسلامي، وما يجري في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين.. وغيرها واضح وضوح الشمس في رابعة النهار[٢].

---

(١) جريدة الأسرة العربية، العدد ٢٩٣١، الصفحة الأولى.

(٢) المصدر السابق، الصفحة الأخيرة.



الفصل الثالث

فقه القضايا المعاصرة

الإرهـاب ـ حكم الاختطاف واحتجاز الرهائن ـ غسيل الأموال ـ العلمانية ـ القرآنيون ـ الحدود ودعوى الوحشية ـ الحوار بين الأديان ـ الزواج من الكتابيات ـ الفن والتمثيل والغناء ـ الفرق والجماعات ـ المهدي المنتظر ـ أحكام التأمين ـ فوائد البنوك ـ الانهيار الاقتصادي .

الفصل الثالث

فقه القضايا المعاصرة

نوضح أولاً المنهج الذي نتبعه لمناقشة القضية مناقشة علمية وذلك من خلال :

أ ـ تعريف القضية ومصطلحاتها لغة واصطلاحاً .

ب ـ إعطاء نبذة عن القضية .

جـ ـ التصور الإسلامي للقضية .

د ـ الحكم فيها .

١ ـ قضية الإرهاب

أولاً : تعريف الإرهاب :

لغة : رهبه : يعني خافه .

رهب الجمل : جهده السير فبرك عن نهوضه . . . الإرهابيون : وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية [١] .

مفهوم الإرهاب في اللغة العربية بكل المعاجم : أنه بكل اشتقاقاته لا يخرج عن معنى التخوف وهو نفس مفهومه في القرآن الكريم

تعريف الإرهاب اصطلاحاً [٢] : كما جاء في تعريف الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، ومعاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي، وأخذ به القانون السوداني لمكافحة الإرهاب، وهو ما جاء أيضا في تعريف جامعة الدول العربية الذي أقره مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب في القاهرة بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٩٨ على النحو التالي :

---

(١) المعجم الوسيط، مادة : رهب، ص ٣٩٠ الجزء الأول، طبعة مجمع اللغة العربية .

(٢) مجلة الرسالة، العدد ١٧ ، ص ٦٥ .

«كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي أو جماعي ويهدف إلىٰ ترويع الناس أو إيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر ، أو يلحق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك الخاصة أو العامة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد للخطر ، وذلك أياً كان بواعث هذا العمل أو أغراضه ، ويستثنىٰ من ذلك أعمال المقاومة والاحتلال والعدوان ، ويدخل في إطار هذا العمل إرهاب الدولة ، سواء لشعبها أو لدولة أخرىٰ ، أو لشعب آخر ، كما يدخل فيه الإرهاب الموجه من الأفراد و الجماعات ضد مجتمعها أو دولتها أو ضد دولة أخرىٰ أو شعب آخر» .

وأقول : إن هذا التعريف للإرهاب تعريف نظري . . وأضع تعريفاً عملياً للإرهاب بعد عرض القضية أختم به قضية الإرهاب .

ثانياً : نبذة عن قضية الإرهاب :

وذلك من خلال عرضنا للكتابين الآتيين :

الكتاب الأول : «الإرهاب صناعة غير إسلامية»(١) **للدكتور نبيل لوقا بباوي**، يقول في المقدمة : المستشرقين حين يتحدثون عن الإسلام يبتعدون تماماً عن الحقائق التي تنبثق من أصوله الثابتة ، وهي القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ويلهثون وراء كل رأي متطرف أو شاذ ليقوموا بالنفخ فيه وتضخيمه لكي يلصقوا بالإسلام كل ما يخطر علىٰ البال ، وما لا يخطر من النقائص والعيوب ، مستغلين تصرفات بعض جماعات العنف المنتمين إلىٰ الإسلام وفتاواهم ليقروا : أن الإرهاب الذي يعني سفك دماء الأبرياء وليد الإسلام .

وذكر أن بعض الباحثين والمفكرين الغربيين روجوا لهذه الفرية وألبسوها ثوب الحقيقة ليوجهوا بها الساسة هناك ، أو ليلبوا حاجة الساسة الباحثين عن أسباب تفسر سعيهم الدءوب للهيمنة علىٰ كل أرض إسلامية كي يحققوا ما هدف إليه أجدادهم منذ

---

(١) هذا الكتاب تم عرضه في مجلة الأزهر في ثلاث أعداد متتالية بدأت من جمادىٰ الأولىٰ سنه ١٤٢٥هـ - يوليو ٢٠٠٤م ، عرض وتحليل أ . د . إبراهيم عوضين .

بدأت حملاتهم الغازية تحت شعار الصليب على مدى ثلاثة قرون متواصلة ولهذا ـ وغيره ـ ارتكزت أفكارهم على ربط الإرهاب بالإسلام دون غيره من الديانات والنظم، مغمضين أعينهم وعقولهم عن الإرهاب المنتشر في شتي بقاع الأرض، والذي يقوم به منتمون لشتى الديانات والمذاهب من المسيحيين واليهود والبوذيين.

الإرهاب وتحرير الأرض :

ولكي يميز الكاتب بين الإرهاب ومقاومة الغاصب.. قدم مبحثاً ذكر فيه تعريف القانونيين للإرهاب وتعريف لجنة الإرهاب الدولي التابعة للأمم المتحدة له مستخلصاً من تلك التعريفات أبرز سمات الإرهاب حيث يُستخدم العنف دائماً لتحقيق أغراض سياسية غير مشروعة دون اعتراف بأي دور للنشاط السياسي.

ويومئ الكاتب إلى أن هذه التعريفات على وضوحها ودقتها ـ لم تمنع من الخلط بين العمليات الإرهابية العدوانية والعمليات التحررية، إذ ينظر كل إليها بمنظار ذاتي، فالغاصب يأبى أن يتصدى له صاحب الحق، ويعد تصديه له إرهاباً، حتى اختلت المعايير، واضطربت الرؤى، واتسم الموقف الواحد بسمتين متناقضتين تمام التناقض، فما يعد اليوم إرهاباً وتجاوزاً، يُعد غداً وطنية وممارسة شريفة، فأعمال الاغتيالات التي مارسها (ديجول) في أثناء مقاومته الاحتلال الألماني عام ١٩٤٠م إلى عام ١٩٤٥م باسم المقاومة الوطنية المجيدة، كان الألمان يرونها إرهاباً يستلزم العقاب، بل إن (ديجول) نفسه رآها إرهاباً كذلك حين صدرت من الجزائريين في مقاومتهم الاحتلال الفرنسي، وما يدور اليوم في «أيرلندا الشمالية» من مجازر بشرية بين البروتستانت والكاثوليك هو مقاومة تحريرية وعنف إرهابي، ومثل هذا وذاك ما نراه على الأرض الفلسطينية في مواجهة اغتصاب الصهيونيين تلك الأرض!![(1)].

---

(١) أقول: إن قانون الإرهاب فضح الذين وضعوه حينما وضعوا المقاومة الإسلامية بقيادة «حماس» ضمن المنظمات الإرهابية، والعالم يشهد أن حماس منذ إعلان ميثاقها في ١٤ ديسمبر ١٩٨٧م، وحتى انتصارها على اليهود في غزة عام ٢٠٠٩م لم يثبت داخلياً أو خارجياً أنها تورطت في أعمال عنف أو إرهاب، لا من قريب ولا من بعيد، إلا أنها تقاوم المحتل وتصد العدوان الذي نصّ على مشروعيته قانون الإرهاب، «ويستثنى من ذلك أعمال المقاومة والاحتلال والعدوان».

وهذا الخلط في الأحكام إنما نشأ عن تقييم العمل بمعايير شخصية بحتة ترىٰ الشيء بعين المنفعة الذاتية دون تقدير للمعايير المحايدة التي تلتزم بالعدل والمساواة .

ومن هنا ينطلق الكاتب ـ في بحثه ـ داعياً إلىٰ الاتفاق الجاد علىٰ معايير واضحة محددة يتميز بها العمل القومي والوطني من العمل الإرهابي المعتمد علىٰ العنف والقهر ، وذلك بتحديد صفات العمل الوطني وسماته المميزة له عن الاندفاع وراء النزوات النفعية الخاصة ، علىٰ النحو الذي أوضحه ميثاق الأمم المتحدة ، حيث أكد حق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال والحكم العنصري والهيمنة الأجنبية في أن تستخدم كل صور العنف ضد الاحتلال الأجنبي للحصول علىٰ استقلالها المشروع ، وهذا يعني أن أعمال المقاومة المشروعة توجه إلىٰ القوات العسكرية المحتلة أو سلطات الاحتلال المدنية ، فلا توجه إلىٰ أي أحد ليس له علاقة بالاحتلال مثل السائحين الأجانب ، ولا تقع خارج الأراضي المحتلة إلا في حالة الضرورة .

أماما يتجاوز هذه القيود فيدخل في ضمن العنف غير المشروع كالسطو المسلح علىٰ البنوك والمحال التجارية .

الإرهاب والدين :

ويلاحظ الكاتب أن حدة الإرهاب في العالم زادت منذ أواخر ستينيات القرن العشرين ، وأن الإرهابيين استغلوا التطور التكنولوجي في عنفهم حتىٰ أصبح ظاهرة عالمية تنتشر في كل بقاع العالم وبين جميع الشعوب من غير استثناء أي ثقافة أو دين ، فالدافع إليه ـ في الغالب ـ أغراض سياسية ، كما وضح ذلك في إرهاب الثوار الفرنسيين الذين قاموا بقطع رأس ١٤٠ ألف فرنسي ، وفي الإرهاب الصربي الذي أدىٰ إلىٰ اغتيال ولي عهد النمسا ، فقاد العالم إلىٰ الحرب العالمية الأولىٰ .

وفي الإرهاب الأمريكي بإلقاء القنبلة النووية لأول مرة علىٰ (هيروشيما) و (ناجازاكي) لتأديب اليابانيين ، وفيما تفعله جماعة الألوية الحمراء الإيطالية ، وفيما صنعه اليهود والمسيحيون في صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م ، وفي جنين عام ٢٠٠٢م ، وفيما يدور من عنف في أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت .

من كل ما تقرر لا يستطيع أحد ـ في أي زمان أو مكان ـ أن ينسب الإرهاب والعنف إلىٰ أي ديانة سماوية أو غير سماوية .

فالدين المسيحي لا يمكن بأي حال أن يقر أو يقبل ما صنعته أمريكا المسيحية في هيروشيما وناجازاكي، ولا ما صنعه المسيحيون في (أوكلاهوما).

والدين اليهودي لا يمكن أن يرضىٰ عما صنعه اليهود الصهيونيين في صبرا وشاتيلا، ولا ما صنعوه في جنين.

والدين الإسلامي كذلك لا يمكن أن يُنسب إليه تصرفات أسامة بن لادن وأتباعه في القاعدة أو في غيرها.

والبوذية بريئة تماماً مما يوقعه البوذيون بالآمنين في مترو طوكيو من ترويع وقتل.

أما ما يردده الساسة الأمريكيون والأوروبيون من مزاعم تنسب الإرهاب إلىٰ الدين الإسلامي فهو مجانب للصواب، كما أنه كيل بمكيالين، إذ يلتفتون إلىٰ ما يصدر عن بعض المنتمين إلىٰ الإسلام ويغمضون عيونهم عما يصدر عن بعض المنتمين للمسيحية واليهودية والبوذية، وما ذلك منهم عن جهل أو خطأ، ولكنه عن عمد لتحقيق أهداف سياسية غير مشروعة بما يجعله منهم لوناً آخر من ألوان الإرهاب . . . هو أخطر من إرهاب القتل.

ويذكر الكاتب أن هذا الإرهاب الأمريكي والغربي أفرز ألواناً أخرىٰ من الإرهاب، لا علاقة لها بأي دين سماوي، كمجزرة الحرم الإبراهيمي عام ١٩٩٤م، التي راح ضحيتها نحو أربعمائة فلسطيني بين قتيل وجريح بيد اليهودي المتطرف (باروخ جولد شتاين)، ومثل تفجير المبنىٰ الفيدرالي بالولايات المتحدة بأيد أمريكية مسيحية عام ١٩٩٥م، وأدىٰ إلىٰ مصرع ١٦٦ وإصابة ٣٠٠شخص، ومثل تفجير مترو الأنفاق بباريس عام ١٩٩٥م، ومذبحة قانا جنوبي لبنان عام ١٩٩٦م التي قامت بها القوات الإسرائيلية وأدت إلىٰ مصرع ١٤٧ وإصابة ١٢٠ شخصاً، ومذبحة صبرا وشاتيلا التي اشتركت فيها القوات المسيحية مع القوات الإسرائيلية في ١٨ سبتمبر عام ١٩٨٢م وقُتل فيها أكثر من ثلاثمائة فلسطيني بين أطفال وشيوخ ونساء، ومثل ما حدث في الأقصر تجاه السياح الأجانب وراح ضحيته ٥٨ قتيلاً و٢٥ جريحاً من بين السائحين ولم تعرف إلىٰ الآن هوية الفاعلين وما حدث في جنين عام ٢٠٠٢م من مجازر بشرية علىٰ أيدي القوات الإسرائيلية وما حدث في مترو الأنفاق في طوكيو بإطلاق الغاز السام من بعض الجماعات اليابانية، وتفجير

مركز التجارة الدولي بأمريكا ٢٠٠١م، ونُسب إلىٰ بعض الجماعات الإسلامية دون دليل مع اتجاه الأدلة لبعض اليهود.

فهذه الأمثلة ـ علىٰ تنوعها واختلاف مواقعها ومصادرها ـ أوضح دليل علىٰ أن الإرهاب ظاهرة عالمية وأنه إفراز الميزان الأمريكي والأوروبي الجائر، من كل ما يؤكد أن نسبته إلىٰ أي دين ـ إسلاماً كان أو غير إسلام ـ هو من وسائل التضليل الغربي الاستعماري التي تحرص علىٰ إخفاء هوية تُجار السلاح الأمريكيين الذين يُغذون كل نشاط إرهابي في أي مكان. . . !

فالسلام .. اصل إسلامي عام .. بات ذلك واضحاً من الفصل السابق مبادئ الحرب والسلام، فهو مبدأ من مبادئ الدولة الإسلامية.

أسباب تحول بعض الإسلاميين إلى العنف:

١ ـ غياب الفهم الصحيح : أقول : إن أهم قضية في حياة المسلم هي قضية الفهم، ولذلك اهتم القرآن الكريم بها ففي آيات كثيرة ﴿**لعلهم يعقلون**﴾، ﴿**لعلهم يتفكرون**﴾، ﴿**أفلا يتدبرون**﴾، والذي لا يفهم دينه الفهم الصحيح يكون عُرضة لأي آراء تحول فكره إلىٰ هنا أو هناك، ويؤثر فيه أي فكر (كالذي انهار عنده جهاز المناعة فأصبح عُرضة للإصابة بأقل ميكروب).

٢ ـ ما اذاقه نظام الحكم الناصري في مصر للجماعات الإسلامية من اقسى الوان العذاب في السجون والمعتقلات ، آملاً أن يقضي عليهم[١]، ولم يعمل حساباً لما تخلفه تلك القسوة في نفوس المعتقلين ونفوس ذويهم من آثار مدمرة ظهرت في جيل من أبنائهم يؤمن بأن تلك الأنظمة كافرة يجب مقاومة من يتعامل معها من سياح وأجانب ورجال سلطة [٢].

---

(١) المصدر السابق، الإرهاب، د. نبيل لوقا.

(٢) لم يتجاوز عدد من جنح إلىٰ هذا من المعتقلين أصابع اليد الواحدة أما ألوف المعتقلين فلم يحدث منهم شيء من ذلك، واحتسبوا هذا عند الله تعالىٰ ومضوا في طريق دعوتهم إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ - دور أمريكا والأمن الداخلي : يركز د. نبيل على دور مسئولي الأمن داخلياً والأمريكان خارجياً في تنمية وإعداد هؤلاء الثائرين المتطرفين من الشباب المسلم لاستغلالهم في مقاومة الوجود الشيوعي في بعض البلاد الإسلامية بعد إعدادهم وتدريبهم وإمدادهم بأحدث الأسلحة بناء على اتفاقيات سرية بين المخابرات الأمريكية وتجار الحرب والسلاح، كالذي حدث في أفغانستان، والشيشان والصومال والبوسنة وألبانيا وجنوب أفريقيا والسودان واليمن.

وقد توهم مسئولو الأمن في البلاد العربية والمخابرات الأمريكية أنهم بذلك يصطادون عصفورين هما التخلص من الشيوعيين والتخلص من تلك الجماعات، ولكنهم فوجئوا بما لم يخطر لهم ببال، فبعد تحقق الشق الأول من الهدف عاد شباب تلك الجماعات بتخطيط أمريكي إلى بلادهم مدربين على أحدث التقنيات الحربية ليواصلوا عملياتهم ضد الاستبداد الأمني في داخل البلاد، وضد الوجود الأمريكي الاستعماري في أرض الإسلام، وضد التوجه الإسلامي الديمقراطي الذي يمثله الإخوان المسلمون حتى وصفهم (أيمن الظواهري) بالكفر، كما وصف كل الدول العربية والإسلامية لاقتناعهم بالنظام الديمقراطي الذي يمنح للبشر حق التشريع، وهذا في رأيه يعني تنصيب إله من البشر؛ لأن التشريع لله وحده.

والدكتور نبيل بهذا يوضح الدور الأمريكي في تكوين تلك المنظمات الإرهابية وتغذيتها بالعنف، وإمدادها بالسلاح لتحقيق النصر على السوفيت، ويبين أنهم بعد أن تحقق مأربهم انقلبوا على تلك المنظمات ليتخلصوا منها، كما تخلصوا من بعض الحكام الذين عاونوهم في هذا السبيل مثل ضياء الحق رئيس باكستان الذي تخلصوا منه بالقتل، ودور أمريكا واضح في مساعدة الإرهابيين في كل بلاد الدنيا بالمال والسلاح، والإعداد والحماية، إلى غير ذلك بغية خلق نوع من عدم الاستقرار، ولتحقيق ما تريد من تلك البلاد من فرض هيمنتها، كما يقرره ما نراه من معاونتها لصدام حسين لمحاربة إيران ومساعدتها القاعدة وطالبان في أفغانستان لمحاربة الاتحاد السوفيتي.. إلى آخر تلك الأدوار الأمريكية في شتى بلاد العالم.

وأجهزة الإعلام (مع هذا كله) تصر على أن تطلق على هؤلاء الإرهابيين لقب (الأصوليين) أو (الجماعات الإسلامية) فتنسب أعمالهم إلى الإسلام، والإسلام من تلك الأعمال كلها براء، ولكنها أمريكا هي التي تدبر وتصنع وتؤازر وتمول، ثم هي التي تستغل وسائل الإعلام في تضليل الرأي العام وصرف الأنظار عنها، فليس من بين هؤلاء الإرهابيين واحد فقط يمكن أن ينتسب إلى الأصولية الإسلامية الحقة.

٤ - الجهل بحقائق الإسلام : سواء كان هذا الجهل عن خطأ أو عن تضليل مقصود ممن يكيدون للإسلام كهؤلاء الذين يطالبون المسيحيين بدفع الجزية مدعين أنها عقوبة مفروضة عليهم غافلين أو متغافلين عن حقيقة الجزية وهي أنها ضريبة للدفاع عن غير المسلمين[(١)].

٥ - الحرب على الإسلام لوقف المد الإسلامي: إن ما يجري اليوم في العالم ليؤكد صدق مقولة (التاريخ يعيد نفسه)، فكما تسترت أوروبا بستار الصليب لتغزو البلاد الإسلامية منذ نحو عشرة قرون، فجمعت الجيوش من قطاع الطرق والمرتزقة في شتى الأنحاء الأوروبية يقودها ملوك أوروبا، ويدعمها رجال الدين الأوروبيون طمعاً في الاستيلاء على خيرات الشرق الإسلامي، وأملاً في وقف المد الإسلامي وتطلعاً إلى التوسع الاستعماري.

كما تسترت أوروبا بستار الصليب والمسيحية لتلك الأهداف، تسترت أمريكا وحلفاؤها من الدول الأوروبية في العصر الحديث بستار الإنسانية الضائعة بالعنف والإرهاب الإسلامي، مطلقة صيحاتها الإعلامية المضللة التي تلصق الإرهاب بالإسلام، مستغلة أفعال بعض من أعدتهم من الجماعات المنتمية إلى الإسلام لمقاومة الشيوعية، متجاهلة الفرق بين ما ينسب إلى الإسلام وما يصدر من بعض المنتمين إليه قاصدة بذلك الإساءة إلى الإسلام لوقف مده الذي أصبح يفزعهم من جهة والاستيلاء على منابع النفط في الأرض الإسلامية من جهة أخرى وخلق الإمبراطورية الأمريكية المحققة للعولمة من جهة ثالثة.

---

(١) راجع الفصل الثاني، الجزية .

الكتاب الثاني: «نعوم تشومسكي»[(١)]:

[الكاتب هنا يحدد بالأدلة الواضحة الثابتة أصول الإرهاب ومن الذي يتزعمه ومن الذي يرعاه تحقيقاً لمصالحة ومن الذي يحاول أن يتستر فينكشف أمره فيتحدث عن استخدام الولايات المتحدة كلمة «حرب صليبية» وإن كانوا قد تحولوا عنها في استعمال كلمة «حرب» بعد تنبيه الأمريكيين إلىٰ أن ذكر «الحرب الصليبية» سيجعلهم يخسرون حلفاءهم في العالم الإسلامي، فسميت حرب الخليج عام ١٩٩١م بالحرب، وسمي قصف القنابل علىٰ الصرب بأنه «تدخل إنساني» كما اعتاد الأوروبيون الاستعماريون أن يصفوا به مغامراتهم في القرن التاسع عشر.

ولكن «تشومسكي» يصرح بأن الاصطلاح المناسب لذلك هو «الجريمة» إذ هذه الحرب في حقيقتها إنما هي «جريمة ضد الإنسانية» كما أكد علىٰ ذلك «روبرت فيسك» وأن تسميتها «الحرب ضد الإرهاب» ما هي إلا محض دعاية؛ لأنها لا تستهدف محاربة الإرهاب بالفعل وإلا فإن الولايات المتحدة - وفق تعريفها للإرهاب - هي في الحقيقة دولة تتزعم الإرهاب، شأنها شأن عملائها كما نبه إلىٰ ذلك عالم السياسة الأمريكي «مايكل ستول» في قوله: «يجب أن نعترف أن الاستخدام الشديد للقوة والتهديد باستخدام القوة عادة ما يوصف بأنه دبلوماسية قهرية جبرية، وليس باعتباره شكلاً من أشكال الإرهاب، مع انطوائه عموماً علىٰ التهديد بالقوة، وغالباً باستخدام العنف.

ولأن الثقافة الفكرية الغربية ترغب في تبني هذا الوصف، لهذا اتخذت الحرب ضد الإرهاب شكلاً مختلفاً تماماً، كما تقرره الوثائق الرسمية الحكومية.

مقاومة الإرهاب لا تبرر الإرهاب:

وفي الفصل الثاني: «هل يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب؟» ذكر تشومسكي: أنه - لأسباب كثيرة - أصبحت معظم دول العالم ترىٰ أن الولايات

(١) الكاتب أمريكي يهودي أستاذ اللغويات، الكتاب: نعوم تشومسكي ١١/ ٩ طبعة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م، الطبعة الأولىٰ، مكتبة الشروق الدولية والذي عرض هذا الكتاب مجلة الأزهر عدد ربيع أول ١٤٣٠هـ مارس ٢٠٠٩م، ص ٤٢٠ .

المتحدة الأمريكية دولة إرهابية من الطراز الأول، ويكفي لتقرير هذا . . أن نتذكر إدانة المحكمة الدولية للولايات المتحدة عام ١٩٨٦م بسبب استخدامها غير الشرعي للقوة، وأن نتذكر استخدام الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضد قرار من مجلس الأمن يطلب من جميع الدول الالتزام بالقانون الدولي .

وهذا يعني: أن مقاومة الولايات المتحدة للإرهاب إنما هو لون من التضليل الذي تمارسه، فالإرهاب الذي تدعو لمقاومته ليس هو الإرهاب في عمومه، وإنما هو مقصور على إرهاب الآخرين ضد الأمريكان فقط، وأما إرهابها هي وحلفائها ضد الآخرين فلا يدخل في نطاق الدعوة لمقاومة الإرهاب] .

ثالثاً : مفهوم الإرهاب في القرآن (1) :

ذكرنا أن معنى الإرهاب في القرآن لا يخرج عن معنى الإخافة .

أ - قال الله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ب - قال الله تعالى : ﴿ **لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ (الحشر : ١٣) .

جـ - قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ (الأنبياء : ٩٠) .

د - قال الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ (البقرة : ٤٠) .

في الآية الأولى ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي تخيفون، وفي الثانية ﴿رَهْبَةً﴾ أي خوفاً، وفي الثالثة ﴿رَهَبًا﴾ أي خوفاً، وفي الرابعة ﴿فَارْهَبُونِ﴾ أي فخافون .

س : هل يحث القرآن على الإرهاب أو يمنع الإرهاب؟

١ - في الآية الأولى : ترهبون تعني الإخافة أو التخويف مجرداً من أي فعل

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ١٧، ص ٦٤ .

سوى إعداد القوة المستطاعة فهو أمر بإعداد العدة الدفاعية موجه إلى الأمة والدولة وهو واجب (أي حكومة قديماً أو حديثاً) وهذا يمنع الإرهاب.

٢ - وهذه الإضافة تردع هذه القوة من الشروع في العدوان (قوة الردع حديثاً) فكأن الأمر بإعداد القوة يستهدف منع التحرك بالعدوان أي تمنعون وقوع الحرب فكأنه دعوة ضمنية للسلام بإخافة أعداء السلام وهذا يمنع الإرهاب.

٣ - من تعريف الإرهاب أنه أي فعل من أفعال العنف العدواني والأمر بإعداد القوة الأمنية الدفاعية يؤدي إلى منع الإرهاب أو مكافحة الإرهاب.

٤ - الإرهاب بالمفهوم القرآني هو أن إعداد القوة لمنع الشروع في العدوان مطلقاً سواء علمت الدولة مصدره أو جهلته : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال : ٦٠).

٥ - إعداد القوة الأمنية والدفاعية هو ما تضمنته الآية من دعوة للمجتمع كافة بالإنفاق لهذا الإعداد : ﴿ ... **وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال : ٦٠)، وبهذا يتأكد من مفهوم الإرهاب بمعنى الإخافة مجرد الإضافة، وهذا ما ذهبت إليه الآيات الثلاث الأخرى ﴿رهبة، ورهباً﴾.

٦ - الإرهاب في السنة : يشدد الإسلام النكير على الإرهاب بمعنى التخويف والترويع بين أفراد المجتمع ولو كان تهديداً بالقتل لم يصاحبه شروع فيه، ولو بالإشارة بحديدة، ففي حديث السيدة عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من أشار بحديدة إلى أحد من المسلمين يريد قتله وجب دمه»**[1]، ويمتد هذا التحريم الرهيب في أدق صوره بين أفراد الأسرة ولو كان بغير قصد جنائي، ففي حديث أبي هريرة يقول قال أبو القاسم : **«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**[2].

---

(١) رواه مسلم، بر ١٢٥، والترمذي، فتن ٤ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب . رقم ٤٧٤١ .

٧ ـ **مشروعية المقاومة للاحتلال:** احتلال دولة لأرض غير أرضها واستيطانها واستغلال مواردها، واستضعاف شعبها، إنما هو ظلم صُراح ينكره الدين وتأباه الأعراف الإنسانية، مما يجعل مقاومته للتحرر منه وتحقيق الاستقلال واجباً مفروضاً بالدين والعرف، وحقاً مشروعاً بالقانون الدولي، وهو المفهوم الدفاعي للجهاد، قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا** ﴾ (النساء: ٧٥)، أما إذا واجه المحتلون الغاشمون المقاومة السلمية بالعنف المفرط وارتكبوا في حقها ما يرقىٰ إلىٰ الجرائم الموجهة ضد الإنسانية فقد صارت المقاومة أحق والمجاهدة أوجب.

وأجلىٰ مثال معاصر لذلك هو الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية له[١].

يمكن تحديد الرؤية الغربية للإرهاب بأنه: «كل فعل يقوم به مسلمون معادٍ لأية رغبة أمريكية أو غربية أو مشروع استعماري حتىٰ ولو كان علىٰ أرض إسلامية محتلة، وعليه فإن من الممكن لنا صياغة الواقع العملي لهذه الرؤية بأنه برنامج وضعته الولايات المتحدة والصهيونية العالمية وإسرائيل لمكافحة الإسلام والقضاء عليه تسير فيه بخطة مدروسة، وذلك باستهداف أفراد من المسلمين لتشويه صورة الإسلام ثم القضاء عليه»[٢].

تحليل التعريف:

١ ـ بعد مراجعة التعريفات التي وضعتها الهيئات والمؤسسات (جامعة الدول العربية ـ المؤتمر الإسلامي ـ السودان) أقول: إنه لا علاقة بين ما في هذه التعريفات وما

---

(١) المصدر السابق، مجلة الرسالة، العدد ١٧، ص ٦٤ وما بعدها.

(٢) هذا هو التعريف الغربي الخفي الحقيقي للإرهاب، وَضَعْتُهُ من خلال التناقض الشديد بين التعريف النظري للإرهاب الذي وضعوه، وبين تطبيقهم العملي لهذا التعريف، فانفضح أمرهم، وانكشف تآمرهم علىٰ الإسلام، وأقول: أما التعريفات التي أعلنتها أمريكا وغيرها إنما هي لتضليل الرأي العام والتلبيس علىٰ الضعاف.

يتم تطبيقه على الواقع، فالتعريف أشار بحق الدول المحتلة في الدفاع واسترداد حريتها وأرضها، أما خطة شارون التي استعان فيها بالولايات المتحدة مباشرة وثقلها فهو تقرير أن المقاومة الفلسطينية تعد إرهاباً تستوي في ذلك مع جماعات الإرهاب التي تتعقبها الولايات المتحدة، وترتب على ذلك وضع المنظمات الفلسطينية وخاصة حماس على القائمة الإرهابية وما يتبع ذلك من إجراءات ضرورية للقضاء عليها، ولم تفكر الولايات المتحدة بالطبع في أن نقطة البداية في هذه المأساة هو وجود إسرائيل على الأرض الفلسطينية بشكل غير مبرر واستمرار الاحتلال وأعمال البطش والإبادة[1].

فهل ينطبق تعريف الإرهاب على المنظمات الفلسطينية؟

كذلك اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الأزهر الشريف بأنه يغذي الإرهاب، وبدأت في تجفيف منابع التعليم الأزهري بعدم إقامة معاهد جديدة، ومنع الإنفاق على الأزهر وطلابه، ومنع إعانات الطلاب فيه، وتحويل المناهج الشرعية إلى قشور لا تسمن ولا تغني من جوع.

فهل ينطبق تعريف الإرهاب على الأزهر الشريف؟

٢ ـ إن العالم الإسلامي قد وضعته الولايات المتحدة بسبب جهود الصهيونية العالمية وإسرائيل في موقف الدفاع، وأصبحت الدول الإسلامية جميعاً مرشحة للإجراءات الأمريكية الجديدة الهادفة إلى مكافحة الإرهاب (الإسلام)، وبدأت المطالبات الأمريكية بالتدرج في إقناع الدول الإسلامية بأن هناك فرقاً بين العقيدة وطرق ممارسة العقيدة، والمطلوب هو تنقية الشوائب كما يقولون وحذف المفردات حتى يتحول الإسلام إلى طقوس[2]، وإلا فالاتهام بالإرهاب جاهز والعقوبات الاقتصادية وغيرها جاهزة، **«ومن ليس معنا فهو علينا»**[3]، وطالما ليس معنا فهو إرهابي.

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٢، ص ١٠١، د. عبد الله الأشعل.

(٢) المصدر السابق، مجلة الرسالة، العدد ٢، ص ١٠١.

(٣) من كلمات الرئيس الأمريكي بوش، في وسائل الإعلام عقب أحداث سبتمبر، حينما قال: «إنها حرب صليبية»، (كتاب: نعوم تشومسكي).

٣ ـ الإرهاب صناعة إسرائيلية ، فأخطر صور الإرهاب هو الربا، والربا صناعة اليهود، والدليل على ذلك أنهم منعوه فيما بينهم يقول الإنجيل «أخوك الإسرائيلي لا تقرض بالربا»[١].

فهل ينطبق هذا على تعريف الإرهاب الذي وضعته المؤسسات المذكورة؟

بهذه الحقائق يتأكد أن التعريف العملي للإرهاب عند الولايات المتحدة وإسرائيل هو القضاء على الإسلام، وهذا ما يمارسونه عملياً، ولكن الله تعالى يؤكد على غير ذلك : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ (المائدة : ٦٤).

موقف المسلمين من هذه القضية:

١ ـ يقف فريق من علماء المسلمين ويدافع عن الإسلام ويبرئ ساحة الإسلام من الإرهاب وهذا الأسلوب يضر الإسلام؛ لأنه يعني ضمناً الاعتراف بمشروعية الاتهام، وشرعية المتهِمين (بكسر الهاء)، الذين هم أولى الناس بالدفاع عن موقف النصرانية واليهودية من جرائمهم، لماذا لم ينبري رجال الدين في اليهودية والنصرانية ليدافعوا عن تشريعاتهم؟!!

هم يريدون أن ندافع، ثم يقرروا بعد ذلك : هل هذا المتهم برئ أم لا!!

فالمتهم برئ حتى تثبت إدانته، إلا الإسلام عندهم فهو متهم لعله تثبت براءته!

٢ ـ تتسابق بعض الحكومات والهيئات العربية (داخل الدولة الواحدة أو بين الدول) في اتهام بعضها بأنها إرهابية، وتتسابق كل واحدة في إثبات ذلك على غيرها لإرضاء التوجه الأمريكي، وأرى أن هذه التصرفات غير مسئولة ويجب الكف عنها؛ لأنها تَضُر بالإسلام، بل والمجتمع الإنساني كله.

---

(١) انظر : المجتمع الإنساني، للشيخ أبو زهرة، جـ٣، ص ٧ .

رابعاً : الحكم في قضية الإرهاب :

إذا لم يتم إلغاء هذا القانون نتج عنه آثار سيئة تدمر الأخضر واليابس، منها :

١ ـ هذا القانون (الإرهاب) تدمير كامل لجميع الحريات وتحويل المجتمع الإنساني إلى قطاع من العبيد لخدمة الساسة الأمريكيين والغربيين، يقول أ . د . نبيل غنايم : «مفهوم الإرهاب مازال موضع دراسة كثير من الدول، إلا أن بعض الدول استبقت هذا الاتفاق إلى اعتبار من يخالفها ويخالف نظامها إرهابياً، حتى المقاومة المشروعة للاحتلال والاغتصاب اعتبروها إرهاباً، وأصدروا العقوبات والمصادرات على ذلك»[١] .

٢ ـ يسود الظلم وتنتشر الجرائم وتسود المجتمع طبقة المجرمين، يقول د . غنايم : «المطلب الملح الذي تُحقق حوله إجماع الدول الـ١٥، ومجموعة الدول الثماني الكبرى فهو القضاء على شبكات تمويل الإرهاب، وقد حدثت تجاوزات في هذه المكافحة، حيث لم يتم الاتفاق على تحديد مفهوم الإرهاب كما أن تلك الدول صادرت أموال الجمعيات الخيرية لليتامى والأسر الفقيرة باسم مكافحة الإرهاب وهي جمعيات وأُسر بريئة من ذلك .

٣ ـ تتوارى وتندثر طبقة الشرفاء والمُبدعين ويُسجن ويشرد من يحاول توجيه المجتمع الإنساني إلى الصواب كما فعلت أمريكا مع المهندس المصري[٢] الذي يُعد نموذج يُحتذى للاجتهاد والإبداع والأمانة، وكم حل من مشكلات في الأسمنت وغيره لدول عدة، والآن تم التحفظ على كل ثروته ليس لأنه إرهابي، ولا لشبهة إرهاب (فقط لمجرد أنه مسلم ناجح في مجاله) .

٤ ـ بهذا القانون ينتشر الرعب في المجتمع كله فيبيت الإنسان مُحترماً ويصبح إرهابياً، فألفاظ القانون مطاطة تستطيع أن تحشُر فيها حشراً[٣] جميع الناس في

---

(١) غسل الأموال رؤية إسلامية، أ . د . محمد نبيل غنايم، ص ١٥٣، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) إنه المهندس يوسف ندا .

(٣) حشرهم، حشرا، جمعهم وساقهم ويُقال حشر الله الخلائق حشراً بعثهم من مضاجعهم وساقهم، المعجم الوسيط، باب حشر، ص ١٨١، الجزء الأول.

أي وقت تشاء ولأي سبب يمكن اتهامه به، أما في ظل الإسلام فينام الناس آمنين للحديث: **«من أصبح منكم آمنا في سربه، معافاً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**[١].

٥ ـ إذا كانت الشعوب التي تُحكم بالقوانين الاستثنائية (الطوارئ) تئن وتتأخر ويُدمر كل شيء فيها (الحرية ـ الاقتصاد ـ التعليم) فالكل محكوم بالحديد والنار فكيف يكون الحال مع قانون الإرهاب؟[٢].

لذا أرىٰ أن الواجب علىٰ المجتمع الإنساني بأكمله تدمير هذا القانون هو وكل من يحاول نشره أو تطبيقه أو الاستناد إليه؛ لأن الإسلام ينهىٰ عن ترويع المؤمن ولو بالإشارة إليه بحديدة.

---

(١) الترمذي، زهد ٣٤، وابن ماجة، زهد ٩، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحيزت، جُمعت.

(٢) طالب أعضاء في البرلمان المصري ٢٠٠٥م بإلغاء العمل بقانون الطوارئ الذي دام ما يقرب من ربع قرن أو يزيد فكان تعليق نجل الرئيس المصري: حينما يُطبق قانون الإرهاب سوف تتحسرون علىٰ يوم من أيام قانون الطوارئ.

٢ ـ قضية الاختطاف واتخاذ الرهائن

المعنى اللغوي: خطف ـ خطفاً : مر سريعاً ، وخطف الشيء خطفاً : جذبه وأخذه بسرعة .

استلبه واختلسه : يُقال : خطف البرق والبصر : ذهب به ، وخطف السمع : استرقه(١) .

(الرهين) يقال : أنا رهين بكذا : مأخوذ به ، وفي التنزيل : ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ (الطور: ٢١). جمعها : رهائن ، وأنا لك رهينة بكذا : ضامن(٢) .

لا يعد الخطف واتخاذ الرهائن من خصوصيات هذا العصر ، بل عرفه الإنسان في مراحل تاريخية سابقة ، غير أنه أصبح اليوم ظاهرة .

أسبابها :

١ ـ الظلم الكبير اللاحق بالشعوب المستضعفة من قبل الدول الكبرى المتسلطة .

٢ ـ عدم امتلاك الدول المستضعفة السلاح المكافئ لرد العدوان عن نفسها .

حكم الاختطاف:

أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بياناً حول اختطاف بعض المدنيين واتخاذهم رهائن فكانت هذه الفتوى لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بذلك .

أولاً : الخطف هو اعتداء على الغير ، سواءاً كان مسلماً أم غير مسلم ، وهو نوع من أنواع البغي الذي نهى الله عنه وحرمه بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (النحل: ٩٠) ، ومن المعلوم أن الأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ليس محصوراً في المسلمين ، فيكون النهي عن البغي أيضاً عاماً لجميع الخلق .

---

(١) المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، ص ٢٥٣ ، مادة خطف .

(٢) باب رهن ، ص ٣٩٢ .

وإذا كانت فطرة الإنسان تدعوه إلى رد العدوان حين يقع عليه، إلا أن الله تعالى أباح رد الاعتداء بمثله فقط : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

وأكد الله تعالى أن مجرد الاختلاف الديني حتى لو دخل مرحلة الصراع لايسوغ الاعتداء على الآخرين قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (أي: لا يحملنكم) شَنَآنُ (أي: بُغض) قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة: ٢).

ثانياً : يعتبر الخطف من الأعمال الحربية، فهو إذا جاز استثناءً أثناء قيام حرب فعلية، فإنه لا يجوز إطلاقاً خارج نطاق الحرب.

١ ـ روى الطبري في تفسيره (٣٦/ ٥٩) عن مجاهد قال: «أقبل معتمراً نبي الله ﷺ وذلك؛ لأنه خرج معتمراً فلم يعتبر نفسه في حالة حرب من المشركين».

٢ ـ كما لم يقر الرسول ﷺ اختطاف سلمة بن الأكوع لأربعة من المشركين بعد صلح الحديبية ظناً منه أن المشركين نقضوا الصلح، وقال صلوات الله وسلامه عليه : **«دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه»**[1].

فالابتداء بالفجور من أخلاق المشركين وليس من أخلاق المسلمين، وإذا أبيح للمسلم الرد على الفجور بمثله فليس ذلك لمجرد الرغبة في الانتقام، وإنما هي محاولة لمنع تكرار الفجور ولإزالته من ميدان العلاقات الإنسانية، وقد أرشدنا القرآن إلى وسيلة أمثل لمنع تكرار الفجور وبين لنا أن العفو والصفح هو الذي يدرأ السيئة، أي يمنع تكرارها : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

ووصف المسلمين بأنهم: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢).

---

(١) رواه مسلم، جهاد ١٣٢ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (القصص: ٥٤).

بناء على ذلك نقول : إنه لا يجوز خطف أي إنسان في غير حالة الحرب الفعليةو وهو عندئذ يكون أسير حرب لا يجوز قتله، بل مصيره إلىٰ إطلاق سراحه قطعاً : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد: ٤).

ومن باب أولىٰ لا يجوز خطف أشخاص، ونستنكر جميع حوادث الاختطاف التي تطال أناساً لا علاقة لهم بالحرب الفعلية.

ثالثاً : في حالة قيام حرب فعلية لا يجوز اختطاف الأبرياء أو المدنيين من الأعداء الذين لا يجوز توجيه الأعمال الحربية ضدهم[1].

والمدنيون في نظر الإسلام هم غير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ العاجزين الذين لا رأىٰ لهم في القتال، وكذلك الرهبان.

وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان[2]. وقال: «**لا تقتلوا وليداً**»[3]، وأمر خالد بن الوليد فقال له: «**لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً**»[4]

والعسيف هو الأجير، وهو يشمل كل من يُستأجر لأداء خدمات لا تتصل بالقتال كالعمال في المصانع والأطباء والعاملين في المستشفيات وأمثالهم.

كما نهىٰ النبي ﷺ عن قتل الشيخ الفاني[5] ، وعن قتل الرهبان وأصحاب الصوامع الذين يحبسون أنفسهم لله[6].

---

(١) ذكرنا تفصيلاً لذلك في الفصل السابق (مبدأ الحرب والسلام).

(٢) رواه البخاري برقم ٣٠١٤، ومسلم، جهاد ٨، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(٣) رواه أبو داود وسبق تخريجه

(٤) رواه ابن ماجة، جهاد ٣٠، برقم ٢٨٤٢، وسبق تخريجه.

(٥) سنن أبي داود، وسبق تخريجه .

(٦) المدونة لمالك، جامع الأصول، مصنف بن أبي شيبة .

وثبت منع قتل الرهبان عن أبي بكر، وذكر جابر بن عبد الله في مصنف ابن أبي شيبة أنهم (كانوا لا يقتلون تجار المشركين)، وقد قاس جمهور الفقهاء من الأحناف والمالكية والحنابلة على هذه النصوص أنواعاً أخرى من غير المقاتلين كالمقعد والأعمى والمعتوه وقوم في دار أو كنيسة ترهبوا وطبق عليهم الباب(١).

رابعاً : لا يجوز احتجاز المدنيين من الأعداء كرهائن وتهديدهم بالقتل بسبب عمل يرتكبه أو يمتنع عنه غيرهم وليسوا مسئولين عنهم ولا يمكنهم منعه وذلك للآتي :

السبب الأول : من أهم قواعد العدل بين الناس (أن لا يسأل أحد عن عمل غيره وألا يحاسب على جريمة اقترفها غيره).

السبب الثاني : أنه حتى في حالة الحرب الفعلية قد يتعرض المدنيون للقتل بسبب الأعمال الحربية كما لو وقعت غارة على معسكر العدو فأصابت من هو قريب منه.

وقد أجاز الفقهاء ذلك حين يقع من غير قصد، أما تقصد قتل المدنيين الذين منع الإسلام قتلهم، فهذا لا يجوز فإذا كان تقصد المدنيين من الأعداء بالقتل غير جائز في أثناء المعركة فكيف يجوز قتلهم بدم بارد وهم أسرى؟

وليس من أخلاق المسلمين أن يتدنوا إلى فعل ما تفعله قوات الاحتلال من سلوك غير متحضر يتمثل في قتل عشرات الآلاف من المدنيين العراقيين من النساء والأطفال والشيوخ بحجة ضرب المقاومة.

والواجب على المسلمين كافة الالتزام بالأحكام الشرعية(٢).

---

(١) المغني، لابن قدامة.

(١) د. يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، دبلن ـ إيرلندا.

٢ ـ غسيل الأموال

أولاً : تحديد المصطلحات [١] :

الغسل ـ الأموال ـ غسل الأموال .

يعتبر مصطلح غسل الأموال من المصطلحات الاقتصادية الحديثة فلم يُعرف ولم يتداول ولم يتنبه له إلا منذ سنوات معدودة ، إذ بدأت إجراءات المراقبة والتجريم والمصادرة وتكوين إدارات خاصة بتتبع ذلك وهكذا .

يقول د. **محمد عبد الحليم عمر** : وفي هذه الأيام زادت ظاهرة الكسب والصرف غير المشروعين سواء من حيث عدم المشروعية الدينية ، أو عدم المشروعية القانونية ، وظهر ما يعرف في المجال الاقتصادي بالاقتصاد الخفي أو اقتصاديات الظل والتي تنطوي في جزء كبير منها على كسب الأموال من مصادر غير مشروعة تضر بالاقتصاد القومي وبحقوق الآخرين ، ونظراً لخوف هذه الفئة التي تكسب أموالاً غير مشروعة من المساءلة القانونية ، وخشيتهم من الناس ، ارتبط بظاهرة الاقتصاد غير المشروع عملية (غسل الأموال) والتي يعني بها إجمالاً الإخفاء والتعتيم على المصادر غير المشروعة للأموال بأساليب عديدة ومتنوعة لتضليل الجهات الأمنية والرقابية ، وإدخال هذه الأموال في دورة عمليات مشروعة لتظل الاستفادة بها[٢] .

ولما كان الأمر بهذه الحداثة رأينا أن نبدأ بتأصيل المصطلحات لننطلق منها إلى ما نحن بصدد بحثه وحتى يكون التحديد واضحاً يتعين علينا أن نعرف معنى كل لفظة على حدة ، ثم نأخذ من ذلك المصطلح المركب ومعناه .

---

(١) غسيل الأموال ، أ . د . محمد غنايم ، ص ١١٢ .

(٢) التوبة من المال الحرام ، ورقة عمل مقدمة إلى الحلقة النقاشية الثانية بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ، د . محمد عبد الحليم عمر ، ص ١ .

١ ـ **الغسل :** وقد وردت مادة الغسل في اللغة بمعنى إزالة الوسخ وتنظيفه بالماء، يقال: غسل الشيء يغسل غسلاً، أزال عنه الوسخ ونظفه بالماء، ويقال: غسل الله حوبته: طهره من إثمه، وغسل الأعضاء: بالغ في غسلها، وغسل الميت طهره ونقاه، واغتسل بالماء: غسل بدنه به والغسل غسل الجسد كله، والمغتسل: مكان الاغتسال والماء الذي يُغتسل به(١).

وقد وردت مادة الغسل في القرآن الكريم ثلاث مرات هي في قوله تعالى في الوضوء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ... ﴾ (المائدة: ٢).

وقوله في الطهارة من الجنابة: ﴿ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ (النساء: ٤٣)، ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (سورة ص: ٤٢)، فكلمة غسل مصدر يدل على النظافة والطهارة في اللغة والقرآن الكريم.

٢ ـ **الأموال :** جمع مال، وفي المعجم: مال يمول مولاً ومؤولاً: كثر ماله فهو مال وهي ماله.. وفلاناً: أعطاه المال وموله: اتخذه قنيه، والمال كل ما يملكه الفرد أو تملكه الجماعة من متاع أو عروض تجارة أو عقارات أو نقود أو حيوان والجمع أموال(٢).

وتشمل الأموال في العصر الحديث الملكية الفكرية وكل ما له قيمة مالية كالسجلات التجارية وحق الانتفاع.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم ستا وثمانين مرة مفردة وجمعاً ومضافة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾ (المعارج).. إلى غير ذلك من الآيات، وهي في جميع المواضع تعني ما يمتلكه الإنسان ويتموله مع غيره عيناً أو نقداً أو منفعة.

---

(١) المعجم الوسيط، جـ ٢، مادة غسل، ص ٦٥٢.

(٢) المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٨٩٢، مادة مال.

٣ ـ غسل الأموال :

نأتي بعد هذين التعريفين إلىٰ كل من : الغسل والأموال للتعريف باللفظ المركب منهما فيكون غسل الأموال هو تطهيرها من كل قذارة ونجاسة ، وتلك هي الطهارة الحسية ، وتكون بإزالة النجاسات كالروث والدم ونحوها من الممتلكات والمكان ونحوها ، كما يتم تطهيرها حسياً باستبعاد ما هو محرم منها كفوائد البنوك والرشوة والغصب والسرقة ونحو ذلك من الميتة والخنزير ، فإن كان المراد بغسل الأموال تلك الطهارات الحسية والمعنوية فهي إرادة صحيحة ؛ لأنها مطلوبة شرعاً .

أما إن كان المراد بها تحويل الأموال القذرة من الكسب غير المشروع بأي وسيلة محرمة تبدو في ظاهرها مشروعة كامتلاك المصانع والعقارات والأراضي الزراعية لإيهام الناس والمسئولين أنها مصادر شرعية وكسب مشروع وإخفاء حقيقتها القذرة ومصادرها الخبيثة من مخدرات وغيرها ، فذلك كذب وبهتان وزور ونفاق يبقىٰ علىٰ حقيقته كسباً خبيثاً ، ويضيف إلىٰ تلك الإجراءات الكاذبة والتمويهات الباطلة من عمليات التحويل والبيع والشراء فتضيف إلىٰ القذرة قذارة وإلىٰ الأموال النجسة عمليات وإجراءات لا تقل عنها نجاسة ، فأين يكون الغسل والتطهير حينئذ؟ !

إنه أبعد ما يكون عن ذلك ، وهذا المعنىٰ الثاني هو المراد في هذه الأيام في نظر الاقتصاديين ، فمصطلح (غسل الأموال) يطلق الآن علىٰ بعض ما يسمىٰ بالاقتصاد الخفي أو اقتصاديات الظل التي تنطوي في جزء كبير منها علىٰ كسب الأموال من مصادر غير مشروعة ، ولخوف أصحابها من المساءلة القانونية وخشيتهم من الناس فإنهم يلجأون بعد كسبها إلىٰ تحويل هذه الثروة غير المشروعة إلىٰ ثروة تبدو في ظاهرها مشروعة كشراء أراض زراعية أو بناء عقارات أو إنشاء مصانع أو إيداعات في البنوك أو مشاركة الآخرين .

ومن هذا يتبين أن مصطلح غسل الأموال (مصطلح مجازي) تم فيه تشبيه الأموال القذرة بالجنب أو الشيء النجس ثم حذف المشبه به وأتىٰ بشيء من لوازمه وهو الغسل بالماء بقصد الطهارة والتطهير ، وهذا المجاز في غير محله لا يصح في عمليات النصب والكذب والخداع التي ظاهرها الغسل والتطهير وحقيقتها المزيد من

القذارة والنجاسة بالكذب والخداع وإجراء العمليات المشروعة ظاهراً[١].

ثانياً: الأموال المشروعة (الحلال) ومنها:

١ - كسب الأعمال الزراعية، ما عدا النباتات المحرمة (كالأفيون - البانجو - القات - الدخان) :

ففي القرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ (النبأ)، ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٩).

وفي السنَّة: حديث: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها**»[٢]، وحديث: «**ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طير أو بهيمة إلا كان له به أجر**»[٣].

٢ - التجارة: تقوم على التراضي ولا يدخلها غش أو غبن أو إكراه :

ففي القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٩).

وفي السنَّة: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**»[٤].

---

(١) غسل الأموال، أ.د. محمد غنايم، ص ١١٥.

(٢) رواه أحمد في المسند، جـ ٣/ ١٨٤.

(٣) رواه البخاري، أدب ٢٧، حرث ١، ومسلم، مساقاة ٧ - ١٠، ١٢.

(٤) أخرجه ابن ماجة، تجارات ١، والدارمي، بيوع ٨، والترمذي، بيوع ٤، وقال: حديث حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦، وصححه ووافقه الذهبي.

٣ ـ الصناعة: تقوم على الزراعة والتجارة :

ففي القرآن : قال تعالىٰ : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (هود)، ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الشعراء)، ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٨).

٤ ـ وهناك مصادر كثيرة أخرى للمال الحلال كالهبة ـ الوصية ـ الميراث ـ الدية ـ الصدقات ـ المهر ـ الفيء ـ الغنيمة ـ العمل والقتال.

هذا ويثبت ملكية الإنسان للمال ويصبح من حقه بالأسباب الآتية :

أ ـ وضع اليد علىٰ الشيء المباح الذي لا مالك له بإذن الإمام، وأن يكون هذا الحق للزراعة والتعمير (مع تفصيل يُرجع إليه في مكانه من الفقه).

ب ـ العقود الناقلة من مالك إلىٰ آخر كالبيع والهبة والوصية.

جـ ـ الميراث.

د ـ الشفعة وهو حلول الشريك أو الجار محل المشترىٰ في ملكية العقار المبيع إذا طلب أحدهما ذلك.

ثالثاً: الأموال الحرام:

نهت الشريعة عن ثمانية أمور رئيسية استتبع النهي عنها النهي عن أمور كثيرة تفصيلية تتصل بها وتؤدي إليها وهي (الربا ـ الغرر[1] ـ المقامرة ـ الغش ـ الغصب ـ الاحتكار ـ الرشوة ـ التجارة في المواد المحرمة والضارة (كالخمور ـ الميتة ـ الأغذية الفاسدة ـ ثمن الكلب ـ مهر البغي ـ ثمن الحر)[2].

---

(١) الغرر هو ما فيه جهالة أو خديعة أو مخاطرة كعسب الفحل (ماؤه التي تحمل منه أنثاه)، والمعاومة بيع ثمار الشجر عام أو أكثر قبل نضجه، تُراجع هذه الأنواع في كتب الفقه.

(٢) الملكية الفردية، د. محمد بلتاجي، ص ١٩٤ .

رابعاً: الحقوق الشرعية في الأموال:

المال إمَّا حلال ، وإمَّا حرام، ولكلٍ حُكمه :

١ ـ المال الحلال:

يتم غسله بإخراج الحقوق الشرعية الواجبة فيها في مواعيدها الشرعية ومقاديرها الشرعية كما فرضها الله، وبينها رسول الله ﷺ، وهذه الحقوق هي :

١ ـ **زكاة المال** حسب أنواع المال ونصاب كل نوع والمقدار الواجب كل عام أو عند الحصاد أو الحصول على الركاز كما هو مقرر في السنة النبوية وإخراج ذلك المقدار الواجب إلى المصارف الشرعية المعروفة .

٢ ـ **زكاة الفطر المفروضة** كل عام بمناسبة الانتهاء من صيام رمضان وبدء هلال شوال وعيد الفطر، طهرة للصائمين وطعمة للمساكين .

٣ ـ **المقادير والوظائف** التي يفرضها ولي الأمر فوق الزكاة التي لم تتسع لحاجة الفقراء فيفرض على الأغنياء ما يسع الفقراء .

٤ ـ **الكفارات الواجبة** ككفارة اليمين والظهار والجماع في نهار رمضان والفدية[١] .

٥ ـ **الديات وأروش**[٢] **الجنايات** كدية المقتول خطأ أو المقتول عمدا مع العفو عن القصاص أو ديات الأعضاء أو أروش الجروح .

٦ ـ **النذور** التي يفرضها المسلم على نفسه لله تعالى فإنها واجبة الوفاء .

٧ ـ **صدقة التطوع** وأمثالها من الأوقاف والهبات والوصايا في وجوه الخير، وحقوق الجار وحقوق الضيف .

٨ ـ **النفقات الواجبة شرعاً** للزوج والأبناء والوالدين والخدم والبهائم والرقيق وأجور العمال ونحو ذلك من نفقة العدة والمتعة والحضانة والرضاعة والمهر .

٩ ـ **الضرائب العامة** التي يفرضها ولي الأمر لمصلحة المجتمع فهذه الأبواب كلها

---

(١) الطرق الحكمية، ص ٣٩٩ .

(٢) جمع أرش، وهو دية الجرح وما يسترد من ثمن المبيع إذا ظهر فيه عيب .

غسيل لابد منه للأموال الحلال حتى تبقى على طهارتها ونقائها وحتى يبارك الله تعالى فيها وينميها وإهمال هذه الحقوق أو بعضها أو التقصير في أدائها ذنباً عظيماً عند الله، ويجب على ولي الأمر مقاومته ومقاتلته وينجس المال ويتلفه وينزع البركة منه والآيات والأحاديث في وجوب تلك الأبواب والحث عليها وبيان فضلها، والتحذير من التقصير فيها والوعيد على إهمالها كثيرة ومجال تفصيلها في أبواب الفقه وكتبه وكتب التفسير والحديث.

٢ ـ المال الحرام:

يجب التخلص منه بالكلية، أو بالجزء المحرم منها، وذلك عن طريق:

١ ـ إعادة الأموال إلى أصحابها.

٢ ـ أو تعويضهم عما دخل في أموالهم من الغش والخداع والنقص.

٣ ـ إصلاح البيوع الفاسدة.

٤ ـ تصحيح المعاملات الفاسدة.

٥ ـ وأساس ذلك كله التوبة النصوح وهي كما نعلم لا تتحقق ولا تكون نصوحاً حتى يقلع العاصي عن معصيته ويندم على ارتكابها ويعزم ويعاهد الله على ألا يعود إليها ويرد الحقوق إلى أصحابها.

وفي ذلك يقول **الدكتور محمد بلتاجي**: لولي الأمر أن يتلف بعض الملكيات الخاصة حماية للناس مما يمكن أن تسببه لهم من ضرر، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن القيم من تحريق الكتب المضللة وإتلافها(١).

ويقاس على ذلك المطبوعات الضارة من صور وكتابة وغيرهما مما يمكن أن يتداول بين الناس فيؤدي إلى الإضرار بهم ومثال ذلك المواد الضارة كالأطعمة الفاسدة أو المسممة ونحوها وبداهة فإن هذا لا يمنع من إيقاع تعزيري آخر بمالك هذا أو مقتنيه فقد عاقب عمر رضي الله عنه بإراقة اللبن الذي شابته صاحبته بالماء(٢).

---

(١) الملكية الفردية، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) تبصرة الحكام، جـ٢، ص ٢١٣.

وذلك أن من أصول النظام الاقتصادي الإسلامي التزام الدولة الإسلامية بالإشراف على تطبيق المقررات الإسلامية في المال وحمل الناس على أن تكون معاملاتهم في نطاق ما هو مشروع .

نماذج وأساليب لكيفية الغسل للمال الحرام:

يقول د . محمد غنايم : الغسل كمصطلح حديث يقوم على الخداع وإخفاء الجريمة وإظهار المشروعية .

إن مصطلح غسيل الأموال الذي ظهر على الساحة الاقتصادية الآن يعني القيام بتصرفات مالية مشروعة لمال اكتسب بطرق غير مشروعة عن طريق استخدامه ولمرات عديدة وفي جهات مختلفة وبأساليب عدة وفي وقت قصير في الاستثمار في أعمال مشروعة مثل الإيداع في بنوك خارجية ، وإدخاله بطريقة مشروعة إلى البلاد ، أو محاولة إخراجه من البلاد بطريقة مشروعة عن طريق التحويلات الخارجية أو تدويرة في شراء عقارات ثم رهنها والاقتراض بضمانها أو تداول المال في البورصات المحلية والعالمية أو إنشاء شركات وهمية وإثبات معاملات مزورة باسمها بهذا المال وذلك كله من أجل محاولة إخفاء المصدر غير المشروع للأموال وتضليل الأجهزة الرقابية والأمنية من العقوبات المقررة عن الجرائم الاقتصادية التي ارتكبها .

جدول مقارنة بين التوبة وغسل الأموال :

التوبة	غسل الأموال
١ ـ التوبة من المال الحرام تعني التوقف عن الكسب الحرام . ٢ ـ حصر وتحديد ما سبق كسبه . ٣ ـ التصرف فيه برد المظالم إلى أصحابها . ٤ ـ التوبة من المال الحرام تؤدي إلى تقليل الجرائم الاقتصادية . ٥ ـ التوبة سلوك حميد مطلوب شرعاً .	١ ـ عملية غسيل الأموال مصطلح مضلل يضيف جريمة أخرى إلى جرائم رأس المال . ٢ ـ تزيد الجرائم الاقتصادية . ٣ ـ يقوم على الخداع وإخفاء الجريمة وإظهار المشروعية . ٤ ـ تزداد الجرائم ويؤدي إلى الانهيار الاقتصادي وانتشار الفقر ٥ ـ سلوك سيء مجرَّم قانوناً .

حكم غسل الأموال :

١ ـ أما غسل الأموال بالمصطلح الحديث الشائع الآن الذي يعني تزييف الحقائق وتحويل الأموال المحرمة إلىٰ أموال مشروعة في الظاهر، وإخفاء حقيقة كسبها والتهرب من القوانين والخشية من الناس فهذا غسل نَجِس؛ لأنه ليس نظافة ولا تطهير، بل إنه كذب وخداع ونفاق وتضليل وأكل لأموال الناس بالباطل وكسب خبيث حرام وتهرب من القانون، فهو جريمة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنىٰ، وهو يضيف إلىٰ وزر الكسب الخبيث الحرام وزر الكذب والغش والنفاق وكل الجرائم المترتبة علىٰ عملية الغسل أو كما يسمونها بتبييض الأموال ومن هنا تضافرت الجهود المحلية والإقليمية والدولية لمكافحة هذه الجريمة وإظهار خطورتها ومضارها علىٰ الجميع؛ لأنها ستدمر الاقتصاد العالمي والقومي لكل دولة.

٢ ـ خطورة وحجم جريمة غسل الأموال هي عدة جرائم مركبة، وليست جريمة واحدة، فهي:

أ ـ أموال محرمة لا يصح تملكها واكتسابها.

ب ـ تتحول بإجراءات معينة إلىٰ أموال مشروعة وهي غير مشروعة.

جـ ـ محاولة للتهرب من القانون.

د ـ كذب وغش وخداع للناس.

إنها أربع جرائم في صورة جريمة واحدة، يقول أ.**إبراهيم نافع**: «الرشوة والفساد وتهريب الأموال والتهرب الضريبي والتلاعب في المال العام وغسل الأموال والتجسس الاقتصادي كلها تهديد للأمن القومي»(١).

يقول د. سعيد اللاوندي تحت عنوان: «الإرهاب وغسل الأموال.. رؤية أوربية»: «اكتشفت أوروبا يا للهول أن عواصمها الكبرىٰ مثل لندن وباريس وجنيف وبروكسل ومدريد تتم فيها عملية غسل الأموال عياناً جهاراً وكأنها عمليات بيع وشراء عادية، كما اكتشفت أنها استضافت طوال السنوات العشر الماضية كل المعارضين»(٢).

---

(١) الأهرام، عدد ٤١٩١٢ في ٦/ ٩/ ٢٠٠١م، مقال أ. إبراهيم نافع.

(٢) الأهرام، عدد ٤١٩٦٠ في ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠١م.

يقول د. محمود شريف ـ أستاذ القانون الدولي بجامعة دي بول بشيكاغو ـ تحت عنوان: «رؤية تحليلية لظاهرة غسل الأموال»: «إنها خطورة بالغة على المجتمع الدولي خاصة فيما يتعلق بالناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، فتشير التقديرات العالمية إلى أن الدخل العام لتجارة المخدرات دولياً يبلغ حوالي خمسمائة مليار دولار سنوياً يضاف إليها مبالغ أخرى ناتجة عن جرائم الفساد والكسب غير المشروع».

وفي ندوة الأهرام الاقتصادي حول غسل الأموال قال **الدكتور نبيل حشاد الخبير المصرفي**: «إن ظاهرة غسيل الأموال أخذت في الانتشار عالمياً خلال السنوات الأخيرة خاصة عبر المصارف من دولة إلى أخرى يتم تبيضها وتأخذ صفة الشرعية كأنها آتية من مصدر مشروع، وقدرت المنظمة الدولية لمكافحة غسيل الأموال (الكومنست) الأموال القذرة المغسولة بنحو ما بين ٥٠٠ مليار إلى ١,٥٠ تريليون دولار طبقاً لإحصائيات عام ٢٠٠٠م، هو ما يتراوح بين ٥ ٪ إلى ١,٥٠ ٪ من الناتج العالمي، ويلاحظ تفاوت بين الحدين الأعلى والأدنى نظراً لصعوبة التقدير الواقعي لغسيل الأموال»[١].

وفي الندوة نفسها يشير **الدكتور حسن ابو زيد ـ عميد كلية التجارة بجامعة القاهرة ـ** إلى أن عمليات غسيل الأموال تتم الآن باستخدام أحدث سبل التكنولوجيا والاتصالات الحديثة في نقل الأموال من بنك لآخر والإنترنت خير شاهد على هذا[٢].

وفي الندوة نفسها يقول **الدكتور حمدي عبد العظيم**[٣] **ـ رئيس أكاديمية السادات ـ**: «إن المخدرات وحالات الفساد الإداري والرشاوي والاختلاسات والمناقصات والمزايدات مع شركات عالمية هي أساس عمليات غسيل الأموال، وطبقاً للتقديرات التي ساقها البنك الدولي فقد ارتفع حجم عمليات غسيل الأموال إلى ٢٨٣ مليار دولار في الولايات المتحدة، و ٥٥ مليار دولار في إيطاليا و٦ ,٢٤ مليار في ألمانيا و ٢ ,٢٤ مليار في اليابان، و ٣ ,٢٣ مليار دولار في كندا، و ٢٢

---

(١) الأهرام الاقتصادي، عدد ١٧٠٥ في ١٠/ ٩/ ٢٠٠١م .

(٢) المصدر السابق.

(٣) كان مدير مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية السادات، وأصبح رئيساً لها .

مليار دولار في فرنسا، وحذر من خطورة مواقع الإنترنت التي تعلن أرقاماً غير دقيقة عن الظاهرة[١].

ومن هذه الأقوال وأمثالها كثير يتبين أننا أمام جريمة كبرىٰ تتألف من عدة جرائم لا تهدد الأمن المحلي لأي بلد فقط. بل تهدد الأمن الإقليمي والعالمي في عنصريه الحيويين الاقتصاد والاجتماع.

٣ـ **اقول** : أن جرائم غسيل الأموال هي سيقان الإرهاب وعُكازه[٢] الذي يستند عليه وسيفه الذي يشهره في وجه من يريد، بل وشبكته التي يصطاد بها الفريسة تلو الأخرىٰ.

ليس هذا كلاماً إنشائياً ولكنه الواقع الموجود الذي شاهده الناس. . هذا الواقع في مصر، وكم بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عكز علىٰ عُكازه، توكأ عليها، العُكاز، عصا يتوكأ عليها، الجمع عكاكيز، المعجم الوسيط جـ٢، ص ٦٤١ عكز.

(٣) في عام ٢٠٠٧م تم إحالة مجموعة من أطهر رجال الدعوة إلىٰ المحاكم العسكرية وكان طلب المحكمة تحويلهم إلىٰ لجنة غسيل الأموال، وهم الذي يخافون المال الحرام، وهم الذين يخرجون زكاة أموالهم ويتصدقون كثيراً وكل الناس يعلم ذلك والحمد لله، ثم جاء تقرير اللجنة صالحاً وهنا يتأكد ما قلته من أن غسيل الأموال سيقان الإرهاب.

٤ ـ العلمانية

أولاً: التعريف :

المعنى اللغوي: عند الغربيين المسيحيين: من يُعنىٰ بشئون الدنيا ـ نسبة إلىٰ العلم بمعنىٰ العالم وهو خلاف الديني أو الكهنوتي(١).

المعنى الاصطلاحي: تُنسب العلمانية (علىٰ غير قياس) إلىٰ العالم أو العالمية Secularism(٢) هي حركة اجتماعية تهدف إلىٰ صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلىٰ الاهتمام بهذه الدنيا وحدها(٣).

ويقول المستشرق (أربري) في كتابه «الدين في الشرق الأوسط» عن الكلمة نفسها: «إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال للا دينية واللا دينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صيغة فلسفية أدبية محددة والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية»(٤).

توزيع الاختصاصات:

وظهر تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة وكان الحل النظري علىٰ الأقل توزيع السلطة بين الطرفين، يكون للدولة الشئون السياسية والاقتصادية والتعليمية والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ـ ويكون للكنيسة: شئون الأسرة في مراسيم الزواج وطقوس الوفاة.

---

(١) المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٦٤٨ باب علم، والمعجم الوجيز، ص ٤٣٢ .

(٢) هذه الكلمة ترجمة غير صحيحة لكلمة العلمانية، والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي اللادينية أو الدنيوية لا بمعنىٰ ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنىٰ أخص وهو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد، انظر: الإسلام والعلمانية، د. يوسف القرضاوي، ص ٤٨ .

(٣، ٤) الإسلام والعلمانية، د. القرضاوي، ص ٤٩، ٥٠ .

وهذا التقسيم أو هذا الفصل بين السلطتين يأخذ اسم (العلمانية) وقد مر في التفكير الأوروبي بمرحلتين :

المرحلة الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة ، وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر .

المرحلة الثانية: مرحلة العلمانية المتطرفة وهي مرحلة القرن التاسع عشر وقد بلغت قمتها في التطرف في الفكر المادي التاريخي[١] .

كيف وصلت العلمانية إلى مجتمعنا ؟ :

بدأ الاستعمار يفرض علينا حلولاً لمشاكل ليست عندنا ، وفرض علينا العلمانية في تعليمنا وفرضها علينا في تشريعنا وفرضها علينا في تفكيرنا وسلوكنا وفرضها علينا في سياستنا وفرضها علينا في اقتصادنا ، ففصل بين الإسلام وحكم الدولة وأبعد الإسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه داخل المسجد وفي قلوب الناس يمارسونه اعتقاداً وقلما ينزلون به إلى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية أن يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف:

- يحاول أن يفرض علينا إلغاء الدين عقيدة بعد أن طمست معالمه عملاً في أوضاع المسلمين .
- يحاول أن يصل بنا إلى ما يسمى (الإلحاد العلمي) وهو مرحلة من مراحل العلمانية كي نصل عن طريقه إلى مجتمع غير طبقي .
- يحاول أن يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلة ازدواج السلطة وكحل آلي لتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية .

هل المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام ومبادئه : في الحكم والسياسة وفي نظرته إلى الإنسان ، وفي تحديد منهج السلوك له تنشأ له مشكلة تتعين العلمانية حلاً لها؟ أم أن العلمانية كحل تتطلب أن نستورد من الأجنبي عنا مشكلته أولاً؟ فإن

---

(١) العلمانية والإسلام ، د . محمد البهي ، ص ١٨ .

صعب استيرادها فلنتصورها على الأقل وتكون العلمانية عندئذ حلا لوهم، وليست لحقيقة قائمة فعلاً؟ !(١).

العلمانية والإسلام .. وحكم من يطلب العلمانية :

الإنسان في ظل مبادئ الإسلام لا يرتفع إلى مستوى الألوهية والقداسة في التقدير، كما لا ينزل إلى مستوى الحيوان في السلوك والمعاملة، ولا يعصم من الخطأ في الحكم والرأي والسلوك، بل كما يصيب يخطئ، والوظيفة العامة التي يتقلدها الإنسان ـ أيا كانت منزلتها ليست إلهية، بل هي بشرية تخضع للنقد، وتقبل الشورى والمطالبة بها، ورأي الإنسان أو (اجتهاده) لا يلتزم به إلا الإنسان صاحب الرأي نفسه، وإمام المسلمين أو رئيس دولتهم هو بحكم نظام الإسلام في الخلافة ـ من الخيرة بينهم: إيماناً بالله، ومعرفة بمبادئ الإسلام، وأكثرهم تجنباً للظلم والاعتداء، وإحقاقا للحق، وإقراراً للعدل.

والعلمانية إذن، ليس لها مكان في وجود الإنسان مع الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية، أو توجد العلمانية ولا إسلام(٢).

فالعلمانية إذن لا تقف من الإسلام موقفاً محايداً، ولا يمكن أن تكون محايدة كما زعم بعض العلمانيين العرب، فهذا بالنسبة للإسلام مستحيل.

يقول د. يوسف القرضاوي: «إن الإسلام يواجهها بشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية مادية ومعنوية فردية واجتماعية وهي لا تسلم له بهذا الشمول فلا مفر من الصدام بينهما».

إن النصرانية قد تقبل قسمة الحياة والإنسان شطرين: شطر للدين، وشطر للدولة، أو بتعبير الإنجيل: شطر لله وشطر لقيصر، فتعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله!! أما الإسلام فيرى الحياة وحدة لا تتجزأ، ويرى الإنسان كياناً واحداً لاينفصم، ويرى أن الله هو رب الحياة كلها ورب الإنسان كله فلا يقبل قيصر شريكاً لله فلله ما في السموات وما في الأرض ومن في السموات ومن في الأرض وقيصر

(١، ٢) المصدر السابق.

وما لقيصر كله لله!! فلا يجوز أن يستولي على جزء من الحياة ويوجهها بعيداً عن هدى الله.

إن الإسلام يأبى إلا أن يوجه الحياة كلها بأحكامه ووصاياه، وأن يصبغها بصبغته وهي صبغة الله: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨)، ويضفي عليها من روحه الصافية وهي روح ربانية الغاية أخلاقية المنزع إنسانية المضمون.

ولا يقبل الإسلام إلا أن يصحب الإنسان ـ بتوجيهه وتشريعه ـ في رحلة الحياة منذ أن يولد وإلى أن يموت بل قبل أن يولد وبعد أن يموت[١].

ولا يرضى الإسلام أن يكون في الحياة فضلة لا عمدة وأن يكون له منها الهامش لا الصلب، وأن يكون لغيره القيادة وعليه الطاعة والاتباع.

إن طبيعة الإسلام أن يكون قائداً لا مقوداً وسيداً لا مسوداً؛ لأنه كلمة الله، وكلمة الله هي العليا ولهذا فهو يعلو ولا يعلى.

والعلمانية تريد من الإسلام أن يكون تابعاً لها، يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها لا أن يأخذ موقعه الطبيعي والمنطقي والتاريخي آمراً ناهياً حاكماً هادياً.

إنها تباركه وترضى عنه إذا بقي محصوراً في الموالد والمآتم في دنيا الدراويش والمجاذيب في عالم الخرافة والأساطير أما أن يتحرك ويحرك ويوجه الشباب ويقود الجماهير ويفجر الطاقات ويضيء العقول ويلهب المشاعر ويصنع الأبطال ويضبط مسيرة المجتمع بالحق ويقيم بين الناس الموازين القسط ويوجه التشريع والثقافة والتربية والإعلام ويعلم الناس أن يدعوا إلى الخير ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويقاوموا الانحراف والفساد، ، فهذا ما لا ترضي عنه العلمانية بحال.

تريد العلمانية من الإسلام أن يقنع بركن أو زاوية له في بعض جوانب الحياة

(١) لأن هناك أحكاماً وتوجيهات تتعلق بالجنين في بطن أمه، وأخرى تتعلق بالميت بعد وفاته مثل غسله وتكفينه والصلاة عليه، الخ.. راجع في الموسوعة الشمولية والأنظمة.

لا يتجاوزها ولا يتعداها وهذا تفضل منها عليه؛ لأن الأصل أن تكون الحياة كلها لها، بلا مزاحم أو شريك.

فعلى الإسلام أن يقنع (بالحديث الديني) في الإذاعة أو التلفاز!!

وأن يقنع بالصفحة الدينية في الصحيفة يوم الجمعة.

وأن يقنع بحصة التربية الدينية في برامج التعليم العام.

وأن يقنع بقانون الأحوال الشخصية في قوانين الدولة.

وان يقنع بالمسجد في مؤسسات المجتمع.

وأن يقنع بوزارة الأوقاف في أجهزة الحكومة.

عليه أن يقنع بذلك ولا يمد عينيه إلى ما هو أكثر من ذلك بل عليه أن يزجي من الشكر أجزله للعلمانية التي أتاحت له أن يطل برأسه من هذه النوافذ أو تلك الزوايا!

والإسلام بطبيعته يرفض أن يكون مجرد ركن في الحياة، وهو موجه الحياة[١] وصانعها، يرفض أن يكون مجرد ضيف على العلمانية، وهو صاحب الدار!!.

من هنا يصطدم الإسلام بالعلمانية ولابد في أكثر من مجال يصطدم بها في كل شعبة من شعب تعاليمه الأربع الرئيسية العقائد والعبادات والأخلاق والتشريع[٢].

من الذي يطلب العلمانية في ديار المسلمين من المسلمين؟

يقول د. محمد البهي: لو كان الإسلام (بشموليته ونُظمه[٣] في أوروبا) مانشأت العلمانية في الفكر الأوروبي.

وأقول إن العلمانية كما هو واضح نشأت في الفكر الأوروبي لأسباب كثيرة منها السبب الرئيسي وهو الكنيسة وذلك بسبب:

---

(١) راجع من هذا الباب: الإسلام منهج حياة.

(٢) الإسلام والعلمانية، د. القرضاوي، ص ١٠٩.

(٣) هذا الشمول وهذه النظم تجدها واضحة تماماً في كل هذا الباب.

أ ـ تسلطها باسم الحق الإلهي المطلق .

ب ـ استغلالها فيما يسمىٰ صكوك الغفران .

جـ ـ عدم وجود منهج لديها لحياة المجتمع الإنساني يجد فيه الإنسان حلاً لمشكلاته وصيانة لكرامته وإنسانيته .

ومع هذا البيان الناصع والعرض المشرق لأحكام الإسلام ونظمه وبيان ظلام العلمانية وشرها المستطير تجد في ديار المسلمين من يطالب بالعلمانية ، ولذلك يقول **د.محمد البهي** : إن طلب تطبيق العلمانية في مجتمع إسلامي من حاكم هو لعدم أهليته للحكم وللهرب من المسئولية التي يلقيها الإسلام علىٰ الحاكم كحاكم في طلب الاستقامة في السلوك وأداء أمانة الحكم والعدل والشورىٰ المتبادلة ، والرعاية وليس التسلط .

ومن مفكر هو لقصوره في معرفة الإسلام وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا يدرك أطرافها فقط دون جوهرها وغايتها .

ومن سياسي هو للتلاعب بالفكر غير الناضج والتمويه في حلبة المنافسة السياسة

ومن فتىٰ وفتاة هو للتحلل من التزام الإيمان في التوجيه والسلوك والانطلاق في شهوة البطن والفرج والملبس .

أتراد العلمانية في شرقنا علىٰ نمط الفصل بين سلطة دينية وأخرىٰ مدنية؟

إن النصيحة هي دراسة الإسلام أولاً دراسة واعية وعلماء المسلمين ـ قبل عامتهم ـ أن يعيدوا دراسته في كتاب الله تعالىٰ ، ويستوحوا الرأي منه ، دون أن يفرضوه عليه(1) .

ثالثاً: مستقبل العلمانية في ديار المسلمين:

سوف تخسر العلمانية خسارة فادحة في ديار المسلمين وإن بدا الآن في ـ فترة ضعف الأمة وظهور طبقة المنافقين والنفعيين ـ أنها كسبت أرضاً من الإسلام ، والحقيقة التي أقررها أنها إذا كسبت اليوم سنتيمتر واحد فسوف تخسر مقابلة غداً كيلو مترات بل أميالاً .

---

(1) الإسلام والعلمانية ، د . محمد البهي ، ص 87 .

يقول د. القرضاوي: لا يتصور للعلمانية أن تنجح في بلد إسلامي ؛ لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام الذي تدين به الشعوب المسلمة، ومناقضة لمناهجه وسلوكه وتاريخه ولا يوجد أي مبرر لقيامها.

كما وُجد ذلك في الغرب النصراني كل ما تفعله العلمانية أنها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها والأمة لا تستجيب لها حيث ترفض أجهزة المناعة في كيانها زرع هذا الجسم الغريب في داخلها وتقاومه بكل قوة، فينشأ بين الحكم العلماني وبين الأمة المسلمة صراع يظهر حيناً ويختفي أحياناً، ويمتد يوماً وينكمش يوماً آخر، ولكنه صراع باق مستمر ؛ لأنه صراع بين الذات وبين العدوان على الذات، وقد يكمن كمون النار في البركان ولكنه لابد يوماً أن ينفجر[1].

وسائل القضاء على العلمانية في ديار الإسلام :

١ ـ الحرية :

في جانب التوجيه : لا يرى الإسلام الإكراه ولا ما يتنافر مع طبيعة الإنسان من عوامل التوجيه له، إنه لا يُلزمه بأمر ما وإنما يضع أمامه الدعوة إلى مبادئه، وله مطلق الحرية والمشيئة في الإيمان أو عدم الإيمان بها: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ (يونس: ٩٩).

فإن آمن فهو يلتزم من ذاته بما آمن به في التوجيه والسلوك والمواقف، فلا يلزمه تتبع البوليس ولا إرهاب الأجهزة السرية الأخرى ولا سلطة القانون، ولذا: فالدولة في الإسلام دولة إنسانية أخلاقية، وليست دولة بوليسية[2].

٢ ـ الفهم والاعتدال في الحياة:

ومن نماذج الفهم والاعتدال في الحياة، نجد القرآن الكريم يطلب العودة بالنزاع

---

(١) الإسلام والعلمانية، د. القرضاوي، ص ٦٠ (فشل العلمانية في ديار الإسلام).

(٢) العلمانية والإسلام، د. محمد البهي، ص ٦٠ .

بين الطرفين ـ طرف الحاكمين وطرف المحكومين ـ إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، التي تعبر عنه توضيحاً وتطبيقاً، يقول الله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ (النساء).

فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعاً من أولىٰ الأمر وغيرهم بأربعة مبادئ:

أولاً: بأداء الأمانات إلى أهلها ،وفي مقدمتها أداء صاحب الولاية العامة أمانة ولايته لمن يولي عليهم وبالأخص العمل طبقاً لما جاء في كتاب الله .

ثانياً: بمباشرة العدل في الحكم والقضاء بين الأطراف المعينة في الخصومة .

ثالثاً: بالطاعة لما لله من قوانين ومبادئ في صورة أوامر أو نواهٍ أو وصايا وطبقاً لما جاء في كتابه الكريم وفي سنة رسوله (قولاً وعملاً.

رابعاً: بالاحتكام إلى ما لله في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ من مبادئ وأحكام وتطبيق عملي عند التنازع بينهم وبين أولي الأمر منهم .

فطلب القرآن الكريم رجوع المؤمنين جميعاً إلىٰ ما لله في الكتاب والسنة ما بين ولي الأمر ومن عداه في الجماعة ـ يوضح في غير إبهام أن أصحاب الحكم والولاية العامة في الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم إلىٰ العصمة عن الخطأ كما يجوز عليهم الصواب في الشئون الدنيوية .

كذلك دعوة القرآن إلىٰ أن الدنيا دار اختبار وابتلاء وأنها مرحلة أولىٰ تسبق مرحلة الآخرة لا تعني إطلاقاً شرية هذه الدنيا ولا الانصراف عن متعها وزينتها ومن ثم لا تعني أن الاشتغال بها أمر قليل الشأن في ذاته وأقل شأناً من الاشتغال بدين الله، إن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وله حظه في الإسلام وفي الدعوة إلىٰ دين الله ـ كان يباشر أمراً من أمور الدنيا . . في التجارة .

حتى بعد أن ولي الخلافة أراد الاستمرار في النزول إلى الأسواق ومباشرة تجارته، حتى لقيه عمر ـ رضي الله عنه ـ ونصحه بالرجوع عن ذلك طالما هو في شغل بأمر المسلمين، ثم جمع الصحابة وسألهم أن يقرروا له في (بيت المال) ما يسد حاجته، فقرروا له ما يكفيه وأسرته، فلو أن التجارة مثلاً كشأن من شئون الدنيا شر أو أمر بخس في نظر الإسلام إلى الدنيا لما أقبل عليها مسلم له قدم راسخة في الإسلام كأبي بكر ـ رضي الله عنه، واتخذ منها مصدر رزقه ومعيشة أسرته، فضلاً عن أن يرغب في الاستمرار في ممارستها بعد أن ولي أمر المسلمين.

واستنكر القرآن لتحريم زينة الدنيا وتأكيده ـ بعد هذا الاستنكار ـ حل ما في الدنيا من طيبات من الرزق وزينة فيها للإنسان في قول الله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ (الأعراف).

هذا وذاك يدل على أن المتع المادية ليست شراً، وأن المادة ليست نجسة يجب تجنبها ـ أو على الأقل ـ يجب أن ينظر إليها في احتقار وازدراء، كما ينظر لمن يباشر العمل فيها بنظرة أقل وما أعلنته الآية الثانية هنا من محرمات أخرى في مقابلها وهي: ارتكاب المنكرات والظلم والانحراف والشرك بالله، والاختلاق فيما يوصف به ـ وهي أمور معنوية ترتبط بالسلوك والتصرف والاعتقاد للإنسان ـ يؤيد أن ماديات الحياة الدنيا في وضع سائغ ومقبول يحمل على استحسانها والرضا بها والسعي إليها من الإنسان نفسه وطلب القرآن صراحة ألا يكون أداء العبادة عاملاً على تجاهل الدنيا وعدم الحركة فيها لتحصيل الرزق كما لا يكون السعي في الدنيا شاغلاً عن أداء العبادة فيقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ (الجمعة).

فأداء العبادة له منزلته في الإسلام، وأداء السعي في تحصيل متع الحياة له منزلته في الإسلام كذلك؛ لأنه إذا كانت العبادة تحمل على استقامة الأسلوب في تحصيل متع الحياة فإن تحصيل هذه المتع بسعى الإنسان يعين ـ بدوره ـ على الاستمرار في العبادة.

والشيء الذي يحول الإسلام دونه عند تحصيل متع الحياة هو الإسراف في الاستمتاع بها؛ لأنه يترتب عليه إما منع الآخرين من حقهم في الحياة وإما الإساءة إلى الذات نفسها بكثرة ما تستمتع به يقول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

فينهى عن المبالغة في الاستمتاع بالأكل والشرب، أي بمتع الحياة الدنيا، ولكنه لا ينهى عن تحصيلها والاستمتاع بها[١].

٣ ـ القهر والإكراه في العلمانية من وسائل القضاء عليها:

أقول: إن زوال العلمانية في داخلها وهذا هو النموذج:

يقول د. يوسف القرضاوي: وأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانية، ونفذت فيه خططها، وضربت بيد من حديد كل من يقاومها، وخاضت في ذلك بحراً من الدم هو تركيا بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة الذي قهره (أتاتورك) على تطبيق الأنموذج الغربي في الحياة كلها، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والثقافة وسلخه من تراثه وقيمه وتقاليده، كما تسلخ الشاة من جلدها، وأقام دستوراً لا دينياً يعزل الدين عن الحياة عزلا كاملاً قامت ـ على أساسه ـ قوانين مجافية للإسلام كل المجافاة، حتى في شئون الأسرة والأحوال الشخصية.

فهل استطاع أتاتورك وخلفاؤه من بعده ومعهم الدستور والقوانين والتعليم والإعلام والجيش والشرطة ومن ورائهم الغرب بكل جبروته وقوته، أن يجتثوا جذور الأفكار الإسلامية والمشاعر الإسلامية والتطلعات الإسلامية والقيم الإسلامية من حياة الشعب التركي المسلم؟

الواقع الذي يشهده كل من زار تركيا في السنين الأخيرة، تشهد به المساجد المزدحمة بالمصلين من كل الأجيال وتشهد به المدارس القرآنية التي تعد بالآلاف وتشهد

---

(١) الإسلام والعلمانية، د. محمد البهي، ص ٥٠.

به معاهد الأئمة والخطباء ويشهد به انتشار الكتب الإسلامية ويشهد به حال الأتراك الذين يعيشون في ألمانيا وغيرها من بلاد أوربا هذا الواقع يقول: لا ، وألف «لا» .

ولا بأس أن أنقل هنا ما كتبته جريده (لوموند دبلوماتيك) الفرنسية في ١٨/ ١/ ١٩٨٣م، عن «تركيا بين مدنية الغرب وأصالة الإسلام»، ونقلته مجلة (الرائد) التي تصدر في آخن بألمانيا تقول الصحيفة: «بعد قرنين من الإصلاحات الرامية إلى طبع المجتمع التركي بالطابع الغربي، وبعد نصف قرن من الحكم العلماني هنالك حديث الآن عن انبعاث الإسلام مجدداً في تركيا التي كانت من أوائل الدول الإسلامية التي فصلت بين السياسة والدين»(١) .

٤ ـ إرادة الشعوب هي التي تبقى .. أما إرادة الأنظمة فهي إلى زوال (٢) :

الدليل الأول: اختار الشعب التركي المسلم حزب الرفاه الإسلامي بزعامة نجم الدين أربكان وأصبح رئيساً للوزراء، ولكن العسكر وقفوا بالحديد والنار، وتم حل الوزارة وعاد الأمر من جديد، وفاز الإسلام في تركيا على العلمانية .

الدليل الثاني: وقفت النائبة التركية المحجبة (مروة قاوقجي) في برلمان عام ١٩٩٠م لتتحدى بحجابها العلمانية في تركيا حتى ولو أسقطوا الحصانة ولو أسقطوا الجنسية .

الدليل الثالث : في انتخابات ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨م يصبح (عبد الله جول)(٣) رئيساً لتركيا ويُعدل الدستور وتدخل المحجبات الجامعة على رغم أنف العلمانية وتُصبح (خير النساء) زوجة جول المحجبة في قصر الرئاسة: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ (الصف: ٨). ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (المجادلة: ٢١).

---

(١) الإسلام والعلمانية، د. القرضاوي، ص ٦٠ (فشل العلمانية في ديار الإسلام) .

(٢) هذه الأدلة وغيرها مما سبق ذكره تؤكد فشل العلمانية .

(٣) أثناء المراجعة النهائية، كانت الحرب الصهيونية القذرة على غزة، وقد وقف «رجب طيب أردوجان» رئيس الوزراء التركي في خطابه فقال: «أتحدث هنا كزعيم لأحفاد تلك الدولة العثمانية» (جريدة الدستور المصرية، العدد ٥٥٩، ٨ يناير ٢٠٠٩م)، وأقول: «لقد انهارت مبادئ أتاتورك الهالك وعلمانيته القذرة، وتعود تركيا إلى مكانتها الإسلامية» .

٥- القرآنيون

أولاً: التعريف:

هم الذين يرون الاقتصار على العمل بما جاء في القرآن الكريم فقط .

القرآني : لا يأخذ بالسنة ويكتفي بالقرآن، بما يعني عملياً قص أحد جناحي الشريعة الإسلامية : الكتاب والسنة .

السنة(١) : السنة النبوية هي الوحي الثاني أو الوحي غير المتلو الذي هو البيان النبوي للقرآن الكريم، وهي المصدر الثاني لتشريع الأحكام وتوجيه السلوك لدى المسلمين، لهذا كان التكامل معها فريضة على المسلمين فهماً وفقهاً وإيماناً والتزاماً وعملاً وسلوكاً ودعوة وتعليماً (٢) .

تعريف السنة:

السنة في اللغة : الطريقة محمودة كانت أو مذمومة ومنه قوله ﷺ : «**من سن سنة حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»(٣). ومن حديث : «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»(٤) .

وهي في اصطلاح المحدثين: «ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها»(٥)، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم .

---

(١) أذكر تعريف السنة حتى لا يُظَن أن منكري السنة ينكرون مثلاً المعجزات الحسية للنبي ﷺ أو ينكرون بعض صفاته وأخلاقه، ولكنهم ينكرون السنة كمصدر للتشريع، يعني ينكروا الدين .

(٢) كيف نتعامل مع السنة؟، د. يوسف القرضاوي، ص ٧ .

(٣) أخرجه مسلم، علم ١٥ ، زكاة ٦٩ ، عن جرير بن عبد الله البجلي

(٤) أخرجه البخاري، اعتصام ١٤ ، أنبياء ٥٠ ، ومسلم، علم ٦ ، ٤٥

(٥) قواعد التحديث ٣٥ ، ٨٢ .

وفي اصطلاح الأصوليين: «ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»

فمثال القول: ما تحدث به النبي ﷺ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[١]، وقوله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**»[٢].

ومثال الفعل: ما نقله الصحابة من أفعال النبي ﷺ في شؤون العبادة وغيرها كأداء الصلوات ومناسك الحج وآداب الصيام وقضائه بالشاهد واليمين.

ومثال التقرير: ما أقره النبي ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضى أو بإظهار استحسان وتأييد.

وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة، ومنه قولهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا[٣].

ونحن نريد هنا بالسُنة ما عناه الأصوليون؛ لأنها بتعريفهم هي التي يُبحث عن حجيتها ومكانتها في التشريع[٤].

ثانياً: متى ظهرت هذه الضلالة؟

هذه الضلالة قديمة حديثة وتزداد حدتها في فترات الضعف.

إن أمتنا ولا شك في هذه الأيام تمر بأشد مراحل الضعف، ففي منتصف عام ٢٠٠٧م امتلأت الصحف وتحدثت وسائل الإعلام عن القرآنيين الذين ينكرون السنة تماماً ويقولون نحن لا نعترف إلا بالقرآن.

ولقد تنبأ النبي ﷺ فأخبر عما حدث أو يحدث من أولئك الشاكين المشككين في السنة، والطاعنين فيها الذين يرون ـ كما يزعمون ـ الاقتصار على العمل بما جاء

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو أول أحاديث الأربعين النووية.

(٢) أخرجه البخاري، بيوع ٤٤، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ومسلم، بيوع ١٧.

(٣) إرشاد الفحول، ص ٣١.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ص٥٧.

في القرآن الكريم فحسب، عن المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»(١).

وفي رواية أخرىٰ: «**ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله**»(٢).

وقوله ﷺ: «**يوشك رجل**» يحذر بهذا القول من مخالفة السنة التي سنها، مما لم يرد فيه نص من القرآن. وقوله: «**متكئ على أريكته**»، يعني أنه من أهل الترف والنعمة، وأصحاب الراحة والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه!!.

وقد صور هذا النوع من أنواع البيان صحابي جليل هو: عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ عندما دعا رجل إلىٰ الاكتفاء بكتاب الله عز وجل وترك سنة رسول الله ﷺ، فقد سأله ذلك الرجل عن شيء؟ فأجابه بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له ذلك الرجل: حدثوا عن كتاب الله عز وجل ولا تحدثوا عن غيره، فقال عمران ابن حصين: «إنك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها؟»، وعد الصلوات، وعد الزكاة ونحوها، ثم قال: «أتجد هذا مفسراً في كتاب الله؟ كتاب الله أحكم ذلك، والسنة تفسر ذلك».

وفي رواية أخرىٰ عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا محمداً ﷺ، إذ قال له رجل: يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: «أنت وأصحابك تقرأون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟».

ولكن قد شهدت وغبت أنت ثم قال: فرض علينا رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا، فقال الرجل: «أحييتني أحياك الله»، قال الحسن: «فما مات ذلك الرجل حتىٰ صار من فقهاء المسلمين».

---

(١) رواه أبو داود، سنة ٥، إمارة ٣٣، والترمذي، علم ١٠، وابن ماجة، مقدمة ٢، والدارمي، مقدمة ٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم، وقال: سنده صحيح، وأقره الذهبي.

وقال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : «لا تحدثوا إلا بالقرآن»، فقال له مطرف : «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن»، يريد رسول الله ﷺ.

الأسباب التي دعت إلى هذه الضلالة :

أدرك أعداء الإسلام قديماً وحديثاً أهمية السنة ومكانتها من الإسلام ودورها في بناء الأمة، وتثبيت أركانها، وبناء أفرادها، فحاولوا منذ القدم إيقاف هذا السيل النوراني، والفيض الرباني لقطع الصلة بين المسلم وبين نبيه وأستاذه وقائده، فوضعوا الأحاديث واختلقوا الشبهات لنفي حجيتها واجتثاث قدسيتها من القلوب، وتفريغها من مضمونها، ونزع الثقة بها: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (الأنفال: ٣٠).

وللأسف الشديد انخدع بعض المسلمين اليوم بهذه الشبهات، ورددوها بدون وعي، وذلك بسبب:

١ - جهلهم بحقائق التراث الإسلامي، وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية، وإنما هي أفكار يختطفونها خطفاً.

٢ - وإما انخداعهم بالأسلوب العلمي المزعوم الذي يدعيه أعداء الإسلام.

٣ - وإما رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتجرد الفكري من ربقة التقليد كما يدعون وادعائهم التجديد فيحاولون تجديد كل ثوابت الأمة.

٤ - وإما وقوعهم تحت تأثير أهواء وانحرافات فكرية لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أولئك المستشرقين.

٥ - وإما أنه نتيجة طبيعية للانهزام النفسي والإحساس بالنقص أمام الحضارة الغربية الحديثة مع الخواء الروحي والجهل الشرعي فيجتمع من ذلك رغبة في تجديد الدين بحيث تتوافق تشريعاته وأحكامه مع أفكار الحضارة الغربية المعاصرة[١].

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ١٥ ، شبهات حول السنة، د. أيمن مهدي.

الشبهات التي أثارها منكرو حجية السنة :

كثيرة هي الشبهات، ولكن أذكر شبهتين يعد الإتيان عليها إتياناً على الباقي :

الشبهة الأولى: أن القرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه البشر، قال الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنفال : ٣٨)، **فلم الحاجة للسنة إذن؟**

يقول د. مصطفى السباعي: إن القرآن الكريم قد حوىٰ أصول الدين وقواعد الأحكام العامة ونص علىٰ بعضها بصراحة وترك بيان بعضها الآخر لرسوله وما دام قد أرسل رسوله ليبين للناس أحكام دينهم وأوجب عليهم ابتاعه، كان بيانه للأحكام بياناً للقرآن، ومن هنا كانت أحكام الشريعة من كتاب وسنة وما يلحق بهما ويتفرع عنهما من إجماع وقياس أحكاماً من كتاب الله تعالىٰ إما نصاً وإما دلالة فلا منافاة بين حجية السنة وبين أن القرآن جاء تبياناً لكل شيء.

قال الشافعي - رحمه الله - : فليست تنزل بأحد من دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل علىٰ سبيل الهدىٰ فيها قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ (إبراهيم : ١)، ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (النحل : ٤٤)، ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل : ٨٩).

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع، فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضىٰ من حكمته جل ثناؤه من وجوه، فمنها :

١ - ما أبانه لخلقه نصاً مثل جمل فرائضه في أن عليهم صلاة وزكاة وصوماً وحجاً وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك مما تبين نصاً.

٢ - ما أحكم فرضه بكتابه وبين كيف هو علىٰ لسان نبيه مثل : عدد الصلاة والزكاة ووقتها وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.

٣ ـ ما سن رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نص حكم وقد فرض الله في كتابه طاعة الرسول ﷺ والانتهاء إلىٰ حكمه فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله قبل .

٤ ـ ومنها : ما فرض الله علىٰ خلقه الاجتهاد في طلبه وابتلىٰ طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلىٰ طاعتهم في غيره مما فرض عليهم(١) .

ثم قال : فكل ما قبل عن الله فرائضه في كتابه قبل عن رسول الله ﷺ سنته بفرض الله طاعة رسوله علىٰ خلقه ، وأن ينتهوا إلىٰ حكمه وَمَنْ قَبِلَ عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل ، لما افترض الله من طاعته ، فيجمع القبول لما في كتاب الله ولسنة رسول الله القبول لكل واحد منهما علىٰ الله ، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قبلت بها عنهما(٢) .

الشبهة الثانية: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الْحِجْر : ٩)، يدل على أن الله تكفل بحفظ القرآن دون السنة، ولو كان دليلاً وحجة كالقرآن لتكفل بحفظه؟

١ ـ **في الرد على هذه الشبهة، يقول د. السباعي** : إن ما وعد الله من حفظ الذكر لا يقتصر علىٰ القرآن وحده، بل المراد به شرع الله ودينه الذي بعث به رسوله ﷺ، وهو أعلم من أن يكون قرآناً أو سنة ، ويدل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ :

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاتَعْلَمُونَ** ﴾ (النحل : ٤٣) .

أي أهل العلم بدين الله وشريعته ولا شك أن الله كما حفظ كتابه حفظ سنته بما هيأ لها من أئمة العلم يحفظونها ويتناقلونها ويتدارسونها ويميزون صحيحها من دخيلها وقد أفنوا في ذلك أعمارهم وبذلوا كل جهودهم ، وبذلك أصبحت سنة الرسول مدرسة محفوظة مدونة في مصادرها لم يذهب منها شيء .

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع ، د. مصطفىٰ السباعي ، ص ٣٣ نقلاً عن الرسالة للشافعي ، ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

وقد نص العلماء وفي مقدمتهم الشافعي ـ رحمه الله ـ على أن السنن موجودة عند عامة أهل العلم، وإن كان بعضهم أجمع من بعض، ولكن إذا جُمع علمهم أتى عليها كلها، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره(١)، ولا شك نقطع بهذه النتيجة فنحن لا نشك في أنه لم يضع من سنة رسول الله ﷺ في الصلاة والزكاة والحج والصيام والمعاملات والفرائض شيء قطعاً وإن كل ما كان عليه رسول الله ﷺ أو قاله مجموع مدون وإن اختلفت طرقه وتباينت مراتبه.

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله، فهو ذكر مُنَزَّل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وألا يحرف منه شيء أبداً تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه.

ثم رد ابن حزم على من زعم أن المراد بالذكر في الآية القرآن وحده فقال: هذه دعوى كاذبة مجردة عن البرهان وتخصيص للذكر بلا دليل.

والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو سنة وحي يبين بها القرآن، وأيضاً فإن الله تعالى يقول:

﴿ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (النحل: ٤٤).

فصح أنه ﷺ مأمور ببيان القرآن للناس، وفي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، لكن ببيان النبي ﷺ فإذا كان بيانه ﷺ لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع بنص القرآن فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، فإذاً لَمْ نَدْرِ صحيح مراد الله تعالى منها(٢).

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣.

(٢) الأحكام، لابن حزم ١/ ١٢١.

٢ـ **يقول ابن كثير:** خصت الأمة الإسلامية بالأسانيد والمحافظة عليها حفظاً للوارد من دينها عن رسول الله ﷺ وليست هذه الميزة عند أحد من الأمم السابقة.

وقد عقد الإمام الحافظ ابن حزم في الملل والنحل (جـ٢ ص ٨١ ـ ٨٤) فصلاً جيداً في وجوه النقل عند المسلمين، فذكر المتواتر كالقرآن وما علم من الدين بالضرورة، ثم ذكر المشهور نحو كثير من المعجزات ومناسك الحج ومقادير الزكاة وغير ذلك مما يخفىٰ علىٰ العامة وإنما يعرفه كوافُّ أهل العلم فقط.

ثم قال: وليس عند اليهود والنصارىٰ من هذا النقل شيء أصلاً؛ لأنه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذي ذكرنا قبل ـ يعني التواتر ـ من إطباقهم علىٰ الكفر الدهور الطوال، وعدم إيصال الكافة إلىٰ عيسىٰ عليه السلام.

ثم قال: والثالث: ما نقله الثقة عن الثقة كذلك، حتىٰ يبلغ إلىٰ النبي ﷺ يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان[1].

٣ـ **يقول الشاطبي في الموافقات:** إن حفظ القرآن يتضمن حفظ السنة؛ لأنها بيان له وحفظ المبيّن يستلزم حفظ بيانه.

٤ـ **يقول د. ايمن مهدي الأستاذ بجامعة الأزهر:** وأما دعواهم أن الله حفظ القرآن ولم يحفظ السنة فهي شبهة باطلة؛ لأن الله وعد بحفظ القرآن وهذا يستلزم حفظ السنة؛ لأن السنة من الكتاب بمنزلة الجزء من الكل، والشرح من الأصل والتفسير من النص.

فحفظ الكتاب يستلزم حفظ السنة المبينة له، فالسنة محفوظة بحفظ الله تعالىٰ لها وليس معنىٰ هذا أن الله حفظ السنة بحروفها وألفاظها كما حفظ القرآن، ولكن الله حفظ أحكامها من الضياع ومعانيها من التحريف والتأويل والتشبيه والمسخ.

والناظر في التاريخ العلمي للمسلمين يجد صدق ذلك، فقد أيَّد الله الإسلام في كل عصر بعلماء جهابذة، ورزقهم حفظاً خارقاً، وعلماً كثيراً، وذكاءً حاداً،

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تأليف أحمد شاكر، ص ٢٢٥ .

ويسَّر لهم وضع الضوابط والقواعد التي تكفل حفظ السنة من الزيادة والنقص، فوضعوا علم مصطلح الحديث، وعلم الرجال، والجرح والتعديل، فوزنوا المنقول وأثبتوا المقبول، وكشفوا زيف الفاسد الرديء[١].

٥ ـ لا يجوز نقلاً ولا عقلاً ترك السنة : أما نقلاً فقد تحدثنا عنها ، أما عقلاً فأقول: أي جهاز من الأجهزة يحتاج إلى برنامج تشغيلي يُوضح فيه كيفية التشغيل والتوجيه التفصيلي للأجزاء.

وكذلك **القانون** (أي قانون يصدر في الدنيا): يشمل الأصول والقواعد، أما التفاصيل الدقيقة وكيفية تطبيق القانون يكون ذلك في المذكرة التفسيرية للقانون.

أما القانون فهو القرآن، والمذكرة التفسيرية هي السُّنَّة والعقل، وإن حفظ القانون يستلزم حفظ مذكرته التفسيرية، فلا تطبيق للقانون بدون المذكرة، ولا فائدة للمذكرة بدون القانون.

ثالثاً: آراء العلماء في ضلالة ترك السنة وحكمهم فيها:

١ ـ قال أيوب السختياني: إذا حدثت الرجل بسنة فقال دعنا من هذه وأنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال[٢].

٢ ـ يقول الشيخ المودودي ـ رحمه الله ـ :

أ ـ إن الحقيقة التاريخية التي لا تقبل الإنكار أو الشك أن محمداً ﷺ بعد تشريفه بالنبوة لم يقصر عمله على تبليغ القرآن من عند الله وكفى، بل كان يقود حركة عامة شاملة نتج عنها قيام مجتمع مسلم، فبأي صفة كان هذا العمل الثاني ـ غير تبليغ القرآن ـ يصدر عنه ﷺ ؟ أكان يصدر عنه بوصفه نبياً ومن ثم كان يعبر فيه عن رضا الله كما عبر القرآن عن هذا الرضا؟ أم أن صفة نبوته انتهت بانتهاء تبليغ القرآن، وبقي بعد ذلك مسلماً كعامة المسلمين لا يحمل قوله أو فعله أي سند أو حجة قانونية؟ فإن سلمنا بالقول الأول فلا محيص من قبول السنة مصدراً قانونياً إلى

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ١٥، ص ٤٠ .

(٢) إرشاد الفحول ١، ١٥٦ عن مجلة الرسالة .

جانب القرآن وبالطبع لا داعي لاعتبارها كذلك في الحالة الثانية.

ب ـ فأما من ناحية القرآن فهو واضح تمام الوضوح في أن محمداً عليه السلام لم يكن مجرد رسول من الله، بل كان أيضاً زعيماً معيناً من قبله تعالىٰ، وحاكماً ومعلماً يجب علىٰ المسلمين اتباعه وطاعته، وأن حياته نموذج علىٰ المسلمين أن يحتذوه، وأما من ناحية العقل فهو يرفض الاقتناع بأن يبقىٰ أي نبي خلال فترة تلاوته وتبليغه كلام الله فقط حتىٰ إذا ما انتهىٰ هذا العمل تحول إلىٰ مجرد إنسان عادي كعامة الناس، وأما من ناحية المسلمين فهم يسلمون منذ بداية الإسلام حتىٰ اليوم في أي زمان وأي مكان بأن محمداً ﷺ نموذج واجب الاتباع، وأن أوامره ونواهيه واجبة الطاعة حتىٰ أن أي عالم غير مسلم لا يستطيع أن ينكر قبول المسلمين صفة محمد ﷺ هذه.

وعلىٰ هذا قُبلت السنة مصدراً تشريعياً قانونياً إلىٰ جانب القرآن في نظام القانون الإسلامي، ولا أدري كيف يمكن لأي إنسان أن يعارض صفة السنة القانونية هذه، ولا يكون قد صرح بأن محمداً كان نبياً في فترة تلاوته القرآن وتبليغه إياه فقط، وأن نبوته انتهت بانتهاء هذه المهمة، فإن ادعىٰ ذلك فليقل لنا هل أعطىٰ محمداً ﷺ هذه المنزلة لنفسه؟ أم أن القرآن أعطاها له؟ فإن كانت الأولىٰ فلا سند ولا أساس لها في الإسلام وإن كانت الثانية فإثباتها لن يكون إلا بآيات القرآن(١).

٣ـ **يقول د. مصطفى السباعي:** إن إنكار حجية السنة والإدعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة، وهو يصادم الواقع، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمسة؟ وأين نجد ركعات الصلاة؟ ومقادير الزكاة؟ وتفاصيل شعائر الحج؟ وسائر أحكام المعاملات والعبادات؟

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: ونسأل قائل هذا القول الفاسد: في أي قرآن وجد

(١) الحكومة الإسلامية، د. المودودي، ص ١٣٦ .

أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة والسلام، وبيان ما يجتنب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة وصفة الصلاة بها وبمزدلفة، ورمي الجمار، وصفة الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المآكل، وصفتا الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأقضية والتداعي والإيمان والأحباس والعمرى والصدقات، وسائر أنواع الفقه، وإنما في القرآن جمل لو تُرِكنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي ﷺ، وكذلك الإجماع إنما هو على مسائل يسيرة، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم الصلاة ولا حد للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال، وإنما ذهب إلى هذا بعض غُلاة الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم، ولو أن امرءاً لا يأخذ إلا بما اجتمعت عليه الأمة فقط، ويترك كل ما اختلفوا فيه مما جاءت فيه النصوص لكان فاسقاً بإجماع الأمة، فهاتان المقدمتان توجبان بالضرورة(١) الأخذ بالنقل.

٤ ـ **يقول د. أيمن مهدي:** القرآن هو الذي أحال المسلم في معرفة التفاصيل على السنة، فاتباع السنة هو اتباع للقرآن، قال الله تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ (النساء: ٨٠).

والقرآن هو الذي أمرنا بطاعة الرسول ﷺ واتباع السنة، قال الله تعالى: ﴿ **مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الحشر: ٧).

---

(١) الأحكام، لابن حزم ٢/ ٧٩، ٨٠.

فدعوىٰ نبذ السنة والاكتفاء بالقرآن دعوىٰ تناقض القرآن ذاته وتهدم الإسلام قرآناً وسنة .

٥ ـ **يقول الشيخ محمد الحافظ التجاني** [1]: عن الذين ينكرون السنة : وهل في أولئك الأحداث من يبلغ به الخبل أن يرىٰ في نفسه أنه يفهم كتاب الله تعالىٰ خيراً ممن أنزل عليه وهو رسول الله ﷺ ، فإن زعم ذلك فلا شك في ردته وأنه عدو الله ورسوله ، له خبيئة يحارب بها الإسلام والمسلمين وهو أحقر وأذل من أن يصل إلىٰ غرضه .

٦ ـ **يقول د. محمد بكر إسماعيل ـ أستاذ التفسير بجامعة الأزهر ـ** : لا ينبغي أن نغفل أبداً عن الأخذ بالسنة مع الأخذ بالقرآن ونحن نتلو صباح مساءً : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الحشر : ٧) .

وقد رأيت أقواماً يسمون أنفسهم أنصار القرآن ، وهم كثير في باكستان وغيرها من بلدان الشرق ويهملون السنة ، فلا يحتجون بها ولا يبالون بما جاء فيها من تشريعات لها في القرآن أصول تُرد إليها ، وقد حاورتهم بالحكمة والموعظة الحسنة فلم يُجد هذا الحوار معهم ، فتركتهم لله تعالىٰ يعاقبهم بما شاء ومتىٰ شاء .

ورأيت أقواماً يسمون أنفسهم أنصار السنة وهؤلاء يأخذون بالقرآن والسنة معاً وهم علىٰ هدىٰ من ربهم ونور إلا إني آخذ عليهم أنهم أحياناً يعتمدون علىٰ الحديث في الاحتجاج أكثر مما يعتمدون علىٰ القرآن ، فيهتمون بحفظ الأحاديث الدالة علىٰ ما يذهبون إليه في تصحيح أقوال بعض الأئمة المتشددين في الدين وأنهم يأخذون بحديث واحد من الأحاديث المطلقة مع أن في السنة من الأحاديث ما يقيد إطلاقه .

---

(١) سُنَّة الرسول ﷺ، للشيخ محمد الحافظ التجاني ، هدية الأزهر ، شعبان عام ١٤٢٧ هـ، ص١٩ .

ثم يقول : منزلة السنة من القرآن بمنزلة القرآن من القرآن والاحتجاج بها في الأحكام الشرعية كالاحتجاج به ؛ لأنها وحي مثله .

ويقول أيضاً : من أراد أن يقرر حكماً من الأحكام الشرعية فعليه أن يجمع أدلته من القرآن أولاً ، ثم من السنة ثانياً ، ليعرف الحكم معرفة ترفع الإجمال وتزيل الإشكال[١] .

٧ - **يقول د. عبد الستار فتح الله :** السنة تستقل بالتشريع ، ولكن الرسول ليس شارعاً فهو استقلال (ورود) وليس استقلال (إنشاء) ، ومن ثم فإننا نقرر أن كل تشريع جاء عن طريق السنة النبوية لم يكن للنبي فيه إلا البيان والبلاغ دون ابتدائه وإنشائه ليبقى الأصل تفرده تعالى بأمر الحكم والشرع[٢] .

٨ - **أرى أن إنكار السنة هي قضية (أخطر من قضية الردة)** فهي بمثابة شطر الإنسان طولياً بالمنشار فتكون كارثة ؛ لأن فيها : ضعفاً له هو - عدم حاجة المجتمع إليه - عدم استفادة المجتمع منه .

٩ - **إن القرآن ذو طبيعة حركية** يحتاج إلى قدوة عملية لينتقل إلى حيز التنفيذ في حياة الناس ، وليس آيات تُتلى وفقط ؛ لأنه إذا كانت آيات الله تتلى وفقط أرسلها الله إلينا إلهاماً ، ولكن الله تعالى أرسل إلينا القرآن مع رسول الله لنرى نموذجاً تطبيقياً .

- فالقرآن والسنة مثل الليل والنهار ، فأنت مع أحدهما لا تستطيع أن تنكر الآخر ، فأنت في أثناء النهار لا تستطيع أن تنكر الليل .

العمل بالسنة مباح الأصل ، فيجب على من لا يأخذ إلا بالقرآن أن يأتي من القرآن نصاً يأمرنا ألا نأخذ بحديث رسول الله ﷺ .

- العمل بالسنة حتمٌ لازمٌ فالقرآن أمرك بالعبادة (صلاة - حج . . .) والسنة أرشدتك إلى الكيفية ويزداد الأمر إيضاحاً بهذا الحوار .

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٤ ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) المنهاج القرآني في التشريع ، د. عبد الستار فتح الله ، ص ٢٦٣ .

يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ: سُئل أبو بكر الصديق: عرفت ربك بمحمد، أم عرفت محمداً بربك؟ فقال: «عرفت ربي بربي، ولكن ربي أرسل لي محمداً ليبلغني مراد ربي».

١٠ ـ مهمة الرسول بالنسبة للقرآن: أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمة الرسول بالنسبة للقرآن أنه مبين له وموضح لمراميه وآياته، حيث يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (النحل: ٤٤).

كما بين أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (النحل: ٦٤).

وأوجب النزول على حكمة في كل خلاف: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

وأخبر أنه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

١١ ـ وجوب طاعة الرسول ﷺ (أي: وجوب العمل بالسنة): يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٤)، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء: ٥٩).

جعل الله طاعة الرسول طاعة لله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٤).

جعل اتباعه وطاعته سبب الفوز والفلاح قال تعالى: ﴿ ... **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٧١).

لم يبح للمؤمنين أن يخالفوا حكمه وأوامره ففي عصيانه ﷺ الضلال المبين: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

جاء أمره ﷺ مقروناً بالتحذير من مخالفته: ﴿ **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٦٣).

ويقول د. السباعي في وجوب طاعة الرسول في حياته: كان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ يستفيدون أحكام الشرع من القرآن الذي يتلقونه عن الرسول ﷺ، وكثيراً ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة كالأمر بالصلاة جاء مجملاً، لم يبين في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها، وكالأمر بالزكاة جاء مطلقاً لم يقيد بالحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة، ولم تبين مقاديرها ولا شروطها، وكذلك كثير من الأحكام التي لا يمكن تنفيذها دون الوقوف على شرح ما يتصل بها من شروط وأركان ومفسدات، فكان لابد لهم من الرجوع إلى رسول الله ﷺ لمعرفة الأحكام معرفة تفصيلية واضحة.

وكذلك كانت تقع لهم كثير من الحوادث التي لم ينص عليها في القرآن فلابد من بيان حكمها عن طريقه عليه السلام، وهو مُبَلِّغ عن ربه، وأدرى الخلق بمقاصد شريعة الله وحدودها ونهجها ومراميها(١).

القرآنيون دليل على السنة:

يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله -: «لو لم يظهر هؤلاء الذين رفضوا السُّنَّة ما فهمنا حديث رسول الله ﷺ: «**يوشك رجلٌ متكئ على أريكته...**» الفهم الصحيح.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، د. السباعي، ص ٥٩ .

٦- الحدود .. ودعوى الوحشية

حقائق أساسية في الحدود الإسلامية

الحقيقة الأولى: نظام الشريعة كل لا يقبل التجزئة:

إن الإسلام يعتبر الإيمان هو الحارس على النفس الذي لا يفتر ولا يخدع ولئن أمكن التلاعب بالنصوص والنفاذ من الثغرات والتهرب من حفظة الأمن ورجال القانون بأجسامهم وأشباحهم فإن للإيمان مراقبة لله وحياء منه، وله آثاره العميقة في تعزيز التشريع لذلك لا يقترف المذنب خطيئة إلا في غفلة عقيدته: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...**»(١).

ومن هنا جاءت الحدود تذكر الإنسان بما غفل عنه فما تطبيقها إلا إقامة للإيمان وتقويم له والتفريط فيها تهاون في الحرص على العقيدة واستهتار بما ينبغي أن يكون لشريعته لكي ينفذ عدله: ﴿**وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ (النور: ٢).

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...**﴾ (البقرة). وهكذا.

وبهذا يتضامن الدين في عقيدته وشعائره مع شريعته التي تستهدف حماية الحق والعدل وتصبح إقامة أحكام الشرع عبادة لله بطاعة أمره.

لذا إن خير ما يُعبد به الله إمضاء أمره ونهيه وهو يأمر بالعدل وينهى عن البغي.

هذا الإسلام الكامل لله لا تتم العبادة فيه إلا بشمولها لكل الأقوال والأفعال والأفكار ولا تكتمل العقيدة إلا بتكوين هذا المزج القرآني الفريد(٢).

---

(١) رواه ابن ماجة فتن ٣ وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية لماذا، أ. مختار عبدالعليم، ص ٤٦.

إن الشريعة الإسلامية هي علاج للقضاء على الفوضى والجريمة والاعتداء على النفس والعرض والمال»(١).

يقول أ.سيد قطب ـ رحمه الله ـ : «إن القانون لا تحرسه نصوص، ولا يحميه حراس، إنما تحرسه القلوب التقية التي تستقر تقوى الله فيها وخشيته، فتحرس هي القانون وتحميه، وما من قانون تمكن حمايته أن يحتال الناس عليه!! ما من قانون تحرسه القوة المادية والحراسة الظاهرية!! ولن تستطيع الدولة ـ كائناً ما كان الإرهاب فيها ـ أن تضع على رأس كل فرد حارساً يلاحقه لتنفيذ القانون وصيانته، ما لم تكن خشية الله في قلوب الناس، ومراقبتهم له في السر والعلن، من أجل ذلك تفشل الأنظمة والأوضاع التي لا تقوم على حراسة القلوب التقية، وتفشل النظريات والمذاهب التي يضعها البشر للبشر، ولا سلطان فيها من الله»(٢).

نذكر مثالاً للجزء والكل (٣):

هذه الصورة للحياة صورة متشابكة متكاملة ولها طبيعة لا يمكنها البقاء إلا وهي متكاملة الأجزاء والفروع، كأن وحدتها كوحدة الجسد الإنساني؛ لأن الكيان الذي يعرف بالإنسان إنما هو جسد الإنسان الكامل لا أعضاء هذا الجسد المبعثرة المتفرقة.

١ ـ ولا يقال لساق مقطوعة من جسد الإنسان أنها ثُمن الإنسان أو سدسه مثلاً.

٢ ـ كما أنه ليس لهذه الساق المقطوعة أن تؤدي خدمة من الخدمات التي تؤديها وهي عضو مرتبط بجسد الإنسان المتكامل.

٣ ـ وكذلك ليس لنا أن نربط هذه الساق المقطوعة بجسد حيوان آخر ونرجو أن تحدث فيه الإنسانية على قدر حجمها.

٤ ـ وكذلك ليس لنا أن نأخذ يداً أو ساقاً أو عيناً أو أذناً مستقلة عن جسد الإنسان المتكامل ونحاول أن نرى رأياً في حسنها وقبحها ونفعها وضررها.

---

(١) المصدر السابق، ص ٧.

(٢) في ظلال القرآن، أ. سيد قطب، ص ١٣٨٤، طبعة الشروق.

(٣) القانون الإسلامي وطرق تنفيذه، المودودي، طبعة المختار الإسلامي، ص ٢٤، ٢٧.

فهكذا الإسلام إنما هو عبارة عن الصورة المتكاملة المتشابكة التي تقررها الشريعة للحياة الإنسانية، وما هو بعبارة عن أجزائها وفروعها المختلفة، فلا يصح أن تقطعوا أجزاءها وتجعلوا كل جزء منه مستقلاً عن غيره ثم تحكموا عليه بشيء وتروا فيه رأياً، كما أنه ليس لكم أن تقولوا إذا أقمتم بعض أجزائه أنكم قد أقمتم نصف الإسلام أو ربعه أو سدسه، ولا أن تحسبوا إذا ربطتم جزءاً أو بعض أجزاء منه في نظام آخر للحياة، أنكم قد أدخلتم فيه الإسلام بقدر هذا الجزء أو الأجزاء.

إن الشارع إنما شرع لكم هذا الدين ورسم لكم صورته لتقيموها كاملة متعانقة ولم يرسمها لتأخذوا أي جزء أعجبكم من أجزائها وتقيموه حيث أردتم سواء أكانت معه بقية أجزائها أو لم تكن.

إن كل جزء من هذه الصورة للحياة ـ الإسلام ـ مرتبط بسائر أجزائها ولا يستطيع أن يعمل عملاً أو يأتي بشيء من النفع إلا معها ولا يصح لكم أن تروا في محاسنه ومنافعه رأياً إلا إذا وجدتموه يعمل في تناسب النظام الإسلامي الشامل.

تصحيح صورة خاطئة:

ليس هناك مصدر ما يوجد اليوم في أذهان كثير من الناس من المعلومات الخاطئة عن بعض أحكام الشريعة إلا سبب واحد هو أنهم بدل أن ينظروا في نظام الإسلام نظرة شاملة متكاملة، يأخذون جزءاً من أجزائه ويحاولون أن يروا فيه الرأي واضعين إياه في نظام الحياة الحاضر غير الإسلامي، أو يقضون بحسنه وقبحه ونفعه ومضرته وصحته وفساده حاسبين إياه شيئاً مستقلاً قائماً برأسه.

فالناس في هذا الزمان مثلاً يشمئزون اشمئزازاً شديداً، وتتورم أنوفهم من بعض المواد في قانون الإسلام الجنائي، ولكنهم لا يعرفون أن هذه المواد هي جزء من صورة شاملة لنظام الحياة في الإسلام، فيها نظام للاقتصاد والمالية، ونظام لإدارة الحكومة، ونظام للتعليم والتربية، وما أراد واضع هذه الصورة أن يفرز قانونها الجنائي من مجموع نظامها الشامل وينفذ وحدة في المحكمة، وهو إنما وضع هذا القانون لمجتمع يجري فيه نظام الحياة كلها على منهاج الإسلام، لا لمجتمع إنما يجري فيه من أحكام الإسلام قانونه الجنائي وليس غير.

ونأخذ هذه الأمثلة:

المثال الأول : لا ريب أن قانون الإسلام يعاقب السارق بقطع يده، ولكن ما جاء هذا القانون لينفذ في كل نوع من المجتمعات، وإنما جاء لينفذ في مجتمع الإسلام، ذلك المجتمع الذي تؤخذ الزكاة من أغنيائه، وباب بيت مال مفتوح لمساعدة كل ذي حاجة، وكل حي من أحيائه مُلزم بأن يُضيف[1] ثلاثة أيام على الأقل كل من ينزل عليه من أبناء السبيل، والناس جميعاً في نظام شريعته كأسنان المشط في الحقوق والصلاحيات وفرص اكتساب الرزق، ولا مجال في نظامه الاقتصادي لاستئثار بعض الطبقات بفرص الرقي والكسب دون غيرها، وأبواب الكسب الحلال مفتوحة فيه أمام جميع الناس بصفة واحدة، ونظامه للتعليم والتربية يُلقي خشية الله تعالى والرغبة في نيل رضاه في روع عامة أفراده وحب الطبائع الفاضلة كالكرم، ومداراة المنكوبين، ومساعدة المحتاجين، ومساندة المتخلفين القاعدين مُخالط لقلوب الأفراد في محيطه الخلقي، ويتربى فيه كل صغير وكبير على قول مرشده العظيم ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم»[2]، وقوله ﷺ: **«أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى»**[3].

فحكم قطع يد السارق هذا ما جاء في الشريعة لينفذ في مجتمعهم الحاضر الذي لا تسخو فيه نفس أحد ليقرض أخاه بدون الربا، وفيه المصارف وشركات التأمين بدل بيت المال ولا يلقي فيه المحتاج إلا الزجر والنهر بدل اليد الممتدة بالمساعدة والمداراة، وتقوم نظريته في الأخلاق على أن ليس لأحد حق في مال غيره وأن على كل فرد كفالة نفسه بنفسه، ويمنح نظامه الاجتماعي لبعض الطبقات المخصوصة حقوقاً وامتيازات لا يمنحها لغيرها، ويهتم نظامه الاقتصادي بإعداد فرص جمع المال وتكديسه لعدد محدود من الأفراد المترفين ويسهر نظامه السياسي

---

(١) يضيف : من الضيافة .

(٢) رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن، وفي الترغيب رقم ٣٧٠٧ .

(٣) رواه أحمد في المسند عن ابن عمر ، جـ٢/ ٣٣ رقم ٤٨٧٩ .

بقوانينه على حفظ مصالحهم فلعله لا يكاد يصح في مثل هذا المجتمع أن يعاقب السارق بشيء أصلاً، فضلاً عن أن يعاقب المسكين بقطع اليد؛ لأنه لا معنى للحكم على أحد بالسرقة في مثل هذا المجتمع الدنيء والخسيس إلا محاولة حفظ أموال المنتفعين ذوي الأغراض المخصوصة.

وأما المجتمع الذي يقيمه الإسلام فلا مجال فيه؛ لأن تضيق سبيل المعاش والكسب الحلال على أحد حتى تضطره إلى السرقة، والناس فيه مستعدون دائماً عن طواعية نفوسهم لمساعدة المحتاج، وسد كل حاجة من حاجاته المشروعة، والحكومة فيه قائمة على قدم وساق للأخذ بيده.

فالذي يرتكب جريمة السرقة على الرغم من كل ذلك، فإن قانون الإسلام يحكم عليه - بدون تساهل ولا محاباة - بعقوبة صارمة كقطع اليد؛ لأن مثله لا يصلح للعيش في مثل هذا المجتمع العادل الكريم أبداً.

المثال الثاني :وكذلك يأمر قانون الإسلام للعقوبات بضرب الزاني مائة جلدة إن كان غير متزوج وبرجمه إن كان متزوجاً. ولكن في أي مجتمع؟ أفي مثل مجتمعهم الحاضر؟ اللهم لا، ولكن في مجتمع يكون نظامه الاجتماعي طاهراً من الأسباب المثيرة لشهوات النفس العارمة، المحرضة للناس على الاندفاع وراءها، ولا يكون فيه أثر للتبرج والعشرة المختلطة بين الرجال والنساء، ويكون النكاح فيه أسهل شيء، والعهر أصعبه، ويكون الصلاح والصدق والعفاف والتقوى وطهارة الأخلاق قد تغلغلت في أفراده، وخالط حبها قلوبهم وأرواحهم فلا ينقطع عن أذهانهم ذكر الله والإشفاق من خشية القيام بين يديه يوم القيامة.

أما مجتمعنا الحاضر الذي قد فشت في كل جوانبه أسباب المشي مع الشهوات، والإيغال في الإباحة، والاسترسال في قضاء مطالب النفس الداعرة، والذي قد أصبحت فيه حظوة الخلوة بين الجنسين أقرب من التقاط الحصى من أرض محصبة، والذي لا تنقطع فيه أصوات الغناء الفاحش عن طرق الآذان في داخل البيوت وخارجها، والذي لا يخلو فيه بيت ولا دكان من صور نجوم الأفلام والعاريات أو شبه العاريات، والذي تلقي فيه السينما دروس الغرام في كل قرية

ومدينة، والذي تُنشر فيه المجلات والكتب الخليعة الماجنة بكل حرية، وتكاد تكتظ بأدواتها ومكتباتها الأسواق والأزقة والذي تسرح فيه النساء الكاسيات المتزينات بأحدث أدوات الزينة في وجوههن وأزيائهن علناً بدون أن يلقين نكيراً من أحد، والذي قد جعل نظامه الاجتماعي النكاح أصعب شيء بعوائده وتقاليده الفاسدة.

أما هذا المجتمع فما جاء حكم جلد الزاني أو رجمه لينفذ فيه، بل الظاهرة بالنسبة لهذا المجتمع الفاسد أن من يتجنب فيه الزنا يجب أن يُقَلَّد وساماً رفيعاً، أو يُمنح جائزة ممتازة.

الحقيقة الثانية: العدالة في الشريعة لمن ؟

تتجسم في الشريعة روح العدالة والرحمة، فهي تدعوا إلى التسامح ولو مع الظالم، وتأمر بالعدل مع كل إنسان ولو كان عدواً مبيناً، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (النحل: ٩٠).

والعدل في شريعة الإسلام ليس في موالاة الأولياء وظلم الأعداء وإنما في العدل للجميع على السواء يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة: ٨)، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ (النساء: ١٣٥).

هذه الآية تدل على ثلاث معان:

١ ـ أن العدالة مطلوبة في ذاتها؛ لأنها أقرب القربات إلى الله تعالى.

٢ ـ أن عدم إقامة الأحكام ظلم وتمكين للظالمين بالسكوت عن رد مظالمهم.

٣ ـ ليس هناك طبقية في الإسلام على أساس الغنى والفقر فلا يكرم الغني لغناه ولا يُذل الفقير لفقره بل الجميع أمام العدالة سواء[١] .

الحقيقة الثالثة : رحمة الله تعالى بالإنسان أن جعل له حرية الاختيار :

١ ـ أنشأ في النفس استعدادات الحسن من التقوى والقبيح من الفجور، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾ (الشمس) .

٢ ـ منحها القدرة على فعل ما تريد .

٣ ـ فطرها على الخير والشر ولها أن تختار وتميز بينهما يقول الله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد : ١٠) .

٤ ـ وقوع المعاصي والآثام والذنوب والجرائم اقتضت حكمة الله أن يجعل لكل خطيئة حساباً ولكل جريمة عقاباً وفاقاً : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾ (البقرة) .

أولاً التعريفات

التعريف الأول: الحـد :

الحد: في اللغة الحاجز بين الشيئين، يُقال وضع حداً للأمر : أنهاه .

وفي الفقه: عقوبة مقدرة وجبت على الجاني حقاً لله تعالى، وكونها حقاً لله تعالى أنها لا تقبل الإسقاط بعد ثبوتها، ولا تجوز الشفاعة فيها، ولا الصلح بعد الترافع إلى الحكام، سواء ثبتت من أفراد أو جماعة أو حكومة[٢] .

---

(١) القرآن وإعجازه التشريعي، محمد إسماعيل إبراهيم، طبعة دار الغد العربي، ص ٦١ .

(٢) المنهاج القرآني في التشريع، ص ٦٣٨ .

وحدود الله تعالى: ما حده بأوامره ونواهيه(١).

التعريف الثاني: الجريمة:

أ - **في الشريعة الإسلامية:** «الجرائم محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير ولها عند التهمة حال (استبراء) تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال (استيفاء) توجيه الأحكام الشرعية(٢)، وعلة تحريم هذه المحظورات أنها اعتداء على النفس بالقتل أو الدين بالإكراه أو العقل بالخمر أو المال بالسرقة أو العرض بالزنا.

ب- **في القوانين الحديثة:** يُعتبر الفعل جناية إذا كان معاقباً عليه بالإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو السجن، أما إذا كانت عقوبة الجريمة تزيد عن حبس أسبوع أو غرامة تزيد على مائة قرش فهي جنحة، وإذا كان الحبس والغرامة أقل من ذلك فهي مخالفة(٣).

أركان الجريمة :

- **الركن الأول:** أن يكون هناك حظر سابق من الشارع عليه إذ لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص يجرمها وهذا يسمى في الاصطلاح الركن الشرعي للجريمة، وهذا أساسه قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (الإسراء: ١٥).
- **الركن الثاني:** أن يكون المسئول عن الجريمة عاقلاً مكلفاً بلغ سن الرشد وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**رُفِعَ القلم عن ثلاث: الصبي حتى يحتلم، والنائم حتى يصحو، والمجنون حتى يفيق**»(٤).
- **الركن الثالث :** أن الإنسان يؤاخذ على ما وقع منه فعلاً ولا يؤاخذ على ما توسوس به نفسه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو**

---

(١) المعجم الوجيز، باب حد، ص ١٣٩ ، طبعة التربية والتعليم .
(٢) تعريف الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢١٩ نقلاً عن المنهاج القرآني، ص ٦٣١
(٣) القرآن وأعجازه التشريعي (مصدر سابق)، ص ٦٤ ، ٦٥ بتصرف .
(٤) البخاري، طلاق ١١ ، حدود ٢٢ .

حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم»[١]، أي أن الإنسان لا يستحق العقوبة على مجرد التفكير أو النية بل يحاسب على الشروع والتنفيذ.

التعريف الثالث: العقوبات:

العقوبات: هي الجزاء الذي وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهي الشرع عنه وترك ما أمر به فهي قبل وقوع الفعل موانع وبعده زواجر.

الهدف من العقوبات:

١ - العقوبة ليست في ذاتها مصالح، بل هي إيلام أوجبه الشارع؛ لأنها بإيلامها تؤدي إلى درء مفسدة بالجماعة أو تحقيق مصلحة لها.

٢ - حفظ كيان المجتمع وضمان بقائه وسلامته.

٣ - الشريعة تعتبر التقويم الخلقي هو الدعامة الأولى التي تقوم عليها سلامة المجتمع وصيانته؛ لأن الفساد الخلقي في المجتمع هو أصل انهياره وانحلاله، ولذا فإن في تطبيق الحكم الإسلامي رفعاً للمستوى الخلقي وتقليلاً للجرائم الخلقية.

٤ - يقول **ابن تيمية**: إن العقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده، فهي صادرة عن رحمة بالخلق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الردع إليهم من الإجرام والرحمة بهم وليس للتشفي والانتقام من الجاني، وقد أعد الله سبحانه وتعالى عقوبات أخروية للجرائم التي لا يمكن ضبطها في الدنيا ولا يجري عليها التحقيق والإثبات كجريمة الحسد والنفاق والغيبة والنميمة والحقد والكذب وغيرها من الجرائم الخلقية.

التعريف الرابع: القصاص والديات:

وهما العقوبة المقدرة شرعاً حقاً (للأفراد) لوقوع جرائمهما على حقوق العباد، ولذلك يجوز فيها الإسقاط والصلح.

التعريف الخامس: التعزير:

لغة: التأديب، **شرعاً**: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها عقوبات مقدرة بعينها.

---

(١) البخاري، عتق ٦، طلاق ١١، إيمان ١٥.

ثانياً: واقع المجتمع الإنساني في غير الإسلام ومع الإسلام

خلق الله تعالىٰ الإنسان ومنحه عقلاً يميز النور من الظلام، والطيب من الخبيث، وبالعقل هذا يعرف قيمة المخلوقات التي خلقها الله من شمس وقمر، وليل ونهار، ويعرف قيمة الأعضاء من عين ويد وقدم يسير عليها.

ولكن هناك من لا يعرف قيمة النور إلا إذا عاش في الظلام ولذا أعرض الصورتين ـ صورة الظلام الذي عاشت فيه البشرية بعيدة عن الإسلام وصورة النور المشرق لهذا الدين، وذلك في جانب الحدود والعقوبات، وذلك حتىٰ ينقشع الغبار الذي يُثار حول الحدود الإسلامية.

الصورة الأولى : المجتمع الإنساني في غير الإسلام :

شقيت الإنسانية شقاء طويلاً بين (الغلو المفرط) الذي سحق ما لا يحصىٰ من البشر بغير ضرورة حقيقية، وبين (التفريط المسرف) الذي فتح علىٰ الناس أبواب الشر، والانحلال، والاستهتار بقيم الحياة العليا، ولا تزال المجتمعات تدور في هذه الحلقة الرهيبة حسبما يحكمها من فلسفات وأفكار أو يتسلط عليها من مشرعين وحكام ويفترون علىٰ الله الكذب ويميلون بالناس ميلاً عظيماً(١).

ومن هذا (الغلو المفرط) ما وضعه طاغية التتار (جنكيز خان) في دستورهم المسمىٰ (بالياسق) من أحكام بالغة غاية القسوة والعنف ومنها :

من زنىٰ يقتل محصناً أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن سحر قتل. . . ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم (أسيرا) أو سقاه أو كساه قتل، ومن وجده هارباً ولم يرده قتل»(٢).

وهكذا توضع أحكام القتل جزافاً لجرائم متفاوتة جداً، أو لغير جرائم ألبتة، بل إن إطعام الأسير يعتبره الإسلام فضيلة تستحق الثواب، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان : ٨).

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله.

(٢) البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١١٨ لابن كثير، وقد عزاه إلى الجويني.

أما الشرائع الأوروبية ـ التي يعيب أصحابها الإسلام ـ فهي أشد تخبطاً بين الطرفين، ولا تكاد تستقر على شيء إلا شيئاً قرره هذا الدين، وهدى إليه العالمين.

يقول الأستاذ عبد القادر ـ عودة رحمه الله ـ: كانت القوانين الوضعية حتى أواخر القرن الثامن عشر تنظر إلى المجرم نظرة تفيض عنفاً وقسوة، وكان أساس العقوبات المبالغة في الإرهاب، والانتقام والتشهير، وكان من العقوبات المعترف بها قانوناً: الحرق والصلب وتقطيع الأوصال وصم الآذان وقطع الشفاه واللسان.

ولم تكن العقوبات في الغالب تتناسب مع الجرائم التي قررت لها، فبالرغم من قسوة بعض العقوبات التي ذكرناها كانت عقوبة الإعدام جزاء لكثير من الجرائم الصغيرة، فمثلاً كان القانون الإنجليزي حتى أواخر القرن الثامن عشر يعاقب على (مائتي جريمة) بعقوبة الإعدام ومن هذه الجرائم سرقة أكثر من (شلن)، وكان القانون الفرنسي يعاقب بالإعدام على (مائتين وخمس عشرة جريمة) معظمها جرائم صغيرة.

وكان القانون يجيز محاكمة الإنسان حياً وميتاً، ويجيز محاكمة الحيوان والجماد، وفي القرن الثامن عشر بدأ الفلاسفة وعلماء الاجتماع يعملون على هدم الأساس الذي تقوم عليه العقوبة، وإقامتها على أساس آخر.

فظهرت عدة نظريات تمتاز بأنها تهمل شخصية المجرم، وتنظر إلى الجريمة ومقدار جسامتها وأثرها على المجتمع ولذلك لم تؤد إلى حل مشكلة العقاب حلا يحسن السكوت عليه.

وظهرت بعد ذلك النظريات العلمية (الإيطالية) وهي تقوم على إهمال الجريمة إهمالا تاماً والنظر إلى شخصية المجرم بحيث تكون العقوبة متناسبة مع عقلية المجرم وتكوينه وتاريخه ودرجة خطورته فالمجرم المطبوع على الإجرام يُبعد إبعاداً تاماً عن المجتمع أو يُحكم عليه بالإعدام ولو كانت جريمته صغيرة والمجرم الذي يرتكب الجريمة تحت تأثير العاطفة لا ضرورة لعقابه وقد فشلت هذه النظرية وما تلاها من نظريات.

وظاهر من استعراضها جميعاً أن شُراح القوانين الوضعية يتجهون اتجاهات

يناقض بعضها بعضاً وقد منع تعدد النظريات من وضع أساس واحد ثابت للعقوبة في كل القوانين الوضعية فاتخذت كل دولة لنفسها اتجاهاً خاصاً بحسب مصلحتها أو الفكرة السائدة فيها .

ولعل هذا هو الذي دعا اتحاد القانون الدولي للعقوبات ؛ لأن يقرر وجوب الاسترشاد بما تظهره التجارب ، وأن يقرر أن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملاً إلىٰ نتائج أكيدة في كفاح الجريمة[1] .

أقول : مع هذه الصورة السيئة التي عانت منها البشرية وتعاني بعيداً عن الإسلام إلا إن هناك بعض الألسنة تتهم القانون الإسلامي (كقطع اليد والجلد والرجم) بالهمجية والوحشية .

وهؤلاء يقول لهم الشيخ المودودي : أفلا يستحيون عندما يَصِفون بالتحضر التصورات الخُلقية لهذا الزمان الذي قد استعملت فيه قنبلة الذرة ، ويعامل فيه الإنسان المتحضر الراقي بزعمه غيره من أبناء جنسه مما لا يوجد له مثيل حتىٰ ولا في أظلم أدوار التاريخ؟

إنه لا يرمي بالحجارة ولكن يرمي بالقنبلة ، ولا يقطع الأيدي ولكن يبيد الأجسام وينسفها نسفاً ، ولا يرتوي غليل نفسه بضرب الأسواط ولكنه يحرق الأجسام ويستخرج منها الشحم ليتخذ منه مادة للصابون ، وهو إذا رأىٰ في جماعة من الناس ـ لا في الحرب وحالة غيظها وعنفوانها فحسب ، ولكن في زمن السلم وحالتها العادية كذلك ـ جناة سياسيين ، أو أعداء للمصلحة القومية ، أو منافسين له في الأغراض السياسية لا يألوا جهداً في تعذيبهم واضطهادهم وإذاقتهم ألواناً من الخسف والجور تنخلع لها القلوب وتشيب منها النواصي .

من ذا الذي لا يعرف الوسائل والطرق القاسية التي تتوصل بها الحكومات المتحضرة في هذا الزمان لاستنطاق المتهمين حتىٰ يعترفوا بجرائم علىٰ أساس الشبهات فحسب؟

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي ، فقرة ٤٤١ ، جـ١ .

فهل يسع هؤلاء المتطهرين الكرام ـ على الرغم من وجود هذه الأمور ـ أن يتشدقوا بدعوى أن تصوراتهم الراقية المدعاة لا قبل لها بأن تتحمل رؤية عذاب الإنسان بيد الإنسان؟

إنها تتحمل كل هذا. . وتتحمل ما هو أكثر منه فظاعة وقساوة. . ولكن بعد أن قد بدلوا أقدارهم الخلقية، فالجرائم التي يستقذرونها ـ كالتحدي لسلطتهم السياسية، أو المنافسة في مصالحهم الاقتصادية مثلاً ـ هم يعذبون عليها أشد ما يستطيعون من العذاب، أما الخمر والزنا فلا يرون فيها شيئاً من الجريمة(١).

الصورة الثانية: المجتمع الإنساني مع الإسلام:

من أعظم صور الدقة والإعجاز للجريمة والجزاء في شريعة الإسلام، بل وقمة الرحمة والمعقولية والواقعية نذكر أسسها كالآتي:

أوردنا في بند التعريفات تعريف الإمام الماوردي للجريمة، وهذا التعريف يقرر جملة من الأصول الأساسية التي يقوم عليها هذا الجانب ومنها:

١ ـ أن الفعل لا يكون جريمة إلا بحظر من الشارع.

٢ ـ أن العقوبة لا تكون إلا بإذن من الشارع وعلى ارتكاب محظور شرعي.

٣ ـ أن قوانين الإجراءات الجنائية كالقبض على المتهم والتحقيق معه ووسائل دفاعه عن نفسه بالذات أو بالوكالة كل هذا يرجع إلى باب السياسة الشرعية؛ لأنها قوانين تتعلق بالشكل والأسلوب لا بالحقائق الموضوعية الثابتة، لذلك يعرض لها التغير كثيراً تبعاً لتغير الزمان والمكان، ومن ثم تركها الشارع لاجتهاد العلماء المسلمين في كل عصر مقيدين في ذلك بقواعد الشريعة الثابتة وأحكامها الموضوعية الدائمة، وبذلك راعى الشارع الإلهي جانب الثبات والمرونة حتى في قوانينه الجنائية وهذا من إعجازه المبين.

٤ ـ الأصل في الجانب الجنائي أن تقوم به الدولة المسلمة في حال الاتهام أو الاستيفاء بعد الإثبات.

---

(١) المودودي، القانون الإسلامي، ص ٤١ .

٥ ـ الدولة ملزمة وجوباً بتطبيق الحكم الشرعي في حال الاستيفاء ولا خيار لها في ذلك ولا سبيل لها إلى العفو أو الإسقاط أو استبدال حكم وضعي بحكم الله عز وجل[١].

الإعجاز التشريعي وخصائصه :

أقام الله تعالى شريعته المعجزة على أصول ثابتة وقواعد مطردة ومنضبطة غاية الانضباط فيما حظرت من (جرائم) على سبيل الوقاية وفيما شرعت من (عقوبات) على سبيل العلاج، وهي في الحالين ترمي إلى هدف جليل هو حفظ مصلحة الفرد والجماعة في أمور معاشهم ومعادهم، خاصة ما يتعلق بما يسميه العلماء : (الكليات الخمس) التي تواطأت وترادفت على حفظها الشرائع الإلهية في كل العصور وهي : (الدين ـ النفس ـ العقل ـ العرض ـ المال)

فكل اعتداء على شيء منها جعله الشرع : جريمة .

ثم رتب عليها عقوبة مناسبة لها، وضبط كلا منها بضوابط شرعية معجزة تجعل هذه (الكليات الخمس) محفوظة مصونة من العبث والاستهتار[٢].

أقسام الجريمة :

١ ـ جرائم توجب الحد: هي التي تعتبر في حد ذاتها اعتداء على حق الله أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد ولذلك حددها الله وحددت الشريعة عقوبتها بنص في القرآن أو السنة وهي جريمة قتل النفس ـ جريمة الزنا ـ شرب الخمر ـ القذف ـ السرقة ـ الحرابة ـ البغي ـ الردة .

٢ ـ جرائم القصاص والدية: هي جرائم تغلب فيها حقوق العباد وتولى الشرع تحديد عقوبات بعضها بالنص وترك البعض لتقدير ولي الأمر ومثلها جرائم الدماء مثل القتل العمد وشبه العمد والخطأ والجناية على ما دون النفس عمداً أو خطأ كقطع الأطراف والجراح .

(١) المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص ٦٣٢ .
(٢) المصدر السابق .

٣ - **جرائم التعزير:** اكتفى الشرع فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بحديها الأخف والأشد وترك للوالي اختيار العقوبة في كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التي وقعت فيها، وهذه الجرائم غير محددة وتشمل كل فعل محرم ولم يرد عنه نص محدد بعقوبة دنيوية كالربا وخيانة الأمانة والرشوة والغدر في العهد.

ومن هذه الخصائص التي تتعلق بجرائم الحدود والقصاص:

١ - التحديد المعين:

أي أن الشرع الإلهي نص عليها بأسمائها وأوصافها، وحدد أحكامها، ويتبدى (الإعجاز) في اختيارها بذاتها دون غيرها وتثبيتها والإلزام بها إلزاماً قاطعاً حتى تقطع سيل النزوات والشهوات، وتكف العدوان الجامح عن الناس أفراداً وجماعات.

٢ - محدودية العدد:

على معنى: أن الشرع الإلهي لم يضع في هذا القسم كل الجرائم البشرية وإنما اختار منها عددا محدوداً ينحصر في (تسع) جرائم فقط.

ثم شرع لكل منها عقوبة مناسبة تنحصر كلها في (سبع) فقط، إذا لاحظنا - عند التفصيل - إدماج المتماثلات ورد النظائر إلى شيء واحد.

ويتبدى (الإعجاز) هنا في أن الله تعالى بعلمه المحيط قد اختار هذا العدد المحدود القليل من بين مئات الجرائم التي أسرفت القوانين البشرية في عدها وأفحشت في العقاب عليها كما بينا في أول هذا المبحث أو تهاونت تهاونا مدمراً للقيم والأخلاق!!

وقد تأكد هذا الإعجاز بما ثبت قطعياً من أن هذا العدد القليل يمثل الجرائم (الأصلية) الكبرى، والتي تهدد مصالح الناس تهديداً شنيعاً أكثر من غيرها كما سنبين بالأدلة والإحصاءات إن شاء الله تعالى.

٣ - تعظيم الحرمات وتقديس المصالح الأساسية:

فقد رتب المنهاج الإلهي هذا الجانب على نمط معجز دقيق حين جعله على ضربين:

أ ـ جرائم تتعلق (بحق الله) تعالى:

وهي كل جريمة يعود ضررها الحقيقي على المجتمع كله وتهدد القيم العليا التي شرعها الله وأمر أن تؤسس الحياة عليها، وهي تتعلق بحق الأفراد تبعاً لحق الله عز وجل.

ووجه الإعجاز هنا: أن هذا اعتبار شرعي قرره الله تعالى للعناية بمصالح عباده، إذ جعل صيانة (الكليات الخمس) والكف عن العبث بها حقاً له تعالى، وكل عدوان عليها يمثل (جريمة) على (حق الله) عز وجل.

وبذلك عظم الله تعالى هذه الحرمات في النفوس تعظيماً، ورفعها إلى مرتبة القداسة الدينية، وأبرز خطورة شأنها عنده تعالى ثم قطع بهذه النسبة العلوية كل سبيل للتلاعب بها، أو الشفاعة فيها أو العفو عنها بعد ثبوت تهمتها حفاظاً على دين الأمة وأخلاقها وأمنها وطهارة أعراضها وسلامة عقولها التي هي مناط التشريف والتكليف والثواب والعقاب.

وواضح أن هذه الإضافة لحقه تعالى لا تعني دفع ضر عنه ولا جلب نفع إليه فهو الغني القوي بل هو أغنى وأقنى ولن يبلغ أحد ضره أو نفعه ولكنها الرحمة الربانية، والعناية الرحمانية، والهداية الخالصة المعجزة لمصلحة عباده أولاً وآخراً حتى في باب الجنايات والعقوبات.

ومن المؤكد أن القوانين الوضعية لا تستطيع ـ ولو حرصت ـ أن ترتقي هذا المرتقى، بل تعجز أساساً أن تجد مدخلاً لتثبيت القيم الإنسانية بغير سوط العقوبة المحضة، لذلك اندلعت الجرائم في ظلها، وعمد الناس إلى مراوغتها والاحتيال عليها دائماً!!

وقد نص الوحي الإلهي على سبع جرائم من هذا النوع هي: الردة ـ شرب الخمر ـ الزنى ـ القذف بالزنى[1] ـ السرقة الصغرى ـ السرقة الكبرى (الحرابة وقطع الطريق) ـ البغي على أئمة الحق من المسلمين.

---

(١) القذف بالزنا تنازعه حق الله تعالى وحق العباد ويترجح الأول عند ثبوت التهمة.

ب ـ جرائم تتعلق بحق العباد :

وهي التعدي على النفس بالقتل أو على الأطراف بالإتلاف كالسن والعين والأذن، عمداً أو خطأً. . . الخ .

وتتعلق أيضاً بحق المجتمع والأفراد معاً .

لكن يتبدئ الإعجاز هنا في هذا العلم المحيط بفطرة الناس وطبائع الخلق، ولذلك يضع كل شيء في موضعه الحكيم وموقعه المناسب تماماً على حين تطيش قوانين البشر لجهل واضعيها بالحقائق وموازنات الأمور .

ذلك أن الشريعة الإلهية العادلة الحكيمة قد وكلت هذا الجانب إلى أحرص الناس عليه وهم :

ـ **الأولياء الأقربون عند الجناية** على النفس .

ـ **أو المجني عليهم شخصياً** عند الجناية على الأطراف

لماذا؟ ؛ لأنهم أمناء وحرصاء على ما يتعلق بمصلحتهم العائلية أو الشخصية، فإن صالحوا عليها أو عفوا عنها كان ذلك بموازنة وحساب في قضية تمس أدق المشاعر النفسية وبالتالي فلن يقع ضرر جسيم على المجتمع ما دام أصحاب الحق يحرسون حقهم ويتابعونه قصاصاً أو صلحاً .

وقد نص الوحي الإلهي على خمس من هذه الجرائم تفصيلاً وهي : القتل العمد ـ القتل شبه العمد ـ الجناية على الأطراف عمدا ـ القتل الخطأ ـ الجناية على الأطراف خطأ .

وبإدماج المتماثلات تعود إلى اثنين فقط .

١ ـ القتل بأنواعه المذكورة

٢ ـ الجناية على الأطراف بنوعيها .

ولقد شرع الإسلام لجرائم (الحدود والقصاص) جزاءاً عقوبة على هذه الجرائم وهذا الجزاء إما :

١ ـ الحد : وتنحصر العقوبة هنا في (الجلد ـ الرجم ـ القطع ـ الصلب ـ النفي ـ الحبس).

٢ ـ القصاص والديات : وتنحصر العقوبات في (القتل قصاصاً ـ العود بالمماثلة في الأطراف (العين بالعين)

٣ ـ دفع الديات المقدرة شرعاً لكل جناية منها عمداً أو خطأً.

القسم الثالث : التعزير :

وهذا القسم كما سبق تعريفه يتضح أنه جريمة أو ذنب لم يشأ الشارع أن يحدده أو يقيده، ولكن نص فيه على بعض الذنوب : كالربا ـ خيانة الأمانة ـ الرشوة ـ الغش ـ الغصب .

وترك بقية أنواعه تحكمها الأصول العامة مثل القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار)، ويكون على ولي أمر المسلمين بعد ذلك تحديد الجرائم التي تضر الجماعة مثل سد الطريق العام بمنفعة شخصية أو زراعة شيء يضر اقتصاد الأمة في وقت ما ولو لم يكن محرماً في ذاته.

يقول د. عبد الستار فتح الله: جرائم التعزير إما :

١ ـ منصوصة وهذه ثابتة لا تتغير أبداً.

٢ ـ اجتهادية : جرائم وقتية تزول عنها هذه الصفة بزوال أسبابها، بل قد تصبح مطلوبة شرعاً إذا تعلقت بها مصلحة الأمة.

عقوبة هذا القسم من الجرائم مفوضة أيضاً إلى رأي الإمام والقاضي، مقيدين بأحكام الشريعة أيضاً، وهي تبدأ من النصح والتهديد إلى أن تصل إلى أقصى العقوبات كجريمة التجسس لحساب الأعداء.

ولا يجوز فيها مخالفة الشريعة البتة كالمُثلة أو كشف العورات أو السب بما يوجب حد القذف مثلاً.

وجرائم التعزير مثل سابقتها تعلقها (بحق الله) أو الآدمي، ويترتب عليهما ما قلناه سابقاً ولذلك يجمع الإسلام بين المبدأ القانوني الذي لم يعرفه العالم إلا حديثاً

وهو لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، ويخص ذلك بالجرائم الكبرىٰ التي يكثر وقوعها كما سنبين بعد قليل.

وبين ما ينادي به كل علماء القانون في العالم الآن ـ بناء علىٰ التجارب المريرة ـ من وجوب ترك سلطة تقديرية للقاضي (بشروط وقيود معينة)، ليعطي الحكم السليم فيما يعرض أمامه من قضايا فيراعي ظروف الجاني والمجني عليه ونوعية الجريمة . . . الخ.

وهذا النوع حدد الله تعالىٰ فيه أيضاً الجرائم الخطيرة وترك للقاضي تقدير عقوبتها علىٰ الوجه الذي قلناه وفي غيرها ترك له تحديد الجريمة والعقوبة معاً مقيداً بأصول الشريعة وقواعدها.

ولقد كان هذا المسلك أحد معجزات التشريع الإسلامي والذي لم يستبن للناس فضله إلا مؤخراً بعد أن فتن الناس طويلاً بالمبدأ القانوني الحديث (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص) ثم ظهر أن تعميم هذا المبدأ علىٰ كل الجرائم قد أضر كثيراً وجنىٰ أكثر علىٰ غير معتادىٰ الإجرام؛ لأنه غلّ يد القاضي عن التصرف وجعل مهمته النطق بالحكم المنصوص فقط، دون مراعاة للاعتبارات الكثيرة[١].

أمثلة من الجرائم والجزاء الشرعي :

أذكر مثالين فقط الأول عن جريمة الردة، والثاني عن القذف بالزنا لخطورة الجريمة الأولىٰ علىٰ الدين، والجريمة الثانية علىٰ الأسرة.

المثال الأول : حفظ الدين وجريمة الردة وجزاؤها:

قلنا إن الشريعة الإلهية ترمي إلىٰ حفظ (الكليات الخمس) وأولها هذا (الدين) القيم، ولذلك جعلت كل عدوان علىٰ الدين جريمة محظورة ويعاقب فاعلها (بحد أو تعزير) علىٰ قدر جريمته الظاهرة فإن أخفاها فالله تعالىٰ يتولي السرائر وحساب صاحبها علىٰ الله تعالىٰ الذي يعلم السر وأخفىٰ.

---

(١) راجع التشريع الجنائي فقرات (١١١، ١١٣) للتفصيل.

جريمة (الردة) عن الدين بعد الدخول فيه، ولا خلاف على تحريمها وتجريمها لقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: ٢١٧).

فالآية الكريمة حكمت على المرتد بالكفر، وبحبوط الأعمال في الدنيا والآخرة، وبالخلود في النار، وهذا كله دليل على فظاعة الجريمة وشناعتها وليس على تحريمها فقط.

الردة قد تكون كلية كالانتقال من دين الإسلام إلى دين آخر، أو البراءة منه كلية بلا انتقال كالزنادقة والملحدين، **وقد تكون جزئية** كإنكار بعض ما علم من الدين بالضرورة، أو الاستكبار عن حكم جاء به الدين أو استحلال الحرام أو الاستهزاء بشيء من الشرائع الثابتة ونحو ذلك.

والردة بنوعيها في الحكم سواء وهو الكفر المخرج من ملة الإسلام.

وعقوبة هذه الجريمة المقدرة شرعاً هي القتل حداً بشروطه الشرعية: كالاستتابة وإزالة العذر الحامل على الردة من رفع ظلم لحق بالمرتد، أو كشف شبهة عرضت له في دينه... الخ.

ودليل ذلك قوله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[١]، وقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٢].

---

(١) رواه البخاري، جهاد ١٤٩، اعتصام ٢٨، استتابة ٢.

(٢) رواه البخاري، ديات ٦، ومسلم، قسامة ٢٥، ٢٦، وروايات الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه بهذا اللفظ، والحديث رُوي عن عائشة وعثمان أيضاً بطرق عدة وفيه: (أو ارتد بعد الإسلام)، انظر: جـ٣، ص ٣٥٦، الفتح الكبير.

وفي الحديث المتواتر معنوياً، والذي رواه الجماعة عن أبي هريرة: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»(١).

ووجه الاستدلال أن عصمة الأموال والدماء علقت على أداء الإسلام وأعظم حقوقه، بل أولها هو ألا يكفر به، ولذلك رجع الصحابة ـ وعمر بن الخطاب على رأسهم ـ إلى قول أبي بكر في قتال المرتدين من العرب، والذين منعوا الزكاة مستدلاً بأن الزكاة من حقه، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة على ما ورد في الصحيح.

ومعنى هذا ثبوت حد الردة (بالإجماع) عليه ثم بقتل الصحابة فعلاً للمرتدين من مانعي الزكاة، أو متبعي الكذاب وأمثاله من أدعياء النبوة.

وقد نُقِلَ هذا إلينا بالتواتر، وليس بمجرد خبر الآحاد كما زعم بعض الكذابين(٢)، وبذلك تسقط دعاوى منكري حد الردة بحجة أنه لم يثبت بنص القرآن تارة، أو أن الحدود لا تثبت بخبر الآحاد أخرى.

ومنشأ الخلط في هذه المسألة الاشتباه بأن في هذا إكراهاً يخالف قول الله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقد وقع في هذا حتى بعض الذين حاولوا الدفاع عن الإسلام ورد تشنيع أعدائه عليه فيما زعموه تناقضاً في أحكامه فلجأ هؤلاء المدافعون إلى التأويل والاعتساف فيه حتى أبطلوا هم أيضاً هذا الحد الثابت وأثاروا حوله الشبهات الوهمية(٣).

والحق أنه لا تناقض وأن هذا يصدق بعضه بعضاً.

---

(١) انظر: على سبيل المثال، البخاري، ج٩ ص١٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض.

(٢) راجع تفصيلاً لذلك، المنهاج القرآني للتشريع، د. عبد الستار فتح الله، ص٦٤٥ وما بعدها.

(٣) راجع في هذا: كتاب الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت، ص ٢٩٣، وكتاب محمد رسول الله لمولاي محمد علي وغيرهما، خاصة أصحاب الثقات العامة الذين تمرسوا بدقائق العلوم الشرعية فلهم في هذا أخطاء وتخاليط كثيرة جداً.

لا إكراه في الدين ولا تلاعب به أيضاً:

فالإسلام لا يكره أحداً على الدخول في الدين ابتداء، وقد عاش في ظل الدولة الإسلامية اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ولم يكرهوا على تغيير أديانهم مع بطلانها عندنا بداهة.

ولكن الحكم الشرعي في الردة يتعلق بمن دخل في ديننا ثم تركه على ما هو نص الأحاديث المذكورة الصريح.

ومن ثم فهو لا يعاقب على (الكفر بذاته) وإلا لعوقب اليهود والمجوس وإنما يعاقب على التلاعب بالدين وتهوين عقدته وعهده في أوساط المسلمين.

ويؤيد ذلك أن الشارع الحكيم وضع أسماء مميزة لكل نوع من المخالفين فسمى غير المسلم كافراً أو مشركاً، وسمى الراجع عن الإسلام مرتداً، وهو تفريق دقيق يشير إلى سبب قتله دون الأول، أي أنه لا يقتل على ذات الكفر وإنما يقتل لاقتران الكفر بالردة.

ولهذا السبب فإن المرتد باطناً يسمى في الكتاب والسنة بالمنافق، ورغم كفره بالدين فهو لا يحكم بقتله تقديراً لهذا الخضوع الظاهري للإسلام وحسابه على الله تعالى.

فيتقرر من هذا أن قتل المرتد ليس من باب الإكراه في الدين، وإنما هو من باب المحافظة على ما يسمى حديثاً بالنظام العام للدولة، أو النظام الاجتماعي للأمة، ونحو ذلك.

وإذا كان كل قانون يتولى تحديد الجرائم وتكييفها وتنويعها حسب وجهته وطبيعته فإن هذه الشريعة تجعل من المحافظة على الدين أسمى المصالح التي تتولى الدولة حمايتها وتضعها على رأس النظام العام في أمتها ولذلك كانت عقوبة الردة في أصلها حقا من حقوق الدولة يتولاه الإمام ولا يستوفيه الأفراد.

ولا توجد أمة ذات قانون إلا وهي تعاقب على ما يقابل هذا مما يسمونه بجرائم الخيانة العظمى ونحوها كالإخلال الخطير بمصلحة الأمة وإفشاء الأسرار لأعدائها

ونحوه مما يعاقب عليه بعقوبات تصل في كثير من الأحيان إلى الإعدام حتى في أرقى المجتمعات المعاصرة وأكثرهم كفالة للحريات ولم يقل أحد إن في ذلك حجراً على حرية الأفراد أو تناقضاً مع أحكام الدساتير والقوانين ؛ لأنها باعتراف الدساتير نفسها جرائم عدوان على النظام الأساسي للدولة والأمة .

والفارق أن الإسلام جرم الفعل الذي يخل بأعظم ما يتعلق بالإنسان المخلوق المكلف والذي يُحبط سعيه في الدنيا والآخرة وهو العدوان على الدين بعد الدخول فيه اختياراً .

وقد جرمت قوانين البشر المساس بمصالح عاجلة لا تقاس مهما عظمت بدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده وصدق الله تعالى : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً** ﴾ (الإسراء : ٨٤) .

المثال الثاني: القذف بالزنا:

جعلها الشارع جريمة منكرة ، ووضع لها عقوبة مشددة ، وذلك من تمام حماية الأعراض وتطهير المجتمع من المنكرات الفاحشة فعلاً أو قولاً .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥** ﴾ (النور) .

والآية الكريمة تجرم رمي المحصن بالزنى ، وتلزم من قاله بإثبات قوله بأن يأتي بأربعة شهود على صحة ما قاله ، وإلا استحق عقوبة الفرية وهي ثمانون جلدة .

وهذه غاية العدالة في حفظ الأعراض والكرامات والحرمات في مجتمع أقامه الله تعالى على أشرف الأخلاق وتقديس الشرف ، أما الذين يتراشقون بالمخزيات ، فعليهم أن يثبتوا دعواهم ، أو يدفعوا ـ من جلودهم ـ ثمن هذا التجني الذي يستهدف هدم قيمة عليا يعتز بها المسلم وقد رباه دينه على تقديسها والسمو بها .

ولا نظن في قوانين الأرض اليوم من التشريعات ما يوازن هذا التشريع الإلهي الأسمى خاصة وأن القوانين والأعراف والتقاليد في معظم الأرض قد استهانت

بالأعراض نفسها إلى حد خطير، بَلْهَ[1] الحديث عنها، والتعبير بها بل إن منها ما بعد الزنى وملحقاته من علامات التحرر والصحة النفسية والبدنية، الخ

ولا يرون فيه هذا العار الذي أجمعت عليه شرائع الله عز وجل وقيم الإنسان العليا وفطرته السليمة[2].

استثناء حكيم:

ومن عجائب التشريع الإسلامي ما خص به قذف الزوج زوجته بالزنى.

فإن جاء بأربعة شهداء أقيم الحد عليها، وإلا لم يجلد الزوج حد القذف، ولم يقم على الزوجة حد الزنى، وإنما أقيم بينهما ما يسمى باللِّعان، وقد سجلته آيات سورة النور، فيشهد الزوج أربع شهادات بالله إنه لصادق فيما رماها به من الزنى: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (النور: ٧).

وتشهد الزوجة أربع شهادات إنه لكاذب في قوله: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (النور: ٩).

إن علاقة الزوجين علاقة خاصة، وقد تنحرف الزوجة فعلاً ثم يعجز الزوج عن إثبات الزنى عليها بطريق الإثبات الشرعي، وهو أربع شهداء، وحينئذ إما أن يسكت الزوج على الدنس أو يقتلها بمقتضى علمه هو فقط، فيُقتل بها أو يطلقها مغلوبا مقهوراً، وهي كلها حلول لا تقبل في الإسلام، فشرع الله تعالى للزوج أن يشكو ويرفع الأمر إلى الحاكم أو القاضي المسلم، ويتلاعن هو والزوجة ثم يفرق بينهما[3].

لماذا الجزاء؟!!

إذا قابلك شخص وتعدى عليك بألفاظ جارحة، وقابلك آخر وابتسم في وجهك وألقى إليك التحية.. فهل يستوى الاثنان عندك؟

(١) بَلْهَ: اسم فعل بمعنى: دَعْ، ويكون ما بعدها منصوباً، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٧٣).

(٢، ٣) المنهاج القرآني في التشريع، ص ٦٥٨.

يقرر العقل والمنطق أن الأول لابد وأن يُعاقب، والثاني يُمدح ويُثاب على فعله على الأقل بمثله من ابتسامة وتحية.

ولذلك فإن الجزاء في التشريع الحكيم الذي وضعه الحكيم الخبير جاء لاعتبارات، منها :

١ ـ المطابقة التامة لنوازع الفطرة.

٢ ـ رعاية المصالح الصحيحة.

٣ ـ حماية الفرد والمجتمع.

٤ ـ الموازنة بين اعتبار الجريمة والجاني.

ولا تتحقق هذه الأهداف والغايات، ولا تقوم على أرض الواقع إلا على أسس سليمة، ومن هذه الأسس إجمالاً: (المجتمع السليم ـ الجرائم الأصلية ـ عدالة الجزاء ـ الحرص على التطبيق)..

ونفصلها في الآتي :

١ ـ المجتمع السليم :

قبل أن يتحدث التشريع عن الجريمة والجزاء يسبق ذلك برنامج في العقائد والأخلاق العليا، وتربية الأمة، وتهذيب السلوك، وقرر الحقوق والواجبات فاصطبغ المجتمع بأنقى العقائد، وأطهر الأخلاق، فنحاصر الجريمة، وتقل بواعثها، فمن يتمرد على هذا النظام السامي في المجتمع السليم فهو باغ عاد، قد اختلت إرادته فلابد وأن يُقَوَّم لصالح الحق ولحماية الأمن العام.

٢ ـ الجرائم الأصلية وما دونها :

حدد وضبط الجرائم الكبرى وعقوباتها وهي تسعة جرائم وهي الزنا ـ القذف ـ شرب الخمر ـ السرقة ـ الحرابة ـ الردة ـ البغي ـ القتل عمداً أو شبه عمد أو خطأ ـ والجناية على ما دون النفس.

وما عدا هذه الجرائم توضع لها أصل كلي تندرج تحته.

يقول د. عبد الستار فتح الله: تحت عنوان: «الدين وقاية وعلاج للجريمة»:

أجرىٰ فريق من الباحثين في أمريكا عدة دراسات حول الجريمة انتهوا فيها إلىٰ نتيجة وجيهة (من الوجاهة الإسلامية)وهي أن انتشار روح التدين في المجتمع تؤدي إلىٰ انخفاض نسبة السلوك الإجرامي[1].

ومن الصحيح تماماً أن تستخدم هذه القاعدة عكساً فنقول: إن ضعف روح التدين في مجتمعات الحضارة المعاصرة هو السبب في كثرة كسب السلوك الإجرامي فيها رغم تقدمها ورضائها المادي، وقوانينها وشرطتها وعقوبتها ووسائلها الصناعية المستخدمة لمراقبة الجريمة.

وهذا يقطع بأهمية أن يكون المراقب للإنسان من داخله وضميره ويعتقد في مراقبة الله سبحانه وتعالىٰ له.

ولذلك ترىٰ هذا الإحصاء الرهيب أن مواليد الزنا نحو ٧٥٪ من المواليد العامة وانحسار هذه النسبة في بلاد المسلمين رغم تعطيل الحدود وتجفيف منابع التوجيه الإسلامي دليل قاطع علىٰ الأثر القوىٰ في الضمائر والسلوك للقيم الإسلامية ونذكر بعض هذه الإحصاءات لتتضح الصورة القبيحة لهذه التشريعات المادية الفاسدة وليس ذلك من قبيل المقارنة بالتشريع الإسلامي، فلا يجوز مقارنة الثرىٰ بالثريا.

في ألمانيا الغربية يذكر إحصاؤها لسنة ١٩٦٧م:

أنه تقع جريمة سرقة كل ٢٥ ثانية، وجريمة نصب كل ثلاث دقائق، وجريمة آداب كل ٩ دقائق، أما جرائم السرقة الكبيرة واقتحام المصارف وكسر الخزائن فتقع كل ٤٥ دقيقة، وجرائم القتل أو الضرب المفضي إلىٰ الموت كل ٤ ساعات وست وثلاثين دقيقة[2].

---

(١) الدين والمجتمع، ص ١٨٢.

(٢) هذا المثال يأتي من أوروبا نفسها، بل ومن أكثر دولها رخاء واستقراراً اقتصادياً، ومع ذلك بلغت فيها السرقات بالذات حداً رهيباً كما سجله إحصاء الجرائم في ألمانيا الغربية عام ١٩٦٧م، إذ بلغت الجرائم كلها نحو ٢,٠٧ مليون (عدا حوادث المرور، والقضايا السياسية) والسرقات منها خاصة كالآتي: =

ولم تذكر هذه الإحصاءات بداهة جرائم الاعتداء على الدين أو العقل؛ لأنها تبيح الخمر، ويقوم نظامها على أساس فصل الدين عن الدولة من الناحية الرسمية، وعلى أساس إلحادي انحلالي غالباً من الناحية العملية السلوكية.

ويلاحظ أن: الإحصاءات السابقة تتركز حول ثلاث جرائم كبرى وهي: مايتعلق بالعرض، والنفس، والمال.

ومن هنا نفهم سر الاهتمام بتحديد هذه الجرائم وتشديد عقوبتها في الإسلام.

ويشرح لنا الأستاذ عبد القادر عودة سر هذا الاهتمام بدراسة إحصائية أخرى، فيقول. رحمه الله تعالى.: نستطيع أن ندرك حكمة الشريعة على حقيقتها إذا رجعنا إلى الإحصائيات الجنائية فإنها تدل دلالة قاطعة على أن جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية هي أكثر الجرائم وقوعاً في الحياة اليومية وأن هذه الجرائم لو انقطع وقوعها لما عرف الناس الجريمة ولما شعروا بوقوع الجرائم ونستطيع أن نتخذ الإحصائيات الجنائية المصرية دليلاً على ذلك:

فقد بلغ في عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣م عدد الجنايات ٨١٧٥ جناية منها ١٧٥٢ جناية قتل عمد، ١١١٩ جناية شروع في قتل، ٩٨٩جناية سرقة بإكراه وشروع فيها، و٢٤٣ جناية هتك عرض وفسق، ٣٢٦ جناية ضرب أفضى للموت، ١١٩٦ جناية ضرب نشأت عنه عاهة مستديمة، ٦٣٤ جناية عود[1] وكلها تقريباً سرقات.

وهذه جميعاً من جرائم الحدود والقصاص والدية ومجموعها ٦٢٧٠ جناية.

= ١ ـ ١٦٣,٠٠٠ حادث سرقة سيارات.

٢ ـ ١٤٢,٠٠٠ حادث سرقة محلات عامة.

٣ ـ ٦١,٠٠٠ حادث سرقة صناديق البيع الآلي المنتشرة في الشوارع.

٤ ـ ٥٨,٠٠٠ حادث سرقة من داخل السيارات.

٥ ـ ٤٦,٠٠٠ حادث سرقة منازل.

٦ ـ ١١,٠٠٠ حادث سطو على البنوك وصناديق الادخار.

٧ ـ ٤٨١,٠٠٠ الجملة.

(١) جناية عود: العود هو تعود الشخص على تكرار الجريمة، فمن ارتكب الجريمة أكثر من مرة، تسمى جرائم العود.

ومعنى هذا أن جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية في الجنايات تقع بنسبة ٧٦,٦٪ من مجموع الجنايات.

ثم يورد الكاتب ـ رحمه الله ـ إحصائية تفصيلية عن عدد الجنح ملخصها:

إن عدد الجنح هو ٥٥٧, ٣٩٧ جنحة في نفس السنة المذكورة تبلغ نسبة جرائم الحدود والقصاص فيها أيضاً ٦١٪ تقريباً ثم يختم سلسلة الإحصاءات التي أوردها فيقول: هذا منطق الإحصائيات الجنائية التي لا تكذب، يقول في صراحة: إن جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية بلغ متوسطها في عشرين سنة ٢, ٧٢٪ من مجموع الجنايات و٣, ٦٣٪ من مجموع جرائم الجنح.

وهكذا تبين لنا الإحصائيات بصفة قاطعة أن الشريعة حين اختلفت بجرائم الحدود وجرائم القصاص والدية على قلة عدد هذه الجرائم إنما قصدت على أن تقضي على أكثر الجرائم تكرارا وأشدها هولاً[1].

٣ ـ عدالة الجزاء:

وتعني التناسب بين الجريمة والجزاء، ولذلك يكثر في الآيات الكريمة لفظ الجزاء تعبيراً عن العقوبة المقدرة للجريمة والجزاء يعطي معنى المكافأة كما قال الراغب: ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شر فشر[2].

ونأخذ مثالاً لذلك يكثر بسببه التشنيع على الإسلام؛ لأن تشريعاته وحشية وهمجية ولقد ذكرنا في ذلك كلاما نفيسا للشيخ المودودي ونذكر هذا الكلام القيم للدكتور عبد الستار فتح الله:

أ ـ حد السرقة وإعجاز التشريع الإسلامي:

ولننظر في مثال واحد مما أكثر به المشنعون على الإسلام ووصفوه بالهمجية والوحشية وتخيلوا المجتمع في ظله مقطوع الأيدي والأرجل معطل الإنتاج مشوه المنظر كما زعموا ونعني به حد السرقة التي تقطع فيها يد السارق.

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام (فقرة ٤٩٤، جـ١).

(٢) المفردات، مادة جزء، ص ٩٣.

وإننا نسأل : ما هو البديل؟

إن السارق في البلاد المستبدة يواجه حكم الإعدام أو النفي إلىٰ المجاهل الرهيبة ليواجه ما هو أقصىٰ من الإعدام وقد حدث ذلك في روسيا مراراً علىٰ سبيل المثال بل لعله القاعدة الشائعة في بلاد الإلحاد.

ثم في بلاد العالم كله تقريباً أصبح (السجن) هو العقوبة المقررة وقد ثبت أنها لا تردع اللصوص بل تؤصل الإجرام في نفوس الجدد منهم وتعودهم عليه وتكسبهم فيه خبرة وضراوة وتدمرهم خلقياً ونفسياً وقد رأيت وخبرت ذلك بنفسي في السجون المصرية وسمعت منه ما يمزق القلوب أسىٰ علىٰ هذه الأجيال الضائعة في ظل القوانين الوضعية وعندنا كتاب مبين ومنهاج حكيم وقانون هدىٰ ونور يصفه ربه بحق، قال تعالىٰ: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل: ٨٩).

ولقد جاءت الأبحاث العلمية والإحصاءات في أنحاء كثيرة من العالم مصدقة ومؤكدة لهذه النتيجة الخطيرة في عقوبة السجن بالنسبة للجاني ثم ما يتبعها من عقوبات تبعية ربما تفوقها هولاً وتدميراً، ثم ما يمتد إلىٰ أسرة الجاني نفسه تبعاً ثم ما تنفقه الدول من مال الأمم نفسها علىٰ حراسة السارق وإطعامه وإيوائه وإقامة هذا الجهاز الضخم من الشرطة للحراسة والمتابعة والمراقبة، الخ

يقول الأستاذ عبد القادر عودة ـ رحمه الله ـ: ومما يدل علىٰ أثر السجن بصفة عامة في نفوس المجرمين الإحصائية رقم ٤٦ من تقرير مصلحة السجون المصرية لعام ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ م فهي تشير إلىٰ أن نصف من في الإصلاحية تقريباً لهم سوابق في الإجرام من خمس مرات إلىٰ عشر وأن حوالي الثلث لهم من عشر سوابق إلىٰ خمس عشرة سابقة وأن أكثر الباقين تتراوح سوابقهم بين خمس عشرة سابقة وأربعين سابقة[1].

---

(١) راجع فقرة رقم ٥٠٥ من التشريع الجنائي الإسلامي تحت عنوان عقوبات الحبس وعيوبها، وفيها إحصاءات مبكية عن جرائم العود وارتفاعها عام بعد آخر.

وقد جاءت عقوبة الإسلام تتلافى الإفراط والتفريط ، فهي حقاً شديدة دامغة ولكنها سريعة وحاسمة وشخصية ، تحصر العقاب في الجاني نفسه ابتداء ولا تحجزه عن بيته وأهله ، وتجرد السارق ذاته من الأداة الأساسية لمهنته المؤذية ، وبذلك تكف السرقة عن المجتمع ولا تدعها تتكرر في جرائم العود التي قد تبلغ الأربعين كما قرأنا ثم هي بعد لا تستدعي شغل هذا الجيش الكبير من حراس السجون والشرطة .

وهذا الأثر الحاسم ليس فقط بالنسبة للجاني وحده ، وإنما لما ثبت يقينا في كل مراحل تطبيق هذه العقوبة من أثرها الناجز في ردع الآخرين ، إذ كان كافينا تماماً سقوط يد أو بضعة أيد كل عام لينحسم الداء في النفوس ، ولا تفكر في مد الأيدي إلى الحرام حتى لا تلقى نفس المصير الباتر .

ويسأل الشيخ الشعراوي - رحمه الله - الذين يقولون إن قطع يد السارق وحشية:
إذا علم أهل حي بوجود سارق محترف قد نزل إلى الحي هل سينام أهل الحي؟

إن سارقاً واحداً جعل ملايين السكان في قلق لا تنام وفي خوف وفزع لاينتهي ، إن من العدالة أن تقطع يد سارق لينام ملايين السكان في الحي ويأمنوا على متاعهم وأموالهم[١] .

ويقول الشيخ أبو زهرة: إنما العقوبة كانت بسبب ما أحدثه الفعل من ذعر عام في المكان الذي وقعت فيه السرقة ، فكم من الناس انزعجوا ، وكم من الناس أقاموا الحراس ووضعوا المغاليق والعقوبة كفاء ما كان من ذُعر عام[٢] .

ب - اطراد التناسب وإعجازه :

كالتفريق بين المحصن وغير المحصن ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (النساء : ٢٥) .

---

(١) خواطر الشيخ الشعراوي .

(٢) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٠٤ .

تصاعد العقوبة تبعاً للمنزلة ولم يستثن من ذلك أحد : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب: ٣٢)، وهي قاعدة عامة حتى للرسول ﷺ: ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الإسراء)، والملائكة المكرمين: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنبياء). فالمساواة في مثل هذه المواطن التي ذُكرت ظلم صارخ، وضلال فادح، وهدر لمعايير التناسب.

جـ ـ شخصية المسئولية :

فالعقوبة لا تجاوز الفاعل: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الزُمَر: ٧)، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور: ٢١).

د ـ ضمانات الإجراءات والتطبيق:

يحمي المتهم من سوء التطبيق ، ويحمي الجاني من عسف التنفيذ :

١ ـ جرم شهادة الزور وجعله من أكثر الكبائر : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (الحج: ٣٠).

٢ ـ شدد في وسائل الإثبات ويزيد التشدد كلما اشتدت العقوبة واشترط أن تكون البينة قاطعة (كالحبل) في الزنا، أو الاعتراف المؤكد، فلا يكفي الاحتمال أو التزامن بعين، أو السماع من وراء جدار، أو كما في أيامنا هذه الأخذ بالشبهة

أو التحري أو الظن أو التخمين، ولذلك قال النبي ﷺ: « **أما أنت يا ابن عباس فلا تشهد إلا على أمر يضيء لك كضياء هذه الشمس**»[١]. وعلى ذلك قامت القاعدة الشرعية الصحيحة (ادرءوا الحدود بالشبهات).

٣ ـ من عدالة التطبيق ورحمته عدم سريانها على الماضي، فالإسلام جب ما قبله، ولا يطبق بأثر رجعي إلا إذا كان النص في صالح المتهم، كما حدث لهلال بن أمية عندما قذف امرأته، فقال له النبي ﷺ: «**البينة أو حد في ظهرك**» فنزلت آيات اللعان فطبق النبي ﷺ النص الجديد بأثر رجعي[٢].

هـ ـ ضمانات التنفيذ[٣] :

أما بعد ثبوت التهمة وعند التنفيذ، فقد أحاط بأقصى ما يمكن من ضمانات الرحمة ومراعاة الاعتبارات الإنسانية (مع حفظ المصالح أيضاً كما قلنا) ومن ذلك:

أولاً: أنه فتح باب العفو عن الجناة إذا تابوا وسلموا أنفسهم للإمام قبل القدرة عليهم (بالشروط الشرعية) قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (المائدة: ٣٤). وفي العفو هنا تحقيق لصالح الجماعة بكف الشر عنها ممن يمتنع على الإمام ولا يقدر عليه لهربه في الجبال ونحو ذلك.

ثانياً : حبب لأصحاب الحقوق العفو عن حقوقهم في الحدود قبل رفعها إلى الحاكم، وفي القصاص والديات مطلقاً، بل جعل الله تعالى للقصاص بديلا مالياً هو الدية ونحوها إذا لم تطب النفس بالعفو مجاناً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ**

---

(١) كنز العمال، جـ ٧، ص ١٦ عن ابن عباس، رقم ١٧٧٤٨ .

(٢) بعض أعضاء مجلس الشعب المصري كانوا يقفون دائماً في وجه تطبيق الشريعة الإسلامية رغم أن الشيخ صلاح أبو إسماعيل ـ رحمه الله ـ كان قد صاغ كل مواد تطبيقها، فكان من طرائف الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: «لا تخافوا فالشريعة لن تطبق بأثر رجعي يعني لن نقطع يد من سرق سابقاً».

(٣) المنهاج القرآني في التشريع، ص ٦٨٥ .

وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٩).

وما من جناية في القصاص إلا رغب النبي ﷺ صاحب الحق في ذلك، وقال ﷺ: **«تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب»**(١).

وكان موطن لومه لأسامة في حديث المخزومية السابق أنه شفع في الحد بعد رفعه إليه ﷺ، لا علىٰ نفس الشفاعة كما هو واضح من ترجمة البخاري للحديث: باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفع إلىٰ السلطان(٢).

ثالثاً : فإذا تعين التنفيذ حداً أو قصاصاً نُفِّذَ بلا شماتة ولا سخرية من حيث هو علاج لمرض أو دواء لداء يقتصر فيه قدر الضرورة، ويلتزم فيه عناصره فقط مهما كانت مرة لا يعدوها أحد.

فمن هذه العناصر وجوب شهود طائفة من المؤمنين لعذاب الزناة، ومنها ضرب شارب الخمر بالنعال مثلاً، فهذا وأمثاله جائز وشرع لحكمة، وبمقدار وميزان ردعاً لمن هدر نعمة العقل التي هي مناط التشريف الإنساني، والتكليف الشرعي وبدونها ينحط الإنسان عن العجماوات والدواب!!

ولكن ما سوىٰ ذلك منعه النبي ﷺ منعاً باتاً، ومن ذلك:

أ - **أنه بعد ضرب شارب الخمر** قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال: **«لاتقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان»**، وفي رواية أخرىٰ: **«لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم»**، وفي رواية أخرىٰ: فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يُؤتىٰ به، فقال النبي ﷺ: **«لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»**(٣).

ب - **وفي حد الزنى** : أمر النبي ﷺ برجم الزاني حتىٰ مات، فقال له النبي ﷺ **خيراً وصلى عليه**(٤)، وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قُسِمت

---

(١) رواه أبو داود، حدود ٦ ، والنسائي، سارق ٥ ، والحاكم عن ابن عمر .

(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود ، جـ٨، ص ١٩٩ .

(٣) الروايات كلها في البخاري، أول كتاب الحدود جـ٨، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) السابق جـ٨، ص ٢٠٦ وراجع تنبيه البخاري، علىٰ هذه الرواية الصحيحة .

بين أمة لوسعتهم»[١]، فلما جاء الدور على الزانية رجمت : فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: «**مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**»، ثم أمر فصلى عليها ودفنت[٢]، وهذا غاية الإنصاف لهذه المرأة في هذا الموطن البائس، والذي لا مفر فيه من تنفيذ أمر الله تعالى.

ولقد أبطل رسول الله ﷺ ما أحدثه أحبار اليهود من التحميم والتجبية فضيحة للزناة مكان الرجم[٣].

جـ - **وفي حد السرقة:** يروي لنا ابن مسعود أعجب ما يروي عن مشاعر الحكام الذين نيط بهم تنفيذ الأحكام فيقول: إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ، أُتِي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه، فقالوا: يا رسول الله: كأنك كرهت قطعه؟ فقال: «**وما يمنعني؟ لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**»، فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال: «**إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه**»، وفي رواية: «فكأنما سُفي في وجه رسول الله ﷺ رماد لشدة تغيره»[٤].

وفي البخاري عن عائشة: أن النبي ﷺ قطع يد امرأة، قالت عائشة: وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى النبي ﷺ فتابت وحسنت توبتها[٥].

---

(١) صحيح مسلم، جـ٥، ص ١١٩ باب، من اعترف على نفسه بالزنى من كتاب الحدود والكلام عن ماعز بن مالك، وفي الرواية أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالاستغفار له.

(٢) صحيح مسلم، جـ٥، ص ١٢٠ والمراد بها الغامدية صاحبة ماعز، والمكس: الضريبة التي يأخذها بعض الولاة باسم العشر وهي ظلم مبين، وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة صاحب مكس**»، رواه أبو داود ٣/ ١٣٣ وانظر: غريب الحديث للخطابي، جـ١، ص ٢١٩ والنهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٤، ص ٣٤٩.

(٣) راجع: صحيح البخاري، جـ٨، ص ٢٠٥، ٢١٤ والتحميم، تسويد الوجه بفحم ونحوه والتجبية والرواية وردت بهما، ما كانوا يفعلونه من إركاب الزاني على دابة منكوساً، ويطاف به للتشهير.

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والرواية الأخيرة للخرائطي في مكارم الأخلاق، كما قال الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين، و(انظر: الباب الثالث، حقوق المسلم).

(٥) كتاب الحدود جـ٨، ص ٢٠١.

ولعل من تمام هذا العدل ومن كمال هذه الرحمة أن الإسلام قد حصر العقوبات التبعية في أضيق نطاق فلم تجاوز مسائل معدودة حسب شناعة الجريمة كحرمان القاتل من الميراث، وهدر شهادة المحدود في قذف.

٤ ـ الحرص على التطبيق:

لم ينتهك احد من المسلمين حُرمة تطبيق التشريع حتىٰ ولو كان أمير المؤمنين، فقد حدث يوماً أن رأىٰ عمر بن الخطاب في أيام خلافته رجلاً وامرأة علىٰ فاحشة فلم يستطع علىٰ شدته وحرصه علىٰ إقامة حدود الله أن يبت في هذا الأمر بنفسه فجمع الناس وقام فيهم خطيباً وقال: ما قولكم أيها الناس لو رأىٰ أمير المؤمنين رجلاً وامرأة علىٰ فاحشة؟

فقام علي بن أبي طالب وأجابه بقوله: «يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهود، أو يُجلد حد القاذف»، فسكت عمر ولم يعمل شيئاً[(١)].

إلىٰ هذا الحد بلغ نظر المسلمين إلىٰ هذه العقوبة، فهي شكلية ردعية أكثر مما هي حقيقية.

بهذا يستطيع اي منصف عاقل ان يقول:إن الحدود في الإسلام:

ـ رحمة واستقرار، فسوف يطمئن كل المجتمع علىٰ تجاراته وأعراضه وأمواله.

ـ أمان وعدالة، فسوف يأخذ الجاني جزاءه، لا زيادة ولا نقصاً.

ـ أمانة: فقد جاءت الغامدية إلىٰ رسول الله ﷺ لتعترف بالجريمة وردها مراراً فهذه الأمانة التي تنشأ داخل الأفراد، يسعد بها المجتمع مادياً ومعنوياً.

لذا أقول: إنه يجب على المجتمع الإنساني أن يسعى جاهداً إلى تطبيق هذه الأحكام والتشريعات أفراداً وجماعات، حتى ينتشر الأمن، ويسود الاستقرار في ربوع المجتمع الإنساني، فتسعد البشرية كلها.

---

(١) الإسلام دين عام خالد، محمد فريد وجدي، ص ١٣٢، هدية الأزهر ربيع الآخر عام ١٤٢٦ هـ.

٧ـ الحوار بين الأديان [١]

إن البثرات[٢] التي تظهر على وجه الأمة حال ضعفها إنما هي نذير خطر شديد فإذا أحسنا علاج هذه البثرات مرت فترة النقاهة بسلام وعاد إلى وجه الأمة نضارته، وإذا أسأنا العلاج تركت هذه البثرات ندبات[٣] غائرة في وجه الأمة، فيبدو منظرها مشوهاً مخيفاً لا يقترب منها أحد.

إن سلخ الأمة عن دينها وصبغ المجتمع الإنساني بصبغة لا دينية يأخذ وسائل شتى منها: الغزو الفكري الماكر ـ الحروب الصليبية ـ توحيد الكنائس المنشقة ـ إلصاق الإرهاب عنوة بالإسلام ومن هذه الوسائل القذرة الماكرة (لعبة الحوار بين الأديان) والتي انطلت[٤] على السذج من المسلمين.

أولاً: التعريف:

الحوار[٥] لغة: حديث يجري بين شخصين أو أكثر

ثانياً: نذكر نبذة عن بعض ما قيل في هذه القضية الخطيرة:

١ ـ نبدأ بمقال **أ. د. زينب عبد العزيز ـ استاذة الأدب الفرنسي ـ**، وتأتي أهمية هذا المقال أنها ذكرت فيه بنود المؤتمرات والوثائق التي ذكرت في القضية حتى يتعرف

---

(١) أقوم بعرض هذه القضية في صورة حوار لخطورتها وحتى لا تنطمس المعالم الصحيحة فتكون الأجيال على بينة حتى لا يتم تضليلها وخداعها.

(٢) البثرات، تبثر جلده، ظهرت فيه نُفخات مملوءة بالماء، المعجم الوسيط، ص ٣٩ جزء أول، وهي الدمامل والخراريج.

(٣) ندابات، أثر بالجروح وهي الأماكن الغائرة بعد جفاف الجرح وقد تكون صلب، المعجم الوسيط، جـ٢.

(٤) انطلت، طلى الشيء، دهنه بما يستره، أمر مطلى، مُشكل مُظلم (المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٥٨٥ طلي).

(٥) المعجم الوسيط، ص ٢١٢ حور.

الباحث في هذه القضية على أصولها كاملة تحت عنوان: «لعبة الحوار بين الأديان»[1] تقول:

لقد تزايد استعمال كلمة الحوار في السنوات الأخيرة بصورة لافتة للنظر وبتنويعات متعددة، وإن كان أهمها وأكثرها خطورة هي عبارة (حوار الأديان)، ولكي ندرك مدى أهمية ومدى خطورة هذه العبارة لابد من الرجوع إلى عام ١٩٦٥م، إلى ذلك العام الذي اختتمت فيه أعمال المؤتمر الفاتيكاني المسكوني[2] الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) الذي يعتبر أول مجمع هجومي في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية: إذ إن كافة المجامع السابقة كانت عبارة عن مجامع دفاعية تلفيقية.

ولقد تم اتخاذ عدة قرارات مصيرية في هذا المجمع الفاتيكاني من أهمها:

ـ تبرئة اليهود من دم المسيح.

ـ اقتلاع اليسار في عقد الثمانينيات.

ـ اقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات.

ـ توصيل الإنجيل إلى كافة البشر.

ـ تحميل عملية التبشير على كافة المسيحيين الكنسيين منهم والعلمانيين والاعتماد في ذلك أيضاً على كافة الكنائس المحلية.

ـ توحيد الكنائس المنشقة تحت لواء كاثوليكية روما.

ولعل أحداً لم يلتفت آنذاك إلى حقيقة عبارة توصيل الإنجيل إلى كافة البشر، إلى أن قام البابا يوحنا بولس الثاني بتوضيحها صراحة عام ١٩٨٢م حينما أعلن في مدينة «شانت يقب» بشمال غرب أسبانيا بوضوح لا مواربة فيه مطالباً بضرورة تنصير العالم.

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٢، ص ٨٦ ذو الحجة عام ١٤٢٢هـ، فبراير عام ٢٠٠٢م، مركز الإعلام العربي ـ مصر.

(٢) المسكوني، أي الحوار بين الكنائس والجماعات الكنسية.

وأثناء انعقاد ذلك المجمع المسكوني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) قام الفاتيكان عام ١٩٦٤م بتكوين منظمتين أساسيتين هما (المجلس البابوي للحوار مع الديانات)، و(اللجنة العليا لتنصير الشعوب)، وهاتان المنظمتان على اتصال دائم بالعاملين في بعثات التبشير والحوار الديني بالعالم، إذ إنهما من أهم الإدارات الفرعية والمنظمات التي تضمها الإدارة البابوية.

ولا يتسع المجال هنا لنورد كل المراجع الكنسية التي تتضمن شرحاً لمعنى (الحوار) من وجهة النظر الفاتيكانية، لكنا سنورد بعض النماذج لأهم هذه الشروح.

ففي عام ١٩٦٩م أي بعد انعقاد المجمع بأربع سنوات أصدر الفاتيكان كتاباً بعنوان: توجيهات من أجل الحوار بين المسيحيين والمسلمين [١] نذكر منه :

- هناك موقفان لابد منهما أثناء الحوار: أن نكون صرحاء، وأن نؤكد مسيحيتنا وفقاً لمطلب الكنيسة (وقد بات مطلب الكنيسة معروفاً).
- أخطر ما يمكن أن يوقف الحوار أن يكتشف من نحاوره نيتنا في تنصيره.
- يجب تفادي الدخول في مناقشات حول ما يرد في القرآن بشأن المسيح والمسيحية، ولنترك المسلم يتساءل عنها كيفما شاء، وعلينا أن نتذكر أن قبولنا لسر المسيح يمثل سر إيماننا.
- على جميع المسيحيين المهتمين بالحوار تفادي الحديث عن محمد بأي استخفاف، وألا يبدو عليهم أبداً ازدراء ذلك الحماس الذي يحيطه به الإسلام، وعدم إنكار دوره الديني كمبشر دائم وشجاع للتوحيد الذي نشره المسلمون فيما بعد.
- من أهم عقبات الحوار ما قمنا به في الماضي ضد الإسلام والمسلمين وهذه المرارات عادت للصحوة حالياً وقد أضيفت الآن قضية إسرائيل وموقف الغرب منها ونحن ـ كمسيحيين ـ نعرف ما هي مسئوليتنا حيال هذه القضية، وعلينا أن نبحث دائماً عن توجه إنساني خاصة أن حل هذه المشكلة ليس في أيدينا.

---

(1) P. Marella Cardinal: "Drienration's Pour un dialogue enter Chr'tiens et musulmans" e'd ، An cona, Roma, 1991.

- لا يكفي أن نتقرب من المسلمين بل يجب أن نصل إلىٰ درجة احترام الإسلام علىٰ أنه يمثل قيمة إنسانية عالية وتقدماً في التطور الديني بالنسبة للوثنية.

- مراعاة سوء فهم المسلم للعقيدة المسيحية؛ لأن العبادات الواردة في القرآن عن المسيحية تشوهها، فهم ينفون التثليث وتجسد الله في المسيح، وأي حوار في هذا المجال سيواجه بالفشل ما لم يغير المسلم من موقفه.

- في أي حوار يجب علىٰ المسيحي أن يقنع المسلم بأن المسيحية قائمة علىٰ التوحيد وألا يناقش أية تفاصيل فأي كلام سيقوله المسيحي تبريراً للعقيدة لن يمكنه أن يقنع به المسلم الذي لا يرىٰ في الثالوث إلا المساس بالتوحيد، ويستند في ذلك إلىٰ سورة التوحيد والإخلاص.

- ضرورة القيام بفصل المسيحية في حد ذاتها عن العالم الغربي ومواقفه المعادية الاستعمارية، فالمسلم لم ينس ذلك بعد.

- علىٰ من يقوم بالحوار من المسيحيين فصل ما هو ديني عما هو دنيوي في المواقف السابقة للكنيسة والغرب من الإسلام والمسلمين والبحث عن نقاط مشتركة.

- يجب الاعتماد علىٰ الغرس الثقافي وعدم إغفال الدور الذي يقوم به الغرب في العالم الثالث من تغيير حضاري.

- لابد من اشتراك الجميع في هذا الحوار وليس العاملين في الكنيسة وحدهم.

وفي شهر كانون الأول ـ ديسمبر عام ١٩٨٤م أصدر البابا يوحنا بولس الثاني إرشاداً رسولياً بعنوان (بشأن المصالحة والتوبة في رسالة كنيسة اليوم)(١) وهو خطاب يقع في ١٢٨ صفحة مكون من ثلاثة أجزاء تطالع في الفصل الأول من الجزء الثالث منه موضوعاً عن الحوار هو البند رقم ٢٥ ويقع في ست صفحات، ومما جاء فيه:

- إن الحوار بالنسبة للكنيسة هو عبارة عن أداة وبالتحديد: عبارة عن طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم.

---

(١) يوحنا بولس الثاني (المصالحة والتوبة في رسالة الكنيسة اليوم) منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، الفاتيكان ١٩٨٤م.

- إن المجمع الفاتيكاني الثاني قد أوضح أن الكنيسة هي علامة لتلك الأخوة التي تجعل الحوار الصريح ممكناً وتزيده قوة وذلك بمقتضى الرسالة التي تتميز بها، وهي إنارة الكون كله ببشارة الإنجيل، وتوحيد البشر بروح واحدة.

- إن على الكنيسة أن تكون مستعدة دائماً لإقامة حوار مثمر بين كل الذين يؤلفون شعب الله الواحد وأن تتمكن من إقامة حوار مع المجتمع البشري.

- لقد خص سلفنا بولس السادس الحوار بقسم هام من رسالته العامة المبدوءة بعبارة (كنيسته) حيث وصف الحوار وحدده تحديداً له دلالته إذ قال عنه: إنه حوار الخلاص.

- إن الكنيسة تستعمل طريقة الحوار لكي تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة سواء أكانوا أعضاء في الجماعة المسيحية بالتعميد والاعتراف بالإيمان أم هم غرباء عنها، وذلك عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديداً عميقاً في ضوء سر الفداء والخلاص اللذين حققهما المسيح ووكلهما لخدمة الكنيسة.

- إن الحوار يرمي إذن وأولاً إلى تجديد كل فرد بالارتداد الباطني والتوبة مع احترام كل الضمائر اعتماداً على الصبر والتأني والتقدم خطوة خطوة وفقاً لما تقتضيه أحوال الناس في عصرنا.

- تقوم الكنيسة بتشجيع الحوار المسكوني بصفة خاصة أي الحوار بين الكنائس والجماعات الكنسية التي تعترف بالمسيح ابناً لله والمخلص الوحيد وكذلك الحوار مع سائر جماعات الناس الذي يبحثون عن الله ويتوقون إلى إقامة علاقة اتحاد معه.

- إن الكنيسة الكاثوليكية بجميع فئاتها تسير بصدق في طريق الحوار المسكوني بعيداً عن التفاؤل السهل ولكن بحذر وبلا تردد أو تباطؤ.

- إن حوار المصالحة الذي تلتزم به الكنيسة على الأخص نشاط الكرسي الرسولي وأجهزته المختلفة حوار معقد دقيق ويمكن القول إن الكرسي الرسولي يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بإجراء الحوار، أو حضهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة.

ـ والعلمانيون الذي يتخذون التبشير بالإنجيل ميداناً لنشاطهم الخاص في عالم السياسة والاجتماع والاقتصاد الواسع المقصد وفي الحياة الدولية مدعوون للاتحاد برعاتهم والالتزام بالحوار مباشرة لمصلحة الحوار من أجل المصالحة فالكنيسة هي التي تقوم بعملها من خلالهم وبواسطتهم.

ومن أهم الوثائق التي صدرت فيما يتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى نصان أساسيان **أولهما**: هو الخطاب الرسولي للبابا يوحنا بولس الثاني، والمعنون (رسالة الفادي) الصادر في ٧ من كانون أول ديسمبر عام ١٩٩٠م[1]، وقد تم إعلانه يوم ٢٢ من كانون ثان يناير ١٩٩١م، **وثانيهما** : وثيقة (حوار وبشارة) المؤرخة في ١٩ من أيار مايو عام ١٩٩١م وتم الإعلان عنها في يوم ٢٠ من حزيران يونيو، وهي من إعداد لجنة الحوار والمجلس الأعلى لتبشير الشعوب، وتأتي على مسافة خمسة أشهر من خطاب البابا السالف الذكر.

والعلاقة الموضوعية بين الوثيقتين تكمن في أن الخطاب الرسولي للبابا يؤكد ويفرض أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل خلاص جميع البشر، الأمر الذي معناه إخضاع جميع البشر لعملية التنصير الملحة التي تم اتخاذ قرارها في المجمع الفاتيكاني الثاني (عام ١٩٦٥)، والتي طالب بها البابا علنا عام ١٩٨٢م، أما الوثيقة الثانية فتعني ـ اختصاراً ـ كيفية تنفيذ عملية التنصير هذه وكيفية القيام بها من خلال الحوار.

وتقع وثيقة (رسالة الفادي) في ١٤٤ صفحة وتضم ثمانية فصول، ونجد في الفصل الخامس منها خمس صفحات عن (الحوار مع الإخوة من ديانات أخرى) نقتطف منها:

ـ إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية وهو لا يتعارض مع رسالة التبشير إلى الأمم بل على العكس من ذلك إنه مرتبط بها بصفة خاصة ويعد تعبيراً عنها؛ لأن هذه الرسالة موجهة إلى أناس لا يعرفون المسيح ولا إنجيلية وهم في أكثريتهم الساحقة ينتمون إلى ديانات أخرى.

---

(1) John Poul II :"Redemptoris Missio" Libre ria editrice Vaticana, 1991.

- لقد نوه المجمع الفاتيكاني الثاني بإسهاب وتعاليم السلطة الناجمة عنه، وهي تؤكد بثبات دائماً على أن الخلاص يأتي من المسيح وأن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل.
- وفي ضوء المخطط من أجل الخلاص فإن الكنيسة لا ترى أي تناقض بين التبشير بالمسيح والحوار بين الديانات لكنها تشعر بضرورة تنسيقهما في إطار رسالتها إلى الأمم؛ لأنهما متميزان.
- إن الكنيسة تعترف طواعية بكل ما هو حق ومقدس في التقاليد الدينية عند البوذية والهندوسية والإسلام، كانعكاس الحقيقة التي تنير للبشر جميعاً إلا أن ذلك لا يخفف من واجبها وعزمها على الإعلان بلا تردد أن يسوع المسيح هو الطريق والحق والحياة.
- على الحوار أن يوجه وينمي بالإقناع أن الكنيسة هي الطريق العادي للخلاص وأنها وحدها تملك كل وسائل الخلاص.
- مع العلم بأن الحوار يمكن أن يكون مصدر غني لكل جانب إلا أنه يجب ألا يكون هناك استسلام ولا تساهل بل شهادة متبادلة بغية تقدم هؤلاء وأولئك في طريق البحث والاختبار الديني وبغية تجاوز الأفكار المسبقة وعدم التسامح وسوء الفهم.
- يرمي الحوار إلى التطهير والاهتداء الداخلين اللذين إذا ما تما في خضوع تام للروح القدس أثمرا روحياً.
- إن المؤمنين جميعاً والجماعات المسيحية كلها مدعوة لممارسة الحوار حتى وإن لم يكن على نفس المستوى وبأشكال متماثلة.
- إن إسهام العلمانيين في هذا الحوار ضروري إذ يستطيع المؤمنون من خلال أمثلة حياتهم وعملهم أن يحسنوا العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة فضلاً عن أن البعض منهم بوسعه الإسهام في الأبحاث والدراسات.
- إن الحوار هو الطريق إلى الملكوت، وهو بالتأكيد سيعطي ثماره حتى وإن كانت الأزمنة والأوقات في علم الأب.

أما وثيقة (حوار وبشارة)[1] فتتكون من تسعة وثمانيين بنداً، وهي مقسمة إلىٰ مقدمة (١٣ بنداً)، وثلاثة أجزاء (٧٣ بنداً)، وخاتمة (٣ بنود)، الجزء الأول فيها بعنوان (الحوار بين الأديان (١٤ ـ ٥٤)، والثاني بعنوان التبشير بيسوع المسيح (٥٥ ـ ٧٦)، والثالث بعنوان (الحوار بين الأديان والتبشير) (٧٧ ـ ٨٦).

وقد صدرت هذه الوثيقة في ذكرىٰ مرور خمسة وعشرين عاماً علىٰ صدور وثيقة مجمع الفاتيكان الثاني والمعنونة (زماننا هذا) حول علاقة الكنيسة مع الديانات الأخرىٰ وهي توضح أهمية الحوار بين الديانات في هذه العلاقة القائمة علىٰ ازدواجية رهيبة بين القول والتنفيذ.

فالحوار والتبشير يمثلان وجهي عملة واحدة هي رسالة الكنيسة التبشيرية، وهي وثيقة مقدمة من اللجنتين المسئولتين عن إعدادها كبرنامج ومنهج عمل الكنيسة العالمية بما في ذلك الكنائس المحلية وقام بالتوقيع عليها الكاردينال أرنزىٰ المسئول عن الحوار مع المسلمين.

ومما ورد بهذه الوثيقة :

١ ـ إن سرعة وسائل الاتصال وتحرك الشعوب وتداخلها قد أوجد نوعاً من الوعي الجديد بالتعددية الدينية فالديانات الأخرىٰ لم تعد تكتفي بالتواجد ببساطة أو ببقائها صامدة بل في بعض الأحيان تعرب عن صحوة جديدة فهي ما زالت تلهم وتؤثر علىٰ حياة الملايين من أتباعها ففي الإطار الحالي للتعددية الدينية لم يعد من الممكن تناسي الدور المهم الذي تلعبه التقاليد الدينية.

٢ ـ إن هذه الوثيقة مقدمة لأتباع الكاثوليكية ولبقية أتباع الكنائس الأخرىٰ لتوحيد الجهود، لذلك تنتهي المقدمة بتوضيح دلالة بعض العبارات الأساسية التي ترد طوال النص، ومنها :

---

(1) F. Arinza, Cardinal: "Dialogue et Annonce Document du Conseil Pontifical Pour le Dialogue inter religieux et do congration poure L'Evange e'lisation des peoples, 1991.

١ - **التبشير** : عبارة لها أكثر من معنىٰ ومنها توصيل النبأ السعيد إلىٰ الإنسانية جمعاء وتغيير أعماق الإنسان بواسطتها وقيام الكنيسة بغرض الارتداد بواسطة الطاقة الإلهية للرسالة التي تبلغها للأفراد والجماعات والتبشير صراحة وبوضوح وبلا مواربة بيسوع المسيح .

٢ - **الحوار** : تتسم هذه العبارة بأكثر من معنىٰ أيضاً : (أولاً) الاتصال المتبادل بغية تحقيق هدف معين . (ثانياً) اتخاذ موقف من الاحترام والصداقة الذي يجب أن يتسم به كافة نشاطات إرسالية التبشير أي ما يسمىٰ بروح الحوار . (ثالثاً) : مجمل العلاقات الإيجابية والبناءة بين الأديان مع جماعات العقائد المختلفة بغية المزيد من التعارف والإثراء مع الطاعة الكاملة للحقيقة واحترام حرية كل فرد .

٣ - **البشارة** : تعني توصيل الرسالة التبشيرية وسر الخلاص الذي حققه الله للجميع في يسوع المسيح بقوة الروح القدس ، ويمكن القيام بذلك علىٰ الملأ ويمكن القيام بذلك سراً في صيغة حوارات خاصة .

٤ - **الارتداد**: إن فكرة الارتداد تتضمن دائماً اتجاه الإنسان بالكامل إلىٰ الله ، ومن ناحية ثانية تعني تغيير الانتماء الديني وخاصة الدخول في المسيحية .

٥ - **اديان وتقاليد دينية**: وتشتمل هذه العبارة علىٰ الديانات التي يروق لها الانتساب إلىٰ عقيدة إبراهيم ، وكذلك التقاليد الدينية الكبرىٰ لآسيا وأفريقيا وبقية العالم .

وبخلاف هذه الإيضاحات الواردة في المقدمة فإننا نطالع في بقية الوثيقة على سبيل المثال:

- إن الحوار مع الديانات الأخرىٰ ليس نزوة من نزوات الكنيسة الحالية وإنما هي رسالة مبلغة من الأب ليتم تطبيقها علىٰ كافة الأمم .

- إن الله قد خلق كل الرجال والنساء علىٰ صورته وبذلك فإن مصير الجميع واحد فلا يوجد سوىٰ خطة خلاص واحدة متمركزة في يسوع المسيح الذي قد توحد بتجسده بكل إنسان بلا استثناء وأياً كانت عقيدته الدينية .

- الديانات الأخرىٰ رغم ما بها من قيم إيجابية هي انعكاس لمحدودية الفكر الإنساني الذي يميل إلىٰ اختيار الشر والتعامل مع الديانات الأخرىٰ لا يعني أن يغمض المسيحي عينه علىٰ ما بها من تناقضات تفصل بينها وبين المسيحية ، وذلك يعني أن الدخول في حوار بفكر مفتوح مع أعضاء الديانات الأخرىٰ يجب علىٰ المسيحيين إقناعهم بصورة سليمة بالتأمل في فحوىٰ ومتناقضات عقائدهم .
- يتعين علىٰ المسيحيين أن يساعدوا مؤمني العقائد الأخرىٰ علىٰ التطهر من تراثهم الديني لتقبل عملية الارتداد .
- إن أعضاء الديانات الأخرىٰ مأمورون بالدخول في الكنيسة بمعنىٰ أنها تمثل السر الذي يوجد فيه ملكوت الله .
- الحوار يدخل في مهمة الكنيسة من أجل الخلاص ، لذلك فهو حوار من أجل الخلاص .
- الحوار يتم من أجل الخلاص يعني ارتداد الجميع إلىٰ الرب وذلك هو ما يعطي قيمة ذاتية للحوار وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلي عن العقيدة الدينية السابقة والدخول في عقيدة جديدة .
- أهم مجالات الحوار بين الأديان هو مجال الثقافة ؛ لأن مفهومها أوسع من مفهوم الدين الذي لا يمثل سوىٰ بعداً تصاعدياً واحداً أما الثقافة وخاصة العلمانية فيمكنها أن تقوم بدور نقدي بالنسبة لبعض العناصر السلبية في ديانة أو أخرىٰ .
- رغم كل المصاعب والعقبات فإن التزام الكنيسة بالحوار ثابت ولا رجعة فيه .
- إن تقديم الرسالة التبشيرية ليست مساهمة اختيارية بالنسبة للكنيسة إنه الواجب الذي يقع عليها بأمر الرب يسوع حتىٰ يمكن للبشر أن يؤمنوا وينقذوا .

نعم هذه الرسالة ضرورية إنها فريدة ولا يمكن استبدالها ولا تتحمل أية لا مبالاة ولا أية تلفيقية ولا أي مواءمة إنها متعلقة بخلاص البشر .

إن نصوص هذه الوثائق من الوضوح بحيث إنها ليست بحاجة إلىٰ توضيح أو حصر لنقاطها الأساسية فالموقف لم يعد يترك أي مجال للشك أو التخمين أو حتىٰ لافتراض أي بصيص من حُسن النية فتنصير العالم بات أمراً يتم تنفيذه بالفعل منذ

اتخاذ هذا القرار في المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني عام ١٩٦٥م وعلى حد قول كافة الوثائق التي تتناول هذا الموضوع إن تنصير العالم هو قرار لا رجعة فيه ويتم فعلاً وباستخدام كافة الوسائل شريطة أن يتم تدريجياً وبعناية فائقة وصبر طويل دون أن ينكشف أمر من يقومون به .

غير أن الأمر اللافت للنظر هنا هو تغيير وسائل وأساليب التبشير من الناحية العملية ، أي أنها لم تعد تتم عن طريق فرق المبشرين والمستشرقين ـ فحسب ـ وإنما أصبحت تقع على عاتق كافة أتباع المسيحية أياً كانت انقساماتهم العقدية مع تغيير الأسلوب القائم على التجريح والسب والسخرية وتحريف معاني القرآن الكريم والسنة ، وحيث إنه أسلوب قد ثبت عدم فعاليته على مر القرون فالإسلام ـ ولله الحمد ـ ينتشر بثبات ورسوخ لنقائه ولبساطة تعاليمه ، وبتغيير منهج التبشير أصبح الاعتماد على الدراسة والتحليل والبحث عن منافذ للتسلل من خلالها بالتدريج هو القانون الجديد إضافة إلى تفادي المناقشات الجادة المتعلقة بانحرافات العقيدة المسيحية الحالية من تثليث وتأليه للسيد المسيح وعبادة الصليب . . . الخ ، والتلفع بمسوح الود والاحترام حتى تتم عملية الاغتيال .

ومما تقدم نخرج بأن الحوار في مفهوم الكنيسة الفاتيكانية ليس إلا حرباً صليبية جديدة حرباً بالكلمات بدلاً من السلاح وهو ما كان قد أعلنه بطرس المبجل رئيس دير كلوني في مطلع القرن الثاني عشر إذ قال للمسلمين إنه لن يبدأ حرباً صليبية جديدة بالسلاح وإنما بالكلمات أي بالحوار[1]، الأمر الذي يوضح أن لعبة الحوار الحالية التي تدار على الصعيد العالمي هي جزء متواصل من مخطط قديم بدأة بطرس المبجل مع مسلمي أسبانيا وتمخض عن إبادتهم جميعاً وإلقاء الإسلام بعيداً عن أسبانيا على حد قول جليان (صفحة ٢٤٥) ، الذي يوضح بعد ذلك بمائة صفحة تقريباً كيف أنه بازدهار الإمبريالية الأوربية طوال القرن التاسع عشر قد بدأ احتلال مواقع استراتيجية تم انتزاعها من المسلمين ومنها مصر وإيران وأفغانستان والشرق العربي وشمال أفريقيا (ص ٣٥٦)، فالارتباط الحميم بين الاستعمار والتبشير

(1) Hulien Ries: "Les Chre'tiens parmi les religions" des ele'e, Paris, 1987

والحوار من القضايا التي لم تعد بحاجة إلىٰ مزيد من الأدلة والبراهين.

وإذا ما عدنا إلىٰ مطلع هذا المقال إلىٰ قرارات ذلك المجمع الفاتيكاني الثاني الذي تم فيه تكريس وتدعيم مخطط الحوار والتنصير، والذي لم يكن في واقع الأمر إلا الخطة التنفيذية لاستتباب العولمة وفرضها علىٰ العالم أجمع بحيث لا يكون هناك سوىٰ نظام سياسي واقتصادي واحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، ونظام ديني واحد بزعامة الكاثوليكية الفاتيكانية، وربطنا بين كل ما يدور حالياً وكل ما بدأت حياكته منذ عام ١٩٦٥م من اختلاق عبارات من قبيل الإسلاميين والإسلام السياسي والإرهاب الإسلامي، وتعمد تشويه صورة الإسلام والمسلمين، مستعينين بكل وسائل الإعلام من تقييم وترويج وصولاً إلىٰ سن قانون حماية الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية بعد أن حملهم المجمع المشاركة الإجبارية في عمليات التبشير ووضعهم بذلك أمام محنة الولاء ولمن يكون، للتعصب الفاتيكاني أم للوطن الذي يأويهم ويرعاهم؟

إذا ما ربطنا بين كل هذه الخيوط وغيرها فلم نذكر إلا الشذرات، وبين ما يدور من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية، لأدركنا فداحة الموقف، ولأدركنا ضرورة أن يدرك كل المسلمين بعامة وكل الذين يشتركون منهم في لقاءات الحوار حقيقة أبعاد تلك اللعبة بالنسبة للغرب وللتعصب الفاتيكاني، إذ إن ذلك المخطط لا رجعة فيه كما أكده البابا يوحنا بولس الثاني في أكثر من موقع وأكثر من وثيقة.

٢ ـ حوار الأديان، حق أُريد به باطلاً:

سُئل المستشار الدكتور علي جريشة: (١)

ـ ما رايكم فيما يثار منذ فترة تحت ما يسمى (حوار الحضارات)؟

ـ وكيف تنظر إلى جدوى هذه الحوارات وفائدتها بالنسبة للمسلمين في ظل الأزمة الحضارية التي يعيشها العالم الإسلامي الآن؟

---

(١) حوار أجرته معه مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد ٥٠٩، محرم عام ١٤٢٩هـ يناير عام ٢٠٠٨م، ص ١٨.

قال : ظهور الحديث حول حوار الحضارات في هذا الوقت يثير شبهة كبيرة ويجعلنا نميل إلىٰ أنها كلمة حق أُريد بها باطلاً ؛ لأنه إذا كان المقصود بحوار الحضارات هو الموازنة بين حضارة الإسلام التي أشرقت على الدنيا وعمرتها بضعة قرون وبين الحضارات القائمة الآن على أساس مادي في الشرق أو في الغرب فإن مثل هذا الحوار والحديث حوله يكون غير متوازن، وذلك لتغاير الأساس الذي تقوم عليه كل من الحضارتين الإسلامية والغربية فحضارة الإسلام أساسها عقدي روحي وحضارة الغرب أساسها مادي بعيد تماماً أو غالباً عن الروح، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ فإن حضارة الإسلام أصابها ما أصابها في القرون الأخيرة، وبالتالي فإنها لم تستفد بوسائل التقدم الإنسانية التي ينبغي أن تستفيد منها كل حضارة بينما حضارة الغرب نهضت علىٰ أنقاض حضارة الإسلام مستفيدة منها في الجانب العلمي والتجريبي من ناحية ومنكرة لأصلها الروحي والعقدي من ناحية أخرىٰ ومن هنا يأتي عدم التوازن في مثل هذا الحوار.

لكن إن قُصِد بهذا ما كان يسمىٰ بحوار الأديان، وأُريدَ بكلمة الحضارات التغطية علىٰ مثل هذا الحوار، فإن فرص التقارب بين أديان لا أقول عفا عليها الزمان، ولكن مسها ما مسها من تغيير بشري مقصود وبين دين الإسلام الذي تكفل الله بحفظه حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحِجْر: ٩).

والذكر هو القرآن وحفظ القرآن حفظ للإسلام فإني أرىٰ أن مثل هذا الحوار لا مجال فيه للتقارب؛ لأن ما أصاب الأديان السابقة يهودية ونصرانية كان تحريفاً شديداً أخرج الدين عن أن يكون ديناً ولا أود أن أدخل في التفاصيل فهي معلومة لدىٰ الجميع حتىٰ من يدعون تبني مثل هذا الأمر.

وقد أتيح لي في بعض زياراتي للخارج، ومنها زيارة الولايات المتحدة منذ عشرين عاماً تقريباً أن أتكلم مع معتقدي الأديان السابقة، وأن أمس موضوع بنوة المسيح لله تعالىٰ كما يزعمون فكان الرد الذي سمعته أننا لا نستطيع التحدث في مثل هذه الأمور لكنهم في المقابل ينتهزون فرصة وجود من لا يعلم حقيقة ما في صدورهم وحقيقة التحريف الذي وقع في أديانهم أو ينتهزون فرصة بعض الرسميين الذين يجاملون فيثيرون مسألة حوار الأديان.

وقد انتهزت يوماً فرصة انعقاد مؤتمر في مدينة رسول الله ﷺ وقلت : إن معنى التقارب بين الأديان يعني أن يترك كل دين بعض ما عنده حتى يتقارب مع الآخر ، فاقترحت على سبيل التهكم أن يتنازل الذين يقولون بآلهة ثلاثة عن أحد الثلاثة من آلهتهم فيقولوا بإلهين فقط بدلا من ثلاثة ، وأن نتنازل نحن ـ أصحاب التوحيد ـ عن إفراد الله سبحانه ـ معاذ الله ـ أن يكون كذلك ونعترف بإله آخر .

فبالتالي يمكن أن يقع التقارب ونتفق على وجود إلهين وننفي الإله الثالث وكان لهذا القول وقعه وكان له أثره والحمد لله ، إذ تقدم شيخ الأزهر في ذلك الحين ووزير التعليم العالي باستقالتين إلى رئيس الدولة احتجاجاً على كلمة قيلت كانت تعني التقارب بين الأديان ، لا أزعم أن كلمتي كانت هي السبب ، لكن كان هذا إسهاماً مني في تلك الحملة التي كانت موجودة ضد ما كان يسمى بالتقارب بين الأديان ، هذا هو خلاصة **القول** في مسألتي التقارب بين الأديان وحوار الحضارات وأنا أرى أنهما كلمتا حق أريد بهما باطلاً ، وأنهما لن يأتيا بنتيجة ، وإن فتح الأمر ليحدث التقارب أمر غير وارد ، أما فتح الباب لبيان الحق فهذا هو المطلوب .

٣ ـ من أجل صالح الإنسانية فالعلاقة بين الأديان يجب أن تكون حواراً لا مواجهة :

تحت هذا العنوان تحدث **فضيلة الشيخ محمود عبد الغني عاشور ـ وكيل الأزهر**(١) ـ فقال : إن تحقيق السلام في العالم يتوقف على الحوار بين الأديان .

ويقول : إن هناك أساسيات مشتركة من كل الأديان يمكن أن تكون أرضية للحوار تتمثل في :

أ ـ أن الأديان السماوية كلها فطرية تتضمن مبادئ وعقائد مشتركة ومستمدة من جوهر واحد هو إرشاد الإنسانية إلى طريق يحقق له إنسانيته .

ب ـ الانضباط في السلوك والدعوة إلى العمل والتعمير واحترام العلاقات الإنسانية كلها كما أن الرسالات كلها تدعو إلى السلام ونشره والعيش في وئام بين جميع البشر .

---

(١) هدية مجلة الأزهر ، ص ٤ ، ٥ ، شهر ذي القعدة عام ١٤٢٣ هـ .

والشيخ بهذه الكلمات يطالب وبشدة، بل ويرجو الأطراف الأخرىٰ في الحوار أن تتفضل علينا نحن ـ المسلمين ـ بإقامة هذا الحوار .

لقد قرأتُ هذا الكتيب وظننت من عنوانه أن فيه إرواء الظمأ في هذه الفتنة، ولكني وجدت كل ما فيه يتحدث عن الإسلام وعظمة تشريعه والمحافظة علىٰ حقوق الأقليات والمواطنة، فهو عرض لصورة الإسلام المشرقة تختلف عن العنوان[1] تماماً، ولم يتحدث من قريب أو بعيد عن :

- هدف هذا الحوار الذي يرجوه ويؤيده بشدة؟ وما المواد المطروحة لهذا الحوار
- كيفية إدارة الحوار، وهل يقبل كل من الطرفين[2] الحكم النهائي؟ وما آلية تنفيذ القرارات؟
- ما النتيجة المرجوة من هذا الحوار؟ هل تتفق الأديان علىٰ وجود إله؟ وكيف يكون هذا الإله؟ واحداً أو اثنين أو ثلاثة؟ وهذا مُحال، فالنصارىٰ يقولون بثلاثة آلهة (الإبن ـ الآب ـ الروح القدس)، واليهود يقولون عزير بن الله، ونحن المسلمين نقول: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤** ﴾ (الإخلاص).
- أم هل تتفق الأديان علىٰ تشريع؟ ومن أين هذا التشريع؟ هل هو الإنجيل؟ أم التوراة؟ أو القرآن؟ أو توليفة تشريعات من هذه الأديان؟

ثم ذكر الشيخ كلمات تفيض أسى ومرارة ومخالفات لا حصر لها، إنه يقول: تتضمن الأديان مبادئ وعقائد مشتركة.

---

(١) كتاب وكيل الأزهر بعنوان: العلاقة بين الأديان يجب أن تكون حواراً لا مواجهة، أرىٰ أنه كان يقصد أن يسمىٰ الكتاب العلاقة بين الأديان يجب أن تكون عقائد وأخلاق يتخلىٰ عنها المسلمون، فهذا العنوان يناسب كلامه .

(٢) أقول الطرفين؛ لأن اليهود والنصارىٰ أصبحوا طرفاً واحداً بعد أن تنازل كل للآخر عن بعض التشريعات في دياناتهم كما ورد في بداية هذه القضية ولا غرابة في ذلك، فالذي وضع شيء يستطيع أن يُغيره أو يتنازل عنه، أما نحن المسلمين فتشريعاتنا من الله لن نغير فيها ذرة ولن نترك منها ذرة.

أقول : أي عقيدة مشتركة تقصد؟ هل تقصد عقيدة تعدد الآلهة الابن والآب والروح القدس ؟ أم عقيدة طبيعة الإله : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)؟ أو كما يقول النصارىٰ أن الرب زنىٰ فهو يكفر عن خطيئته؟ أم عقيدة وجود الإله نقول الكل يعترف بوجود الإله حتىٰ المشركين الذي يقولون (لا إله)(١). المطلوب الإيمان بوحدانية الله وتنزيهه.

ثم يقول الشيخ: إرشاد الإنسان إلىٰ طريق يحقق له إنسانيته.

أقول : من أي تشريع سوف تستمد هذه الإرشادات؟ هل من التوراة؟ أم من الإنجيل؟ هذه الكتب التي حُرفت عن آخرها ويوجد منها آلاف النسخ المغايرة لبعضها تماماً؟ أم من القرآن الذي حفظه الله تعالىٰ؟

فإذا استمددت الإرشادات من الكتب المحرفة ضلت البشرية، فهذه الكتب ليست منهج حياة، أم تستمد الإرشادات من القرآن وهذا عندهم مرفوض ـ مرفوض ـ مرفوض، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

وأقول : لماذا يستحي الشيخ من ذكر كلمة القرآن أو الإسلام في هذه العبارات؟ هل ذلك حتىٰ لا يغضب اليهود والنصارىٰ.

٤ ـ على هذا الدرب المؤسف الذي ذكره فضيلة الشيخ عاشور وكيل الأزهر سار الدكتور: محمود زقزوق وزير الأوقاف المصري (٢):

يقول في مقدمته: نعيش في عصر تعقدت فيه المشاكل وأصبح البحث عن حلول لهذه المشاكل عن طريق الحوار أمراً ضرورياً.

---

(١) راجع في الباب الأول من الموسوعة كلام الشيخ الشعراوي في ذلك.

(٢) الإسلام في عصر العولمة، د. محمود زقزوق، وزارة الأوقاف العدد ٥٣ عام ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م، ص ٥٧، ٥٨.

أقول : د. زقزوق ـ أزهري ووزير للأوقاف ـ ويبحث عن حل ولا يجده إلا في الحوار، والمستشرق الإيرلندي (برناند شو) وجد الحل فقال: «لو أن محمداً موجوداً لحل مشاكل العالم».

ثم يقول د. زقزوق: وتعد القضايا الدينية جزءاً لا يتجزأ من مشكلات عالمنا الواقعية.

وللمسلم أن يتساءل: كيف يحل الحوار مشكلة القضايا الدينية؟ هل يعمل توليفة دين جديد يوافق عليه الناس، وأي مشكلة في القضايا الدينية تقصد: قضية الإيمان والعقيدة، أم قضية السلوك والأخلاق؟ وأي أخلاق وسلوكيات يعتمدها الحوار؟ أخلاق العفة والطهارة والحجاب والزواج، أم أخلاق وسلوكيات الانحلال والانحراف واتخاذ الصديقات؟!

ثم ينقل د. زقزوق نفس الكلمة التي ذكرها فضيلة وكيل الأزهر عن المستنير الألماني (هانز كونج) ـ الذي يقول: إن تحقيق السلام في العالم يتوقف على تحقيق السلام بين الأديان، ولن يتحقق السلام بين الأديان إلا بإجراء الحوار بين هذه الأديان، ويثني السيد الوزير على أستاذه هانز كونج، ويقول: إنه أحد علماء الأديان المعاصرين المستنيرين في ألمانيا[١].

أقول : سيادة الوزير.. القرآن هو التشريع الخاتم المهيمن والمسيطر على كل التشريعات، إن الله تعالى جعل البشرية ترتقي في سُلم التشريعات، إلى أن وصلت البشرية إلى نضجها هل نبدأ من جديد ونترك ما وصلنا إليه.

إن هذا المنطق مرفوض في الحياة العملية فإذا ما وصلت البشرية إلى صناعة الطائرات هل يقول عاقل إننا ندمر الطائرات ونبدأ من جديد استخدام الجمال والحُمر والحصان لنبدأ بهم من جديد وسائل المواصلات.

سيادة الوزير: أنت عندك تشريع جاهز من لدن حكيم خبير فيه خير البشرية ليس فيه خلل في التشريع ولا التطبيق ولا يحتاج إلى التجريب فلماذا تتركه وتبحث

---

(١) المصدر السابق.

عن توليفة جديدة في الحوار تكون من صنع البشر يجرىٰ عليها الصواب والخطأ وقد تفشل فشلاً ذريعاً في التطبيق وسوف تفشل: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾ (طه: ١٢٣).

رحم الله الشيخ الجليل محمد أبو زهرة، ذلكم العالم الأصولي التقي الورع حيث يقول:

ولقد جاء الإسلام فجمع الإنسانية حول القرآن الكريم وفيه خلاصة كل الأديان السماوية فدعا الناس جميعاً دعوة عامة للخضوع لخالق الناس وعبادته وحده، ولذلك خاطب الناس أجمعين فقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧٠)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤)، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

وهكذا نجد النصوص القرآنية الكثيرة تخاطب الإنسانية بأحكام الإسلام لا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر وأصفر بل الجميع مخاطبون بتلك الأحكام الإسلامية.

ولقد قرر المفسرون أن كل نص قرآني ابتدأ النداء فيه بيا أيها الناس يكون الخطاب فيه للناس جميعاً غير مختص بقبيل دون قبيل؛ لأن العنوان فيه للإنسانية كلها فكل من يتصف بها داخل في الخطاب ولقد قال النبي ﷺ عندما صدع بأمر ربه وخاطب قومه بدعوته: «**إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، وإني لنذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

---

(١) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، جـ١، ص ٥٤، ٥٥ .

أقول : إن المؤلم والموجع في القضية هي محاولة سيادة الوزير ليّ أعناق النصوص .

يقول د. زقزوق ص ٥٩ : انطلقت المبادرة إلى الحوار الديني أساساً من القرآن الكريم في توجيه النبي ﷺ إلى ذلك .

يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

أقول لسيادة الوزير: هل تستطيع أن تضع هذه الآية كشعار لمؤتمر الحوار أو تكتبها خلفية توضع على المنصة خلف المتحاورين؟ إذا فعلت ذلك ووافقوا عليه فما فائدة الحوار إذن؟ إذا كانوا سيعبدون إلهاً واحداً ؟ إذن فقد أسلموا وأصبح الحوار عبثاً ولا قيمة أن يحاور المسلم المسلم .

ثم يقول السيد الوزير في ص ٦١: من الضروري في الحوار بين الأديان أن يتجه المتحاورون إلى البحث عن القواسم المشتركة بين الأديان بعيداً عن المسائل الشائكة في قضايا العقيدة ؛ لأن الحوار حولها في المراحل الأولي للحوار غير مجد على الإطلاق

أقول: سيادة الوزير : هل قرأت في السيرة أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال للنجاشي : دعنا من المسائل الشائكة في موضوع العقيدة حينما سألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا؟ ولكن أجمعوا على الصدق ، فلما دخلوا عليه قال له جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول(١) .

سيادة الوزير : إن المسلمين الذين قالوا ذلك للنجاشي كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة(٢) ، وإنك وزير للأوقاف الإسلامية في بلدٍ مسلم ، والمسلمون الآن يقتربون من المليار ونصف المليار مسنم يعني أنت مسئول

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٠٠ .

(٢) زاد المعاد ١/ ٢٤ .

ولست مستضعفاً كجعفر ومن معه، وأنت في منعة فأمتك مليار ونصف ومع ذلك تقول: «البعد عن المسائل الشائكة في العقيدة»؟ عقيدتهم الفاسدة بعد التحريف لم يقولوا ذلك وأنت صاحب العقيدة السليمة تقول ذلك؟

وأتساءل: سيادة الوزير: ما المسائل الشائكة في موضوع العقيدة؟ هل هي كما ذكر المستشار علي جريشة في الصفحات الماضية يتنازلون عن إله من عندهم فيؤمنوا بإلهين بدل ثلاثة ونحن نزيد واحداً (حاشا لله) فنؤمن بإلهين؟!

وماذا ينفع الحوار إذن حينما نبتعد عن مسائل الاعتقاد؟

ولا أعلم لماذا سماها الوزير شائكة.

الواقع: أن كل واحد من المتحاورين له عقيدته، ولا أحد يُكرهه على تركها، ولكن لماذا الإلزام أن نبني بيتاً مشتركاً على عقائد مختلفة؟

ثم يقول سيادة الوزير: لأن الحوار حولها في المراحل الأولى غير مجد.

أقول: لماذا لم يحدثنا السيد الوزير عن المراحل التالية فضلاً عن المرحلة الأولى، ما هي؟ وما حدودها؟

أقول: يا سيادة الوزير إن في قراراتهم ومعاهداتهم يقولون: المرحلة الأولى والثانية والثالثة حتى النهاية هي تنصير العالم كله، كما ذكرنا في الصفحات الماضية بعنوان (لعبة الحوار بين الأديان)، وإنهم يخططون لعدم وجودك على الإطلاق، واقرأ إن شئت أيضاً كتاب «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله»، وكلام رئيس أمريكا: إنها حرب صليبية.

وحتى لا ينخدع الناس في الشكليات التي تتم، فقد ذكر فضيلة الشيخ وكيل الأزهر في ص ٦٠: جاء الدكتور جورج كاري كبير أساقفة كانتربري ونائب رئيس الكنيسة الإنجليزية[١] إلى الأزهر الشريف أكثر من مرة يعلن الرجل بكل وضوح اعتذاره الجميل عما وقع من الحروب الصليبية، ويدعو إلى عصر جديد من السلام الإنساني الشامل، إنهم يخدعون المسلمين كالآتي:

---

(١) الملكة إليزابيث هي رئيسة الكنيسة.

١ ـ رئيس أمريكا [١] قال : ستكون حرب صليبية .

٢ ـ د. جورج كاري ، يعتذر عن الحروب الصليبية .

٣ ـ مؤتمر الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) من قراراته (اقتلاع الإسلام في عقد التسعينات ـ توصيل الإنجيل إلىٰ كافة البشر) .

أيهما نصدق : حرب صليبية .. لا للحرب الصليبية؟

ومع من يكون الحوار؟ الذي يريد الحرب، أم الذي يرفض؟

لا بد أن نستيقظ من هذه الغفلة ، ونترك هذه المخالفات فلن يرضىٰ عنك هؤلاء إلا إذا تركت دينك ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة: ١٢٠) .

ثالثاً: الصورة الصحيحة لهذه القضية:

اتضح الآن أن لعبة الحوار بين الأديان هي فقط للقضاء علىٰ الإسلام، ولكن إذا أراد العالم أن يسود الأمن والسلام علىٰ المجتمع الإنساني ، فلابد من تبني الإصلاح الحقيقي ، وإذا لم تُرد الأنظمة ذلك فنحن ماضون في تطبيقه ، وتطبيق الإسلام عملياً حتىٰ تنادي به الشعوب ذاتها ، وتُجبر الحكام علىٰ ذلك ، ومن هذا التصور :

١ ـ إعطاء الفرصة والحرية كاملة لعلماء المسلمين المخلصين أن يشرحوا الإسلام في كل مكان وأن يُكفلوا تماماً من الأمة الإسلامية في معيشتهم وحياتهم .

٢ ـ المُحاور الرئيسي يكون الإسلام ، ألم يقل النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حينما وجد في يده ورقة من التوراة فنحاها النبي جانباً وقال : لو كان عيسىٰ حياً ما وسعه إلا أن يتبعني أما الآن وقد طُمست هل نطرحها علىٰ الناس علىٰ أنها مساوية وموازية للإسلام[٢] .

---

(١) قالها بوش بعد أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١م، عند انهيار مركز التجارة العالمي .

(٢) يراجع في ذلك الباب الأول من الموسوعة .

٣ ـ يقولون: نحن في عصر العلم، ولكني أسميه (عصر الإيمان)، فإذا تركت القيادة لغير الإسلام هل تنتظر خيراً من ذلك؟ ويعرض على الناس في عصر الإيمان أن الآلهة ثلاثة؟

كيف يؤمن الناس بذلك والله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨)؟.

والدليل على ذلك هذه الجموع الكبيرة من العلماء التي تعتنق الإسلام كل يوم وذلك لقيام الإسلام على العلم من أول آية فيه ﴿اقْرَأْ﴾.

ولقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).

وأن الإسلام منهج حياة وليس نظاماً كهنوتياً معزولاً، ولذلك فالأذكياء يُلبون نداء الفطرة عندهم: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

رابعاً: الحكم في هذه القضية: الحيثيات:

١ ـ حيث إن هذه اللعبة القذرة سياسية.

٢ ـ وحيث إن الغرض منها أن تسود ديانات مُحرفة، ويُزال الإسلام تماماً وبالتدريج.

٣ ـ وحيث إنه لن تكون القيادة والسيادة للإسلام بل لغيره.

٤ ـ وحيث إن الله قال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

٥ ـ وحيث إن الله قال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩).

٦ ـ وحيث إن بعض أبناء الأمة سقطوا في هذا الكمين وانفجر فيهم اللغم وكان لابد من إرشادهم .

٧ ـ وحيث إن الشريعة الإسلامية هي الصالحة والخاتمة التي ارتضاها الله لسعادة البشرية .

٨ ـ ويقول د. يوسف القرضاوي[١]: وحيث إنه يجب الإيمان بوحدة الدين عند الله وأن دين الله في جميع الأماكن والأزمان واحد لا يتغير وإن تغيرت المناهج والشرائع باختلاف الأعصار .

قال تعالىٰ : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وقال تعالىٰ : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ (الشورىٰ: ١٣).

ويصور رسول الإسلام موقفه من الأنبياء مثله، وأنه ليس إلا اللبنة الأخيرة في هذا الصرح الكبير فيقول: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[٢].

لكل هذه الحيثيات أقول : إنه يحرم علىٰ المسلم أن ينادي بهذا الجُرم الشنيع في حق المجتمع الإنساني لخسارته المبادئ والقيم، بل يجب عليه أن يحارب ويتصدىٰ لأي دعوىٰ من شأنها تمييع الإسلام كهذه اللعبة الخطيرة، وعلىٰ من وقع في هذا الفخ أن يتوب: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة: ١٦٠)، وأن يُصلح، وأن يبين للناس الصواب.

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٦ .

(٢) رواه البخاري، مناقب ١٨، ومسلم، فضائل ٢٣ .

الواقع الذي تم يؤكد هذه الحيثيات :

ففي أثناء المراجعة النهائية للموسوعة حدث ما حذرنا منه :

١ ـ ففي مجلة الأزهر وتحت عنوان البابا بندكت السادس عشر والحوار[١] :

«من المُسَلَّم به أنه حدث فتور في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر، بابوية الفاتيكان أو بتعبير أكثر صراحة ووضوح حدثت انتكاسة للحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ توليته».

أقول: ومع ذلك المؤتمر منعقد، مع من؟ ولماذا ؟

. . . انتبهي أمتي ! !

ومن أسباب ذلك:

١ ـ اتباع البابا بندكت في سياسته منهجاً مضاداً لمنهج سياسة الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى بما فيها الإسلام والبوذية وغيرها عكس البابا يوحنا بولس الثاني.

٢ ـ أثار البابا بندكت السادس عشر أزمات عديدة مع الإسلام منذ توليه أشهرها محاضرته حول الإسلام والمسيحية والعقل والتي ألقاها في إحدى الجامعات الألمانية ونقل عن غيره : «ما هو الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد سوى كل ما هو سيء وغير إنساني وذلك مثل نشر الاعتقاد الذي كان يعلمه لخصمه باستخدام السيف». هذا الكلام نقله البابا عن البروفسور (تيودور خوري) ولم يعلق ولم يعقب عليه فكأنه راض عن هذا الكلام.

٢ ـ أول ثمار الذل والهوان في حوار الأديان :

صورة شيخ الأزهر (سيد طنطاوي) وهو يصافح شيمون بيريز (رئيس الكيان الصهيوني).

---

(١) مجلة الأزهر، عدد رجب ١٤٢٩ هـ ـ يولية ٢٠٠٨م، المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار بمكة المكرمة، ص ١١٠٥ .

يقول أ . **فهمي هويدي** تعليقاً على هذه الصورة : الواقعة وقعت في نيويورك وأثناء انعقاد مؤتمر حوار الأديان التي دعت إليه المملكة العربية السعودية وليس مفهوماً بالضبط من الذي ورطها في هذه الفكرة الخبيثة .

ولقد تورط شيخ الأزهر في خضور مؤتمر لا فتته أخفت حقيقته فقيل إنه للحوار الديني في حين أنه كان سياسياً من أوله إلى آخره .

ولقد وقع الإمام الأكبر في الفخ وسُجلت صورته وهو يصافح رئيس الكيان الصهيوني بكلتا يديه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامته الشهيرة ولا أعرف ما الذي فعله شيخ الأزهر بعد ذلك رغم علمي بأن اليد التي صافحها ملوثة بدماء الفلسطينيين وتفوح منها رائحة جثثهم وأشلائهم(١) .

أقــول :

١ ـ هذه الصورة لرمز إسلامي أصابت الألسنة الحرة بالخرس والأعين الأمينة على مصلحة الأمة بالعمى إنها صورة الذل والهوان .

٢ ـ إن شيخ الأزهر يجب أن يكون أعرف الناس بصفات اليهود (غدر ـ خيانة . . .) فرسالته للدكتوراه كانت عن اليهود .

٣ ـ إن شيمون بيريز يحاصر الآن ومنذ ما يقرب من عام قطاع غزة وهناك أكثر من مليون ونصف المليون مسلم فلا يسمح بدخول طعام ولا دواء ولا غاز لأهل غزة وتغرق غزة الآن في ظلام دامس ونجلس معهم لحوار الأديان ! ! أي دين يرضى بهذا؟ ! ! لا يرضى بهذا إلا الصهيونية التي تُصافح ! !

٤ ـ اليهودي يعرف أن المسلم لا يخون ، ولا يكون اليهودي يهودياً بدون الخيانة فهي تجري ي دمه والإسلام أكد لنا ذلك من خلال القرآن والسنة .

ولذلك اطمأن «بيريز» بالمصافحة يوم ١/ ١٢/ ٢٠٠٨م وأمطر غـزة بوابل

(١) جريدة الدستور المصرية ، العدد ٥٢٦ ، ٣ ذي الحجة ١٤٢٩ هـ ـ ١ ديسمبر ٢٠٠٨م .

من الرصاص والفسفور الأبيض والصواريخ يوم السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م، ولك أن تتأمل أنه يوم السبت المقدس عندهم خانوه أيضاً، إنهم لا يعرفون إلا حوار الرصاص..

ولله الحمد والمنة بدعاء الأمة انتصرت المقاومة في غزة.

٨ـ زواج المُسلم من الكتابية

أولاً : التعريف:

الكتابية: من لها دين سماوي، سواء من اليهود أو النصارىٰ .

نتحدث عن زواج الرجل المُسلم من الكتابية : ١ ـ عامة . ٢ ـ اليهود خاصة .

ثانياً: نبذة عن القضية :

يقول **د. يوسف القرضاوي** : أجاز القرآن الزواج من الكتابية باعتبارها أهل دين سماوي وإن حرفوا فيه وبدلوا فيه فكما أباح مؤاكلتهم أباح مصاهرتهم بزواج المسلم من نسائهم : ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (المائدة : ٥) .

وهذا لون من التسامح الإسلامي الذي قل أن يوجد له نظير في الأديان والملل الأخرىٰ فرغم رميه لأهل الكتاب بالكفر والضلال أباح للمسلم أن تكون الكتابية وهي علىٰ دينها زوجته .

وقد وضع د. يوسف القرضاوي قيود وتنبيهات لابد ان نراعيها ومنها[١] :

١ ـ إن الإسلام إنما أباح الزواج من الكتابية أي التي لها في الأصل دين وكتاب سماوي، فأما التي لا دين لها أصلاً كالشيوعية الملحدة، أو التي لها دين يرفضه الإسلام كالبهائية والدرزية والنصيرية ونحوها، فالزواج منها باطل بيقين، وإن حُسبت أو حُسب أهلها في عداد النصارىٰ أو اليهود .

٢ ـ إن الإسلام إنما أباح الزواج من الكتابية (المحصنة) أي الحرة العفيفة، أما التي

(١) الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٦٤ .

جسدها لكل رجل، فلا يباح الزواج منها.

٣ - إن المسلمة المتدينة الحريصة على دينها، أفضل للمسلم من مجرد مسلمة ورثت الإسلام عن أبويها، والرسول صلوات الله عليه يعلمنا ذلك فيقول: «**اظفر بذات الدين تربت يداك**»[1]، فإذا علمنا ذلك تبين لنا أن المسلمة أيا كانت - أفضل للمسلم من أي امرأة كتابية.

٤ - ثم إذا كان المسلم يخشى من مثل هذه الزوجة على عقيدة أولاده أو توجيههم، فالواجب أن يستبرئ لدينه ويجتنب هذا الخطر وخصوصاً إذا كان يعيش في بيئة الزوجة ومجتمعها.

٥ - وإذا كان عدد المسلمين قليلاً في بلد - كجالية من الجاليات مثلاً - فالراجح هنا أن يحرم على رجالهم زواجهم بغير المسلمات؛ لأن زواجهم بغيرهن في هذا الحال مع حرمة زواج المسلمات من الآخرين، قضاء على بنات المسلمين أو على فئة غير قليلة منهن بالكساد والبوار وفي هذا ضرر محقق على المجتمع المسلم، وهو ضرر يمكن أن يُزال بتقييد هذا المباح وتعليقه إلى حين.

٢ - زواج المسلم من اليهودية خاصة (الصهيونيات):

انتشر في هذه الأيام بأرقام مخيفة إقبال الشباب المسلم على الزواج من اليهوديات المحتلات أرض فلسطين، ولذا أسباب كثيرة نذكر منها:

أ - الإغراءات المالية التي تقدم للشباب المسلم من جانب اليهوديات فلا يدفع شيئاً بل يجد فرصة عمل وقد يأخذ أموال أيضاً.

ب - ارتفاع تكاليف الزواج[2]، وضيق ذات اليد للشباب المسلم.

جـ - عدم وجود الوازع الديني لدى هؤلاء الشباب الذي يمنعهم من ذلك وبالتالي عدم معرفتهم الحكم الشرعي في هذا الزواج.

---

(١) رواه البخاري، نكاح ١٥، ومسلم، رضاع ٤، ٦، ٨، ٥٣، ٥٤، فتن ٨٦.

(٢) نداء ورجاء إلى أولياء أمور الفتيات أن ييسروا الزواج للشباب.

ثالثاً: الحيثيات:

أ ـ حيث إن عدد الفتيات المسلمات في سن الزواج وبعد سن الزواج يربو على الملايين، وأصبحت مشكلة العنوسة شبحاً مخيفاً لفتيات الأمة.

ب ـ وحيث إن تربية الأولاد يقع معظمها بل كلها على الأم، فكيف يقوم على تربية أبناء المسلمين يهودية تقتل المسلمين؟ ومن سيكون جداً للأولاد، وجدة لأمهم، وأخوال الأولاد؟ هل سيقدمون هدايا للأولاد نسخة من المصحف أم نسخة من برتوكولات حكماء صهيون؟!

جـ ـ وحيث إن القرآن قص علينا نموذجين لأبناء أنبياء ابن سيدنا نوح وابن سيدنا إبراهيم هذا نبي من أولى العزم، وهذا نبي أيضاً من أولى العزم:

فبالنسبة لسيدنا نوح ـ عليه السلام ـ قال: ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)** ﴾ (هود).

وبالنسبة لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات: ١٠٢).

السبب في ذلك أن ابن سيدنا نوح قامت على تربيته أم كافرة، أما ابن سيدنا إبراهيم قامت على تربية أم مسلمة[١].

الحكم في القضية:

من هذه الحيثيات أرى أن زواج المسلم من اليهودية مجموعة من الجرائم وليست جريمة واحدة.. وهن:

---

(١) راجع موضوع الولدان من الموسوعة.

- جريمة في حق الأولاد.

- جريمة في حق الفتيات المسلمات؛ لأن ذلك يدفعهن إلى طريق العزلة أو الخطيئـة.

- جريمة في حق الأمة فتضعف لبناتها ، فالأسرة اللبنة الأولى للأمة.

- وأكبر جريمة أنها جريمة في حق المسجد الأقصى.

يقول د. القرضاوي : إن الكتابية التي يعادي قومها الإسلام والمسلمين لا يجوز الزواج منها؛ لأن الزواج ارتباط بأهلها ومودة لهم، فلا يجوز كما أنها بحكم ولائها لدينها وقوميتها - لا يؤمن أن تكون عيناً أو عوناً لهم على المسلمين، وعلى هذا لا يجوز زواج المسلم من إسرائيلية.

٩ - الموسيقي والغناء

أولاً: التعريفات :

الموسيقى: لفظ يُطلق على فنون العزف على آلات الطرب.

وعلم الموسيقى: علم يُبحث فيه عن أصول النغم من حيث تأتلف أو تتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بينهما ليعرف كيف يؤلف اللحن[١].

في هذه القضية أذكر الآراء كلها حول موضوع الموسيقى والغناء؛ لأنها أصبحت قضية. الشطط فيها يؤرق والتساهل فيها يُحدث خللاً.

ثانياً: نبذة عن القضية :

إن موضوع الموسيقى والغناء كثر الحديث فيه والخلاف في حكمه، وكما يقول البدر بن جماعة تباينت الطرق في هذه المسألة تبايناً لا يوجد في غيرها وصنف فيها العلماء تصانيف، ولم يتركوا لقائل مقالاً، وملخص القول فيها: أن الناس أربعة أقسام: فرقة استحسنت، وفرقة أباحت، وفرقة كرهت، وفرقة حرمت.

وكل من هذه الفرق على قسمين: منهم من أطلق القول، ومنهم من قيده بشرط. أ. هـ.

يقول د. يوسف القرضاوي: «ولا ريب أن هناك أنواعاً من الغناء اتفقوا على تحريمها، وأخرى اتفقوا على إباحتها، وثالثة هي موضع الاجتهاد والنظر.

فأما ما اتفقوا على تحريمه فهو ما اشتمل على معصية أودعا إليها، وأما المباح باتفاق فهو الغناء الفطري الذي يترنم به الإنسان لنفسه، أو المرأة لزوجها، أو الجارية لسيدها، ومنه حداء الإبل، ومثله غناء النساء المعتاد في الأعراس في مجتمعهن الخاص ونحو ذلك، وما عدا ذلك فهو مما تختلف فيه الأنظار»[٢].

---

(١) المعجم الوجيز، ص ٥٩٤، الموسيقي، معجم اللغة العربية، طبعة التربية والتعليم.

(٢) الحلال والحرام، ص ٢٦١، للدكتور يوسف القرضاوي.

فتوى دار الإفتاء المصرية في ١٢ من أغسطس عام ١٩٨٠م[١] :

حيث لخص المفتي[٢] الحكم في هاتين الفقرتين :

أ - الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق في أمور معينة .

ب - سماع الموسيقىٰ وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ما لم تكن محركة للغرائز باعثة علىٰ الهوىٰ والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفسق والفجور أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت في المنكرات أو ألهت عن الواجبات .

ثم شرح ذلك بما موجزه:

نقل ابن القيسراني في كتابه (السماع)[٣] **قول الإمام الشافعي**: الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد فيه فهو سنة ، والإجماع أكبر من خبر المنفرد ، والحديث علىٰ ظاهره ، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب .

وفي هذا الكتاب أيضاً[٤] : وأما القول في استماع القضيب والأوتار ويقال له : التغيير ، ويقال له : الطقطقة أيضاً ، فلا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم نجد في إباحته وتحريمه أثراً لا صحيحاً ولا سقيماً ، وإنما استباح المتقدمون استماعه ؛ لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه فكان أصله الإباحة ، وأما الأوتار فالقول فيها كالقول في القضيب ، لم يرد الشرع بتحريمها ولا بتحليلها ، وكل ما أورده في التحريم فغير ثابت عن رسول الله ﷺ وقد صار هذا مذهباً لأهل المدينة لا خلاف بينهم في إباحة استماعه ، وكذلك أهل الظاهر بنوا الأمر فيه علىٰ مسألة الحظر والإباحة .

وأما القول في المزامير والملاهي[٥] فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز

---

(١) الفتاوىٰ الإسلامية ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ، المجلد العاشر ، ص ٣٤٥٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

استماعها كما يدل على الإباحة قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة : ١١) .

وبيان هذا من الأثر ما أخرجه مسلم في باب الجمعة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ **«كان يخطب قائماً ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن نبأك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة»** .

وعن جابر بن عبد الله أنه كان يخطب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت عير من الشام فانتقل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، فأنزلت هذه الآية .

وأخرج الطبري هذا الحديث عن جابر وفيه : أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب لهم الجواري بالمزامير فيشتد الناس إليهم ويدعون رسول الله ﷺ قائماً ، فهذا عتاب الله عز وجل بهذه الآية .

ثم قال ابن القيسراني: والله عز وجل عطف اللهو على التجارة ، وحكم المعطوف حكم المعطوف عليه وبالإجماع تحليل التجارة فثبت أن هذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية ؛ لأنه غير محتمل أن يكون النبي ﷺ حرمه ، ثم يمر به على باب المسجد يوم الجمعة ، ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسول الله ﷺ قائماً وخرج ينظر إليه ويستمع ولم ينزل في تحريمه آية ، ولا سن رسول الله ﷺ فيه سنة ، فعلمنا بذلك بقاءه على حاله .

ويزيد ذلك بيانا ووضوحاً ما رُوي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها زفت امرأة من الأنصار إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ : **«أما كان معكن من لهو، فإن الأنصار يعجبهن اللهو»**[١] .

وقال ابن عباس : زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : **«أهديتم الفتاة؟»** ، يعني : أرسلتموها إلى زوجها؟ ، قالوا : نعم، قال : **«أرسلتم معها من يغني؟»** ، قالت : لا ، فقال رسول الله ﷺ : **«إن الأنصار قوم**

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب النكاح ٦٣ .

فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم فحيانا وحياكم»(١).

وعن عائشة أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى في عيد الأضحى ـ تغنيان وتضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ وجهه وقال: **«دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»**(٢).

يقول د. يوسف القرضاوي : فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام، وفيها دلالة على انواع من الرخص:

الأول : اللعب، ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

والثاني : فعل ذلك في المسجد.

والثالث : قوله ﷺ: **«دونكم يا بني أرفدة»**(٣)، وهذا أمر باللعب والتماس له، فكيف يقدر كونه حراماً؟

والرابع : منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتعليل والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد ـ أي هو وقت سرور ـ وهذا من أسباب السرور.

والخامس : وقوفه طويلاً في مشاهدته ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها، وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع عنه.

والسادس : قوله ﷺ لعائشة ابتداء: **«أتشتهين أن تنظري؟»**(٤).

والسابع : الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين.. إلى آخر ما قاله الغزالي في كتاب السماع.

---

(١) رواه ابن ماجة نكاح ٢١، وفي الزوائد إسناده مختلف فيه من أجل الأجلح يقولون أنه لم يسمع من بن عباس، وأثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس ووثقه ابن معين، وبقية رجال الإسناد رجال الصحيح، ورواه أحمد في المسند ٤/ ٧٨.

(٢) البخاري، عيدين ٢٥، مناقب ١٥، ومسلم، عيدين ١٧.

(٣) السماع من ربع العادات.

(٤) رواه البخاري، عيدين ٢، ومسلم، عيدين ١٩.

والغزالي في الإحياء خصص كتاباً للسماع ، جاء فيه: إن الآلة إذا كانت من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

ونقل القرطبي قول القشيري (١): ضرب بين يدي النبي ﷺ يوم دخل المدينة فهمَّ أبو بكر بالزجر ، فقال رسول الله ﷺ: **«دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح»**(٢)، فكن يضربن ويقلن :

نحن بنات النجار حبذا محمد من جار

ثم قال القرطبي: وقد قيل إن الطبل في النكاح كالدف وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفث .

ونقل الشوكاني في نيل الأوطار(٣) أقوال المحرمين والمبيحين وأشار إلى أدلة كل من الفريقين ثم عقب على حديث : **«كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة: ملاعبة الرجل أهله، وتأديبه فرسه، ورميه عن قوسه»**(٤).

يقول الغزالي: قلنا قوله ﷺ فهو باطل لا يدل على التحريم ، بل يدل على عدم الفائدة ، ثم قال الشوكاني : وهو جواب صحيح ؛ لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح وساق أدلة أخرى في هذا الصدد من بينها حديث : **«من نذرت أن تضرب بالدف بين يدي رسول الله ﷺ إن رده الله سالما من إحدى الغزوات»**(٥)، وقد أذن لها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، جـ١٤ ، ص ٥٤ .

(٢) رواه ابن ماجة، نكاح ٢١ ، باب الغناء والدف، حديث رقم ١٨٩٩ ، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ٨، ص ١٠٤، ١٠٥ .

(٤) رواه أبو داود جهاد ٢٣ ، والترمذي، فضائل الجهاد ١١ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، ورواه باقي أصحاب السنن .

(٥) رواه الترمذي، مناقب ١٨ ، حديث رقم ٣٦٩٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من حديث بُريدة، أحمد ٥/ ٣٥٣، وابن حبان، والبيهقي، راجع: نيل الأوطار، حديث رقم ٣٥٦٦، جـ٨ .

بالوفاء بالنذر والضرب بالدف، فالإذن منه يدل على أن ما فعلته ليس بمعصية في مثل هذا الموطن.

وأشار الشوكاني إلى رسالة له عنوانها: «إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع». وفي المحلى لابن حزم(١) أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**»(٢).

فمن نوى استماع الغناء عوناً على معصية الله تعالى فهو فاسق، كذلك كل شيء غير الغناء ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وقعوده على باب داره متفرجاً.

وعقد البخاري في صحيحه باباً بعنوان: «كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله». وعقب في إرشاد الساري على هذا العنوان بقوله: «ولو كان مأذوناً فيه، كمن اشتغل بصلاة نافلة أو تلاوة أو ذكر أو تفكر في معاني القرآن حتى خرج وقت المفروضة عمداً».

ثم ذكر المفتي أقوال الفقهاء وفتوى **الشيخ محمود شلتوت**(٣) في تعليم الموسيقى وسماعها، مشيراً إلى أن الغرائز تميل إلى المستلذات والشرائع لم تقض عليها، بل نظمتها لتقف عند حد الوسط بما لا ضرر فيه ولا شر، وإلى ما قاله **الشيخ عبد الغني النابلسي** في رسالته: إيضاح الدلالات في سماع الآلات ـ من أن الأحاديث التي أسند إليها القائلون بالتحريم، على فرض صحتها مقيدة بذكر الملاهي وبذكر الخمر والقينات والفسوق والفجور، ولا يكاد حديث يخلو من ذلك وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات المطربة: أنه إذا اقترن بشيء من المحرمات أو اتخذ وسيلة للمحرمات أو أوقع في المحرمات كان حراماً، فإذا سلم من كل ذلك كان مباحاً في حضوره وسماعه وتعلمه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ٩، ص ٦٠

(٢) رواه البخاري ومسلم، وهو الحديث الأول من الأربعين النووية.

(٣) الفتاوى، ص ٣٧٥، ٣٨٥.

ثم يقول المفتي: «ونخلص من هذا القول إلى أن الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق في الحداء، وفي تحريض الجند على القتال، وفي العرس، وفي العيد، وقدوم الغائب، وللتنشيط على الأعمال الهامة».

وقال : «إن اختلاف الفقهاء في حل أو عدم حل الموسيقى سماعاً وحضورا وتعلما، إذا صاحبها محرم كشرب الخمر أو غناء ماجن أو غزل أو كانت الموسيقى مما يحرك الغرائز ويبعث على الهوى والفسوق، كتلك التي تستثير في سماعها الرقص والخلاعة، وتلك التي تستعمل في المنكرات المحرمات، كالزار وأمثاله، أو فوتت واجباً».

وانتهى إلى أن القضية واجهها الفقه وتصدى لتحقيق نصوصها محمد بن طاهر بن علي بن أحمد بن أبي الحسن الشيباني أبو الفضل المقدسي المعروف بابن القيسراني من رجال الحديث، وتصدى لها النابلسي، وجعلها ابن حزم مرتبطة بالنية، والغزالي والشوكاني قالا : «إن اللهو لا يدل على التحريم».

وعليه فالقول بالتحريم على وجه الإطلاق خال من السند الصحيح، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾ (النحل: ١١٦).

وكذلك القول بأن التحريم من باب سد الذرائع، أو من باب أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ليس مقبولاً، فالموسيقى ليس الشأن فيها دائماً أن يصحبها الخمر وغيره من المنكرات، فمثلها كمثل الجلوس على الطريق يجوز عند الخلو من المنكرات، قال النبي ﷺ: «**إياكم والجلوس بالطرقات**»، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها، فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[1]، ومن هذا نأخذ أن من المباحات ما يحرم إذا اقترن به محرم، وعندئذ تكون الحرمة طارئة بمعنى أنها ليست حكما أصلياً.

---

(١) البخاري ومسلم، وسبق تخريجه.

ووقوفاً عند الوسط من الأقوال نميل إلى أن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ما لم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون، مقترنة بالخمر والرقص والفسوق والفجور، أو اتخذت وسيلة للمحرمات، أو أوقعت في المنكرات، أو ألهت عن الواجبات، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٣٢).

هذا والغزالي عقد فصلاً للرد على حجج المحرمين للسماع على الإطلاق، نذكر موجزاً له فيما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (لقمان: ٦)، ولهو الحديث هو الغناء.

والجواب: شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل عن سبيل الله حرام مذموم وليس النزاع فيه، وليس كل غناء بدلاً عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله، فلو قرأ القرآن ليضل عن سبيل الله به لكان حراماً، كما روى أن عمر هم بقتل منافق كان يؤم الناس في الصلاة ويحرص على قراءة سورة (عبس) لما فيها من عتاب الرسول ﷺ.

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى حرم القينة وثمنها وتعليمها**»، قال العراقي: حديث ضعيف ليس بمحفوظ.

والجواب: أن القينة هي الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب، وغناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام، أما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة، بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها.

٣ ـ حديث: «**كان إبليس أول من ناح، وأول من تغنى**» فقد جمع بين النياحة والغناء، قال العراقي: لم أجد له أصلا عن جابر.

والجواب: ليست كل نياحة محرمة، ومن المباحة نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم، ومن الغناء المباح ما يحرك السرور والشوق إلى الحلال، فقد سمعه النبي ﷺ في يوم العيد وعند قدومه إلى المدينة.

٤ ـ حديث: **«ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك»**، قال العراقي: حديث ضعيف.

والجواب: أن ذلك في بعض الغناء لا في جميعه.

٥ ـ قول ابن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»، رفعه بعضهم إلى النبي ﷺ وهو غير صحيح.

٦ ـ كان ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ولم ينزعهما حتى بعد عن الطريق وقال: «هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع»، قال العراقي: حديث منكر.

والجواب: أن امتناع ابن عمر عن السماع لا يدل على حرمته، بل يدل على أن الأولى تركه، والمباحات إذا أثرت في القلب كان الأولى تركها، كما خلع الرسول ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه، فهل يدل على حرمة الأعلام على الثوب؟

هذا بعض ما رد به الغزالي شبه المحرمين للهو، وذكر أن اللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال، فينبغي أن يكون مباحاً ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه، كما لا يستكثر من الدواء.

ثم قال: «ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوب التلطف بها لسياقتها إلى علم الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه»[1].

ثالثاً: ضوابط وأحكام في القضية:

يقول د. يوسف القرضاوي: هناك قيود لابد أن نراعيها في أمر الغناء[2]:

---

(١) الفتاوى الإسلامية، المجلد العاشر.

(٢) الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٦٤.

١ ـ فلا بد أن يكون موضوع الغناء مما لا يخالف أدب الإسلام وتعاليمه فإذا كانت هناك أغنية تمجد الخمر أو تدعو إلى شربها مثلاً فإن أداءها حرام، والاستماع إليها حرام وهكذا ما شابه ذلك.

٢ ـ وربما كان الموضوع غير مناف لتوجيه الإسلام، ولكن طريقة أداء المغنى له تنقله من دائرة الحل إلى دائرة الحرمة، وذلك بالتكسر والتميع وتعمد الإثارة للغرائز والإغراء بالفتن والشهوات.

٣ ـ كما أن الدين يحارب الغلو والإسراف في كل شيء حتى في العبادة فما بالك في الإسراف في اللهو، وشغل الوقت به، والوقت هو الحياة؟ لا شك أن الإسراف في المباحات يأكل وقت الواجبات، وقد قيل بحق: «ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مضيع».

٤ ـ تبقى هناك أشياء يكون كل مستمع فيها مفتي نفسه فإذا كان الغناء أو لون خاص منه يستثير غريزته ويغريه بالفتنة، ويطغى فيه الجانب الحيواني على الجانب الروحاني، فعليه أن يتجنبه حينئذ، ويسد الباب الذي تهب منه رياح الفتنة على قلبه وخلقه فيستريح ويريح.

٥ ـ ومن المتفق عليه أن الغناء يحرم إذا اقترن بمحرمات أخرى كأن يكون في مجلس شرب أو تخالطه خلاعة أو فجور، فهذا هو الذي أنذر رسول الله ﷺ أهله وسامعيه بالعذاب الشديد حين قال: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**»(١).

وليس بلازم أن يكون مسخ هؤلاء مسخاً للشكل والصورة، وإنما هو مسخ النفس والروح، فيحملون في إهاب الإنسان نفس القرد، وروح الخنزير.

وهناك بعض التساؤلات التي تُثار بين الحين والحين، وقد يحتاج الإنسان إليها في مناسبات، ومنها:

---

(١) رواه ابن ماجة، فتن ٢٢، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٢.

١ ـ بعض الأناشيد تناسب كل المناسبات وبنفس القيود والشروط التي ذكرت.

٢ ـ كذلك في العمل والإنتاج كما كان يفعل النبي ﷺ في حفر الخندق:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

٣ ـ ماذا أصنع في الأماكن العامة وحين ركوب المواصلات، حيث يُذاع فيها أغاني خليعة وهابطة؟!!

الجواب:

أ ـ أنت في الأماكن العامة وغير العامة مُطالب بغض البصر إذا وجدت ما يغضب الله تعالىٰ؛ لأنك تستطيع أن تغض بصرك، لذلك تُحاسب إذا كررت ورفعت النظر إلى الحرام.

ب ـ أنت لن تحاسب علىٰ كل ما يصل إلىٰ أذنك في الأماكن العامة أو غيرها؛ لأنك لا تستطيع أن تصم أذنيك.

وفي هذا يقول **الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ** كلاماً طيباً يؤكد هذا الحكم، فيقول: هناك فرق بين أن تسمع الغناء وبين أن تَتَسَمَّع إلىٰ الغناء، فأنت لست محاسب علىٰ سماعك للغناء؛ لأنه خارجٍ عن إرادتك، أما أن تتسمع للغناء فهنا مجال العقاب والجزاء، فإذا تسمعت إلىٰ غناء مباح كان لك الأجر، وإن تَسَمَّعْتَ إلىٰ غناء حرام كان عليك الوزر.

٤ ـ العبرة في موضوع الغناء هي تحريك الغريزة[1]، فإذا حرك الغناء الغريزة أو دعا إلىٰ رذيلة أو حث علىٰ باطل كان حراماً أما غير ذلك فهو المباح.

٥ ـ الإسلام والشهوة والنظرة: خلق الله الإنسان وركب فيه شهوات كثيرة ولم يضع الحق سبحانه وتعالىٰ تشريعاً يصادم شهوة من هذه الشهوات، ولكن وضع تشريعاً ينظم هذه الشهوات، فإذا وجدت تشريعاً يصادم شهوة من هذه الشهوات، فاعلم أنك أسأت فهم التشريع أو أسات تصريف الشهوة.

---

(١) راجع ما ذكرناه للفرق الإسلامية، الباب الثاني من هذه الموسوعة.

- **شهوة السماع والغناء :** تكون بالكلام والمباح بالضوابط التي ذُكرت .

- **شهوة المال :** أن تكسب من حلال وتُنفق في الحلال، ولا تأكل مال يتيم وتمتع بعد ذلك بكل شيء في حدود عدم الإسراف : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٢).

- **شهوة الفرج:** تكون بالزواج الصحيح بعيداً عن الزنا والشذوذ والانحلال الجنسي والخلقي .

- **شهوة الطعام والشراب:** يقول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف : ٣١).

. . . وهكذا جميع الشهوات صرفها الإسلام تصريفاً حكيماً .

١٠ ـ الفِرَق والجماعات

التعريفات:

الفرقة : الطائفة من الناس ، يُقال فرقة التمثيل ـ فرقة الألعاب ـ فرقة المطافي وفي المدرسة : الصف في درجة واحدة في التعليم .

افترق القوم : فارق بعضهم بعضاً ـ وفارقة : قطع الأمر بينه وبينه .

فرق القاضي بين الزوجين: حكم بالفُرقة بينهما[١] .

الجماعة: العدد الكثير من الناس ـ والشجر ـ والنبات .

والجماعة: الطائفة من الناس يجمعها غرض واحد[٢] .

أولاً: الشريعة الإسلامية تؤكد على وجوب الوحدة :

إن اختلاف الآراء والمذاهب هو من طبيعة الوجود الإنساني ، وظاهرة من ظواهر الاجتماع البشري ضرورة اعتداد كل فرد بعقله ، واعتزازه برأيه ، وأنفته أن يخضع لغيره بأي نوع من أنواع الخضوع حتىٰ في مجرد المتابعة الفكرية .

ولو كان بعيداً عن مجال التطبيق ، ولئن حدث شيء من هذه المتابعة فإنه يراه مضطراً إليه نتيجة لعيشه وسط أسرة يوجهها ، أو وسط مجتمع كبير تفرض عليه قوانينه ليعيش متماسكاً ، وإذا كان المجتمع الإسلامي الخاص ـ في ضمن المجتمع البشري العام ـ تكثر فيه الآراء والمذاهب علىٰ نحو ما قال الرسول ﷺ فيما رواه عنه معاوية بن أبي سفيان : «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنان وسبعون منها في النار وواحدة في الجنة**»[٣] .

---

(١) المعجم الوسيط ، فرج ، جـ٢ ، ص ٧١١ .

(٢) المعجم الوسيط ، جمع ، ص ١٤٠ جـ١ .

(٣) رواه أبو داود ، سنة ١ ، وابن ماجة فتن ١٧ ، والترمذي إيمان ١٨ وقال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .

فإن هذه **الفرقة الناجية** تتنازعها وتدعيها كل الفرق، بل تحاول بوسيلة أو بأخرىٰ أن تفرض رأيها علىٰ غيرها(١)، وذلك كله علىٰ الرغم من أن نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية وآثار السلف الصالح تدعو إلىٰ اتباع الطريق المستقيم، ونبذ الطريق الملتوية كما في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (النساء: ١١٥).

وقوله تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء: ٥٩).

وقول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

وقول النبي ﷺ أيضاً: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

---

(١) بيان للناس، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر، ص ٥ .
(٢) رواه البخاري، اعتصام ٣٠، بيوع ٦٠، صلح ٥ ، ومسلم، أقضية ١٧ ، ١٨ .
(٣) رواه مسلم، جمعة ٤٣ ، وأبو داود، سنة ٥ .

ثانياً: أسباب الاختلاف بين عموم الناس:

هذه الأسباب كثيرة لا يمكن إحصاؤها وذلك؛ لأن أعداد الناس هائلة والطباع كلها مختلفة ولكن نذكر منها:

١ ـ اختلاف الرغبات والشهوات والأمزجة يقول: «اسبينوزا»: إن الرغبة هي التي تُرينا الأشياء مليحة لا بصيرتنا[١].

٢ ـ اختلاف الاتجاه، فقياسات الأطباء لا تشبه قياسات الفقهاء، لا تشبه قياسات النحويين.

٣ ـ تقليد السابقين، فإنه ينشأ عنه التعصب.

٤ ـ اختلاف المدارك وطبائع العقول.

٥ ـ حب الرياسة والسلطان.

٦ ـ غموض الموضوع في ذاته.

فالموضوعات الغامضة طرق فهمها مختلفة فكل يرىٰ ما يقع عليه نظره ويدرك ما تهدية إليه بصيرته وفكرته، ولعل الصواب يكون في مجموعها، وليس في آحادها، ولقد قال أفلاطون:

« إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا أخطئوه في كل وجوهه، بل أصاب كل إنسان جهة، ومثال ذلك عميان انطلقوا إلىٰ فيل وأخذ كل منهم جارحة منه فجسَّها بيده، ومثلها في نفسه، فأخبر الذي مس الرِّجل أن خلقة الفيل طويلة مستديرة شبيهة بأصل الشجرة، وأخبر الذي مسَّ الظَّهر أن خِلقته تشبه الهضبة العالية والرابية المرتفعة، وأخبر الذي مس أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره . . . فكل واحد منهم قد أدىٰ بعض ما أدرك، وكلٌ يُكَذِّب صاحبه ويدعي عليه الخطأ والجهل فيما يصفه من خلق الفيل، فانظر إلىٰ الصدق كيف جمعهم، وانظر إلىٰ الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتىٰ فرقهم.

---

(١) المذاهب الإسلامية، أبو زهرة، ص ٨ .

وكثيراً ما يكون الاختلاف لا لغموض الموضوع في ذاته بل يكون؛ لأن كلا المختلفين لم يعرف وجهة نظر الآخر واختلف نظرهما في الموضوع الواحد، ولذلك كان (سقراط) يقول: إذا عُرِف موضوع النزاع بطل كل نزاع»[١].

من هذا المعنىٰ تتضح بعض الدروس التي أرىٰ ذكرها لارتباطها بالمعنىٰ، فالفائدة تكون في ذكرها هنا من باب الطرق علىٰ الحديد وهو ساخن، ومن هذه الدروس والواجبات والتوجيهات:

١ ـ حيث إن العمل للإسلام واجب[٢] وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالعمل الجماعي للإسلام واجب.

٢ ـ الكل صادق في تنفيذه لتعاليم الإسلام حتىٰ وإن التزم حُكما فقهياً غير الآخر، فالعُميان عند الفيل جمعهم الصدق والكذب، والخطأ فرق بينهم.

٣ ـ لا ننظر إلىٰ الإسلام ونحن عُميان فلا توجد طاعة عمياء، ولكن الطاعة الصحيحة مُبصرة، فننطلق من شمول الإسلام ومن كلياته لا من جزئياته؛ لأنه من الذي عرف أنه فيل؟ فقط الذي نظر إليه كله.

٤ ـ ويأتي السؤال: هل لي أن أعرف أي فهم للإسلام يقترب من الصواب؟ أقول لك أن الذي نظر إلىٰ الفيل كاملاً هو الأحق بالمؤازرة والمناصرة، إنه فهم الإسلام بشموله؛ لأنه دين الإصلاح الشامل فهو دين ودنيا، أو دين ودولة، أو عبادة وقيادة (يعني مصحف وسيف) هو الأولىٰ بالدفاع عنه ونشر قيمه وأخلاقه التي هي قيم وأخلاق ومبادئ الإسلام، واحذر حينما تفهم هذا الفهم أن تتعالىٰ علىٰ غيرك أو تنتقص من قدره أو حتىٰ مجرد الغمز عليه[٣].

---

(١) المذاهب الإسلامية، أبو زهرة، ص ٩ .

(٢) وجوب العمل للإسلام مبدأ وجوبه حكماً وجوبه ضرورة وجوبه فردياً وجماعية، من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، راجع للتفصيل: ماذا يعني انتمائي للإسلام، د. فتحي يكن، ص ٨٣ وما بعدها، طبعة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون، عام ٢٠٠٤م.

(٣) راجع في ذلك ما ذكرناه عن الخلاف والاختلاف في الباب الثاني.

ثالثاً: الأمة بين الاختلاف [١] والافتراق :

اختلف المسلمون إلىٰ مذاهب في الاعتقاد والسياسة والفقه، فأين وقع الاختلاف؟ وهل هو شر كُله؟

يقول الإمام محمد ابو زهرة ـ رحمه الله ـ : إن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالىٰ وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ولا في أن القرآن نزل من عند الله العلي القدير، وأنه معجزة النبي الكبرىٰ ولا في أنه يروىٰ بطريق متواتر نقلته الأجيال الإسلامية كلها جيلاً بعد جيل ولا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس والزكاة والحج والصوم ولا في طريق أداء هذه التكليفات، وبعبارة عامة لم يكن الخلاف في ركن من أركان الإسلام، ولا في أمر عُلم من الدين بالضرورة كتحريم الخمر والخنزير وأكل الميتة والقواعد العامة للميراث، وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة.

إن هذا الاختلاف بلا ريب شر بالنسبة للاختلاف حول بعض العقائد وحول السياسة، ولذلك روىٰ البخاري عن زينب بنت جحش أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ محمراً وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب**»، ويشير النبي ﷺ إلىٰ ما يجرىٰ بين المسلمين من خلاف من بعده.

ويروىٰ أن النبي ﷺ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة...**»[٢].

وقد تكلم علماء السنة في صحة هذا الحديث الذي روي بعده روايات مختلفة، ولقد قال المقبلي في كتابه (العلم الشامخ):

وحديث افتراق الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة، يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقىٰ ريبة في حاصل معناه!!.

---

(١) يرىٰ العلماء أن الاختلاف أمر محمود؛ لأنه عن دليل وبينه أما الخلاف فمذموم؛ لأن القصد منه مجرد المنازعة.

(٢) سبق تخريجه .

وإذا كان الافتراق حول العقائد في جملته شراً فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة لم يكن شراً بل كان دراسة عميقة لمعاني الكتاب والسنة وما يستنبط منهما من أقيسة، ولم يكن افتراقاً بل كان خلافاً في النظر، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر ويوافقه أو يخالفه!!

وكان **عمر بن عبد العزيز** يسره اختلاف الصحابة في الفروع ويقول: «ماأحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون؛ لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وأنهم أئمة يقتدىٰ بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة»(١).

وهنا يسأل سائل: لماذا اختلف المسلمون بعد النبي ﷺ وقد تركهم على المحجة الواضحة ليلها كنهارها؟ وترك فيهم ما إن أخذوا به لن يضلوا أبداً فقد ترك فيهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

والجواب: أن أسباب الاختلاف كانت كثيرة، والاختلاف قسمان: اختلاف لم يفرق الأمة ولم يجعل بأسها بينها شديداً، واختلاف قد فرَّق الأمة وأذهب وحدتها وهو الخلاف في السياسة وشئون الحكم:

١ - إذا خرج الخلاف عن الضوابط والأسس واتسعت دائرته فرق الأمة وأذهب وحدتها.

٢ - في التطبيق العملي أساء بعض المسلمين الاختلاف فجعلوه يصل إلىٰ درجة الافتراق وأشد (حتىٰ أصبح خلافاً مذموماً):

- فما الذي بين من أطلق لحيته ومن حلق لحيته إنه اختلاف، ولكن تم تصعيد هذا الاختلاف حتىٰ أصبح افتراق.
- وما الذي بين من يجهر بالبسملة ومن يُسر بها إنه اختلاف.
- وما الذي بين من قصر ثوبه ومن ترخىٰ ثوبه في غير خيلاء إنه اختلاف.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١١.

ـ وما الذي بين صاحبة الخمار وصاحبة النقاب إنه اختلاف، هل هذا الأختلاف يتم تصعيده إلىٰ أن يصل إلىٰ الافتراق؟

ـ وأقول إن الذي يُوسع دائرة الخلاف إنما يفتح باب الفتنة علىٰ مصراعيه لتسقط الأمة في دائرة الافتراق ويقع عليه الإثم؛ لأنه فعل جريمة مركبة؛ لأنه جعل الآراء الفقهية علىٰ ثرائها والتي يجب أن تكون عاملاً من عوامل تجميع الأمة جعلها طريقاً للفرقة.

رابعاً: من أسباب اختلاف المسلمين:

بالرغم من تأكيد الشريعة الإسلامية علىٰ وجوب الوحدة فقد حدث الخلاف بين المسلمين وذلك لأسباب منها:

١ ـ العصبية العربية برغم محاربة الإسلام لها في قوله تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقول النبي ﷺ: «**ليس منا من دعا إلى عصبية**»[١]، وقوله: «**كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[٢].

٢ ـ التنازع علىٰ الخلافة.

٣ ـ مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الإسلام.

٤ ـ شيوع التفكير الفلسفي بين علماء المسلمين جرهم إلىٰ دراسة مسائل ليست في استطاعة العقل البشري أن يصل إلىٰ نتائج مقررة فيها ثابتة كمسألة إثبات صفات الله تعالىٰ ونفيها.

٥ ـ ترجمة الفلسفة.

٦ ـ ظهور القصص واستخدامه لخدمة أغراض سياسية ودخول الإسرائيليات في

---

(١) رواه مسلم، إمارة ٥٧.

(٢) خطبة الوداع، سبق تخريجه.

التفسير وفي التاريخ الإسلامي.

٧ ـ ورود المتشابة في القرآن قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧). هذا المتشابة لاختبار قوة الإيمان فكان سبباً في اختلاف العلماء بسبب اختلاف التأويل[١].

٨ ـ وأقول إن أسباب زيادة الخلاف ظهور جريمة سب العلماء[٢]، والتطاول على الدعاة والأئمة.

والسؤال قبل أن نعرض لنبذة عن هذه الفرق: هل الجماعات الموجودة العاملة للإسلام، هي الفرق التي حذر منها النبي ﷺ ؟

أ ـ إذا اشتطت هذه الجماعات في التمسك بالآراء الفقهية التي تطبقها على نفسها واتهمت أصحاب الآراء الأخرى بالتبديع والتجهيل فزادت هوة الخلاف وانقطع ما بينهما تقع فيما حذر منه النبي ﷺ «وستفترق» فكانت الفُرقة.

ب ـ ولذا أقول لأبناء الأمة الواحدة أياً كان المسميات حتى لا يحدث الشطط أضع هذه التوجيهات والنصائح (لكل الجماعات العاملة للإسلام):

١ ـ **أنتم تتكاملون لا تتناحرون** ولا تتقاذفون ولا تتشاجرون ولا تتفرقون فالجسد إذا تفرق ضعف وعملت فيه الأمراض عملها فلو قطعت ذراعاً من إنسان تلفت الذراع بعد انفصالها وضعف الجسد بفقدان الذراع.

٢ ـ **الإسلام يسع الجميع** : يسع **خالد بن الوليد** رضي الله عنه الذي ما في جسده موضع إلا فيه ضربة سيف، أو طعنة رمح.. ويسع **حسان بن ثابت** الذي لايستطيع سلب اليهودي بعد أن قتلته النساء داخل الحصن[٣]..

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣، ١٤.

(٢) سيأتي تفصيل لهذا السبب في الباب الخامس من الموسوعة.

(٣) راجع غزوة بني قريظة، الرحيق المختوم، ص ٢٨٣، والسيرة للصلابي، جـ٢، ص٢٨٥.

كما يسع **حاطب بن ابي بلتعة** الذي أرسل رسالة إلى أهل مكة يخبرهم بموعد فتح مكة[1]، ويسع **ابي عبيدة بن الجراح** أمين الأمة، ويسع من جهر بالبسملة، ومن أَسَرَّ بها، ويسع ويسع . . . .

٣ ـ **للقائمين على توجيه الجماعات وتربيتها أن تكون تربيتهم على الحب لجميع المسلمين العاملين** وألا يسمحوا بلفظ إساءة لمسلم، واذكروا لهم هذه الواقعة عندما وقع مسلم في سب أخيه المسلم والحديث عنه فقيل له أغزوت الروم قال لا: أغزوت الفرس!! قال لا . . فقيل له يسلم منك الفرس والروم ولا يسلم منك عرض أخيك المسلم.

٤ ـ **يتعود ابناء الصحوة الإسلامية العاملين للإسلام على اختلاف مسمياتهم على هذه الألفاظ :**

ـ رأي غيري صواب يحتمل الخطأ، ورأيي خطأ يحتمل الصواب.

ـ إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بكلامي عرض الحائط.

٥ ـ **حينما يحتد بعض العاملين للإسلام** على أخيه المسلم في جماعة أخرى يقوم بتمزيق عرضه تمزيقاً وحينما تُراجعه في ذلك يقول لك لا شيء بيني وبينه ولكني أريد أن أنتصر للحق.

اقول له : الحق لا يريدك أن تنتصر له بتمزيق عرض أخيك المسلم، الحق لا يريد منك أن ترفع راية الإسلام على أشلاء أخيك المسلم، راية الإسلام لا يشتد عودها ويقوى في الأرض وهو يتغذى بدم الأخوة: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الحجرات: ١٠)، ولا ينضج ثمر (راية الإسلام) وحولها فُرقاء خُصماء. . هناك من سيقطف الثمرة قبل نضجها وهناك من سيتركها إلى أن تسقط على الأرض فلا ينتفع بها والذكي هو الذي يرعاها حتى تنضج على شجرتها ويحصدها قبل أن تسقط على الأرض.

---

(١) راجع سبب نزول سورة الممتحنة ، مختصر تفسير ابن كثير، جـ٣، ص ٤٨١، طبعة دار الصابوني.

الفرق التي نذكرها ثلاثة أنواع :

النوع الأول : فرق قديمة النشأة والتسمية (الشيعة وأقسامها ـ الخوارج وأقسامها ـ القدرية ـ المرجئة) .

النوع الثاني: فرق حديثة النشأة (القاديانية ـ البابية ـ البهائية ـ التصوف والصوفية .

النوع الثالث : فرق ومذاهب تحمل أسماء معينة (الماسونية ـ الروتاري ـ العلمانية ـ الوجودية ـ الشيوعية) .

ثم الحديث عن المهدي المنتظر .

النوع الأول : فرق قديمة النشأة

« الشيعة ـ الخوارج »

أولاً : الشيعة :

الشيعة في اللغة(١) : شيعة الرجل : اتباعه وأنصاره ، تشيع الرجل : أي ادعى دعوى الشيعة .

والشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني:

١ ـ القوم والصحب : قال تعالى : ﴿ **فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾ (القصص : ١٥) .

٢ ـ الاتباع والأعوان : ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ** ﴾ (الصافات : ٨٣) . أي الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما(٢) .

تعريف الشيعة في الاصطلاح (٣): إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ، ومراحل التطور العقدي لهم ، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة

---

(١) لسان العرب : مادة شيع .

(٢) علي بن أبي طالب ، د . الصلابي ، ص ٧٠٠ .

(٣) المصدر السابق .

وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان[1]، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذي يقدمون علياً على عثمان فقط[2]، ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى كانوا على عهد علي يفضلون أبا بكر وعمر[3]، وقد منع شريك بن عبدالله - وهو ممن يوصف بالتشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة[4].

قال الليث ابن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً[5].

وبعد العصور الأولى للتشيع بدأ يظهر من يسب الصحابة وخاصة أبا بكر وعمر ويفضلون علياً عليهما.

قال ابن تيمية - رحمه الله: ولما أحدثت الشيعة البدع في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ردها وكانت ثلاث طوائف:

١ - **غالية** : حرَّقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من، باب كندة فسجد له أقوام فقال ما هذا ؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثة فلم يرجعوا فأمر في الثالث بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار ثم قذفهم فيها وهؤلاء هم السبئية.

٢ - **سبابة** : لما بلغة من سب أبي بكر وعمر فلما طلب قتله فهرب منه إلى قرقيسيا.

---

(١) أصول الشيعة الإمامية ١/ ٦٤ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٥٣ ، فتح الباري ٧/ ٣٤ .

(٣) منهاج السنة ٢/ ٦٠ .

(٤) أصول الشيعة الإمامية الأثنى عشرية ١/ ٦٥ .

(٥) المنتقى، ص ٣٦٠، ٣٦١ نقلاً عن علي بن أبي طالب، د. محمد الصلابي، ص ٧٠١ .

٣ـ المفضلة : فقال لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر(١).

متى انقسمت الشيعة؟

كان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبدالملك(٢)، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية(٣).

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية فسئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتولاهما، فرفضه قوم فسموا رافضة(٤).

وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه(٥)، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها، والله تعالى أعلم.

الشيعة إما :

١ ـ زيدية :

هي أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية، وأكثرها اعتدالاً، وهي لم

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ١٨٤ / ١٨٥ .
(٢) تاريخ الطبري ٧/ ١٦٠ .
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص ٤٧ .
(٤) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦ .
(٥) منهاج السنة ١/ ٣٥ .

ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها، بل اعتبروهم كسائر الناس، لكنهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ولم يكفروا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ وخصوصاً من بايعهم على رضي الله عنه واعترف بإمامته.

٢ ـ رافضة :

الرفض لغة: معناه الترك والتخلي عن الشيء(١).

الرافضة في الاصطلاح: هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة هم الذين يتبرأون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم(٢). **وقال عبدالله بن احمد:** سألنا أبي عن الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهم.

وقال أبو القاسم التميمي: «انفردت الرافضة بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر دون غيرها من الفرق الأخرى وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله»(٣).

هل الرافضة شيعة؟

يقول ابن تيمية رحمه الله: كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً، وكانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان.

لذا فإن تسمية (الرافضة) بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين، تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي ٢/ ٣٣٢.
(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٣.
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص ٢٦.

وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم[١].

وعليه فإن من الواجب أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإيهام وإذا ما أطلق عليهم مصطلح (التشيع) فينبغي أن يفيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال (الشيعة الإمامية) أو (الشيعة الاثنى عشرية) على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم[٢]، والله تعالى أعلم.

العصر الأموي:

كان العصر الأموي مُحرض على الغلو: نشأت الشيعة في مصر ابتداءً في عهد (عثمان) إذ وجد الدعاة فيها أرضاً خصبة، وعمت العراق واتخذته لها مستقراً ومقاماً فإذا كانت المدينة ومكة وسائر (مدائن الحجاز) مهداً للسنة والحديث «والشام» مهداً لنصراء الأمويين فقد كانت العراق (مقاماً للشيعة)[٣].

ولقد كان العصر الأموي محرضاً على المغالاة في تقدير علي رضي الله عنه؛ لأن معاوية سن سنة سيئة في عهده وفي عهد ابنه ومن خلفه من الأمويين حتى عهد عمر بن عبدالعزيز، وتلك السُنَّة هي لعن إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب تمام الخطبة، ولقد استنكر ذلك بقية الصحابة ونهوا معاوية وولاته عن ذلك، حتى لقد كتبت (أم سلمة) زوج رسول الله ﷺ إليه كتاباً تقول فيه: «**إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأشهد أن رسول الله ﷺ أحبه**».

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة، ص ٣٢

وفوق ذلك فإنه في عهد يزيد قتل (الحسين بن علي) الذي هو سيد شباب أهل الجنة؟ كما ورد في الأثر ـ قتلة فاجرة وذهب دمه عبيطاً، من غير أن ترعىٰ حرمة دين وأخذت بنات (الحسين) وبنات (علي) سبيا إلىٰ يزيد بن معاوية، وهم بنات ابنة النبي ﷺ والعترة النبوية الطاهرة.

رأىٰ الناس ذلك، ولم يستطيعوا تغييراً ولا تحويلاً، فكظموا غيظهم، وكبتوا نفوسهم واشتد ألمهم، فاندفعوا إلىٰ المغالاة في تقدير أولئك الذين غالىٰ الأمويون في إيذائهم، وهكذا يدفع الكبت العقلي والنفسي دائماً، فإنه يدفع إلىٰ المبالغة في التقدير إذ العطف والإشفاق يدفعان إلىٰ الإكبار والتقدير(١).

فرق المذهب الشيعي:

اتضح من التعريف أنه يحمل اسم الشيعة ناس قد غلوا، وناس قد اقتصدوا، وناس بين هؤلاء وأولئك... **فالغلاة** المتطرفون قد رفعوا (علياً) إلىٰ مرتبة الألوهية، **ومنهم** من رفعه إلىٰ مرتبة النبوة وجعلوه في منزلة أعلىٰ من النبي ﷺ.

ولنذكر بعض هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بغلوهم عن الإسلام وينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة ونحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام.

١ ـ السبئية:

أتباع عبدالله بن سبأ: وكان يهودياً.

٢ ـ الغُرابية:

لم تؤله علياً كما فعل السبئية ولكنها تفضله علىٰ النبي ﷺ فزعموا أن الرسالة كانت لعلي ولكن جبريل أخطأ فنزل علىٰ محمد ﷺ وسموا (بالغُرابية)؛ لأنه لا يمكن أن يكون التشابه ثابتاً بين غلام في التاسعة ورجل مكتمل في الأربعين، فكيف يخطئ جبريل بين رجل وغلام؟ وقال ابن حزم في كتابه (الفصل) أن علياً كان في سن التاسعة وهي ليست سن التكليف فضلاً عن أن تكون سن التبليغ.

---

(١) المصدر السابق.

٣ـ الكيسانية:

أتباع (المختار بن عبيد الله الثقفي)، وقد كان خارجياً ثم صار من الشيعة الذين يناصرون (علياً) وقيل كيسان اسم المختار، وقيل مولى لعلي بن أبي طالب، ويقولون (بالبداء) أي أن الله سبحانه وتعالى يغير ما يريده تبعاً لتغير علمه وأنه يأمر بالشيء ثم يأمر بخلافه ويعتقدون بتناسخ الأرواح.

٤ـ الإمامية (الإثنا عشرية):

أكبر مذاهب الشيعة القائمة الآن في العالم الإسلامي إيران ـ العراق وباكستان ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلى درجة أن تخالف نصا قرآنياً أو أمراً عُلم من الدين بالضرورة وطوائف أخرى أخفت اعتقاداتها.

من أهم عقائد الشيعة الرافضة:

أ ـ الإمامة : ولذلك سميت الشيعة الرافضة الاثنى عشرية (بالإمامية) وسبب ذلك أنهم قالوا بإمامة اثنى عشر من آل البيت والإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عندهم دخل في سرداب في سامراء العراق واختلفوا في سنه وقت اختفائه فقيل كانت سنه إذ ذاك أربع سنين وقيل ثماني سنوات وسيرجع باسم المهدى المنتظر.

يقول د. الصلابي: وهذه الطائفة في العراق وإيران وسوريا ولبنان.

إن الإمامة صنو النبوة وأعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار وخصوا باللعن والحكم بالردة، جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية فتناول تكفيرهم:

ب ـ تكفيرهم أهل البيت: إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد ولا تستثنى منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراتها ولا تذكر ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء على فقط وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا

أربعاً : علياً والمقداد وسلمان وأبا ذر ، فقلتُ فعمار ؟ فقال إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة ، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله وقرابته مع أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة والقرابة[١] .

- تكفيرهم للصحابة .
- تكفيرهم لخلفاء المسلمين وحكومتهم .
- الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر .
- تكفيرهم لقضاة المسلمين وأئمة المسلمين .

جـ. **العصمة** : إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة شرط من شروط الإمامة .

٥ ـ الإسماعيلية :

هي طائفة من الإمامية وتدين بالولاء لإسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم أجداد الفاطميين والقرامطة ، وهذه الفرقة طائفتان : أحداهما في الهند وتسمى البهرة ، ويضيفون ركناً على أركان الإسلام وهو ركن الطهارات (ويتضمن تحريم الدخان والموسيقى والأفلام) ولا يُصلون الجمعة ، والطائفة الثانية (الأغاخانية) نسبة إلى زعيمهم أغاخان وهي في سوريا وشرق أفريقيا .

من أصولهم :يعتقدون التناسخ والحلول بعضهم يدعي ألوهية الإمام بنوع من الحلول بعضهم يدعى رجعة من مات من الأئمة بصورة التناسخ .

٤ ـ النُصيرية :

لا تنسب نفسها للإسماعيلية ، ولكنها تتلاقى مع بعضها في المخالفة وانخلاعها عن الإسلام ، وهي نسبة إلى محمد بن نصير ، وفي عهد الاحتلال الفرنسي لسوريا تسموا باسم (العلويين) .

---

(١) المصدر السابق، ص ٧١٩ .

من أصولهم (مبادئهم) : (الولاية لعلي - عصمة الأئمة - التُقْيَة - علم الباطن في تفسير القرآن وعلم أسراره) وقالوا بألوهية متحدة الحقيقة مثلثة الأجزاء ويرمزون لهذا الثالوث برمز (ع. م. س.) .

٧ - الدروز والنيامنة :

أتباع أبي محمد الدرزي، كانوا من الإسماعيلية ثم خرجوا عليها يتخذون عام ٤٠٨ هـ مبدأ لتاريخهم الذي أعلن فيه الدعُاة ألوهية الحاكم، وليس لهم مساجد ولا يصومون رمضان، ولا يحجون إلى الكعبة، بل إلى خلوة البياضية في بلدة حاصبيه التابعة لبيروت[١] .

مشروع التقريب بين السنة والشيعة :

التطبيق العملي للاستفادة من دراسة موضوع الفرق :

هذه الفُرقة التي حلت بالأمة الإسلامية والتي تجعل لزاماً على علماء الأمة أن يضعوا اقتراحات وحلولاً عملية للتقريب بين الفرقاء ولا عذر لأحد في ترك هذا الأمر بحجة أن هناك محاولات سبقت لقضية التقريب ولم يُكتب لها النجاح .

والحقيقة: أن هناك مقومات كثيرة لنجاح مشروع التقريب .

خطوات المشروع :

أولاً: ملاحظات [٢] على التجارب التي تمت في التقريب:

١ - لابد من الاستفادة من التجارب السابقة فنبدأ من حيث انتهى السابقون فمن التجارب المعاصرة تجربة د. مصطفى السباعي - تجربة الشيخ : موسى جاد الله وغيرهم .

٢ - لم تقم هيئة أو مؤسسة أو دولة تتبنى مسألة التقريب سواء من الشيعة أو من السنة، وكل ما تم كان جهوداً ومحاولات فردية .

---

(١) بيان للناس جـ٢، ص ١٦ .

(٢) هذه الملاحظات بهدف الاستفادة وليست ملاحظات للنقد .

٣ ـ المحاولات الفردية التي تمت كانت تأتي بنتائج عكسية وردود قاسية من بعض علماء الشيعة ولا تصب في جانب التقريب والتهدئة بل تزيد الأمر تعقيداً.

٤ ـ محاولات التقريب كان يقوم بها دائماً علماء السنة ولم يحاول ذلك علماء من الشيعة.

ثانياً: أسباب النجاح متوفرة ونذكر منها:

١ ـ هناك نقاط اتفاق ثابتة وأساسية ورئيسية لا يتطرق إليها شك، فالجميع سنة وشيعة:

ـ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

ـ القرآن الذي بين أيديهم واحد.

ـ القبلة واحدة للجميع فالكل يتجه إلى الكعبة.

٢ ـ الغلاة سواء من السنة أو الشيعة عدد قليل جداً لا تأثير له في مجريات الأمور.

٣ ـ لدينا مؤسسات وهيئات تستطيع أن تقوم بدور التقريب ـ فالأزهر الشريف ومنظمة المؤتمر الإسلامي.. وهيئه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وغير ذلك الكثير.

ثالثاً: أسس لمشروع التقريب:

١ ـ هناك نقاط كثيرة يمكن إزالتها بالتحليل العقلي والأسلوب العلمي بعيداً عن اصطدامات النصوص الناتجة عن سوء الفهم أو خطأ التأويل والتفسير[1] وعلى علماء السنة التزام أسلوب البحث العلمي الهادف في مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم ومن تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع ظالم أو كافر وفق السياسة الشرعية.

٢ ـ أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله وبيان صحته وتميزه.

---

(١) يُراجع في ذلك الباب الثاني (الدعائم الفكرية والأخلاقية لفقه الاختلاف).

٣ ـ إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ومنهم الإسلام الصحيح(١).

٤ ـ ينبغي تشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم كالذي قام به السيد حسن الموسوي في كتابه (لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار).

٥ ـ علينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفياً لآثارهم وهديهم في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة والمطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلىٰ رجال الحديث الثقات(٢)، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولىٰ بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلىٰ نياتهم وقد أفضوا إلىٰ ما قدموا، وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلىٰ ما هو شر منها ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ والأولياء هم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٣)، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم، وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات

---

(١) علي بن أبي طالب، د. الصلابي، ص ٨٨٣ .

(٢) النهج المبين لشرح الأصول العشرين، د. عبدالله آية شلبي، ص ١٢٦ وما بعدها .

كبائر يجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسر على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر(١).

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله، رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

٦ ـ إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسية الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه(٢).

رابعاً: حوار الفرق لا حوار الأديان:

١ ـ هناك جهوداً تُبذل لما يسمى بحوار الأديان ونتيجته الفشل الذريع(٣)، والصواب أن يُوجه هذا الجهد إلى حوار الفرق والجماعات الإسلامية وسوف يتطلب ذلك جهداً كبيراً لأن الذين لا يريدون الخير والسعادة للمجتمع الإنساني سوف يحاربون ذلك لمنع المد الإسلامي من قيادة البشرية.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٢) علي بن أبي طالب، د. الصلابي، ص ٨٨٦.

(٣) راجع حوار الأديان من هذا الباب.

٢ ـ يجب على المخلصين من أبناء الأمة أن يبدءوا في ترتيب هذا الحوار وليس هذا ضرباً من الخيال أو كلاماً مثالياً لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع ، وإنما هو أمر ممكن وقد تم قبل ذلك فعلاً ، فقد **توفي الأستاذ عمر التلمساني ـ رحمه الله ـ** في ٢٢/ ٥/ ١٩٨٦م وقبل وفاته بحوالي عام ونصف دعا لهذا المؤتمر وانعقد في إحدى محافظات صعيد مصر ، وحضره من كل الاتجاهات الإسلامية أعداد تفوق الآلاف ، وكانت له ثمار طيبة جداً في تقارب وجهات النظر وكان المقرر لهذا المؤتمر أن ينعقد دورياً ولكن الجهات السياسية في مصر منعت إقامته مرة ثانية .

٣ ـ مقارنة لتتضح الأهمية ، وليست مقارنة للتفاضل بين فكرتين :

وجه المقارنة	ما يسمى حوار الأديان	حوار الفرق والجماعات الإسلامية
الهدف	القضاء على الإسلام	وحدة الأمة لتقود الإنسانية إلى الخير والسعادة والأمن
الذي يدعو إليه	كل أعداء الإسلام	المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية
الفشل والنجاح	كل العوامل الموجودة تؤدي للفشل ولا توجد أي نقاط اتفاق	عوامل النجاح متوفرة وهي أسس موجودة والجميع متفق عليها
النتيجة	تضعف الأمة ويصيبها الهزال حتى تتلاشى	تنهض الأمة وتقوى شوكتها وتستعصى على كل عوامل الفناء والزوال
الرؤية المستقبلية	هذا الحوار المزعوم إلى زوال ولن يحقق هدفه النهائي ويأثم المشاركون فيه من أبناء الأمة ويخسر المبطلون لأن الله قال : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ (آل عمران : ١٩) ، ولم يقل إن هناك (كوكتيل)(١) أديان	يقول أ. سيد قطب هذه قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح والقرآن يستبقى لكلا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما مع احتمال أن تكون إحداهما باغية بل مع احتمال أن تكون كلتاهما باغية في جانب من الجوانب(٢) .

(١) كوكتيل : خليط من فواكه مختلفة أو عصائر مختلفة .

(٢) في ظلال القرآن . سيد قطب ، سورة الحجرات ، ص ٣٣٤٣ .

ثانياً : الخوارج

اقترن ظهور هذه الفرقة بظهور الشيعة، فقد ظهر كلاهما كفرقة في عهد على رضي الله عنه، وقد كانوا من أنصاره وإن كانت الشيعة فكرتها أسبق من فكرة الخوارج .

تعريفها : فئة قاتلت مع علي ضد معاوية وألجأته إلى التحكيم، وثارت عليه بعد ذلك لقبوله التحكيم[(١)]، حتى انتهى إلى اغتياله على يد أحدهم (ابن ملجم) .

صفاتهم: متناقضة (تقوى وإخلاص، انحراف وهوس وتشدد وخشونة وجفوة وتهور في الدعوة إلى ما يعتقدون، وحمل الناس على آرائهم المحرفة المتميزة بالعنف والقسوة) .

أهم أصولهم:

- **الغلو في الدين:** الحرص على الطاعة والعبادة والتحرز التام من الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام .
- **الجهل بالدين** : يطلبون من علي التحكيم ثم يطلبون منه التوبة .
- يكفرون مرتكب الكبيرة .
- يعترفون بالقرآن والحديث .
- سوء الظن .
- الطعن والتضليل .
- يصرون على أن القدوة بعد النبي هو أبو بكر وعمر ويكفرون علياً وأكثر الصحابة
- **رايهم في الإمامة** : يقول علي بن أبي طالب : لابد للناس من إمامة برة كانت أو فاجرة قيل له هذه البره قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال : يُؤمن بها السبيل، ويُقام بها الحدود، ويُجاهد بها العدو ـ ويُقسم بها الفيء، وقد خالف الخوارج ذلك فرأوا الخروج على أئمة المسلمين عند أتفه الأسباب .

---

(١) المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٥٦ .

فرق الخوارج :

١ ـ **الأزارقة:** يرون مخالفيهم مشركون مخلدون في النار، وأن دارهم دار حرب يُستباح فيها النهب والسبي، وأن أطفال المسلمين مخلدون في النار، ولايُقرون حد الرجم، ويرون أنه يجوز على الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر، وهذا تناقض في أقوالهم، إذ إنهم بينما يُكفرون مرتكب الكبيرة يُجوزونها على الأنبياء.

٢ ـ **الصفرية:** آراؤهم أقل تطرفاً وحدة من الأزارقة، فلم يتفقوا على أن مرتكب الكبيرة مشرك.

٣ ـ **العجاردة:** اتباع عبد الكريم بن عجرد، جملة آرائهم تخالف الخوارج، وقد افترقت العجاردة فرقاً كثيرة في أمور منها ما يتعلق بالقدر، وينتهي خلافهم في المسائل إلى فرق مختلفة ذكر منها الشيخ أبو زهرة هذين المثالين (١):

أ ـ ذلك أن رجلاً منهم اسمه شعيب كان مديناً لآخر اسمه ميمون فلما تقاضى هذا دينه قال شعيب: أعطيكه إن شاء الله، فقال ميمون: قد شاء الله ذلك في هذه الساعة، فقال شعيب: لو شاء لم أستطع إلا أن أعطيكه، فقال ميمون: قد أمر بذلك وكل ما أمر به فقد شاء وما لم يشأ لم يأمر به، فأرسل شعيب وميمون إلى رئيسهم وإمامهم عبد الكريم بن عجرد فأجابهم إجابة مبهمة وهي: إنما نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءاً.

ولهذا الإبهام في الإجابة ادعى كل منهم أن الإجابة توافق رأيه وانقسم العجاردة إلى شعيبية وميمونية.

ب ـ ويروى أن عجردياً اسمه ثعلبة له بنت فخطبها عجردي آخر، وأرسل إلى أمها يسألها ويقول في سؤاله: إن كانت قد بلغت ورضيت الإسلام على الشرط الذي يعتبره العجارد لم يبال كم كان مهرها.

---

(١) سبب ذكر المثالين هنا، ليتضح لنا أنه مجرد الخلاف في المسائل الجزئية ينتهي إلى قضايا كلية ينتهي إلى فرق مختلفة.

فأجابت الأم أنها مسلمة في الولاية سواء أبلغت أم لم تبلغ فرفع الأمر إلى عبد الكريم، فاختار البراءة من الأطفال وخالفه ثعلبة وانبعثت من الفرقة فرقة أخرى اسمها الثعلبية، وهكذا تجد خلافاً جزئياً ربما لا يكون له صلة بالسياسة يترتب عليه الانقسام إلى فرقتين أو انشعاب طائفة منهم إلى فرقة قائمة بذاتها.

٤ ـ الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض: أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا ولهم فقه جيد وعلماء ممتازون وطوائف منهم يقيم في بعض واحات الصحراء الغربية وبعضهم في بلاد الزنجبار والقانون المصري أخذ في بعض المواريث من آرائهم.

آراء الإباضية: منها أن مخالفيهم ليسوا مشركين ولا مؤمنين ولكن كفار أي كفار نعمة لا كفار اعتقاد؛ لأنهم لم يكفروا بالله بل قصروا في جنب الله تعالى ـ دماء مخالفيهم حرام[١].

الحكم : قام مذهب الخوارج على الغلو والتشدد، وهم ليسوا كفاراً ولكنهم ضلوا، ولذلك وصى علياً ـ رضي الله عنه ـ أصحابه ألا يقاتلوا الخوارج من بعده؛ لأن من طلب الحق فاخطأ ليس كمن طلب الباطل فناله، فعلي ـ رضي الله عنه ـ كان يعتبر الخوارج طالبين للحق ولكن جانبوا طريقه، ويعتبر الأمويين طالبين للباطل ونالوه.

٥ ـ خوارج لا يُعدون مسلمين: لأن مبادئهم خروج على الإسلام وهما :

١ ـ **اليزيدية** اتباع يزيد بن أنيسة الخارجي وكان إباضياً، ثم ادَّعى أن الله ـ سبحانه ـ سيبعث رسولاً من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ الشريعة المحمدية.

٢ ـ **الميمونية:** أتباع ميمون العجردي : أباح نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخوات وقال في علة ذلك أن القرآن لم يذكرهن من المحرمات وانكروا سورة يوسف؛ لأنها ليست من القرآن بل هي قصة غرام في زعمهم فلا يصح أن تضاف إلى الله قبحهم الله ـ تعالى ـ لسوء ما يعتقدون[٢].

(١، ٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ أبو زهرة، ص ٧٣، ٧٤.

ثالثاً : القدرية

خاض المسلمون في القضاء والقدر في آخر عصر الراشدين وعصر الأمويين كما ذكرنا، وقد بينا أن فريقاً غالى فنفى أن يكون للإنسان إرادة فيما يفعل، وهؤلاء هم الجبرية، أما هؤلاء القدرية فقد غالوا أيضاً فقالوا: إن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن هؤلاء المعتزلة ـ وإن كانوا قد عرفوا بالكلام في مسائل أخرى، وهذه إحدى مسائلهم، ولذلك عد الاعتزال مذهباً قائماً بذاته غير مندغم في هذا المذهب، ولم يقف هؤلاء القدرية عند هذا الحد الذي يشتركون فيه مع المعتزلة، بل كان منهم من غالى أكثر من ذلك فنفي عن الله تعالى (القدر) بمعنى العلم والتقدير، وقال في ذلك: (الأمر أنف).

فيروى أن معبد بن خالد ـ وهو من رؤوسهم ـ سمع من يتعلل في المعصية بالقدر فقال في الرد عليه: لا قدر والأمر أنف ـ أي أن الأمور يستأنف العلم بها وتستأنف بالتالي إرادتها، وكأنه بهذا نفى الإرادة الأزلية ونفى العلم الأزلي القديم، وذلك ليخرج فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخلاق العليم[١].

رابعاً : المرجئة

هذه الفرقة نشأت في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة: أهو مؤمن أم غير مؤمن؟ فالخوارج قالوا: كافر، والمعتزلة قالوا: غير مؤمن، وقد سمى مسلماً، والحسن البصري وطائفة من التابعين قالوا: إنه منافق؛ لأن الأعمال دليل على القلوب، وليس اللسان دليلاً على الإيمان وقال الجمهور من المسلمين: هو مؤمن عاص أمره بيد الله إن شاء عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه، وفي وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومن المنتمين إليهم من قال: إن أمر المرتكب يرجأ إلى الله تعالى يوم القيامة، وهؤلاء يتلاقون إلى حد كبير من طائفة كبيرة مع جمهور العلماء السنيين، بل إنه عند التمحيص يتبين أن آراءهم هي آراء الجمهور[٢]، نبتت هذه الفرقة في آخر عصر عثمان رضي الله عنه.

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٦، ١١٣ .

(٢) المصدر السابق.

النوع الثاني : فِرَق حديثة النشأة

١ ـ القاديانية:

تُنسب هذه النحلة إلىٰ غُلام أحمد القادياني، نادىٰ بها في أواخر القرن التاسع عشر في بلاد الهند، وهي امتداد لفرية ادعاء النبوة التي ظهرت علىٰ يد مسيلمة الكذاب في عهد النبي ﷺ، وزعم أحمد أنه نبي يوحىٰ إليه.

من مبادئ هذه النحلة: نزول الوحي علىٰ زعيمهم وأتباعه، أيضاً ادعاء أن له معجزات فضل نفسه علىٰ بعض الرسل ومنهم عيسىٰ عليه السلام، وكذلك تكفيره من لم يؤمن برسالته، وموالاته للإنجليز في إبطال الجهاد ضدهم، وهذا خروج علىٰ مبادئ الإسلام.

الحكم : فتوىٰ دار الإفتاء المصرية ٢٧ من يوليو عام ١٩٥٩م خاصة بمن يؤمنون بنزول نبي في باكستان بعد نبينا محمد ﷺ قالت ما نصه: «إن من الثابت شرعاً أن نبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين وبثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع فمن قال بظهور نبي بعده نص الفقهاء علىٰ أنه يكون مرتداً»(١).

وقد استخدمها الاستعمار لتشويه محاسن الإسلام وتفريق صوف المسلمين.

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر أن طائفة الأحمدية وهي فرقة من القاديانية تعتبر مرتدة عن الإسلام، وليس لها أن تدخل مساجد المسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾ (التوبة: ١٧)، ولا أن يدفن موتاهم في مقابر المسلمين(٢).

---

(١) الفتاوىٰ الإسلامية مجلد ٦، ص ٢١٣٣.

(٢) مجلة الأزهر، ذي الحجة ١٤٠٥ هـ وكان ذلك رداً علىٰ سؤال من رئيس المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا ورئيس المجلس الشرعي لإقليم الكاب.

٢ ـ البابية والبهائية :

البابية : نسبة إلى الباب ، وهو لفظ متداول عند بعض الفرق الباطنية على أركان دعوتهم من قبيل قول النبي ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»(١)، والباب لفظ أطلقه على نفسه أحد دعاة نحلة البابية وهو : ميرزا على محمد الشرازي ، المتوفي في تبريز عام ١٨٤٥م أو عام ١٨٥٠م .

والبهائية: نسبة إلى البهاء ، وهو لفظ أطلقه على نفسه أحد دعاة هذه النحلة بعد الشيرازي وهو (حسين على نورى) الملقب ببهاء الدين فسميت النحلة أيضاً بالبهائية .

ظهرت قبل القرن الثالث عشر الهجري في إيران والعراق والهند وجزيرة العرب تزعمها أولاً : أحمد الإحسائي المتوفي عام ١٨٢٦م، وكان هو وزميله (كاظم الرشتى) أصلهما قسيسان استخدمهما الاستعمار لتشويه الإسلام وتفريق صفوف المسلمين(٢) .

وقد ادعى (ميزرا علي محمد الشيرازي) أنه المهدي المنتظر ، وكان في سن الخامسة والعشرين وألَّف كتباً ادعى أصحابه أنها وحي ، وحدث نزاع بين زعمائها انتهى إلى تكوين مركزين في عكا وقبرص .

أهم مبادئها:

١ ـ الحلول : يزعمون أن الله بعد ظهوره في الأئمة الاثنى عشر ظهر في (أحمد الإحسائي)، وشعارهم العام اللافتات المعلقة في بيوتهم وعليها عبارة : (ياإلهي بهاء) .

٢ ـ عدم ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ .

٣ ـ ظهور المعصوم .

٤ ـ عدم الاعتراف بالقيامة .

---

(١) رواه الترمذي، مناقب ٣٠، وحسنه والحاكم وصححه .

(٢) مجلة التوعية الإسلامية السعودية، ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ.

٥ ـ إنكار معجزات الأنبياء .

٦ ـ تأويل القرآن بإسراف زاعمين أن ألفاظ القرآن لها معاني باطنية .

٧ ـ مناصرتهم لكل عدو للمسلمين وتمنياتهم لليهود أن يكون لهم الوطن الموعود .

٨ ـ السَنَة عندهم ١٩ شهراً ، والشهر ١٩ يوم ، والصلاة ٩ ركعات ، والقِبلة حيث يكون البهاء ، والحج إلى الكعبة باطل .

الحكم: إن هذه النحلة مصنوعة من أديان ونحل وفلسفات مختلفة يقول صاحب كتاب (مفتاح باب الأبواب ـ في وصفه للبهائين هي ليست حركة إصلاحية بل حركة استغلها الاستعمار لصالحه وتلتقي مع الماسونية في هدفها وهو صرف الناس عن أديانهم السماوية ، ومن يعتنق هذه النحلة يكون مرتداً ، وقد حكم علماء إيران على (الباب) بذلك بعد عدة مناظرات ثم أُعْـدِم .

وفي مصر قاومها علماء الأزهر والقضاء الشرعي والحكومة فكان ما يأتي:

١ ـ أفتى الشيخ سليم البشري ـ شيخ الأزهر بكفر (ميرزا عباس) زعيم البهائيين ، ونشر ذلك في جريدة «مصر الفتاة» العدد ٦٩٢ في ٢٧/ ١٢/ ١٩١٠م .

٢ ـ صدر حكم قضائي في ٣٠/ ٦/ ١٩٤٦م من محكمة المحلة الكبرى الشرعية بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية ؛ لأنه مرتد[1] .

٣ ـ أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر في ٢٣/ ٩/ ١٩٤٧م[2] وفي ٣/ ٩/ ١٩٤٩م[3] فتوى بردة من يعتنق البهائية .

٤ ـ أصدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية في ١١/ ٣/ ١٩٣٩م[4]، وفي ٢٥/ ٣/ ١٩٦٨م[5]، وفي ١٣/ ٤/ ١٩٥٠م بأن البهائيين مرتدون[6]، وفي

(١) مجلة الأزهر ، مجلد ٢٥ ، ص ١١٠٢ .

(٢) الأهرام ٢٢/ ٥/ ١٩٨٥م .

(٣) مجلة الأزهر ، مجلد ٢٥ ، ص ١١٩٣ .

(٤) الفتاوى الإسلامية ، مجلد ٤ ، ص ١٢٦٩ .

(٥) الفتاوى الإسلامية ، مجلد ٦ ، ص ٢١٣٨ .

(٦) مقارنات علي منصور ، ص ٢٥٥ .

٨ ديسمبر عام ١٩٨١م ببطلان عقد الزواج[1] بين المسلمة والبهائي .

٥ ـ حكمت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في القضية رقم ١٩٥ لسنة ٤ قضائية بتاريخ ١١/ ٦/ ١٩٥٢م بأن البهائية مرتدون .

٦ ـ صدر قرار جمهوري بالقانون رقم ٢٦٣ عام ١٩٦٠م بحل المحافل البهائية ووقف نشاطها ، وهناك إجراءات أخرىٰ تضمنها بيان شيخ الأزهر عن هذه النحلة الذي أذاعه في عام ١٩٨٦م[2] .

٣ ـ التصوف والطرق الصوفية :

تصوف فلان: صار من الصوفية ـ التصوف : طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل والآداب لتزكوا وتسمو الروح .

و(علم التصوف) مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم[3] .

وبذلك أخطأ من قال : إنه من الصفاء ، أو الصُّفَّة ، أو الصوف ، أو الصف ، وكما يقول القشيري : «ليس له من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب» .

يقول د. يوسف القرضاوي [4] : التصوف اتجاه يوجد في كل الأديان تقريباً وهو اتجاه إلىٰ التعمق في الجانب الروحي وزيادة الاهتمام به ، في الهند ـ وفي المسيحية نظام الرهبانية ٠ وفي فارس مذهب ماني فظهرت النزعات الروحية المتطرفة علىٰ حساب الناحية الجسدية أو المادية .

والإسلام حينما جاء ، جاء بالتوازن بين الحياة الروحية والحياة الجسدية والحياة العقلية ، ومن ذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص فقد كان

---

(١) الفتاوىٰ الإسلامية ، مجلد ٨ ، ص ٢٩٩٩ .

(٢) مجلة الأزهر ، جمادىٰ الآخرة عام ١٤٠٦ هـ ، فبراير ، مارس عام ١٩٨٦م .

(٣) معجم الوسيط جـ١ ، ص ٥٤٩ ، صاف .

(٤) فتاوىٰ معاصرة ، د. يوسف القرضاوي جـ١ ، ص ٧٣٠ .

يصوم ولا يفطر ويقوم ولا ينام: **«إن لبدنك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»**[(١)]. وكذلك قوله للرهط الذي تقالوا عبادته: **«ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[(٢)].

ظهور الصوفية: ظهروا في وقت غلب على المسلمين فيه الجانب المادي والجانب العقلي في الفلسفة، وزيادة مظاهر الترف وكثرة الأموال بعد الفتوحات، فظهر التصوف في المغرب في شكل دولة المرابطين وغيرهم، وكان ذلك من القرن الثاني الهجري حتى السابع.

مبادئهم :

١ - شغلوا أنفسهم بالتربية الروحية والأخلاقية حتى قال بعضهم: «التصوف هو الخُلق فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في التصوف»، وكان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة، وقّافين عند حدود الشرع، مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك، فتاب على أيديهم الكثير من العصاة، ومن كلام الإمام الشعراني: «التصوف هو زُبدة عمل العبد بأحكام الشريعة».

٢ - بدأ الغلو في هذا الجانب الروحي وانحرفوا عن الطريق السوي، ومن مظاهر الانحراف عند الصوفية:

أ - قالوا بالحلول أي حلول الخالق في المخلوق، حتى قال الحلاج «أنا الله»، كما قال النصارى في المسيح «إنه الله»، وقالوا بوحدة الوجود، يعني لاموجود إلا الله فلا خالق ومخلوق.

ب - اعتبار الوجدان والإلهام، حتى غلا بعضهم فقال «حدثني قلبي عن ربي».

جـ - غلبة النزعة السلبية مثل: «دع الملك للمالك - أقام العباد فيما أراد - دع الخلق للخالق»، وإلغاء شخصية المريد، بحيث يفنى في شيخه.

---

(١) رواه البخاري، صوم ٥١، ٥٤، ٥٥، تهجد ٢٠، نكاح ٨٩، أدب ٨٤، ٨٦، ومسلم، صيام ١٨٢، ١٨٧.

(٢) رواه البخاري، نكاح ١، مسلم، نكاح ٥.

الحكم :

١ ـ **يقول ابن تيمية**(١) : حينما سئل عنهم قال: تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت (الصوفية والتصوف) وقالوا مبتدعون خارجون عن السنة وطائفة غلت فادعوا أنهم أفضل الخلق من بعد الأنبياء ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم فمنهم السابق ومنهم المقتصد ومنهم المخطئ ومنهم ظالم لنفسه وعلىٰ هذا لم يقل ابن تيمية ولا ابن القيم ولا أحد من أئمة السلف من قبلهما أن الصوفية كلهم مشركون بل قالوا إن منهم من يصل إلىٰ مقام الصديقين(٢) .

٢ ـ **يقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ**(٣) : إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم وقد كثر حوله الكلام تارة بالتأييد وتارة بالتجريح لكن المقياس الصحيح الذي يجب أن تُقاس به الأفكار والسلوك وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلىٰ الدين قوله تعالىٰ: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (يونس: ٦٢). وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٤) .

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهي محمودة، وينبغي تشجيعها، وإن انحرفت فهي مذمومة ويجب تقويمها، والتقويم يكون كما قال الله تعالىٰ: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٥).

يقول الشيخ جاد الحق: وبتوالي الأجيال شاب نقاؤها شوائب، أقول فظهرت الموالد وما فيها من انحراف واختلاط ومجون، وظهرت الأضرحة

---

(١) فتاوىٰ معاصرة، د. يوسف القرضاوي جـ١ ، ص ٧٤٣ .

(٢) راجع في ذلك : كتاب الذهبي، وابن رجب، وفتاوىٰ ابن تيمية، ومدارج السالكين .

(٣) بيان للناس، للشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر السابق، جـ٢ ، ص ٣٣ .

(٤) رواه البخاري، اعتصام ٣٠ بيوع ٦٠ صلح ٥ ، ومسلم، أقضية ١٧ ، ١٨ .

والنذور، وظهرت شطحات الصوفية، فليحذر المسلم هذه الشطحات؛ لأن المتربصين بالإسلام يريدون أن تسود هذه الانحرافات والشطحات[١].

يقول د. القرضاوي [٢] : «كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُترك والحكم هو النص المعصوم من كتاب الله وسنة رسوله فنستطيع أن نأخذ من الصوفية الجوانب المشرقة كجانب الطاعة لله، وجانب محبة الناس بعضهم لبعض، ومعرفة عيوب النفس ومداخل الشيطان وعلاجها، واهتمامهم بما يرقق القلوب ويذكر بالآخرة».

وأقول: لست مع الرافضين للصوفية تماماً ولست مع المادحين لها تماماً؛ لأن فيها الغث وفيها الثمين، وأفضل ما أرجحه فيها ما ذكرته من قول الإمام الشعراني: «التصوف هو زُبدة عمل العبد بأحكام الشريعة».

(١) الدليل على هذا التربص أن السفير الأمريكي بالقاهرة دائماً يحرص على حضور الليلة الختامية بطنطا، ويثني على ما يحدث، بل ويباركه فهو وغيره يريدون المسخ للشريعة الإسلامية حتى تكون هذه الطقوس المنحرفة.

(٢) فتاوى معاصرة، د. القرضاوي جـ١، ص ٧٣٧ .

النوع الثالث : فرق ومذاهب تحمل أسماء معينة

١ ـ الماسونية :

جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني تأسست في مدينة (أورشليم) زمن الوالي هيرودوس أغريبا ملك اليهودية من عام ٣٧ ـ ٤٤ بعد الميلاد وهو حفيد هيرودوس الكبير الذي قتل أطفال بيت لحم خشية أن يكون فيهم المسيح الذي سيقضي على ملكه.

وكان الغرض من تأسيسها مناهضة الدين المسيحي، ثم تطور غرضها إلى مناهضة الأديان عامة وإعادة مجد إسرائيل، والعودة إلى أرض فلسطين، ثم عدل اسمها وظهرت بنشاطها في المحاربة وسميت (الجمعية الماسونية) أو البنائين الأحرار، وكان ذلك عام ١٧١٧م، وشعارهم: الحرية والإخاء والمساواة.

وأصدر في لندن القرار التالي الذي يبين حقيقة أغراضهم:

١ ـ المحافظة على اليهودية.

٢ ـ محاربة الأديان والكاثوليكية خاصة.

٣ ـ بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

ثم تأسست لها محافل في أمريكا وغيرها وقد اغتر بشعارها بعض المسلمين فانضم إليها حتى إذا ما ظهر له هدفها تبرأ منها وخاف أكثرهم أن يذيع أسرارها حتى لا يقتل وتوجد شهادات لكبار الكتاب الغربيين ونشرات رسمية يهودية وأبحاث من مختصين تبين تخطيط اليهود الواسع لإفساد العالم تحت شعارات براقة يجب أن يتنبه إليها المسلمون فمن أكبر شعاراتهم الأديان تفرقنا والماسونية تجمعنا.

جاء في دائرة المعارف الماسونية الصادرة في فيلادلفيا عام ١٩٠٦م يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود وكل ماسوني تجسيد للعامل اليهودي.

وجاء في نشرة ماسونية صادرة في لندن عام ١٩٣٥م: إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية ولذلك أسسوا نوادي للعراه في دول كثيرة وسعوا بكل وسيلة لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية.

وحتى لا يفتضح أمرها أكثر وللحرص على انتشارها بشكل أوسع ظهرت الماسونية تحت عناوين مختلفة وأنشأت فروعاً متعدد منها البنايٰ برث - الكيوانى - الليونز - الاتحاد والترقي - نادىٰ القلم - الصُلبان - الزاهرة - الروتاري - شهود يهوه وغيرها.

وقد جاء في جريدة الأهرام ٢/ ١٢/ ١٩٨٥م أن وزيرة الشئون الاجتماعية تدشن اليوم في فندق شيراتون القاهرة أحدث ناد لسيدات الليونز ويحمل رقم ١٩ في قائمة نوادي الليونز سيدات ورجال.

بالرغم من أنه كانت للماسونية محافل وجمعيات في مصر صدر قرار وزارة الشئون الاجتماعية بحلها في ١٨/ ٤/ ١٩٦٤م.

٢ - الروتاري :

هو أحد أندية الماسونية، يقول الصحفي التركي (شهاب خان) كما جاء في كتاب (في زنزانات إسرائيل): ولكن المحافل الماسونية غيرت اسم بعضها إلى جمعيات الروتاري بعد أن عُرفت أسرارها وأهدافها.

وقد حذر الفاتيكان من خطر هذه الأندية، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى في ٢٠ من كانون أول عام ١٩٥٠م قرر فيه الكرادلة ما يأتي:

دفاعاً عن العقيدة والفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنوادي الروتاري، وعدم الاشتراك في اجتماعاتها[١].

الحكم : يقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر السابق - : إن أقل ما يقال في الروتاري وأمثاله أنها تشكيلات تحوم حولها الشبهة لما يأتي:

١ - أن المؤسسين الأول يهود.

---

(١) انظر : بيان للناس، للشيخ جاد الحق جـ٢، ص ٤٢ .

٢ ـ فطن أباء المسيحية لخطرها ، فقد خطب (تشيسترون) في حفل أقيم عام ١٩٣١م في نيويورك فقال: «إن شيئاً غير أخلاقي يهيمن على منظمة الروتاري وعلى علاقات أفرادها».

٣ ـ جاء في جريدة الشهاب بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٦٤م أن أول مؤتمر ماسوني روتاري عقد في (رامات غان) بفلسطين المحتلة وامتدحوا فيه إسرائيل.

وأقول: إن المجتمع الإنساني الفاضل لابد وأن يعمل على إزالة هذه الجمعيات والنوادي ـ ماسوني وروتاري ـ وغيرها؛ لأن أغراضهم الثلاثة التي وضعوها (المحافظة على اليهودية ـ محاربة الأديان كلها ـ بث روح الإباحية والإلحاد ـ هذه الأغراض تكفي أن تكون أسباباً لإزالتها ومحوها من حياة المجتمع الإنساني[1].

٣ـ الوجودية :

مذهب أو اتجاه فكري يعني بالبحث في الوجود الإنساني ويصورها (ريجيس جوليفيية) في كتابه (مذاهب الوجودية) بأنها: اعتقاد أن أساس وجود الإنسان هو ما يفعله بمعنى أن أفعاله هي التي تحدد وجوده كما قال سارتر: أنا موجود فانا أفكر، على عكس ما قال ديكارت: «أنا أفكر فأنا موجود»، وقد اهتم به كثير من الفلاسفة والأدباء المتصوفون وغيرهم من قديم الزمان.

مبادئهم وصفاتهم :

١ ـ الوجوديون يؤمنون بأن التجربة الفردية هي أساس المعرفة وليس العقل.

٢ ـ تقديس الحرية الشخصية فكراً وسلوكاً فكثر فيهم الشذوذ والتطرف والآراء الغريبة والإنسان صانع وجوده بنفسه.

٣ ـ تقوم الوجودية على إنكار وجود الله وبالتالي إنكار الحياة بعد الموت ـ والإنسان بقدرته يمكن أن يغير أي حال إلى حال آخر الأمر الذي جعلهم يعيشون في القلق والتشاؤم والاهتمام بالذات وانتهاز الفرص التي ربما لاتُتاح بعد.

---

(١) أما عن العلمانية فقد أفردت لها الحديث مفصلاً في فقه القضايا المعاصرة .

الحكم : هذا الفكر يخالف الإسلام جملة وتفصيلاً: فالإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة والحرية الشخصية ليست مطلقة ولكن لها ضوابط في السلوك والمحافظة على حقوق الآخرين.

ثم يقول (فولكيية) في كتابه (هذه هي الوجودية): إن غموض شخصيات اعتنقوا هذا المذهب جعل تعبيراتهم غامضة وليس من السهل فهمها أو تحديد المعاني المرادة منها، ولذلك اعترض على سارتر بهذا الغموض قال (لا عجب في عدم فهم ما كُتب؛ لأن الواقع مُحال ولا يدركه الفهم) أمثل هؤلاء يتخذون زعماء؟[١].

٤ ـ الشيوعية [٢]:

هي لون من ألوان الاشتراكية، ولقد نادى الراهب (ميزليه) بنزع الملكية الخاصة، وكذا أتباع (توما الإكويني) المتوفي عام ١٢٧٢م ثم كان من أعظم الاشتراكيين المحدثين (كارل ماركس) المتوفي عام ١٨٨٢م وجاء عنه في موسوعة المعرفة (ص ٦٠٨): أنه من أسرة يهودية متوسطة، تحول أبوه المحلى إلى المسيحية عام ١٨٢٤م، وعُمدت أسرته كلها طبقاً للبروتستانتية، درس القانون والتاريخ والفلسفة في جامعات بون وبرلين، ونال الدكتوراه عام ١٨٤١م في الفلسفة.

مبادئ الشيوعية: تقوم على مبادئ تتصل بالدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع، ومن أهمها:

١ ـ الكفر بالأديان ومكافحة سلطان الكنيسة بالذات، لقد كفر ماركس بالله بالرغم من أن أصله يهودي انتقلت أسرته إلى المسيحية وقال (لينين) في مؤتمر الشباب الشيوعي المنعقد في ٢/ ١٠/ ١٩٣٠م إننا معشر الشيوعيين لا نستمد قوانين الأخلاق والسلوك الاجتماعي من أوامر الدين؛ لأننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب التي تنفصل عن المجتمع البشري ونرى أنها خداع وتضليل، وطالب الزعيم السوفيتي (جوربا تشوف) بشن حملة لا هوادة فيها ضد الدين في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية بوسط أسيا كما يحدث في الشيشان وغيرها.

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) تحدثنا عنها في النظام الاقتصادي، وذلك من الزاوية الاقتصادية.

٢ ـ يقول ماركس : «إن الدين هو آفة الإنسان المقهور ، وإن الدين أيضاً هو أفيون الشعوب» ، وكان الأفيون معروفاً في ألمانيا حينذاك بأنه قاتل للألم ، ومن أجل الإعداد للثورة يجب إزاحة التأثير المخدر للدين ، وترك الطبقة العاملة تعاني حتىٰ يصل الألم إلىٰ درجة لا يمكن احتمالها وحينئذ سيأتي الشفاء علىٰ يد الشيوعية ، فالقضاء علىٰ الدين هو الشرط الأول لسعادة الشعب ، وعلىٰ هذا النهج سار لينين(١) .

الواقع : بدأ تغيير في تعليم الملحدين في عهد جوربا تشوف فظهر في الصحف رسائل تقول : «إن لم تكف السلطات السوفيتية عن محاربة الدين ، فإن إدمان الخمور لن يتوقف» ، «أصبحت الفودكا هي المهرب من المعاناة وذلك يهدد الإنتاج ويهدد الأسر بالانهيار» ، «لقد أصبحت الشيوعية هي الإله الذي فشل في توفير الخبز لعباده»(٢) .

الحكم : الإسلام يرفض الشيوعية جملة وتفصيلاً ، وعلىٰ الشعوب الواعية أن ترفض هذه المبادئ الهدامة ، والحمد لله فقد بدأت الشيوعية في الانهيار والتفكك فهي إلىٰ زوال فلقد تنكرت للخالق فلا بقاء لها علىٰ أرضه ، قال تعالىٰ : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (المجادلة : ٢١) ، ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء : ٢٢٧) .

حقائق حول قضية الفرق :

١ ـ لأي منهج في كل زمان ومكان تجد غلاة فيه ، ففي السنة تجد غلاة ، وفي الشيعة تجد غلاة ، حتىٰ في اليهودية التي هي قمة الغلو والتطرف تجد فيها غلاة ويُلاحظ الآتي :

أ ـ الغلاة تجدهم قلة .

ب ـ تعميم الحكم في الفرقة كلها وهذا خطأ جسيم .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

جـ ـ التركيز في الحديث عن الفرقة على غلاتها وهذا خطأ أيضاً فمثلاً عند الحديث عن الشيعة تُركز على غُلاتها ونعمم الحكم عليهم جميعاً وكذلك في السنة .

٢ ـ يحاول أنصار التفريق الزج بالإسلام لخدمة أغراض دنيئة وحقيرة وذلك للإساءة إليه ، وإظهار المسلمين فرقاً متناحرة ، إما على الحكم أو المال أو النساء .

٣ ـ الاستعمار سواء الفكري منه أو الاحتلال العسكري يركز دائماً على أمور الفرقة والخلاف ويشعل فتيل النار لتزداد الخلافات لمبدأ عنده وهو (فَرِّق تَسُد) .

٤ ـ الفرق سواء المسلمين أو غير المسلمين وسواء عن قصد أو غير قصد كلها تهدف إلى هدف واحد وهو إضعاف الأمة الإسلامية تمهيداً إلى القضاء عليها تماماً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران : ١٠٥) .

٥ ـ عدم فهم كثير من المسلمين لطبيعة الخطط التي تحاك ضدهم ، وعدم اتخاذهم العدو عدواً والصديق صديقاً ، بل اتخذوا العدو صديقاً ، وقد قال الله لهم : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (المائدة : ٨٢) .

واتخذوا المسلم الجار عدواً مبيناً .

٦ ـ دأب بعض المسلمين على إثارة الخلافات التي لا طائل من ورائها ولا ثمرة منها ، ولكن لشغل المسلمين عن دينهم ، وتقاتلت الأمة وتفرقت لا لشيء ولا لعائد يعود عليها بالنفع ، ورحم الله **الأستاذ حسن البنا** حين قال : «كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من المراء الذي نُهِينَا عنه شرعاً» .

ولذلك تظهر في سماء الأمة الملبدة بالغيوم من حين لآخر هذه الغيوم الداكنة التي تحوم حولها الشبهات ومنها في هذه الأيام :

أ ـ ما أثاره مفتي مصر(١)، فتوىٰ تؤكد علىٰ التبرك بشرب بول النبي ﷺ، وأصر علىٰ هذه الفتوىٰ بل ووصف النبي بأنه مثل (السوبر مان) وأن جسده ليس كأجساد البشر، وكذلك فضلاته، وتصدىٰ له مجمع البحوث الإسلامية(٢)، وقالوا: إنه لم يرد عن الرسول ﷺ أمر بشرب بوله، أو حديث في أي كتب السنة النبوية الصحيحة ما يفيد أن البول طاهر وغير نجس، بل إنه ﷺ كان يستنجي من بوله بالماء.

وقالوا: إن واقعة شرب بول النبي غير واردة في مجال التكليف الشرعي، وإن إثارتها من المهاترة التي تسيء للإسلام، وتفرقت الأمة بين مؤيد ومعارض.

ب ـ مسألة اين ابوى النبي في الجنة ام في النار؟ أثارها علماء نجد للأسف كما يقول الشيخ يوسف بن السيد هاشم الرفاعي: تركتم المجال فيها للجزائري وصهره وأضرابه ينادي بأعلىٰ صوته بجوار المصطفىٰ ﷺ: «أن أبوي النبي ﷺ في النار، أبوي النبي ﷺ في النار، يكررها، ويرفع بها عقيرته»(٣).

ولقد أخذت هذه المسألة جهد من شباب الأمة ضاع بلا فائدة سواء الشباب الذي يثير هذه المسألة أو الشباب الذي يدافع ويتصدىٰ الكل أهدر وقته وجهده وامتلأت قلوب الفريقين بالأحقاد والشحناء والبغضاء.

وما النتيجة ؟ لا شيء يعود بالنفع، ولكن الذي وجدناه هو الفرقة والضعف والوقوع تحت أقدام أعدائنا يدوسوننا ويركلوننا بأحذيتهم، والمفروض والطبيعي أن مكاننا هو قيادة وريادة المجتمع الإنساني كله، وما أجمل هتاف د. القرضاوي:

يا أمتي وجب الكفاح فدعي التشدق والصياح

وأقول: أمتي لملمي الشمل وانبذي الفرقة والخلاف، واتحِدي فلا مكان علىٰ هذا الكوكب للضعفاء والفرقاء الخصماء.

---

(١) إنه الشيخ علي جمعة.

(٢) من هؤلاء: د. أحمد عمر هاشم، د. عبد الله النجار، د. عبد الرحمن العدوي، وغيرهم وكان هذا الرد في جريدة الجمهورية ٨/ ٦/ ٢٠٠٧م.

(٣) راجع كتاب نصيحة إلىٰ إخواننا علماء نجد، ص ٧٣، وانظر: لإزالة هذه الشبهة عن أبوي النبي ﷺ، مجموع تسع رسائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في نجاة والدي المصطفىٰ، فإنها أحسن ما كتب في هذا الباب وهي مطبوعة مجموعة ومفرقة.

١١ ـ المهدي المنتظر

ذهب الناس مذاهب شتى في موضوع المهدي المنتظر ، وظهرت أقوال كثيرة في ذلك منها :

١ ـ أن المهدي هو عيسى بن مريم، للحديث الضعيف الذي رواه ابن ماجة : **«لا مهدي إلا عيسى بن مريم»** .

٢ ـ أن المهدي رجل من آل البيت، من ولد الحسن بن علي، يخرج آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً ، وقد ورد أيضاً في ذلك أحاديث ضعيفة كما في رواية أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة : **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلاً من أهل البيت يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»** .

٣ ـ إن المهدي هو عمر بن عبد العزيز للأحاديث الضعيفة التي رويت أيضاً أن المهدي تولى الخلافة في الدولة العباسية في القرن الثاني الهجري .

٤ ـ أن المهدي عند الشيعة الإمامية هو محمد بن الحسن العسكري، المنتظر من ولد الحسين، ودخل سرداب في (سامرا)، وقيل في مدينة تدعى (جابلقا) وهي مدينة وهمية ليس لها وجود، وزعم أحمد الإحسائي (الممهد للبهائية أنه في السماء وليس في الأرض) .

هذه صور من أفكار المسلمين عن المهدي، وفي بعضها يصعب تعقله ولا يجوز ان نبني العقائد على مثل هذه القواعد غير الثابتة.

لقد استغل كثير من الناس قضية المهدي فتكونت دول وظهرت شخصيات على مسرح التاريخ، وقامت دعوات تتمسح بها، وكلٌ يدَّعي أن آخر الزمان المقصود في الكلام عنه هو زمانه الذي كثر فيه الظلم، وكل زمان لا يخلو من ذلك كما يتصوره بعض الناس .

لقد استغلها الفاطميون وأقاموا دولتهم أولاً بالمغرب، ثم انتقلت إلىٰ مصر واتسع نطاقها، استغلها (ابن تومرت) فأسس دولة الموحدين بني عبد المؤمن، وفي أيام الدولة المرينية بفاس قام رجل اسمه (التوبرزي) مدعياً أنه المهدي أيضاً، كما ادعاها مغربي من طرابلس قابل نابليون بين دمنهور ورشيد، وقيل إن المهدي صاحب ثورة السودان كان أتباعه يطلقون عليه المهدي المنتظر.

يقول القلقشندي في ادعاء الشيعة الإمامية لوجود المهدي: إنهم يقفون عند باب السرداب ببغلة ملجمة من الغروب إلىٰ مغيب الشفق، وينادونه ليخرج حتىٰ يقضي علىٰ الظلم الذي عم البلاد.

ويروي ياقوت أنهم كانوا في (كاشان) من بلاد الفرس يركبون كل صباح للقائه، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري، ويروي مثل ذلك ابن بطوطة.

والكيسانية يدعون أنه (محمد بن الحنفية)، وكان من العادات في زمن ملوك الصفوية في فارس إعداد فرسين مسرجين دائماً في القصر لاستقبال المهدي وعيسىٰ.

وهذا يشبه عمل المتوسمين من الإفرنج في القدس الذين ينتظرون مجيء المسيح يوم الدينونة.

يقول (هوارث) الفرنسي في تاريخ العرب: إن **إنكليزيا** ذهب إلىٰ بيت المقدس وأقام بالوادي الذي ستكون فيه الدينونة، وفي كل صباح يقرع الطبل منتظراً للحشر.

وجاءت **امرأة إنكليزية** إلىٰ القدس وكانت تعد الشاي كل يوم لتحيي به المسيح عند ظهوره.

ويقول (لا مرتين) عند زيارته لجبل لبنان: إنه رأىٰ في قرية (جون) السيدة (استير ستاتهوب) بنت أخي (بيت) الوزير الإنكليزي الشهير، فرأىٰ عندها فرساً مسرجاً زعمت أنها تعده ليركبه المسيح.

إن ظهور المهدي ليس له دليل صريح في القرآن الكريم، وقد رأىٰ **ابن خلدون** عدم ظهوره، كما جاء في الفصل الذي عقده في مقدمته خاصاً بذلك.

والشوكاني ألّف كتاباً سماه: «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح»، جاء فيه أن الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة.

ومهما يكن من شيء فإن ظهوره ليس ممنوعا عقلاً، ولم يثبت استحالته بدليل قاطع، كما أن أدلة ظهوره لم تسلم من المناقشة والعقائد لا تثبت بمثل هذه الأدلة على ما رآه المحققون، فمن أثبت فهو حر فيما يرى، لكن لا يجوز أن يفرض رأيه على غيره، ومن نفى لم يخرج من الإيمان إلى الكفر.

وأولى لنا أن نتنافس في أمر عملي يعيد لنا قوتنا الأولى، أو على الأقل يخلص المسلمين من الوضع الذي هم فيه الآن، والعقائد الأساسية واضحة وأدلتها موفورة[1].

وأقول: إن الأمر في موضوع المهدي من قبيل الإخبار، وليس الإلزام، بدليل أن السنة لم تعاقب من لم يلتزم المهدي أو عيسى أو وضعت حكماً على المخالف.

ولو كان من قبيل الإلزام لورد في ذلك نصوص قرآنية لتعرف بها أمارات هذا الغيب الأمر الذي جعل بحيراً الراهب ينظر بين كتفي النبي ليرى خاتم النبوة، فهذه عقيدة لابد وأن تُبنى على أدلة قطعية.

(١) بيان للناس، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر السابق، ص ٣٠، ٣١.

١٢ ـ أحكام التأمين [١]

تحدثت الشريعة الإسلامية عن الأمن والتأمين ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وقال أيضاً : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢].

وقال ﷺ أيضاً: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»[٣].

ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه أمر خازن بيت المال بفرض معونة دورية ليهودي محتاج بما كيفيه ويغنيه عن السؤال قائلاً: «إنه من مساكين أهل الكتاب».

---

(١) هذه المادة اقتبسناها من نظم التأمين المعاصرة في ميزان الشريعة ، أ. د. حسين شحاته ـ جامعة الأزهر ، وخبير المعاملات المالية الشرعية ، طبعة دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٥م .

(٢) البخاري، أدب ٢٧ ، ومسلم، بر ٦٦ .

(٣) رواه مسلم، لقطة ١٨ .

أولاً: التأمين على الحياة :

تقوم فكرة التأمين على الحياة بأن يتفق شخص ما مع شركة تأمين بأن يدفع لها أقساطاً دورية على أن تدفع له عند بلوغه سناً معينة أو عند الوفاة أو لورثته أو لشخص معين مبلغاً متفق عليه مسبقاً، وأحياناً يكون دفع مبلغ التأمين في صورة راتب أو إيراد شهري حسب الاتفاق.

أنواع نظم التأمين على الحياة :

١ ـ التأمين لحالة الوفاة: حيث يصرف قيمة التأمين إلى الورثة أو شخص بعينه بعد الوفاة.

٢ ـ التأمين عند الوصول سناً معينة (سن المعاش): حيث يحصل المستأمن على مبلغ من المال دفعة واحدة أو على صورة إيراد شهري.

٣ ـ التأمين لحالة الوفاة وحالة سن المعاش معاً: حيث يحصل المستأمن على إيراد شهري إذا وصل إلى سن المعاش ومبلغ آخر لورثته عند الوفاة.

الحكم الفقهي لنظم التأمين على الحياة :

لقد تناول الفقهاء عقود التأمين على الحياة، وصدرت العديد من الفتاوى من الأفراد ومن مجامع الفقه على النحو التالي:

يرى **شيخ الأزهر السابق: جاد الحق علي جاد الحق ـ رحمه الله ـ** أن التأمين على الحياة حرام؛ لأن هذه الشركة في الواقع شركة لضمان الأنفس وهو ما لا يجوز الضمان فيه شرعاً وعقد التأمين هذا غرر ومخاطرة ومقامرة ومراهنة وبهذا تكون من العقود الفاسدة للحديث: «**والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً، أو أحل حراماً**»(١).

ويرى **د. محمد سليمان الأشقر** أن عقد التأمين على الحياة يشمل: الغرر الكبير، وربا الفضل، وربا النسيئة.

---

(١) رواه البخاري، إجارة ١٤ .

وفي **المؤتمر السابع** لمجمع البحوث الإسلامية قدم **الدكتور عبد الرحمن تاج** بحثاً بعنوان : شركات التأمين من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ، ولقد انتهى البحث على عدم مشروعية التأمين بنوعية على الحياة وعلى الأموال[١] .

وذكر **الشيخ السنهوري** أن التأمين التعاوني هو خير بديل شرعي لنظام التأمين الحالي ، والتأمين على الحياة يكاد يكون الإجماع على أنه غير جائز شرعاً[٢] .

ويضاف إلى كلام الفقهاء الأجلاء : أن التأمين على الحياة يتجاهل حقائق إيجابية تتعلق بإيمان الفرد بأنه لا يعلم الغيب ولا يعلم ماذا يكسب غداً ، ولا يعلم بأي أرض يموت ، وأن مبلغ التأمين الذي سوف يحصل عليه الورثة أو شخص معين لا يضمن الحياة الكريمة لهم ، والمسألة لا تعدو إلا استثماراً ربوياً لما بعد الموت .

يقوم هذا النظام على أن يدفع كل من صاحب العمل والعامل نسبة مئوية من الأجر يورد إلى جهة حكومية يطلق عليها هيئة أو مؤسسة التأمينات الاجتماعية وتقوم هذه الجهة باستثماره وتلتزم بسداد معاش منتظم للمستأمن عند بلوغه سناً معينة أو لورثته بعد موته بشروط معينة .

ويعتبر هذا النظام من نظم الدولة وهي مسئولة في كل الأحوال عن رعاية الأفراد وتأمين معيشة طيبة لهم عند العجز أو التقاعد أو البطالة أو للورثة بعد الموت .

ثانياً : أنواع نظم التأمينات الاجتماعية :

هناك أنواع مختلفة من التأمينات الاجتماعية من أهمها :

١ ـ نظام المعاشات الحكومية .

٢ ـ نظام التأمينات عند البطالة .

٣ ـ نظام التأمين الصحي .

---

(١) المعاملات المالية المعاصرة ، د . السالوس ، ص ٣٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

٤ ـ نظام التأمين من العجز الكلي أو الجزئي.

ولكل نوع من هذه الأنواع أسس وإجراءات معينة، كما أنها تختلف من دولة إلىٰ دولة، ومن زمان إلىٰ زمان، وفي كل الأحوال فهي جميعاً من نظم الدولة الجائزة شرعاً علىٰ النحو الذي سوف نوضحه فيما بعد.

الحكم الفقهي لنظم التأمينات الاجتماعية:

يرىٰ الفقهاء أن هذا النظام ليس فيه حرج شرعي علىٰ أصحاب الأعمال أو العمال، ولكن الحرج يقع علىٰ الحكومة وحدها في حالة استثمار حصيلة الاشتراكات في مجالات لا تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ويجب علىٰ الحكومة أن تفرق بين الأغنياء والفقراء عند سداد المعاش أو غيره من الامتيازات، وتأخذ في الحسبان تكلفة الحاجات الأصيلة التي يحتاجها الإنسان، ولا تعتمد علىٰ أجر أو طول المدة عند حساب المعاشات.

ولقد صدر بشأن التأمينات الاجتماعية العديد من الفتاوىٰ من بينها فتوىٰ مجمع البحوث الإسلامية ـ المؤتمر الثاني، مايو ١٩٦٥م، حيث ورد بها (نظام المعاشات الحكومي) وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع في بعض الدول، ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع في دول أخرىٰ كل هذا من الأعمال الجائزة(١).

ثالثاً: فكرة التأمين التعاوني:

يقوم نظام التأمين علىٰ فكرة التعاون بين مجموعة من الأفراد الذين يكونون جمعية (مؤسسة ـ هيئة) حيث يتحملون جميعاً مخاطر الكوارث والتعويض عنها عن طريق توزيع ذلك التعويض بينهم بما يخفف من آثاره وعبئه علىٰ الفرد.

ويعتبر عقد التأمين التعاوني من عقود التبرع، حيث ما يدفعه الفرد من اشتراكات يعتبر تبرعاً منه لأخيه عضو الجماعة التأمينية الذي أصابته الكارثة أو المصيبة أو الحادثة.

---

(١) مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ١٥٠ ، جماد الأولىٰ ١٤١٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٩٢، ص٣٤.

ويدير شئون مؤسسة أو هيئة التأمين التعاوني مجلس إدارة بمثابة الوسيط بين أعضاء الجماعة التأمينية ونائب عنهم، ويحصل على أجر أو مكافأة نظير قيامه بهذا العمل، وقد يقوم به مجاناً.

أسس التأمين التعاوني :

يقوم التأمين التعاوني على مجموعة من الأسس من أهمها ما يلي :

١ - **التبرع :** ما يدفعه الفرد من اشتراكات يعتبر تبرعاً عن طيب خاطر إلى من تصيبهم الحوادث والكوارث.

٢ - **الهدف خدمة الأعضاء :** ليس من أهداف التأمين التعاوني تحقيق الأرباح أو المتاجرة بالعملية التأمينية ولكن التعاون لخدمة الأعضاء.

٣ - **العضوية المفتوحة :** من حق كل فرد أن ينضم إلى الجماعة التأمينية متى التزم بالنظم واللوائح بصرف النظر عن عقيدته أو جنسيته أو وضعه الاجتماعي.

٤ - **فائض عمليات التأمين :** إذا حدث فائض في العملية التأمينية خلال فترة معينة يعاد توزيعه على الأعضاء وفق أسس ولوائح معينة.

٥ - **الإدارة من الأعضاء :** يتولى إدارة التأمين التعاوني مجموعة منتخبة من الأعضاء تعمل طبقاً لمجموعة من النظم واللوائح بهدف خدمة كافة الأعضاء.

أنواع نظم التأمين التعاوني :

من أهم صور التأمين التعاوني المعاصرة ما يلي :

أولاً : صناديق التأمين الخاصة :

يتفق مجموعة من الأفراد يعملون في مكان معين أو ينتمون إلى نقابة أو مهنة أو حرفة بأن يدفع كل منهم اشتراكات دورية، وتودع هذه الأموال في صندوق خاص ليدفع منه تعويضات لمن تصيبه كارثة أو حادثة تعجزه عن الكسب أو عند

الوفاة أو عند الوصول إلى سن التعاقد، ويستثمر فائض أموال هذا الصندوق لمصلحة المجموع ومن أمثلة ذلك: صندوق التأمين الخاص بالجيش والبوليس أو في الهيئات والشركات والنقابات وما في حكم ذلك.

ثانياً: صناديق التكافل الاجتماعي:

لا تختلف هذه الصناديق عن صناديق التأمين الخاصة إلا من حيث التسمية، حيث ما يدفعه الفرد يكون بنية التبرع، وتستثمر فوائض أموال الصندوق بالصيغ الإسلامية، وأحياناً يكون له رقابة شرعية للاطمئنان على أن سائر أعماله تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، ومن أمثلة هذه الصناديق: صناديق التكافل الاجتماعي في النقابات المهنية، وصناديق التكافل الاجتماعي في الجامعات.

ثالثاً: التأمين التكافلي الإسلامي على الحياة:

لقد ناقش الفقهاء أسس وضوابط التأمين التعاوني الإسلامي على الأشياء على التأمين على الحياة وخلصوا بإجازته؛ لأنه فرع من الأصل، ولقد أعد الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان بحثاً خلص منه إلى الآتي[1]:

التأمين التكافلي على الحياة بصفة خاصة، والتأمين التكافلي على الأشخاص بصفة عامة، نوع من أنواع التأمين الإسلامي، شأنه في ذلك شأن التأمين على الأشخاص أو التأمين من الأضرار كما يطلق عليه البعض، ولذا فإن أسس وشروط التأمين الإسلامي يجب توافرها في هذا النوع من التأمين، وتترتب على عقوده نفس أحكام التأمين على الأشياء في الجملة، ويفترق عنه في بعض الأحكام التي تقتضيها طبيعته الخاصة، ذلك أن الضرر الذي يترتب على تحقق الخطر المؤمن منه في التأمين على الأشياء ضرر مادي يمكن قياسه وتقديره بالمال كما يسهل إثباته، فكان التعويض فيه عن الضرر الفعلي في حدود مبلغ التأمين المتفق عليه في وثيقة التأمين، والذي كان محل اعتبار عند تحديد القسط، مع عناصر أخرى.

---

(١) د. حسين حامد حسان، التأمين التكافلي على الحياة وتطبيق أسس التأمين الإسلامي عليه، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ٢٣٥ و ٢٣٦ .

وأما الضرر المترتب على وقوع حادث الوفاة أو العجز أو فقد الأعضاء، وغير ذلك مما يدخل في التأمين على الأشخاص عموماً والتأمين على الحياة خصوصاً فهو ضرر معنوي نفسي يتعذر قياسه وتقديره مادياً بل ويصعب إثباته ولذلك كان التعويض فيه هو مبلغ التأمين الذي أخذ في الاعتبار عند تحديد القسط لتعذر تقدير الضرر الفعلي وإثباته في حالة حدوث الوفاة أو فقد الأعضاء أو العجز الكلي أو الجزئي.

ولذلك نرى أن التأمين على الأشخاص والتأمين على الحياة نوع منه، يخضع لنفس الأسس ويرتب نفس الأحكام التي تترتب على التأمين على الأشياء، فهو تعويض عن الضرر الذي يترتب على تحقق الخطر المؤمن منه في التأمين على الأشخاص، وأما تطبيق هذا الأسس أو تحقيق مناطه في النوعين فيختلف نظراً لطبيعة الضرر الذي يطلب التعويض عنه.

الحكم الفقهي لنظم التأمين التعاوني :

لقد تناول الفقهاء المعاصرون نظم التأمين التعاوني بالدراسة والبحث، ولقد صدر في هذا الصدد قرار المجمع الإسلامي عام ١٣٩٨ هـ بجواز التأمين التعاوني للأدلة الآتية :

١ ـ أن التأمين التعاوني من عقود التبرع : التي يقصد بها أصالة التعاون على تفتيت الأخطار والاشتراك في تحمل المسئولية عند نزول الكوارث، وذلك عن طريق إسهام أشخاص بمبالغ نقدية تخصص لتعويض من يصيبه الضرر، فجماعة التأمين التعاوني لا يستهدفون تجارة ولا ربحا من أموال غيرهم، وإنما يقصدون توزيع الأخطار بينهم والتعاون على تحمل الضرر الذي يصيب أحدهم.

٢ ـ خلو التأمين من الربا بنوعيه، ربا الفضل وربا النسيئة، فليست عقود المساهمين ربوية، ولا يستثمرون ما جمع من الأقساط في معاملات ربوية.

٣ ـ أنه لا يضر جهل المساهمين في التأمين التعاوني بتحديد ما يعود عليهم من النفع؛ لأنهم متبرعون فلا مخاطرة ولا غرر ولا مقامرة.

٤ ـ قيام جماعة من المساهمين أو من يمثلهم باستثمار ما جمع من الأقساط لتحقيق الغرض الذي من أجله أنشئ هذا التعاون، سواء كان ذلك تبرعاً أو مقابل أجر معين، ويجب أن يكون الاستثمار وفقا لصيغ الاستثمار الإسلامي.

الحكم الفقهي لشركات التأمين التعاوني:

لقد رأى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي جواز أن يكون التأمين التعاوني على شكل شركة تأمين تعاونية مختلطة للأمور الآتية:

١ ـ الالتزام بالفكر الاقتصادي الإسلامي، الذي يترك للأفراد مسئولية القيام بمختلف المشروعات الاقتصادية، ولا يأتي دور الدولة إلا كعنصر مكمل لما عجز الأفراد عن القيام به وكدور موجه ورقيب لضمان نجاح المشروعات وسلامة عملياتها.

٢ ـ الالتزام بالفكر التعاوني التأميني الذي بمقتضاه يستقل المتعاونون بالمشروع كله، من حيث تشغيله، ومن حيث الجهاز التنفيذي ومسئولية إدارة المشروع.

٣ ـ تدريب الأهالي على مباشرة التأمين التعاوني وإيجاد المبادرات الفردية والاستفادة من البواعث الشخصية، فلا شك أن مشاركة الأهالي في الإدارة تجعلهم أكثر حرصاً ويقظة على تجنب وقوع المخاطر التي يدفعون مجتمعين تكلفة تعويضها، مما يحقق بالتالي مصلحة لهم في إنجاح التأمين التعاوني، إذ أن تجنب المخاطر يعود عليهم بأقساط أقل في المستقبل، كما أن وقوعها قد يحملهم أقساطاً أكبر في المستقبل.

٤ ـ إن صورة الشركة المختلطة لا تجعل التأمين كما لو كان هبة أو منحة من الدولة للمستفيدين منه، بل مشاركة منها معهم فقط لحمايتهم ومساندتهم، باعتبارهم أصحاب المصلحة الفعلية، وهذا موقف أكثر إيجابية، ليشعر معه المتعاونون بدور الدولة، ولا يعفيهم في نفس الوقت من المسئولية.

ويرى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي أن يراعى في وضع المواد التفصيلية للعمل بالتأمين التعاوني في صورة منظمة أو شركة الأسس التالية:

١ ـ أن يكون لمنظمة (شركة) التأمين التعاوني مركز له فروعه في كافة المدن، وأن يكون بالمنظمة أقسام تتوزع بحسب الأخطار المراد تغطيتها، وبحسب مختلف فئات ومهن المتعاونين، كأن يكون هناك قسم للتأمين الصحي، وثان للتأمين ضد العجز والشيخوخة، أو يكون هناك قسم لتأمين الباعة المتجولين، وآخر للتجار، وثالث للطلبة، ورابع لأصحاب المهن الحرة كالمهندسين والأطباء والمحامين، وهكذا.

٢ ـ أن تكون منظمة (الشركة) التأمين التعاوني على درجة كبيرة من المرونة، والبعد عن الأساليب المعقدة.

٣ ـ أن يكون للمنظمة (للشركة) مجلس أعلى يقرر خطط العمل، ويقترح ما يلزمها من لوائح وقرارات، تكون نافذة إذا اتفقت مع قواعد الشريعة.

٤ ـ يمثل الحكومة في هذا المجلس من تختاره من الأعضاء، ويمثل المساهمين من يختارونه، ليكونوا أعضاء في المجلس ليساعد ذلك على إشراف الحكومة عليها، واطمئنانها على سلامة سيرها، وحفظها من التلاعب والفشل.

٥ ـ إذا تجاوزت المخاطر موارد الصندوق بما قد يستلزم زيادة الأقساط فتقوم الدولة والمشتركون بتحمل هذه الزيادة.

ويؤيد مجلس المجمع الفقهي ما اقترحه مجلس هيئة كبار العلماء في إقراره المذكور بأن يتولى وضع المواد التفصيلية لهذه الشركة التعاونية جماعة من الخبراء في هذا الشأن.

الضوابط الشرعية لنظم التأمين التعاوني:

حتى يكون نظام التأمين التعاوني مطابقا لمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية سواء قامت به شركات أو هيئات أو منظمات أو صناديق تأمين خاصة أو صناديق تكافل اجتماعي، ويجب أن يُلتزم بالضوابط الشرعية الآتية:

١ ـ أن تكون نية التبرع عن طيب خاطر قائمة لمن يدفع الاشتراكات وليست المسألة مبادلة اشتراكات مدفوعة بنية تعويضات مقبوضة.

٢ ـ الاستثمار الشرعي لفائض أموال المشتركين بعيدا عن كل صيغ الربا والخبائث .

٣ ـ ترشيد النفقات وتجنب كل صيغ الإسراف والتبذير والضياع .

٤ ـ يوزع فائض العمليات التأمينية على الأعضاء بالحق وفقا للوائح والقواعد المعتمدة .

٥ ـ يؤخذ في الحسبان الحالة الاجتماعية لمن يصرف لهم التعويض قدر الاستطاعة من باب الفضل .

رابعاً : فكرة نظام التأمين الصحي :

يقوم نظام التأمين الصحي بصفة عامة على فكرة التعاوني بين مجموعة من الأفراد الذين يُكونون مؤسسة أو هيئة أو نقابة ، بأن يدفع كل منهم مبلغاً من المال سنوياً على أن يعالج إذا أصابه مرض بضوابط معينة ، ويعتبر المبلغ المدفوع مساهمة تعاونية منه إلى الآخرين إذا عافاه الله .

ويدير شئون التأمين الصحي مؤسسة لها مجلس إدارة ونظم ولوائح عمل معتمدة من السلطات الحكومية ، ومن أهم مسئولياتها تجميع الاشتراكات ودفع تكاليف العلاج .

أسس نظام التأمين الصحي :

لا تختلف أسس نظم التأمين عن أسس التأمين التعاون السابق بيانها ، ولكن موضوع التأمين هو سداد تكاليف العلاج ، أو نسبة مئوية منه حسب النظم واللوائح المعتمدة .

الحكم الفقهي لنظم التأمين الصحي :

هناك نظم مختلفة للتأمين الصحي ، من أكثرها شيوعاً ما يلي :

١ ـ نظام التأمين الصحي الحكومي : حيث يقوم الموظف بدفع نسبة مئوية من راتبه نظير التمتع بقيام الدولة بسداد تكاليف العلاج أو نسبة منه ، وهذا جائز شرعاً حيث يمثل نظام دولة ، ويأخذ حكم نظام التأمينات الاجتماعية والمعاشات .

٢ ـ نظام التأمين الصحي الذي تقوم به الشركات وما في حكمهما على العاملين بها ، وهو لا يختلف عن نظام التأمين الصحي الحكومي ، ويأخذ حكمه الشرعي وهو جائز شرعاً .

٣ ـ نظام التأمين الصحي الذي تقوم به النقابات والجمعيات الخيرية والاجتماعية وما في حكمها ، وهو لا يختلف عن سابقيه ، وهو جائز شرعاً .

٤ ـ نظام التأمين الصحي الذي تقوم به شركات تأمين صحي متخصصة بهدف الربح مثل شركات التأمين التجاري وشركات التأمين على الحياة السابق بيانها ، ويأخذ حكمها الشرعي السابق بيانه حيث إن هذا العقد يتضمن ربا وغررا وجهالة ، ولم تجزه مجامع الفقه إلا إذا كان قائماً على صيغة التعاون التكافلي على النحو الوارد في بند (٣) بعالية .

وخلاصة الحكم الشرعي :

أن نظام التأمين الصحي الذي تقوم به الحكومة والشركات التي تؤمن على عمالها ، وكذلك نظام التأمين الصحي التعاوني الذي تقوم به النقابات والنوادي والجمعيات جائز شرعاً ، أما التأمين الذي تقوم به شركات التأمين الصحي المتخصصة بهدف الربح فإنه غير جائز ، حيث يتضمن العقد : ربا ، وغرراً ، وجهالة . . . ونحو ذلك .

خامساً: التأمين على السيارات :

يقوم نظام التأمين على السيارات والتي تقوم بها شركات التأمين التجاري بأن يدفع مالك السيارة مبلغاً من المال كل سنة قيمة البوليصة ، كما أن تعوضه تلك الشركات على ما أصاب السيارة من حوادث ، أن تدفع تكلفة الإصلاح أو تشتري له سيارة مثيلة إذا كانت لا تصلح .

أنواع نظم التأمين على السيارات :

هناك أنواع عديدة من نظم التأمين على السيارات ، وإن من أكثر هذه النُظم شيوعاً ما يلي :

١ ـ التأمين الإجباري.

٢ ـ التأمين الشامل الاختياري.

وفيما يلي نبذة عن كل منهما، وبيان الحكم الفقهي:

١ ـ الحكم الفقهي لنظام التأمين الإجباري على السيارات :

تُلْزِم الحكومة مُلاك السيارات على ضرورة التأمين، وتعتبر البوليصة من الوثائق التي بمقتضاها يحصل المالك على رخصة تسيير السيارة، وبذلك يعتبر هذا النوع من نظم الدولة الواجب الالتزام به ولا مناص منه، ولقد أجازه الفقهاء قياساً على نظام التأمينات الاجتماعية والمعاشات.

٢ ـ الحكم الفقهي لنظام التأمين الشامل على السيارات :

يعتبر هذا النوع اختيارياً، ويقوم به المالك لتغطية كافة أنواع الحوادث على السيارات، ولا يختلف حكمه عن نظام التأمين التجاري، بمعنى غير جائز إلا في حاجة الضرورة، مثل وسائل النقل التي تتعرض لدرجة عالية من المخاطر، ففي هذه الحالة أجازه الفقهاء.

تعقيب : تنطبق الأحكام السابقة على كافة وسائل النقل ومنها التأمين على البواخر والطائرات ونحوها، حيث تطبق القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) ويكون التعويض في حدود الضرر الذي حدث فعلاً.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت العديد من شركات ومنظمات التأمين الإسلامي في معظم الدول الإسلامية، وبذلك قد رفعت الحرج عن اللجوء إلى شركات التأمين الوضعية التقليدية.

١٢ ـ فوائد البنوك

قضية فوائد البنوك من القضايا المثارة منذ فترة طويلة وبين الحين والحين يتجدد الجدل حولها، وكُتب فيها الكثير من الكتب[١] ونُشرت أبحاث كثيرة حولها.

والدافع للحديث في هذه القضية أنها أصبحت تأخذ بُعداً خطيراً وهو تأثر الفتوىٰ فيها بالأوضاع السياسية، فتجد ذلك واضحاً في فتوىٰ د. محمد سيد طنطاوي التي حرمت فوائد البنوك حينما كان مفتي جمهورية مصر العربية.

وفتواه التي أحلت فوائد البنوك عبر مجمع البحوث الإسلامية وهو يشغل منصب شيخ الأزهر ورئيس المجمع[٢].

وأعرض هذه القضية من خلال:

١ ـ البحث الذي أعده الباحث عبد الحافظ الصاوي[٣]

يقول: في كل مرة تُثار قضية فوائد البنوك تزداد قناعة الرأي العام بما ذهب إليه الرأي القائل بالتحريم حيث إنه الرأي الذي أيده الكثير من العلماء واستقرت عليه المجامع الفقهية والمؤيدون لحل فوائد البنوك قلة،

ذهب المؤيدون لفتوىٰ إباحة فوائد البنوك إلىٰ أن قرار مجمع البحوث الإسلامية صحيح شرعاً حيث إن التعامل مع البنوك المحددة للعائد مسبقاً لا يوجد فيه تعامل الفرد مع الفرد والدائن والمدين كما أن معنىٰ استغلال الدائن للمدين ليس

(١) أرىٰ أن كتاب فوائد البنوك هي الربا المحرم للدكتور القرضاوي أفضل ما كُتب في هذه القضية.

(١) في مجلة الاعتصام: فتوىٰ الشيخ الطنطاوي الأخيرة ليست فتوىٰ شرعية، وإنما هي بيان سياسي يصدر باسم الحزب الحاكم في مصر مفتي الديار يرد علىٰ مفتي الديار، ونشرت المجلة فتوىٰ تحريم والفتوىٰ الأخيرة (البيان السياسي) راجع مجلة الاعتصام، جمادىٰ الأولىٰ ١٤١٠هـ ـ ديسمبر ١٩٨٩م، السنة ٥١، العدد التاسع، ص ٢٢، ٢٣ بقلم د. علي السالوس.

(٣) مجلة الرسالة، العدد السادس، محرم عام ١٤٢٤ هـ، فبراير عام ٢٠٠٣م مركز الإعلام العربي.

وارداً في هذا التعامل وأشاروا إلىٰ أن معاملات البنك بالأرباح مع الأفراد أصحاب الأموال يجعل البنك وكيلاً في هذه الأموال لاستثمارها .

والوكالة مشروعة إسلامياً .

لا جديد فيما ذكروه :

ذكر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية المؤيدون لحل التعامل بفوائد البنوك أن مبرراتهم في هذه الفتوىٰ هي :

١ ـ إن الفوائد البنكية قائمة علىٰ عقد الوكالة بين البنك والعميل فالبنك وكيل عن العميل .

٢ ـ أنه لا ربا بين الدولة ورعاياها .

وتفنيداً للمبررات السابقة نذكر الآتي:

أولاً: أن التكييف القانوني في مصر وفرنسا وغيرها لعقد الوديعة في البنوك التقليدية هو عقد القرض :

وهذا أكبر رد علىٰ من يقول إن العلاقة بين البنك والعميل علاقة وكالة وذلك لأن العقد الذي يوقع بين الطرفين إلىٰ يومنا هذا هو عقد قرض بفائدة محددة فالعميل حينما يودع مبلغاً لدىٰ البنك فإنه يقرضه قرضاً مضموناً بفائدة محددة مضمونة ، فأين الوكالة في هذا العقد ، حيث يأخذ العميل المقرض نسبة مئوية من المال المودع لدىٰ البنك ففي مقابل أي شيء يأخذها؟

وأين دوره في الوكالة؟ وما الذي يقدمه العميل لبنك حتىٰ يأخذ منه أجراً؟

وأين مصروفاته الإدارية؟

فالعميل قد جاء ووضع مليون ريال وديعة في البنك علىٰ أن يأخذ في آخر السنة يأخذ رأس ماله و ٥ ٪ مثلاً زيادة علىٰ رأس ماله .

ويبدو أن هؤلاء الإخوة نسوا هذا الجانب وركزوا علىٰ ما يأخذه البنك من فوائد ربوية حيث إنه يكون البنك مقترضاً من العميل فلا مجال أصلاً لتكييف هذه

النسبة على أساس الأجر في الوكالة في مقابل المصروفات الإدارية.

وكذلك الأمر عندما يقرض البنك العميل ويأخذ نسبة من الفوائد الربوية حيث إن العلاقة هي علاقة (عقد القرض) في الشريعة والقانون.

هذا وقد حسم التقنين المدني المصري الخلاف في طبيعة الودائع في البنوك الربوية فكيفها على أنها قرض فقد نصت المادة ٧٢٦ على أنه : (إذا كانت الوديعة مبلغاً من النقود أو أي شيء آخر مما يهلك بالاستعمال وكان المودع عنده مأذوناً له في استعماله اعتبر العقد قرضاً).

وقد علق العلامة الدكتور فرج السنهوري على ذلك بقوله: وقد يتخذ القرض صوراً مختلفة أخرى غير الصور المألوفة من ذلك إيداع نقود في مصرف فالعميل الذي أودع النقود هو المقرض والمصرف هو المقترض[(١)].

وقد أكد ذلك فقهاء القانون والاقتصاد، وقد أكد هذا المعنى بالإجماع مع الحكم بتحريم الفوائد البنكية المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي حضره عدد كبير من فقهاء الشريعة وعلماء الاقتصاد والقانون عام ١٣٩٦ هـ.

ولذلك كان من المفروض على هؤلاء الأساتذة أن يرجعوا إلى علماء القانون والاقتصاد لبيان التكييف القانوني والاقتصادي لعقد الوديعة في البنوك الربوية وإن لم يرجعوا إلى المتخصصين في الفقه الإسلامي والاقتصاد الإسلامي.

ومن جانب آخر فإن الوكيل غير ضامن بالإجماع في الشريعة إلا في حالات التعدي والتقصير في حين أن البنك ضامن بإجماع القانونيين للمبلغ الذي اقترضه من العميل مع الفائدة المحددة والعميل أيضاً ضامن للمبلغ الذي اقترضه من البنك مع الفائدة المحددة مهما كانت الأمور ومهما خسر العميل.

ثانياً: ادعاء أن تحديد العائد مقدماً يعود إلى الاستثمار:

ويعود هذا الادعاء إلى عدم المعرفة بطبيعة التعامل في البنوك الربوية فقد ذكر

---

(١) الوسيط للسنهوري ٥٧/ ٤٣٥ .

علماء القانون والاقتصاد أن الوظيفة الرئيسية للبنوك التقليدية هي الاقتراض والإقراض بفائدة وخلق الائتمان فهي مؤسسة تقوم على التجارة في القروض والديون وأنها ممنوعة بحكم القوانين من الاستثمار والتجارة بأموال المودعين وأن نظرة بسيطة على ميزانية أي بنك تقليدي تكشف بوضوح أنه يقوم على الإقراض والاقتراض وخلق الائتمان بصورة أساسية.

إضافة إلى بعض خدمات لا يذكر حجمها أمام حجم القروض والديون كما أن عقود هذه البنوك تنص على أن العلاقة هي القرض فيوجد فيها العقد النمطي الذي يسمى (عقد قرض) ثم ينص فيه على أنه (يحتسب على قيمة القرض فائدة مركبة سعرها كذا سنوياً تقيد على حسابنا شهرياً).

ويرجى من هؤلاء الأساتذة الذين أباحوا فوائد البنوك أن يسألوا البنك المركزي المصري أو أي بنك مركزي آخر: هل يجوز للبنوك الربوية ممارسة التجارة والاستثمار المباشر والبيع بأموال المودعين؟

وذلك لأن الجواب يكون بالنفي قطعاً فلا يسمح لأي بنك ربوي أن يتاجر بأموال المودعين أبداً لأنه ضامن لها فلا بد أن يعطيها للمقترضين بفائدة أكبر من الفائدة التي يعطيها للمقرض.

ثالثاً: الربا بين الدولة وأبنائها :

لنا على هذه النقطة الملاحظات التالية:

١ ـ أن معظم البنوك ليست للدولة بل للمساهمين أو من القطاع المختلط المشترك بين الطرفين وبالأخص في عصر الخصخصة حيث أصبحت معظم البنوك مملوكة للمساهمين.

٢ ـ هذا الكلام الذي اعتبروه مثل القاعدة ليس له أصل في الشرع ولا بين الفقهاء ولا يجوز قياس الدولة على الوالد في علاقته المالية بولده، على رأي من يقول إن مال الولد للوالد وبالتالي فلا ربا بين أموال الشخص الواحد.

وذلك لأن جمهور الفقهاء على أنه يوجد الربا بين الوالد والولد! وذلك لأن

ذمة الولد مستقلة، وبالتالي يحرم الربا بين الوالد وولده.

وأما من قال: إنه لا ربا بين الوالد والولد فهذا ينطلق من أن الوالد يملك أموال أولاده وهذا (مع أنه قول ضعيف) لا يصح أن يكون أصلاً لقياس الدولة عليه من عدة وجوه أهمها: أن الدولة لا تملك أموال الأفراد قطعاً وبالإجماع لدى الفقهاء.

وحينئذ أصبح القياس فاسداً غير مستقيم.

ومن جانب آخر فإن المفروض في الدولة الإسلامية هو أن تكون قدوة في الالتزام بأوامر الله تعالى وشرعه قبل الأفراد وإلا فكيف ترتكب المحرمات وتفعل ما أذن الله فيه بالحرب ثم تقول للناس: اتركوا الربا فمن أولى واجبات الدولة أن تمنع الربا كما قال ابن عباس: «من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن لم ينزع وإلا ضرب عنقه»[1].

رابعاً: يدعي المحلون أن البنك ليس كالفرد:

فالبنك شريك قوي مضمون الربح لدقة حساباته، أما الأفراد فكثيراً ما تخطئ حساباتهم فيخسرون، وعليه فإن ما يأخذه المودع من فائدة هو دائماً من ربح حقيقي للبنك لأن البنك غير معرض للخسارة.

وردنا على ذلك: سنسلم جدلاً

أولاً: بأن البنك شريك (وهو ليس كذلك).

ثانياً: بأنه مضمون الربح دائماً، لا تأتيه الخسارة من بين يديه ولا من خلفه، فهل يستطيع البنك مهما بلغ من القوة والدقة أن يضمن نسبة الربح لمشروع من مشاريعه؟

إن أسعار المواد الأولية التي تقوم عليها المشاريع مثلاً عرضة للتذبذب بين الارتفاع الفادح والانهيار المروع، بمعطيات عالمية لا سلطة للبنك عليها، ولعل أقرب الأمثلة لدينا: البترول الذي تفاوت سعره في عقد واحد بين حوالي ثلاثين دولار

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢٢٥، والدر المنثور ١/ ٢٦٦.

ومائة وخمسين دولار، فما موقف الشريك المزعوم (المودع) من ذلك الربح؟ وهل من المقبول أن يقف نصيبه من الربح عند نسبة ١٠٪ مثلاً، مع تفاوت نسبة البنك (الشريك الآخر) بين ٠٪ أو ما دون الصفر، وبين ٢٠٠٪ مثلاً؟

٢ ـ فتوى الشيخ جاد الحق

نوردها هنا بنصها: قال ـ رحمه الله ـ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن بعض الصحف نشرت كلمة حول (الفوائد المصرفية) وانعقدت ندوات هنا وهناك للحديث في هذه الأمور بمعايير متباينة دون دراسة عميقة لواقع تلك المعاملات متناسين أو متجاهلين أن الحكم الشرعي المنتسب إلى أصول الإسلام وقواعده في القرآن والسنة قد أوضحه العلماء في أقطار المسلمين وجرت في شأنه فتواهم الجماعية حتى صار في حكم الأمر المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو على الأمور المختلف عليها.

وقد وقع القول الفصل من مؤتمر علماء المسلمين في شهر المحرم ١٣٨٥هـ مايو ١٩٦٥م بهيئة مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. الذي من مهامه ـ بحكم قانون الأزهر ـ بيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية).

والذي شارك فيه العديد من رجال القانون والاقتصاد والاجتماع من مختلف الأقطار حيث كان من قرارات هذا المؤتمر إجازة بعض صور التأمين التعاوني ونظام المعاش الحكومي وما شابهه من نظم الضمان الاجتماعي وفي شأن المعاملات المصرفية كان نص القرار:

١ ـ (الفائدة) على أنواع القروض ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة بتحريم النوعين.

٢ ـ كثير من الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠).

٣ ـ الإقراض بالربا المحرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته .

٤ ـ أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل كل هذه المعاملات المصرفية جائزة وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ ـ الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الاقتراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية .

٦ ـ أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

أفبعد هذا تدبج المقالات طلباً للحوار وتعقد الندوات للبحث فيما انتهى فيه الرأي الجماعي لعلماء المسلمين مستنداً إلى القرآن والسنة .

إن هذا الذي تناقلته الصحف من أنباء وآراء بشأن هذه الموضوعات قد حسمت واستبان فيها الحكم الشرعي على هذا الوجه ، وكان الأولى بهؤلاء وأولئك أن يكتبوا ويجتمعوا للمداولة في أمور لم تحسم بعد!

كشهادات الاستثمار التي أصر مصدروها على عدم التعرض للقرارات الوزارية المنظمة لها ، والتي هي بمثابة العقد لها ، وتوقفوا عن قبول أي تعديل للصيغة لتتوافق مع العقود الشرعية ، وتخلوا عن الفائدة الربوية الصريحة ، وهم مع هذا الموقف يتنادون إلى إسباغ حكم إسلامي عليها بالحل دون أن يدرسوها كعقد من العقود التي وضع الرسول ﷺ قاعدتها في قوله الشريف والذي جاء فيه : **«والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً...»**(١) .

إن الأزهر الشريف يضع أمام الناس جميعاً قرارات مؤتمر علماء المسلمين

(١) رواه البخاري ، إجارة ١٤ .

الجماعية في عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م فيما يحل وما يحرم في شأن الفوائد على القروض وبعض أعمال البنوك على الوجه المفصل آنفاً.

وقد دعا هذا المؤتمر علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد ودراسة بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي، فهل تداولت هذه الندوات في هذا الشأن وهل تصدت تلك المقالات لما أرجئ البت فيه لمزيد من الدراسة والبحث.

وذلك ما لم يحدث وإنه من الحق أن نلتمس الهداية إلى الصواب من الله سبحانه الذي قال في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣). ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩).

شيخ الأزهر: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

٣ـ قرار مجمع رابطة العالم الإسلامي

بشأن المصارف الربوية وتعامل الناس معها، وفي نفس الصدد جاء قرار رابطة العالم الإسلامي ونصه كما يلي:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد ﷺ أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ قد نظر في موضوع (تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها وعدم توافر البدائل عنها) وهو الذي أحاله إلى المجلس معالي الدكتور الأمين العام نائب رئيس المجلس.

وقد استمع المجلس إلى كلام السادة الأعضاء حول هذه القضية الخطيرة التي يُقترف فيها محرم بَيِّنٌ ثَبَتَ تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع وأصبح من المعلوم من الدين بالضرورة.

واتفق المسلمون كافة على أنه من كبائر الإثم والموبقات السبع، وقد آذن القرآن الكريم مرتكبيه بحرب من الله ورسوله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾ (البقرة).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: «**هم سواء**»[1].

كما روى ابن عباس عنه: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل**»، وروى نحوه ابن مسعود.

وقد أثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أن الربا خطر على اقتصاد[2] العالم وسياسته وأخلاقياته وسلامته، وأنه وراء كثير من الأزمات التي يعانيها العالم وألا نجاة من ذلك إلا باستئصال هذا الداء الخبيث ـ الذي هو الربا ـ من جسم العالم وهو ما سبق به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

ومن نعمة الله تعالى أن المسلمين بدأوا يستعيدون ثقتهم بأنفسهم ووعيهم لهويتهم، نتيجة وعيهم بدينهم فتراجعت الأفكار التي راجت خلال مرحلة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية ونظامها الرأسمالي والتي وجدت لها يوماً من ضعاف النفوس من يريد أن يفسر النصوص الثابتة الصريحة قسراً لتحليل ما حرم الله ورسوله.

وقد رأينا المؤتمرات والندوات الاقتصادية التي عقدت في أكثر من بلد إسلامي وخارج العالم الإسلامي أيضاً تقرر بالإجماع حرمة الفوائد الربوية وتثبت للناس إمكان قيام بدائل شرعية عن البنوك والمؤسسات القائمة على الربا.

ثم كانت الخطوة العملية المباركة وهي إقامة مصارف إسلامية خالية من الربا والمعاملات المحظورة شرعاً، والحق أنها بدأت صغيرة ثم سرعان ما كبرت ثم سرعان ما تكاثرت حتى بلغ عددها الآن في البلاد الإسلامية وخارجها أكثر من تسعين مصرفاً.

---

(١) رواه البخاري، لباس ٨٦، ٩٦، ومسلم، مساقاه ١٠٦.

(٢) سيأتي الحديث عن الانهيار الاقتصادي.

وبهذا كذبت دعوىٰ العلمانيين وضحايا الغزو الثقافي الذين زعموا يوماً أن تطبيق الشريعة في المجال الاقتصادي مستحيل : لأنه لا اقتصاد بغير بنوك ولا بنوك بغير فوائد .

وقد وفق الله بعض البلاد الإسلامية ـ مثل باكستان ـ لتحويل بنوكها الوطنية إلىٰ بنوك إسلامية لا تتعامل بالربا أخذاً ولا عطاء ، كما طلبت من البنوك الأجنبية أن تغير نظامها بما يتفق مع اتجاه الدولة ، وإلا فلا مكان لها ، وهي سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها ـ إن شاء الله .

ومن هنا يقرر المجلس ما يلي:

أولاً: يجب علىٰ المسلمين كافة أن ينتهوا عما نهىٰ الله تعالىٰ عنه من التعامل بالربا أخذاً أو عطاءً والمعاونة عليه بأي صورة من الصور حتىٰ لا يحل بهم عذاب الله ، ولا يأذنوا بحرب من الله ورسوله .

ثانياً: ينظر المجلس بعين الارتياح والرضا إلىٰ قيام المصارف الإسلامية ، التي هي البديل الشرعي للمصارف الربوية ويعني بالمصارف الإسلامية كل مصرف ينص نظامه الأساسي علىٰ وجوب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء في جميع معاملاته ويُلزم إدارته بوجوب وجود رقابة شرعية مُلزمة ويدعو المجلس المسلمين في كل مكان إلىٰ مساندة هذه المصارف وشد أزرها وعدم الاستماع إلىٰ الإشاعات المغرضة التي تحاول أن تشوش عليها وتشوه صورتها بغير حق .

ويرىٰ المجلس ضرورة التوسع في إنشاء هذه المصارف في كل أقطار الإسلام ، وحيثما وُجِدَ للمسلمين تجمع خارج أقطاره حتىٰ تتكون من هذه المصارف شبكة قوية تهيئ لاقتصاد إسلامي متكامل .

ثالثاً: يحرم علىٰ كل مسلم يتيسر له التعامل مع مصرف إسلامي أن يتعامل مع المصارف الربوية في الداخل أو الخارج إذ لا عذر له في التعامل معها بعد وجود البديل الإسلامي ، ويجب عليه أن يستعيض عن الخبيث بالطيب ويستغني بالحلال عن الحرام .

رابعاً: يدعو المجلس المسئولين في البلاد الإسلامية والقائمين على المصارف الربوية فيها إلى المبادرة الجادة لتطهيرها من رجس الربا استجابة لنداء الله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨). وبذلك يسهمون في تحرير مجتمعاتهم من آثار الاستعمار القانونية والاقتصادية.

خامساً: كل مال جاء عن طريق الفوائد الربوية هو مال حرام شرعاً، ولا يجوز أن ينتفع به المسلم ـ مودع المال ـ لنفسه أو لأحد ممن يعوله في أي شأن من شئونه، ويجب أن يصرف في المصالح العامة للمسلمين، من مدارس ومستشفيات وغيرها، وليس هذا من باب الصدقة، وإنما هو من باب التطهر من الحرام.

ولا يجوز بحال ترك هذه الفوائد للبنوك الربوية للتقويّ بها ويزاداد الإثم في ذلك بالنسبة للبنوك في الخارج فإنها في العادة تصرفها إلى المؤسسات التنصيرية واليهودية وبهذا تغدوا أموال المسلمين أسلحة لحرب المسلمين وإضلال أبنائهم عن عقيدتهم علماً أنه لا يجوز أن يستمر في التعامل مع هذه البنوك الربوية بفائدة أو بغير فائدة.

كما يطالب المجلس القائمين على المصارف الإسلامية أن ينتقوا لها العناصر المسلمة الصالحة وأن يوالوها بالتوعية والتفقيه بأحكام الإسلام وآدابه حتى تكون معاملاتهم وتصرفاتهم موافقة لها.

والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

٤ ـ فتوى الدكتور يوسف القرضاوي بحرمة الفوائد البنكية

وجه السؤال الآتي لفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي: كنت موظفاً أتقاضى راتباً متوسطاً وكنت أوفر منه مبلغاً أودعه البنك وأتقاضى عليه فائدة فهل يصح لي ذلك أم لا؟ علماً بأن المرحوم الشيخ شلتوت أفتى بجواز هذه الفوائد وسألت بعض العلماء فمنهم من أجازها ومنهم من منعها ومما أذكره أني كنت أدفع زكاة مالي ولكن فائدة البنك تزيد عن المبلغ الذي أخرجه، وإن كانت الفائدة غير جائزة فماذا أفعل بها؟

الإجابة: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإن الفوائد التي يأخذها المودع في البنك هي رباً محرم فالربا : هي كل زيادة مشروطة على رأس المال أي ما أخذ بغير تجارة ولا تعب زيادة على رأس المال فهو رباً ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)** ﴾ (البقرة) .

فالتوبة معناها هنا أن يبقى للإنسان رأس ماله ، وما زاد على ذلك فهو رباً والفوائد الزائدة على رأس المال جاءت بغير مشاركة ولا مخاطرة ولا شيء من المتاجرة . . فهذا هو الربا المحرم .

وشيخنا الشيخ شلتوت لم يبح الفوائد الربوية فيما أعلم وإنما قال : إذا وجدت ضرورة - سواء كانت ضرورة فردية أم ضرورة اجتماعية - يمكن عندها أن تباح الفوائد وتوسع في معنى الضرورة أكثر مما ينبغي وهذا التوسع لا نوافقه عليه - رحمه الله .

وإنما الذي أفتى به الشيخ شلتوت هو صندوق التوفير وهو شيء آخر غير فوائد البنوك - وهذا أيضاً لم نوافقه عليه .

فالإسلام لا يبيح للإنسان أن يضع رأس ماله ويأخذ ربحاً محدداً عليه فإنه إن كان شريكاً حقاً فيجب أن ينال نصيبه في الربح وفي الخسارة معاً وأياً كانت الخسارة .

فإذا كان الربح قليلاً شارك في القليل وإذا كان كثيراً شارك في الكثير وإذا لم يكن ربح حرم منه وإذا كانت خسارة تحمل نصيبه منها وهذا معنى المشاركة في تحمل المسئولية .

أما ضمان الربح المحدد سواء كان هناك ربح أو لم يكن بل قد يكون الربح أحياناً مبالغ طائلة تصل إلى ٨٠٪ أو ٩٠٪ أو قد تكون هناك خسارة فادحة وهو لايشارك في تلك الخسارة .

وهذا غير طريق الإسلام وإن أفتى بذلك الشيخ شلتوت رحمه الله وغفر له .

فالأخ الذي يسأل عن فوائد البنوك هل يأخذها أم لا؟ أُجيبه بأن فوائد البنوك لا تحل له ولا يجوز له أخذها ولا يجزيه أن يزكي عن ماله الذي وضعه في البنك فإن هذه الفائدة حرام وليست ملكاً له ولا للبنك نفسه.

في هذه الحالة، ماذا يصنع بها؟

أقول: إن الحرام لا يملك ولهذا يجب التصدق به كما قال المحققون من العلماء بعض الورعين قالوا بعدم جواز أخذه ولو للتصدق، عليه أن يتركه أو يرميه في البحر ولا يجوز أن يتصدق بخبيث.

ولكن هذا يخالف القواعد الشرعية في النهي عن إضاعة المال وعدم انتفاع أحد به، لابد أن ينتفع به أحد. . إذن ما دام هو ليس مالكاً له، جاز له أخذه والتصدق به على الفقراء والمساكين أو يتبرع به لمشروع خيري أو غير ذلك مما يرى المودع أنه في صالح الإسلام والمسلمين: ذلك أن المال الحرام كما قدمت ليس ملكاً لأحد.

فالفائدة ليست ملكاً للبنك ولا المودع وإنما تكون ملكاً للمصلحة العامة وهذا هو الشأن في كل مال حرام. لا ينفعه أن تزكي عنه فإن الزكاة لا تطهر المال الحرام وإنما يطهره هو الخروج منه ولهذا قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبل صدقة من غلول**»(١).

والغلول هو المال الذي يغله الإنسان ويخونه من المال العام لا يقبل الله الصدقة من هذا المال لأنه ليس ملكاً لمن هو في يده.

ولكن ماذا في ترك الفوائد للبنك باعتبارها محرمه عليه؟

لا يتركها لأن هذا يقوى البنك الذي يتعامل بالربا ولا يأخذها لنفسه وإنما يأخذها ويضعها في أي سبيل من سبل الخير.

قد يقول البعض: إن المودع معرض للخسارة إذا خسر البنك وأعلن إفلاسه مثلاً لظرف من الظروف أو لسبب من الأسباب.

---

(١) رواه البخاري، زكاة ٧، ومسلم، طهارة ١ .

واقول لمثل هذا: الخسارة أو ذلك الإفلاس لا يبطل القاعدة ولو خسر المودع نتيجة ذلك الإفلاس لأن هذا بمثابة الشذوذ الذي يثبت القاعدة لأن لكل قاعدة شواذ والحكم في الشرائع الإلهية ـ والقوانين الوضعية أيضاً ـ لا يعتمد على الأمور الشاذة والنادرة .

فإن الجميع متفق على أن النادر لا حكم له وللأكثر حكم الكل . . فواقعة معينة لا ينبغي أن تبطل القواعد الكلية .

القاعدة الكلية هي أن الذي يدفع ماله بالربا يستفيد ولا يخسر فإذا خسر مرة من المرات فهذا شذوذ والشذوذ لا يقام على أساسه حكم .

هل يتاجر البنك؟

وقد يعترض سائل فيقول : ولكن البنك يتاجر بتلك الأموال المودعة فيه فلماذا لا آخذ من أرباحه؟

واقول: نعم إن البنك يتاجر بتلك الأموال المودعة فيه .

ولكن هل دخل المودع معه في عملية تجارية؟ طبعاً لا .

لو دخل معه شريكاً من أول الأمر وكان العقد بينهما على هذا الأساس وخسر البنك فتحمل المودع معه الخسارة عندئذ يكون الاعتراض في محله ولكن الواقع أنه حينما أفلس البنك وخسر أصبح المودعون يطالبون بأموالهم والبنك لا ينكر عليهم ذلك بل قد يدفع لهم أموالهم على أقساط إن كانت كثيرة أو دفعة واحدة إن كانت قليلة .

على أي حال فإن المودعين لا يعتبرون أنفسهم مسئولين ولا مشاركين في خسارة البنك بل يطالبون بأموالهم كاملة غير منقوصة والله أعلم .

٥ ـ فتوى الدكتور محمد سيد طنطاوي ـ مفتي الجمهورية بشأن تحريم فوائد البنوك بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٠م

سؤال ورد إلى دار الإفتاء من المواطن يوسف فهمي حسين، وقيد برقم ٥٢٥/ ١٩٨٩م يقول فيه : إنه قد أحيل إلى المعاش وصرفت له الشركة التي كان يعمل بها مبلغ ٤٠,٠٠٠ أربعين ألف جنيه، والمعاش الذي يتقاضاه لا يفي بحاجته

الأسرية ولأجل أن يغطي حاجيات الأسرة وضع المبلغ المذكور في بنك مصر في صورة شهادات استثمار بعائد شهري حيث لم يعد هناك أمان لوضع الأموال في شركات توظيف الأموال.

وعندما فكر في وضعها في أي مشروع لم يجد وخاصة أن حالته الصحية لا تسمح بالقيام بأي جهد، وقد قرأ تحقيقاً بجريدة أخبار اليوم شارك فيه بعض المشايخ والعلماء بأن الودائع التي تودع في البنوك تخدم في مشاريع صناعية وتجارية وأن هذه الشهادات الاستثمارية تدر عائداً حلالاً لا ربا.

وأنه رأىٰ بعينه أن أحد البنوك الإسلامية تتعامل مع زوج ابنته نفس المعاملة التي تتعامل بها البنوك الأخرىٰ في حين أن البنوك الإسلامية تعطي أرباحاً أقل: وحيث إنه حريص علىٰ أن لا يدخل بيته حراماً بعث إلىٰ دار الإفتاء يستفسر عن رأىٰ الدين في هذا الأمر حيث إن بعض العلماء يقولون بأن العائد حلال والبعض الآخر يقولون إنه رباً.

هذا نص السؤال الوارد إلى دار الإفتاء.. فماذا كان جواب الدكتور طنطاوي المفتي؟

الجواب: (بعد المقدمة) يقول الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)**﴾ (البقرة).

ويقول الرسول ﷺ فيما روي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء**»[1].

وأجمع المسلمون علىٰ تحريم الربا، والربا في اصطلاح فقهاء المسلمين هو زيادة مال في معاوضة مال بمال دون مقابل، وتحريم الربا بهذا المعنىٰ أمر مجمع عليه في كل الشرائع السماوية.

---

(١) رواه البخاري بيوع ٧٤، ٧٦، ومسلم مساقاة ٧٩، ٨٠، ٨١.

لما كان ذلك وكان إيداع الأموال في البنوك أو إقراضها أو الاقتراض منها بأي صورة من الصور مقابل فائدة محددة مقدماً زمناً ومقداراً يعتبر قرضاً بفائدة وكل قرض بفائدة محددة مقدماً حرام وكانت تلك الفوائد التي تعود على السائل داخلة في نطاق ربا الزيادة المحرم شرعاً بمقتضى النصوص الشرعية.

وننصح كل مسلم بأن يتحرى الطريق الحلال لاستثمار ماله والبعد عن كل مافيه شبهة حرام لأنه مسئول يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

٦ـ فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله

يقول: من العجيب أن ترى وتسمع أناساً يُنسبون إلى العلم يحاولون جاهدين أن يحللوا ما حرم الله ولا أدري لماذا يصرون على ذلك إلا أن يكونوا قد أُولعوا بالحداثة والعصرية التي تحاول جاهدة أن تهبط بمنهج السماء إلى تشريع الأرض.

ومن العجيب أن ترى من يقولون بأن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة بنص القرآن ولم يفرقوا بين واقع كان سائداً وبين قيد في الحكم وكأنهم لم يقرأوا القرآن: ﴿ **فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ٢٧٩).

فلا ضعف ولا أقل من الضعف فضلاً عن المضاعفة يقبله هذا النص.

ولست أدري أيضاً ما الذي يمنع البنوك التي تقول إنها استثمارية من أن يحسبوا العائد الفعلي على أموال المودعين مع تقدم أدوات الحساب تقدماً لا يتعذر معه الصعود والهبوط بالعائد حسب واقع التعامل.

وأعجب أيضاً أن تكون البلاد التي صدرت الربا لنا تسعى الآن بقول علماء الاقتصاد فيها إلى خفض الفائدة إلى صفر.

وإذا كان بعض العلماء قد قال بالتحليل وجمهرة العلماء لا تزال تقول بالتحريم فلنسلم جدلاً أن العلماء في الإسلام انقسموا حول هذه المسألة بالتساوي تحليلاً وتحريماً.

فما حكم الإسلام في الأمور المشتبهة التي تقف بين الحلال والحرام؟

هل قال رسول الله ﷺ في ذلك : فمن فعل ما شبه له فقد استبرأ لدينه وعرضه؟ أم قال : فمن اتقى الشبهات؟

وأنا ـ والله يشهد ـ أربأ بمنسوب إلى علم الإسلام أن يرضى لنفسه أن يكون ممن لم يستبرئ لدينه وعرضه .

ولو أن هؤلاء حكموا عقولهم وأفهامهم وأنصفوا أنفسهم لقالوا بالتحريم وتركوا الضرورة التي يتحملها الأمر فيها هي التي تبيح ما يريدون . .

والمالك للضرورة وعدمها يتحمل كل ذلك في عنقه .

وبذلك لا يكون فيمن حلل حراماً لأنهم يعلمون جيداً الحكم فيه وأسأل الله أن يجعل لا قضية الربا وحدها ولكن كل القضايا المخالفة لمنهج الإسلام تأخذ هذه الضجة حتى نستريح ممن قال فيهم الرسول : «**وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك**»[1] .

انتهى كلام الشيخ الشعراوي

ونجد من الضروري في ختام هذه السطور أن نشير إلى حقيقة هامة وهي : أن استخدام المنتجات الحضارية للآخرين تسبب الكثير من المشكلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية فالمؤسسات المالية الحديثة هي في معظمها ـ إن لم يكن كلها ـ منتجات غربية ، قامت على أساس الفائدة التي هي عماد الربا الذي يحرمه الإسلام .

ونحن لا ندعو إلى القطيعة مع الحضارات الأخرى ولكن على أن تكون لنا خصوصية تراعى قواعد الدين الإسلامي وكان من الأحرى أن ترعى الدول الإسلامية تجربة البنوك الإسلامية وتنميها وتقومها : كي تقوم برسالتها التي أنشئت من أجلها ولكي تساعد أيضاً في حسم الجدل السائر حول فوائد البنوك من خلال بدائل لا يرتاب فيها المسلم الحريص على دينه»[2] .

---

(1) رواه أحمد ٤/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والدارمي ، بيوع ٢ ، والطبراني في الكبير ، والبخاري في التاريخ ، وأحد إسنادي الطبراني ثقات ، وحسنه النووي .

(2) مجلة الرسالة ، العدد السادس ، ص ٦٨ ، الباحث عبدالحافظ الصاوي .

والسؤال: لماذا تصُر الحكومات على التعامل الربوي في البلدان الإسلامية، وتضطر الأفراد لذلك بالرغم من قناعة القائمين على الاقتصاد بفساد وفشل التعامل الربوي؟[١]

لماذا دمرت الدولة كل شركات توظيف الأموال الإسلامية التي ازدهرت وأصبحت عملاقة وعم خيرها على الدولة وعلى الأفراد؟

أقول: إنها الحرب على الإسلام من أعدائه، ومن وراءهم من عناصر الطابور الخامس في بلادنا، ما تكاد تخبو حتى تسعر من جديد، وكأنهم يدفعون بنا دفعاً إلى حرب مع خالقنا جل وعلا، بإشاعة «الربا» في بلاد الإسلام.

لذايجب على المجتمع الإنساني أن يعلن الحرب على الربا ويجتث جذوره تطبيقاً لمنهج الله الذي وضعه لسعادة البشرية؛ لأن فوائد البنوك هي الربا المحرم مهما استحدث لذلك من أسماء.

(١) في الفترة من ١٩٨٠م ١٩٨٥م كنا في الدراسات العليا، وكان د. رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب في ذلك الحين وكان يُدرس لنا النظامين الاشتراكي والرأسمالي، ولم يذكر عيوب للنظام الاقتصادي الإسلامي بل مميزات فقط فأرسل إليه أحد زملائنا عبر جريدة النور رسالة قال له فيها: أنت رئيس مجلس الشعب (السلطة التشريعية) ونحن دولة اقتصادها ينهار كل يوم، وأنت متأكد أن النظام الاقتصادي الإسلامي لا عيب له لماذا لا تطبقه علينا حتى تنهض دولتنا وتتقدم وتخرج من هذه الكارثة الاقتصادية؟

١٤ ـ الانهيار الاقتصادي

محاور العملية الربوية:

أ ـ الفقير الذي يقترض ويدفع أكثر.

ب ـ الغني الذي يُقرض ويأخذ أكثر.

هذا التصنيف عقلياً يدل على أن الغني سوف يزداد غنى، ولن يتعرض لفقر أبداً، فأمواله تزداد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالربا يضر الجميع، بل ويضر العالم كله.

والواقع أكد هذه الحقيقة، «فالأزمة الاقتصادية الآن نتيجة حتمية ومحصلة لازمة لأي نظام اقتصادي ربوي يعتمد في زيادة أرباحه وتضخيم ثرواته على امتصاص أموال الناس بشتى الحيل الربوية والسبل الشيطانية التي أفضت إلى نشر الفقر والجوع في أكثر من ثلثي العالم خاصة الجنوبي منه، وأدت أيضاً إلى هذا الإعصار المالي الذي يضرب أمريكا والغرب والعالم»(١).

و منذ أيام بدأ الانهيار في الاقتصاد الأمريكي ودعا الرئيس الأمريكي (بوش) إلى التدخل عالمياً للخروج من هذه الكارثة التي سوف تصيب اقتصاد العالم كله، وبالفعل بدأ منذ النصف الثاني من عام ٢٠٠٨م الانهيار في الاقتصاد العالمي وبدأت الصحف الغربية الحديث عن هذه الكارثة، فماذا قالت؟

الانهيار الاقتصادي.. النتيجة الحتمية للربا:

دعت كبرى الصحف الاقتصادية في أوربا لتطبيق الشريعة الإسلامية في المجال الاقتصادي كحل أوحد للتخلص من براثن النظام الرأسمالي الذي يقف وراء الكارثة الاقتصادية التي تخيم على العالم.

١ ـ كتب (بوفيس فانسون) رئيس تحرير مجلة تشالنجز الباريسية: موضوع بعنوان (البابا أو القرآن) ومما قال فيه: أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة

---

(١) الوعي الإسلامي، العدد ٥٢٠، ص ٢٦.

القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري لأن النقود لا تلد النقود[١].

٢ - **طالب (رولان لاسكين) رئيس صحيفة (لوجورنال دفينانس)**[٢] بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المال والاقتصاد لوضع حد للأزمة، وكتب مقال بعنوان (هل تأهلت وول ستريت[٣] لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية)، وفي هذا المقال قدم سلسلة من المقترحات في مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

٣ - **وفي فرنسا**، أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية وهي أعلى هيئة رسمية تعني بمراقبة نشاطات البنوك قراراً يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية والبيوع الرمزية التي تشيع في النظام الرأسمالي الربوي واشتراط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من إبرام العقد، وهو ما يتطابق مع أحكام الفقه الإسلامي.

٤ - **ومنذ عقدين من الزمن تطرق الاقتصادي الفرنسي الحائز على جائزة (نوبل) في الاقتصاد عام ١٩٨٨م (موريس آلي) إلى الأزمة الهيكلية التي يشهدها الاقتصاد العالمي بقيادة (الليبرالية المتوحشة)** وأن الوضع مهدد بالانهيار تحت وطأة (المديونية والبطالة)، وأقترح للخروج من الأزمة وإعادة التوازن شرطين هما: تعديل معدل الفائدة إلى حدود الصفر، ومراجعة معدل الضريبة على ما يقرب من ٢٪ وهو ما يتطابق مع إلغاء الربا ويقترب من نسبة الزكاة في النظام الإسلامي.

٥ - **الباحثة الإيطالية: لوريتا نابليوني**[٤] : أشارت إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي واعتبرت (نابليوني) أن مسئولية الوضع

---

(١) مجلة تشالنجز الاقتصادية ١١ سبتمبر ٢٠٠٨م، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٢٠ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م.

(٢) هذا المقال نُشر في الصحيفة المذكورة بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٨م.

(٣) وول ستريت: سوق المال العالمي (البورصة) في أمريكا.

(٤) كتاب (اقتصاد بن آوى) للباحثة لوريتا نابليوني، نقلاً عن مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٢٠، ص ٢١.

الطارئ في الاقتصاد العالمي الذي نعيشه اليوم ناتج عن الفساد المستشري والمضاربات التي تتحكم في السوق والتي أدت إلىٰ مضاعفة الآثار الاقتصادية، وأضافت أن التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي بعد تحطيم التصنيف الغربي الذي ينعت الاقتصاد الإسلامي بالإرهاب[١].

٦ ـ **علىٰ أهلها جنت براقش ..** أقول: إن أوروبا عمدت إلىٰ تخويف النظام المصري ومن علىٰ شاكلته من شركات توظيف الأموال الإسلامية (المنضبط منها حقيقة وليس شكلاً) واعتبرت ذلك إضراراً باقتصاد البلاد فقام النظام بتدمير هذه الشركات وتفريق أموالها بين (المدعي العام والحراسة وغيرهما) فخسرت البلاد والعباد ثمرة هذا الاقتصاد الإسلامي الفذ، فلو كان الاقتصاد الإسلامي قائماً الآن:

١ ـ لأنقذ الاقتصاد الغربي كما تقول الكاتبة ولكن قلت (علىٰ أهلها جنت براقش)[٢].

٢ ـ وكنا نحن في منأىٰ عن هذه الآثار الاقتصادية السيئة التي تجتاح العالم الآن.

---

(١) راجع ما ذكرناه في قضية غسيل الأموال.

(٢) براقش: كلبة ضُرب بها المثل في الشؤم علىٰ قومها فقيل: علىٰ أهلها جنت براقش، انظر: المعجم الوسيط، جـ١، ص ٥٢ برقش.

الباب الرابع

الأخـــلاق .. والـمَدَنِيـَّة والحضـارة

خطورة هذا الباب وأهميـتـه .

الفصل الأول: نظام الأخلاق في الإسلام:

المحور الأول: أثر الفرد في نهضة الأمم .

المحور الثاني : النور الذي اتبعوه .

المحور الثالث : تعريف الأخلاق .

المحور الرابع : أهمية الأخلاق .

المحور الخامس : مكانة الأخلاق في الإسلام .

المحور السادس : خصائص نظام الأخلاق في الإسلام :

أولاً : تفصيل الأخلاق .

ثانياً : شمول الأخلاق.

ثالثاً : في الوسائل والغايات.

رابعاً: الأخلاق والإيمان.

خامساً : الجزاء .

سادساً : خاصية فريدة.

المحور السابع : هل يمكن اكتساب الأخلاق ؟

المحور الثامن : كيف يتحقق تقويم الأخلاق واكتسابها؟

المحور التاسع : وسائل تقويم الأخلاق .

الفصل الثاني: أخلاق الفرد:

المحور الأول: بين العبادات والأخلاق .

المحور الثاني: أخلاق يتحلى بها الفرد (من أخلاق المتقين).

المحور الثالث : أخلاق سيئة يجب أن يتخلى عنها المسلم.

المحور الرابع : أخلاق عملية .

المحور الخامس : آداب اليوم والليلة (الذكر ـ القرآن ـ الدعاء).

المحور السادس: بعض العوامل المساعدة على اكتساب الأخلاق.

المحور السابع : البرنامج العملي اليومي (الحسنات).

الفصل الثالث: أخلاق المجتمع:

المحور الأول : سيرة الأخلاقي الأول محمد ﷺ .

المحور الثاني : أخلاق لازمة للمجتمع.

المحور الثالث: الحضارة والمدنية والإتيكيت أين؟

المحور الرابع: السعادة بين الوهم والحقيقة .

الفصل الرابع: الأمة:

١ ـ وعي الأمة .

٢ ـ من أخلاقها : الشكر لله تعالى .

٣ ـ من منهجها : فن إدارة الأزمات .

٤ ـ من واجباتها : القدوة ـ وأستاذية العالم .

الباب الرابع

الأخلاق .. والْمَدَنِيَّة والحضارة (١)

خطورة هذا الباب وأهميته :

للأخلاق أهمية كبرى في العالم كله، فبدونها تفسد السياسة والاقتصاد والاجتماع، وكل جوانب الحياة.. وقد أولى الإسلام أهمية كبرى للأخلاق، بل هي الغاية الأولى لبعثة الرسول ﷺ، فقد قال: «إنَّمَا بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق»(٢) .

وما غياب المسلمين عن ريادة الأمم وقيادة الشعوب إلا بسبب تخليهم عن مكارم الأخلاق، وبحثهم عن القيم الغربية تارة، والشرقية تارة أخرىٰ، لتكون بديلاً عما جاء به الإسلام.

بل لقد ربط الإسلام بين الإيمان والأخلاق، فإذا ضعف الإيمان ضعفت الأخلاق، وإذا كان الإيمان قوياً مستقراً في قلب العبد، حسنت أخلاقه.

إذن الأخلاق هي ثمرة الإيمان، قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَصِل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٣).**

الأخلاق والعبادات :

حتىٰ العبادات التي شرعها الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج تدعو إلىٰ الأخلاق، وتدفع المسلم إليها..

---

(١) ما العلاقة بين الأخلاق والمدنية والحضارة ؟

والجواب: إن المدنية إذا لم تكن مُحاطة بسياج من الأخلاق فهي الخسة والنذالة وهي الانحلال والانحطاط وهي التدمير الكامل للبشرية حتىٰ الحروب لابد فيها من الأخلاق.

(٢) رواه البخاري، مناقب الأنصار ٣٣، وأدب ٣٩، ومسلم، فضائل الصحابة ١٣٣ .

(٣) رواه البخاري ، باب الأدب ، رقم ٥٦٧٣ .

فالصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر . .

والزكاة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، ولكنها غرس لمشاعر الحنان، ولتطهير القلوب وتزكيتها . .

والصوم ليس حرماناً مؤقتاً من بعض الحلال، ولكنه خطوة لتعليم النفس كيف تبتعد عن الشهوات وتندفع إلىٰ التقوىٰ .

والحج ليس مجرد سفر ورحلة، ولكنه مدرسة يتعلم فيها المسلم عدم الرفث والفسوق والجدال، ويتعلم في المقابل التزود بالتقوىٰ، فهي خير الزاد .

وقد يوجد بعض المتسبين إلىٰ الإسلام، فيستسهلون أداء العبادات المطلوبة من صلاة وصيام وزكاة وحج، ويظهرون في المجتمع بالحرص علىٰ إقامتها، ولكنهم في الوقت نفسه يرتكبون أعمالاً يأباها الخلق الكريم والإيمان الحق . . فأصبح عندنا صنفان مرفوضان :

١ ـ حسن العبادة، سيِّئ الخلق .

٢ ـ سيِّئ العبادة، حسن الخلق .

والإسلام لا يرضىٰ عن هذين الصنفين، بل يطلب من المسلم أن يكون عابداً وصاحب أخلاق حسنة . . فإن صحت عبادته حسنت أخلاقه، ولذلك حينما سُئِلَ الرسول ﷺ عن أحب عباد الله إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال : «**أحسنهم خُلُقاً**»(١) .

وفي رواية : ما خير ما أُعْطِي الإنسان؟ قال : «**حُسن الخُلُق**»(٢) .

وآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وأفعاله كثيرة في هذا الباب .

ونحن لا ننكر أن بعض الأمم الأخرىٰ قد يكون عندها بعض القيم والأخلاق، لكن الفرد قد يتخلىٰ عنها لمصلحته في أي وقت، أما الأخلاق في الإسلام فيلتزم بها المسلم عن عقيدة راسخة بأن الله الذي خلقه، والذي هو إليه راجع ليحاسبه عمَّا فعل، هو الذي أمره بتلك الأخلاق، فهو يلتزم بها عن عقيدة سواء وافقت مصلحته أم صادمتها .

---

(١) رواه أبو داود ، سنة ١٤ رقم ٤٦٨٢ .

(٢) رواه البخاري ، أدب ٣٩، مسلم، بر ١٤ .

قالوا عن الأخـلاق :

١ ـ يقول ابن القيم : «الدين هو الْخُلُق، فمن زاد عليك في الْخُلُق، زاد عليك في الدين»[١] .

٢ ـ قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٣ ـ كتب **البروفسير ما يكل بريتشر** ترجمة لحياة **«جواهر لال نهرو»** . . وسأل المؤلف نهرو[٢] في لقاء له معه بنيودلهي في ١٣ يونيه من عام ١٩٥٦م :

ما المقومات اللازمة لبيئة صالحة؟

اجاب نهرو قائلاً: إنني أؤمن أنها المعايير الأخلاقية، وإن إقامة هذه الأخلاق من أهم ضرورات كل مجتمع حتى يتاح له حق الاستقرار لمواصلة مسيرة الحياة، وهذه الأخلاق لابد وأن تكون مرتبطة بالدين لأن بعدها عن الدين وتجردها منه يساعد على عدم الاستقرار وانتشار الجريمة والانحلال، بل وبداية زوال هذه المجتمعات التي تنحي الدين جانباً ومن ثم الأخلاق، وإليك هذه الوقائع الثابتة . . (الكلام مازال لنهرو) إنهم :

١ ـ يحتفلون بأسبوع الكرم لإذابة الحواجز بين الشعب والحكام، ولكن العقلية البيروقراطية لا تذوب عند المسئولين، رغم كل الجهود التي تبذل في هذه المناسبات باسم الأخلاق .

٢ ـ ويعلقون على المحطات وداخل عربات القطار لافتات كبيرة تقول : «إن السفر بدون تذكرة جريمة اجتماعية»، ولكن نسبة السفر بدون تذاكر تزداد، فكلمة (جريمة اجتماعية) غير كافية لتحريك ضمير الفرد والحفاظ على النظام .

٣ ـ إنهم يكتبون في كل عربة قطار : «إن القطارات ملك للشعب وإلحاق أي ضرر بها جريمة ضد الشعب»[٣]، ولكن المسافرين في هذه العربات يسرقون لمباتها الكهربائية الصغيرة، بل ويحطمون زجاجها، وربما يثورون فيشعلون النيران .

---

(١) مدارج السالكين، جـ ٢ .

(٢) نهرو : هو رئيس وزراء الهند في ذلك التاريخ .

(٣) لعظيم الفائدة راجع «العفة عن المال العام» من هذه الموسوعة .

٤ ـ إن كبار الزعماء والسياسيين والحكام يعلنون في خطبهم: أن استغلال الوسائل الحكومية لصالح الأغراض الفردية خيانة في حق الشعب والدولة، ولكن المشروعات الكبرىٰ تفشل في تحقيق أهدافها لأن النسبة الكبرىٰ من الميزانيات المقررة تأخذ طريقها إلىٰ جيوب المسئولين القائمين بأمر هذه المشروعات، بدلاً من إنفاقها في مكانها الصحيح(١) . . وهكذا اختفت المعايير والقيم وباءت كل وسائلهم بالفشل الذريع(٢)، هذه الظواهر هي في الواقع دلائل علىٰ أن الحضارة الإلحادية قد انتهت بركب البشرية إلىٰ الوحل، وقد ضللتها عن طريقها، ولا حل لهذه الأزمة إلا بالرجوع إلىٰ الله، والتسليم بأهمية الدين للحياة، فهو الأساس الوحيد الذي يساعد علىٰ النهوض بالحياة البشرية علىٰ خير وجه، وليست هناك من أسس أخرىٰ.

أما **«فرجينيا هنري» الأمريكية** التي أسلمت، فتقول: إن الحياة في أمريكا مثل جهنم التي عرفوها لنا في الكتب الدينية، ففي أمريكا جميع أسباب الحياة العصرية المترفة. . ولنا منزل جميل، ودخل محترم، ولكن الحياة مع ذلك مثل جهنم تماماً لأنها تنقصها الأخلاقيات، ولذلك بعد أن أنتهي من دراستي بالأزهر فسوف أذهب أنا وزوجي إلىٰ فنزويلا (بلده الأصلي)، ونبني مسجداً، ونبدأ بنشر الإسلام هناك(٣).

وفي الغرب نجد من يقول: «إن الأخلاق قيد لا معنىٰ له» .

ونقول: إن الأخلاق نور، والغرب يحاول أن يطفئها لأنها ليست في صالحه، وقد مدح الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

وتعاني البشرية بسبب فقدان الأخلاق أشد المعاناة.. وتخسر في سُلَّم الحضارة والمَدَنِيَّة ملايين الدرجات.. وهناك آلاف المآسي اليومية التي لانستطيع حصرها.. فكثير من هذه المآسي تحطم كل معاني الإنسانيــة .. ومنها الأخلاق.

---

(١) راجع من هذه الموسوعة: أمانة المال العام.

(٢) من كتاب: الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان، ص ٢٥١ .

(٣) من كتاب: مفتريات علىٰ الإسلام، أحمد محمد جمال، ص ٦٩ ، ط. رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٥م، ١٤٠٥هـ.

إن بعض المجتمعات تسير في اتجاهين في وقت واحد، فهي تحاول من جهة الحصول على جميع الكماليات المادية، على حين يتسبب - تركها للدين - في خلق أحوال تحيل الحياة جحيماً يُنَغِّص هذه الكماليات وهذه الرفاهية. . إنه يعطيك دواء الشفاء من الفم، ويحقنك السم في العضل[١].

وقائع من مآسي المجتمع الإنساني بعيداً عن الأخلاق :

■ **الواقعة الأولى :** يقول الدكتور بول أرنست أدولف: تعرفتُ أثناء دراستي بالكلية الطبية على التغيرات التي تطرأ على أنسجة الجسم بعد الإصابة بالجراح، وشاهدت أثناء التجارب بالمنظار المكبر أن أعراضاً محددة تطرأ على هذه الأنسجة، مما يؤدي إلى اندمال الجروح وشفائها.

وعندما أصبحت طبيباً بعد إتمام دراستي كنت جد مقتنع بكفاءتي، وأنني أستطيع أن أحقق نتيجة موفقة بالتأكيد، باستعمال الوسائل الطبية اللازمة، ولكن سرعان ما أصبت بصدمة كبيرة، حيث فرضت على الظروف أن أشعر أنني أعرضت عن أهم عنصر في علم الطب، ألا وهو «الله».

كانت بين المرضى الذين كنتُ مشرفاً على علاجهم في المستشفى عجوز في السبعين من عمرها، أصيب أعلى فخذها بصدام، وأكدت صور الأشعة أن أنسجة جسمها تلتئم بسرعة، فقدمت لها تهنئتي لسرعة شفائها، وأشار لي كبير الجراحين: أن أطلب منها العودة إلى بيتها بعد أربع وعشرين ساعة، لأنها استطاعت أن تمشي دون أن تستند إلى شيء، وكان ذلك يوم أحد.

ثم جاءت ابنتها تزورها على عادتها الأسبوعية، فقلت لها: إن والدتك تتمتع بصحة جيدة الآن، وعليك أن تحضري غداً لتأخذي أمك إلى البيت.

ولم تلفظ الفتاة بشيء أمامي. . بل توجهت إلى أمها، وقالت لها: إنها قررت بعد مشورة زوجها: أنهما لن يستطيعا تدبير عودتها (الأم) إلى بيتهما، وخير لها (أي: للأم) أن تبحث لها عن سكن بإحدى (دور العجزة).

---

(١) من كتاب الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٢٥٧، طبعة المختار الإسلامي ١٩٧٧م.

وبعد بضع ساعات مررت بسرير العجوز، فشاهدت انهياراً سريعاً يطرأ على جسدها، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى ماتت العجوز، لا بسبب فخذ مكسور، بل من جراء قلب كسير.

وقد حاولت أن أقوم بجميع الإسعافات اللازمة لإنقاذها، ولكن حالتها لم تتحسن. . كانت عظام فخذها المكسور، قد تحسنت كثيراً، ولكنني لم أجد علاجاً لقلبها الكسير. . أعطيتها كل ما عندي من الفيتامينات، والمعادن، ووسائل التئام العظم المكسور، ولكن العجوز لم تستطع أن تنهض مرة أخرى، لقد انجبرت عظامها دون شك، وكان لها فخذ قوية، ولكنها لم تقو على الحياة، لأن ألزم عنصر لحياتها لم يكن الفيتامينات، والمعادن، ولا انجبار العظم، وإنما كان (الأمل)، الأمل في أن تعيش على نحو معين، فمتى ذهب الأمل في الحياة ذهبت الصحة[١].

هذا المثال يعطينا صورة من التناقض الذي يعاني منه العالم في كل جانب من جوانب حياته، فالعالَم يحاول اليوم بكل قوة أن تُمْحَى الأحاسيس والمشاعر الأخلاقية من قلوب الناس، وهو في هذه المحاولة يسعى إلى نهضة الإنسان، متجاهلاً (الروح) التي هي عنصره الأصلي.

ومن نتائج هذه المحاولة أن الطب يستطيع أن يجبر عظام فخذ مكسورة، ولكن حرمان الإنسان من العقيدة الإلهية يفضي به إلى الموت، رغم كون جسمه في صحة جيدة.

لقد دمر هذا التناقض الإنسانية تدميراً، فالأجسام تحت الأثواب البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسعادة الحقيقيين، والأبنية الفخمة التي تسكنها قلوب محطمة، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة هي بؤر الجرائم، ومصانع المصائب، والحكومات الجبارة مصابة بالدسائس الداخلية وعدم الثقة، والمشروعات الضخمة تبوء بالفشل نتيجة لخيانة القائمين بها[٢]، لقد أصبحت الحياة غير مرغوب فيها رغم التقدم المادي الهائل، وكل هذا وذاك يرجع إلى حرمان الإنسان من نعمة الإيمان بالله، لقد حرمنا أنفسنا من المنبع والأساس الذي هيأه لنا خالقنا ومالكنا.

---

(١) من هنا نرى قيمة الأخلاق في حياة الأفراد والأمم والشعوب.

(٢) كتاب الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٢٥٠ : ٢٥٢ .

لقد أكدت إحصائية: أن ثمانين بالمائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب، من ناحية أو أخرى.

ويقول علماء النفس الحديث: إن من أهم جذور هذه الأمراض النفسية: الكراهية، والحقد، والجريمة، والخيانة، والإرهاق، واليأس، والترقب، والشك، والأثرة، والانزعاج من البيئة، وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله.

إن هذا الإيمان بالله يمنح الإنسان يقيناً جباراً، حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب، فهو يجاهد في سبيل هدف سام أعلى، ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة.

إن الإيمان بالله يعطي الإنسان محركاً هو أساس كل الأخلاق الطيبة، ومصدر قوة العقيدة التي عبر عنها **السير وليام أوسلر** William Osler بقوله: **«إنها قوة محركة عظيمة لا توزن بأي ميزان، ولا يمكن تجربتها في المعامل».**

مخزن الصحة النفسية :

إن هذه العقيدة هي سر مخزن الصحة النفسية الموفورة، التي يتمتع بها أصحابها، وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهي إلا بالأمراض، أقساها وأعتاها.

إن سبب الأمراض النفسية، التي أشرت إليها، حقيقة واضحة جلية اعترف بها علماء النفس، وقد لخص **عالم النفس الشهير البروفيسور يانج** تجاربه عنها في الكلمات التالية:

«طلب مني أناس كثيرون، في جميع الدول المتحضرة، مشورة لأمراضهم النفسية، في السنوات الثلاثين الأخيرة، ولم تكن مشكلة أحد هؤلاء المرضى - الذين جاوزوا النصف الأول من حياتهم، وهو ما بعد ٣٥ سنة - إلا الحرمان من العقيدة الدينية، ويمكن أن يقال: إن مرضهم لم يكن لأنهم فقدوا الشيء الذي تعطيه الأديان الحاضرة للمؤمنين بها في كل عصر، ولن يُشفى أحد من هؤلاء المرضى إلا إذا استرجع النظام الأخلاقي في الإسلام، وأصبح واقعاً عملياً في حياته».

وإنها لكلمات جلية صادقة: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق : ٣٧).

ولو أردنا المزيد من الإيضاح، فلسوف أقتبس من **الأستاذ كريسي موريسون رئيس اكاديمية نيويورك (سابقاً)**، قوله: «إن الاحتشام، والاحترام، والسخاء، وعظمة الأخلاق، والقيم والمشاعر السامية، وكل ما يمكن اعتباره (نفحات إلهية) ـ لا يمكن الحصول عليها من طريق الإلحاد».

«فالإلحاد نوع من الأنانية، حيث يجلس الإنسان على كرسي الله».

«لسوف تقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين».

«سوف يتحول النظام إلى فوضى».

«سوف ينعدم التوازن، وضبط النفس، والتمسك».

«سوف يتفشى الشر في كل مكان».

«إنها لحاجة ملحة أن نقوي من صلتنا وعلاقتنا بالله»(١).

■ **الواقعة الثانية :** واقعة أفظع ألماً، وأشد حسرة من التي قبلها لبعدها عن الإنسانية ونكران الجميل المادي والتنكر للهداية:

كتب لهما ثروته فأرسلتاه إلى دار مسنين !!

أستاذ جامعي يحصل على حكم باسترداد ١٥ مليون جنيه من ابنتيه ..

داخل محكمة جنح الدقي والعجوزة بالقاهرة، الدائرة مدني وقف أستاذ الجامعة الكبير (م.ح) الذي يبلغ من العمر ٧٣ عاماً يتكئ على أحد الأشخاص والدموع تنهمر من عينيه روى مأساته قائلاً:

تزوجت منذ أكثر من ٣٥ عاماً وأنجبت ابنتين، كنت أعمل ليل نهار من أجلهما، أدخلتهما أرقى المدارس وأفضلها حتى تخرجتا من الجامعة وأصبحت كل

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٢٦٠، طبعة المختار الإسلامي، عام ١٩٧٧م، الطبعة السابعة.

منهما مهندسة كبيرة، وبعد عدة سنوات من تخرجهما توفيت زوجتي بعد صراعٍ مع المرض، ورغم ثرائي رفضت أن أتزوج حتىٰ لا أحضر لهما زوجة أب، وَسَخَّرْتُ نفسي لخدمتهما، وبعد فترة خشيت أن أموت في أي لحظة فالأعمار بيد الله، ولأن ثروتي تقدر بملايين الجنيهات خشيت أن يستولي عليها أشقائي وأبناؤهم فقررت أن أكتب لهما عقد هبة بالفيلا التي امتلكها بالدقي، والتي قدرت بمبلغ ١٠ ملايين جنيه، كما قررت أن أكتب لهما ممتلكات أخرىٰ تقدر بخمسة ملايين جنيه واحتفظت بباقي الثروة لنفسي. .

ومرت الأيام وتزوجت الابنة الكبرىٰ وأقمت لها حفل زفاف كبير، حضره الأهل والأحباب وأقامت في الفيلا معي وكنت أعاملها وزوجها أحسن معاملة، وبعد فترة تزوجت ابنتي الصغرىٰ وأقامت أيضاً في نفس الفيلا هي وزوجها.

ومرت الأيام وأنجبت كل منهما أطفالاً، وزادت سعادتي بأحفادي، وكانت الحياة تسير بصورة طبيعية، وبعد أن خرجت علىٰ المعاش بقيت في الفيلا ومع مرور الأيام وتقدم السن مرضت، وكنت أتردد علىٰ الأطباء بصفة دائمة ولكنني فوجئت بأنه في الوقت الذي أنتظر فيه وقوف ابنتيّ بجواري خاصة مع تقدم السن وإصابتي بالأمراض، إلا إنهما رفضتا الذهاب معي إلىٰ الأطباء، ولم تسأل واحدة منهما عني وكأني غير موجود، وعرفت بعد ذلك أن زوجيهما يحاولان إبعادهما عني، فكنتُ أبكي وأقول: هل هذا جزائي؟ وهل هذا جزاء عقد الهبة الذي كتبته لهما؟

ثم بكىٰ الأستاذ الجامعي أمام هيئة المحكمة وقال: إنني كنت أصارع الموت وأتوسل إليهما لتذهبا بي إلىٰ الطبيب للعلاج وكانتا ترفضان.

وفي أحد الأيام فوجئت بهما تطلبان مني أن أكتب لهما باقي الثروة ولكنني رفضت فأنا كتبت لهما ثروة تقدر بـ ١٥ مليون جنيه وتعاملانني بهذه الطريقة فكيف أكتب لهما باقي الثروة؟

ولو فعلت فسوف تتركاني في الشارع أصارع الموت جوعاً، وعندما رفضت فوجئت بهما تقولان: إن مكاني هو دار المسنين بالهرم.

توسلتُ إليهما أن تتركاني في الفيلا التي كتبتها لهما، وكدت أقبل أيديهما

وأقدامهما ولكنهما رفضتا، واستغلت كل منهما ضعفي ومرضي ونُقِلْتُ بالقوة إلىٰ دار المسنين، وهناك كنت أصارع الموت ولم تكتفيا بهذا بل أقامتا دعوىٰ حجر ضدي للاستيلاء علىٰ كل الثروة، ولكن الحمد لله عندما ذهبت إلىٰ المحكمة رفضت دعوىٰ الحجر بعد أن استمعت لأقوالي. . ثم قال أستاذ الجامعة لهيئة المحكمة: إنني أطالب بفسخ عقد الهبه الذي كتبته لابنتيَّ المهندستين حتىٰ أسترد حقوقي وأطردهما من الفيلا، وأحصل علىٰ الأموال التي أعطيتها لهما.

وبعد أن استمعت هيئة المحكمة لأقوال أستاذ الجامعة وأكدت التحريات صدق ما قال عن ابنتيه الجاحدتين، قررت فسخ عقد الهبة، وإعادة كل الثروات التي حصلت عليها كل منهما إلىٰ والدهما العجوز أستاذ الجامعة، وهنا هتف الحاضرون: يحيا العدل. . وبالفعل ذهب الرجل إلىٰ فيلته واسترد أمواله. . وتم طرد البنتين وزوجيهما من الفيلا[١] .

■ **الواقعة الثالثة:** اغتصب الطبيب المريضة وهي علىٰ السرير في حجرة الكشف، وأحداث هذه الواقعة جرت في مدينة تولون الفرنسية، ولقد دعت الأم - دون أن تدري - إلىٰ ما يدعو إليه الإسلام من وجوب مرافقة الأب أو الأخ أو الابن للمرأة التي تذهب إلىٰ أي رجل، سواء كان طبيباً أو محامياً أم غيره، فقالت: «لن أثق في أحد بعد الآن، وأطلب من جميع الأمهات في العالم ألا يرسلن بناتهن إلىٰ الطبيب أي طبيب دون أن يرافقهن أب أو أخ»[٢].

قالت الأم هذه الكلمات وهي تبكي وتصرخ بعدما اعتدىٰ الطبيب علىٰ ابنتها التي ذهبت إليه تشكو من آلام العادة الشهرية، ولم تكن هذه الأم عربية ولا مسلمة، وإنما أم فرنسية، والطبيب فرنسي وفي الثامنة والخمسين من العمر.

إن مراجعة مئات أو آلاف النساء للأطباء دون أن يعتدي عليهن أحد، لا يلغي وجوب مرافقة محرم للمرأة التي تضطر لزيارة الطبيب أو غيره، مثلما لا يلغي عدم وقوع حادثة نتيجة تجاوز الآلاف للإشارة المرورية الحمراء، وجوب إلزام السائق بالوقوف عندها ومخالفة من يتجاوزها.

(١) جريدة الأسبوع المصرية، العدد ٤٩٠، ٢٠ رجب ١٤٢٧هـ - ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦م.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٣٨٢، ص ٧٠، جمادىٰ الآخرة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

بعد هذا الواقع المُر الذي قدمنا غيض من فيض من وقائعه، تأكد للمجتمع الإنساني أنه سوف يستقر في نهاية المطاف على الإسلام لا محالة.. وهذه الواقعة خير دليل على ذلك :

فقد فوجئ مدير المركز الإسلامي في ميونيخ بألمانيا الغربية بفتاة نمساوية تدخل عليه وتطلب منه أن تتزوج من شاب مسلم . . فتعجب مدير المركز وقبل أن تشتد حيرته بادرته الفتاة قائلة : إن لي أماً ولا أريد أن أفارقها . . وكلما تقدم لي شاب وسمع بالشرط وهو أن تبقىٰ أمي معي بعد الزواج يتراجع هذا الشاب ، فقالت لي أمي بعد تكرار هذا الأمر : بنيتي تزوجي من شاب مسلم فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يحث علىٰ رعاية الأم ، وهو الدين الوحيد الذي يوافق علىٰ أن أقيم معك ! .

هذه بعض نماذج من الواقع.. وليست كلها.. فالحياة اليومية تحفل بكثير من الأحداث والمآسي ، فالفساد ، والرشوة ، والمعاكسات ، والعلاقات الْمُحَرَّمة ، والاغتصاب ، والقتل ، والسرقة ، والغيبة والنميمة ، والكيل بمكيالين ، وسرقة مقدرات الشعوب ، والغل ، والحقد ، والكبر . . وكل الأخلاق الذميمة . . تحدث تقريباً يومياً ، وفي كثير من المجتمعات . .

ونحن ـ من خلال هذا الباب ـ نوجِّه الفرد والمجتمع والأمَّة ، حكاماً ومحكومين ، فقراء وأغنياء ، في بلاد إسلامية أو غير إسلامية إلىٰ الأخلاق التي يجب أن يتحلوا بها . . حتىٰ تسعد البشرية . . وتهتدي إلىٰ ما خُلِقَت له .

محتويات الباب :

يحتوي هذا الباب علىٰ أربعة فصول :

الفصل الأول: نظام الأخلاق في الإسلام ، ونتناوله من خلال تسعة محاور :

المحور الأول : أثر الفرد في نهضة الأمم .

المحور الثاني : النور الذي اتبعوه .

المحور الثالث : تعريف الأخلاق .

المحور الرابع : أهمية الأخلاق .

المحور الخامس : مكانة الأخلاق في الإسلام .

المحور السادس : خصائص نظام الأخلاق في الإسلام :

أولاً : تفصيل الأخلاق :

أ ـ الأخلاق في القرآن.　　ب ـ الأخلاق في السُّنَّة .

ثانياً : شمول الأخلاق .

ثالثاً : في الوسائل والغايات .

رابعاً : الأخلاق والإيمان .

خامساً : الجزاء .

سادساً : خاصية فريدة . . .

المحور السابع : هل يمكن اكتساب الأخلاق ؟

المحور الثامن : كيف يتحقق تقويم الأخلاق واكتسابها؟

المحور التاسع : وسائل تقويم الأخلاق .

الفصل الثاني : أخلاق الفرد ، ونتناوله من خلال سبعة محاور :

المحور الأول: بين العبادات والأخلاق

المحور الثاني : أخلاق يتحلى بها الفرد (من أخلاق المتقين) . .

المحور الثالث : أخلاق سيئة يجب أن يتخلى عنها المسلم .

المحور الرابع : أخلاق عملية .

المحور الخامس : آداب اليوم والليلة (الذكر ـ القرآن ـ الدعاء) .

المحور السادس: بعض العوامل المساعدة على اكتساب الأخلاق .

المحور السابع : البرنامج العملي اليومي (الحسنات في حياة المسلم) .

الفصل الثالث: أخلاق المجتمع : ونتناوله من خلال ثلاثة محاور :

المحور الأول : سيرة الأخلاقي الأول محمد ﷺ .

المحور الثاني : أخلاق لازمة للمجتمع .

المحور الثالث: الحضارة والمدنية والإتيكيت أين؟

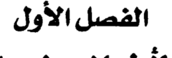
المحور الرابع: السعادة بين الوهم والحقيقة .

الفصل الرابع : الأمة : ونتناوله من خلال أربعة محاور :

١ ـ وعي الأمة .　　٢ ـ من أخلاقها : الشكر لله تعالى .

٣ ـ من منهجها : فن إدارة الأزمات .

٤ ـ من واجباتها : القدوة ـ وأستاذية العالم .



الفصل الأول

نظام الأخلاق في الإسلام

المحور الأول: أثر الفرد في نهضة الأمم .

المحور الثاني : النور الذي اتبعوه .

المحور الثالث : تعريف الأخلاق .

المحور الرابع : أهمية الأخلاق .

المحور الخامس : مكانة الأخلاق في الإسلام .

المحور السادس : خصائص نظام الأخلاق في الإسلام .

المحور السابع : هل يمكن اكتساب الأخلاق ؟

المحور الثامن : كيف يتحقق تقويم الأخلاق واكتسابها؟

المحور التاسع : وسائل تقويم الأخلاق .

الفصل الأول

نظام الأخلاق في الإسلام

المحور الأول : أثر الفرد في نهضة الأمم(١)

جسم الأمة كائن حي يتعرض لما يتعرض له الفرد من أمراض وعلل، وكما تهتم الحكومات بوقاية الأفراد والجماهير من الأمراض الفتاكة والعلل الخبيثة، تهتم الشرائع والحضارات الإنسانية الراقية بوقاية المجتمعات من الأمراض الاجتماعية والخلقية، حتى يظل بنيان الأمة قوياً متماسكاً، ينهض للواجب بقوة ومضاء، ويثبت للكوارث بجلد وإباء، ويعيش في الحياة موفور الكرامة، منيع الحمى، نبيل الغاية، كريم الخلق والسمعة، يأوي إلى ظل ظليل من أمن شامل، وسعادة تغمر الناس جميعاً، حتى لكأنهم في طمأنينتهم وسمو أرواحهم كملائكة السماء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ولعل الذي قصر بنا عن ركب الحياة المتحضر الكريم. . أن عنايتنا بعلل المجتمع وأمراضه، كانت دون عنايتنا برزقه وثروته ومختلف شؤون حياته. . ولقد كان وما يزال عندنا نفر يعتقدون أننا لن تُحترم إرادتنا وتكون لنا مكانتنا اللائقة بنا إلا إذا كانت لنا كل مظاهر الترف واللهو في حياة الأمم المتحضرة اليوم، وفات هؤلاء أن الترف من ثمار الحضارة لا من مقوماتها، وأن هذه الأمم التي تُعجب اليوم بعلمها وفنها وقوتها، لم تهمل في أوائل نهضتها أمراضها الاجتماعية كما نهملها نحن اليوم في مستهل نهضتنا، ولم تقع في الغفلة التي وقعنا فيها. . إن الأمة مجموعة متماسكة من الأفراد، وكلما كان الفرد سليماً كان بناء الأمة سليماً، وكلما كانت أخلاق الأمة قوية نقية كانت اتجاهاتها سليمة وهدفها مستقيماً.

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ط. دار السلام ١٩٩٨م، ص ٥ .

ولعل الإسلام هو أوفى الأديان والشرائع عناية بتوازن القوى المختلفة في المجتمع، وبناء الأمم بناءً متراصاً لا وهن فيه ولا ثغرة ولا اختلاف.. إنك لتراه يعنى بتنظيم حياة الناس المادية كأتم ما تعنى بذلك المذاهب الاقتصادية، ويهتم بتقويم الأخلاق الاجتماعية كأقوى ما تهتم بذلك الدعوات الأخلاقية، ويبالغ في تطهير الروح وتهذيب النفس أشد مما تبالغ في ذلك الأديان السماوية.. وهو يربط بين هذه بعضها مع بعض، ويشد بعضها إلى بعض، حتى لترى المسلم الحق قوياً في كل ناحية من نواحي حياته، قوياً في خلقه، وقوياً في جسمه، وقوياً في كل ما يعطيه لفظ القوة من دلالة، وما أروع قوله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**[١].

وما من شك في أننا نعاني في حياتنا الحاضرة أمراضاً اجتماعية خطيرة، لن تستقيم معها نهضة ولن يطرد بها سير، وهي مختلفة المظاهر في الفرد والأسرة والجماهير، وهي تشمل فئات الناس جميعاً من: عالم وجاهل، وكبير وصغير، ومدني وقروي.

(١) رواه مسلم، قدر ٣٤.

المحور الثاني : النور الذي اتبعوه

إن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله . . .

أما محمد الرسول ﷺ فلن يفكر أحد في أن يكون مثله أو قريباً منه، في إشراق روحه، واتصاله بالملأ الأعلىٰ، يتلقىٰ الوحي، ويتنزل عليه الهدىٰ آيات بينات! لن يصل أحد إلىٰ هذا، ولا إلىٰ قريب منه، لأن الله ختم بنبوته النبوات، وبشريعته الشرائع.

وأما محمد الإنسان ﷺ، فهو الذي يحرص كل مسلم علىٰ أن يكون ظله في الأرض، يتخلق بخلقه، ويهتدي بهديه، ويأنس به في صبره وجهاده، وزهده وعبادته، وتضحيته وإيثاره، ومأكله وملبسه، وما أعتقد أن الله أكرم رسوله الإنسان بمدح أعلىٰ من هذا المديح: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

تعال بنا لنتخطىٰ أسوار الزمن حتىٰ نصل إلىٰ عتبة (محمد الرسول الإنسان) فنرىٰ روح الحياة المشرقة السارية في مجتمع فاض بالبطولات والمروءات.

أوصافه الخِلقية :

قالوا في أوصافه عليه السلام[١] : إنه كان ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه، له نور يعلوه، إذا زال تقلعاً، يخطو تكفياً ويمشي هوناً، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب، خافض الطرف، نظره إلىٰ الأرض أطول من نظره إلىٰ السماء، جُل نظره الملاحظة، يمشي وراء أصحابه، ويبدر من لقي بالسلام، دائم الأحزان، متواصل الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله، وإذا تكلم أعاد الكلام ثلاثاً ليفهم عنه، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، أوتي جوامع الكلم، واختصرت له الحكمة اختصاراً، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً (طعاماً)

---

(١) أخذنا هذه الأوصاف من كتب السنة الصحيحة، وكتب الشمائل النبوية وخاصة شمائل الإمام أبي عيسىٰ الترمذي رحمه الله

قط ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعدىٰ الحق لم يقم لغضبه شيء حتىٰ ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وغض طرفه، جُل ضحكه التبسم، إذا نطق فعليه البهاء، وإذا صمت فعليه الوقار، أزين الناس منظراً وأحسنهم وجهاً، وأجودهم، وأسخاهم نفساً، يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر، وما سئل عن شيء قط فقال: لا، وما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً(١) .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف شخصيته: « من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه »(٢) .

المحور الثالث : تعريف الأخلاق

الخُلق في اللغة: الطبع والسجية، وفي اصطلاح العلماء، كما يعرفه الغزالي عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلىٰ فكر وروية(٣) ، ويمكننا تعريف الأخلاق بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه.

معنى الأخلاق في الإسلام: هي مجموعة المبادئ والقيم التي تنظم سلوك الإنسان التي حددها الوحي ووضع لها من الضوابط ما يحقق الغاية في وجود الإنسان علىٰ الأرض(٤) .

---

(١) متبلج الوجه: مشرقة، التقلع: رفع الرجل بقوة، يخطو تكفياً: يميل إلىٰ سن المشي وقصده، الهون: الوقار، ذريع المشية: واسع الخطو، الصبب: العلو، يبدر: يبدأ.

(٢) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفىٰ السباعي، ط. دار السلام، عام ١٩٩٨م، ص٢٧ .

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، جـ٣، ص٤٦ .

(٤) فقه الدعوة إلىٰ الله، د. علي عبد الحليم .

المحور الرابع : أهمية الأخلاق (١)

للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، وما أصدق كلمة **الإمام الغزالي** إذ يقول في إحيائه: «فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة».

فأفعال الإنسان، إذن موصولة دائماً في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب.

ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع: ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٥٨).

ولهذا كان النهج السديد في إصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء وضيق وقلق، وعز وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾ (الرعد: ١١).

وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن الإنسان قبل أن يفعل شيئاً أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضياً مقبولاً انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكمشت النفس وكرهته وأحجمت عنه تركاً كان أو فعلاً.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٧٩، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة ٩، ٢٠٠١م.

المحور الخامس : مكانة الأخلاق في الإسلام (١)

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة جداً، تظهر من وجوه كثيرة نذكر منها ما يأتي:

أولاً : تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق، جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٢).

ثانياً : تعريف الدين بحسن الخلق، فقد جاء في حديث مرسل أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما الدين؟ فقال الرسول ﷺ: «**حُسن الخلق**»(٣). وهذا يعني أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه كالوقوف على عرفات بالنسبة للحج، فقد جاء في الحديث: «**الحج عرفة**»(٤)، أي أن ركن **الحج العظيم** الذي لا يكون الحج إلا به الوقوف في عرفات.

ثالثاً : من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق، جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق**»(٥).

رابعاً : المؤمنون يتفاضلون في الإيمان، وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقاً، جاء في الحديث: قيل: يا رسول الله، أي المؤمنون أفضل إيماناً؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**»(٦).

خامساً : إن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله ﷺ وقربهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظفراً بحب رسول الله والقرب منه أولئك المؤمنون الذين

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٨١ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٨١، ومالك في الموطأ، حسن الـخُلق ٨، قال ابن عبدالبر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

(٣) البخاري ومناقب الأنصار ٣٣ ، أدب ٣٩، ومسلم ، فضائل الصحابة ١٣٣ .

(٤) رواه الترمذي، تفسير ٢ ، ٢٢ ، وأبو داود، مناسك ٦٨ ، وابن ماجة ، مناسك ٥٧ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري ، أدب ٣٩، ومسلم، بر ١٤ .

(٦) رواه البخاري، فضائل الصحابة ٣٧، ومناقب ٢٣ .

حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»(١).

سادساً : إن حسن الخلق أمر لازم وشرط لا بد منه للنجاة من النار والفوز بالجنان، وإن التفريط بهذا الشرط لا يغني عنه حتى الصلاة والصيام، جاء في الحديث أن بعض المسلمين قال لرسول الله ﷺ: «إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها»، قال: «**لا خير فيها هي من أهل النار**»(٢).

سابعاً : إن النبي ﷺ كان يدعو ربه بأن يحسن خلقه وهو ذو الأخلاق الحسنة وأن يهديه لأحسنها، فقد كان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم كما أحسنت خَلقي فأحسن خُلُقي**»(٣). ويقول ﷺ أيضاً: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٤)، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لا يدعو إلا بما يحبه الله ويقربه منه.

ثامناً : مدح الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بحسن الخُلق، فقد جاء في القرآن: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: ٤). والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

تاسعاً : كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمراً بالجيد منها، ومدحاً للمتصفين به، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الرديء منها وذم المتصفين به، ومع الذم العقاب، ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق، يدل على أهميتها، ومما يزيد في هذه الأهمية أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة، ومنها ما نزل في المدينة بعد الهجرة، مما يدل على أن الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم وأن مراعاة الأخلاق تلزم المسلم في جميع الأحوال فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سوره المكية والمدنية على حد سواء.

---

(١) رواه البخاري، فضائل الصحابة ٣٧، ومناقب ٢٣.

(٢) رواه أحمد ١/ ٤٠٣، والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أحمد ١/ ٤٠٣، ٦/ ٦٨.

(٤) رواه مسلم، مسافرين ٣٠١.

المحور السادس : خصائص نظام الأخلاق في الإسلام (١)

يتميز نظام الأخلاق في الإسلام بجملة خصائص منها تفصيل الأخلاق، وشمولها، ولزومها في الوسيلة والغاية، وارتباطها بمعاني الإيمان والتقوىٰ ووقوع الجزاء فيها وهو ميزة فريدة لها.

ونبين فيما يلي هذه الخصائص بإيجاز:

أولاً: التعميم والتفصيل في الأخلاق:

دعا الإسلام إلىٰ الأخلاق الكريمة دعوة عامة، من ذلك ما جاء في القرآن: **﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾** (الإسراء: ٥٣).

والقول بما هو أحسن دعوة عامة للقول الطيب المطلوب بجميع أنواعه في مخاطباتهم ومحاوراتهم، وفي قوله تعالىٰ: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** (النحل: ٩٠).

دعوة عامة للابتعاد عن رذائل الأخلاق، وفي السنة النبوية من هذه الدعوة العامة إلىٰ الأخلاق الشيء الكثير من ذلك: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»** (٢).

والخلق الحسن يجمع أنواع الأخلاق الحسنة وفي الحديث: **« إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »**(٣).

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، بتصرف، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢) رواه الترمذي، بر ٥٥، والدارمي، رقاق ٤٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود، أدب ٧، ومالك في الموطأ، حُسن الخُلق ٦.

أ - الأخلاق في القرآن :

١ - **الوفاء بالعهد**، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء: ٣٤).

٢ - **النهي عن القول بلا علم**، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء: ٣٦).

٣ - **النهي عن مشية التبختر والتمايل كما يفعل المتكبرون**، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ (الإسراء: ٣٧).

٤ - **النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير**، قال تعالىٰ : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٦، ٢٧). ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩).

٥ - **الأمر بالعدل في جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى الكفار**، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٢). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

٦ - **التعاون على البر والتقوى وما ينفع الناس**، والنهي عن التعاون على البغي والعدوان، قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

٧ - الظلم ظلمات يوم القيامة، وعاقبته وخيمة، وهو أنواع، أقبحها افتراء الكذب على الله، وتعدي حدود الله، والظالم مقطوع الصلة بالله فهو مخذول غير منصور، ومن أجل هذا نهى الإسلام عنه، قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء: ٢٢٧). ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٩). ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ (آل عمران: ١٩٢)

٨ - الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا بد للمؤمن من صبر على طاعة الله وصبر على قضاء الله، وبهذا يكون من المحسنين، ورحمة الله قريب من المحسنين، ولهذا أمر الإسلام بالصبر، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ٢٠٠). ﴿ **مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (التوبة: ١٢٠). ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ** ﴾ (الروم: ٦٠).

٩ - الصدق من علامات الإيمان وثمراته، ولهذا أمر الإسلام به، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة: ١١٩). ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٨٠).

١٠ - الكذب رذيلة لا ينال صاحبها هداية الله، ويثمر النفاق في القلب،

ولهذا نهى الإسلام عنه وحذر منه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨). ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة: ٧٧).

١١ - التكبر والعجب والبخل والفخر والرياء رذائل وأمراض تصيب القلب فتطمسه وتمحق نوره وتبعد صاحبها عن الله تعالى، ولهذا جاء النهي عنها، قال تعالى: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان: ١٨). ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾ (النساء).

١٢ - الاعتدال في المشي بين البطء والإسراع مطلوب من المسلم، وخفض الصوت وعدم رفعه بلا حاجة مطلوب أيضاً من المسلم، قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٧).

١٣ - الثبات على الحق والدوام على الطاعة والعبادة، أمور مطلوبة لأن الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والدوام والثبات على الحق تفوت الثمرة ولا يصل المسلم إلى الغاية، وينقطع عن ركب الصالحين، من أجل هذا وجب على المسلم أن يكون على قدر كبير من الثبات على معاني الإيمان والاستقامة عليها لينال الفوز والرضوان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاتَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠).

١٤ - **الجنة دار الطيبين**، أعدها الله للمتقين الذين من أخلاقهم الحسنة الإنفاق في جميع الأحوال في اليسر العسر فينفقون بقدر ما لهم ولا يبخلون عن الإنفاق ولو كان قليلاً، ومن أخلاقهم كظم الغيظ فلا ينفذونه وهم القادرون على إنفاذه طاعة لله وخشية منه واحتساباً للأجر عنده، ومن أخلاقهم أنهم لايستوفون كل حقوقهم من الناس بل يتركون منها لهم إحساناً عليهم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)﴾ (آل عمران).

١٥ - **النهي عن الغل والحقد**، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

١٦ - **علاج الجاهل الإعراض عنه وتركه وشانه**، وبهذا أمر الإسلام، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

١٧ - **ومن وصايا الإسلام الجامعة لعباده المؤمنين، في باب الأخلاق قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ(١٢)﴾ (الحجرات)[1].

---

(١) السخرية بالناس، احتقارهم والاستهزاء بهم، اللمز، الطعن بهم بالقول، الهمز، الطعن بهم بالفعل، والهماز، اللماز مذموم ملعون قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، والتنابز بالألقاب أن تدعو غيرك بلقب يسوؤه سماعه، والظن كما يقول ابن كثير في تفسيره، التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعضه إثم فليجتنب كثير منه احتياطاً، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملاً» والغيبة ذكرك أخاك بما يكره فإن لم يكن فيه ما تذكره فقد غبته.

١٨ ـ ومن الآيات التي جمعت كثيراً من أخلاق المؤمنين، وجعلت هذه الأخلاق علامة على إيمانهم قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ[1] مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ[2] ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ[3] هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون). وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا[4] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا[5] ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا[6] ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[7] ۝ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا[8] ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ[9] وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا[10] ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا

---

(١) اللغو : هو كل ما لا يحمد من القول والفعل.

(٢) العادون : هم المجاوزون الحلال إلىٰ الحرام.

(٣) الفردوس : أعلىٰ الجنة.

(٤) هَونًا : أي بسكينة ووقار وتواضع.

(٥) سلامًا : أي قالوا قولاً سديداً ولا يدخلون في جدال وخصام مع الجاهلين.

(٦) غراماً : أي لازماً ممتداً.

(٧) قواماً : أي عدلاً وسطا بلا إفراط ولا تفريط.

(٨) أثاما : أي عقابًا وجزاء.

(٩) ولا يشهدون الزور: أي لا يحضرون مجالس السوء والكَذب والكفر والفسق والباطل.

(١٠) مروا كرامًا : أي مكرمين أنفسهم بالإعراض عن مشاهد الزور.

وَعُمْيَانًا(١) ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٢) ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا(٣) ﴿٧٦﴾ ﴾ (الفرقان) .

ب- الأخلاق في السنة :

١- **في النهي عن الغضب** : عن أبي هريرة أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : «**لا تغضب**»(٤) .

٢- **وفي الحياء وردت أحاديث كثيرة منها: «الحياء لا يأتي إلا بخير»(٥)، «الحياء خير كله»(٦)، «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»(٧) .**

٣- في التعاون، يقول ﷺ : «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٨) .

٤- في حقوق المسلم والنهي عن بعض الأخلاق : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولاتباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا ــ ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات ــ بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»(٩) .

---

(١) أي لا يكون حالهم مثل حال الكفار حيث يسمعون كلام الله ولا يتأثرون به ولا يعقلون مافيه كأنهم صم عمى ، وإنما حال المؤمنين عند سماعهم كلام الله فهم معناه والانتفاع به .

(٢) إماماً : أي اجعلنا أئمة يقتدىٰ بنا في الخير أو هداة مهتدين دعاة إلى الخير .

(٣) حسنت مستقراً ومقاماً : أي حسنت منظراً وطابت مقيلاً ومنزلاً .

(٤ ، ٥) رواه البخاري ، أدب ٧٧ .

(٦) رواه مسلم، إيمان ٦١ .

(٧) رواه البخاري، أنبياء ٥٤ .

(٨) رواه مسلم، ذكر ٣٧-٣٨ .

(٩) رواه البخاري، أدب، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ومسلم ، بر ١٤ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ .

٥ ـ النهي عن أخلاق المنافقين، قال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(١) ، «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢) .

٦ ـ في الحلم والأناة، عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ لأ شج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»(٣) .

٧ ـ في الرفق عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»(٤) .

٨ ـ في الرياء والسمعة والإخلاص: سُئِل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٥) .

وقال ﷺ أيضاً: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٦) .

٩ ـ في النهي عن المراء والجدل، قال ﷺ: «**من ترك المراء وهو محق بني له بيت في الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، وما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل**»(٧) .

(١ ، ٢) رواه البخاري، استقراض ١٠ ، مظالم ١٧ ، وصايا ٨، جزية ١٧ ، شهادات ٢٨ ، أدب ٦٩ ، ومسلم، إيمان ١٠٦ ، ١٠٨ ، مساجد ١٢٩ .

(٣) رواه مسلم، إيمان ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) البخاري، استتابة ٤ ، دعوات ٥٩ ، أدب ٣٥ ، ومسلم، بر ٤٧ ، سلام ١٠ .

(٥) رواه مسلم، إمارة ١٤٩ .

(٦) البخاري، بدء الوحي ١ ، إيمان ٤١ ، نكاح ٥ ، مناقب الأنصار ٤٥ ، عتق ٦ ، إيمان ٢٣ ، حيل ١ ، ومسلم ، إمارة ١٥٥ .

(٧) رواه الترمذي ، بر ٥٨ ، وقال: حديث حسن، وأبو داود ، أدب ٧ ، وابن ماجة، مقدمة٧ .

١٠ ـ في بذاءة اللسان، قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[1] .

١١ ـ في العجب والشح، قال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه»[2] .

١٢ ـ ترك الكلام فيما لا يعنيك، قال ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[3] .

١٣ ـ ترك فضول الكلام، قال ﷺ: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله»[4] .

١٤ ـ وزن الكلمة بميزان الإسلام قبل النطق بها، قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»[5] .

١٥ ـ في الأمانة والوفاء بالعهد، قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له»[6] .

وسأل رجل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ فقال له: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»[7] .

---

(١) رواه الترمذي، بر ٤٨، وأحمد ١/ ٤٠٥، ٤١٦، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) رواه ابن ماجة، فتن ٢١، وأبو داود، ملاحم ١٧، والترمذي، تفسير سورة ٥/ ١٨، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) رواه الترمذي، زهد ١١، وابن ماجة، فتن ١٢، والموطأ، حُسن الخُلق ٣، وأحمد ١/ ٢٠١، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٤) رواه الطبراني في الكبير، جـ٥، ص ٧١، حديث رقم ٤٦١٥ .

(٥) رواه البخاري، رقاق ٢٣ .

(٦) رواه أحمد ٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، والبزار، والطبراني في الأوسط، وابن حبان في صحيحه

(٧) البخاري، علم ٢ .

١٦ ـ في الصدق والكذب، يقول الرسول ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ومايزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١) .

١٧ ـ في القوة والعزيمة، يقول الرسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٢) .

١٨ ـ المتابعة في الخير لا في الشر، يقول الرسول ﷺ: «**لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم**»(٣) .

١٩ ـ الحزم واليقظة، يقول ﷺ: «**لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين**»(٤).

٢٠ ـ النهي عن الذل، يقول ﷺ: «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه..**»(٥)، قالوا: يارسول الله، وكيف يذل نفسه؟ قال: «يَتَعرَّض من البلاء لما لا يُطيق».

٢١ ـ في التواد والتراحم والتعاطف، يقول ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٦).

---

(١) رواه البخاري، أدب ٦٩، ومسلم، بر ١٠٥، ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) رواه مسلم، قدر ٧٤ .

(٣) رواه الترمذي، بر ٦٣ ، وقال: حديث حسن غريب .

(٤) رواه البخاري في الأدب، ومسلم في الزهد.

(٥) رواه ابن ماجة، والترمذي في الفتن ٦٦ ، وأحمد في المسند، جـ ٥ ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

(٦) رواه مسلم بر ٦٦ ، ٦٧ .

ثانياً : شمول الأخلاق :

ومن خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الشمول، ونعني به أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً أو جماعة او دولة، فلا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق ولزوم مراعاة الأخلاق مما لا نجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية.

ونذكر هنا ـ على سبيل التمثيل فقط ـ مدى مراعاة الأخلاق في علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول ليتبين لنا مدى حرص الإسلام على التمسك بمعاني الأخلاق[١].

ووجه اختيارنا هذه العلاقات هو ما شاع بين الناس، ويؤيده الواقع، إن العلاقات بين الدول لا تقوم على أساس مراعاة الأخلاق، حتى إن أحدهم قال: «لامكان للأخلاق في العلاقات الدولية».

ولهذا كان الخداع والتضليل والغدر والكذب من البراعة في السياسة، إن الإسلام يرفض هذا النظر السقيم، ويعتبر ما هو قبيح في علاقات الأفراد قبيحاً أيضاً في علاقات الدول، ويعتبر ما هو مطلوب وجميل في علاقات الأفراد، مطلوباً وجميلاً أيضاً في علاقات الدول، ولهذا كان من المقرر في شرع الإسلام أن على الدولة الإسلامية أن تلتزم بمعاني الأخلاق، وهذا التقرير موجود في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وفي أقوال الفقهاء، فمن ذلك:

أولاً : قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (الأنفال: ٥٨). أي إذا ظهرت خيانة من عاهدتهم وثبتت دلائلها، فأعلموهم بنقض عهدهم حتى تستووا معهم في العلم، لأن الله تعالى لايحب الخائنين، ولو كانت الخيانة مع قوم كافرين وكانوا في نقض العهد بادين.

ثانياً : كان من شروط معاهدة الحديبية بين النبي ﷺ وبين مشركي قريش، أن

---

(١) ظهر ذلك واضحاً في فصل العلاقات الدولية في الباب الثالث من هذه الموسوعة.

من يأت من قريش النبي ﷺ مسلماً يرده النبي ﷺ ولا يؤويه، وبعد الفراغ من كتابة المعاهدة جاء أبو جندل من قريش مسلماً معلناً إسلامه يستصرخ المسلمين أن يؤووه ويحموه من قريش، فقال له الرسول الكريم ﷺ: «**إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا، وإنا لا نغدر بهم**»(١).

ثالثاً : قال الفقهاء: لا يجوز للمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل ديارهم بأمان منهم، لأن خيانتهم غدر ولا يصلح في دين الإسلام الغدر(٢).

رابعاً : قال فقهاء الحنابلة: إذا أطلق الكفار الأسير المسلم واستحلفوه أن يبعث إليهم بفدائه أو يعود إليهم لزمه الوفاء، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ (النحل: ٩١).

ولأن الرسول ﷺ قال: «**إنا لا يصلح في ديننا الغدر**»(٣).

خامساً : إذا كانت دار الحرب تأخذ من رعايا دار الإسلام الداخلين إلى إقليمها ضريبة على أموالهم التي معهم بحيث تستأصل هذه الأموال، أو تأخذ من أموالهم القليلة ضريبة كبيرة لا تتناسب مع أموالهم، فإن دار الإسلام لا تقابلهم بالمثل.

ويعلل الفقهاء قولهم هذا بأن فعل أهل دار الحرب غدر وظلم، فلا نقابلهم بالغدر والظلم، لأننا نهينا عن التخلق بمثل هذه الأخلاق وإن تخلقوا هم بها(٤).

سادساً : سعة المعنى الأخلاقي :

١ ـ الأخلاق في المنهاج الإسلامي هي أسمى درجات السمو والارتقاء؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل نفسه (المثل الأعلى) لأخلاق المؤمنين، وطلب منهم أن يتخلقوا على نمط ما علمهم عن نفسه جل شأنه من رحمة وود وحلم وعفو وسخاء وإتقان

(١) الرحيق المختوم، ص ٤٤٧، موضوع صلح الحديبية، ط دار الوفاء، ورواه أحمد ٤/ ٣٢٣.
(٢) المغني لابن قدامة الحنبلي، جـ٨ ص ٤٥٨.
(٣) المغني، جـ٨ ص ٤٨٣.
(٤) المبسوط، جـ١٢ ص ٢٠٠، وحاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٥٦.

وإحسان، مع ملاحظة الفارق التام بين صفات الخالق والمخلوق في كل شيء[1].

٢ ـ سعة المعنى الأخلاقي وشمولية هذا الدين [2] : «. . . وقد أضافت الرسالة المحمدية للأخلاق بُعداً جديداً وخطيراً تمثل في إقامة دولة عالمية على أساس أخلاقي متين، فكان شيئاً فريداً في بابه أن يستوي الحاكم بالمحكوم، وأن يَقيدِ الحاكم من نفسه لأدنى رعاياه (يعني تقتص منه الرعية إذا ظلمهم)، وأن يَعِفَّ عن أموال الدولة حتى الجوع والاستدانة، وأن يحرم الغدر ولو بالأعداء، وأن تُحترم المعاهدات معهم، حتى ينبذ إليهم على سواء، وغير ذلك كثير مما لم يكن للدولة به عهد ولا اعتبار، وربما كان لديهم مبادئ نظرية في هذا، لكنها لم ترق إلى موقع التنفيذ، فضلاً أن تصبح واقعاً عملياً لحياة الناس الواسعة المتقبلة».

ومن هنا يُفهم معنى قوله ﷺ: **«إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»**[3].

ثالثاً: لزومها في الوسائل والغايات:

والخصيصة الثالثة لنظام الأخلاق في الإسلام أن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات، فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة.

ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث «الغاية تبرر الوسيلة»، وهو مبدأ انحدر إلينا من ديار الكفر يدل على ذلك أي على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق فيها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ (الأنفال: ٧٢).

---

(١) المنهاج القرآني، د. عبدالستار فتح الله، ص ٤١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٥.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٨١، ومالك في الموطأ، باب حُسن الخُلق ٨، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم.

فهذه الآية الكريمة توجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز النصرة لأن وسيلتها الخيانة ونقض العهد، والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين.

رابعاً : صلة الأخلاق بالإيمان وتقوى الله :

الأخلاق في الإسلام موصولة بالإيمان وتقوى الله، قال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (التوبة: ٤). فالوفاء بالعهد من تقوى الله سبحانه وتعالى، ومحبة الله، ومن الإيمان المسارعة إلى ما يحبه الله تعالى.

ويقول الرسول ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[1].

فهذا الحديث الشريف يدل على أن الأخلاق السيئة تنافي الإيمان وتناقضه، وأنه لا يجتمع الإيمان والخلق الرديء.

خامساً : الجزاء :

ومن خصائص نظام الأخلاق في الإسلام: الجزاء، لأن الإسلام جاء بالأخلاق أمراً ونهياً، وإن عصيان أوامر الشرع، أو ارتكاب ما نهى عنه سبب للعقاب، قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ (الهمزة: ١).

كما أن الالتزام بحدود الشرع وطاعته سبب للثواب الحسن.

والجزاء لمن يخالف حدود الشرع في الأخلاق ونحوهم يعاقبهم القاضي المسلم بالعقوبة التعزيرية والحنث في اليمين، أي عدم الوفاء بالوعد الموثق باسم الله، يترتب عليه كفارة اليمين، وفي الكفارة معنى العقوبة كما يقول الفقهاء.

وقد يكون الجزاء في الدنيا هلاك الجماعة التي يشيع فيها الخلق الرديء، وقد أشار لهذا الجزاء الحديث الشريف: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا**

---

(١) رواه البخاري، أدب ٣٩، ومسلم، إيمان ٧٣.

سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد»[١] .

ومثل شيوع الجبن في الأمة وترك الظلمة يعبثون في حقوق الناس دون إنكار عليهم خوفاً منهم وجبناً وإيثاراً للذل والحياة المهينة، فإن هذه الأخلاق الدنيئة سبب لهلاك الأمة أو إصابتها بشر كبير أو ضرر جسيم يصيب المذنب والبريء قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الأنفال: ٢٥).

سادساً : خاصية فريدة :

يمتاز نظام الأخلاق في الإسلام بخاصية لا توجد في أي قوانين أو تشريعات على الإطلاق وهي: مراعاة الشعور [٢] .

فالنفس البشرية شديدة التعقيد، وحينما توجه الإهانة سواء بقصد أو بغير قصد إلى شعور الفرد فإن النفس تتحطم بإيذاء هذه الأحاسيس، ولذا حرص الإسلام أشد الحرص على عدم إهانة شعور الفرد، فعلى سبيل المثال:

١ ـ **نهى الإسلام عن التناجي:** قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ (المجادلة: ٨).

ومن حديث الأعمش عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»**[٣]، إن الإسلام ينفر من التناجي والمسارة والتدسس بالقول في خفية، وقد وردت أحاديث نبوية كريمة بالنهي عن التناجي في الحالات التي توقع الريبة، وتنزع الثقة، وتبعث التوجس.

---

(١) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبي ١٨، أنبياء ٥٤، حدود ١٢، ومسلم، حدود ٨، ٩.

(٢) الشعور: الإدراك بلا دليل، الإحساس، وعند علماء النفس يطلق على العلم بما في النفس أو بما في البيئة وعلى ما يشتمل عليه الفعل من إدراكات ووجدانيات ونزعات .. المعجم الوسيط، مادة: شعر، طبعة المجمع اللغوي.

(٣) رواه البخاري، مظالم ٢، أدب ٦٠، ومسلم، توبة ٦٠.

٢ ـ **نهى الإسلام عن إيذاء شعور الجار**: قال ﷺ: «**ولا تؤذه بقتار**[١] **قدرك إلا أن تغرف له منها. وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده**»[٢]، وفي رواية: «**فأكثر المرقة وتعاهد جيرانك**»[٣].

٣ ـ **نهى الإسلام عن جرح شعور المُخطئ المذنب**: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يحذر من خلق سيئ في مكان من الأماكن لايصرح بذلك بل كان يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**»[٤]، فلا يجرح شعور الموجودين، ولا تحدث الجرأة على فعل هذا الخلق السيء لشيوع وقوعه.

ومن ذلك أيضاً: ما أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: بينا نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه**»، أي لا تقطعوا عليه بوله، «**دعوه**» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن**»، وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من الماء فشنه عليه (أي: صبه)[٥].

٤ ـ **وفي أدق الأمور خصوصية**: نهى الإسلام الزوج أثناء جماع زوجته ألا ينزع حتى تقضي وطرها فلا يؤذي شعورها[٦].

---

(١) القُتار: هو الدخان من المطبوخ ورائحة اللحم والشواء والعظم المحروق.

(٢) رواه الخرائطي من مكارم الأخلاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ورواه الطبراني عن معاوية بن حَيْدة، وفي الترغيب رقم ٣٧٠٢، ورواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب التوبيخ عن معاذ بن جبل، وفي الترغيب برقم ٣٧٠٣.

(٣) رواه مسلم، بر ١٤٢، ورواه أحمد في المسند جزء ٥.

(٤) أخرجه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، جـ٧، ص ٧٠، بلفظ كان «لا يُعيره»، وأخرجه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) يقول أ. سعيد حوى في كتاب: الرسول ﷺ، ص ١٨٠: إن هذا الحديث يدل على مقدار الوعي الحضاري عند العرب، إذ ما من إنسان في العالم يبول في معبده، ولكن الأعرابي فعلها وكان موقف الرسول ﷺ منها موقف المربي الذي مهمته أن يجبر النقص إلى الكمال.

(٦) راجع موضوع الزواج في هذه الموسوعة.

المحور السابع : هل يمكن اكتساب الأخلاق وتقويمها؟!

والآن وقد بينا مكانة الأخلاق في الإسلام ومدى تأثيرها في الأعمال، ومايترتب عليها من ثواب وعقاب، نسأل: هل يمكن تقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها، والتخلي عن قبيحها؟

أم أن الأخلاق صفات لازمة تخلق في الإنسان ويتطبع عليها فلا يمكنه تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها، كما لا يمكنه تغيير صفاته الجسمية من طول وقصر ولون؟

الجواب عن هذا السؤال، كما يظهر لنا، يتلخص فيما يأتي:

أولاً : إن الأخلاق من حيث الجملة يمكن تقويمها وتعديلها، كما يمكن اكتساب الجيد منها والتخلي عن قبيحها وبالعكس ودليلنا على ذلك أن الشرع أمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة ونهى عن التخلق بالأخلاق الرديئة، فلو لم يكن ذلك ممكناً مقدوراً للإنسان لما ورد به الشرع، الإسلام لا يأمر بالمستحيل ومن القواعد الأصولية في الفقه الإسلامي: لا تكليف إلا بمقدور أو لا تكليف بمستحيل وعلى هذا فكل إنسان عنده أهلية وقدرة للتحلي بالأخلاق الجيدة عن أضدادها، كما أن عنده أهلية وقدرة على عكس ذلك.

وقد يستأنس لهذا بقول الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ (الشمس).

ولكن مع هذا فإن الناس يتفاوتون في مقدار أهليتهم وقدرتهم واستعدادهم لاكتساب الأخلاق أو تعديلها، كما يختلفون في مدى أهليتهم وقدرتهم واستعدادهم لتلقي العلوم المختلفة، أو إدراك الحقائق الدقيقة نظراً لاختلاف عقولهم ومدى ذكائهم.

ثانياً : إن بعض الناس قد يجبل على بعض الأخلاق بحيث تكون هذه الأخلاق بارزة فيهم وظاهرة في سلوكهم، ودليلنا على هذا حديث رسول الله ﷺ

الذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس :

«**إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله: الحلم والأناة**» .

قال : يا رسول الله ، أنا أتخلق بهما أم الله تعالىٰ جبلني عليهما؟

قال رسول الله ﷺ : «**بل الله جبلك عليهما**» .

فقال : «الحمد لله الذي جبلني علىٰ خصلتين يحبهما الله تعالىٰ ورسوله»(١) .

ولا شك أن الناس يتفاوتون فيما يجبلون عليه من الأخلاق كما يتفاوتون في ما يجبلون عليه من قوة الإدراك والذكاء ، ويترتب علىٰ ذلك أن من جبل علىٰ نوع معين من الأخلاق يسهل عليه ترسيخ هذا النوع في نفسه والبقاء عليه لأنه يجد عوناً في ذلك بما جبل عليه .

---

(١) تيسير الوصول ، لابن الديبع الشيباني ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ ، والحديث رواه مسلم ، إيمان ٢٥ ، ٢٦ .

المحور الثامن : كيف يتحقق تقويم الأخلاق أو اكتسابها ؟

إن تقويم الأخلاق أو اكتسابها يمكن أن يتم بشكل من الأشكال التالية :

أولاً : بتقليل آثارها وعدم المضي في تنفيذ مقتضاها وما تدعو إليه ، وهذا بالنسبة للأخلاق التي تعتبر من الغرائز في كل إنسان ، ومنها الغضب ، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: « أوصني » ، فقال : «**لا تغضب**» ، فردد الرجل سؤاله مراراً، فكان النبي الكريم ﷺ يقول له : «**لا تغضب** » .

وقد قال العلماء في شرح الحديث : أن النهي عن الغضب ينصرف إلى النهي عن العمل بمقتضى الغضب أي بلزوم دفع آثار الغضب ، وليس النهي راجعاً إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر فلا يمكن دفعه ولا استئصاله(١) .

فالمطلوب في تقويم خلق الغضب ليس استئصاله بالكلية فهذا غير ممكن وإنما السيطرة عليه وكظمه (٢) وعدم تنفيذ مقتضاه ، يؤيد ذلك ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(آل عمران : ١٣٤) .

---

(١) شرح الأربعين النووية للإمام النووي ص ٤٩ ، وفتح المبين لشرح الأربعين للفقيه ابن حجر الهيتمي ص ١٤٠ .

(٢) توصية عملية : يقول علماء النفس : إذا حدث شيءٌ يُغضبك انتظر ستين ثانية على الأقل لا تَرد ولا تتكلم ، فسوف يتغير الرد إلى الأحسن ، وتقل حدَّة انفعالك .

وأصل هذا الكلام في حديث النبي ﷺ : «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» ، أي في الدقيقة الأولى لسماع الخبر ، فمثلاً : تسمع خبر وفاة شخص عزيز :

أ ـ الرد مباشرة : (كيف؟ مستحيل ، إنه أمرٌ لا يُصدق) .

ب ـ الرد بعد دقيقة : قدَّر الله وما شاء فعل ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ الحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من حال أهل النار .

فمدحهم على ضبط غضبهم والسيطرة عليه لا على استئصاله .

وفي القرآن أيضاً: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (الشورى : ٣٧).

فمدحهم على عدم تنفيذ مقتضى غضبهم .

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**»(١) .

ثانياً : المداومة والحرص على توجيه الخلق الوجهة المرضية في الشرع الإسلامي ، مثل خلق الشجاعة ، يستعمله صاحبه في الاعتداء وقتل الأبرياء ، أو لطلب السمعة والجاه ، وكالسخاء يستعمله صاحبه للمباهاة وللرياء ، فهذه الأخلاق هي في أصلها محمودة وإنما ذمت لانحرافها عن الغرض الصحيح والوجهة المرضية في الشرع ، فتقويمها يكون بإزالة هذه الأغراض الخسيسة عنها وبتوجيهها الوجهة الصحيحة بان تكون الشجاعة لنجدة الضعيف وإغاثة المظلوم وقهر الظالم وإعلاء كلمة الله ومحق الكفر والباطل ابتغاء مرضاة الله وحده لا لطلب سمعة ولا رياء ولا جاه ولا ثناء .

وكذلك السخاء إلى الوجهة المرضية عند الله بأن يكون في سبيله ولطلب مرضاته ، بأن ينفق المسلم ماله في أوجه البر مثل إكرام الضيف والجار وكفالة اليتيم وإعانة المحتاج أو إقراضه والقيام على الأرملة والمسكين ونحو ذلك .

يدل على ما نقول كثير من الأحاديث الشريفة ومنها: عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سُئِل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٢) .

وفي القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ**

---

(١) رواه البخاري، أدب ١٠٢ ، ومسلم، بر ١٠٦ ، ١٠٨ .

(٣) رواه البخاري، علم ٤٥ ، وجهاد ١٥ ، ومسلم، إمارة ١٥٠ ، ١٥١ .

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

ويقول الرسول ﷺ: «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

لأنهم بهذا الفقه يستعملون صفاتهم وأخلاقهم الجيدة في أصلها استعمالاً صحيحاً، ويوجهونها الوجهة الصحيحة، فيكونون خيار الناس.

ثالثاً: استبدال الخلق الذميم بالخلق الجيد، كاستبدال الكذب بالصدق، والغدر بالوفاء، والظلم والعدوان بالإنصاف، وهذا الاستبدال ممكن في كثير من الأخلاق، حيث يزول الخلق الذميم ويحل محله خلق جميل، كما نشاهد ذلك في الشخص الذي يتوب توبة صادقة.

---

(١) رواه البخاري، أنبياء ٨، ١٤، ١٩، مناقب ١، ٢٥، تفسير سورة ١٢، ومسلم، فضائل ١٦٨.

المحور التاسع : وسائل تقويم الأخلاق :

هناك وسائل كثيرة لتقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها والتخلي عن الرديء منها وقد يكون أهم هذه الوسائل ما يأتي :

١ - **العلم** : ونقصد به هنا معرفة أنواع الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام وأنواع الأخلاق الرديئة التي نهى عنها الإسلام، فإن هذا العلم ضروري لأنه بدونه لا يدري المسلم بأي خلق، ومن أي خلق يتجرد، وقد كفى الإسلام المسلم مؤنة البحث والاستنباط فقد فصل الأخلاق بنوعيها، وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على الأخلاق بنوعيها ليعرف موضعه منها، ثم يعمل جاهداً لتكون أخلاقه أخلاقاً إسلامية حقاً.

٢ - **ولا يكفي أن يعرف أنواع الأخلاق معرفة مجردة، بل يجب أن يدرك المسلم عظيم حاجته إلى الخلق الحسن**، لأنه متصل بالإيمان وتقوى الله وسبب للظفر برضوان الله ودخول الجنان، كما يجب أن يعرف عظيم ضرر الخلق السيئ عليه لأنه من علامات النفاق ضعف الإيمان وسبب سخط الله ودخول النار.

إن هذه المعرفة ستدفعه إلى التخلق بالأخلاق الحسنة رغبة في رضوان الله تعالى، كما تدفعه إلى الخلاص من الأخلاق السيئة خوفاً من سخط الله، لأن من رغب في شيء سعى إليه، ومن خاف من شيء هرب منه.

٣ - **ولا يكفى للمسلم أن يعرف أنواع الأخلاق السيئة ونتائجها، بل عليه أن يستحضر هذه المعرفة في ذهنه لِئَلاً ينساها**، فإن آفة العلم النسيان، والنسيان يؤدي إلى إهمال معاني الأخلاق، فيضعف أثرها في النفس، ويصدر عنها ما لا ينبغي من الأفعال، ولهذا كرر القرآن الكريم معاني الأخلاق وبين لنا أن ما صدر عن أبينا آدم عليه السلام كان من أسبابه النسيان، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ (طه: ١١٥).

ولما غضب سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال له رجل : «إنك لا تقضي بالعدل، ولا تقضي بالحق»، قال بعض الحاضرين : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٩)، وهذا من الجاهلين.

فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: «صدقت، وذهب عنه الغضب».

فالتذكر الدائم لمعاني الأخلاق وتذكر الأساس الذي قامت عليه وهو الإيمان بالله تعالىٰ، وأن الالتزام بمقتضىٰ الأخلاق من ثمرات الإيمان ومن معاني الإسلام، كل هذا يجعل سلوك المسلم في حدود الأخلاق الإسلامية.

٤ ـ الاهتمام الكامل بتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس، وعلى رأس هذه المعاني الإيمان بالله وباليوم الآخر وبرسالة محمد ﷺ، والإحساس بالغربة في هذه الدنيا، وأن المسلم عما قريب سيرحل عنها، وأنه سيجازىٰ علىٰ أعماله، ومن أعماله أخلاقه، وأن الله تعالىٰ وعد وعد الصدق بالثواب للمتخلقين بأخلاق الإسلام ووعد بالعقاب لمن رفض أخلاق الإسلام.

إن تقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس يؤدي إلىٰ انفتاح النفس وتقبلها لمعاني الأخلاق الإسلامية، لأن هذه الأخلاق موصولة بالإيمان ومعاني التقوىٰ كما قلنا، وهذه الصلة تشتد كلما قوىٰ الإيمان في النفس ورسخت العقيدة فيها، مما يجعل أخلاق المسلم الطيبة ثابتة راسخة لا تزول ولا تضعف لأنها موصولة بالقوي العزيز، وتجد مادة بقائها واستمرارها وصلاحها من هذا الفيض الذي لا ينضب: الإيمان بالله، ولوازم هذا الإيمان، فالمسلم مثلاً لا يمكن أن يكون ذليلاً أبداً لأنه موصول بالقوي العزيز الذي له العزة جميعاً: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر: ١٠). وللمؤمنين المتصلين به نصيب من العزة، قال تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨).

والمؤمن لا يخاف مخلوقاً ولا يخشاه ولا يتملقه ولا يذل له ولا ينافقه لأن الأمور كلها بيد الله، ومنها النفع والضر والرزق والحياة والموت: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٧).

وعزة المؤمن لا يقترن بها ذرة من كبر أو طغيان أو جبروت أو خيلاء أو عجب بالنفس، لأن عـزة المؤمن قـائمـة على الإيمان بالله، والله وحـده له الكبـرياء والجبروت، وكل ما سواه فهو فقير مربوب مقهور، فأنى للفقير المقهور أن يتكبر أو يتجبر على غيره؟

ولهذا لا يكون المسلم إلا متواضعاً لأنه عرف قدر نفسه بعد أن عرف ربه، ومن عرف قدر نفسه لن يتكبر أبداً، ومع العزة والتواضع صبر جميل وثقة كاملة ورجاء لا يشوبه يأس، وطمأنينة لا يخالطها قلق، لأن الإيمان يثمر هذه الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (الرعد: ٢٨)، ولأن ما هو مقدر فهو كائن فلا داعي للقلق والاضطراب: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (التوبة: ٥١)، ولأن من يتوكل على الله فهو حسبه.

والشجاعة والجرأة والإقدام والثبات على الحق ونحو ذلك أخلاق راسخة في المسلم ما دام قلبه معموراً بمعاني الإيمان، لأن إيمانه يعلمه أن الحياة لا تستحق أن يهن فيها المسلم أو يجبن أو يحجم حيث يجب الإقدام، لأن الآجال قد فرغ منها، وأن الموت لابد أن يلاقيه كل حي، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (آل عمران: ١٨٥). ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

والقناعة وعفة النفس والاستغناء عن الخلق وعما في أيديهم، ثمرات طيبات زاكيات من ثمار الإيمان، لأن المسلم المؤمن بقول الله تعالى: ﴿ **وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (آل عمران: ٧٣).

وأن الرزق بيد الله: ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ** ﴾ (الرعد: ٢٦).

وهكذا ترسخ بقية الأخلاق وتدوم وتستمر ما دامت قائمة على إيمان عميق يتخلل شغاف القلب وتصبغ به النفس فتعميق الإيمان في النفس وتقوية معاني العقيدة وسيلة مهمة جداً للتخلق بالخلق الحسن وللتخلي عن الخلق الرديء.

٥ - مباشرة الأعمال الطيبة التي تساعد أو تؤدي إلى تقويم الأخلاق أو تسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية وطرد الخبيثة، فالعلم وحده بدون عمل لا يكفي، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ (الشمس: ٩)، ولم يقل ربنا تبارك وتعالى قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها، فلابد من تزكية فعلية، بمباشرة الأعمال المحققة لتزكية النفس وتخليصها من أمراض الأخلاق الرذيلة.

إن المريض الذي يوصف له العلاج أو يقدم له العلاج فعلاً ولا يستعمله لن يستفيد منه إن ظل ينظر إليه ويكرر القول في تركيبه وكيفية صنعه.

٦ - ومن أنواع الأعمال الطيبة النافعة لتقويم الأخلاق: القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة ؛ لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة ونبذ الأخلاق الخبيثة، فهي لها طهرة وزكاة وقوة ووقاية، وقد أشار القرآن إلى هذه المعاني، قال تعالى: ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وقال عن الزكاة: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (التوبة: ١٠٣).. تطهرهم من البخل والشح وتصفى نفوسهم من الكدورات والأخلاق الرديئة.

والصوم يربي في الإنسان فضيلة الصبر وقوة الإرادة والعزيمة والأخلاق والخلاص من الرياء.

والحج تربية عملية للروح ورياضة مؤثرة في النفس ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق والتخلص من كثير من ذميم الصفات.

ففي الحج تربية على الصبر والإخلاص والاستعلاء على شهوات الجسد وإنفاق المال فيما يحبه الله، والتخلص من الكبر والعجب والغرور وتجاوز الإنسان قدر نفسه وغير ذلك مما هو معروف ومذكور في موضعه في كتب الفقه.

وهكذا بقية العبادات بدوامها تزكو النفس فتدوم فيها معاني الإيمان والتقوىٰ ومنها الأخلاق الرضية لأن هذه الأخلاق لا تنبت إلا في النفس الزكية، ولا شيء مثل العبادات بأنواعها المختلفة يزكي النفس ويهيئها لاكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الأخلاق الرديئة، وفي كتاب الله إشارة إلىٰ هذه المعاني قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)** ﴾ (المعارج).

٧ - القيام بالأعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها أو المضادة لمقتضاها، ويمكن أن نسمي هذا المسلك بمسلك المضادة أو المراغمة للشيطان، لأن الشيطان يفرح لكل خلق رديء ويعمل علىٰ بقائه في النفس ويزينه في عين صاحبه بما يلقيه من مبررات باطلة، فإذا قام الإنسان بعمل يناقض هذا الخلق ولا يتفق ومايقتضيه، كان ذلك بلا شك إغاظة للشيطان ومراغمة له، مما يدعوه إلىٰ الكف عن تزيين هذا الخلق الرديء وعن نفث المبررات الباطلة له، فإذا خنس الشيطان أمكن لهذا العمل أن يزعزع كيان هذا الخلق الرديء أو يقضي عليه كما يقضي العلاج الفعال علىٰ المرض.

ومما يدل علىٰ جودة هذا المسلك وأثره في تقويم الأخلاق ما ورد في الحديث أن رجلاً شكا إلىٰ رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له رسول الله ﷺ: «**امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**»(١).

ومن أمثلة أعمال المضادة والمراغمة علاج الحسد بأن يبادر الحاسد إلىٰ الاستغفار والدعاء بالخير إلىٰ المحسود فإنه سيشعر بزوال الحسد من قلبه، ومن علاج الكبر جلوس المتكبر مع الفقراء والمساكين والجلوس في آخر المجلس، والقيام بالأعمال التي يعدها الناس حقيرة لا تليق بالمتكبرين مثل حمل الحطب ونحو ذلك.

ومما يمكن اعتباره من أعمال هذه الوسيلة، ما جاء به الحديث الشريف: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء، ورواه أحمد في المسند، جـ٢/ ٢٦٣، ٢٨٧.

(٢) لأن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه، والمضطجع دونهما.

وفي حديث آخر : «**إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء، فإنما الغضب من النار، وإنما تطفأ النار بالماء**»(١).

٨- **مسلك التكلف، فيتكلف الإنسان الأخلاق التي يريد التخلق بها كما لو أراد أن يكون حليماً فإنه يأتي به تكلفاً مراراً حتى تألفه النفس وتعتاده ويصير لها كالطبع وكالسجية**، ويؤيد جودة هذا المسلك، ما ورد في الحديث ـ وإن روي بسند ضعيف ـ : «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»، وهذا المسلك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى ينتج أثره، وهذا الدوام يستلزم الصبر، فعلى الإنسان الذي يريد التخلق بنوع من الأخلاق الرضية عن طريق التكلف أن يتجمل بالصبر فإنه ضروري له ضرورته للمريض الذي يتناول الدواء المر، فإذا صبر وداوم انقادت النفس وألفت الفعل ثم يصبح الفعل لها لذيذاً، كالذي يريد أن يُحَسِّن خَطَّه فإنه بتكرار الكتابة والخط يحسن خطه، ثم يصبح الخط بالنسبة له شيئاً سهلاً ولذيذاً.

٩- **مخالطة المؤمنين ذوى الأخلاق الحسنة ومجالستهم والسماع منهم**؛ لأن رؤية الرجل الصالح ذي الخلق الحسن ومجالسته والسماع منه يؤثر في جليسه فيدفعه إلى اقتباس بعض أخلاقه، وقديماً قيل: «الطبع يأخذ من الطبع».

وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لاتصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٢)؛ لأن المرء يقتدي بمن يعاشره ويصاحبه ويجالسه فيقتبس منه صفاته، ولهذا كان السلف الصالح يوصون أو يأمرون بهجر أصحاب البدع والمعاصي وذوي الأخلاق الرذيلة.

١٠- **اتخاذ القدوة الحسنة** : وخير القدوة على الإطلاق رسولنا ﷺ، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فإذا فات المسلم الآن رؤية رسول الله ﷺ ببصره، فلن تفوته رؤياه ببصيرته باستحضار سيرته العطرة وشمائله الكريمة وأخلاقه العظيمة.

---

(١) رواه أبو داود عن أبي وائل القاضي، أحمد في المسند: ٤/ ٢٢٦.

(٢) رواه الدارمي، أطعمة ٢٣، وأبو داود والترمذي، وأحمد ٣/ ٣٨، وابن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي.

ولذلك نوصي كل مسلم بقراءة سيرته مراراً ، واستحضار شخصه الكريم في ذهنه وتصور نفسه في مجلس رسول الله ﷺ، ومن القدوة الحسنة أيضاً استحضار أصحابه الكرام وسيرهم الحافلة بالخير وجليل الأعمال وكريم الأخلاق، لاسيما سيرة الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة ، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار.

١١ ـ ترك البيئة الفاسدة والفرار كما يفر المرء من المكان الموبوء : والتحول إلى البيئة الصالحة التي تضم الجماعة الصالحة من المؤمنين الطيبين فإن هذه البيئة الصالحة تقوي في المؤمن معاني الأخلاق الفاضلة وتقيه من الأخلاق الرديئة.

ولا يجوز له التعرض لوسط من الناس غلب عليه الفساد والأوبئة الخُلقية بحجة أنه متين الأخلاق لا يُخشى عليه التأثر بهم، فإن هذا غرور ووهم ومثاله مثال من يتعرض إلى المكان الموبوء بمرض السل ونحوه بحجة أنه قوي البنية، ونستأنس لهذا الذي نقوله بالحديث الشريف الذي جاء فيه: أن رجلاً قتل مائة نفس ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها ناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. . . الخ (١) .

فهذا الحديث يدل على ضرورة التحول من المجتمع الفاسد إلى الطيب، أو إلى الجماعة الطيبة المؤمنة العابدة، فإن العيش معها والبقاء معها أدعى إلى استقامة الشخص وابتعاده عن السوء.

والبيئة الفاسدة كل ما يعرضك للمعصية وسوء الأخلاق والبيئة الصالحة كل ما يعينك على طاعة الله وتقواه ومنها حسن الأخلاق.

١٢ ـ الحرص على كل صفة جميلة واعتبارها كالجوهرة النفيسة التي يجب صونها وحفظها وعدم التفريط بها : وعدم الاستهانة بكل صفة قبيحة وإن بدت بسيطة قليلة الشأن، لأن المسلم لايستقل أبداً أي خلق حسن ولا يستهين بأي خلق سيئ، فرب صفة طيبة ترفعه إلى درجات عالية ورب صفة خبيثة تهوي به إلى النار، نسأل الله العافية.

---

(١) تيسير الوصول ، جـ ١ ص ٢١٢ .

وقد مدح الله تعالىٰ رسوله إسماعيل عليه السلام بصفة صدق الوعد قال تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).
وفي الحديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (١) .

كما أن الصفة الواحدة والمحافظة عليها والدوام عليها تؤدي إلىٰ رسوخها فيه فإن كانت صفة خير كان ذلك خيراً له وإن كانت صفة شر كان ذلك شراً له والخير يؤدي إلىٰ الخير والشر يؤدي إلىٰ الشر .

جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال :

« عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(٢) .

١٣ ـ على المسلم أن يروض نفسه على قبول نصيحة المتدين الكيس الورع الصادق، فإن المؤمن يرىٰ من عيوب غيره ما لا يرىٰ الغير من عيوب نفسه، ومن هنا حسنت صحبة الأخيار، وكان عمر رضي الله عنه يقول: « رحم الله امرءاً أهدىٰ إليَّ عيوبي » .

إن الناصح الصادق الذي يدلك علىٰ عيوبك وسوء أخلاقك يستحق منك الشكر والتقدير، إنك تشكر من يدلك علىٰ عقرب تدب إليك أو تختفي تحت ثيابك وتسارع إلىٰ إلقائها بعيداً عنك، فكذلك يجب أن تفعل نحو من ينصحك ويدلك علىٰ عيوب أخلاقك، لأن الأخلاق الرذيلة عقارب، ولكنها تؤذي القلب، وتفرغ فيه سمومها(٣) .

هذه بعض الوسائل المهمة في تقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها..

وهناك وسائل أخرى مهمة في الموضوع نكتفي منها بما ذكرناه.

---

(١) رواه البخاري، أدب ٣٤، زكاة ١٠، رقاق ٥١، توحيد ٣٦، ومسلم، زكاة ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠.
(٢) رواه البخاري، أدب ٦٩، ومسلم، بر ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ .
(٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص ١٠٢ .



الفصل الثاني

أخلاق الفرد

المحور الأول: بين العبادات والأخلاق .

المحور الثاني : أخلاق يتحلى بها الفرد (أخلاق المتقين).

المحور الثالث : أخلاق سيئة يجب أن يتخلى عنها المسلم.

المحور الرابع : أخلاق عملية .

المحور الخامس : آداب اليوم والليلة (الذكر ـ القرآن ـ الدعاء).

المحور السادس: العوامل المساعدة على اكتساب الأخلاق .

المحور السابع : البرنامج العملي اليومي للمسلم (الحسنات في حياة المسلم).

الفصل الثاني

أخـلاق الـفـرد

المحور الأول: بين العبادات والأخلاق

«من أي الرجال أنت»؟

إلى كل عابد . . سيئ الخلق . .

إلى كل مصلٍ . . ضيق النفس . .

انتبه . . حتى لا تكون من المفلسين . .

فالهدف الأساسي لبعثة النبي ﷺ هو أن يُتِم مكارم الأخلاق . .

العبادات طريق للأخلاق:

كل العبادات هدفها الأصلي إصلاح الأخلاق . . فنجد أن :

١ ـ الصلاة : هدف الصلاة النهي عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ (العنكبوت : ٤٥) . وفي الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له**»(١) . أي : فقد ثواباً كبيراً من ثواب الصلاة .

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى : «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين والأرملة**»(٢) .

ما علاقة (رَحِمَ الأرملة) بالصلاة ؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، ورواه ابن أبي حاتم عن عمران بن حصين ، وذَكَرَهُ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت : ٤٥) .

(٢) في كنز العمال ، طرف حديث ٤٣٥٧٣ ، جـ٧ ، ص ٥٣٠ ، جـ١٥ ، ص ٣١٠ ، وإسناده حسن .

يوضح الحديث أن الصلاة التي لا تؤدي إلىٰ رحمة المساكين والأرامل والضعفاء صلاة منقوصة، فالصلاة طريق للأخلاق الحسنة.

وتأمل الحديث تجد هذا المزج الرائع بين العبادات والأخلاق، فقد ذكر الله في أول الحديث عبادة وهي الصلاة ثم ذكر بعدها خُلُقاً وهو التواضع.. ثم ذكر الله عبادة وهي الذكر، ثم ذكر بعدها خلقاً وهو الرحمة.

٢ ـ الزكاة: يقول الله تعالىٰ: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ (التوبة: ١٠٣). فالهدف الأساسي للصدقة تزكية النفس وتطهيرها من الشح والبخل.

وإليك هذه الصدقات المنسية: قال رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، ونظرك للرجل ضعيف النظر وتعبر به الطريق صدقة، وأعظم الصدقة اللقمة يرفعها الرجل في فم زوجته**»(١).

٣ ـ الصيام: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(٢). أي: الذي لا يترك قول الزور والكلام الحرام فليس لله حاجة في أن يدع طعامه..

٤ ـ الحج: رحلة الأخلاق والطاعات يقول الله تعالىٰ: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ (البقرة: ١٩٧).

ألا ترىٰ معي أن العبادة الواحدة لا تعالج خلقاً واحداً، ولكن العبادة الواحدة تعني بعلاج عدد من الأخلاق؟

لكن الواقع أن عند البعض انفصالاً شديداً بين العبادة والأخلاق، العبادة في طريق، والأخلاق في طريق، هذا الانفصال الشديد وعدم التمازج بين الاثنين أدىٰ

---

(١) رواه البخاري، وصايا ٢، مناقب الأنصار ٤٩، ومغازي ٧٧، نفقات ١، فرائض ٦، ومسلم، وصية ٦.

(٢) رواه البخاري، صوم ٨، أدب ٥١.

لظهور نوعين من الناس في حياتنا: النوع الأول: عابد سيئ الأخلاق، والنوع الثاني: حسن الخلق سيئ العبادة .

والآن: ألا يجدر بنا ـ بل ويتحتم علينا ـ أن نمزج الأخلاق مع العبادات ليخرج لنا نموذج لإنسان عابد حسن الخلق!!

وحتى تكون أنت هذا النموذج . . عابد حسن الخلق . . تأمل الآتي:

أولاً: الإيمان وحسن الخلق قرينان:

فعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(١)، وكذلك العلاقة بين الخلق والأمانة، قال رسول الله ﷺ: «**لا دين لمن لا عهد له**»(٢)، فمن ليس له عهد فدينه ناقص .

وقال ﷺ أيضاً: «**الحياء والإيمان قرناء إذا رفع أحدهما رفع الآخر**»(٣)، لو ضاع حياؤك ضاع إيمانك . . فهكذا الإسلام عبادات وأخلاق متمازجان .

قال رسول الله ﷺ: «**والله لا يؤمن**» ثلاث مرات، قالوا: «من يارسول الله؟»، قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»(٤)، أي: من لا يأمن جاره تصرفاته الخاطئة ليس مؤمناً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تُكثر (كثرة) من صلاتها وصدقاتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١ .

(٢) رواه الطبراني بلفظ: «ولا دين لمن لا صلاة له».

(٣) الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وفي الترغيب رقم ٣٨٢٧ .

(٤) رواه البخاري، أدب ٣٩ ، ومسلم، إيمان ٧٣ .

(٥) رواه أحمد ٢/ ٤٤٠ عن أبي هريرة، ورواه البزار وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

ثانياً: القرآن الكريم يمزج بين العبادات والأخلاق بشكل رائع، فتجد:

١ ـ **في سورة المؤمنون:** يقول الله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)** ﴾ (المؤمنون). تأمل هذه السورة تجد الصلاة عبادة. . بعدها خلق عدم اللغو . . ونجد الزكاة عبادة. . بعدها خُلق العفة. . . وهكذا .

٢ ـ **في سورة الفرقان:** في وصف عباد الرحمن : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا . .** ﴾ (الفرقان: ٦٣ ـ ٧٧).

٣ ـ وفي **سورة الماعون** قال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)** ﴾ (الماعون).

ما علاقة الذي يمنع ﴿**الْمَاعُونَ**﴾ (الصدقات) والحث على الإنفاق على الناس بـ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾؟ . . إنه التكامل في صفات المسلم.

٤ ـ **في سورة الأخلاق: «سورة الحجرات»** أخلاق رائعة، أخلاق فاضلة، أخلاق تقيم الأمم وتبني الحضارات، ففي هذه السورة نجد: الحث على عدم رفع الصوت، وعدم الجهر أمام النبي ﷺ ـ كيف تؤتى البيوت ـ وعدم تصديق خبر الفاسق ـ الإصلاح بين المؤمنين ـ عدم السخرية من البعض ـ عدم التنابز بالألقاب ـ عدم الظن ـ عدم الغيبة ـ عدم الكبر . . ومع التحذير من هذه الأخلاق يرغب في أخلاق وعبادات منها: الجهاد، وعدم المَنِّ.

وصية عملية:

١ ـ من أراد المزيد من هذا المزج الرائع بين الأخلاق والإيمان فليقرأ كتاب د. القرضاوي: (الإيمان والحياة) باب الإيمان والأخلاق.

٢ ـ سورة الحجرات (الأخلاق) قم بتصويرها مكبرة وعلقها بالمنزل واتفق أنت والأسرة على تنفيذ خلق خلق منها حتى نهايتها، فكلما تم تنفيذ خلق انتقلت إلى الذي بعده .

ثالثاً: الأخلاق ودورها في تبليغ الدعوة إلى الله :

وتجد ذلك واضحاً في سيرة النبي ﷺ القدوة والأسوة :

١ ـ **أخلاقه قبل البعثة ﷺ**: بناء الكعبة وقضية التحكيم: «ولخمس وثلاثين من مولده قامت قريش ببناء الكعبة وتوقفوا عن وضع الحجر ويشتد النزاع بين القبائل واستمر هذا النزاع أربعة أو خمسة أيام. اشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، وعرض عليهم أبو أمية بن المغيرة المخزومي بأن يُحَكِّمُوا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا هذا الأمين رضيناه هذا محمد ﷺ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداءاً فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل رفع الرداء ووضع الحجر مكانه . . وهذا حل حصيف رضي به القوم»[(١)].

٢ ـ **حوار النجاشي وجعفر بن ابي طالب.. في هذا الموقف يعجز الإنسان أن** يضيف شيئاً لأنه ليس موقف أخلاق فحسب، ولكنه (دستور الأخلاق) . . أرسل النجاشي للمسلمين ليتأكد من هذه الوشاية التي حيكت ضد المسلمين عنده في الحبشة، فلما دعاهم النجاشي حضروا وأجمعوا على الصدق كائناً ما كان.

فقال لهم النجاشي: «ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني، ولا دين أحد من هذه الملل؟».

قال جعفر بن أبي طالب ـ وكان المتكلم عن المسلمين ـ: «أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف فكنا على ذلك. . حتى **بعث الله إلينا**

(١) الرحيق المختوم، بناء الكعبة وقضية التحكيم، ص ٩٣، ٩٤ .

رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلىٰ الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، **وأمرنا**: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، **ونهانا عن**: الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، **وأمرنا** أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام»(١).

٣- **مستشرق يصف الرسول ﷺ بالصادق الأمين**.. المستشرق الإسباني (خوان برنيت) في كتابه الجديد عن سيرة الرسول ﷺ، وصفه بالصادق الأمين، ويؤكد علىٰ ذلك وأنه من أشد المعجبين بالرسول الكريم ورسالته(٢).

ويجدر بنا أن نسأل:

هل الحساب على الأخلاق أهون من حساب العبادات يوم القيامة؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أتدرون من المفلس؟»

قالوا: «يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع».

قال رسول الله ﷺ: **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار»**(٣).

ألا ترىٰ بعد قراءتك لهذا الحديث وفهمه جيداً أن سوء الأخلاق يأكل جميع العبادات، ويأتي الشخص يوم القيامة وكأنه لم يعبد الله لحظة واحدة.

---

(١) الرحيق المختوم. الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة.

(٢) مجلة الأزهر، رجب ١٤٢٧هـ، أغسطس ٢٠٠٦م، نقلاً عن جريدة الأهرام الصادرة في ٨/ ٧/ ٢٠٠٦م.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب القيامة ٢ حديث رقم ٢٤١٨ وقال: حديث حسن صحيح.

ابدأ من الآن : في مراجعة كل جزئيات أخلاقك ودقق في تعاملك مع أقاربك ـ تعاملك مع جيرانك ـ تعاملك في الشارع . . .

إن الأخلاق جزء لا يتجزأ من العبادات.. الثواب العظيم في الأخلاق ..

ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ما من شيء في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق»**[1] .

ـ وقال: **«إن أحبكم وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»**[2] .

ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خيركم لنسائه وأفضلكم الذي يحسن تعامله مع زوجته»**[3] .

ـ وقال ﷺ: **«أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»**[4] .

ـ وقال ﷺ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»**[5] .

ـ وقال ﷺ: **«أنا زعيم (يعني ضامن) ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[6] .

ـ وكان من دعائه ﷺ : **«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهديني لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيء الأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**[7] .

وقال أيضاً: **«اللهم كما أحسنت خَلْقِي فحسن خُلُقي»**[8] .

والآن.. تُحب أن تكون من أي الرجال أنت ؟

---

(١) رواه البخاري، أدب ٣٩، ومسلم، بر ١٤ .

(٢) رواه البخاري ، فضائل الصحابة ٢٧، مناقب ٢٣ .

(٣) رواه أبو داود ، سنة ١٤ ، وابن حبان في صحيحه.

(٤) رواه الترمذي ، بر ٦١، ٦٢ .

(٥) رواه أبو داود ، أدب ٧ ، ومالك في الموطأ، حُسن الخلق ٦ .

(٦) رواه أبو داود، أدب ٧، والترمذي، بر ٥٨، والنسائي، جهاد ١٩ ، وابن ماجة، مقدمة ٧ .

(٧) رواه مسلم، مسافرين ٢٠١ .

(٨) رواه أحمد ، وصححه ابن حيان ، وبعض هذه الأحاديث سبق تخريجها في بداية الباب .

أعوذ بالله أن أكون عابداً سيئ الخلق، وأعوذ بالله أن أكون حسن الخلق سيئ العبادة، وأرجو الله تعالى أن أكون عابداً حسن الخلق . .

نماذج حُسن الخلق في الإسلام :

النماذج أكثر من أن تحصى، ولكن أكتفي بهذين الموقفين :

الموقف الأول :

شتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه في وجود النبي ﷺ فلم يرد، ثم سبه ثانية فلم يرد أبو بكر، ثم سبه الثالثة فرد عليه أبو بكر، فانصرف النبي ﷺ، فقال أبو بكر : يا رسول الله : «أوَجَدت عليَّ؟»، قال : **«يا أبا بكر إنه كان معك مَلَك يرد عنك.. أما في الثالثة عندما انتصرت لنفسك جاء الشيطان، ولا أجلس في مكان فيه شيطان»**(١) .

الموقف الثاني :

جاءت امرأة إلى القاضي محمد بن إسحاق، قاضي الري «الأهواز» سنة ٣٠٠هـ تشكو زوجها في باقي صداقها، وكان الباقي عليه خمسمائة دينار . . فقال القاضي للمرأة بعد أن طلب الشهود : اكشفي عن وجهك حتى يراك الشهود، فانتفض الزوج من مكانه وقال : أيها القاضي، أعطيها الـ٥٠٠ دينار، ولاتكشف وجهها» .

إن الرجل لم يسمح أن تكشف زوجته وجهها أمام الشهود بالرغم من أن وجه المرأة والكفين ليسوا بعورة، وأقرَّ أن عليه لها ٥٠٠ دينار، فقالت المرأة : «أيها القاضي، وأنا أشهدك أني قد سامحته ولا شيء عليه لي» .

فقال القاضي محمد بن إسحاق : «اكتبوا هذه في مكارم الأخلاق»(٢) .

---

(١) رواه أحمد في المسند، جـ٢ ، ٤٣٦ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، جـ٢، ص ٥٢٠، ٥٢١، طبعة دار السلام، الطبعة الحادية والعشرون، ١٩٩٢م.

نماذج من سلوك بعض الحيوانات :

١ ـ **الحصان** : وأنت تعجب أشد العجب ، فالحصان فيه فطرة عجيبة ، فهو لايطأ أمه أبداً ، فهناك رائحة تميزها عنده عن غيرها فلا يطأها ، وذات مرة قاموا بتضليل حصان ، بعد أن غيَّروا شكل أمَّه ووضعوا عليها روائح ودهانات وزينات حتى وطئها ، فقاموا على الفور بإزالة ما وضعوه ، فنظر الحصان فإذا الذي وطئها هي أمه ، فنظر إليها وظل واقفاً مكانه لا يأكل حتى مات . . حزناً على ما فعل[١] .

٢ ـ **الخنزير**: عندما ذهب الإمام محمد عبده إلى أوروبا وسألوه : لماذا حرم الإسلام عليكم أكل لحم الخنزير؟

قال : لأنه يورث الخسة والبلادة ، وطلب خروفاً ونعجة وتركهما في مكان حتى حدثت بينهما أُلفة ، وفجأة أدخل خروفاً آخر على النعجة وبمجرد اقترابه منها ثار الأول ضده بكل الوسائل .

ثم أحضر خنزيراً وخنزيرة وتركهما معاً فترة حتى تآلفا ، ثم أدخل خنزيراً آخر واقترب من الخنزيرة ولم يتحرك الأول ، بل جلس على مقربة منها ولم يتحرك مطلقاً .

فقال الإمام محمد عبده : هكذا أكل لحم الخنزير يورث عند من يأكلونه الخسة والبلادة والذلة .

أما أنه يُورث ضعف الغيرة على العرض[٢] ؛ **فلأن المختصين بعلم الطب** قالوا : إن لحوم الحيوانات تحوي مواد من شأنها أن تنقل إلى الآكل صفات الحيوان نفسه ، ولنسمع إلى ما قاله **د.صبري القباني في مجلة «طبيبك» عدد ٣٢** ، ص ١٨٩ : **«لقد ثبت أن اللحوم تحوي مواداً من شأنها أن تنقل إلى آكلها صفات الحيوانات نفسها ، فالإنجليز مغرمون بالأسماك الباردة ، ولهذا طباعهم باردة ،**

---

(١) هذه الحقيقة والتي بعدها مصدرها الواقع المعروف للقائمين على تربية هذه الحيوانات .

(٢) سوف نذكر في الخُلق الرابع : الحياء رأس مكارم الأخلاق : الحياء والعفة عند الحيوان .

والفرنسيون مغرمون بأكل لحوم الخنازير، ولذا تَمُتُّ أخلاقهم إليها بصلة (ويقصد أنهم متصفون بعدم الغيرة)، أما عرب البادية التي تعتاش من لحوم الجمال فتتصف بالصبر، وأهل المدن الذين يعتادون على أكل لحوم الغنم تسهل قيادتهم»، وتكلَّم مثل هذا عميد كلية العلوم الطبيعية في جامعة كاليفورنيا، كما جاء في مجلة الهلال[١].

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، جـ٢، ص ٥٢٠، ٥٢١، طبعة دار السلام، الطبعة الحادية والعشرون، ١٩٩٢م.

المحور الثاني: أخلاق يتحلى بها الفرد

من أخلاق المتقين

الخُلُق الأول: التسامح (١)

تعريفه: التسامح معنىً في النفس يرجع إلى طائفة من الأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة، أو هو مظهرها وأثر من أعظم آثارها، وثمرة جليلة من أعز ثمارها، منها الحلم والصبر والاحتمال وسعة الصدر والعفو عند المقدرة والتواضع، ومنها السخاء ومنها الجود والعفة وضبط النفس.

فضل التسامح في الدنيا:

١ ـ يتصل بهذا الخُلق مجموعة عظيمة من الأخلاق التي ذكرناها.

٢ ـ من أيمن الصفات الحميدة أثراً، وأجزلها فائدة، وأعودها بالخير على المجموع.

٣ ـ يؤلف القلوب المتنافرة، ويقرب النفوس المتباعدة.

٥ ـ يهدي الأرواح الجامحة، فَرُبَّ كلمة طيبة فضت مشاكل، وحلت عقداً مستعصية الحل، وَرُبَّ تسامح في أمر قليل حفظ من الوقوع في خطأٍ كبير وخطب جليل (٢).

---

(١) التسامح: سامحه: عفا عنه، تسامح: تساهل، السماحة: الجود والكرم، انظر: المعجم الوسيط، مادة: سمح.
العفو: عفا: زال وامحى، عفا فلانًا: أتاه يطلب فضله ومعروفه، عفا عن ذنبه: لم يعاقبه عليه، عفا الماء: لم يخالطه شيء يكدره. . المعجم الوسيط. . مادة: عفو.

(٢) هذه الأخلاق التي نتحدث عنها اخترناها لأنها تبني مسلمًا يعود بنا إلى الجيل الفريد الذي يتحمل أعباء بناء الأمة، ويسير نحو عالمية الدعوة بخطى ثابتة راسخة. . ولذلك لن نتعمق في الخلق الذي نتحدث عنه، ولكننا نذكر فيه إشارات وومضات من هذا الضوء الوهاج ممن كان خلقه القرآن، لتهتدي النفوس، وتسير إلى ربها آمنة مطمئنة.

فضل التسامح في الآخرة :

١ - **بالتسامح تكسب قصراً في الجنة** : فيوم القيامة يسأل العبد : لمن هذا القصر؟ ، فيُقال : لمن يدفع الثمن ، قال : ومن يدفع الثمن؟ يقول له الله : «أنت» . . فيقول : كيف؟ ، فيقول الله له : «**بعفوك عن أخيك.. انطلقا فاسكنا القصر**»(١) .

٢ - **سَامحْ تدخل الجنة** . . فهذا الرجل الذي أخبر الرسول ﷺ ثلاث مرات أنه يدخل عليكم رجل من أهل الجنة . . . قال الرجل في النهاية : «**...هو كما ترى غير أني لا أبيت ليلة وفي قلبي شيء لأحد**»(٢) .

التحذير من عدم التسامح :

عدم التسامح يحول بينك وبين الجنة ، كما أنه يؤدي إلىٰ تنافر القلوب ، وتباعد النفوس وقسوتها ، وتسود في المجتمع مبادئ الانتقام وتقطيع الأواصر .

نماذج من التسامح في القرآن :

تحث الشريعة الغراء علىٰ ذلك ، حتىٰ سُميت بحق الشريعة السمحة . . يقول الله تعالىٰ : ﴿ **.. وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ (البقرة : ٢٣٧)، ويقول تعالىٰ : ﴿ **...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (النور : ٢٢)، ويقول أيضاً : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

وفي السنة النبوية : كان ﷺ يتسامح في كل شيء ، إلا أن تنتهك حرمات الله تعالىٰ ، وما انتقم لنفسه قط ، وما عالج أمراً من الأمور بالشدة إلا إذا استحكم العناد والإباء في نفس المعاندين ويأبون قبول المصلحة لهم ، مثل من قالوا :

---

(١) الحديث كاملاً في الترغيب رقم ٣٥٦٨ عن أنس ، وقال المنذري : رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس عنه ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد بإسناد علىٰ شرط البخاري ، ومسلم والنسائي عن أنس بن مالك ، وفي الترغيب كاملاً برقم ٤١٨٤ .

﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢). وكان الأجدر أن يقولوا (اهدنا).

نماذج من التسامح النبوي:

١ ـ **بعد عودته من الطائف** وقذف الصبيان له بالحجارة، أتاه ملك الجبال وقال له: «إن شئت أطبق عليهم الأخشبين»، فقال ﷺ متسامحاً: «**إني لأرجو الله أن يُخْرِجَ من أصلابهم من يعبد الله.. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

٢ ـ **في صلح الحديبية** وتسامحه في الشروط: «من جاءكم مسلماً تردوه إلينا، ومن جاءنا منكم كافراً لا نرده»[2] . . وقد تسامح معهم أيضاً عندما طلبوا حذف كلمة «رسول الله»، ثم كتبوا «محمد».

٣ ـ **يوم فتح مكة:** قال لكفار قريش: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**»، قالوا: «خيراً . . أخٌ كريم وابن أخ كريم» . . فتسامح وقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[3].

٤ ـ **جاءه اعرابي** وقال له: «أعطني يا محمد من مال الله فإنه ليس مالك ولا مال أبيك» . . وهنا همَّ عمر بن الخطاب بقتله، لكن رسول الله ﷺ يتسامح مع الرجل ويقول: «**أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي**»[4] .

٥ ـ تسامحه مع المنافقين . . ويقول: «**حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[5] . . رغم أن المنافقين آذوه بالقول والعمل كثيراً . . وقصة الإفك خير دليل على إيذائهم للرسول ﷺ.

٦ ـ **تسامحه مع ضعفاء المؤمنين:** مثل تسامحه مع حاطب بن أبي بلتعة، حينما كتب رسالة إلى قريش يعلمهم بقرب فتح مكة .

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ٧ ، ومسلم، جهاد ١١١ .

(٢) الرحيق المختوم، ط. دار الوفاء، عمرة الحديبية .

(٣) الرحيق المختوم . . غزوة فتح مكة .

(٤) الشفا، للقاضي عياض، ص ٨٤ ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

(٥) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، للقاضي عياض، ص ٨٣ .

وسائل تنمية التسامح :

ألا تسيئ إلى أحد، وتكون دائماً أنت صاحب الحق، ولا تغضب فتتعرض إلى ذل الاعتذار ، فكن صاحب الحق وتُسَامِحْ.

مع الواقع: سوء الواقع الذي نحن فيه من عدم التسامح . . عدم تسامح الأخ من شقيقه، والأولاد مع أبيهم . . أدى إلى قطع علاقات المجتمع.

المطلوب عملياً:

يقول **الشيخ علي مطر ـ رحمه الله ـ** : وتخطئون فنأتيكم فنعتذر[1] .

قال لأخيه : غداً نتقابل لنتعاتب، فقال له : قل غداً نتغافر . .

وَرَبِّ نفسك على أن تذهب مرة كل أسبوع أو شهر إلى إنسان أساء إليك وقل له : جئتك لأسامحك أو لتسامحني.

(١) من كتاب : من أطايب الكلام.

الخُلق الثاني : الكلمة الطيبة

وهي النتيجة الحتمية للتسامح ، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ (إبراهيم)، ويقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٥٣).

فالكلمة الطيبة: تتعلق باللسان. . فاللسان صغير حجمه، عظيم جُرمه. . فكم من كلمةٍ داوت جراحاً، وكم من كلمة أوجبت الحد[١].

خطورة اللسان: إذا فحصت أعضاء الإنسان، وتتبعت آثاره، لا تجد عضواً يبلغ من الخطر وعظيم الأثر ما يبلغ اللسان. .

نعم. . إن للقلب سلطاناً على جميع الجوارح. . ولكن هذا العضو يقطع ويصل، ويفيد ويبيد، ولقد ذكر الغزالي في كتابه (الإحياء) عشرين آفة للسان.

اللسان في السنة: كثر في السنة ما جاء في بيان خطره وشديد نفعه وضرره، قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٢].

وقال أيضاً: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[٣].

وعند البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد يتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم**»[٤].

---

(١) من الأدب النبوي للشيخ: إبراهيم الجبالي، هدية مجلة الأزهر.

(٢) رواه البخاري، أدب ٣١، ٨٥، رقاق ٢٣، ومسلم، إيمان ٧٤، لقطة ١٤.

(٣، ٤) رواهما البخاري، رقاق ٢٣.

وقول رسول الله ﷺ: «...وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»(١).

صفات الكلمة الطيبة :

١ ـ أنها طيبة، وذلك بجمع طيب منظرها، وطيب أريجها، وطيب ثمرها، وتجمع بين حسن موقعها وحسن مسمعها، وحسن أثرها، ونضرة وجه قائلها.

٢ ـ أن أصلها ثابت ليست عرضة للزلزلة والاقتلاع مهما مرّ بها من عواصف وزوابع.

٣ ـ لا يتراجع قائلها، ولا يحيد عن التمسك بها، ولا يعدل عنها حتى لو قيلت على خلاف الواقع، فإنها إما لإصلاح ذات بين ، أو إزالة شر، فلايستحي منها قائلها.

٣ ـ فرعها في السماء: فهي شجرة نامية زاكية، والكلمة الطيبة صاحبها مرفوع الرأس بها، مباهٍ بها، وتنتقل من المربي لمن يربيه، ولا تزال تنمو وتتزايد ويعلو شأنها ويتصاعد.

٤ ـ أن ثمرها متجدد ومتكرر.. فالكلمة الطيبة تثمر في المقام التي قيلت فيه وتنمو في المقام الذي يناسبها، وتثمر بالرجوع عليها وتكرارها، ورأس الكلمة الطيبة كلمة الإيمان فكم لها من آثار حسان، أليست طيبة اللفظ طيبة المعنى؟

ثمار الكلمة الطيبة: طمأنينة النفس ـ ثبات اليقين ـ زوال الحيرة ـ الثبات عند سؤال القبر.

الواقع: أن كثيراً من الناس أصبح يباري بالألفاظ السيئة والكلمات الخبيثة، وبعض الناس يعتبرون الكلمة الطيبة سذاجة أو بلاهة.

أما **الكلمة الخبيثة** ـ والعياذ بالله ـ فإن قائلها يتوارى من سوء أثرها، ويتنصل منها لو استطاع، ويتمنى لو ابتلعته الأرض ولم يكن قد نطق بها، وهي كلمة لا ثبات لها.

---

(١) رواه الترمذي، إيمان ٨، وابن ماجة، فتن ١٢، وأحمد ٥/ ٢٣١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

المطلـوب :

١ ـ كثرة الذِكْـر .

٢ ـ الإكثار من الكلم الطيب ، للحديث : «**الكلمة الطيبة صدقة**»(١) .

٣ ـ عدم الخوض في الأعراض .

فالأعراض أصبحت هي المادة الشهية لكثير من الناس . .

إن كثيراً من الناس لينشغلون بأمرين:

١ ـ الأموال يحبون جمعها .

٢ ـ والأعراض ليأكلوها . . حتىٰ أعراض العلماء لم تسلم من الألسنة .

ولذلك رأىٰ النبي ﷺ ليلة الإسراء لكل شيء مشهداً واحداً . . ولكنه رأىٰ للكلمة ثلاث مشاهد :

فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «**لما عَرَجَ بِي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، قلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(٢) .

كذلك رأىٰ أناساً يأخذون قطعاً من لحومهم فيأكلوها ، ورأىٰ أناساً يأخذون لحماً منتناً من الناس فيأكلونه . . . . فكفوا عن أعراض الناس يرحمكم الله .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ للنبي ﷺ : «حسبك من صفية كذا وكذا» ، قال بعض الرواه : تعني أنها قصيرة ، فقال النبي ﷺ : «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(٣) ، يعني تفسد ماء البحر وماء البحر مالح يحفظ الأشياء ، فهذه الكلمة تفسده وتخرجه عن طبيعته فيتعفن ما فيه .

---

(١) رواه البخاري ، جهاد ١٢٨ ، أدب ٣٤ ، ومسلم ، زكاة ٥٦ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود عن أنس ، أدب ٣٥ .

(٣) رواه الترمذي ، قيامة ٥١ ، وأبو داود ، أدب ٣٥ ، وأحمد ٦/ ١٨٩ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

الخُلُق الثالث : المسارعة في الخيرات

مسارعة . . فعالة . . إذ الناس كل واحد منهم يسرع إلىٰ مرضاة الله لينالها قبل غيره، قال تعالىٰ : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء)، وقال تعالىٰ : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٢).

وقال العلماء في هذه الآية أقوالاً منها : قال مكحول : إلىٰ تكبيرة الإحرام، وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ : إلىٰ أداء الفرائض، وقال عثمان : إلىٰ الاخلاص، وقال الطلبي : إلىٰ التوبة من الربا .

فمن البدهي أن التروي والتأني في الأمور من مطالب الشريعة الغراء، وقد نهىٰ الله تعالىٰ عن الاستعجال .

فعن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»[١].

وعن علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاث يا علي لاتؤخرهن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤاً**»[٢].

فضل المسارعة إلى الخيرات [٣] :

بالإضافة إلىٰ ما سبق من فضائل المسارعة . . يأتي السؤال : من هُم المعنيون بصفة التقوىٰ ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الآية :

---

(١) رواه أبو داود ، أدب ١٠ ، والبيهقي، والحاكم، وقال : صحيح علىٰ شرطهما .

(٢) رواه الترمذي، صلاة ١٣ ، جنائز ٧٣، وأحمد : ١/ ١٠٥ ، وصححه الشيخ : أحمد شاكر، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٣) مجلة الأزهر، يونيه ١٩٩٧م .

١ ـ ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ .

٢ ـ ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ . . هذه الصفة من أعظم العبادة، وجهاد النفس، وأصل الكظم : شد رأس القربة عند امتلائها، لقول رسول الله ﷺ : «**من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً**»(١)، والغيظ أصل الغضب وكثيراً ما يتلازمان، والمراد : رد الغيظ إلى الجوف مع القدرة على إيقاع بعدوه .

٣ ـ ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

٤ ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ (آل عمران : ١٣٥) .

يقول النبي ﷺ : «**إن صاحب الشمال يرفع يده عن العبد المؤمن إذا أذنب ست ساعات فإن تاب ألقاها وإلا كتبها**»(٢). وقال ﷺ أيضاً : «**لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم**»(٣)، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى بعباده .

نماذج من المسارعة :

١ ـ سأل النبي ﷺ أصحابه : «**من أصبح اليوم صائماً؟**»، قال : أبو بكر أنا يارسول الله، وسأل : «**من عاد مريضاً؟**»، «**ومن شيع جنازة...**»، وفي كل مرة يرد أبو بكر : أنا يا رسول الله، فقال ﷺ : «**ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة**»(٤).

٢ ـ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اليوم أسبق أبا بكر، وذهب فأحضر نصف ماله ووضعه بين يدي الرسول ﷺ، فإذا بأبي بكر الصديق يأتي بماله كله .

٣ ـ سيدنا عثمان رضي الله عنه، جهز جيش العسرة .

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٣، والترمذي، بر ٧٤، قيامة ٤٨، وابن ماجة، زهد ١٨، وأحمد : ٣/ ٤٣٨، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) مختصر ابن كثير، سورة ق . . بلال بن الحارث بن الأحنف بن قيس .

(٣) رواه مسلم، توبة ٩، ١١ .

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه، عن أبي هريرة، وفي رواية : «**من أطعم منكم اليوم مسكيناً**» .

الواقع :

أصبح عند كثير من الناس فتور في الطاعة والعبادة، فالبعض يذهب إلىٰ الصلاة متأخراً، والبعض يترك صلاة الجماعة، والبعض لا يصلي.

وسائل تنمية هذا الخلق :

١ ـ المسارعة إلىٰ الاستغفار وصلاة ركعتي التوبة.

٢ ـ تذكر كلمة الروح للجسد في القبر: «جزاك الله عني خيراً، فقد كنت سريعاً بي إلىٰ طاعة الله بطيئاً بي إلىٰ معصية الله نجوت وأنجيت».

المطلوب :

١ ـ **تعود أن تكون دالاً على الخير**، فقد ذمَّ الله الذين لايدلون علىٰ الخير: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③** ﴾ (الماعون)، ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ㉝ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ (الحاقة)، قال أبو الدرداء: «يا أم الدرداء إن لله سلسلة أوقد الله عليها حتىٰ ابيضت، ثم اسودت، يا أم الدرداء لقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله، فحضي علىٰ طعام المسكين يا أم الدرداء»[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل ذنوب من اتبعه»**[٢].

٢ ـ مطلوب منك التلقي للتنفيذ.. فعندما نزل تحريم الخمر ﴿فهل أنتم منتهون؟﴾ قالوا: «انتهينا ربنا».

٣ ـ أن تجد الراحة في العمل والعطاء، قال تعالىٰ: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ (الكهف: ٦).

---

(١) مقدمة فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي.

(٢) رواه مسلم، علم، ١٦، ذكر ١.

٤ ـ عن أبي ذر، ومعاذ بن جبل قالا: قال رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(١).

وعن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾ (هود: ١١٤). فقال الرجل: يا رسول الله إليَّ هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي، بر ٥٥، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، وابن كثير في تفسير سورة هود.

الخُلُق الرابع : الحياء.. رأس مكارم الأخلاق

يقول الله تعالىٰ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا ﴾ (القصص: ٢٥).

تعريف الحياء: الاحتشام[١] ، والخجل من فعل القبيح.

حقيقة الحياء: خلق يبعث علىٰ ترك القبيح، ويمنع من التقصير.

كيف يتولد الحياء؟ من خلال رؤية النعم ورؤية التقصير فيتَولد حالة الحياء.

فضل الحياء : عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ مر علىٰ رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ : **«دَعْهُ فإن الحياء من الإيمان»**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[٣].

البضع هو من ٣ : ١٠ ، والشعبة : القطعة أو الخصلة.

الترهيب من ترك الحياء :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أراد إهلاك عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً. فإذا لم تُلْقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تُلْفه إلا خائناً مخَوناً، فإذا لم تُلْفه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تُلْفِه إلا رجيماً ملَعناً فإذا لم تُلْفِه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام»**[٤].

---

(١) المعجم الوسيط، جـ١ . (٢، ٣) سبق تخريجهما

(٤) رواه ابن ماجة، فتن ٢٧ ، تُلْفه : تجده ، والمقيت : الذي يكرهه الناس، والـمُمقتْ : أشد منه، والربقة : عُرىٰ، عروة في حبل.

الإسلام يعلمنا الحياء:

١ ـ **القرآن**: نجد ألفاظ القرآن كلها لا تخدش [(١)] الحياء.. فيقول القرآن عند الحديث عن القبل والدبر: العورة، أو الفرج، ويقول عن الجماع: قضاء الوطر، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٥)، ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** ﴾ (النور: ٣٠)، ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

٢ ـ **الحديث**: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «**كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه**»[(٢)].

٣ ـ **الفطرة**: قال تعالىٰ عن آدم وزوجته: ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ (الأعراف: ٢٢)، وهذا شيء طبيعي بالفطرة لا يحب الإنسان عورته مكشوفة، فآدم وحواء ما معهما أحد حتىٰ يغطيا العورة، ولكنها الفطرة السليمة.

٤ ـ جاءت امرأة تشكو زوجها، فقالت يا أمير المؤمنين: «إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل»، فقال: «نعم الزوج زوجك»..

فقال كعب الأسدي رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين، إن المرأة تشكو زوجها»، فقال له: «اقض لها بما فهمتَ منها».

فأرسل إلىٰ زوجها وقال له: «إن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه». تخيل قمة الحياء في هذه الشكوىٰ.. فلم تُصَرِّح المرأة أنها تريد حقها الشرعي من زوجها»[(٣)].

---

(١) نقول: إن الزجاج كُسِر، ونقول: إن الحديد قُطع، ولكن عند الحياء نقول: يخدش الحياء، انظر إلىٰ الرقة حتىٰ في التعبير عن نقص الحياء.

(٢) رواه البخاري، أدب ٧٢، ٧٧، مناقب ٢٣، ومسلم، فضائل ٦٧.

(٣) الحقوق الإسلامية، طه عبد الله العفيفي، ص ٣٥٥، طبعة دار التراث، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

وسائل تنمية الحياء :

أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى ، وأن تذكر الموت والبلى ، وعدم النظر إلى ما حرم الله، وعدم الخلوة، والابتعاد عن الألفاظ المحركة للشهوة، والتفريق بين الأولاد في المضاجع .

اقول : إن أعظم وسيلة لتنمية الحياء هي : أن نطبق منهج الله كاملاً في كل حياتنا» .

حاجة المجتمع إلى الحياء :

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١) .
- وعن عمران قال : قال رسول الله ﷺ : «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٢) .
- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه**»(٣) .

فالمجتمع في حاجة إلى رقابة دائمة . . وها هو الميزان : سُئل بعض السلف عن المروءة فقال : «أن لا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية»(٤) ، فهذه القاعدة تطهر المجتمع ظاهراً و باطناً ، ففي الحديث : «**الإثم ما حاك في صدرك** وكرهتَ **أن يطَّلع عليه الناس**»(٥) .

حاجة المسجد الأقصى للحياء:

يقول العلماء : «لا حجة لمسلم أمام الله عز وجل والمسجد الأقصى أسير» .

أين حياؤنا من الله تجاه المسجد الأقصى؟

---

(١) رواه البخاري، أنبياء ٥٤ ، أدب ٧٨ .

(٢) رواه البخاري، أدب ٧٧ ، ومسلم، إيمان ٦٠ .

(٣) رواه ابن ماجة، زهد ١٧ ، والترمذي، بر ٤٧ ، وقال : حسن غريب .

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٧٦ .

(٥) رواه مسلم، بر ١٤، ١٥ .

هلا دعونا الله لينصر المجاهدين ويحرر المسجد الأقصىٰ . .

هلا تبرعنا للجهاد علىٰ أرض فلسطين؟

فعن زيد بن خالد قال : قال رسول الله ﷺ : **«من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»**(١) .

الواقع:أينما سرت ، وحيثما نظرت ، تجد تصرفات كثيرة جداً تخدش الحياء ـ في الإعلام ـ في الشوارع ألفاظ خارجه ـ مناظر قبيحة ـ تبرج ـ معاكسات لاتنقطع في الهواتف أو الشارع ـ أصبح فعل القبيح (الحرام) لا يحرك نخوة بعض أفراد المجتمع ، فكثرت الجرائم ، وحدث اضطراب في الأسرة ، فتعيَّن إعادة الإسلام لحياة الناس ليستقر المجتمع الإنساني .

المطلوب العملي :

١ ـ قراءة تفسير سورة القصص ، لمعرفة خلق الحياء عند البنت . . وأيضاً قراءة موضوع (الزواج) من هذه الموسوعة .

٢ ـ الاستفادة من خلق الحياء عند الآخرين ، كما في قصة القاضي محمد بن إسحاق قاضياً علىٰ الري والأهواز سنة ٣٠٠هـ ، حينما جاءته امرأة تشتكي زوجها في خمسمائة دينار باقي مهر لها عنده(٢) .

مواضع يستحب أن يظهر فيها الحياء:

الحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش ، وأن ينزه لسانه من العيب ، وأن يخجل من ذكر العورات ، والخوض في الأعراض .

فإن من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذيئة من المرء غير مكترث بآثارها وعواقبها ، يقول النبي ﷺ : **« الحياء من الإيمان، والإيمان من الجنة، والبذاءة من الجفاء، والجفاء من النار»**(٣) .

---

(١) رواه البخاري ، جهاد ٣٨ ، ومسلم ، إمارة ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) راجع هذه الواقعة في بداية هذا الباب .

(٣) رواه البخاري ، إيمان ١٦ ، ٣ ، أدب ٧٧ ، ومسلم ، إيمان ٥٧ ـ ٥٩ .

ومن الحياء في الكلام أن يقتصر الإنسان في حديثه، فلا يستحوذ على الحديث كله، لنهي النبي ﷺ عن ذلك فقال: « **من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً**»(١).

ومن الحياء أن يخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء أو تشاع عنه نقيصة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن لكل دينٍ خلقاً، وإن خُلق الإسلام الحياء**»(٢) . . فاحذر . . ثم احذر أن تترك الحياء . .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**»(٣).

الحياء والعفة عند الحيوان:

خلق الله هذا الكون وأرخى ستراً من الحياء على جنباته، فالحياء يعم الكون كله . . الجماد ذكراً وتسبيحاً، والحيوان لخدمة الإنسان وزينة، والإنسان عبادة وطاعة وخلافة وحياءً وعفة، فإذا فسد العقل البشري وضل تكون الكارثة: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿**فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾ أتوا فعله متناهية في القبح، قل لهم يا محمد إن الذي تصنعونه هذا فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك(٤).

يقول د.محمد سيف(٥): عالم الحيوان مليء بالأسرار فقد يظن البعض أن العلاقة بين الجنسين ليس لها ضابط أو رابط فقد ينزو أي ذكر على أي أنثى تقع في طريقه أو أن تقبل أي أنثى بأي ذكر تلقاه . . ولكن الأمر ليس كذلك . . .

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٨٦ .

(٢) رواه مالك في الموطأ، حُسن الخلق ٩ ، وابن ماجة ، زهد ١٧ .

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس، وفي الترغيب ٣٨٢٧ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير، تفسير سورة الأعراف.

(٥) مجلة كلمات، العدد السابع، ذو القعدة ١٤٢٩ هـ ، د. محمد سيف .

فطائر البطريق إذا أراد التودد إلىٰ أنثاه يختار حصاة يتقدم بها في زهو وحنان ويضعها تحت قدميها فإذا التقطتها كان ذلك دليل قبولها له زوجاً فيتزوجان وإذا لم يمس وتراً في فؤادها تركت الحصاة ولم تمسها وعندئذ يعود فيلتقط حصاه وينصرف بها إلىٰ أخرىٰ!

وأثناء موسم التزاوج تعتري ذكور بعض الحيوانات حالة من الغضب والهياج تعبيراً عن الغيرة الشديدة علىٰ الإناث فقد وجد أن ذكور الإبل تتغير سلوكياتها في موسم التلقيح والتناسل حيث قد تصبح خطراً، ولا تسمح لأي كائن أن يقترب من القطيع ويكون من الصعوبة قيادتها .

وفي حالة الهياج هذه يخرج كيس منفوخ من جانب الفم يطلق عليه الطرف الخلقي ويصاحب ظهور الكيس صوت مزعج، ويسيل اللعاب من الفم، وتوجد إفرازات كريهة تخرج من غدد قرب الأذنين وتكون غامقة اللون، ويحك الذكر منطقة الغدد بأي شيء قريب فإذا ما اشتمها حيوان غريب أدرك قدر الخطر المحدق به فيبتعد عن هذه المنطقة .

أما ذكر الشمبانزي فهو غيور جداً على شريكة حياته وهذا ما كشفت عنه دراسة أجريت في حديقة كيبالي الوطنية بغربي أوغندا علىٰ مدىٰ تسع سنوات بين عام ١٩٩٣م وعام ٢٠٠٤م حيث يصبح عدوانياً عندما يشتبه في أن شريكة حياته غير وفية أو عندما ترحب بعرض ذكر آخر، فبالرغم من أن الشمبانزي حيوان مسالم، فالكثير منهم يشوه شريكة حياته ويخرجها من حياته عند الاشتباه في خيانتها .

ولا تقتصر قضية الغيرة على الذكور فقط فقد وجد أن أنثىٰ البط تغار علىٰ زوجها فتدفعه لأن يعرب لها بالوفاء عندما تريد أنثىٰ أخرىٰ أن تتسلل إلىٰ عش الزوجية السعيد فيقوم بفرد جناحيه وفرد عنقه وطأطأة رأسه مهرولاً وراء غريمة أنثاه فيدفعها ويطردها بعيداً عن حياض الزوجية الهانئ معلناً عن عفته ووفائه لأنثاه .

وإذا كانت بعض الذكور في عالم الحيوان لا تقبل بغير الزوجة فإن بعض الإناث لا تقبل بغير الزوج، وقد وجِدَ أن بعض إناث الحمام لا تقبل بغير زوجها وإن راودها ذكر أخر عن نفسها فإنها تفر منه وتبتعد عنه بل قد يدفعها الوفاء لزوجها في بعض الأحيان أن لا تقبل زوجاً آخر حتىٰ بعد مماته . . وأثناء عملية الالتقاء بين الزوجين فإن بعض الحيوانات كالإبل قد فطرها الله علىٰ القيام بهذه العملية مستترة عن أعين الآخرين وكأنما قد تزيت بزىٰ الحياء الذي قد يخلعه كثير من البشر .

كما وجد أن كلاً من ذكر وأنثى الحمام يقومان بخفض ذيليهما وجره على الأرض بعد إتمام عملية الجماع إعراباً عن حالة الخجل والحياء التي تعتريهما بعدها .

الحياء عند الأطفال :

عقيدة الإيمان ليست غريبة على الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المُحدد على قفله المُحكم، لقول الله تعالى : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ (الروم: ٣٠)، وقول رسول الله ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة - أي الإسلام - وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١] ، فدل ذلك على أن الإسلام هو فطرة الله فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين، أما الأديان الأخرى فهي من تلقين الآباء[٢] .

وإن الحياء ليس غريباً على الفطرة ، بل هو فطرة فطر الله الناس عليها منذ الطفولة، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «**الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**»[٣] .

وإن فطرة الحياء مركوزة في وجدان الطفل كما الإيمان ، فإذا تعثر الطفل في ثيابه فسقط بنطاله لأسفل تجده تلقائياً على الفور يجذبه لأعلى بسرعة فائقة ساتراً عورته، وهو لا يعرف بعد أنها عورة، ولا يعرف حدودها وضوابطها.

والحياء عند الطفل هو التزامه مناهج الفضيلة وآداب الإسلام، والبعد عن[٤] : السب والبذاءة، غض بصره إذا رأى شيئاً قبيحاً، عدم كشف عورته أمام أحد، عدم مصافحة النساء، وكذلك عدم مصافحة البنت للرجال، غيرة الولد على أمه وأخته، والاستئذان عند الدخول على أحد خاصة الوالدين، وعدم تعطر البنت وتبرجها.

يقول **الشيخ الشعراوي** - رحمه الله : « إذا وجدتَ عورة مكشوفة فاعلم أن منهج الله غير مطبق»، **وأقول** : « إذا وجدت عورة مكشوفة فاعلم أن ذلك انتكاسة لفطرة الإيمان وفطرة الحياء».

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري ومسلم .

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٤٣ .

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وسبق تخريجه ص ١٢٣٢ .

(٤) فن تربية الأولاد، محمد سعيد مرسي، ٢/ ٤٢ بتصرف.

الخُلُق الخامس: الإيجابية

الإيجابية: هي تفاعل النفس الحرة المؤمنة مع ما يدور حولها من أحداث، ومحاولة التأثير فيها (مشاكل وهموم وأفراح وأحزان).. قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..** ﴾ (البقرة: ٣٠).

فلا يحق لهذا الخليفة أن يكون سلبياً لا يعبأ بما يحدث حوله ولا دور له في الحياة وإنما هو المنوط به تعمير هذا الكون والقيام على تنظيم أموره وتدبير شئونه وإصلاحه لا إفساده وذلك كله لا يتم إلا في منظومة رائعة من التعاون بين الأفراد.

الإيجابي الأول: رسول الله ﷺ: ذكر القاضي عياض[١] عن أنس كان رسول الله ﷺ: «**أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس**»[٢]، «**لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قِبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحه عُرْيٍ، والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا**»[٣].

وكان ﷺ مرة في سفر مع جماعة، فلما حان موعد الطعام عزموا على إعداد شاة يأكلونها، فقال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال الآخر: عليَّ سلخها، وقال الثالث: عليَّ طبخها، فقال النبي ﷺ: «**وعليٍّ جمع الحطب**»، فقالوا: يا رسول الله نكفيك، قال: «**علمتُ أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه مميزاً بين أصحابه**»[٤].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، جـ١، ص ٨٩.

(٢) رواه البخاري، بدء الوحي ٥، ٦، صوم ٧، مناقب ٢٣، بدء الخلق ٦، فضائل القرآن ٧، أدب ٣٩، ومسلم، فضائل ٤٨.

(٣) رواه البخاري في الأدب، وابن ماجة في الجهاد، ٩.

(٤) الزرقاني، شرح المواهب: ٤/ ٢٦٥، وراجع كتاب: عظماؤنا في التاريخ، للدكتور مصطفى السباعي، ص ٣٠، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

نماذج من الإيجابية :

سوف نذكر هذه النماذج مختصرة فيها إشارت فقط كما ذكرنا .

■ **النموذج الأول: إيجابية مؤمن آل يس :**

قال تعالىٰ : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس : ٢٠) .

الدروس المستفادة :

١ ـ استجاب للدعوة بمجرد ما سمع بها ، ولم يقل هناك ثلاث رسل يكفي هم ، ولا شيء عليَّ .

٢ ـ سعىٰ بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره .

٣ ـ هذا الرجل لم يكن ذا مال ولا جاه ولا عزة من قومه أو منعة من عشيرته ، ولكنها العقيدة في ضميره تدفعه فيجيء من أقصىٰ المدينة إلىٰ أقصاها .

٤ ـ نجاته في الآخرة ودخوله الجنة ، وهلاك قومه : ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس : ٢٩) .

■ **النموذج الثاني: مؤمن آل فرعون، قال تعالى:**

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ . . . ﴾ (غافر : ٢٨) .

جولة ضخمة لهذا الرجل المؤمن جالها مع المتآمرين من فرعون وملائه .

الدروس المستفادة :

١ ـ إقامة الحجة عليهم .

٢ ـ هددهم من طرف خفي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ .

٣ ـ حَذَّرَ ونصح وأبدىٰ الرأي : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ (يس : ٣٠) .

٤ ـ وضح لهم النتيجة الحتمية ، فقال : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ

بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر).

هذا الرجل المؤمن بإيجابيته لم يصبه من مكر فرعون وملئه شيء في الدنيا، ولا فيما بعدها، بينما حاق بآل فرعون سوء العذاب.

■ **النموذج الثالث:** أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة) [١] .

■ **النموذج الرابع:** الطفيل بن عمرو الدوسي .

■ **النموذج الخامس:** أبو محجن الثقفي .

■ **النموذج السادس:** إيجابية نمله أنقذت أمة .

■ **النموذج السابع:** إيجابية الهدهد .

قال تعالى: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾**﴾ (النمل).

الدروس المستفادة :

١ ـ الهدهد يبحث ويعمل ويأتي بالأخبار لسليمان من تلقاء نفسه، ولم يكلفه سيدنا سليمان لأنه لو كلفه ما سأل: أين هو؟ فهو يعرف مكانه إذا كان كلفه!

٢ ـ أنقذ نفسه من القتل بالعمل والإيجابية.

٣ ـ أنقذ هذه الأمة.. ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

---

(١) النماذج: الثالث والرابع والخامس والسادس تم ذكرها تفصيلاً في: باب الفهم والدعوة والتفسير، في مبحث: العمل للإسلام مسئولية الجميع.

■ **النموذج الثامن: إيجابية بنت بائعة اللبن:**

قالت لها أمها ليلاً : «قومي يا بنية إلى اللبن فاخلطيه بالماء» ، فقالت : «يا أماه أما سمعت أمير المؤمنين ينهى عن غش اللبن؟» ، قالت لها : «أي بنية ، إن أمير المؤمنين الآن يغط في نوم عميق» ، فقالت البنت : «إن كان أمير المؤمنين لا يرانا ، فإن رب أمير المؤمنين يرانا» ، وكان عمر وقتها يتفقد الرعية فسمعها . . فسأل عنها وزوجها من ابنه عاصم ، فأنجبت بنتاً تزوجها عبدالعزيز بن مروان ، فأنجبت : عمر ابن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين .

١ ـ حسن مراقبة الفتاة لله تعالى ، وهي درجة الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] .

٢ ـ رفع شأنها فتزوجت ابن أمير المؤمنين رضي الله عنه .

٣ ـ رفعت شأن أمتها وانتشر الخير وعم الرخاء حتى على الطير فهي جدة عمر بن عبد العزيز .

■ **النموذج التاسع: انتصار الإيجابية :**

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ مَنْ فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»[2] .

■ **النموذج العاشر: هلاك المؤمن السلبي :**

يقول الله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الأنفال : ٢٥) . ويقول الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ (الأعراف : ١٦٥) .

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ، وهو الحديث الثاني في الأربعين النووية .

(٢) رواه البخاري ، شركة ٦ ، شهادات ٣٠ .

قال جابر بن عبدالله، قال رسول الله ﷺ: «**أوحى الله تبارك وتعالى إلى مَلك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، فقال: يا ربِ إن فيهم عبدك فلان لم يعصك طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعّر فيَّ قط**»(١).

■ **النموذج الحادي عشر: السلبية تقيم الحد على صاحبها:**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر**»(٢).

• رُفِعَ قومٌ يشربون الخمر إلى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (٣) رضي الله عنه، فقيل له: إن فيهم فلان وقد كان صائماً، فقال: «به ابدأوا الجلد، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (المائدة: ٩٠).

• **النية السلبية وعقوبتها**: ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها**» وقال مرة: «فأنكرها» «**كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»(٤).

■ **النموذج الثاني عشر: الإيجابية طريق النصر:**

عندما صرخت المرأة المسلمة التي أسرها الأعداء: وامعتصماه، تحركت الجيوش؟ فماذا لو قال المعتصم: ليس لي شأن بها.. ومسئولياتي كبيرة والحرب دمار، وأهم منها مصلحة البلاد، فهي فرد واحد، ونحن لا نستطيع محاربة هؤلاء؟

ولكن المعتصم وقف يزأر كالأسد: «لبيك أختاه».. وتقوم المعركة وبعدها لم يجرؤ أحد على محاربة هذه البلاد والتفكير في احتلالها، هيبة واحتراماً لإيجابيتها التي تصون هذه الكرامة.

---

(١) الإحياء جـ٢، ص ٣١٠، قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشُعب وضعفه، وقال: المحفوظ من قول مالك بن دينار.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم ١٤٢٤١، والدارمي، أشربة رقم ٤٠٩٢، والترمذي، أدب ٤٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، جـ٢، ص ٨٩٣.

(٤) رواه أبو داود، ملاحم ١٧ من رواية مغيرة بن زياد الموصلي، وفي الترغيب رقم ٣٣٦٥.

■ **النموذج الثالث عشر: الإيجابية طريق تحرير الأوطان:**

عندما علم صلاح الدين بما يحدث في القدس وما يلحق بالمسلمين من الأذىٰ قال: «كيف أضحك والمسجد الأقصىٰ أسير؟». فماذا لو قال: «كل بلد مسئول عن نفسه، ومن أراد الحرب فليحارب»؟.

■ **النموذج الرابع عشر: الإيجابية خير.. ولو لصالح غير المسلم:**

فإن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر ضرب أحد أبناء الأقباط في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرفع القبطي المصري الشكوىٰ إلىٰ أمير المؤمنين، وهو يثق في عدل الإسلام.. وهنا تحرك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأخذ للقبطي حقه من ابن عمرو بن العاص[1]. فماذا لو قال هذا القبطي: إنه ابن الوالي وهو من أكابر أهل البلاد.. أنا أريد أن أعيش في سلام.. ولكنه شد رحله وسافر إلىٰ الخليفة؟ وماذا لو قال عمر بن الخطاب: إن عمرو بن العاص وابنه قدما خدمات جليلة للإسلام، فلنرضِ القبطي ونتركهما لأعمالهما؟

لكنها الإيجابية.. التي ترسي قواعد العدل والرحمة في المجتمع.

■ **النموذج الخامس عشر : الإيجابية .. أجر خمسين صحابياً :**

ففي الحديث: «**... للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**» قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**»[2].

إيجابيات :

١ ـ من صلاح المسلم ترك لفظ (أنا مالي)[3] ماذا أصنع؟ ماذا يفعل صوتي؟ فحينما أمر الله إبراهيم قائلاً: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً**﴾ (الحج: ٢٧). قال: «يارب وماذا يبلغ صوتي؟».. قال الله: «يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا البلاغ»، وانظر: إلىٰ تلبية الحجاج منذ آلاف السنين[4].

---

(١) بين يدي عمر، خالد محمد خالد، ص ٨٩، طبعة دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

(٢) رواه أبو داود، ملاحم ١٧، رقم ٤٣٤١، وابن ماجة، فتن ٢١، من حديث أبا ثعلبة الخشني.

(٣) سيأتي تفصيل لها في المبحث التالي إن شاء الله.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ص ٥٣٩، تفسير سورة الحج، الآية ٢٧.

٢ ـ كانت الهند تستورد القمح من أمريكا، وذات مرة قالت أمريكا للهند: إن القمح قد زاد ثمنه وهو في الطريق إليكم فردت أنديرا غاندي ـ رئيسة وزراء الهند ـ: «نحن لا نريد القمح». . فقالت أمريكا: إن القمح في الطريق إليكم ولو لم تأخذوا بالثمن الجديد سوف نأمر بإغراق القمح في البحر، فرفضت الهند استلام القمح بالسعر الجديد، وقامت أمريكا بإغراق القمح في البحر، وفي العام التالي كان عند الهند اكتفاء ذاتي تماماً من القمح، ثم أخذت في التصدير بعد ذلك.

٣ ـ في المقابل أدت السلبية في مصر إلىٰ تدهور الاقتصاد المصري. . ففي منتصف التسعينات من القرن الماضي تقدم **الأستاذ الدكتور: الشافعي بشير** ـ أستاذ القانون الدولي بجامعة المنصورة ـ مع فريق من أساتذة كلية الزراعة ببحث علمي عملي واقعي إلىٰ مجلس الشعب يقول: إن الصحراء الغربية أرض صالحة لزراعة القمح والمطر ينزل عليها من ٣ : ٤ مرات في فصل الشتاء (فصل زراعة القمح)، وهذه الأمطار كافية لإنتاج القمح، نحن فقط نحتاج إلىٰ طائرة تبذر الحب (البذر) وحَصَّادات تقوم بالحصاد فقط. . وعندما علمت أمريكا بالمشروع انزعجت وأرسلت للحكومة المصرية. . فقالت الإدارة الأمريكية: لماذا تجهدون أنفسكم في البذر والحصاد نحن سوف نعطيكم القمح بدون مقابل وبدون أموال، وظلوا يرسلون القمح لمصر لمدة ٦ أشهر بدون نقود وبعد أن انتهىٰ المشروع من الذاكرة واندثرت أوراقه أرسلت الإدارة الأمريكية القمح لمصر بضعف ثمنه، وعندما استفسرت الحكومة المصرية قالت لها الإدارة الأمريكية حتىٰ نأخذ ثمن القمح الذي أخذتموه علىٰ مدىٰ ستة أشهر. . وبدأت تذيقنا الويلات بعد أن وأدت المشروع العملاق الذي يحررنا من ذل الطعام[١] .

---

(١) أقول: إذا كان المشروع قد أزالوا كل مصادره، فالمصدر الحقيقي لهذا المشروع الواقع الذي تؤكده هذه النقاط:

أ ـ ها هي الصحراء الغربية.

ب ـ الأمطار بالفعل تسقط عليها في موسم القمح من ٣ : ٤ مرات شتاءً.

جـ ـ القمح يحتاج إلىٰ الري من ٣ : ٤ مرات.

د ـ القمح الذي يتساقط من قطار شحن القمح عند خطوط السكك الحديدية رأيته بنفسي قد نبت وأثمر.

هـ ـ الصحراء مليئة بالنباتات، دليل علىٰ خصوبة تربتها، فلماذا لا نستغلها بزراعة القمح؟

الإسلام يحث على الإيجابية العملية (١) :

يريد الإسلام من المسلم أن يكون همه الفعل قبل القول، فلا يقول إلا ليعمل، ولا يعمل إلا ليتقن، حتى لا يقع تحت طائلة لوم ربه عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ (الصف).

وعمل المسلم ليس مهملاً ولا مُضيعاً، إنه مقدر معتبر عند الله وعند الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

صور الإيجابية العملية :

الإسلام يحث المسلم على أن يكون إيجابياً عملياً، ومن صور الإيجابية العملية(٢):

١ - إصلاح نفسه، حتى يكون: قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادر على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً في شئونه، نافعاً لغيره، وذلك واجب كل مسلم على حدة.

٢ - وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام عقيدته والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحُسن اختيار الزوجة وتبصيرها بحقها وواجبها، وحُسن تربية الأولاد والخدم، وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل على حدة كذلك.

٣ - وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخيرات، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً.

٤ - تحرير الوطن، بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي، سياسي، أو اقتصادي، أو روحي، أو فكري.

(١، ٢) التربية الإسلامية، ص ٦٨، ٦٩، د. القرضاوي، مكتبة وهبة.

٥ ـ وإصلاح الحكومة ، حتىٰ تكون إسلامية بحق ، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة ، وأجير عندها ، وعامل علىٰ مصلحتها ، والحكومة الإسلامية هي ما كان أعضاؤها مسلمين ، مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه .

٦ ـ إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية ، بتحرير أوطانها ، وإحياء مجدها ، وتقريب ثقافتها ، وجمع كلمتها حتىٰ يؤدي ذلك كله إلىٰ إعادة الخلافة المفقودة ، والوحدة المنشودة .

٧ ـ أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه ، ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة : ١٩٣) .

٨ ـ ومن معاني الإيجابية في تربية المسلم ، ألا يكون همه مجرد التلذذ بالعبادة والانحصار في الأنس بالذكر ، والمتعة بالفكر من غير التفات إلىٰ أمراض المجتمع ومشكلات الناس ، وما فشا بينهم من انحراف في العقيدة ، وابتداع في العبادة ، وانحلال في الخُلُق ، وانهيار في التماسك ، فيقف من هذا كله موقف المتفرج المستسلم أو المتحسر المتندم أو القانط اليائس ، أو النائح المولول دون أن يقوم بخطوة إيجابية لإصلاح الفساد ، وتقويم العوج ، ودعوة الأشرار إلىٰ الخير والمبتدعين إلىٰ الاتباع ، والمنحرفين إلىٰ الاستقامة ، والمتكاسلين إلىٰ العمل ، والفاترين إلىٰ الحماس .

٩ ـ ومن الوصايا التي تحث علىٰ الإيجابية والعمل والبناء ، وتحذّر من الفراغ والسلبية والهدم : الوصايا العشر(١) .

---

(١) الوصايا العشر للإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله ـ :

* قم إلىٰ الصلاة متىٰ سمعتَ النداء ، مهما كانت الظروف .
* اتل القرآن أو طالع أو استمع أو اذكر الله ، ولا تصرف جزءاً من وقتك في غير فائدة .
* اجتهد أن تتكلم العربية الفصحىٰ ، فإن ذلك من شعائر الإسلام .
* لا تكثر الجدل في أي شأن من الشئون أياً كان فإن المراء لا يأتي بخير .
* لا تكثر الضحك ، فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .
* لا تمزح ؛ فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجِد . =

١٠ ـ هذه وصية في الإيجابية قالها أحد شيوخ البنا له : «إني أتوسم أن الله سيجمع عليكم القلوب، ويضم إليكم كثيراً من الناس، فاعلموا أن الله سيسألكم عن أوقات هؤلاء الذين سيجتمعون عليكم: أفدتموهم فيها فيكون لهم الثواب ولكم مثلهم، أم انصرفت هباءً فيؤاخذون وتُؤَخَذُون»(١).

= * لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع؛ فإنه رعونة وإيذاء.
* تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات، ولا تتكلم إلا بخير.
* تعرَّف على من تلقاه من إخوانك، وإن لم يُطلب منك ذلك، فإن أساس دعوتنا الحب والتعارف.
* الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته، وإن كان لك مهمة فأوجز في قضائها.

(١) التربية الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٤ .

المحور الثالث: أخلاق سيئة يجب أن يتخلى عنها المسلم

الخُلق الأول: السلبية .. وترك لفظ «أنا مالي» [(١)]

يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٥).

فرأس الفساد كله هذا اللفظ وهذا الخلق السيئ : «أنا مالي» . .

فقد شاع منذ فترة هذا اللفظ ، فأدىٰ إلىٰ تخريب وتدمير كبير في كل مجالات الحياة ، وهو ناتج عن السلبية واليأس والوهن ، فتقطعت أواصر المجتمع ، فالجار يرىٰ المنكر في دار جاره ولا ينكره ، والصديق يرىٰ الآفات التي تعتري صديقه ولاينصحه ، والزميل يرىٰ الهاوية التي يهوي فيها زميله ولا يوقظه . . . وهكذا .

المجتمع المسلم لابد أن يلفظ هذا الخلق للآتي:

أولاً: هذا اللفظ (أنا مالي) من صفات الكافرين ؛ لقول الله تعالىٰ : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ (المائدة)

رَوىٰ أبو داود عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أول مادخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[(٢)] الآية .

---

(١) هذا اللفظ : «وأنا مالي» من الألفاظ العامية المصرية ، ولفظه في اللغة العربية «لا دخل لي» .

(٢) راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية المائدة ٧٩ ، والحديث رواه الترمذي ، تفسير سورة ٥ ، ٧ ، وابن ماجة ، فتن ٢٠ ، وأبو داود ، ملاحم ١٧ .

ثم قال: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم**»(١).

ومن المخاطر الكبيرة: الفهم الخاطئ لهذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٥).

قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعوها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه، أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقاب منه**»(٢).

يقول **الشيخ الشعراوي** ـ رحمه الله ـ: «إن من هدايتكم أن تضربوا على أيدي العابثين الفاسقين».

قال الترمذي عن أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟

قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾**.

قال: أما والله لقد سألتُ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة. وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم**».

---

(١) رواه أبو داود، ملاحم ١٧، والترمذي تفسير سورة ٥، وابن ماجة، فتن ٢٠، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه أبو داود، ملاحم ١٧، والترمذي، فتن ٨، وتفسير سورة ٥، ١٧، وابن ماجة، فتن ٢٠، وأحمد: ١/ ٢، ٥، ٧، ٩.

قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: قيل: يا رسول الله ﷺ أجر خمسين رجلاً منا أم منهم؟، قال: «**بل أجر خمسين منكم**»(١).

ولذلك أمر الله الملائكة أن تبدأ بهذا الرجل العابد، الذي كان يعبد الله ويرىٰ المعاصي في كل مكان حوله، ولم يتمعر وجهه غضباً لله، فقال الله للملك: «به فابدأ». لسلبيته.

الإسلام يكره السلبية التي من صورها (٢):

١ ـ يكره الإسلام للمسلم أن يشتغل بما لا يعنيه، وأن يصرف وقته في التافه من الأمور، والخوض في الباطل من القول، أو حضور الزور من الفعل، أو الرد علىٰ إساءات الآخرين، ولهذا وصف الله المؤمنين بقوله تعالىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٣)، ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ (القصص: ٥٥). ووصف عباد الرحمن بقوله: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾ (الفرقان: ٦٣).

وفي الحديث: «**منْ حُسْنِ إسلام المَرء تركه ما لا يعنيه**»(٣)، وقد اعتبر علماء السنة هذا الحديث أحد أحاديث أربعة يقوم عليها بناء الإسلام.

٢ ـ يكره الإسلام للمسلم أن يصرف أصغريه (قلبه ولسانه) إلىٰ اللعن للناس أو للأشياء، فليس المسلم سباباً ولا لعاناً، ولهذا جاءت جملة أحاديث وفيرة عن النبي ﷺ كلها تقول: «**لا تسبوا**» منها: «**لا تسبوا الموتى فإنهم أفضوا إلى ما قدموا**»(٤)،

---

(١) رواه الترمذي، فتن ٧٣، تفسير سورة ٥، وأبو داود، ملاحم ١٧، وأحمد ٢/ ٣٩٠، ٣٩١، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) التربية الإسلامية، د. القرضاوي، ص ٦٨، ٦٩، مكتبة وهبة.

(٣) رواه ابن ماجة، فتن ١٢، والموطأ، حسن الخُلق ٣، أحمد في المسند ١/ ٢٠١، والترمذي، زهد ١١، وقال الترمذي: حديث غريب، وقال الفاكهاني في شرح الأربعين: هذا الحديث ربع الشريعة.

(٤) رواه البخاري، جنائز ٩٧، رقاق ٤٢، فضائل أصحاب النبي ٥، ومسلم، فضائل الصحابة ٢٢١.

«لاتسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[1]، **«لا تسبوا الريح فإنها مأمورة»**[2]، **«لاتسبوا الحُمَّى فإنها كفارة الخطايا»**[3]، **«لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة»**[4].

٣ ـ وأعـجب من ذلك النهي عن سب الشيطان ذاته، مع ثبـوت عـداوته للإنسان وطرده من رحمة الله مذموماً مدحوراً، روىٰ النسائي والطبراني والحاكم عن بعض الصحابة قال: «كنتُ رديف النبي ﷺ فعثر بعيرنا، فقلتُ: «تعس الشيطان»، فقال لي النبي ﷺ: **«لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي، أي صرعته بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب»**.

إن سب الشيطان عمل سلبي لا يؤذي الشيطان نفسه، بل يسره ويرضي غروره، وإنما يؤذي الشيطان ويغيظه أن يتجه الإنسان إلىٰ عمل إيجابي كأن يذكر الله تعالىٰ، ويقول: «بسم الله»، فهذا يجعله يتضاءل ويصغر حتىٰ يعدو كالذباب.

الواقع الذي نعيشه: في الحياة اليومية ـ طفل يكسر شجرة. . أنا مالي ـ أطفال يتشاجرون. . أنا مالي ـ ولد يكسر زجاج مصلحة. . أنا مالي ـ إهدار مال عام. . أنا مالي ـ أولاد جارك في الخطأ أو قريب لك في الخطأ. . أنا مالي وتظل هكذا حتىٰ يصل خطر أولاد جارك بالطبع إلىٰ أولادك لأن السلوك السيئ يعدي. . الحريق في منزل جارك. . أنا مالي، وينتقل الحريق إلىٰ دارك والكل يقول: أنا مالي ويحترق منزل جارك ثم منزلك ثم المنزل المجاور حتىٰ تحترق القرية كلها. .

واقع الأمة: ينتهك عرضها ، وتستباح حرماتها.. ماذا أنت صانع؟

التوصيات العملية:

ـ الدعاء للأمة. . والدعاء للمسيء بالهداية والرحمة.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٩٩ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ٢٥٠ .

(٣) رواه مسلم، بر ٥٣ .

(٤) رواه أبو داود، أدب ١٠٦، وأحمد ٥/ ١٩٣ .

- العمل والإنتاج حتىٰ تتقدم الأمة وتزدهر اقتصادياً.

- أن نكون يداً واحدة . . فكل من رأىٰ منكراً أو شيئاً خاطئاً لا ينتظر أن يطلب منه غيره إصلاح هذا الخطأ، ولكن يبادر هو بالإصلاح.

بعض الأطفال كانوا يلعبون بالصواريخ والألعاب النارية، ولم يأخذ أحد علىٰ أيديهم، فكانوا يزعجون المارة، ومن هؤلاء المارة امرأة تحمل طفلها الرضيع علىٰ يديها وعندما فزعت من الصاروخ الذي أحدث صوتاً هائلاً تحت قدميها رفعت يديها تلقائياً لأعلىٰ ونسيت أن هناك طفلاً علىٰ يديها فسقط الولد علىٰ الأرض فمات!!

والآن احذر توابع هذا اللفظ السيئ علىٰ الأمة، وعلىٰ المجتمع، وخاصة علىٰ الأسرة فإنه يدمرها، ويتشرد الأطفال، فلابد وأن يستشعر الأب والأم المسئولية.

مسئولية النفس والأهل :

يقول الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم: ٦).

فالنداء للمؤمن . . ليوضح له ربه سبحانه وتعالىٰ مسئوليته عن نفسه وعن ولده، وقد روىٰ عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته**»(١).

فلابد من ملازمة الطاعة والتقوىٰ في كل حال.

فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ: لم تظهر**

(١) رواه البخاري، جمعة ١١، جنائز ٣٢، استقراض ٢٠، وصايا ٩، عتق ١٧، ١٩، نكاح ٨١، ٩٠، أحكام ١، مسلم، إمارة ٣٠.

الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسولَه إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

الأوجاع : الأمراض، والسنين : الفقر، والقطر : المطر، وبأسهم : حربهم.

(١) رواه ابن ماجة ، فتن ٢٢ ، قال في الزوائد : هذا حديث صالح للعمل به، ورقمه عند ابن ماجة ٤٠١٩ .

الخُلق الثاني : الانفصال بين القول والعمل

احذر مخالفة القول للفعل، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ (الصف).

وعن أسامة بن زيد قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحي. فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: «بلى كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»(١).

والأقتاب: الأمعاء، وتندلق: تخرج.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه»(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ (العصر).

عن ثوبان، عن النبي ﷺ أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً».

قال ثوبان: «يارسول الله.. صفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم»، قال ﷺ: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون.. ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(٣).

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق ١٠، ومسلم، زهد ٥١.

(٢) رواه ابن حيان في صحيحه، وفي الترغيب رقم ٣٣٧٩.

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٩، وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رقم ٤٢٤٥.

الخُلق الثالث : لا تتسرع في الحكم على الناس (١)

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (ص: ٢١).

سبب التحذير من هذا الخلق السيئ: ما يسببه هذا الأمر من مشكلات كبيرة جداً بين الناس تصل لحد التقاتل، لأنها تزيد الظالم ظلماً فيأكل حقوق الناس، وتشعل نار الغل والحقد في قلب المظلوم علىٰ الظالم من المجتمع.

ليس المقصود بهذا الخُلق الذين يحكمون بين الناس في مشكلاتهم.. بل المقصود: جميع الناس فنحن نحتاج للتأني في الحكم علىٰ كل ما حولنا، ومع كل الناس.. بين الأولاد في المنزل ـ الجيران ـ في العمل والمدارس، وسوف نعرض الصورتين: صورة التسرع في الحكم وأضراره، وصورة التأني في الحكم وثمراته.

النموذج الأول: التسرع في إصدار الحكم:

١ ـ **في القرآن**.. يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ..** ﴾ (سورة ص).

« وبيان هذه الفتنة أن داود النبي الملك، كان يخصص بعض وقته للتصرف في شئون المُلك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة، وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتىٰ يخرج هو إلىٰ الناس.

وفي ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه، ففزع منهم، فما يتسور المحرام هكذا مؤمن ولا أمين! فبادرا يطمئنانه: ﴿ **قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾، وجئنا للتقاضي أمامك: ﴿ **فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ**

---

(١) الذي يتسرع في الحكم علىٰ الناس يكون من الخائضين بلا دليل، فتعم البلوىٰ في المجتمع، كما حدث في حادثة الإفك، يُراجع : في ظلال القرآن، تفسير سورة النور.

وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ . وبدأ أحدهما فعرض خصومته : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا (أي : اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي)، وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (أي : شَدَّد عليَّ في القول وأغلظ) .

والقضية ـ كما عرضها أحد الخصمين ـ تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضى يحكم : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ (أي : الأقوياء المخالطين بعضهم لبعض) لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ .

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان، فقد كانا ملكين جاءا للامتحان، امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة، ولكن القاضي عليه ألا يُستثار، وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد، قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً!»[1] .

عند هذا تنبه داود إلى أنه الابتلاء : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ . .

وهنا أدركته طبيعته . . إنه أواب ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ .

٢ ـ **في السنة**: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق، فخرج الناس لاستقباله، فظن أنهم يريدون به شراً فعاد إلى النبي ﷺ وقال : «أرادوا قتلي ومنعوا الزكاة»، فغضب رسول الله ﷺ وأرسل إلى بني المصطلق، فقابلهم الحارث الخزاعي واستوضح النبي الخبر، ونزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا . . ﴾ (الحجرات : ٦)[2] .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٠١٨، طبعة دار الشروق، الطبعة الـ١٧، عام ١٩٩٢م .

(٢) أخرجه ابن جرير عن أم سلمة، والإمام أحمد عن الحارث الخزاعي . . راجع تفسير ابن كثير في سورة الحجرات الآية ٧ .

النموذج الثاني: التأني في الحكم:

١ ـ **من القرآن الكريم** : يقول الله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾ (النمل).

الدروس المستفادة من هذا الموقف:

١ ـ شخصية المسئول (رب الأسرة) : يقظة ودقة وحزم : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ .

٢ ـ لا تُصدر حكم ضد الغائب حتى تسمع الحجة : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

٣ ـ الهدهد طالما أنه كان على صواب يقف بالحق صادعاً ، ويعرض قضيته بصدق وعزيمة وقوة .

٤ ـ لم يتسرع في الحكم ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ .

٥ ـ قدَّم حسن الظن على سوء الظن . . فقال : ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يقل سننظر أكذبت أم كنت من الصادقين ! !

٢ ـ **من السنة** : في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصمين بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : «**ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له، فمن قضيتُ له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو ليذرها**».

وزاد الإمام أحمد عن أم سلمة أيضاً أن الخصومة كانت في مواريث قد درست، وليس عندهما بينة، وزاد بعد «**قطعة من النار**»: «**يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة**». فبكى الرجلان، وقال كل منهما: «حقي لأخي».

فقال رسول الله ﷺ: «**أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما ثم ليُحلل كل منكما صاحبه**»(١).

المطلوب:

١ ـ أن ننشغل بعيوبنا عن عيوب الناس.. قال الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ فكلك عوراتٌ وللناس ألسن

٢ ـ ننصح ونوجه لله والإصلاح، وليس للشماتة والاستعلاء والنقد.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة، وأبو داود، أقضية ٧.

الخلق الرابع : الظلم

يقول الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) .... ﴾ (إبراهيم: ٤٢ ـ ٥٠). ويقول الله أيضاً: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه: ١١١).

تعريف الظلم: ظلم: جار وجاوز الحد.. وهو وضع الشيء في غير موضعه.. يقولون: من استرعى الذئب فقد ظلم (١).

الظلم .. آية تدق أعناق الظالمين، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (يونس: ٥٤). ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) ﴾ (الزُّمَر).

والتساؤل الآن: هل أنت تملك كل ما على الأرض لتفتدي به؟

قال الظالم للمظلوم: أظلمك كثيراً وأنت تتحمل ظلمي! فلماذا؟

قال المظلوم: علمتُ أن الموت يَعُمُنا، والقبر يَضُمُنا، والقيامة تجمعنا، والديَّان يحكم بيننا.

والظلم دمار للأرض كلها.. يقول الله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) ﴾ (الرحمن).

لو نظرنا إلى الآيات نجد خلق السماوات ورفعها المفروض أن الترتيب الطبيعي بعد خلق السماء خلق الأرض ولكن هناك فرق بين الترتيب، الصواب

---

(١) استرعى الذئب: أي جعله راعيًا للغنم.

والترتيب الطبيعي ذكر ربنا خلق السماء ثم وضع الميزان، ثم خلق الأرض وبناءً على ذلك يرشدنا القرآن أنه لولا الميزان ـ العدالة ـ لا تقوم للأرض قائمة.. فبقاء الأرض مرتبط بوجود الميزان (العدالة).

بعض الأحاديث التي تتحدث عن الظلم:

ـ حديث قدسي: عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلاتظالموا**»(١).

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»(٢).

ـ وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ (هود: ١٠٢).

عقوبة الظالم:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**»، قالوا: «**المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع**»، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، ويُعْطَى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرِحَ في النار**»(٣).

٢ ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»، وفي رواية: «**عُذِّبَتْ امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت**»(٤)، وفي رواية الإمام

(١) رواه مسلم، بر ٥٥.

(٢) رواه البخاري، تفسير سورة ١١، ومسلم، بر ٦٢..

(٣) رواه مسلم، بر ٦٠.

(٤) رواه البخاري، أذان ٩٠، مساقاة ٩، أنبياء ٥٤، ومسلم، بر ١٣٣.

أحمد من حديث جابر فزاد في آخره: «**فوجبت لها النار بذلك**»(١).

انظر هذه امرأة تدخل النار في هرة (قطة).. فما بالنا بالذي حبس الشباب الطاهر العفيف الذي كل تهمته أنه يصلي ويحمل المصحف، ولا يزني ولا يشرب مخدرات ولا يرتشي، إنهم يذكروننا بقول الله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٨٢).

لماذا تخرجوهم؟ هل هم زناة؟ هل هم مرتشون؟ هل هم مدمنون؟

لأي سبب إذن؟ ﴿ **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ .

ما أعده الله للمظلوم:

١ ـ أن دعوته مُستجابة:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب، دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب**»(٢).

وقال ﷺ أيضاً: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»(٣).

٢ ـ التمكين في الأرض: ومن صور التمكين:

أ ـ ظُلِمَ يوسف ـ عليه السلام ـ من إخوته، ومن امرأة العزيز.. فكانت النتيجة:

من (**غيابة الجب**) (سجن البئر) إلى ﴿**رفع أبويه على العرش**﴾.

من (دار العزيز) (سجن الرق) إلى القيادة ﴿**اجعلني على خزائن الأرض**﴾

من (الزنزانة) (سجن الحرية) إلى قمة الحرية ﴿**يتبوأ منها حيث يشاء**﴾.

ب ـ يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ**

(١) أخرجه البخاري، زكاة ٦٣، ٩، مظالم ٩، مغازي ٦٠، توحيد ٢٤، ومسلم، إيمان ٢٩.

(٢، ٣) رواه مسلم، توبة ٢٧٤٩، ورواه الترمذي، جنة ٢، دعوات ١٢٨، وابن ماجة، صيام ٤٨، وأحمد ٢/ ٣٠٥.

الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥). **﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (النور: ٥٥).

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة»**، وفي رواية: **«فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة»**[١].

الواقـع: نجد ألواناً كثيرة للظلم، ومنها:

١ - **ظلم المسئول للرعية،** فعن معقل بن يسار، قال ﷺ: **«من بات غاشاً لرعيته إلا حرَّم الله تعالى عليه الجنة»**[٢].

٢ - **المحسوبية والرشوة والوساطة،** وعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فعن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ولَّى على المسلمين رجلاً وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»**[٣].

٣ - **أخذ الناس بالشبهة، ومعاملة الناس على سوء الظن،** والإسلام يحذر من ذلك، يقول النبي ﷺ: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»**[٤]، ويقول النبي ﷺ أيضاً: **«ادرأوا الحدود بالشبهات»**[٥]، ويقول الله تعالى: **﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾** (الحجرات: ١٢).

---

(١) رواه البخاري، أحكام ٨، ومسلم، إيمان ٢٢٧، ٢٢٨، إمارة ٢١، وفي رواية مسلم والطبراني عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»**، وزاد: **«كنصحه وجهده لنفسه»**.

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه الترمذي.

(٤) رواه البخاري، وصايا ٨، نكاح ٤٥، فرائض ٣، أدب ٥٧، ٥٨، ومسلم، بر ٢٨.

(٥) رواه الترمذي، حدود ٢، وأبو داود، صلاة ١١٤.

٤ - **التنصت على الناس، سواء في البيوت مباشرة، أو من خلال الهاتف، أو أي وسيلة من وسائل التنصت** : فعن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة**»(١)، والآنك: هو الرصاص المذاب.

٥ - **تلفيق التهم للبرءآء** : فعن عبدالله بن عباس أن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار فأتىٰ صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: «إن طُعمة بن أبيرق سرق درعي»، فلما رأىٰ السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريئ وقال لنفر من عشيرته إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلىٰ نبي الله ليلاً، فقالوا: «يا نبي الله ، إن صاحبنا بريئ وإن صاحب الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً، فاعذر صاحبنا علىٰ رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك نهلك»(١) .

فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره علىٰ رؤوس الناس فأنزل الله: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)**﴾ (النساء).

أرأيت كيف نفىٰ القرآن التهمة عن البريء؟

٦ - **ظلم الإنسان لنفسه** : وذلك بالتقصير في الطاعات وعمل المعاصي، سواء ظلم الزوجة أو ظلم الجار أو ظلم الأولاد.

---

(١) رواه البخاري ، تعبير ٤٥ ، من كذب في حلمه، حديث رقم ٧٠٤٢ .

(٢) تفسير ابن كثير، تفسير سورة النساء، آية ١٠٥ : ١٠٨ ، وعزاها ابن كثير للترمذي وابن جرير عن قتادة بن النعمان.

لماذا يجب أن نقاوم الظلم؟

١ - مناصرة الحق ومقاومة الظلم من شيم أصحاب الدين والمروءة:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣) ﴾ (الشورىٰ).

من أعظم القربات إلىٰ الله تعالىٰ أن يقف الإنسان في جانب المظلوم، مقاوماً للظلم ومناصراً للحق والعدل، وهذا الأمر لا يخصّ المتدينين فحسب، بل هو من شيم الكرام وأصحاب المروءة.

وقد شهد النبي ﷺ قبل البعثة حلفاً تعاهد علىٰ نصرة المظلوم، يقول النبي ﷺ: «**شهدتُ حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه**»[١]، قال ابن كثير في البداية والنهاية: «اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة وغمسوا أيديهم فيه وتحالفوا علىٰ التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسموا المطيبين»[٢].

وعن جابر قال: «لما رجعت إلىٰ رسول الله ﷺ مُهاجرة البحر قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة**». قال فتية منهم: «بلىٰ يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهبانيهم تحمل علىٰ رأسها قلة من ماء فمرت بفتىٰ منهم، فجعل إحدىٰ يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت علىٰ ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً»، قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يُؤْخَذُ لضعيفهم من شديدهم**»[٣].

---

(١) الرحيق المختوم. . المباركفوري، ص ٦٦، والحديث رواه أحمد ١/ ١٩٠، ١٩٣.

(٢) السيرة النبوية، لأبي شهبة ١/ ٣١٢.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه، فتن ٢٠، وأبو يعلىٰ في مسنده، وفي الزوائد: إسناده حسن.

وفي رواية للبيهقي : فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه فقال : «**كيف تقدس أمة لا تأخذ لضعيفها من شديدها حقه وهو غير متعتع**».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : «**أوصاني خليلي بخصال من الخير : أوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً**»[١] .

قدم أمير المؤمنين المنصور مكة ـ شرفها الله ـ حاجاً فقابل رجلاً فدار بينهم حوار جاء فيه : «ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلىٰ أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي ، فقال له وزراؤه ما لك تبكي لابكت عيناك؟ فقال : أما إني لست أبكي علىٰ المصيبة التي نزلت بي ، ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم ، فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرىٰ مظلوماً فينصفه»[٢] .

٢ ـ مقاومة الظلم من أعظم أنواع الجهاد :

إن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام ، وإن من أعظم أنواع الجهاد مقاومة الظلم الناشئ من الراعي الظالم ، حيث يطال ظلمه كل الرعية ، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« **سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى حاكم جائر فأمره ونهاه فقتله**»[٣] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر** »[٤] .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، ولفظ : «**لا تأخذكم في الله لومة لائم**» عند البخاري ، أحكام ٤٣ ، ومسلم، إمارة ٤١ .

(٢) إحياء علوم الدين، جـ ٢ ، ص ١٨٦ .

(٣) أخرجه الحاكم، وقال : صحيح الإسناد، ورواه الترمذي، وفي الترغيب ٣٣٤٦ .

(٤) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة، وقال الترمذي : حديث حسن غريب، وفي الترغيب رقم ٣٣٤٣ .

٣ ـ لأن في مقاومة الظلم تغليباً لجانب الأخوة :

إنَّ الوقوف أمام الظلم بمنعه أو نصرة المظلوم تغليب لجانب الأخوة، والدليل أن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**». فقال رجل: «**يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟**». قال: «**تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه**»(١). انظر كيف ذكر النبي ﷺ أخاك في الحديث ليدل على أن منعك الظلم عن أخيك نصرة له من الظالم، وبمنع أخيك حينما يصل إلى مرحلة الظلم من إنفاذ ظلمه على الناس.

وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»(٢).

وانظر كيف أن خذلان المسلم لأخيه يكون بعدم الوقوف معه حتى يحصل على حقه وينتصف له من الظالم.

٤ ـ لأن مقاومة الظلم ترفع عن الأمة العقوبة العامة :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة: ١٠٥). وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» (٣).

ولفظ النسائي: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمّهم الله بعقاب**»، وفي رواية لأبي داود سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه البخاري، مظالم ٤، إكراه ٧.

(٢) أخرجه البخاري، مظالم ٣.

(٣) رواه أبو داود، ملاحم ١٧، والترمذي، فتن ٨، تفسير سورة ٥، ١٧، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، والنسائي، وابن حبان في صحيحه.

«مـا من قوم يعـمل فيـهم بالمعـاصي ثم يقدرون عـلى أن يغيـروا ثم لا يغيـروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب».

٥ ـ لأن مقاومة الظلم تحفظ الأمة من الخراب العمراني والأخلاقي :

قال الفاروق عمر قديما حينما سُئِل : أتخرب القرىٰ وهي عامرة؟

قال : «نعم . . إذا علا فجارها علىٰ أبرارها» .

ولذلك يقول عبد الرحمن بن خلدون : «الظلم مؤذن بخراب العمران»[١] .

إن الناس حينما يهمون للمقاومة يفعلون ذلك لمصالح كثيرة ، من بينها دفع الخراب عن بلدهم ، وحفظ أمتهم من العقوبة العامة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شيءٌ فتوضأ ، وما كلم أحداً فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول ، فقعد علىٰ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال : **«يا أيها الناس، إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهـوا عن المنكر قـبـل أن تدعـوا فـلا أجـيـب لكم، وتسـألوني فـلا أعـطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم»**.. فما زاد عليهن حتىٰ نزل[٢] .

٦ ـ لأن الأذى الذي ينشأ من مقاومة الظلم أقل بكثير من الذي ينشأ بتركه :

إن الإنسان إذا قاوم الظلم فقد يصيبه بعض الأذىٰ ، كما بيَّن الله ذلك بقوله : **﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾** (لقمان : ١٧) .

إن مؤمن آل يس حينما واجه ظلم قومه وقال لهم : **﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾** (يس : ٢٥)، فقاموا إليه فقتلوه ، فقال تعالىٰ : **﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾** (يس) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، جـ ١ ، ص ١٤٩ ، الفصل السادس والعشرون ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة .

(٢) رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، وأحمد ٦/ ١٥٩ .

أما إذا ترك الناس الظلم دون مقاومة فإن الله تعالى ينزل عليهم العقوبة تلو الأخرى، فعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: « **يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ :**

١ ـ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع[1] التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..

٢ ـ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذُوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم..

٣ ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَرُوا..

٤ ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدواًمن غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم..

٥ ـ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعِلَ بأسهم بينهم»[2] .

ـ أليس الغلاء وانتشار الفساد من نتائج عدم مقاومة الظلم؟

ـ ألم يَحِقْ ببلاد المسلمين المذلة والتخلف بسبب ترك الظالم دون أن يقول له الناس: يا ظالم؟

ـ أليس الأمن المفقود، وانتشار السرقات، وتفشي ظاهرة الغش بسبب ترك الظالمين دون مواجهة؟

ـ فأيهم أهون : أن نقاوم الظلم ونعيش أحراراً ؟

أم نترك الظلم ولا نقوى أن نعيش عيشة العبيد؟

كيف تسهم في مقاومة الظلم ؟ :

تختلف مساهمة كل إنسان في مقاومة الظلم حسب القدرات المختلفة للإنسان، فكلما كان الإنسان صاحب قدرات كلما زادت مسئولياته عن مدافعة الظلم، لكن في النهاية يبقى لكل إنسان دور في هذه المدافعة قل أو كثر.

---

(١) وَجَع : اسم جامع لكل مرض مؤلم، انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٥٦ (ج) أوجاع، وهناك أمراض ظهرت حديثاً لم يسمع عنها أجدادنا ولا آباؤنا ولم نسمع عنها نحن إلا منذ سنين قليلة، ومنها: (السرطان، الإيدز، إنفلونزا الطيور، إنفلونزا الخنازير....).

(٢) رواه ابن ماجة، وسبق تخريجه.

وهذه بعض صور المساهمات والتوصيات العملية :

١ - كراهية الظلم وإنكار فعله قلبياً :

الفطرة السليمة تكره الظلم ولا تحبه ولا تقف إلىٰ جوار من يفعله، فالظلم أصلاً منكر يجب العمل علىٰ تغييره، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١) .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقف أحدكم في موقف يضرب فيه رجل مظلوم، فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه**»(٢) .

قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ (هود: ١١٣).

والركون إلىٰ الشيء هو: السكون والميل إليه بالمحبة.

ومن ثم قال **ابن عباس** رضي الله عنهما في الآية: «لا تميلوا إليه كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة»(٣) .

وفسرت: «لا تداهنوهم ولا تطيعوهم وتودوهم، لا ترضوا بأعمالهم».

ولذلك يقول **ميمون بن مهران**: «الظالم والمعين والمحب سواء».

وانظر إلىٰ المربين كيف يبغضون الظلم إلىٰ الناس: يُذكر أن كسرىٰ اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه، حتىٰ إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب فحقد الولد علىٰ المعلم إلىٰ أن كبر ومات أبوه فتولىٰ الـمُلك بعده، فاستحضر المعلم وقال له: «ما حملك علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، إيمان ٧٨ ، وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) رواه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن، عن عبدالله بن عباس، وفي الترغيب ٣٥٤٩، وانظر: الكبائر، جـ١ ، ص ٣٩ باب الظلم.

(٣) الكبائر، للذهبي، ص ٨٣ .

أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب؟»، فقال المعلم: «اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتىٰ لاتظلم أحداً»، فقال: «جزاك الله خيراً، ثم أمر له بجائزة وصرفه»(١) .

٢ - الوقوف في وجه الظالم حتى يرده عن الظلم :

مر بنا الحديث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**». فقال رجل: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه**»(٢) .

وفي الحديث أيضاً: «**ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام**»(٣) .

قال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «ولا تجلس علىٰ الطريق، فإن جلست، فَأَدَبُهُ غض البصر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد الضال، ورد السلام، وإعطاء السائل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والارتياد لموضع البصاق، ولا تبصق في جهة القبلة، ولا عن يمينك، ولكن عن يسارك، وتحت قدمك اليسرىٰ»(٤).

من الكبائر: «ظلم السلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم، مسلماً أو ذمياً بنحو أكل مال، أو ضرب، أو شتم، أو غير ذلك، وخذلان المظلوم مع القدرة علىٰ نصرته، والدخول علىٰ الظلمة مع الرضا بظلمهم، وإعانتهم علىٰ الظلم، والسعاية إليهم بباطل»(٥).

---

(١) الكبائر، جـ١، ص ٣٧ .

(٢) متفق عليه، وسبق تخريجه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، الأصبهاني .

(٤) إحياء علوم الدين، جـ٢، ص ٤٠ .

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر .

٣ ـ قول الحق في موطن الظلم :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «**أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير: أوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرأً**»(١) .

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**»(٢) .

٤ ـ مناصرة الساعين لمحاربة الظلم :

هذا من فعل النبي ﷺ حينما شهد حلف الفضول وكان وقتها غلاماً لا يقدر على مناصرة المظلوم وحده، قال: « **شهدتُ حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه**».

وقد تكون هذه المناصرة بكلمة دفاع المقاومين للظلم، فعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري، يقولان: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**»(٣) .

٥ ـ منع المساعدة عن الظالمين :

عن حذيفة بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون من صدقهم بكذبهم، ومن أعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليَّ الحوض، ومَنْ لم يصدقهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، ويرد عليَّ الحوض**»(٤) .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وسبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم، إيمان ١٤٣ .

(٣) رواه أبو داود، أدب ٣٦ ، وأحمد ٤/ ٢٠ .

(٤) رواه أحمد ٣/ ٣٤، ٩٢، ٤/ ٢٤٣، وفي الترغيب ٣٢٥٧، وقال: رجاله ثقات محتج بهم.

قال عطاء : « لا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين».

والله تعالى يقول على لسان موسى : ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص : ١٧).

فائدة :

١ - نموذج فذ لعدم ظلم الحاكم للمحكومين : (استوِ يا سواد) :

عَدَّل رسول الله ﷺ صفوف المسلمين، وبينما هو يعدلها وقع أمر عجيب، فقد كان في يديه قدح وكان الصحابي سواد بن غزية مستنصلاً [(١)] من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال : «**استوِ يا سواد**».

فقال سواد : «يا رسول الله أوجعتني فأقدني (يعني : آخذ حقي منك).

فكشف النبي ﷺ عن بطنه وقال : «**استقد**» (أي : خذ حقك مني).

فاعتنقه سواد فقبَّل بطنه.

فقال النبي ﷺ : «**ما حملك على هذا يا سواد؟**».

فقال : «يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جلدي جلدك». . فدعا له رسول الله ﷺ بخير [(٢)] .

ولذلك قال **ابن تيمية** : « إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة. . ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ».

وهذه الحقيقة يُقرها «توماس جيفرسون» ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية حيث قال : «حقاً إنني لأرتعد خوفاً على بلدي حينما أفكر في أن الله عادل» [(٣)] .

---

(١) مستنصلاً : متقدماً.

(٢) الرحيق المختوم، ص ١٩٩ .

(٣) مجلة كلمات، العدد الرابع، مارس ٢٠٠٨ م .

فكم من الحكام يدخلون الحروب وأيديهم ملطخة بظلم الملايين من شعوبهم.

أنى لهم أن ينتصروا....؟!

٢ - المظلوم يُحَاسَبْ من أجله :

١ - الظالم .

٢ - من أعان الظالم، لقول رسول الله ﷺ: **«مَنْ أعانَ على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله»**(١) ، والذي يعين الظالم هو من يعطيه الورقة، والقلم، والسوط . . .

٣ - مَنْ عَذَّبَ المظلوم بأي أنواع التعذيب البدني أو النفسي، (والنفسي قد يكون بكلمة أو إشارة).

٤ - من وقف أثناء الظلم ولم يدفع عن المظلوم ولو بكلمة، لقول رسول الله ﷺ: **«... ولايقفن أحدكم موقفاً يُضْرَب فيه رجل ظلماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»**(٢) ، أما الظالم فقد قال الله تعالى فيه: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ (آل عمران: ١٩٢)، ويقول ابن كثير: «أي يوم القيامة لا مجير لهم منك، ولا محيد لهم عما أردت بهم».

٥ - ما هي حدود إعانة الظالم ؟

ترزي كان يقوم على حياكة ملابس السلطان ، سأل سفيان الثوري عن قول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ (هود: ١١٣). قال: أتراني من الذين يركنون؟ يعني هل أنا من أعوان الظلمة؟! فقال له سفيان : بل أنت من الذين ظلموا، وإنما الذين يركن إليهم هو من يبيعك الخيط والإبرة!(٣).

---

(١) رواه ابن ماجة ، وفي الترغيب ٣٥٣٢ .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن ، وفي الترغيب ٣٥٤٩ .

(٣) الكبائر، للذهبي، ص ٨٣، ٨٤ .

الخلق الخامس

الخيانة

تعريف الخيانة:

هي ضد الأمانة؛ ولأن الأمانة تشمل كل خصال الخير فالخيانة تشمل كل مخالفة لخصال الخير فإن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**»(١).

الإسلام يرفض الخيانة ويذم الخائنين: يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٧).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك**»(٢).

أشكال الخيانة:

خيانة الله ورسوله ﷺ حرام، وخيانة الوطن حرام، وخيانة المؤمنين حرام، بل يرفض الإسلام خيانة الخائنين للحديث المتقدم:

١ ـ الخيانة مرفوضة حتى في حق المخالفين للمسلمين في الدين:

ولقد جاء ذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ (النساء: ١٠٥).

عن ابن عباس أن نفراً من الأنصار غزوا مع النبي ﷺ في بعض غزواته،

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٢.

(٢) رواه أبو داود بيوع، باب ٧٩ في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، حديث رقم ٣٥٣٥، وأحمد في المسند ٣/ ٤١٤، والحاكم في المستدرك ٢/ /٤٦ وصححه، والدارمي بيوع ٥٧، والترمذي بيوع ٣٨، حديث رقم ١٢٦٤، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

فسرقت درع لأحدهم فأظن بها رجلاً من الأنصار فأتىٰ صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: «إن طعمة بن أبيرق سرق درعي»، فأتىٰ به رسول الله ﷺ فلما رأىٰ السارق ذلك، عمد إليها فألقاها في بيت رجل يهودي بريء وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده فانطلقوا إلىٰ نبي الله ﷺ ليلاً، فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء وإن سارق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً، فاعذر صاحبنا علىٰ رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك!! فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره علىٰ رؤوس الناس، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ... إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ (النساء: ١٠٥-١٠٧)(١).

لقد برأ الله تعالىٰ اليهودي، ووصف المسلم السارق بالخائن، وأمر النبي ﷺ أن لا يدافع عنه، فالخيانة وإن أتت من مسلم ضد يهودي مرفوضة رفضاً قاطعاً؛ لأنها خلق ذميم تجاه بني البشر مهما كانت ديانتهم وانتماءاتهم.

٢ ـ مخالفة عهد الله ورسوله خيانة:

أمر الله تعالىٰ المؤمنين أن يحافظوا علىٰ عهدهم مع الله وأن مخالفة ذلك العهد خيانة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٧).

وفي الصحيحين قصة «**حاطب بن ابي بلتعة**» أنه كتب إلىٰ قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله علىٰ ذلك فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فإنه خان الله ورسوله والمؤمنين؟ فقال: «**دعه فإنه شهد بدراً، ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٢).

---

(١) راجع مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، جـ١، ص ٤٣٣.

(٢) رواه البخاري استئذان ٢٣، مغازي ٩ استتابة ٩.

٣ ـ ارتكاب المعاصي خيانة للنفس:

يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ** ﴾ (النساء : ١٠٧) . أي يخونونها بارتكاب المعاصي فالخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية فالأمانة هي الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ـ يعني الفريضة يقول : لاتخونوا : لا تنقضوها أي : لا تظهروا لله من الحق ما يرضي به منكم ثم تخالفوه في السر إلىٰ غيره فإن ذلك هلاك لأماناتكم وخيانة لأنفسكم .

٤ ـ السرقة خيانة:

قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (آل عمران : ١٦١) . **والغل بمعنى:** أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم ، وإذا كان الله تعالىٰ نهىٰ النبي ﷺ عن تلك الخيانة فالأمر يشمل كذلك المؤمنين فالغلول خيانة .

٥ ـ نقض العهود خيانة:

بين الله تعالىٰ أن العهود أمانات وأن نقضها بطريقة ليس فيها إعلام للآخر خيانة ، فالأمانة تقتضي الوفاء بالعهد وعدم مباغتة من ارتكن إلىٰ العهد فأمن ، فلا يؤخذ علىٰ غرة قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (الأنفال : ٥٨)، وقال تعالىٰ : ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (الأنفال : ٧١) .

والآيات في ذلك كثيرة جداً، قال تعالىٰ : ﴿ **ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ (يوسف : ٥٢)، وقال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ (الحج : ٣٨)،

وقال تعالىٰ : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾ (التحريم : ١٠) .

وعن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»(٢).

٦ ـ الخيانة تهدم الأسرة:

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

وفي الحديث: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»(٣)؛ لذا تجد في واقع الناس أنه ما يكاد يعلم الزوج أن زوجته خائنة له في ماله أو في نفسها حتى يطلقها وإذا شك في سلوكها مجرد شك انقلبت حياة الأسرة كلها مشاكل وانتهت غالباً بالطلاق.

٧ ـ الخائن يرفض الخيانة:

كان لـ «كلمنصو» ثمانمائة عشيقة، ومع ذلك فقد ضاق صدره بخيانة زوجته فطردها ليلاً لأنها تخونه مع رجلا آخر(٤).

(١) رواه البخاري، إيمان ٢٤، شهادات ٢٨، وصايا ٨، ادب ٦٩، ومسلم، إيمان ١٠٧، ١٠٨.

(٢) رواه ابن ماجة، فتن ٢٤، أحمد ٣/ ٢٢٠، في الزوائد: في إسناده إسحاق بن أبي الفرات، قال الذهبي في الكاشف: مجهول، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٣) رواه ابن ماجة، نكاح ٥، وأبو داود، زكاة ٣٢.

(٤) باب الأسرة من هذه الموسوعة، مبحث تعدد الزوجات.

٨ - الخيانة تهدم الأمم وتقتل الشعوب وتضيع الأوطان:

- وهل ضاعت فلسطين إلا بسبب الخيانة، وتزداد المرارة في الحلق لأن الخونة من أبناء الأمة.
- في عام ١٩٤٨م كانت أول خيانة أن حاصرت الجيوش العربية المجاهدين وأعادتهم إلى أوطانهم .
- واستمرت سلسلة الخيانة إلى كامب ديفيد - إلى التطبيع مع اليهود - إلى خونة في السلطة الفلسطينية - إلى حصار غزة إلى مصافحة الإمام الأكبر سيد طنطاوي لرئيس الكيان الصهيوني شيمون بيريز أثناء حصاره لغزة وقتله لأطفالها(١) .
- وهل سقطت بغداد في قبضة التتار عام ٥٦٥ هـ إلا بالخيانة وهل سقطت بغداد في المرة الثانية في قبضة الأمريكان عام ١٤٢٥ هـ إلا بالخيانة وسوف نذكر كيف دخل التتار بغداد لنرى خطورة الخيانة .

قصة دخول التتار بغداد:

دخل التتار بغداد في يوم العاشر من المحرم عام ٦٥٦ هـ وكان خليفة المسلمين يومئذ هو المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله أبي جعفر بن الظاهر بأمر الله وهو آخر خلفاء بني العباس، ولد عام ٦٠٩ هـ وبويع بالخلافة عام ٦٤٠ هـ وقتل على أيدي التتار صفر ٦٥٦ هـ وقد كان رحمه الله سني المذهب محباً للخير والعلم خيراً متديناً لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان، حمل كتاب الله تعالى، ومع ذلك فقد كان قليل الخبرة بإدارة الدولة وكان محباً للمال دون التحري عن مصدره، وكان ضعيف الرأي، غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره مطموعاً فيه غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمور، وكان يقضي غالب وقته في سماع الأغاني والتفرج على المساخر، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة، وكان أصحابه مسيطرين عليه وكلهم جهال من أراذل العوام إلا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي، فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال.

---

(١) راجع ملحق فلسطين من هذه الموسوعة .

أما الوزير فكان محمد بن محمد مؤيد الدين بن العلقمي، ولي وزارة العراق أربع عشرة سنة، وكان ينتمي إلىٰ فرقة من الشيعة تعرف في التاريخ الإسلامي بالروافض، ولد بالكرخ أحد أحياء بغداد، عمد إلىٰ إثارة الفتن بين أهل السنة والرافضة حتىٰ تحاربوا بالسيوف، مرات متعددة كان آخرها في ذات العام الذي رحل فيه التتار، تدخل جند الخليفة لتأديب أهل الكرخ، لكنهم تجاوزا الحد وقتلوا منهم جماعة وارتكبوا معهم العظائم فخنق الوزير ابن العلقمي ونوىٰ الشر في الباطن وأمر أهل الكرخ الرافضة بالصبر والكف عن القتال، وقال لهم: أنا أكفيكم فيهم، وكان شاعراً أديباً، كان من أقواله:

كيف يرجىٰ الصلاح في أمر قوم ... ضيعوا الحزم فيه أي ضياع

فمطاع المقال غير سديد ... وسديد المقال غير مطاع

خطة ابن العلقمي لإضعاف الخلافة:

١ - **إضعاف الجيش المدافع عن بغداد:** أشار ابن العلقمي علىٰ الخليفة بإيقاف رواتب الجنود، حتىٰ يتمكن من توفير مبلغ من المال يدفعه للتتار ليتجنب الدخول معهم في حرب فتقلص عدد الجيش من مائة ألف مقاتل كانوا قد تكونوا في عدد الخليفة المستنصر والد الخليفة المستعصم إلىٰ عشرة آلاف فقط، وسار هؤلاء الجند يتكففون الناس في الطرقات وعلىٰ أبواب المساجد، ومن تبقىٰ من الجند قام بتخفيض راتبه مما أضعف الولاء للخلافة، فعل ذلك بحجة أنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل المقصود، ولا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة!!.

٢ - منع البريد القادم إلىٰ الخليفة لتحذيره من قدوم التتار من الوصول إلىٰ يد الخليفة، ويقوم بفرز البريد فما وجد فيه تحذيراً للخليفة من التتار وقرب مقدمهم منعه وقام بالرد هو عليه، حتىٰ فوجئ الخليفة بقدوم التتار دون أن يضع في حسابه أي اعتبار لقدومهم وقوتهم.

٣ - عمد إلىٰ إثارة الفتن بين أهل السنة والرافضة حتىٰ يمزق الجبهة الداخلية للخلافة في حروب أهلية لا طائل من ورائها، بينما التتار علىٰ الأبواب الأمر الذي دفع الروافض للترحيب بقدوم التتار وقتل الخليفة.

٤ ـ أرسل ابن العلقمي إلىٰ التتار أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في مائتي ألف جندي، وقابلهم عشرة آلاف جندي مسلم، اقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم إلىٰ جهة الشام، ونزل هولاكو قبالة دار الخلافة، وخرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمي إلىٰ هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد إلىٰ الخليفة المستعصم وقال إن هولاكو يبقيك في الخلافة، ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر، وحسن له الخروج إلىٰ هولاكو، فخرج إليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه، فأنزل في خيمة ثم استدعىٰ الوزير الفقهاء والأماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون فلما تكاملوا قتلهم التتار عن آخرهم ثم هجموا علىٰ دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الأشراف ولم يسلم إلا من كان صغيراً فأخذ أسيراً ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً ومالوا علىٰ البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنىٰ الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلىٰ الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلىٰ أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتىٰ تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوىٰ أهل الذمة من اليهود والنصارىٰ ومن التجأ إليهم وإلىٰ دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتىٰ سلموا وسلمت أموالهم.

وعادت بغداد بعد ما كانت آنس البلاد كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع وذلة وقلة وقيل قتل من المسلمين يومها ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلىٰ ألفي ألف نفس، والقتلىٰ في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتىٰ تعدىٰ وسرىٰ في الهواء إلىٰ بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع علىٰ الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنىٰ والمقابر كأنهم الموتىٰ إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر

بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى.

٥ ـ أشار ابن العلقمي على هولاكو بالتخلص من قائد جيشه «بايجونوين» بزعم أنه كاتبه حينما التقاه.

٦ ـ أشار ابن العلقمي على هولاكو بقتل الخليفة وكان هولاكو يخشى من ذلك أن يتأثر المسلمون لقتل خليفتهم، لكن ابن العلقمي هون على هولاكو قتل الخليفة وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد وخربت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا.

واجبنا نحو الخيانة والخونة:

يجب أن يرفض المؤمنين كل أنواع الخيانة، وكل أنواع الخائنين، لا يدافعون عن الخونة وإن كانوا من عوائلهم أو حتى لو كانوا من المسلمين في قضية أو عهد ضد غير المسلمين حتى ولو خاننا الآخرون.

إن علينا ألا نخون أهل بلدنا سواء بالتعامل مع من يقومون بتوظيف المعلومات من أجل الإضرار بمصالح البلاد العامة ولا الخاصة، نقف بحزم مع الخونة نواجههم بما خانوا، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ (النساء: ١٠٧).

لحديث: «**ولا تخن من خانك**» ونبين لهم أن الخيانة لم تقدر عليها السماوات والأرض والجبال فكيف بنا نقدر عليها من أجل منافع قصيرة الأجل يعقبها ندم وأي ندم فماذا يصنع الرئيس الذي خان شعبه والنائب الذي خان دائرته والمحامي الذي خان موكله... الخ.

ماذا تغني عنهم خيانتهم في الدنيا حينما ينكشفون وفي الآخرة حينما يُعرضون؟.

الخُلق السادس

الكــذب

١ ـ قالوا عن الكذب :

قال عبد الله بن المقفع : « إن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً، لأن الذي يجري على لسانه إنما هو من فضول كذب قلبه، وإنما سمي الصديق من الصدق».

وهذا حق، فإن الكذاب لن تكون أخوته صادقة، ولا موظفاً صادقاً، ولاعاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً.

ومن هنا لم يُجمع علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه برذيلة كرذيلة الكذب وخطره على الأفراد والجماعات.

« ولو استعرضت مشاكل العالم كله، لوجدتها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب : كذب السياسي على شعبه، وكذب الرئيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه، وكذب النائب على ناخبيه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة واستفاضت الثقة، واطمأن الناس بعضهم إلى بعض، فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث والمواثيق والعقود والمعاملات»[1] .

٢ ـ ثمار الصدق :

عَيَّن أبو بكر في خلافته عمر للقضاء بين الناس . . . قالوا : فمكث عمر

---

(١) أذيع من محطة الإذاعة السورية بدمشق يوم الاثنين ٥ ذي القعدة عام ١٣٧٣ هـ، الموافق عام ١٩٥٤م، وتم نشر هذه الموضوعات الإذاعية في كتاب أخلاقنا الاجتماعية، ص ٦٠ ، د. مصطفى السباعي، طبعة دار السلام.

سنة لا يختصم إليه اثنان ـ أترىٰ هذا لأن الناس في عهد عمر لم تكن طبائعهم من طبائع البشر التي تختلف وتتنازع، أم ترىٰ ذلك لأن الناس في عهد عمر لم يكن لهم شيء يختصمون عليه ويتنازعون؟

كلا . . . لا هذا ولا ذاك، وإنما هو الصدق الذي يحجز كل واحد من المتنازعين عن أن يصوره كما هو في الواقع والحق، فإذا هو ينصف من نفسه إذا كان ظالماً، ويرد الحق إذا كان معتدياً، ويتسامح إذا كان مجنياً عليه . . . وبهذا لم يحتج الناس إلىٰ عمر ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

وما بالنا نذهب بعيداً في أعماق التاريخ، ونحن كنا نشاهد حتىٰ الأمس القريب كيف كان الناس يتعاملون بالثقة، ويتبايعون بالصدق، فلا أيمان ولا مواثيق ولا صكوك ولا سندات، كان التاجر يسافر من حلب إلىٰ دمشق في عصر لم يكن فيه غير الجمل والبغل والحمار وسيلة للسفر، وكانت الطرقات غير آمنة من اللصوص والمجرمين ومع هذا فلقد كان التجّار يهرعون إليه حين سفره يحملونه أكياس الذهب ليسلمها إلىٰ عملائهم في دمشق، من غير أن يأخذوا منه إيصالاً أو سنداً أو ثيقة، فيسلمها إلىٰ أصحابها دون أن يأخذ منهم إيصالاً أو توقيعاً . . . وإننا لنرىٰ اليوم بأعيننا حقوقاً تنكر، وأموالاً تهدر، وتجاراً يعلنون الإفلاس رغم كل ما قدموه لأصحاب الأموال من رهن وتوثيق في البنوك والمصارف . . . فهل ترىٰ سبباً لهاتين الحالتين المتباينتين، بين الأمانة في عصر آبائنا والخيانة في عصرنا إلا كثرة الصدق في عهدهم وفشو الكذب في عهدنا؟

إن الصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الاجتماع، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد والجماهير، فالزعيم الصادق أنجح الزعماء مسعىً وأكثرهم أتباعاً، والسياسي الصادق أكثر السياسيين تأييداً من الشعب وأجلهم في عيونه مقاماً، والتاجر الصادق أكثر التجار زبائن وأكثرهم ربحاً وحسبك أن ترىٰ نفسك مسوقاً ـ حين تريد ابتياع سلعة من السلع ـ إلىٰ أن تفتش عن متجر عرف صاحبه بالصدق لتدفع له ثمن سلعته كما يريد، وإذا أردت أن توكل محامياً في دعوىٰ، سألت عن أصدق المحامين وأوثقهم، لتكل إليه أمر قضيتك وأنت مرتاح البال مطمئن النفس.

ولقد رأينا في حياتنا السياسية أن الأزمات حين تشتد لا يحلها إلا رجال عرفوا بالصدق في حكمهم فتسعى إليهم الأحزاب المختلفة، ملقية بين أيديهم زمام الحكم ثقة منها بصدقهم وأمانتهم وتجردهم، والأمانة والتجرد نوعان من الصدق العملي.

ولعل أصدق ميزان لرقى أمة من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، ولقد كانت أمتنا في عصور الخير والمجد، من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية التى نوقع في عصرنا الحاضر بين الدول، ثم لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عليه، والحبر الذي سجلت به.

٣ ـ من كوارث الكذب :

ومن هنا كانت الأزمة التي يعانيها العالم اليوم، أزمة الثقة بالوعود والأقوال إن منبر هيئة الأمم ليشهد كل يوم زعماء الدول الكبرىٰ يتبارون في الدعوة إلىٰ السلام، والتنفير من الحرب، والتشهير بالعدوان، ما لو صدقوا فيه جميعاً لما كان علىٰ وجه الأرض نزاع ولا شقاء ولا حروب، ولكنهم جميعاً لا يثق بعضهم ببعض، وكل واحد منهم ينطوي في قرارة نفسه علىٰ الشك بصدق ما يقول الآخرون، وبذلك أخفقت المؤتمرات وفشلت المفاوضات، بل فشلت هيئة الأمم نفسها في تنفيذ مبادئها التي أعلنتها، لأن أقوىٰ الدول فيها يكذب علىٰ أضعف الدول فيها بما تسرف من وعود، وبما تقول من أحاديث.

وقل مثل ذلك في حياتنا السياسية فلو كان زعماؤنا ورجال أحزابنا يثق بعضهم بأقوال بعض، لما وصلنا إلىٰ هذه الحال المؤسفة من الفوضىٰ وعدم الاستقرار وإلا ففيم تختلف الأحزاب في مبادئها وغاياتها؟ وهب إنها اختلفت ففيم تقتل ويسب بعضها بعضاً إنه فقدان والثقة بالأقوال والأحاديث والخطب يجعل كل فريق يقف من الآخر موقف الذي يشك ولا يثق، ويتهم ولا يبرئ، ويسيء الظن ولا يحسنه.

نستطيع إذاً أن نؤكد مرة أخرى أن مشكلة العالم كله اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب في الأقوال، الكذب في الأعمال، الكذب في النيات، الكذب في المظاهر، فليس غريباً إذا أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

٤ ـ موقف الإسلام من صور الكذب :

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين، وأكثرهم تنويهاً بالصدق والصادقين، فهو يجعل الصدق قرين التقوى فمن فقد الصدق فقد التقوى، حين يقول القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة: ١١٩).

بل هو يعتبر الصدق مفتاح البر، والكذب مفتاح الإثم والفجور حين يقول ﷺ: «**الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار**»(١).

ومن فلسفة الكذب في الإسلام أنه عنوان خيانة كبرى، يقول ﷺ : «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كذاب**»(٢).

بل هو آية النفاق : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٣).

بل الكذب لا يلتقي مع الإسلام ولا يطبع عليه المسلم، وفي ذلك يقول ﷺ : «**أيكون المؤمن جباناً؟ قال : نعم، قيل أفيكون بخيلاً، قال : نعم، أفيكون كذاباً؟ قال : لا**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، أدب ٦٩ ، ومسلم، بر ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) رواه أبو داود، أدب ٧١ ، وأحمد: ٤/ ١٨٣ .

(٣) رواه البخاري، إيمان ٢٤، شهادات ٢٨، وصايا ٨، مظالم ١٧، جزية ١٧، أدب ٦٩، ومسلم، إيمان ١٠٧، ١٠٨ .

(٤) رواه الإمام مالك، كلام ١٩ .

وهذا موقف تنقطع له ظهور الذي يخشون على دينهم وعلى كرامتهم ما دامت فيهم رجولة وإيمان.

إن الكذب جبن وخسة وجرأة على الله يستحق الكاذب من أجلها اللعنة والطرد من رحمة الله : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ (آل عمران : ٦١).

والكذاب لن ينجح في حياته، ولن يهتدي إلى الحق والخير، فسينكشف للناس عن جبن وخسة تجعل الخيبة ملازمة في شأنه كله، ذلك وعيد الله للكاذبين حين يقول : ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ (غافر : ٢٨).

وحين يقول : ﴿ **قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ** ﴾ (طه : ٦١).

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام حرم الكذب حتى في حالة المزاح، وكان من أوصافه ﷺ أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، جاءته امرأة عجوز تسأله أن يدعو الله لها بدخول الجنة فقال ﷺ : يمازحها : «**إن الجنة لا تدخلها عجوز**».

فولت باكية نادبة، فقال ﷺ : «**ردوها**»، ثم قال لها : «**إنك لا تدخلين الجنة وأنت عجوز، ولكنك تدخلينها شابة**»،(١)، أوما قرأت قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا** ﴾ (الواقعة : ٣٥ـ٣٧). فابتسمت وفرحت.

وجاءته امرأة تشكو زوجها فقال لها ﷺ : «**أزوجك الذي في عينيه بياض؟**» فجزعت وقالت : يا ويلتاه أزوجي مصاب ببياض في عينيه؟ فقال لها ﷺ : «**أليس في كل عين بياض؟**».

---

(١) تخريج أحاديث الإحياء، باب ٢٩٠٢، جـ٩، ص ٤٧٧، وأخرجه الترمذي في الشمائل مرسلاً.

هذا هو طرف من موقف الإسلام من الصدق والكذب، وفيه ما ترون من تحر للصدق حتى في أوقات المزاح، ومنه تعلمون قبح العادة الفاشية بين الناس المسماة بـ كذبة نيسان، وهي بدعة ممقوتة نقلناها عن الغربيين، وليست من تقاليدنا الصالحة في شيء.

٥ ـ الصور التي أباحها الإسلام:

نعم قد أباح الإسلام الكذب في مواطن محصورة أربعة هي لمصلحة المجتمع، ولأمن الناس، وسلامة الأسر، فقد أباح الإسلام الكذب في إنقاذ نفس بريئة من القتل، وفي الحرب مع الأعداء، وفي الإصلاح بين الناس، وفي حديث الرجل لزوجته، وهذا ما يقوله ﷺ : « **كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب خدعة، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته يرضيها**»(١).

وجدير بنا أن نشير إلى الحالة الثالثة، وهي إرضاء الرجل لزوجته، فإن كثيرين من المتزمتين يرون كلمة لطف أو محبة يقولها الرجل لزوجته، يُجانب التقوى والورع، مع أنها سبب الهناءة الزوجية ولو كانت صادرة عن مجاملة، وما أجمل ما يسمي الغربيون هذا النوع من المداعبة بين الزوج من وزوجته تزييت العَجَل(٢).

وما دمنا بسبيل من بيان موقف الإسلام من الصدق والكذب، فجدير بنا أن نذكر أثر هذه التعاليم في تربية المسلمين على الصدق، حتى تركوا في التاريخ أروع الأمثلة على تمسكهم بهذا الخلق في مختلف أطوار حياتهم.

ذهب بلال وصهيب من صحابة رسول الله ﷺ إلى أهل بيت من العرب يريدان أن يتزوجا منهم فقيل لهما : من أنتما؟ فقال بلال : « أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله»، فقال القوم : «بل تزوجان والحمد لله»، ثم انصرفا، فقال صهيب لبلال : «لو ذكرت مشاهدنا وحروبنا مع رسول الله ﷺ ؟» فقال

(١) رواه البخاري، جهاد ١٥٧، مناقب ٢٥، استتابة ٦، ومسلم، جهاد ١٨، ١٩، زكاة ١٥٣.
(٢) يقصدون بذلك أن المجاملة بين الزوجين تزيد الحياة الزوجية قوة، والحب بينهما توثقًا كما يعمل الزيت على صيانة عجلات السيارة واطرادها في المسير.

بلال : «أسكت فقد صدقت فزوجك الصدق» .

ولما جلس الحجاج لقتل بعض الأسرى قام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير : إن لي عليك حقا! قال : وما حقك؟ قال : سبك عبد الرحمن بن الشعث يوماً فرددت عليه! فقال الحجاج : من يعلم ذلك؟ فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذلك أيها الأمير! فقال : خلوا عنه ، ثم قال للشاهد : ما منعك أن ترد على ابن الأشعث كما رد صاحبك؟ فقال له الشاهد : لقديم بغضي إياك فقال الحجاج : خلوا عن هذا لصدقه .

٦ ـ صورة المجتمع الصادق :

أما بعد فما أجدر الساسة والزعماء ورجال الأحزاب بأن يتحلوا بالصدق لتستقيم حياهم فتستقيم حياة الأمة ، وما أجدر الناس من تجار وعمال وموظفين ومتعلمين أن يتحلوا بالصدق لتعود إلى النفوس ثقة فقدناها ففقدنا الأمن والحب والسعادة والاستقرار .

وما أجدر المربين أن يربوا أبناءنا وبناتنا على الصدق حتى ينشأوا كراماً مطبوعين على الجرأة والعفة والأمانة ، وليحذر الآباء والأمهات من أن يكثروا الكذب على أطفالهم أو يعودوهم عليه ، ولو كان لإسكاتهم من بكاء أو لتهدئتهم من غضب ، فإن ذلك تعويد على أقبح خلق ، عدا عن أنه يفقد أطفالهم الثقة بأقوالهم ، فلا تنجح موعظة ، ولا يؤثر حديث .

قال عبد الله بن عامر : جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير ، فذهبت لألعب فقالت أمي : يا عبد الله تعال حتى أعطيك ، فقال ﷺ : « **وما أردت أن تعطيه؟**» قالت : تمراً فقال : « **أما إنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبه**»(١) .

احذر يا صديقي الكذبة الواحدة ، فإنها تفتح لك باب الكذب على مصراعيه ، ومن عرف بالكذب مرة واحدة سقطت مكانته وقلّت الثقة بحديثه ، فلا يلومن بعد ذلك إلا نفسه ، وما أروع ما يقول زياد في خطبته البتراء : « إن كذبة المنبر بلقاء

(١) أبو داود ، أدب ٨٠ ، وأحمد ٣ / ٤٤٧ ـ ٢/ ٤٥٢ .

مشهورة ، فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فإذا سمعتموها فاغتمزوها فيَّ واعلموا أن عندي أمثالها» .

فهل يسمع هذا مرشحو النيابة، وزعماء الأحزاب، ودعاة الإصلاح، وساسة الشعوب؟

المحور الرابع: أخلاق عملية [١]

الخُلق العملي الأول : تحري الحلال واجتناب الحرام

عن أبي عبدالله النُّعْمَان بن بَشِير رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الحَلال بَيِنٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَيِنٌ، وبينهما أُمورٌ مُشتبهات لايعلمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فَمن اتَّقي الشبُهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وَقعَ في الشُّبُهات وَقعَ في الحَرَام، كالراعي يَرعي حول الحمي يُوشك أن يَرتعَ فيه، ألا وإنَّ لكُلِّ مَلك حميً، ألا وإن حمي الله مَحَارِمَهُ أَلا وإن في الجَسَد مُضْغة إذا صلحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلّه. وإذا فَسَدت فسَد الجسَدُ كلّه: ألا وهي القلبُ**»[٢] .

الحلال والفطرة :

تحري الحلال، واجتناب الحرام، واتقاء الشبهات، أمر أساسي من أمور الدين في كل شئونك، فكل عمل تعمله لابد وأن يكون حلالاً، فلا تُدخل جوفك لقمة حرام، إن الهرة تضع لها قطعة اللحم تأكلها باطمئنان وهي إلىٰ جوارك. . هذه الفطرة هدىٰ الله المخلوقات إليها، وأولىٰ بها الإنسان، وخاصة المسلم.

أما في واقع الناس: فأصبح الكثير لا يبالي بما يأكل، أَمِنْ حلال أم حرام؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ، أمن الحلال ، أم من الحرام**»[٣].

إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تحروا الحلال لأنفسهم ولأولادهم، ففازوا

---

(١) هذا المحور : أخلاق عملية نُذَكِّر فيها ببعض النصوص والتوجيهات فقط، ونتجنب الشرح والاستفاضة، لأن المطلوب أن يمارسها المسلم عمليًا حتىٰ تصبح سلوكاً طبيعياً في حياته.

(٢) رواه البخاري، إيمان ٣٩، ومسلم ، مساقاة ١٠٧ .

(٣) رواه البخاري والنسائي، بيوع ٢ ، ٥ ، وزاد رزين في: «فإن ذاك لا تُجاب لهم دعوة»، وفي الترغيب ٢٥٣٠ .

في الدنيا والآخرة، فها هو **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه يسأل عن كل طعام يأكله، وفي ذات كان جائعاً جداً، فأكل ولم يسأل عن الطعام، فقال له خادمه: لم تسأل عن الطعام اليوم؟ وأخبره أنه كان قد تكهن لقوم في الجاهلية بشيء فأعطوه هذا الطعام، فوضع أصبعه في حلقه، وتقيأ وقال: «اللهم إني أعتذر إليك مما دخل في العروق، أو خالط الأمعاء»(١).

لقد سمعوا النبي ﷺ يقول: «**كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢).

فكانوا يتورعون عن الحرام في كل شيء: إذا باعوا، وإذا اشتروا، فلا غش، ولا احتكار، ولا تطفيف ميزان.

نماذج مضيئة:

١ ـ كان جرير بن عبد الله البجلي يبين عيوب السلعة التي يبيعها، فقال له أحد جلسائه: لا يسلم لك بيع! فقال: «إن رسول الله ﷺ بايعنا على النصح لكل مسلم»، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لأحد أن يبيع بيعاً إلا أن يبين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينة**»(٣).

٢ ـ الحجاج بن دينار في واسط (مكان بالعراق) أرسل بضاعة لوكيل له بالبصره أن بعها فوراً ولا تؤخرها، فقال له أحد التجار: لو أخرتها أسبوعاً سترابح الضعف، فباعها بعد أسبوع بالضعف، وأرسل إلى صاحب البضاعة أن بعتها لك بالضعف، فأرسل إليه يقول له: «إنا قد قنعنا بالقليل على أن تبقى لنا السلامة في ديننا، أما وقد طمعت وفعلت إذا بلغك كتابي فتصدق بالثمن كله، ولعلي أنجو من إثم الاحتكار»(٤).

---

(١) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفى السباعي، ص ٦٦، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) رواه الطبراني في الصغير عن عبدالله بن عباس، وعند الدارمي، رقاق ٦٠، بلفظ: «ياكعب بن عجرة إنه لن يدخل الجنة لحم نبت من سحت».

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٩٩، وعزاه ابن رجب إلى الصحيحين، فتاوى معاصرة، د. القرضاوي، جـ٢، ص ٤٣٦.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ١٤٢، في شرح الحديث ١١ «**دع ما يَريبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**».

درجات الورع حتى تكسب الحلال :

١ - أقل درجات الورع أن تتورع عن الحرام الصراح (الصرف)، وهو الربا:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء**»(١).

وقال الله تعالىٰ للمتعاملين بالربا : ﴿ **فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (البقرة: ٢٧٩).

ولم يأت هذا اللفظ في الزنا ، أو شرب الخمر ، أو أي معصية أخرىٰ.

فالربا صناعة اليهود، وعمل الجاهلية، هو الزيادة المشروطة مسبقاً علىٰ المال.

قال رسول الله ﷺ: «**درهم واحد يأكله الرجل من الربا وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية**»(٢).

فالزنا قد يدفع إليه شهوة عارضة أو ضعف بشري. . أما الذي يأكل الربا فيأكله بتخطيط وإصرار، وخصوصاً أنه من السبع الموبقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**الربا سبعون حوباً (إثماً) أيسرها أن ينكح الرجل أمَّه**»(٣).

٢ - أن تتورع عن الشبهات: إذا قويت الشبهة يجب اجتنابها، وإذا ضعفت الشبهة يستحب اجتنابها، فعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُك**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، مساقاة ١٠٦، ١٠٧.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وفي الترغيب ٢٧١١.

(٣) رواه ابن ماجة، تجارات ٥٨، والبيهقي، وفي الترغيب رقم ٢٧١٥.

(٤) رواه البخاري، بيوع ٣.

فإذا وجدت أشياء تحيك في نفسك، فردد: دع ما يريبك (أي: ماتشك فيه أنه ليس حلالاً)، فقد قال عبد الله بن المبارك: «لئن أرد درهماً من شبهه أحب إلىٰ من أن أتصدق بمائة ألف، ومائة ألف إلىٰ ستمائة ألف»، فهو يخشىٰ أن يدخل في ذمته فيفسد عليه دينه.

٣ - **ورع المتقين**: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغ عبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به، حذراً مما به بأس**»(١). وهذا سيدنا **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، كان يقول: «إنا لنترك تسعة أعشار الحلال خشية الوقوع في الحرام»(٢).

وهذا **عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه** يأتي لبيت المسلمين طيب (عطور) فيمسك أنفه بأصابعه ويغلقها، فقيل له: «لماذا تفعل ذلك وليس هناك إلا الرائحة؟»، فقال: «وهل ينتفع من الطيب إلا بالرائحة؟ هذا طيب المسلمين وليس طيبي»(٣).

مُحرَّمات يقع فيها بعض الناس:

١ - **يكسب المال من الحرام، ثم يذهب ليحج مرات ومرات**، ويذهب للعمرة كل عام، فنقول له: لا ينفع الحج ولا العمرة، والأفضل: إعادة المال لأصحابه، وتحري الكسب الحلال.

٢ - **يبني مسجداً، أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، أو دار للأيتام، من مال حرام**.. فهذا لا يغني عنه شيئاً، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، ففي الدين الإسلامي لابد أن تكون الغاية شريفة والوسيلة نظيفة، فلا يصح أن نصل إلىٰ الحق بالباطل، ولا نصل إلىٰ الحلال بالحرام، ففي الحديث: «**إن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً**»(٤).

٣ - **يكسب المال الحرام ثم يدفع زكاة هذا المال**.. فنقول له: المال الحرام لاتجب فيه الزكاة، بل يجب إخراجه كله.. يجب أن تتخلص منه إنه مال أصحابه وليس

---

(١) رواه البخاري، إيمان ١، بلفظ: «**لا يبلغ العبد حقيقة التقوى**».

(٢) **المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى**، ص ٣٠٠.

(٣) عمر بن عبدالعزيز، الراشد المجدد، د. القرضاوي، ص ٢٢، ط١ عام ٢٠٠١، مكتبة وهبة.

(٤) رواه مسلم، زكاة ٦٣، ٦٥.

مالك رده إليهم إن عرفتهم، أو ذريتهم إن استطعت، وإلا فتصدق به عنهم، ولا تعتمد علىٰ فتوىٰ تأتيك من هنا أو هناك، بل استفت علماء الإسلام.

٤ - **يتوب إلى الله ولا يُعيد الحق لأصحابه**، فنقول له: إن التوبة من الذنب لها ثلاثة شروط: أن تقلع عنها، وأن تندم علىٰ فعلها، وأن تعزم علىٰ عدم العودة إليها، أما التوبة في حق العباد، فلها أربعة شروط، الثلاثة السابقة، وأن تعيد للعبد حقه الذي أخذته منه، وخصوصاً إذا كان مالاً.

٥ - **يتعامل بالربا، أو يرتشي أو يسرق ويقول: ظروف الحياة تضطرني لذلك**، فنقول له: إن الضرورة هي أن تهلك أنت أو يهلك عيالك، من عدم الأكل والشرب، أو من المرض، والضرورات تقدر بقدرها، قال تعالىٰ: ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ (البقرة: ١٧٩).

وفي المجتمع - ولله الحمد - أهل خيرٍ كثيرون، يساعدون المحتاجين.

خطورة المال الحرام:

إن الإنسان لا يتطهر من المال الحرام بمجرد الصدقة ولا بالحج ولا بالعمرة ولابشيء من ذلك، فعن أبِي هُريرَة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلا طيِّبا، وإن الله أمَرَ المؤمنينَ بما أمَرَ به المُرسَلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** (المؤمنون: ٥١)، **وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** (البقرة: ١٧٢)، **ثم ذكرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يَمُدُّ يديه إلى السماء: يَارب، يارب، ومَطعَمُهُ حَرَام، ومَشربُهُ حَرَامٌ، وملبسهُ حَرَام، وغُذِي بالحَرَام، فأني يُستَجابُ لهُ**»(١).

وإن الله يمحق الربا، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود، قال: قال ﷺ: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»(٢).

---

(١) رواه مسلم، زكاة ٦٣، ٦٥.

(٢) رواه ابن ماجة، تجارات ٥٨، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله موثقون، وفي الفتح: إسناده حسن.

وفي رواية أخرىٰ : «الربا وإن كثر فهو إلى قل» .

يكثر المال ثم يأتي المحق الإلهي فلا يبقىٰ منه شيء(١) ، وهذا ما رأيناه أناس كونوا ثروات من الربا والبنوك فمحقها الله محقاً مادياً، ومحقاً معنوياً، فلا يكون فيه بركة، فلا يتمتع به، يرزأ بسوء صحته، أو يرزأ بخيانة الزوجة، أو يرزأ بعقوق الأولاد . . كل حياته منغصات . . فالمال الذي لا ينشيء السعادة ما قيمته؟ .

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى الثاني، ولا يملأ عين بن آدم إلا التراب، ويتوب على الله من تابً**»(٢) .

الوصية العملية:

اتق الله، واقنع بالحلال وابحث عنه وتحرَّه، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ③** ﴾ (الطلاق) .

---

(١) هذا ما حدث واقعاً في الانهيار الاقتصادي في عام ٢٠٠٨م، وإعلان البنوك إفلاسها، وكذلك أكبر شركات السيارات .

(٢) رواه البخاري، رقاق ١٠، ومسلم، زكاة ١١٦ ـ ١١٩ .

الخلق العملي الثاني: اتق المحارم

قال رسول الله ﷺ: **«اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مسلماً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، ولا تكثر الضحك فكثرة الضحك تميت القلب»**(١).

هذا الحديث من جوامع الكلم، وروائع الحِكَم، تضمن شُعباً كثيرة من الطرق الموصلة إلى السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية، سعادة الفرد، وسعادة المجتمع.. اشتمل على خمس أوامر وثمارها.

■ الأمر الأول: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»:

النفس البشرية قد يعتريها الفتور بعد أداء قسط كبير من النوافل، فيقل نشاطها، وقد تكثر من النوافل وتستغرق فيها أوقاتاً طويلة فيتطرق إلى أحدهم بعض المنهيات النفسية الخفية مثل:

١ ـ العجب والاستكبار والعزة بما قام به من عبادة.

٢ ـ حزنه على أن الناس لا يعرفون له منزلته من الطاعة.

٣ ـ يدخل في قلبه الرياء، ويريد أن يعرف الناس كل ما يفعله من الطاعات، ويترك المضمون للنفس وهو توطين النفس على اجتناب ما نهى الله عنه خوفاً من الله وامتثالاً له، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾** ﴾ (النازعات).

كيف نتقي المحارم؟:

١ ـ أداء الواجب، واجتناب المنهيات، ومن قام بكليهما امتثالاً لأمر الله فقد أفلح، ولو لم يأت معهما بالتطوع، لقول الرسول ﷺ للرجل الذي سأله عمّا

(١) رواه أحمد ٢/ ٢١٠، والترمذي، زهد ٢، وقال الترمذي: حديث غريب.

عليه، فأخبره الرسول ﷺ وقال له: «**إلا أن تطوع**»، فقال الرجل: «والله لاأزيد على ذلك ولا أنقص»، فقال الرسول ﷺ: «**أفلح إن صدق**»(١).

٢ ـ كف النفس عن المنهيات وإيقافها عند حدود الشرع، فالصبر على المنهيات أصعب على النفس من الإتيان بالنوافل.

■ **الأمر الثاني: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»:**

ليس أشق على النفس وإذلالها من الفقر والحاجة، وقد استعاذ النبي ﷺ في دعائه من الفقر والعيلة فقال: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك**»(٢).

والمطلوب السعي للرزق وطلبه المأمور به شرعاً، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ (الجمعة: ١٠).

ولابد من كف النفس عن كل رغائبها، فقد ورد: «**لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى ثانياً**».

فهذا باب من أبواب البلاء، وموجب من موجبات الشقاء، ومفوت من مفوتات السعادة، الصارف للفرد عن شكر ربه.

ولذلك تجد الأغنياء يتمنون صحة الفقراء، والتاجر يتمنى وقت الموظف، والموظف يتمنى مكسب التاجر.. فكل واحد يتمنى ما عند غيره، ونسي الجميع أن محصلة الناس كلها في الأشياء المادية الدنيوية واحدة للجميع، حتى لا يكون لأحد عذر أمام الله، أنَّ فلان قد تميز عليه في الدنيا بذرة واحدة.

■ **الأمر الثالث: «وأحسن إلى جارك تكن مسلماً»:**

الجار مقياس الإحسان والإساءة، وقد شدد الشرع الحنيف على حُسن الجوار، فمن الجيران جار له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم ذو الرحم، وجار له

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٣، صوم ١، شهادات ٢٦، حيل ٣، ومسلم، إيمان ٨، ٩.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، رقم ١١٠، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

حقان، وهو الجار المسلم، وجار له حق واحد وهو الجار المشرك. ، وليس حسن الجوار كما يقول الحسن البصري هو أن تكف أذاك عن الجار، ولكن حُسن الجوار أن تتحمل أذىٰ الجار.

روىٰ عبدالله بن مسعود قال: سأل رجل النبي ﷺ: «كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟»، قال: «**إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت**»[1]، إذن مقياس الإحسان والإساءة هو حكم الجار علىٰ جاره.

■ **الأمر الرابع: «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً»:**

أي يحب لهم إحراز الخير في الدنيا والدين كما يحب لنفسه ذلك.

■ **الأمر الخامس: «ولا تكثر الضحك فكثرة الضحك تميت القلب»:**

هذا ميزان معتدل فلم ينه عن أصل الضحك فيكون الشخص دائماً عابساً، ولم يطلق سراحه فيكون المرء دائم الضحك، «**فقد كان رسول الله ﷺ يضحك قليلاً وكان ضحكه التبسم**»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني.

(٢) الشفا، للقاضي عياض، جـ١، ص ١٠٧، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

الخلق العملي الثالث: الحث على العمل وقوة العزيمة

يقول الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (المُلك: ١٥).

ويقول أيضاً: ﴿ **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ (المزمل: ٢٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[١].

إن علو الهمة من الإيمان، والعمل والكدح والاستعانة بالله من أعظم نعم الرحمن على الإنسان، ترى قوماً يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح إلى الكسل، والرضا بالقعود في الزوايا، منصرفة قلوبهم إلى الأماني، عاجزة هممهم عن الأعمال، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال.

الواقع المر: ترى المتسولين يطوفون الشوارع والطرقات، يتكففون الناس، ويترددون على الأبواب، وأحدهم مقطوع القدم، والآخر مقطوع اليد، أو أمسك أحدهم ببعض أوراق التحاليل - عافانا الله جميعاً من ذلك - ويزعج الناس بصيحاته المنكرة، ولو صرف هذا الجهد في عمل نافع[٢]، لأراح واستراح.

المطلوب: أن تعود الأمة إلى هذا النبع الصافي من القرآن والسنة، لتتقدم وتعمل وتعمر الأرض.. كما في هذا الحديث **«المؤمن القوي»**.. ما هي القوة؟

---

(١) أخرجه مسلم، قدر ٣٤.

(٢) ورد في إحصائية أن العامل في الدول الغنية يعمل أكثر من ٧ ساعات يوميًا، بينما العامل في الدول الفقيرة يعمل ٣٠ دقيقة يوميًا.

إنها قوة الرأي ـ قوة العزيمة ـ قوة تصريف الأمور . . هذه معادن القوة في الإنسان . . أما قوة العضلات فهي قوة حيوانية محضة ، لذلك يقول الحديث : **«احرص على ما ينفعك ولا تعجز»**.

ويقول الحديث أيضاً : **«واستعن بالله»** ليعرف المسلم معنى التوكل على الله فعليك بالسعي والعمل ، وعلى الله النتائج ، قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾** ﴾ (الواقعة) .

وفي الحديث : **«ولا تعجز»** . . إذا قابلتك عقبات أثناء العمل ، فلا تقف مبهوتاً مكتوف الأيدي ، فعليك بالتفكير والحيلة الحلال ، واستشارة الآخرين ، وإعمال العقل فإنك في حاجة إلى قوة تصريف الأمور ، وقوة العزيمة .

«وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

فهذا إرشاد إلى أمرين عظيمين :

١ ـ الابتعاد عن الندم على ما فات .

٢ ـ الاطمئنان إلى ما قدر الله ، والرضا به .

وفي الحديث نهي عن الاستعانة والتضعضع ، وقصر النفس ، والتلفت إلى الوراء واليأس ، وأمرٌ بالتوكل والاستعانة بالله . . وإليك هذه الأحاديث :

١ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»**(١) .

---

(١) رواه الترمذي ، زهد٣٣ ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة ، زهد ١٤ .

٢ ـ عن المقداد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً من عمل يده، وإن نبي الله داود ـ عليه السلام كان يأكل من عمل يده»**(١).

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»**(٢).

٤ ـ قال ﷺ: **«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»**(٣).

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا... ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**(٤).

٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحلف منفقة للسلعة مَمْحَقَة للبركة»**(٥).

٧ ـ قال ﷺ: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»**(٦).

الدرس العملي:

خرج عبد الرحمن بن عوف مهاجراً فوقفت له قريش وقالت: «تترك أموالك حتى نتركك تهاجر»، فتركها وهاجر بدون أي شيء.. وحينما ذهب إلى المدينة، بدأ في البحث عن العمل، ورفض كل المساعدات.

---

(١) رواه البخاري، بيوع ١٥، وأنبياء ٣٧.

(٢) رواه البخاري، زكاة ٥٠، ٥٣، وبيوع ١٥، ومساقاة ١٣.

(٣، ٤) رواهما مسلم، أقضية ١٠.

(٥) رواه البخاري، بيوع ٢٦، ومسلم، مساقاة ١٢٦.

(٦) رواه الترمذي، بيوع ٤، وقال: حديث حسن، والدارمي، بيوع ٨.

«روىٰ البخاري أن النبي ﷺ آخىٰ بين عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فعرض سعد علىٰ عبدالرحمن نصف ماله، فتعفف عبدالرحمن وقال له: «بل دلني علىٰ السوق فإني رجل تاجر»، وذهب إلىٰ سوق بني قينقاع وليس معه رأس مال ليعمل به، وليس معه دفتر شيكات ليشتري ويبيع.

ذهب إلىٰ السوق فاشترىٰ بعيراً وقال للبائع: آتيك بالثمن بعد قليل، ثم باعه وأخذ (الحبل) وأعطىٰ المال للبائع، وظل هكذا طوال اليوم يبيع ويشتري ويكون مكسبه في كل مرة الحبل الذي يُربط به الجمل فقط، وعاد من السوق ومعه أقط (اللبن) وسمن، وظل هكذا كل يوم، ثم جاء للنبي ﷺ فرأي عليه أثر صفرة، فقال له النبي ﷺ: «**ما شأنك؟**» قال عبدالرحمن: «تزوجت»، قال النبي ﷺ: «**كم سقت لها؟**» قال: «نواة من الذهب»، يعني ربع دينار»[1].

إنه نموذج رائع للذين فشت فيهم البطالة، إن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أوجد لنفسه فرصة عمل بدون مساعدة ولا واسطة، وذهب يتاجر في السوق بدون رأس مال، و تزوج من ماله بدون مساعدة أو كفالة..

بل إن عبدالرحمن بن عوف، صار من أغنياء المسلمين، وكان من العشرة المبشرين بالجنة، وكان ينفق علىٰ المسلمين من ماله..

أخي الحبيب.. هيا إلىٰ العمل.. واجتهد، وزد من قدراتك وإمكاناتك فأنت لا تعلم ماذا خبأ الله لك من الرزق.. فعليك السعي، وعلىٰ الله الرزق.. فخير لقمة.. لقمة تأكلها من عمل يدك.. وقدوتك في ذلك رسول الله ﷺ، والأنبياء عليه السلام.. كانوا يعملون.. **فلماذا لا تعمل وتجتهد؟**...

ضوابط أخلاقية للكسب:

١ ـ أن تتحرىٰ الحلال في طلب الرزق، فلا تضيع دينك بتحصيل دنياك، وهناك أحاديث ترغب في الزهد في الدنيا والقناعة.. وليس معنىٰ ذلك القعود، ولكن السعي والهمة بدون أن تستولي علىٰ القلب.

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٧٥، طبعة دار الوفاء.

٢ ـ ألا تكسب رزقك من حيث حرم الله .

٣ ـ ألا يكون في سعيك وكدك ظلم لنفسك أو لغيرك .

٤ ـ ألا تسرف في الحلال فيجرك إلى الحرام .

الخلق العملي الرابع : الحرص على الوقت (١)

الإسلام لا يعرف سن المعاش. . . قال تعالىٰ: ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾ (العصر).

في بداية شهر المحرم تبدأ سنة هجرية جديدة، ويعتقد البعض أنها عطلة من العمل، ويراها البعض عاماً من أعمارنا قد انتهىٰ، ويراها الآخرون سنة جديدة. . الشيء الذي يؤسف له أن أمة الوقت أصبحت لا تعرف الوقت، وأصبح المسلمون هم أكثر الناس علىٰ الإطلاق إضاعة للوقت، بالرغم من أنه لا يوجد قانون أو تشريع علىٰ الإطلاق يهتم بالوقت وبكل ثانية، بل وبكل نَفَس بل وبكل ذرة مثلما اهتم الإسلام.

والأنكد من ذلك أنك ترىٰ أعداء الإسلام استغلوا كل ثانية في حياتهم وعابوا علينا تخلفنا، فقال اليهودي موشىٰ ديان: «إن العرب لا يقرأون، وإذا قرأوا سريعاً ما ينسون». . يقول الشاعر أحمد شوقي رحمه الله:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

والذين عرفوا قيمة الوقت يقرأون وهم يركبون المواصلات، أو في غرفة انتظار الطبيب. . الزمن عندنا أصبح أرخص الأشياء اعتبرناه بضاعة كاسدة لانعرف كيف نصرفها؟ أو عُملة فائضة لا نعرف كيف ننفقها، ولذلك نجد كثيراً من المسلمين يقول: «أنا أقتل الوقت»، وما درىٰ المسكين أنه يقتل نفسه.

أولاً: عناية القرآن بالوقت:

أقسم الله تعالىٰ به لعظمته، فأقسم بـ(والليل ـ والفجر ـ والضحىٰ ـ والعصر ـ هذه أوقات أقسم بها الله تعالىٰ، وفي ذلك بيان لأهمية الوقت.

---

(١) نتحدث عن الوقت من خلال محورين: الأول: حرص الشريعة علىٰ الوقت، والثاني: برامج عملية أكاديمية للاستفادة من الوقت، وسيأتي تفصيلاً لذلك في ملحق الإصلاح من هذه الموسوعة، وأقول: إن الاستفادة الحقيقية الكاملة لن تتحقق إلا بالتكامل بين المحورين.

وقد سخر الله تعالى لنا هذا الوقت للاستفادة منه، وليس لقتله، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (النحل: ١٢)، وقال أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان: ٦٢).

ثانياً: عناية السنة بالوقت:

١ ـ عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عُمره فيما أفناه؟ وعن علمه فيم عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»**[(١)].

وفي رواية ابن مسعود **«عن شبابه»**.

٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن أستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»**[(٢)].

ثالثاً: شعائر الإسلام كلها تؤكد قيمة الوقت:

كل العبادات تنظم الوقت وتستفيد من كل لحظة، وتحث المسلم على الانتفاع به:

ـ **فالصلاة** قال الله عنها: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣).

ـ **والصيام**: شهر رمضان ـ صيام التطوع.

ـ **والزكاة**: بمرور حول هجري كامل، قال تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الأنعام: ١٤١).

ـ **أما الحج**: وقت محدود ـ عرفات يوم محدد، قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ... ﴾ (البقرة: ١٩٧).

ولذلك قيل: الصلوات الخمس ميزان اليوم ـ الجمعة ميزان الأسبوع ـ رمضان ميزان الشهر ـ الحج ميزان العام.

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب القيامة برقم ٢٤١٧، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري في الأدب، وأحمد في المسند، وسبق تخريجه.

خصائص الوقت:

١ - **سرعة انقضائه** : قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات: ٤٦).

٢ - **لا يعود أبداً** : فمثلاً اليوم هو العاشر من رمضان ١٤٢٨هـ، هذا اليوم لم يأت قبل ذلك، فالذي انقضى هو العاشر من رمضان ١٤٢٧هـ، ولن يأتي بعد ذلك، وأما الذي سيأتي هو العاشر من رمضان ١٤٢٩هـ إن شاء الله.

٣ - **أغلى ما يملك الإنسان** : يقول الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك»، وعلى هذا فالوقت أغلى من الذهب، لا كما يقال: «الوقت من ذهب»، فالإنسان:

- عند الموت يقول: ﴿ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾.
- لماذا يريد هذا التأخير؟ يقول: ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾.
- فيأتيه الرد القاطع : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (المنافقون: ١٠).
- وفي الآخرة، يأتيه الرد أيضاً: ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٧).

الواقع: الكثير من الناس لا يعرف قيمة الوقت، والكثير يضيع الوقت..

الخط الحديدي الحجازي كان يصل أربع دول عربية ويوحدها.. ظل لنا ٢٥ سنة ندرس الجدوى الاقتصادية منه، وأنفقنا في هذه الدراسة ثمن إعادة بنائه.. سبعون عاماً مضت على هدمه وسبعون عاماً مضت على بنائه.. لقد بُني هذا الخط في عهد الرجل المريض (نهاية الدولة العثمانية).. ماذا فعل الأصحاء اليوم؟

واجب المسلم تجاه الوقت:

١ - **الحرص على الاستفادة من الوقت**: يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما».

٢ ـ **تنظيم الوقت** : واحذر من الآفات القاتلة للوقت، فلا يطغى غير المهم على المهم، واجعل لكل وقت عمله، وركِّز فيما في يدك، ولا تشتت تفكيرك فذلك تضييع للوقت وأنت لا تشعر، سألوا نابليون عن سر نجاحه؟ فقال: «إن عقلي عبارة عن مجموعة من الأدراج فإذا فتحت درجاً منهم أغلقت الأدراج الباقية كلها فلا أفكر إلا في شيء واحد».

٣ ـ **اغتنام الفراغ** : فعن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١) .

٤ ـ **المسارعة إلى فعل الخيرات** : ففي القرآن: ﴿سارعوا ـ سابقوا ـ فاستبقوا ـ كانوا يسارعون﴾، كل هذا في أعمال الآخرة.. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر**»(٢) .

٥ ـ **الاعتبار بمرور الأيام**: قال تعالى: ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾(النور: ٤٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ١ ، المغبون: يعني الخاسر في التجارة.

(٢) رواه الترمذي في الزهد ٣ رقم ٢٣٠٦ ، وبادروا: أي سابقوا وقع الفتن بالاشتغال بالأعمال الصالحة، ومطغيًا: أي مجاوزة الحد في العصيان ، وهرمًا مفندًا: أي يتكلم بكلام منحرف عن سنن الصحة، وموتًا مجهزًا: أي سريعاً، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

الخلق العملي الخامس: النظافة

خلق النظافة خلق رباني ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢) ، ولا يوجد تشريع ولا قانون يهتم بالنظافة بنفس الدرجة والدقة التي اهتم الإسلام بها ، ومن ثمَّ نجد :

١ ـ **الإسلام يأمر بالنظافة في كل مكان وفي كل وقت،** يقول النبي ﷺ: **«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»**(١) .

٢ ـ **النظافة أساس للدخول في الإسلام،** فمن أراد أن يسلم فعليه أن يغتسل أولاً ، ولذلك قال النبي ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان»**(٢) أي: الطهارة نصف الإيمان.

٣ ـ **النظافة شرط أساسي لجميع الأعمال الكبيرة في الإسلام،** الوضوء للصلاة، وكذلك الإحرام بعمرة أو حج ـ ويوم الجمعة ـ ويوم العيدين ـ والغسل من الجنابة ـ وغسل الميت.

والآن نذكر التطبيق العملي للإسلام في خلق النظافة :

أولاً: نظافة الجسم:

١ ـ **نظافة الفم والأسنان** : قال رسول الله ﷺ: **«السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»**(٣).

٢ ـ **نظافة الشعر** : حين جاء رجل ثائر الشعر غير نظيف ولا مهذب إلى النبي ﷺ قال: **«يأتي أحدكم ثائر الشعر كأنه شيطان»**(٤).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الأدب ٤١ ، وقال: حديث غريب.

(٢) رواه مسلم، طهارة ١ ، فضل الوضوء حديث رقم ٢٢٣ .

(٣) رواه البخاري، صوم ٢٧ .

(٤) رواه البخاري ، حيل ٣ ، إيمان ٣٤ ، صوم ١ ، ومسلم، إيمان ٨ .

٣- **سنن الفطرة:** حرص الإسلام على النظافة من خلال سنن الفطرة وهي : قص الشارب - حلق العانة - ونتف الإبط - تقليم الأظافر - الطيب - الختان.

٤- **الوضوء:** قال ﷺ: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»، قالوا: «لا»، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[(١)].

٥- **كان ﷺ يستخدم يمينه** في طعامه وشرابه ولباسه وأخذه وعطائه، وكان يستخدم يساره في دورة المياه ووضع الأذى عن نفسه، وعنه أيضاً ﷺ أنه قال: **«إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولايتنفس في الماء»**[(٢)].

ثانياً: نظافة المسكن:

كان النبي ﷺ في خدمة أهله، وكان يقم المنزل، يقول النبي ﷺ: **«نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا تنظف أفنيتها»**[(٣)].

ثالثاً: نظافة الطعام والشراب:

قال ﷺ: **«غطوا الإناء، وأوكوا السقاء»** [(٤)].

و هذا حث على الحفاظ على أوعية الطعام.

رأى النبي ﷺ عمر بن سلمة ويده تطيش في الطعام فقال:

«ياغلام سمِّ الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»[(٥)].

وكذا نهى رسول الله ﷺ عن الشرب مماً في السقاء أو القِربة، بل الشرب من خلال الكوب، ونهى عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه[(٦)].

---

(١) رواه البخاري، مواقيت ٦ .

(٢) البخاري وضوء ١٩، ومسلم طهارة.

(٣) الترمذي باب الأدب ٤١، وقال: حديث غريب.

(٤) ابن ماجة أشربه ١٦، والدرامي أشربه ٢٦ في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٥) رواه البخاري، أطعمة ٢ .

(٦) رواه البخاري في الأشربة .

وعلمنا كذلك ﷺ أن نشرب على مرتين أو ثلاثة، ونتنفس خارج وعاء الشرب، وأن نغسل الإناء سبع مرات إحداهن بالتراب إذا ولغ فيه الكلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولها بالتراب»**(١).

رابعاً: نظافة الملبس:

كان ﷺ يحب الملابس البيضاء والنظيفة، وقال: **«البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»**(٢).

خامساً: نظافة الشوارع والأماكن العامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**(٣)، وفي حديث أبي ذر، قال ﷺ: **«يصبح على كل سلامي من الناس صدقة...»**(٤)، والسلامى: العضو - والإنسان ثلاثمائة وستون عضواً.

وقد حرَّم الرسول ﷺ التبول في الماء الراكد، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق»**(٥).

وقد منع الإسلام ترك البصاق علناً في الشوارع، قال رسول الله ﷺ: **«من بصق فليدفنها»**(٦).

وفي رواية: **«البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»**(٧).

---

(١) رواه البخاري، وضوء ٣٣، ومسلم، طهارة ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣.

(٢) رواه أبو داود في الطب ١٤، والترمذي جنائز ١٨، والنسائي جنائز، وابن ماجة جنائز..، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري، إيمان ٣، ومسلم، إيمان ٥٧، ٥٨.

(٤) رواه البخاري، صلح ١١، جهاد ٧٢، ١٢٨، ومسلم، مسافرين ٨٤، وزكاة ٥٦.

(٥) رواه ابن ماجة في الطهارة ٢١، وأبو داود في الطهارة ١٤.

(٦، ٧) رواه البخاري، صلاة ٣٧، بلفظ **«البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»**، ومسلم، مساجد ٥٥، ٥٧.

سادساً: نظافة الجو من التلوث:

قال رسول الله ﷺ: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، فإن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه ابن آدم**»(١) .

وجعل النبي ﷺ في سنن الفطرة الطيب، فقال: «**حُبب إليَّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجُعِلَت قُرة عيني في الصلاة**»(٢) .

ألا فليتق الله كل من يلوث الجو سواء كان مدخناً أو صاحب مهنة من المهن التي تسبب التلوث والإضرار بالناس.

قال رسول الله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٣).

نتائج عدم النظافة:

١ ـ في الدنيا : انتشار الأمراض والأوبئة مما يؤدي إلى هلاك الناس.

٢ ـ في الآخرة : عذاب، فقد مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، والآخر كان يمشي بالنميمة بين الناس**»(٤).

أما في حالة النظافة.. فالفوز بالجنة:

فعن أبي هريرة ، أن امرأة كانت تقم (تكنس) المسجد، فسأل عنها النبي ﷺ، فعلم أنها ماتت، فصفَّ أصحابه وصلى بهم عليها بعد الدفن وقال: «**إن صلاتي رحمة لها**»(٥).

---

(١) رواه البخاري، أذان ١٦٠ ، أطعمة ٤٩ ، اعتصام ٢٤ .

(٢) رواه النسائي، نساء ١ ، وأحمد ٣/ ١٢٨ .

(٣) رواه ابن ماجة ، أحكام ١٧ ، والموطأ، أقضية ٣١ ، وأحمد ٥/ ٣٢٧ ، وفي الزوائد: هذا إسناد رجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري، وضوء ٥٥ ، ٥٦ ، جنائز ٨٢ ، أدب ٤٩ .

(٥) رواه ابن ماجة، جنائز ٣٢ ، والنسائي، جنائز ٩٤ ، وأحمد ٤/ ٣٨٨ ، وفي الزوائد: إسناده حسن.

الخلق العملي السادس: الوقوف في المحن

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (الحديد).

فالذي أنفق للإسلام في محنته وبداية ظهوره وفي الشدة، أعظم درجة من الذي أنفق في حالة الرخاء وانتشار الإسلام، وأنه أصبح حقيقة، وأنت في هذه الحياة كلها متغيرات . . فأنت الآن في رغد من العيش ثم تمتحن وتبتلىٰ، فأنت بين حزن وسرور، وسعة وضيق، وأعظم شيء أن تقف بجوار الإنسان في محنته وشدته فلن ينساها أبداً . . ربما ينسىٰ الإنسان من شاركه في فرحه وسروره . . لكنه أبداً لن ينسىٰ من شاركه آلامه وأحزانه، ولن يضيع عند الله ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فَرَّجَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»[1].

نماذج من الذين وقفوا في المحنة[2] :

١ ـ **النموذج الأول: خديجة رضي الله عنها**، فقد كان النبي ﷺ كثير الثناء عليها بعد موتها، مما حرك الغيرة في قلب السيدة عائشة رضي الله عنها، حتىٰ قالت للنبي ﷺ يوماً: «خديجة . . خديجة . . خديجة هل ما كان في الدنيا نساء إلا خديجة، ما كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها»، فتغير وجه النبي ﷺ وزجر عائشة غاضباً فقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء».

(١) رواه البخاري، مظالم ٣ ، مسلم ، بر ٥٩ ، ذكر ٣٨ .
(٢) الرسول ﷺ ، سعيد حوىٰ، ص ١٦٢ .

وزاد الطبراني في روايته: قالت عائشة: «قلت يا رسول الله ﷺ اعف عني ولاتسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه».

فلك أن تتأمل المحن التي ذكرها النبي ﷺ ووقفت بجواره السيدة خديجة (آمنت . . وصدقت . . وواست).

٢ ـ **النموذج الثالث: أبو بكر الصديق رضي الله عنه** : يقف بجوار الإسلام في أخطر رحلة وأصعب محنة للإسلام على الإطلاق في رحلة الهجرة، فإما أن ينطلق الإسلام وينتشر، أو يُقضَىٰ عليه، يقول أبو بكر للنبي ﷺ: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا»، فيرد عليه النبي ﷺ: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»**[١]، قال تعالىٰ: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ (التوبة: ٤٠).

٣ ـ **النموذج الثاني: علي بن أبي طالب رضي الله عنه** : وقف بجوار الإسلام في محنة عظيمة ينام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، وهو يعلم أن أربعين سيفاً للمشركين تنتظر النائم، وهو على يقين أن السيوف سوق تُقَطِّع النائم دون البحث أو التأكد بأن محمداً هو النائم لا غير[٢] .

٤ ـ **النموذج الرابع: نُعيم بن مسعود رضي الله عنه** : ففي غزوة الأحزاب (الخندق) وشدة الحصار للمسلمين من جيوش الكفار كلها وسوء الأحوال والرعب الذي أحاط بالمسلمين في المدينة يتقدم نُعيم بن مسعود ويقول: «يا رسول الله، إني أسلمتُ ولا يعلم أحد بإسلامي فماذا تأمرني؟»، فقال له النبي ﷺ: «خَذِّل عنَّا».

فانطلق نعيم بن مسعود وأحدث فتنة[٣] بين جيوش الشرك هذا الصحابي ألقىٰ بنفسه في أتون المعركة الملتهب وفي لحظة فاصلة بين الحق والباطل فترجح كفه الحق بسبب جهده وإخلاصه.

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٥٦ ، طبعة دار الوفاء .

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٠٢ ، طبعة مكتبة السُنَّة ، ١٩٨٩ م .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

٥ - **النموذج الخامس : حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :** في غزوة الأحزاب حينما أمره النبي ﷺ أن يذهب ويأتي بخبر القوم[١] .

٦ - **النموذج السادس : عثمان بن عفان رضي الله عنه :** يقول النبي ﷺ : «**ماضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم**» ، وذلك حينما جهز جيش العسرة المتجه إلى تبوك فكان مقدار صدقته تسعمائة بعير كاملة ومائة فرس ، سوى النقود التي جاء فنثرها في حجر النبي ﷺ بالآلاف حتى قال النبي ﷺ قولته هذه ، فقد وقف عثمان في هذه المحنة الخطيرة ولم ينتظر جزاءً ولا شكوراً بل قام بواجبه تجاه الإسلام .

ومن النماذج الحديثة: عندما سئل أحد شباب الصحوة الإسلامية عن سبب التزامه قال : «مات والدي ووقفنا في المنزل لا ندري ماذا نفعل ، حتى جاء أحد الدعاة وكان جاراً لنا فوقف معنا في المحنة وقام هو بكل شيء » .

الواقع: الإسلام الآن يمر بمحنة خطيرة وعظيمة خلاصتها أنهم يقولون : «دمروا الإسلام أبيدوا أهله» .

المطلوب : رجال تقف بجوار الإسلام في محنته . . فهذا الدين ما أعظمه من دين ، لو أن له رجالاً ! !

وقد يتساءل البعض: كيف أقف بجوار الإسلام في محنته الآن..؟

الجواب قد يطول.. لكن نذكر تلك الكلمة : «يا ابن عباس دينك دينك لحمك ودمك» . . فلابد من تربية الأمة على أن الإسلام منهج حياة[٢] ، فعلى كل مسلم أن يبتكر من الوسائل التي بها ينهض الإسلام والمسلمون . . فليكن عقلك وفكرك مشغولاً بهداية الناس جميعاً ، وتذكَّر قول النبي ﷺ : «**للعامل منهم أجر خمسين رجلاً**» . قالوا : «يا رسول الله ﷺ منا أم منهم؟ » قال : «**بل أجر خمسين منكم**»[٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(٢) تجد تفصيل ذلك واضحاً من خلال أبواب الموسوعة .

(٣) رواه أبو داود ، ملاحم ١٧ ، وابن ماجة ، فتن ٢١ ، والترمذي ، تفسير سورة ٥ ، ١٨ ، وقال : حديث حسن صحيح غريب .

الدرس العملي :

أن تحاول دائماً أن تنمي في نفسك الشجاعة[١] . . .

فعن أنس قال : لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه ، وهو يقول : **«لن تراعوا، لن تُراعوا»**[٢] . أي : لا تخافوا . . لا تخافوا . .

واعلم أن تربية أولادك على الإسلام أفضل وقوف لك بجوار الإسلام في محنته ، وكذلك معاملاتك وسلوكك ، والمحافظة على جميع العبادات . .

. . كل ذلك دعوة للإسلام . .

---

(١) فلا تخف من ذي سلطان ، فالله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : «عبدي، لا تخف من ذي سلطان...»، ولا تخف من المتذرع بالسلطان؛ لأن المتذرع بالسلطان كراكب الأسد يُخَوِف به الناس وهو منه أَخْوَف.

(٢) انظر الشفا ، للقاضي عياض.

الخلق العملي السابع: الأمانـة

واقع المجتمع الإنساني [1] :

يقول د. مصطفى السباعي[2] ـ **رحمه الله** ـ : اليوم وقد ارتفعت الشكوىٰ من سوء الأوضاع في مجتمعنا الحاضر ، حتىٰ لا تجد راضياً يتحدث إليك عن مجتمعه حديث المطمئن إلىٰ سعادته ، الواثق بحقه ، فهل تجدون لذلك سبباً يجمع أسباب اضطرابنا كلها إلا وصفاً واحداً وهو ترك الأمانة .

لقد تخلىٰ **العالِم** عن أمانة العلم ، فإذا هو ـ إلا من عصمه الله ـ يبيع علمه لمن يشتريه من طغاة وحكام ظالمين ومفسدين .

وتخلىٰ **الحاكم** عن أمانة الشعب فإذا هو ـ إلا من عصمه الله ـ يفرّق بين المواطنين ، ويتجاوز عن أخطاء أتباعه من الموظفين ، ويهمل القانون ، ويتلاعب بنصوصه لأن له هوىً قد ملك عليه لُبه ، وغرضاً لا يجد غير الحكم وسيلة لتحقيقه .

وتخلىٰ **الشعب** عن أمانة المراقبة لزعمائه فتملقهم وأغضىٰ عن أخطائهم ، وسار وراءهم ـ إلا من عصمه الله ـ يصفق لهم بيده ، وهو ينحرف عنهم بقلبه ، ويؤيدهم بلسانه ، وهو ينكر عليهم في نفسه .

وتخلىٰ **الموسرون** عن أمانة المال فاكتنزوه ، واحتبسوه عن الفئات المختلفة في المجتمع ، ثم رضوا أن ينقلبوا في النعيم ومَنْ حولهم يشقىٰ في البؤس والجحيم .

---

(١) ذكر الواقع له ضوابط وأسس ، فقد يكون مأموراً به ، وقد يكون منهياً عنه ، وذلك باختلاف الظروف والأحوال ، فأحياناً قد يكون لذكر الواقع نتيجة سيئة ، كأن يكون مثبطاً أو داعياً للخطأ والجريمة ، أو . . . ، وأحياناً يكون له نتيجة طيبة ، بل يكون دافعاً للتقدم والإصلاح ، وقد يكون موضحاً . . وهنا نذكر الواقع لتوضيح بعض الأمور التي قد يظن البعض أنها ليست من الأمانة .

(٢) أخلاقنا الاجتماعية ، د . مصطفىٰ السباعي ، ص ٨٠ ، ط . دار السلام ، عام ١٩٨٨م .

وتخلى الرجل عن أمانة الأسرة فلم يبال بما يتعلم ولده، وما تلبس زوجه، وما يفعل أخوه، حتى اجتمع في البيت الواحد، التقي والفاجر، والمتزمت والمتحرر، والجنة والسعير، والشمال واليمين.

هذه حالة اليوم، وذلك هو رأس مشاكلنا، وعلاجه ليس بالعسير إن فاء كل منا إلى ربه، واستيقظ فيه ضميره، وذكر الجنة وما أعده الله للأوفياء في أماناتهم من ثواب مقيم، وذكر النار وما أعده الله للخائنين في عهودهم من عذابٍ أليم.

إن ذلك ليسير على من أحيا قلبه بتعاليم دينه السمحة، واستمع إلى رسوله ﷺ: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**(١) .

تعريف الأمانة:

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ...** ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

سوف نتحدث في هذا الخلق مجرد إشارات للتنبيه، فهذا الخلق يحتاج أن يُزرع في القلب، ويُسقى بالمراقبة، حتى يترعرع ويؤتي ثماره المرجوة على الفرد والأسرة والمجتمع والعالم كله.

الأمانة: هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعة وترك المعصية أي الأوامر والنواهي، وأنواع الأمانات:

١ ـ أمانة مع الله .

٢ ـ أمانة مع النفس .

٣ ـ أمانة مع الناس .

٤ ـ أمانة مع رزق الله .

---

(١) رواه البخاري، جمعة ١١، جنائز ٣٢، وصايا ٩ ، ومسلم، إمارة ٢٠ .

١ - أمانة الأمة مع الله[١] :

(توحيد - طاعة - حدود - عبادات - حكم بما أنزل الله) لا تقبل تشريعاً ولا تطبق على نفسك إلا شرع الله، قال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

وهناك فرق بين الحكم بشريعة الله والاحتكام إلى شرع الله.

الحكم بشريعة الله: هذه مسؤولية الحكام، وأنت كمسلم تطالبهم بذلك.

أما الاحتكام إلى شرع الله: فأنت مُطالب في كل أحوالك أن تحتكم إلى شرع الله تعالى مع زوجتك.. مع أولادك.. مع جيرانك.. والله تعالى ينفي الإيمان عن العباد حتى يُحَكِّموا رسول الله ﷺ في كل شيء الجلي والخفي[٢].

وعليك بفهم القرآن وخُلُق القرآن والتمسك بالسُّنَّة لقول رسول الله ﷺ: «**تركتُ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي**»[٣].

ولقول الرسول ﷺ أيضاً: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[٤].

---

(١) يقول د. مصطفى السباعي: الدين أمانة في أعناق رجال الشريعة، إن شرحوه للناس، وصانوه من التحريف والتلاعب كانوا أوفياء لأقدس ما في الحياة من معنى كريم، وإن لم يفعلوا ذلك كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة وأشدها خطراً: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ (آل عمران: ١٨٧).
والعلم أمانة في نفوس العلماء، فيستعملوه في رفاهية الإنسان وخيرها وسلامها: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر: ٢٨)، انظر: أخلاقنا الاجتماعية، ص ٧٧.

(٢) راجع تفسير ابن كثير في هذه الآية.

(٣) أبو داود، مناسك ٥٦، وابن ماجة، مناسك ٨٤، ومالك في الموطأ، قدر ٣، وأحمد٣/ ١٦.

(٤) رواه أبو داود، سنة ٥، والترمذي، علم ١٦، وابن ماجة، مقدمة ٦، والدارمي، مقدمة ١٦، وأحمد: ٤/ ١٢٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والعبادات كذلك أمانة :

أ ـ أمانة الوقت «أي الأداء في الوقت المحدد».

ب ـ أمانة التطبيق العملي والالتزام بالحلال والحرام بعد الأداء.

- **الصلاة أمانة:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وقال أيضاً: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٣٨)، وقال ﷺ: **«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»**[1]، وفي رواية ابن عباس: **«لم يزدد بها من الله إلا بُعداً»**.
- **الصيام أمانة:** قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وقال ﷺ: **« إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق...»**[2].
- **الزكاة أمانة:** قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣)، وقال أيضاً: ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٧).
- **الحج أمانة:** قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقال أيضاً: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

٢ ـ الأمانة مع النفس:

- **العقل أمانة لدى الإنسان :** إن عمل بمقتضاه ونظَّمه بالعلم والمعرفة كان قائماً بحق الأمانة، مؤدياً لها خير أداء.
- **العين أمانة:** قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (النور: ٣٠).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، ورواه الطبراني بنحوه عن عمران بن حُصين، وذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

(٢) رواه البخاري، صوم ٣، مسلم، صيام ١٦٠، ١٦٣ .

■ **البطن أمانة:** قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ (النساء: ١٠).

وقال ﷺ: «**كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به**»[١]، وقال أيضاً: «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[٢].

■ **اللسان أمانة:** قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ (الحجرات: ١٢)، وقوله ﷺ لمعاذ حينما سأله: هل يؤاخذ الناس بكل ما يتكلمون: «**يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٣].

■ **الفرج أمانة:** قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ** ﴾ (المعارج: ٢٩)، وقال ﷺ: «**أكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج**»[٤].

■ **الأذن أمانة:** قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ (الإسراء: ٣٦).

٣ـ الأمانة مع الناس، وتشمل:

■ **زوجك وولدك ووالدك وأقاربك أمانة:** ترعى حقوقهم وتنصحهم، وتوضح لهم الخير، وتحذرهم من الشر، كنت قائماً بالأمانة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ..** ﴾ (التحريم: ٦).

■ **الودائع أمانة:** نام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ليرد أمانات وودائع المشركين إليهم، رغم أنهم يحاربونه.

---

(١) رواه الترمذي، جمعة ٧٩، بلفظ: «**لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به**»، وقال: حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني في الصغير عن عبد الله بن عباس، وعند الترمذي، مناقب ٢٦ بلفظ: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**».

(٣) رواه البخاري، إيمان ١٩، زكاة ٥٣، مناقب ٢، أحكام ٢، ومسلم، إيمان ٢٣٧، ومساجد ٢٦١، ٢٦٢.

(٤) رواه الترمذي، بر ٦٢، وابن ماجة، زهد ٢٩، وأحمد ٢/ ٢٩١، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب.

■ **الحقوق أمانة**: يقول النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»(١) أي: أعط لصاحب الحق حقه لا شأن لك بغناه أو فقره، وحقوق الناس كل ما استؤمنت عليه.

■ **الأسرار أمانة**: لا تفش أسرار الناس مهما حدث، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حدث الرجل أخاه بحديث ثم التفت فهو أمانة**»(٢). والتلفت يعني: ينظر هل يراه أحد أو يسمعه.

■ **الحرفة والمهنة أمانة**: قد يجهل الآخرون دقائق مهنتك، وحقوقهم عليك فيها، ولكن الله سوف يسألك: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ (الصافات: ٢٤).

٤ ـ الأمانة مع رزق الله:

الرزق ليس هو الطعام والشراب.. ولكن الصحة رزق.. الأولاد والأهل رزق.. قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(٣).

٥ ـ أمانة الأمة:

الإبقاء على الأمة قوية قائدة رائدة، واجب على كل مسلم، ولذلك فهذه الأمانة أشد أنواع الأمانات خطورة، ولها ركنان أساسيان:

الركن الأول: الحاكم (الوالي): الشعب في أيدي الحاكمين والمسؤولين أمانة، فعن معقل بن يسار، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرَّم الله تعالى عليه الجنَّة**».

وفي رواية: «**فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنَّة**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، استقراض ١٢، وحوالات ١، ٢، ومسلم، مساقاة، ٣٤.
(٢) رواه الترمذي، بر ٣٩، وقال: حديث حسن.
(٣) رواه البخاري، جمعة ١١، جنائز ٣٢، استقراض ٢٠، وصايا ٩، عتق ١٧، ١٩، نكاح ٨١، ٩٠، أحكام ١، ومسلم، إمارة ٢٠.
(٤) رواه البخاري، أحكام ٨، ومسلم، إيمان ٦٣.

وفي الحديث : «**والإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته**»[(١)] .

الثاني : المحكومون أو الرعية الذين اختاروا الحاكم (الوالي) [(٢)] : اعلم أن اختيارك للحاكم أو النائب أمانة تُسأل عنها يوم القيامة، لماذا اخترت هذا؟ . . لقرابة؟! أم لمصلحة؟! أم لكي يطبق منهج الله؟! أم جاء بالتزوير ولك دورٌ في هذا التزوير؟ . . مهما كان هذا الدور قليلاً، لأنه يوم القيامة يُنَادىٰ علىٰ الظلمة، وعلىٰ كل من ناولهم قلماً أو قرطاساً أو سوطاً، حتىٰ رفع اليد سوف تُسأل عنه، هل رفعت يدك موافقاً علىٰ تطبيق منهج الله . . أم لغير منهج الله؟ . .

فَأَعِدَّ لكل سؤالٍ جواباً ؟

ثواب وفضل الأمانة :

١ ـ سعادة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)** ﴾ (المؤمنون) .

يقول د. مصطفى السباعي : والأمانة بهذا المعنىٰ وهذه الحدود التي ذُكرت هي سر سعادة الأمم أو شقائها، ويوم كانت أمتنا من أصدق الشعوب في حمل هذه الأمانة والوفاء بها، كانت أمتنا خير أمة أُخْرِجت للناس، وعندما سرقت المرأة المخزومية قال النبي ﷺ : «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[(٢)]، فهذه هي أمانة الحاكم في تنفيذ القانون علىٰ الناس جميعاً[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري، أحكام ١ ، استقراض ٢٠ ، ومسلم، إمارة ٢٠ .

(٢) راجع من هذه الموسوعة : «ولا تكتموا الشهادة ـ أمانة الصوت» .

(٣) رواه البخاري ومسلم، وسبق تخريجه .

ويحكي الله سبحانه وتعالىٰ عن صفات المصلين، ومنها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المعارج: ٣٢)، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (القصص: ٢٦).

٢ ـ يكون طائعاً لله تعالىٰ وجزاء الطائع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩). ويقول النبي ﷺ: «كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبَىَ». قالوا: «ومن يأبىٰ يا رسول الله؟». قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبَىَ»(١).

٣ ـ نماذج مضيئة للأمانة(٢):

١ ـ أمانة القائد المجاهد:

كان صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ من أكثر ملوك عصره توفيقاً في الفتوح والنصر، وكان نصيبه من الغنائم كبيراً جداً، أوقفه كله على المدارس والمستشفيات والمساجد مما لا يزال بعض آثاره باقياً خالداً حتىٰ اليوم، ولم يترك لنفسه ولأولاده شيئاً حتىٰ قالوا إنه حين مات مات وهو من أفقر الناس ولم يترك درهماً ولا ديناراً ولا أرضاً ولا عقاراً وهذه هي أمانة القائد المجاهد الذي يأبي أن يتاجر بجهاده أو يرضىٰ بالله وجنته وثوابه بديلاً.

٢ ـ أمانة الموظف:

أراد عثمان رضي الله عنه أن يقرض بعض الناس من الخزينة العامة وطلب إلىٰ خازن بيت المال أن ينفذ رغبته في ذلك فأبىٰ عليه الخازن، فقال له عثمان: أتأبىٰ ذلك وأنت موظف عندنا، فجاء إلىٰ المسجد وقال للناس بصوت يسمعه كل من في المسجد: أيها الناس لقد زعم عثمان أني خازن له، وإنما أنا خازن بيت مالكم لا بيت

---

(١) رواه البخاري، اعتصام ٢ .

(٢) ذكرها د. مصطفىٰ السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص ٧٩ ، طبعة دار السلام ١٩٩٨م.

ماله، وها هي مفاتيح بيت المال أردها إليكم، ثم رمى بالمفاتيح وخرج وهذه هي أمانة الموظف الكريم يأبى أن يتجاوز القانون إرضاء لرئيس أو زعيم.

٣ ـ أمانة رئيس الدولة:

مر علي رضي الله عنه في المسجد فرأى واعظاً يعظ الناس فقال له: أتعرف أحكام القرآن وناسخه ومنسوخه؟ قال: لا، فقال له علي: هلكت وأهلكت، ثم منعه من التحدث إلى العامة، وهذه هي أمانة رئيس الدولة في صيانة العلم وحفظ عقائد الناس من أن يفسدها الجاهلون.

٤ ـ أمانة العالم عند الحاكم:

وقف الشيخ عز الدين بن عبدالسلام قاضي القضاة في دمشق مرة في وجه سلطان دمشق وأنكر عليه تعامله مع الإفرنج لقاء نجدتهم إياه في حربه مع أخيه سلطان مصر، واعتبر الشيخ ذلك خيانة للمسلمين وجريمة في حق البلاد، فلما عزله السلطان عن منصبه أبى أن يسكن في بلد يخون فيها حاكموها حقوق الشعب واستقلاله وسيادته ولم يرض بالعودة إلى دمشق مع كل ما بذل السلطان بعد ذلك من وعود وإغراء، وهذه هي أمانة العالم يصدع بالحق في وجه الحاكم الظالم، ويكشف خيانته للشعب دون أن تأخذه في الله لومة لائم.

٥ ـ أمانة الغني:

تصدقت عائشة ـ رضي الله عنها ـ يوماً بمائة ألف درهم وهي صائمة تلبس ثوباً خلقاً، فقالت لها جاريتها: لو أبقيت لنا ما نفطر عليه اليوم فليس عندنا ما نأكله!!

فأجابتها لو ذكرتني لفعلت، وهذه هي أمانة الغني المؤمن نسي جوع نفسه ليذكر جوع غيره من أبناء الشعب.

عقاب تضييع الأمانة:

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (الأنفال: ٥٨).

والنتيجة كما يذكر الحديث:

«إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة».

قال : «وما إضاعتها؟» .

قال : «إذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله»[١] .

التوجيه العملي :

إذا كنت تريد أن تعرف مدىٰ أدائك الأمانة فانظر مدىٰ محافظتك علىٰ الشعائر واحترامك للشرائع . . فهذا هو المقياس[٢] .

---

(١) رواه البخاري . ، علم ٢ .

(٢) راجع أمانة المال العام في هذه الموسوعة .

الخُلق العملي الثامن : الربانية (١)

ليس معنى الربانية قيام الليل والانشغال بالعبادة دون أن يكون لذلك أثر في الحياة، فإنَّ من ترك المعاصي والمنكرات وانشغل بالأوراد والأذكار وفقط . . أخطأ في فهم الربانية . . وهذا الفهم مجافٍ للحقيقة وللقرآن، ولنأخذ جولة في القرآن فخلاصة دعوات الأنبياء أن يكون الناس ربانيين، وقد وردت كلمة ربانيين في القرآن أربع مرات منهم (ربيون).

الآية الأولى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران : ٧٩).

الآية الثانية : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٤٦).

الآية الثالثة : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة : ٤٤).

الآية الرابعة : ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾ (المائدة).

---

(١) الدعاة الربانيون وحاجة الأمة إليهم، أ. د. عبدالرحمن البر، مجلة الرسالة، العدد ١٩، ص ١٤، وأقول : إن الربانية خُلق يجمع أخلاقاً عديدة، ففيها (الحلم لأنه مُعَلِّم، وفيها الورع، وفيها الشجاعة فهو قائد . . . .).

« الربانيُّ: قيل هو الذي يتلقىٰ نظام حياته من ربه تعالىٰ .

وقيل هي من الرُبَّان : وهو الذي يقوم علىٰ أمر الناس ويصلحهم ، ولذلك يسمىٰ قائد السفينة الذي يتجنب بها الأنواء والعواصف ، ويسلك بها سبل النجاة حتىٰ تبلغ ، يسمىٰ رُباناً .

وليس كل راكب في السفينة بقادر علىٰ أن يتجنب بها هذه الأهواء ، إنما الذي يعلم حقائق القيادة وواقع الأمور هو الذي يعرف كيف يميل بها بعيداً عن أسباب الفساد حتىٰ ينجو بمن معه .

فالرباني: يعرف كيف يقود الناس إلىٰ الله لينجو هو ومن معه .

وقيل هي من التربية : فلا يكون العبد ربانياً إلا أن يكون له ممارسة في تربية نفسه وتربية نجله ، وقال **عبدالله بن عباس**: الربانيون : الحكماء ـ الفقهاء .

وقال **عبدالله بن مسعود**: الربيون: الألوف الكثيرة فلا يكون ربانياً من لم يضع يده في يد الصالحين من عباد الله ليكونوا جميعاً ، ولا يكون المنعزل ربانياً بل الربيون الجماعات الكثيرة .

وقال **الحسن البصري**: هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وله دور في التربية والإحياء والإصلاح ، يربي الناس بالعلم ويأخذهم من واقعهم إلىٰ الواقع الأفضل ، ويدعوهم إلىٰ الأحسن والأشمل الذي ينفعهم في حياتهم وآخرتهم .

في اللغة: يقولون الربيُّ عشرة آلاف .

الرباني : هو الذي يتعلم أمر الله ونهيه ويعرف شرع الله ووحيه فيطبقه في ذات نفسه ويدعو غيره إليه ويقوم بعملية الإصلاح في حياة الناس لما فيه خير الناس ، وليس الرباني الذي يهتم بذاته وأوراده ، وإنما الرباني يعمل في شعبتين :

أ ـ ذاته فيصلحها .

ب ـ تنفيذ الأوامر والنواهي ، وله دورٌ في إصلاح البشرية»(١) .

---

(١) المصدر السابق .

صفات الربانيين :

وذلك من خلال الآيات التي ذكرناها :

الصفة الأولى: يعلمون الناس الإسلام : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ ، فمن لم يهتم بمهمة التعليم سواء له أو لأولاده، في بيته، أو مدرسته، أو جامعته، فهو ليس ربانيًا.

فالرباني هو في ازدياد دائم من العلم ـ عمل دائم به ـ تعليم مستمر له.

الصفة الثانية: مسئولون أمام الله عن حفظ الشريعة ونقلها للناس وليس حفظها في الأذهان والقلوب، ولكن الحفظ الحقيقي يكون بحمل الرسالة وحمل أمانة العمل بما فيها، لقول الله : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

إن حفظ الوحي ليس بمجرد إيجاد حَفَظَة، ولكن تطبيق هذا الوحي في واقع الناس.. والرباني لا يخشىٰ إلا الله، ولا يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وهذا الشراء يكون إما بترك الآية أو عدم تأويلها، أو يعارضها برأيه، أو يتملق بها.

الصفة الثالثة: حُراس لكتاب الله، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد قال الله تعالىٰ عن بعض الناس : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾.. والواجب علىٰ الربانين واجب التنبيه والنصيحة والضرب علىٰ يد الفاسد، والنهي عن قول الإثم، وأكل السحت، ويقول الله في ختام الآية : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، وفي ختام الآية الثانية : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾، فعندما كان الحديث عن عامة الناس قال : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعندما تكلم القرآن عن الربانيين، الذين من واجبهم الإصلاح، ولكنهم سكتوا قال : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾، فالساكت علىٰ الباطل مع علمه به يتحمل أوزار كل من يفعل الباطل، فيشارك كل آكل للسحت، ويشارك كل قاتل بالإثم في إثمه، فإثمه أكبر من آثام الناس جميعاً.

فالرباني حين يرىٰ الفاسد ولا يسعىٰ لإصلاحه، ويرىٰ الظالم ولا يسعىٰ لردعه عن ظلمه، فهو شريك لهما في الإثم.

وكل إنسان صالح كذلك . . يكون شريكاً لمن يفعل الذنب والمعصية إذا رآه وسكت، ولم يتحرك، ولم يقم بدوره . . في حدود استطاعته .

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ... ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

والوسع . . أقصى ما في الطاقة وأقصى ما تستطيع، وليس كما يفهمها البعض أنه أقل الطاقة، وأقل ما تستطيع .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾».

والله سبحانه وتعالى يحذر الأمة إذا رأت الفساد ولم ترفع راية الإصلاح . . إذا رأت الظلم ولم تدع إلى العدل . . يحذرها أن ينزل بها العقاب، قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥).

ويقول النبي ﷺ: «**إذا رأيتَ أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم، فقد تُودِّعَ منها**»[١].

صارت أمة لا معنى لها، لأنها جَبُنَت وتركت الأمر والنهي، وأول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يعمل المعاصي، فيقول له أخوه: اتق الله ودع ما تصنع، ويكون الغد جليسه وأكيله، قال تعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة).

---

(١) رواه أحمد في المسند : ٢/ ١٦٣ ، ١٩٠ ، وأبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ٤٣٣٨ ، والترمذي في الفتن رقم ٢١٦٨ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه ابن حبان ٤٠٤ ، بلفظ : «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**».

وحتى نكون ربانيين . . فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي الظالمين والفاسدين، والدعوة لتطبيق وتحكيم شرع الله، وتعليم الناس الكتاب، وحفظ شريعة الله بتدريسها وتطبيقها، ولذلك لابد من دعوة للإصلاح على مستوى الفرد والجماعة والأمة، قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)** ﴾ (هود).

إن الذي ينجي الأمة من الهلاك هو الإصلاح وليس الصلاح.

المحور الخامس : آداب اليوم والليلة

١ ـ الذِكْــر

الذِكر لغة: ذَكَـر الشيء أي حَفِظَهُ ـ استحضره ـ جرىٰ علىٰ لسانه بعد نسيانه.

ذَكَر الله : أثنىٰ عليه [١]، وذكر النعمة : شكرها.

الذكر شرعاً: هو النقل فيما يتعلق بـ «أشهد أن لا إله إلا الله»[٢].

الذاكر الأول: رسـول الله ﷺ، لقد صحـا من نومه قبل الفجر، وظلمة الليل لاتزال مخيمة علىٰ كل شيء، إنه يتحرك مع طلائع الصبح المقبل قائلاً: **«الحمد لله الذي ردَّ إليَّ روحي، وعافاني في جسدي، وأَذِنَ لي بذكره»**[٣].

انظر كيف يستقبل الحياة بترحاب وتفاؤل؟[٤]

«الحمد لله الذي ردَ إليَّ روحي».. إنه رسول الله ﷺ..

ونقف طويلاً عند قوله ﷺ : **«وأذن لي بذكره»**..

إنه أدب العبودية للعابد الرقيق مع ربه أن منحه يوماً جديداً إيذاناً له باستئناف العبادة.. والذكر مطلع الفجر.

ويبـدأ العبـد الشكور بذكـر ربه بكلمات يقطر اليقين والحب من كل حرف فيها، يقولها في الصباح والمساء علىٰ سواء: **«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم**

---

(١) المعجم الوسيط، الجزء الأول مادة ذكر.

(٢) العبادة أحكام وأسرار، د. عبد الحليم محمود، الجزء الأول.

(٣) رواه الترمذي، دعوات ٢١، رقم ٣٤٠١، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) كتاب: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، الشيخ. محمد الغزالي.. أربع وعشرون ساعة من حياة عريضة.

استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»(١) .

ومن طلائع اليوم الجديد يقول الرسول ﷺ هو وأصحابه : **«أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»**(٢) .

وإقرار الأصحاب والأتباع أنهم على دين نبيهم محمد ظاهر ، فما معنى أن يقول ذلك النبي ﷺ نفسه؟

والجواب : أن النبي ﷺيقول لنا إنه أول ملتزم بتنفيذ ما جاء به ، فكثير من أهل الدين ورؤسائه يحسبون الدين بلاغاً للآخرين وتكليفاً ، أما هم ففوق المساءلة به ، وأيضاً استشعار نعمة الله على صاحب الرسالة وإبراز الرضا والسعادة بها شكراً لله الذي اصطفى .

ويتوالى الذكر : **«اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»**(٣) .

«اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم عليَّ بنعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة»(٤) .

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدَّيْنِ وقهر الرجال»(٥) .

وأذكار كثيرة وكثيرة ، وجمهور الفقهاء لا يلزم الأمة بترديد الأذكار والأدعية التي نقلناها ونقلها هنا إن ترديدها ليس مستحباً وحسب ، ولكن التأمل في هذه الأذكار لابد منه حيث يعقل القلب وتحسن بالله علاقته .

---

(١) رواه أحمد في المسند، جـ ١ ، وابن ماجة ، دعوات ١٤ ، والترمذي، دعوات ٣١ ، وقال الترمذي : حديث غريب .

(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده، عن أُبي بن كعب، والدارمي، استئذان ٥٤ .

(٣) رواه أبو داود، وتر ٣٢ ، والنسائي، وابن حبان في صحيحه .

(٤) رواه ابن السني عن ابن عباس ، الأذكار للنووي، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٥) رواه البخاري، دعوات ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، جهاد ٢٥ ، ٧٤ ، مسلم، ذكر ٤٩-٥١ ، ٧٣ .

ونحن سوف نتناول هذه العبادة الميسرة التي لا تستغرق وقتاً طويلاً ولا تحتاج منك إلى أي مجهود، وتستطيع أداء هذه العبادة وأنت في السيارة أو ذاهب إلى الجامعة أو عملك، وكذلك تستطيع المرأة أداءها وهي في المطبخ، أو في أي وقت.. إنها عبادة سهلة، وتأخذ عليها أعظم الثواب.. إنها عبادة الذِّكْر.

شروط الذكر:

هذه العبادة لها شرطان: الإخلاص، والكثرة.. فكلما تكلم الله تعالى عن الذكر في القرآن يذكر معه كلمة كثيراً.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

حتى في المعركة والانشغال بالحرب، يأمرنا الله بكثرة الذكر، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال: ٤٥).

ويقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقد أمر الله موسى أن يتوجه إلى فرعون: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (النازعات: ١٧).

فيقول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾ (طه).

كل هذا لماذا ؟

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ (طه).

حتى بعد الحج يأمرنا الله بكثرة الذكر بعد هذه العبادة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ (البقرة: ٢٠٠).

تأمل : المرة الوحيدة التي جاء فيها الذكر وبعده وصف القلة كانت في الحديث عن المنافقين، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (النساء : ١٤٢) .

حقيقة مهمة: لو تحركت اليد في اليوم مائة مرة أو لمدة ربع ساعة حتماً ستشعر بالإرهاق والتعب الشديد، ولكن اللسان يظل يتحرك لمدة كبيرة قد تصل إلىٰ معظم اليوم ولا يحدث له إرهاق، والمطلوب العملي أن نشغل اللسان بالذكر، ونتساءل :

كيف يكون الوضع للذكر؟

وأي وقت يناسبه؟

ومن الذي يذكر ويسبح؟

وفي أي الأماكن يكون أفضل؟

- **إن** ذكر الله تعالىٰ يكون في كل الأوضاع، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(آل عمران : ١٩١)
- وذكر الله تعالىٰ يكون في جميع الأوقات، قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢)** ﴾ (الأحزاب) .
- **أما** الذي يذكر ويسبح، ففي قول الله تعالىٰ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ (النور : ٤١) .
 ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ...** ﴾ (الحج : ١٨) .
 حتىٰ الشعراء يقول الله تعالىٰ عنهم : ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ(٢٢٧)** ﴾ (الشعراء) .

■ كذلك فإن ذكر الله يكون في الكون كله، حتىٰ يتحول الكون إلىٰ ساحة للذكر، وتتحول الحياة كلها إلىٰ ذكر الله تعالىٰ، يقول الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

فضائل وكرامات الذكر [1]:

إن مكانة الأمة حين تسمع هذه الآية وتعمل بها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...﴾ (آل عمران).

يقول العلماء: يعطيها الله مائة كرامة في الدنيا علاوة علىٰ ما يعطيه في الآخرة.

الكرامة الأولى: الذاكر لله في معية الله:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا ذكرني، أو تحركت بي شفتاه**»[2].

المثال الأول: يقول الله تعالىٰ: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)﴾ (طه).

المثال الثاني: وشىٰ أحد الوشاه إلىٰ حاكم دمشق علىٰ ابن تيمية فسجنه في قلعة دمشق ثم نفاه إلىٰ قلعة مصر، فقال ابن تيمية رحمه الله: «إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني فنفي سياحة، وإن سجنوني فسجني خلوة»، قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٤٥).

المثال الثالث: وصل موسىٰ عليه السلام وقومه إلىٰ البحر، فأراد أن يعبر،

---

(١) محاضرة للدكتور يسري هاني، بنادي الزراعيين بدمياط في التسعينيات من القرن الماضي.

(٢) رواه البخاري، توحيد ٤٣ .

فواتاه ذكر ربه في قوله: ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢)، فأدركته معية الله تعالىٰ، فجاوزت به وبقومه البحر.

المثال الرابع: النبي ﷺ وصاحبه في الغار، وأعداء الله علىٰ بابه، وأبو جهل يكاد يهم بالدخول، وتكاد تلتقي عيناه بعيني الصديق رضي الله عنه: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٨)، ويخاف أبو بكر علىٰ النبي ﷺ، فيقول له النبي ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين ا لله ثالثهما؟**»[١] ، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، فيلتفت أبو جهل إلىٰ القوم ويقول: ما دخل هذا الغار أحد من قبل ميلاد محمد.

الكرامة الثانية: أن تصبح الأمة الذاكرة مذكورة في الملأ الأعلى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذَكَرَني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذَكَرَني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[٢].

أنت تفخر حينما يذكرك بشر يفنىٰ ويموت، فكيف إذا ذكرك الحي الذي لايفنىٰ ولا يموت: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: ١٥٢).

الكرامة الثالثة: أن يوقظها الله ليلاً ليلبسها حلل الكرامة:

فالغافل بالنهار غافل بالليل، والله لا يوقظ لصلاة الليل كل الناس، ولكن يوقظ بالليل من ذكره بالنهار.

قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: ١٦).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧).

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٤).

---

(١) رواه البخاري، تفسير سورة ٩ .

(٢) رواه البخاري، توحيد ١٥ ، ١٥ ، ومسلم، توبة ١ ، ذكر ٢ ، ١٩ .

وقال تعالىٰ : ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٨).

وقال رسول الله ﷺ: «... ألا هل من تائب فأتوب عليه، ألا من مستغفر فأغفر له..»[(١)]، وقال: «ركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما عليها»[(٢)].

الذاكر بالنهار قائم بالليل، يقول الشاعر:

رجال أقاموا للـــه نفوسهم   فكسا وجوههم الكريمة نوراً

ذهب النبي ﷺ إلىٰ عليّ وفاطمة فوجدهما نائمين، فقال: «ألا تعقومان لصلاة الليل؟»، فقال عليٌّ: «أنفسنا بيد الله إن شاء أقامها وإن شاء أنامها»، فرجع النبي ﷺ يضرب فخذيه بيديه ويقول: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٤)[(٣)].

صورة الغافل: يقوم الصبح مسرعاً يغسل يديه ووجهه ويأكل سريعاً، ويخرج سريعاً، ويركب سريعاً حتىٰ يصل إلىٰ عمله سريعاً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٩).

الواقع: إذا عزمتَ علىٰ السفر، وكان السفر ليلاً: ألا توقظ الأسرة كلها احتياطاً حتىٰ لا يفوت موعد السفر.

الكرامة الرابعة: أنه نجاه من المهالك:

قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات: ١٤٣، ١٤٤)، فالملائكة إذا سمعت العبد وقت الشدة يدعو الله عز وجل: «يارب نجني من الفتنة أو المشكلة التي وقعت فيها وقد كان من الذاكرين»، تقول الملائكة: «يارب صوت معروف من عبد معروف»، وذلك لأنه يذكر وكان دائم الذكر، وإذا دعا العبد وقت الشدة ولم يكن يذكر الله من قبل، تقول الملائكة: «يارب صوت منكر».

ومن فوائد الذكر أيضاً: اطمئنان القلب، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

---

(١) رواه مسلم، مسافرين ١٤٢ .

(٢) الترمذي، إيمان ٨ ، بلفظ: «عمل يدخلني الجنة ويبعد عني النار، وصلاة في جوف الليل»

(٣) أحمد في المسند جـ ٥ .

هـذا المعنـى : إلى كل من يعانون من أمراض نفسيه أو يعانون من الاكتئاب[(١)]،
أو من عنده مشكلة . . أو يعاني من ضائقة مالية، أو خوف على المستقبل . . إليكم الحل في القاعدة القرآنية : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ .

التوصيات العملية:

١ ـ الذكر حتى عند طرق الباب: لا تترك الذكر حتى عند الطَّرق على الأبواب والاستئذان على الناس تطرق الباب ثم تتنحى جانباً وتذكر الله وتسبح ـ ثم تطرق الباب وتسبح وتذكر . . ثلاث مرات .

٢ ـ لا تترك ختام الصلاة فبها تتعود على كثرة الذكر ودوامته، وإن كنت مشغولاً أو مسافراً. انطلق إلى عملك وإلى سفرك وأنت تختم الصلاة وأنت تسير وأنت في عملك وأنت تركب المواصلات .

٣ ـ احذر من ترك الذكر، فإن الذاكر ينعم بالمعيشة الطيبة، أما غير الذاكر فقد قال الله فيه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: ١٢٤)

٤ ـ اجعل شيطانك خناساً دائماً، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ . (الزخرف: ٣٦). ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ (الناس).

صيغ الذكـر:

١ ـ الاستغفار:

يبتدئ الذكر بالاستغفار . . عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:
«من لَـزِمَ الاستغفار، جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[(٢)] .

---

(١) راجع في الفصل الأول: كيف تتغلب على الأحزان؟

(٢) رواه أبو داود، وتر ٢٦، وابن ماجة، أدب ٥٧ .

ومن صيغ الاستغفار : «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»(١).

وسيد الاستغفار: « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٢).

٢ ـ قراءة القرآن :

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٣).

فعليك بالقرآن كله وخاصة (الفاتحة ـ خواتيم البقرة ـ آل عمران ـ الكهف ـ يس ـ الملك ـ التكوير ـ الانفطار ـ الانشقاق ـ الزلزلة ـ الإخلاص ـ الكافرون ـ المعوذتان).

٣ ـ التهليل وهو الذكر « لا إله إلا الله » :

عن مالك عن طلحة بن عُبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: « أفضل الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو كل شيء قدير»(٤).

---

(١) «من قالها غُفِرَ له وإن كان فرَّ من الزحف»، حديث صحيح بشواهده، رواه أبو داود، صلاة ١٥١٧، والترمذي، دعوات ١١٨، برقم ٣٥٧٧، وقال الترمذي : غريب.

(٢) رواه البخاري، دعوات ١٥ .

(٣) رواه البخاري في التاريخ، والترمذي في فضائل القرآن ١٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ، باب مس القرآن، حديث رقم ٣٢، حج ٢٤٦، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي دعاء يوم عرفة ١٢٢، وقال الترمذي: حديث غريب.

٢ـ القرآن

أحسن وصف بشري للقرآن، ما قاله الوليد بن المغيرة حينما ذهب للنبي ﷺ وبعد أن قرأ عليه سورة فصلت حتىٰ الآية ١٣ ـ وعاد إلىٰ قومه ـ فسألوه: «ماوراءك.. يا أبا الوليد؟».

قال: «سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط.. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذاالرجل وما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر علىٰ العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به»(١).

وما أبلغ ما قاله **المستشرق الفرنسي د. موريس** في وصف القرآن من أنه: «ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم لمن أراد تقويم لسانه، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنىٰ سورة في حسن المعاني، وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك ترىٰ رجال الطبقة الراقية في الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب، واقتباساً لآياته، يزينون به كلامهم، ويبنون عليه آراءهم، كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة»(٢).

وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ (النحل: ٨٩)(٣).

فعلٌ قبيح: في يوم الثلاثاء ٩ مايو سنة ٢٠٠٥م، داس قطيع من الجنود الأمريكان علىٰ المصحف الشريف ووضعوه في المراحيض ورسموا عليه الصلبان..

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٠٧، وتفسير ابن كثير أول سورة فصلت.
(٢) كتاب البرهان في تجويد القرآن، الشيخ محمد الصادق قمحاوي.
(٣) راجع فصل التشريع الإسلامي، في الباب الأول.

هذا الفعل القذر تم في الدولة الراعية للإرهاب في العالم تحت ستار الحرية والديمقراطية للشعوب.

وأقول : إن هذا الفعل كافٍ لزوالها، وإن هذا لقريب إن شاء الله، فمن تجرأ على الله بهذا الشكل فلن يُفلت من عقابه . . وستكون في القريب العاجل عبرة لغيرها . . وإن غداً لناظره قريب.

والسؤال الآن: لماذا الحديث عن القرآن في باب الأخلاق؟

ذكرنا في المقدمة كيف يمزج القرآن بين الأخلاق والعبادات بشكل رائع، ولذلك حينما سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: **«كان خلقه القرآن»**(١).

والقرآن الكريم حث على الأخلاق حتى في آيات الطلاق: ﴿ **وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

وترى ذلك واضحاً أيضاً في سورة الطلاق.

وسوف نعطي إشارات ووقفات حول بعض المحاور وفيها:

أولاً: فضل قراءة القرآن:

المشقة في القرآن: وردت بعض الأحاديث في فضل قراءة القرآن منها:

١ ـ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**(٢).

---

(١) رواه الإمام مسلم، مسافرين ١٣٩ .

(٢) رواه البخاري، فضائل القرآن ٢١ .

٢ ـ وعن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدوا كل يوم إلى بطحان**[١] **أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين**[٢] **في غير إثم ولا قطيعة رحم**». فقلتُ: كلنا يحب ذلك يا رسول الله، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**»[٣].

٣ ـ عن أبي موسىٰ الأشعري قال: رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة**[٤] **ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»[٥].

٤ ـ عن سهل بن معاذ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن وعمل به أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدينا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا**»[٦]، وفي رواية للحاكم عن بريدة: «**ويكسى والداه حُلتان لا يقوَّم لهما الدنيا، فيقولان:بم كُسينا هذا؟! فيُقال: بأخذ ولدكما القرآن**»[٧].

---

(١) بطحان: موضع بالمدينة.

(٢) كوماء: الناقة العظيمة السنام. . انظر: المعجم الوجيز.

(٣) رواه مسلم، مسافرين ٢٥١.

(٤) الأترجة: التفاحة.

(٥) رواه البخاري، أطعمة ٣٠، فضائل القرآن ١٧، ٣٦، توحيد ٥٧، ومسلم، مسافرين ٢٤٣.

(٦) رواه أبو داود، وتر ١٤، والحاكم، كلاهما عن زيان عن سهل وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٧) رواه أحمد، وروىٰ ابن ماجة بعضه، وحسنه ابن كثير علىٰ شرط مسلم، كما أخرجه الدارمي في سننه، حديث رقم ٣٣٩١.

٥ ـ وعن عبد الله بن المحرر بن العاصي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**(١).

وعند الدارمي في فضائل القرآن: **«اقرءوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن»**(٢).

٦ ـ **أجر المشقة**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ **«الذي يقرأ القرأن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**(٣) فلتفرح يا من يشق عليك القرآن.

ثانياً: الترهيب من نسيانه:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرِضَتْ عليَّ أمور أمتي حتى القذاة(٤) يخرجها الرجل من المسجد، وعُرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»**(٥).

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله أجذم»**(٦)، يعني: مقطوع اليد.

---

(١) رواه الترمذي، ثواب القرآن ١٨، وقال: حسن صحيح، وأبو داود، وتر ٢٠، وابن ماجة وابن حيان في صحيحه.

(٢) الدارمي في فضائل القرآن، قال في الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري، تفسير سورة ٨٠ (عبس)، توحيد ٥٢، ومسلم، صلاة المسافرين ٣٨.

(٤) القذاة: ما ترمىٰ به العين من الرمص والعمص وما يقع في الشراب من الذباب، والمراد: أقل ما يكون من الوسخ.

(٥) رواه أبو داود، صلاة ١٦، وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه، والترمذي، ثواب القرآن ١٩، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٦) رواه أبو داود، وتر ٢١، والدارمي في فضائل القرآن الكريم، ٣.

ثالثاً: هجر القرآن:

- **صور هجر القرآن الكريم** : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (الفرقان: ٣٠).
- **ويقول ابن كثير:** «إن المشركين كانوا لا يصغون إلىٰ القرآن الكريم ولا يستمعون له».
- **ويقول القرطبي:** «أي: قالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر».
- **وفي عصرنا الحديث** (١) ظهر كثير من أبواب هجر القرآن الكريم ومنها: مجالس العزاء، حيث لا أحد يستمع للقرآن وكلٌ يتكلم في شأنه.
- ولقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).
- ولقد روىٰ الترمذي أن الرسول ﷺ أمر المصلي بترك القراءة والإنصات لقراءة الإمام عندما يجهر بها.

ومن أبواب هجر القرآن (٢):

١ ـ هجر تنزيهه والاعتقاد في إعجازه وصلاحه لقيادة الحياة.

٢ ـ هجر السماع.

٣ ـ هجر الإصغاء إليه.

٤ ـ هجر التلذذ بسماعه وتلاوته والميل إليه والتأثر به.

٥ ـ هجر العمل بأحكامه والتوقف عند حلاله وحرامه.

٦ ـ هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

٧ ـ هجر تدبره وتفهمه والحرص علىٰ إدراك مراد الله تعالىٰ فيه.

٨ ـ هجر الاستشفاء من أمراض القلوب وأدواء النفوس.

---

(١) د. طلال محمود، العراق، مجلة منار الإسلام، جمادي الآخرة ١٤٢٧هـ، العدد ٣٨٧.

(٢) مجلة الرسالة، العدد ١٧، ص ٤١ .

وجه المقارنة	صفات قارئ القرآن	صفات هاجر القرآن
في الدنيا	مُقبل على تلاوة القرآن[1] ـ من خيار الناس ـ يرفعه الله درجات فوق درجات .	يهرب من تلاوة القرآن ـ معيشته ضنك ـ مشاكله لا تنتهي ـ صدره مليء بالهموم .
نفسه	مُطمئنة بنور الله ـ يسمع ويطيع لأوامر الله ـ ينتهي عما نهاه عنه القرآن ـ منشرح الصدر .	مضطربة ومكتئبة ـ ضائق الصدر .
قلبه	طاهر نقي . . لا يصدأ أبدًا .	يصدأ كما يصدأ الحديد لأنه منع النور من الوصول إليه .
بيته	يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض ـ مليء بالنور ـ متسع لأهله وخيره كثير ـ تحضره الملائكة ـ وتخرج منه الشياطين .	مثل المقبرة المظلمة ـ ضيق بأهله ـ خيره قليل وإن كثر فقليل البركة ـ لا تدخله الملائكة ـ تسكنه الشياطين
ثوابه	الحرف بـ ١٠ حسنات ـ تتنزل عليه السكنية ـ تغشاه الرحمة ـ تحفه الملائكة ـ يذكره الله فيمن عنده ـ له دعوة مستجابة عند الختام ـ مثله مثل التفاحة ريحها طيب وطعمها طيب	لا شيء له ، مثله مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر ، صدره كالبيت الخرب .
يوم القيامة	يكون القرآن شفيعًا له ـ يكون مع الملائكة ـ يرتقي في درجات الجنة درجات ودرجات	يفقده الله بصره ويحشره بين الخلائق أعمى فيقول : ﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . .﴾

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : «من شغله القرآن وذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ، رواه الترمذي ، فضائل القرآن ٢٥ ، وقال : حسن غريب ، والدارمي ، فضائل القرآن ٦ ، وقال ابن حجر في فتح الباري : ٩/ ٦٦ : رجاله ثقات ، إلا عطية العوفي ففيه ضعف .

رابعاً: الواجبات السبعة [1] :

واجب كل مسلم نحو القرآن مما يعد في، باب الأعمال الواجبة عليه حتى يخرج من دائرة شكوى النبي ﷺ إلى ربه سبحانه عن قومه الذي اتخذوا كتاب الله مهجوراً.

أولاً: تنزيه القرآن الكريم في قلب كل مسلم تنزيهاً لا يعلو عليه شيء والتدريب على ذلك بتعود تقبيل المصحف وتطييبه وتمييزه.

ثانياً: الإنفاق على تعلمه وحفظه والتصدق من أجل ذلك الهدف على معاهده ومشايخه وعلمائه وتكريم حملته وتحريض الأبناء على حفظه وتشجيع أولادنا على ذلك للدرجة التي نقول معها إنه يلزم انتخاب ولد من كل أسرة مسلمة ووهبه للعناية بكتاب الله سبحانه واحتساب ذلك عند الله تعالى.

ثالثاً: اتخاذ ورد يومي لا يصح التغافل عنه وإن غفل عنه عُد كالصلاة المنسية تستوجب عليه حالته قضاء ورده وقت تذكره للحديث: قال رسول الله ﷺ: «**ومن نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر وصلاة الصبح كُتب له كأنما قرأه من الليل**»[2].

رابعاً: وجوب تعلم معاني مفرداته على الأقل لتعينه على تدبره وتحصيل منافعه والانتفاع بقيمه والابتعاد عن نواهيه والتماس أوامره.

خامساً: وجوب تعلم العلم الذي يحسن به قراءته، ويحرص من ذلك على تحسين صوته به..

سادساً: العمل بما فيه وذلك هو المقصود بعبارة القرآن الكريم ﴿حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ فما جاء عن عكرمة أن قوله تعالى: ﴿حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ (البقرة: ١٢١). يعني: ويتبعونه حق اتباعه فيحل في نفسه حلاله ويحرم في نفسه حرامه ويعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه.

---

(١) مجلة الرسالة العدد ١٧، ص ٤٠

(٢) رواه مسلم، مسافرين ١٤٢ .

سابعاً: العمل على إعادة تحكيمه في الناس وإقامة مجتمع يدين به ويدين له .

وهذه الواجبات السبعة تَلْزَم آحاد المسلمين وجماعتهم وشعوبهم، ولاسيما أن مفهوم الهجر للقرآن الكريم وممارسته وصلت إلى مدى لا مثيل له سابقاً في حياة المجتمعات المسلمة عبر تاريخها الطويل .

خامساً : آداب التلاوة ، أي : « ما يُستحب لقارئ القرآن » :

قال الإمام القرطبي: «لا يمس القارئ القرآن إلا طاهراً . .

وأن يقرأه وهو على طهارة . .

وأن يستاك، ويتخلل فيطيب فاه . .

وأن يلبس كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناج . .

وأن يستقبل القبلة لطهارته . .

وإذا تثاءب يمسك عن القراءة . .

وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة . .

ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . .

وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة . .

وأن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلامه فيخلطه بجوابه . .

وأن يقرأه على تؤدة وترسل وترتيل . .

وألا يخلي يوماً من أيامه عن النظر في المصحف مرة . .

وأن يعطي عينه حظها منه . .

وألا يقرأه بألحان الغناء كألحان أهل الفسق . .

وألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه . .

وألا يقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء . .

وألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه . .

ولا يرمي به إلىٰ صاحبه إذا أراد أن يناوله . .

وألا يصغر المصحف كمصيحف . .

وألا يكتب علىٰ الأرض، ولا علىٰ الحائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة . .

وأن يفتتحه كلما ختمه، فعن أبيّ بن كعب : «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ افتتح من ﴿الْحَمْدُ﴾ ثم قرأ من البقرة إلى ﴿ ...وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾، ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام»(١).

ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله(٢) .

فقد كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . .

وعن الحكم قال : كان مجاهد وعبدة بن قتادة بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا : «احضرونا فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن» .

(١) الإتقان للسيوطي، ص ٣٤ .

(٢) مختصر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص ٣٤ .

ويضيف السيوطي في الإتقان، ص ٣٥ : من آداب التلاوة : «ويكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها، ويكره أن يقول : نسيت آية كذاب، بل أُنسيتها» .

المذاهب الإسلامية علىٰ وصول ثواب القراءة للميت، وذلك خلاف الإمام الشافعي .

التوصيات العملية لحفظ القرآن الكريم

أولاً: برنامج احتساب مدة حفظ القرآن الكريم ..

اعتماداً على الله أولاً، ثم على الهِمَّة، وقدرة الحفظ اليومي للآيات :

م	كمية الحفظ اليومي للقرآن	المدة التي تحفظ فيها			ملاحظات
		سنة	شهر	يوم	
١	إذا حفظت في اليوم آية واحدة فقط	١٧	٧	٩	....
٢	إذا حفظت في اليوم آيتين	٨	٩	١٨	....
٣	إذا حفظت في اليوم ثلاث آيات	٥	١٠	١٣	....
٤	إذا حفظت في اليوم أربع آيات	٤	٤	٢٤	....
٥	إذا حفظت في اليوم خمس آيات	٣	٦	٧	....
٦	إذا حفظت في اليوم ست آيات	٢	١١	٤	....
٧	إذا حفظت في اليوم سبع آيات	٢	٦	٣	....
٨	إذا حفظت في اليوم ثمان آيات	٢	٢	١٢	....
٩	إذا حفظت في اليوم تسع آيات	١	١١	١٢	....
١٠	إذا حفظت في اليوم عشر آيات	١	٩	٣	....
١١	إذا حفظت في اليوم إحدى عشر آية	١	٧	٦	....
١٢	إذا حفظت في اليوم اثني عشر آية	١	٥	١٥	....

بعد عرض هذا الجدول يتضح أن حفظ القرآن من السهولة بمكان ولكن ابدأ من الآن، وبعد الآيات التي تيسر لك حفظها، وسوف تتم هذه المهمة بسهولة إن شاء الله تعالى. . حدد لنفسك كمية الحفظ اليومي وسجل ذلك في مفكرة القارئ التي ستأتي في البند الثالث من التوصيات .

ثانياً: بعض القواعد الذهبية التي تساعدك في حفظ القرآن :

القاعدة الأولى: الإخلاص .

القاعدة الثانية: تصحيح النطق والقراءة (تلقي القرآن من قارئ) .

القاعدة الثالثة: تحديد نسبة الحفظ كل يوم (كما في الجدول السابق) .

القاعدة الرابعة: لا تجاوز مقررك اليومي حتى تجيد حفظه تماماً .

القاعدة الخامسة: حافظ على رسم واحد لمصحف حفظك . هناك مصاحف الصفحة بها ١٢ سطر وهناك مصاحف بها ١٥ سطر . المهم أن تحفظ من نسخة ثابتة معك .

القاعدة السادسة: الفهم طريق الحفظ[١] ، فليكن معك مثلاً (كلمات القرآن . . تفسير وبيان) للشيخ حسين مخلوف ، أو تحفظ من مصحف به هامش تفسير .

القاعدة السابعة: لا تجاوز سورة حتى تربط أولها بآخرها .

القاعدة الثامنة : التسميع الدائم في الصلوات أو غيرها ، وذلك مهم لتدارك الأخطاء .

القاعدة التاسعة: المتابعة الدائمة **«فالقرآن أشد تفلتاً من الأبل في عقلها»**[٢] .

القاعدة العاشرة: العناية بالمتشابهات ، ولا مانع من عمل جدول لها معك دائماً وتكثر من قراءتها وتسميعها ، ويمكن الاستعانة في ذلك بعد الله تعالى بكتاب : (درة التنزيل وعزة التأويل في بيان الآيات المتشابهة ، للخطيب الإسكافي) .

القاعدة الحادية عشر: اغتنم سنين الحفظ الذهبية . . فإن كانت فاتتك فحاول ألا يفوت أولادك وهي المدة من الخامسة إلى الثالثة والعشرين ، والحفظ بعد ذلك ممكن جداً ولكن النسيان يزداد بعد هذا السن ، فيحتاج إلى مضاعفة المتابعة والمراجعة .

---

(١) يحكي شاعر الإسلام محمد إقبال ـ رحمه الله ـ قصته مع القرآن فيقول : قد كنتُ أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان أبي يراني فيسألني : ماذا أصنع؟ فأجيبه أقرأ القرآن ، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات ، يسألني سؤاله فأجيب جوابي ، وذات يوم قلت له : ما بك يا أبي تسألني نفس السؤال وأجيبك جواباً واحداً؟ ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال : إنما أردتُ أن أقول لك ، يا ولدي اقرأ القرآن كما نزل إليك ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اكتسبت ، ومن درره ما نظمت . . (روائع إقبال ، ص ٣٩) .

(٢) رواه مسلم ، مسافرين ٢٣١ .

ثالثاً: من الوسائل المساعدة الآتي:

١ ـ شريط كاسيت : (كيف تحفظ القرآن؟)[١] .

٢ ـ شريط كاسيت : (٣٠ وسيلة لتحفيظ القرآن للأطفال)[٢] .

٣ ـ إسطوانة CD تحفيظ القرآن الكريم[٣] .

٤ ـ جدول متابعة القرآن الكريم (مفكرة قارئ) .

٥ ـ العصور القادمة ستشهد ابتكار وسائل لحفظ القرآن تتميز بالسرعة والسهولة، وأكثر دقة . . فاغتنم ما يناسبك[٤] .

السورة	الآية	السورة	الآية	السورة	الآية	السورة	الآية
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....
....	....	....	....	....	....	....	....

(١) هذا الشريط، للدكتور: راغب السرجاني، من إنتاج شركة النور للإنتاج الإسلامي والتوزيع، الدقي، القاهرة.

(٢) هذا الشريط، للدكتور: ياسر نصر، من إنتاج شركة بداية للإنتاج الإسلامي والتوزيع.

(٣) هذه الاسطوانة من إنتاج شركة حرف.

(٤) يمكن نقل هذا الجدول على ورق مقوى أو تصويره وتصغيره ليظل في جيبك دائمًا تحمله مع المصحف.

القرآن في عيونهم

أ ـ هل أنت من أهل القرآن ؟(١)

قال **عبدالله بن مسعود** : «ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصحته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يضحكون».

وقال **محمد بن كعب** : «كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه». . وهذه إشارة إلى طول تهجده.

وقال **الفضيل بن عياض** : «حامل القرآن حامل راية الإسلام، ولا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو تعظيماً لله تعالى».

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر قال: « **لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجِدَ مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله**»(٢) .

ب ـ أثر القرآن على غير المسلمين:

يقول **الأستاذ سيد قطب ـ صاحب الظلال رحمه الله ـ** : «إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري أن له سلطاناً عجيباً على القلوب، ليس للأداء البشري حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً، وعندما كنتُ مسافراً إلى أمريكا ضمن بعثة دراسية استأذنتُ قبطان السفينة أن نصلي الجمعة فسمح لنا بذلك، ثم سمح للعاملين المسلمين على السفينة بالصلاة، وخطبت الجمعة وصلينا، وعدت إلى غرفتي وبعد قليل جاءني بعض الناس ومعهم امرأة في البداية هنأتني بنجاح القداس، فقلت لها: هذه صلاة الجمعة وشرحت لها الأمر.

---

(١) هذه الأقوال من كتاب: المختار من كتاب التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي، ص ٢١، ٢٢، هدية مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ.

(٢) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وفي الترغيب ٢٠٧٨ .

قالت: ولكن هناك كلمات كنت تقولها أثناء الخطبة هي ليست من كلامك كنت أحس ساعة سماعها برعدة في جسدي، وهزة عنيفة، فهذه ليست كلماتك، من أين جئت بها؟ فقلتُ لها: نعم هذه ليست كلماتي، فتعجبت أكثر، فقلت لها: إنها آيات القرآن الكريم كنت أستشهد بها في أثناء الخطبة(١).

جـ ـ عند المسلمين من غير العرب:

١ ـ في الطواف: بعد أن انتهيت من طواف العمرة أخذت في صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم ووضعت المصحف أمامي وأنا أصلي في صحن الكعبة، فإذا بمسلم يتحدث العربية وقف بجواري حتى انتهيت من الصلاة، وقال لي ـ مشيراً إلى المصحف رافعاً إياه ـ: هذا دستور لا يوضع على الأرض، ولو كانت صحن الكعبة.

٢ ـ في الحرم المكي وفي المسعى العلوي (الطابق الثاني) سرتُ في وقت هادئ أراجع ما حفظت من كتاب الله وفي يدي المصحف، ووضعت يداي خلف ظهري وأنا أسير متمهلاً أراجع. . فإذا بأحد المسلمين لا يتحدث العربية ينبهني بإشارات ألا أضع المصحف خلف ظهري هكذا. . فانتبهت لذلك، وكان ذلك دأبي بعد ذلك فكلما سرت في خلوة أراجع الحفظ وفعلت هذه الفعلة تذكرت فأنتهي فوراً أو أعيد يَديَّ إما بجواري أو أمامي طالما فيها المصحف.

د ـ المقياس الرباني :

يقول الله تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (النساء: ٦٥)(٢).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، تفسير سورة يونس، الآية ٣٨، ص ١٧٨٦ ط. دار الشروق.

(٢) قال ابن كثير: يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يُحكِّم الرسول في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿**ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا**﴾، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما في الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به**»، مختصر ابن كثير، جـ١، ص ٤١٠.

يقول ابن مسعود : «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله تعالىٰ ورسوله ، وإن كان يبغض القرآن فإنه يبغض الله ورسوله» .

هـ ـ ماذا علمنا القرآن؟

يقول الله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨) .

إذن بوسعنا أن نقول إن القرآن علَّمنا كل شيء .

١ ـ **علمنا القرآن كيف نمشي**، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ..﴾ (الإسراء: ٣٧)، وقال تعالىٰ : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ..﴾ (لقمان: ١٩)، وكان النبي ﷺ يمشي مسرعاً كأنما ينحدر من علىٰ الجبل . . فإذا التزمنا مشيته ﷺ، كان المشي بالنسبة لنا عبادة .

٢ ـ **علمنا القرآن كيف نذهب إلى المسجد**، قال تعالىٰ : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ..﴾ (الأعراف: ٣١) .

٣ ـ **علمنا كيف نأكل**، قال تعالىٰ : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ..﴾ (الأعراف: ٣١) عدم الشراهة في الأكل . . وعدم قلة الأكل . . فلا نأكل حتىٰ نجوع ، وإذا أكلنا لا نأكل حتىٰ نشبع ، فعن المقداد بن معد يكرب ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«ماملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة: فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه»**(١) .

٤ ـ **علمنا القرآن كيف نبصر** . . قال تعالىٰ : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ..﴾ (النور: ٣٠) ، وحثنا علىٰ عدم النظر للمحرمات حيث قال النبي ﷺ : **«يا علي لا تُتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة»**(٢) .

---

(١) رواه الترمذي ـ زهد ٤٧ ، ورواه أحمد في المسند، جـ٣، وأخرجه ابن ماجة في الأطعمة، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود ، النكاح ٤٣ ، والدارمي في الأدب والرقائق ٣ ، وأحمد في المسند، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

٥ - **علمنا القرآن كيف نسمع،** قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ (الإسراء: ٣٦).

والآن تجد نفسك أمام حقيقة لا يستطيع أحد ان ينكرها وهي ان :

القرآن دستور المسلمين (١) :

بعد قراءة هذه الموسوعة تستطيع أن تصل إلىٰ هذه النتيجة الحتمية، وهي أن القرآن دستور للبشرية كلها، حتىٰ غير المسلمين - كما سترىٰ الآن - يعيش بهذا القرآن دستوراً لحياته.

إن الله خلق الناس، ولم يدعهم هملاً، ولم يتركهم سدىٰ، بل شرع لهم شرائع، وسَنَّ لهم قوانين أوجب عليهم أن يلتزموها، وألا يحيدوا عنها تطبيقاً، لقول الله تعالىٰ: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ (طه).

وما شرعه الله أنفع للإنسان مما صنعه الإنسان: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (المُلك: ١٤). وهذه الأحكام يُسرٌ لا عنت فيها ولا مشقة ولاحرج، فالرحمة صفة من صفات الله ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

والرحمة صفة من صفات الكتاب، فقد جاءتكم بينة من ربكم وهدىٰ ورحمة. وهذه الرحمة تتجلىٰ فيما جاءنا من أحكام.

واقرأ أيها الباحث المفكر (فاتحة الكتاب) وتأمل هذا البدء العجيب الرائع وكيف يفتتح الله القرآن بما يلقي عليه من الهيبة. . وما يبعد اليأس عن النفوس، وبما يقيم الرابطة بين الإنسان وربه علىٰ أساس من الحب العميق، والرحمة الشاملة التي وسعت كل مخلوقات الله، فأول ما يقرع السمع :

---

(١) من كلمة للأستاذ الشيخ : محمود عبد الوهاب فايد، أذاعتها محطة الإذاعة بالكويت مساء الثلاثاء ٤ رمضان ١٣٧٩، أول مارس ١٩٦٠م، من كتابه الإسلام وأثره في نهضة الشعوب.

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فباسم الله صدر هذا الدستور، ولم يصدر باسم ملك متجبر، ولا أناس لهم هوىٰ يتحكم فيهم. . نعم صدر باسم الله الذي تنزه عن الهوىٰ، وعن العبث، وعن السفه، صدر باسم الله ليكون له وقع في النفوس، وهيبة في القلوب تحمل علىٰ اتباعه وتقديسه، والابتعاد عن التلاعب، لأنه صادر ممن بيده المُلك، وهو علىٰ كل شيء قدير.

صدر هذا الدستور باسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا يستقبلنا دستور الله باسمه الرحمن الرحيم ليذكرنا برحمته الواسعة، وليطمئننا علىٰ أن هذه الأحكام لاعنت فيها ولا مشقة، لأنها صادرة من الرحمن الرحيم.

ويُثَنِّي الله بعد ذلك بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فمنزل القرآن هو صاحب النعم، جليلها ودقيقها، أصولها وفروعها، المستحق للحمد من جميع الخلائق فهو رب العالمين، وليس رب المسلمين وحدهم، بل هو رب المسلمين واليهود والنصارىٰ وغيرهم من الخلائق، يتعهدهم بتربيته، ويتولاهم برحمته، وبهذا المطلع يلقي في قلوب الناس جميعاً الرضا والاطمئنان إلىٰ أحكامه ومبادئه، ففيها ما ينفعهم ويحميهم، لا ما يضرهم ويؤذيهم، ومن لطف الله سبحانه أنه يعود بعد ذلك مباشرة فيقول: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، فيضع العالمين بين رحمته، رحمة سابقة ورحمة لاحقة. . هذا هو مطلع القرآن وما يوحي به.

أما ختامه فهو إرشاد من الله لنا لنستعيذ به من كل ما يعكر النفوس، ويهدد السلام، ويثير الخصام، ويفسد العلاقات. . في هذا الختام يرشدنا المولىٰ كيف نستعيذ به من كل ما يوحي بالشر إنسياً كان أم جنياً، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ (الناس).

هذا هو بدء القرآن. . وهذا هو ختامه. . رحمة من الله تبعد عنا الشر. . وتجلب لنا الخير. . وتهدينا إلىٰ الصراط المستقيم. . فما ظنك ـ أيها الأخ الكريم ـ بما يتخلله من أحكام ومبادئ، هل يمكن أن تشذ عن هذا المطلع وهذا المقطع؟ كلا. .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٩).

لقد بين القرآن ـ وهو دستور عالمي ـ كل ما لزم الأمة في حياتها، وجاءت السنة ـ وهي المذكرة التفسيرية لدستور القرآن ـ موضحة ما أُشكل، مُفَصِّلَة ما أُجْمل بتكليف رباني، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤).

لقد أوضح القرآن وأوضحت السنة واجب الحاكم والمحكوم، وعلاقة كل منهما بالآخر، وعلاقة المسلمين بعضهم مع بعض، وعلاقتهم بغيرهم من المخالفين في أرضهم، وفي الدول الأخرىٰ، كما شهد بهذا الدارسون المنصفون.

فإلىٰ الذين يتهيبون الإسلام ويتخوفون أحكامه نوجه إليهم هذه الكلمة، فإن كانوا مخالفين لنا في الدين من اليهود والنصارىٰ قلنا لهم: لا ترتاعوا واطمئنوا فالإسلام يطعمكم من جوع، ويؤمنكم من خوف، وتذكروا التاريخ يخبركم أن **عمر بن الخطاب** خرج ذات يوم فوجد يهودياً علىٰ باب المسجد يتكفف الناس فسأله عمر: «من أنت؟ وما حالك؟»(١).

فقال: يهودي من أهل الكتاب أسأل الحاجة والجزية والسن.

فقال عمر: «ما أنصفناك، أخذنا الجزية وقت شبابك، وتركناك وقت هرمك»

ثم أخذ به إلىٰ أمين بيت مال المسلمين ـ إي والله ـ إلىٰ بيت مال المسلمين لابيت مال اليهود ـ فقال عمر لأمين بيت المال: «انظر هذا وضرباءه فأعطهم ما يكفيهم وأهليهم بالمعروف».

كذلك يحدثنا التاريخ أن **عمر بن الخطاب** استدعىٰ عمرو بن العاص ـ فاتح مصر ـ ليحاسبه علىٰ جريرة ابنه، وليمكن للقبطي من ضرب ولده الذي أساء له وليقول له بعد أن اقتص منه القبطي هذه الكلمة التي دوت في الآذان، ووعتها الأذهان علىٰ مر الزمان: «يا عمرو متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟». هكذا أطعمهم الإسلام من جوع، وآمنهم من خوف، وحماهم من ظلم، وحافظ علىٰ حرياتهم.

---

(١) الإسلام وأثره في نهضة الشعوب، محمود عبدالوهاب فايد، ص ٥٧، ٥٨، ط. دار الاعتصام، عام ١٩٨٨ .

وبعد . . فواجب على المسلمين في أنحاء العالم أن يعودوا إلى كتاب الله، ويحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويقيموا حدوده وأحكامه . . عليهم أن يحتكموا إلى الشريعة الإسلامية، ففيها ما يغنيهم عن القوانين الأجنبية . . عليهم أن يأخذوا بالكتاب كله حتى لا يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) ﴾ (النساء).

إلى أمثال هؤلاء الذي يتجاهلون أحكام الله، أو بعض أحكامه، ويرتابون في حدوده . . نوجه إليهم هذا السؤال:

هل ترون أن كتاب الله انتهت مهمته وانقضت مدته وأحيل إلى المعاش، فلاوظيفة له اليوم بين الناس، لأن ما جاء فيه من أحكام الربا والحدود لا يمكن ـ على زعمكم ـ تطبيقه، ولا يتيسر تنفيذه؟

إذن . . فلماذا تعهد الله بحفظه بجميع ما فيه من أحكام الربا والحدود؟

لماذا ضمن الله له الخلود والبقاء فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)؟

هل حفظه الله ليستَجْدي به الناس على قارعة الطريق؟

أو ليودع في دار الآثار على أنه أثر عتيق؟

كلا . . بل حفظه الله ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم، وليحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (الأنعام: ١٩)، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٥٠) ﴾ (المائدة). وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

وقال رسول الله ﷺ: «**كتاب الله.. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِنْ جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله**»[1].

ويأتي السؤال: ماذا فعل الغرب بما في القرآن من فوائد ومنافع؟

والإجابة عن ذلك أذكرها في هذا التشبيه..

هب أن في يدك كوباً من اللبن وأمسكت به ونظرت إليه وقلت في نفسك: كم لهذا اللبن من فوائد كثيرة، ومنافع عظيمة، وكم أنا محتاج إلىٰ هذه الفوائد، فبدون هذه الفوائد والمنافع أتعرض لأمراض ومشاكل كثيرة، وظللتَ علىٰ هذا الحال، وجاء رجل من خلفك وأحضر أنبوبة طويلة (شفاط) ووضعها في الكوب والطرف الآخر في فمه وشرب اللبن عن آخره، وأنت مازلتَ ممسكاً بالكوب.

فالذي شرب اللبن (عمل بكل ما في القرآن) أخذ كل الفوائد والمنافع التي تعود عليه بالخير في الدنيا، وطبقها ونفذها في حياته.

ولقد ذكر الغربيون أن القرآن ندوة علمية للعلماء، ودائرة معارف.. فهل ننتفع بما في القرآن.. أم نتركه موضوعاً علىٰ الأرفف؟!

---

(١) رواه الترمذي، فضائل القرآن ١٤، وقال الترمذي: حديث غريب.

٢ - الدعاء

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠).

فهذا رسول الله ﷺ في بدر يدعو ربه ، فكان منذ رجوعه من تعديل الصفوف يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: **«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك..»**[١] .

حتى إذا حمى الوطيس واستدارت رحى الحرب بشدة، واحتدم القتال، وبلغت المعركة مداها قال: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض بعد اليوم..»**[٢].

وبالغ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده عليه الصديق وقال : «حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك»[٣] .

ونتحدث عن الدعاء من خلال هذه المحاور :

١ - الدعاء في القرآن:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)، ويقول أيضاً: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . .

فأي رقة؟ . . وأي انعطاف؟ . . وأية شفافية؟ . . وأي إيناس؟ . .

وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود؟ . . وفي ظل هذا القرب؟ . . وأنت تجد في كل لفظ في الآية تلك النداوة الحبيبة . .

---

(١) رواه مسلم، جهاد ٥١ .

(٢) رواه مسلم، جهاد ٥١ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

(٣) الرحيق المختوم غزوة بدر ص ٢٠ .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾ إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم مِنَّةٌ من الله، فلم يقل: فقل إني قريب، وإنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال، فقال لهم: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾، ولم يقل: أسمع الدعاء.. إنما عجَّل بإجابة الدعاء.

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وتأتي الثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك.. وهي الرشد والهدى والصلاح(٣).

و يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠). فالدعاء هو العبادة.

٢ ـ لماذا ندعو؟

١ ـ استجابة لأمر الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ..﴾.

٢ ـ إحياءاً لسنة النبي ﷺ، فقد وردت عنه أدعية في كل لحظة وحركة من حركات اليوم والليلة، وعلى أي حال، ولكل شيء. حتى ذكر لنا الرسول ﷺ دعاء الخلاء (دورة المياه).

٣ ـ للنوازل التي تنزل بالأمة والأفراد.. فقد كان النبي يدعو في النوازل، كما ورد عنه أنه ظل شهراً يدعو في كل الصلوات على قبيلة رعل وذكوان لما قتلوا الصحابة رضوان الله عليهم وغدروا بهم.

٤ ـ يكون الدعاء إيقاظاً للغافل، ليعلم أن هناك خطراً يحيط بالأمة.

٥ ـ ندعو حتى نُعذر أمام الله تعالى، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه ولا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه»**(٢). وأقلُّ الدفع عنه: الدعاء له، أو التبرع له.

---

(١) ظلال القرآن، جـ١ تفسير الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) رواه الطبراني، والبيهقي، وإسناده حسن، وذكره في الترغيب والترهيب ٣٥٤٩، والكبائر، ص ٣٩، باب الظلم.

٣ - مالنا ندعو ولا يستجاب لنا.. وربنا يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ ؟

١ - إن الله قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، ولم يقل: إذا سألك الناس أو: سألك المؤمنون، وإنما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ . . ونحن بعد لم نحقق العبودية الكاملة لله تعالى، وهي: «أن يراك الله حيث أمرك، ويفتقدك حيث نهاك» . . فالعابد يتعلق بالمعبود في كل حركة من حركاته، ولا يدخل العبد تحت هذا الحديث: «**تعس عبد الدينار.. تعس عبد الخميصة..**»(١).

٢ - لم نحقق شروط الدعاء وهي:

أ - حضور القلب.

ب - أن نوقن بالإجابة: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة».

٤ - آداب الدعاء:

عن أبي هُريرَة رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن اللّه تعالى طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلا طيِّبا، وإن اللّه أمَرَ المؤمنينَ بما أمَرَ به المُرسَلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** (المؤمنون: ٥١). وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** (البقرة: ١٧٢). **ثم ذكرَ الرَّجُل يُطيلُ السفرَ أشعَث أغبرَ، يَمُدُّ يديه إلى السماء: يَارب، يارب، ومَطعَمُهُ حَرَام، ومَشربُه حَرَامٌ، وملبسهُ حَرَام، وغُذي بالحَرَام، فأني يُستَجابُ لهُ**»(١).

من الحديث يتضح أن من أسباب إجابة الدعاء :

١ - إطالة السفر، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**»(٣)، ففي السفر يحدث الانكسار بطول السفر والغربة عن الأوطان؟

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ٧٠، رقاق ١٠ .

(٢) رواه مسلم، زكاة ٦٤ .

(٣) رواه أبو داود، وتر ٢٩، وابن ماجة، دعاء ١١، والترمذي، بر ٧، دعوات ٤٧، وقال الترمذي: حديث حسن .

٢ ـ الخضوع لله تعالىٰ والانكسار بالشعث والاغتبار.

٣ ـ مد يديه إلىٰ السماء . . قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»**(١).

٤ ـ الإلحاح علىٰ الله عز وجل . . بتكرير ذكر الربوبية : يارب يارب يارب .

٥ ـ من الآداب تخير الأوقات والأحوال . . واقرأ هذه الأحاديث :

* عن أبي هريرة: **«ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»**(٢) . . ولذلك جاء ذكر الدعاء في ثنايا الآيات التي تتحدث عن الصيام.

* سئل رسول الله ﷺ عن أفضل أوقات الدعاء، فقال: **«جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة»**(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء»**(٤).

* وقال ﷺ: **«الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد»**(٥).

قد تحدث العبودية الكاملة.. وقد تحدث الاستجابة الكاملة من الله.. والأخذ بجميع أسباب الدعاء.. ولا يستجاب لنا.. فما السبب؟

السبب أن هناك موانع لاستجابة الدعاء . .

---

(١) رواه أبو داود، وتر ٢٣، والترمذي، دعوات ١٠٤، وابن ماجة، دعاء ١٣ .

(٢) رواه الترمذي، جنة ٢ ، دعوات ١٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن .

(٣) رواه الترمذي ، إيمان ٨، دعوات ٧٨، ١١٨، والنسائي، مواقيت ٣٥، ٤٠، صيام ٣٩، وابن ماجة ، إقامة ١٤٨ ، وقال الترمذي : حديث حسن.

(٤) رواه مسلم، صلاة ٢١٥ .

(٥) رواه الترمذي، صلاة ٤٤، دعوات ١٢٨، وأبو داود، صلاة ٣٥، وقال الترمذي: حديث حسن.

٥ ـ موانع استجابة الدعاء :

١ ـ **التوسع في الحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذية :** قال النبي ﷺ لسيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حينما سأله : مالنا ندعو ولا يُستجاب لنا؟ قال ﷺ : « **يا سعد .. أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»(١) .

ولذلك قيل لسعد بن أبي وقاص : «كيف تُستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟»، قال : «ما رفعتُ إلى فمي لقمة إلا وأنا أعلم من أين مجيئها، ومن أين خرجت»؟

وعن **وهب بن منبه** قال : «من سرَّه أن يستجيب الله دعوته فليُطيِّب طُعْمَتَه» .

وعن **سهل بن عبد الله** قال : «من أكل الحلال أربعين صباحاً، أجيبت دعوته» .

وقال **يوسف بن اسباط** : «بلغنا أن دعاء العبد يُحبس عن السماوات بسوء المطعم»(٢) .

فالأكل والشرب واللبس الحلال سبب موجب لإجابة الدعاء .

٢ ـ **ارتكاب محرمات فعلية وكذلك ترك الواجبات ..** قال بعض السلف : «لاتستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي» .

فقال بعض الشعراء :

نحن ندعو الإلـه في كل كـرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيـف نرجـوا إجابـة لدعـاء ... قد سددنا طريقها بالذنوب ؟

وقيل لسفيان : لو دعوت الله؟ قال : ترك الذنوب هو الدعاء!!

ففعل الطاعات يكون موجباً لاستجابة الدعاء، ولهذا توسل الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودعوا الله بها فأجيبت دعوتهم؟

---

(١) رواه الطبراني عن عبد الله بن عباس، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص ١٢٧، في شرح الحديث العاشر الذي رواه مسلم .

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص ١٣٨، طبعة دار التراث .

إذن .. فما مصير دعاء الصالحين؟

أليس منا رجل صالح يدعو فيستجيب الله دعاءه. . فهذا المليار ونصف المليار مسلم: أليس فيهم رجل صالح يدعو الله فيستجيب الله له؟

نقول: نعم فيهم. . ولكن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الأخيار. لحديث حذيفة، أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليهم عقاباً منه أو يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم**»(١) .

وما مصير دعائنا؟ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**». قالوا: إذن نكثر، قال: «**الله أكثر**»(٢).

نقف عند هذا الحديث ونتساءل:

هل نختار لأنفسنا فنقول: يارب استجب لنا في هذا الأمر لأننا نريده؟

أم نترك الله يختار لنا ـ وهو أعلم بما ينفعنا ـ فإما أن يعجل الإجابة، أو يدخرها، أو يرفع بلاءً كان نازلاً.

اسأل نفسك: هل تفضل اختيارك لنفسك؟ أم اختيار الله لك؟

نماذج من القرآن:

١ ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ (الكهف: ٧١)

وتظهر النتيجة أن اختيار الله أفضل:

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: ٧٩).

---

(١) رواه الترمذي، فتن ٩، وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند، جـ ٥، ص ٣٨٨، وأبو داود، ملاحم ١٦ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٨، وعند الترمذي، دعوات ١١٥، بلفظ: «**ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم**»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

٢ ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (الكهف: ٧٤)

وتظهر النتيجة أن اختيار الله أفضل:

﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ . .

في الواقع: يريد الطالب أن يحصل على مجموع عالٍ ليدخل كلية من كليات القمة، قد يحدث هذا ثم يفشل، وقد يدخل كلية عادية ويتفوق فيها . . فما الحل؟

الحل: أن يجتهد الطالب، ويأخذ بالأسباب، وما يقدره الله هو الأفضل . . يرضىٰ به، ثم يجتهد من جديد . .

فوائد مهمة في الدعاء:

الفائدة الأولى: الدعاء والمحراب وحاجة الأمة:

المحراب هو: صدر البيت، وأكرم مكان فيه، وهو مكان الإمام في المسجد، يقول الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

الرزق هنا ليس كما يُقال فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[١]، والذي يؤكد ذلك الآتي:

١ ـ أن الله تعالىٰ جعل فاكهة الشتاء في الشتاء لحاجة الجسم إلىٰ هذه العناصر الموجودة فيها شتاءً، فمثلاً البرتقال غني بفيتامين (ج)، ويحتاج الجسم إليه بكثرة، كما أن الجسم يحتاج إلىٰ سكريات العنب أكثر في فصل الصيف.

٢ ـ ليس إعجازاً الآن أنت ترىٰ فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، سواء لوجود الثلاجات أو لوجود الصوبات الزراعية.

---

(١) قال ذلك ابن كثير عن مجاهد وعكرمة والسدي، وعن مجاهد: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، أي علماً، وقال ابن كثير: الأول أصح، راجع مختصر ابن كثير، ص ٢٧٩، ويقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «ولا نخوض نحن في صفة هذا الرزق، كما خاضت الروايات الكثيرة، فيكفي أن نعرف أنها كانت مباركة يفيض من حولها الخير، ويفيض الرزق من كل ما يسمىٰ رزقاً»، انظر: في ظلال القرآن، ص ٣٩٣ .

٣ ـ حاجة سيدنا زكريا لم تكن طعاماً وشراباً، بل كانت الولد: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾ (آل عمران).

ومما تقدم يتضح لنا أن الرزق هنا ليس هو رزق الطعام والشراب وفقط، بل هو الرزق بمفهومه الشامل[١].

والآن المطلوب من الأمة بجميع أفرادها وطوائفها أن تفقه قيمة المحراب.. فليقف الآباء في المحراب، ويتربى الأبناء على التوجه إلى المحراب، ويذهب المحتاج فيقف في المحراب، ويتمسك القائد بالمحراب حتى تعرف الجنود قبلة النصر، ولتجعل الأسرة في البيت محراباً لتصبح بيوتاً لا تدخلها الشياطين.

الفائدة الثانية: معركة الخبز والدعاء:[٢]

يخرج المسلم من بيته ليباشر العمل الذي يؤديه.. وكذلك يغدو كل الناس إلى أعمالهم.. يحملون همَّ أرزاقهم، وتستحوذ القضية على أفكارهم، فهم يريدون الكثير لأنفسهم وأهليهم.. وصاحب الرسالة كان يستحضر هذه المشاعر وهو يناجي ربه عندما يخرج من بيته يقول: «**باسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك من أن أَذل أو أُذل، أو أَضل أو أُضَل، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمْ، أو أَجْهَل أو يُجْهَلْ عليَّ**»[٣].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: **بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولاقوة إلا بالله، يُقالُ له: هُديت وكُفيت ووُقيت**»[٤].

---

(١) راجع الباب الأول، قضية الرزق.

(٢) كتاب (فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء) للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ص ٤٩.

(٣) رواه ابن ماجه، دعاء ١٨، وأبو داود، أدب ١٠٣، والترمذي، دعوات ٣٦، والنسائي، استعاذة ٣٠، ٦٥، وأحمد في المسند ٦/ ٣٠٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود في الأدب ١٠٣، والترمذي في الدعوات، وابن ماجة، دعاء ١٨.

وعندما تضطرب أحوال المعيشة وتبرز صعوبات مقلقة [١] يزداد تشبث المسلم بربه، فعن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما يمنع أحدكم إذا عَسُر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته: بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللهم رضني بقضائك، وبارك فيما قُدِّر لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولاتأخير ما عجلت»**[٢] .

والإسلام هنا يعلمنا عدم العجز والاستسلام والهزيمة النفسية . . فعبدالرحمن ابن عوف حينما أخذوا ماله وهو خارج للهجرة لم يقف قائلاً: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، ثم جلس ينتظر من السماء . . ولكنه سعىٰ وأخذ بالأسباب، وتوكل علىٰ رب الأسباب.

يقول **عمر بن الخطاب**: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ثم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

إن الحياة المعاصرة لا تشكو من متوكلين لا يعملون، إنما تشكو من عاملين لايتوكلون، وكل ما يشغل بال كثير من الناس هو: كيف يحصل علىٰ كل ما يريد، ولا يهمه أم من حلال أم من حرام؟ . . ولو عاد إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لعلم قول رسول الله ﷺ: **«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»**[٣] .

وكان من دعائه أيضاً: **«اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً»**[٤] .

---

(١) الواقع أن بعض النساء تقول لزوجها: «إنَّ فلانة عندها كذا وكذا . . أما نحن فلا شئ عندنا، وتدفعه إلىٰ جلب المال من أي طريق، علىٰ العكس من ذلك المرأة في صدر الإسلام كانت تقول لزوجها: «اتق الله ولا تطعمنا إلا من حلال، فإننا نصبر علىٰ الجوع ولا نصبر علىٰ نار جهنم».

(٢) رواه ابن السني عن ابن عمر، الأذكار للنووي، ص ١٠٨ .

(٣) رواه الترمذي، في الدعاء، ١١٠ ، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٤) أخرجه ابن ماجة، إقامة ٣٢، وأحمد في المسند، جـ٦ ، وفي الزوائد: رجال إسناده ثقات.

الفائدة الثالثة : الدعاء في حياتك :

شرع لك الإسلام دعاء في كل حركة من حركاتك، في النوم، وفي اليقظة، في الحركة، وفي السكون، في الزواج.. في الموت... في الطعام.. حتىٰ دخول دورة المياة والخروج.. حتىٰ في جماع الزوجة.. حتىٰ في النظر إلىٰ المرآة.. وفي ركوب المواصلات.. وفي الهم والحزن.. وفي الفرح والسرور.. ما من حركة ولا سكنة في حياة الفرد المسلم إلا وفيها دعاء.. وكل الذي عليك أن تعرف الدعاء الذي يقال في كل وقت ثم تردده في وقته بإخلاص وتوكل علىٰ الله.. بذلك تكون قد أديت عبادة الدعاء، ولا تكن من المستكبرين، قال تعالىٰ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (غافر: ٦٠).

والآن .. نورد بعض الأدعية التي نحتاج إليها.. وعليك البحث في كتب الأدعية عن باقي الأدعية لتحفظها وتعمل بها إن شاء الله:

١ ــ دعاء القلق من كثرة الذنوب :

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[١].. وهذا الدعاء يسمىٰ سيد الاستغفار.

٢ ــ دعاء قضاء الدين:

قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**»[٢].

---

(١) رواه البخاري، دعوات ١٦.

(٢) رواه البخاري، جهاد ٢٥، ٧٤، أطعمة ٢٨، تفسير سورة ١٦، دعوات ٣٦، ومسلم، دعوات ٤٨ ــ ٥٢.

٣ ـ دعاء الهم والغم والحزن وهجر القرآن:

قال ﷺ: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي»(١).

٤ ـ الخوف من الفقر:

قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر»(٢).

٥ ـ أدعية المذاكرة:

دعاء قبل المذاكرة: «اللهم إني أسألك فهم النبيين، وحفظ المرسلين، والملائكة المقربين.. اللهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك، وقلوبنا بخشيتك، وأسرارنا بطاعتك، إنك على كل شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

دعاء بعد المذاكرة: «اللهم إني أستودعك ما قرأت وما حفظت، فرده عليَّ عند حاجتي إليه، إنك على ما تشاء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

٦ ـ دعاء السفر:

عن علي بن عبد الله الأزدي أن عبدالله بن عمر علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجاً إلىٰ سفره كبر ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين(٣)، وإنا إلى ربنا منقلبون»(٤)، «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء(٥)

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٩١، ٤٥٦.

(٢) رواه النسائي، سهو ٩٠، وأحمد ٥/ ٣٦، وأبو داود، أدب ١٠١، والحاكم، جـ١/ ٥٣٣ وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) مقرنين: مستطيعين تسخيره.

(٤) رواه مسلم، حج ١٣٤٣.

(٥) وعثاء: مشقة.

السفر، وكـآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»، وإذا رجع قالهن وزاد: «**آيبون**[١] **تائبون عابدون لربنا حامدون**» .

وكان عندما يودع شخصاً، كان رسول الله ﷺ يقول: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**»[٢] .

٧ـ من جوامع الدعاء:

قال ﷺ: « **اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد**»[٣] .

وقال ﷺ : « **اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**»[٤] .

وقال: « **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٥] .

وصية عملية:

١ ـ حافظ على أذكار الصباح والمساء، ففيها حاجتك اليومية من الدعاء[٦]، إما أن تقرأها بنفسك أو أن تستمع إليها من شريط الأذكار.

٢ ـ ارجع إلى صيغ الدعاء في القرآن الكريم وعليك في ذلك بكتاب (العبادة أحكام وأسرار) الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، وملاك ذلك كله كتاب (الوابل الصيب) لابن القيم رحمه الله.

---

(١) آيبون : راجعون

(٢) رواه أبو داود ، جهاد ٧٣، والترمذي، دعوات ٤٣، وابن ماجة، جهاد ٢٤، وأحمد ٢/ ٧، ٢٥، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه مسلم ، ذكر ٦٦ ، ٦٧ .

(٤) رواه مسلم، ذكر ٧١ .

(٥) رواه أبو داود، وتر ٢٦، والنسائي سهو ٦٠، وأحمد ٢/ ٢٩٩ .

(٦) من أفضل ما رتب في أذكار الصباح والمساء المأثورات للإمام حسن البنا ـ رحمه الله .

المحور السادس

بعض العوامل المساعدة على اكتساب الأخلاق

١ـ المسجد

لماذا نأتي إلى المسجد؟ يقول الله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (الأعراف: ٣١).

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨).

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (الكهف: ٢١).

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤١).

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾ (السورة).

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨).

أنت تذهب إلى الطبيب وتمكث عنده لتلقي التعليمات وأخذ الدواء، وكل دواء له وقت محدد وكمية محددة، ولا تتعدى الوقت ولا الكمية طمعاً في سرعة الشفاء، فلا تمسك بزجاجة الدواء مثلاً وتشربها مرة واحدة إذا كان المقرر لك منها ملعقة واحدة كل ست ساعات مثلاً.

وأنت تذهب إلى المسجد للآتي:

١ ـ **للصلاة والراحة**، يقول النبي ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»[١] ، أي: أقم الصلاة حتى نتوجه إلى الله، ففي ذلك الراحة كل الراحة.

٢ ـ **لأخذ العطاء وتلقي النِّعَم**: خلافاً لما شاع عند بعض الناس يقول وهو ذاهب للمسجد: «أنا رايح أعطي لربنا حقه»!! لا . . أنت جئت لتأخذ لا لتعطي . .

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»[٢] .

وارجع إلى حديث الوضوء: «**إن العبد إذا مضمض خرجت الخطايا من فمه، وإذا غسل يده خرجت الخطايا من تحت أظافره.. ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**»[٣] ، فأي عطاء أكبر من هذا وأي رحمة أكبر من هذه.

٣ ـ **للاطمئنان**، قال تعالى: ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾ (آل عمران: ٩٧).

٤ ـ **لإزالة الأوساخ والأدران**، وقال ﷺ: «**الصلاة إلى الصلاة كفارة، والجمعة إلى الجمعة ما لم تغش الكبائر**»[٤] .

السؤال : لماذا نذهب إلى المسجد والأمراض والعلل كما هي؟

السبب : أنك لم تتناول الدواء في موعده المحدد، وكميته المحددة، فظلت الأحوال السيئة كما هي.

المطلوب : أن يعود للمسجد دوره وخاصة دوره الاجتماعي الذي دفع النبي ﷺ قبل أن يشتري لنفسه منزلاً عند الهجرة أن يبني المسجد؛ لأن له وظيفة اجتماعية كبيرة جداً، وذلك مسئولية الفرد والمجتمع مشتركة[٥] .

---

(١) رواه ابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، وأبو داود، أدب ٧٨، وأحمد ٥/ ٣٦٤ .

(٢) رواه البخاري ، توحيد ١٥ ، ٣٥، ومسلم، توبة ١ ، ذكر ٢ ، ١٩ .

(٣) رواه مالك في الموطأ، طهارة ٣٠، والنسائي، طهارة ٨٤، وأحمد ٤/ ٣٤٨ .

(٤) رواه مسلم، طهارة ١٤ ، ١٥ .

(٥) يُوصي بقراءة كتاب المسجد ريادة وعبادة، أ. لاشين أبو شنب، نشر: دار التوزيع والنشر.

والعبادة في الإسلام تربي المسلم على استشعار الوظيفة الاجتماعية، فالصلاة في جماعة نظام تعارفي إذا غاب المسلم عن المسجد نسأل عنه . .

وصية عملية: كن واحداً من هؤلاء السبعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله،-ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[1].

وإليك هذا الفضل إذا اعتدت المسجد وتعلقت به:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»**[2] .

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم، إن غابوا افتقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم»**[3] .

٣ ـ وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: **«ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله تعالى إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»**[4].

٤ ـ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسجد بيت كل تقي، تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة،وإن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مُصلاه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه»**[5].

---

(١) رواه البخاري، أذان ٣٦، رقاق ٢٤، زكاة ١٦ ، حدود ١٩ .

(٢) رواه الترمذي، تفسير سورة التوبة ٩، حديث رقم ٣٠٩٣، وقال: حديث حسن غريب، وفي رواية عنده «يتعاهد المسجد»، وابن ماجة، مساجد ١٩، وأحمد ٣/ ٦٨ .

(٣) رواه أحمد والحاكم من حديث عبد الله بن سلام ، وقال: صحيح .

(٤) رواه ابن ماجة، مساجد ١٩، وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن أبي شعيبة، وابن خزيمة، وابن حيان، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه البخاري، أذان ٣٠، ٣٦، بيوع ٤٩ .

٢ ـ حُسن اختيار الصديق

يقول الله تعالىٰ: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ﴾ (الزخرف).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: «كل صداقة تنقلب يوم القيامة إلىٰ عداء إلا ما كان لله منها»(١).

ويقول الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) ﴾ (الصافات).

المشهد الأول: مشهد المشاحنات والعراك في النار بين أصدقاء كانوا يجتمعون في الدنيا علىٰ السمر، قال تعالىٰ: ﴿ .. كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) ... ﴾ (الأعراف).

وأصحاب النار لهم نفس المصير: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) ﴾ (الصافات).

المشهد الثاني: مشهد المتقين والله يكرمهم ويطمئنهم، قال تعالىٰ: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) ﴾ (الزخرف).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، تفسير سورة الزخرف ٦٩ .

وأصحاب الجنة لهم نفس الجزاء، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ (الأعراف: ٤٣).

أحاديث تحث على اختيار الصديق الصالح:

حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل**»(١).

عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، أو أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحاً خبيثة**»(٢).

وعن أبي عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**» (٣).

توصية عملية لاختيار الصديق:

١ ـ اعرف موقفه من أوامر الله ، طاعة أو إعراضاً؟

٢ ـ اعرف موقفه من نهي الله ، تركاً أم ارتكاباً؟

٣ ـ اعرف موقفه من عطاء الله ، شكراً أم غفلة؟

٤ ـ اعرف موقفه من منع الله ، صبراً أم سخطاً ؟

واحذر الخلق السيء . . فإنه يُعدي من يصاحبه . .

المطلوب منك: أن تجعل لك أصدقاء خير كثيرين . . حتى يمتد لك من منطقة الظل أيد كثيرة كلها تريد أن تأخذك إلى منطقة ظل عرش الرحمن.

---

(١) رواه أبو داود ، أدب ٤٨٣٢ ، وأحمد ، والترمذي، زهد ٤٥ ، برقم ٢٣٧٨ وقال: حسن.

(٢) رواه البخاري، ذبائح ٣١، بيوع ٣٨ ، مسلم، بر ١٤٦ .

(٣) رواه أبو داود وأحمد والترمذي، زهد ٥٥ برقم ٢٣٩٥ ، صحيح .

ضع لنفسك خطة تكسب صديقاً مؤمناً على الأقل كل ثلاثة أشهر .

ليس هذا فقط . . بل انظر إلى أصدقاء أبنائك . . وصديقات بناتك[١] . . فاختر معهم، وعلمهم أسس اختيار الصديق التقي . . وأن هذا أمر من ديننا . . ألا نصاحب إلا مؤمناً . . ولا يدخل بيتنا، ولا يأكل طعامنا إلا تقي . .

الشروط الواجب توافرها في الصاحب [٢] :

قال **الإمام الماوردي** في : أدب الدنيا والدين، في شأن من يُختار للصحبة أو للصداقة : الخصال المعتبرة في إخائهم بعد المجانسة[٣] التي هي أصل الاتفاق أربع خصال :

١ ـ عقل موفور يهدي إلى مراشد الأمور .

٢ ـ الدين الواقف بصاحبه على الخيرات .

٣ ـ محمود الأخلاق مرضي الأفعال مؤثر للخير .

٤ ـ أن يكون في كل واحد منهما ميل إلى صاحبه ورغبة في مؤاخاته .

حقوق الصحبة وآدابها:

١ - الإعلام بالمحبة: فإذا أحب الرجل أخاه فعليه أن يُعلمه بهذه المحبة للحديث : **قال الرجل يا رسول الله إني لأحب هذا فقال له رسول الله: أعلمته؟ قال: لا قال: فأعلمه فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، قال: أحبك الذي أحببتني له»**[٤].

---

(١) أقول من واقع الحياة وتجاربها أن الصديق إما أن يُفسد أبناءك، وإما أن يكون سببًا في صلاح أبنائك . . فدائمًا أسمع هذه الكلمات : ابني كان ممتاز، ولكنه عندما تعرَّف على صديقه فلان أصبح سيء الخُلق، والعكس تمامًا، لذا أقول : الصديق الصديق الصديق .

(٢) الصحبة : حقيقتها وآدابها، الشيخ عبدالخالق الشريف، ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) المجانسة : أي الصحبة بين الذكور معاً، والإناث معاً، أما الصحبة بين الذكور والإناث فمحرمة شرعاً .

(٤) رواه الترمذي، الزهد ٥٤، وأحمد ٤/ ١٣٠ وقال : حسن .

٢ ـ **حفظ سره:** للحديث : قال رسول الله ﷺ : **«إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة»**(١) .

٣ ـ **النصح له :** للحديث : **«الدين النصيحة»** قلنا : لمن؟ قال : **«لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم»**(٢) ، مع مراعاة آداب النصيحة (فلا تكون على الملأ ـ التلطف في إلقائها ـ النصح بالتعريض مرة والتصريح مرة) .

٤ ـ **قبول نصيحته.**

٥ ـ **طلب النصيحة:** بارك الله في رجل أهدىٰ إليّ عيوبي .

٦ ـ **العفو عند الزلات:** كل بن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فلا تهجر أخاك عند الذنب حتىٰ لا تكن عوناً للشيطان عليه .

٧ ـ **مساعدته وإعانته** (بالمال ـ بالنفس ـ أن تشفع له ـ تنفس عن كربته ـ تستر عليه ـ ترد غيبته ـ تدافع عنه ـ تنصره ظالماً أو مظلوماً) .

٨ ـ **الدعاء له:** وخاصة بظهر الغيب يقول لك الملك : «ولك مثل ذلك» .

٩ ـ **الوفاء والإخلاص.**

١٠ ـ **التخفف وترك التكلف:** قال علىٰ رضي الله عنه : «شر الإخوان من تكلف لك ، ومن أحوجك إلىٰ مداراته ، ومن ألجأك إلىٰ الاعتذار» .

١١ ـ **متابعة احواله وإن بعُد عنك.**

ما يجب التحذير منه :

١ ـ **الهجر:** للحديث : **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**(٣) .

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٣٢، ، والترمذي، بر ٣٩، وأحمد ٣/ ٣٢٤، والحديث حسن .

(٢) رواه البخاري، إيمان ٤٢ ، ومسلم، إيمان ٩٥ .

(٣) رواه البخاري، أدب ٦٢٢٥٧ ، استئذان ٩ ، ومسلم بر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، والحديث متفق عليه .

٢ ـ التناجي دونه: للحديث: «إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث»[١].

٣ ـ الزهد فيه .

٤ ـ كثرة العتاب .

٥ ـ الإفراط في الصحبة .

---

(١) رواه البخاري، استئذان ٤٧ ، ومسلم سلام ٣٧، ٣٨ ، والحديث متفق عليه .

٢ـ لا تكن عوناً للشيطان على أخيك

الحقيقة الأولى : كلنا ذو خطأ، ولذلك يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٣١).

الحقيقة الثانية: أن الله غفور رحيم ، قال تعالىٰ : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩).

ويقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي عن ربه : **«يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم دعوتني غفرت ما كان منك ولا أبالي»**[١].

الواقع : إذا ارتكب إنسان معصية أو زلت قدمه وأخطأ، تجد الألسنة جميعها والسهام قد وُجِّهت إليه، حتىٰ في الدعاء نقول : «يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذَل فيه أهل معصيتك». . أليس من الأفضل أن نقول : «يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُتاب فيه علىٰ أهل معصيتك»؟ . . **فعلى المسلم** أن يقف بجوار أخيه إذا زلت قدمه وأخطأ، فلا يتركه فريسة سهلة للشياطين. . وتعلم أن رسول الله ﷺ قال : **«لو لم تذنبوا، لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله»**[٢] .

وإليك هذه النماذج . . لكي يتعلم منها المسلم أن يقف بجوار أخيه المسلم إذا ذلت قدمه وأخطأ :

١ ـ **حاطب بن ابي بلتعة** حينما أرسل خطاباً لأهل مكة يخبرهم بموعد فتح مكة، قال عمر بن الخطاب : «دعني أضرب عنق هـذا المنافـق»، فقال النبي ﷺ : **«لا تقولوا إلا خيراً، ربما اطلع الله على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم، لاتعينوا الشيطان على أخيكم»**[٣].

---

(١) رواه الترمذي، دعوات ٩٨ ، والدارمي، رقاق ٧٢، وأحمد ٥/ ١٦٧ .

(٢) رواه مسلم ، توبة ٩ ، ١١ ، والترمذي، جنة ٢ ، دعوات ٩٨ .

(٣) راجع الموقف في كتب السيرة، وخاصة السيرة النبوية ، لمحمد علي الصلابي .

٢ ـ موقف كعب بن مالك، حينما تخلف عن غزوة تبوك، ثم صدق مع الله ورسوله، وانظر إلى موقف الرسول ﷺ معه، وموقف الصحابة، وخاصة حينما تاب الله عليه.

المطلوب :

١ ـ إذا وجدت إنساناً يخطيء فخذ بيده ولا تكن مع الشيطان على أخيك.

٢ ـ لا يجوز أن تعيِّر أخاك بالمعاصي، لحديث وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك**»[1].

(١) رواه الترمذي، قيامة ٥٤، وقال الترمذي: حسن غريب.

٤ ـ محبة الله للعبد

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

حقائق عن الحب:

إذا أحببتَ شخصاً فإنك تفعل كل شيء من أجل هذا الحب . .

فماذا إذا أحببت الله تعالى؟ . . إنك:

١ ـ تفرح للقائه: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه..**»(١).

٢ ـ تمتثل أمره، ولا تقصر في رضاه.

٣ ـ تذكره دائماً وتثني عليه الخير كله، فيغدق عليك العطايا: «**فإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»(٢).

٤ ـ وبعد هذا الحب يغفر لك الذلات والخطايا . . «**لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم دعوتني ورجوتني..**».

الأسباب التي تجلب محبة الله تعالى للعبد:

١ ـ **الاتباع..** قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾.

٢ ـ **الإحسان..** وهو «**..أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..**»(٣).

٣ ـ **المداومة على التوبة..** «**إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، رقاق ٤١، ومسلم، ذكر ١٤، ١٦، ١٨ .

(٢) أخرجه البخاري، توحيد ١٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب، الحديث الثاني من الأربعين النووية .

(٤) رواه مسلم، توبة ٣١ .

٤ ـ **الطهارة..** قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٢) سواء طهارة حسية أو معنوية.

٥ ـ **القتال..** قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ (الصف: ٤).

٦ ـ **أداء الفرائض والنوافل..** ففي الحديث القدسي عن أبي هُرَيرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: مَنْ عادَى لي وَلِيّاً فقد آذنتُهُ بالحَرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترَضتُهُ عليه، ولا يَزَالُ عبدي يَتقرب إليَّ بالنَّوَافل حتى أحبَهُ، فإذا أحبَبتُهُ كُنت سمعَهُ الذي يَسمَعُ به، وبَصرَهُ الذي يُبصر به، ويَدَهُ التي يَبطشُ بها، ورجلهُ التي يَمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّهُ، ولئن استعَاذني لأعيذنَّهُ**»[1].

٧ ـ **إتقان العمل..** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[2].

توصية عملية:

١ ـ جمع الآيات القرآنية التي فيها ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ** ﴾ واجعلها واقعاً في حياتك، ولو تدريجياً.

٢ ـ اجمع الآيات القرآنية التي فيها ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ** ﴾ وابتعد عن هذه الأشياء التي لا يحبها الله فوراً.

---

(١) رواه البخاري، رقاق ٣٨ .

(٢) رواه الحاكم عن عائشة، وفي صحيح الجامع ١٨٧٦، وفي المقاصد الحسنة رقم ٢٤٠، وأبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، ورواه الطبراني في الكبير، وفيه قطبة بن العلاء وهو ضعيف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به .

المحور السابع: البرنامج العملي اليومي
الحسنات في حياة المسلم

يقول الله تعالىٰ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (الإسراء: ٧)، وقال أيضاً: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة)

أهمية هذا الباب في حياة المسلم:

١ ـ عليك كل يوم صدقات (ديون) لابد أن تؤديها حتىٰ لا يتراكم عليك الإيجار اليومي.

٢ ـ هذا الباب لا يوجد عليه زحام ولا يحتاج إلىٰ واسطة ولا يتطلب منك مالاً أو تُقَدم طلباً لعمل الحسنات.

٣ ـ هذا الباب سهل وميسور وتستطيع أن تفعله في كل وقت وعلىٰ أي حال.

٤ ـ هذا الباب ثوابه كبير والعائد منه يفوق أعظم بنوك الدنيا، إنه يعطي نسبة ربح ٧٠٠٪.

اجتهد فالمستأجر الذي لا يدفع الإيجار يُطرد من السكن والعقار!!

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة.. فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف أو نهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[1] .

---

(١) رواه البخاري، صلح ١١، جهاد ٧٢، ١٨٢، ومسلم، مسافرين ٨٤، وزكاة ٥٦، سلامىٰ: يعني عظام البدن ومفاصله.

وعن أحمد وأبي داود من رواية بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل (٣٦٠ عضواً) عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة قالوا: «فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟»، قال: «**النخامة في المسجد يدفنها، أو الشيء ينحيه عن الطريق، فإن لم يجد فركعتا الضحى تجزئ عنه**»[١].

فمن الحسنات: إماطة الأذىٰ عن الطريق ـ الكلمة الطيبة ـ ابتسامتك في وجه أخيك ـ أن تحمل الضعيف علىٰ راحلته ـ إرشادك الضال في أرض الضلال ـ إفشاء السلام ـ اتباع الجنائز ـ ختام الصلاة ـ اللقمة ترفعها إلىٰ فِيٍّ زوجتك...

وقال رسول الله ﷺ: «...**وفي بضع أحدكم صدقة**».

قالوا: «يا رسول الله، أيأتي الرجل شهوته وله أجر؟».

قال: «**أرأيتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟، كذلك إن وضعها في حلال كان له بها أجر**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**»[٣].

من صور الصدقات:

الصدقات لها صور لا حدود لها:

١ ـ فعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**كل معروف صدقة**»[٤].

٢ ـ وقال النبي ﷺ في قصر الصلاة في السفر: «**صدقة تصدق الله عليكم بها فاقبلوا صدقته**»[٥].

---

(١) رواه البخاري، صلاة ٣٨.

(٢) رواه مسلم، زكاة ٥٣، من رواية أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، تهجد ٢٥.

(٤) رواه البخاري، أدب ٣٣، ومسلم، زكاة ٥٢.

(٥) رواه مسلم، صلاة المسافرين ١، حديث رقم ٦٨٦) ١/ ٤٧٨.

٣ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له صلاة بليل فغلب عليه نوم فنام عنها كتب الله له أجـر صلاته، وكان نومه صدقة من الله تصدق الله بها عليه»**(١).

٤ ـ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: **«إن ربكم عز وجل رحيم، مَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عـملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وَمَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملها كُتِبَتْ حسنة، فـإن عملها كتبت له واحدة، أو يـمحوها اللـه عز وجل، ولا يهلكُ على الله إلا هالك»**(٢).

٥ ـ و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلاة إلى الصلاة كـفارة لما بينهـما مـا لم تغش الكبـائر، والجـمـعة إلى الجـمعـة، ورمضـان إلى رمضان مكفرات لما بينهم»**(٣).

ونختم لهذه التجارة الرابحة التي لن تبور إن شاء الله بلغة الأرقام:

١ ـ تستطيع أن تحصل على (٤٠,٨٨٨,٨٠٠) أي: أكثر من أربعين مليون حسنة إذا قرأت جزءاً واحداً من القرآن، فإذا ضربت هذا في الشهر، ثم ضربته في ١٢ شهر في السنة لم يعلم عدد الحسنات إلا الله، فعدد حروف القرآن الكريم: ٤٣٠٧١ × ١٠ حسنات × ١٢ شهر..

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفـاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقـول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**(٤).

---

(١) رواه مسلم، صلاة المسافرين ١٨، والنسائي، قيام الليل ٦٥، وابن ماجة، إقامة الصلاة ١٧٧، حديث رقم ١٣٤٤.

(٢) رواه البخاري، رقاق ٣١، ومسلم، إيمان ٢٠٦.

(٣) رواه مسلم، وسبق تخريجه.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وذكره النووي في رياض الصالحين.

٢ ـ تستطيع أن تحصل على ثلاثمائة وستين بيتاً في الجنة، عن أم المؤمنين، أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»**(١).

٣ ـ تستطيع أن تغرس لك في الجنة ٣٦,٠٠٠ (ستة وثلاثين ألف غرسة)، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**(٢).

وفي رواية: **«أن غراسها لا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحان الله وبحمده»** وذلك بقولك مائة مرة في اليوم.

٤ ـ وعليك بخير أيام الدنيا: العشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة، وصوم التاسع والعاشر من المحرم، واحرص على صيام الأيام الستة من شوال، واجعل من نفسك وقفاً لله تعالى.

التوصية العملية لختام هذا الفصل:

١ ـ وصايا نبوية:

عن عبد الله بن عباس قال: «كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفت الصحف»**(٣).

---

(١) رواه مسلم، مسافرين ١٠١، ١٠٣.

(٢) رواه الترمذي، دعوات ٥٨، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الترمذي، قيامة ٥٩، وأحمد ١/ ٢٩٣، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي : «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرا**».

احفظ الله يعني : احفظ الأوامر بالامتثال ، واحفظ النواهي بالاجتناب ، وقف عند الحدود بعدم التجاوز . . إذا فعلت ذلك يحفظك الله :

١ ـ **في حياتك** . . في البدن والمال والأهل والولد، قال تعالى : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ (الرعد : ١١) .

٢ ـ **وفي كِبَرِك** . . رُؤي أحد السلف وقد جاوز المائة ويصارع الشباب فيصرعهم، فسألوه في ذلك فقال : «تلك أعضاء حفظناها في الصغر ، فحفظها الله لنا في الكِبَر»(١) .

٣ ـ **يحافظ على ذريتك بعد موتك** : ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ (الكهف : ٨٢) .

﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**﴾ (النساء : ٩) .

كان **سعيد بن المسيب** يقول لولده : «لأزيدن في صلاتي من أجلك ، رجاء أن أحفظك بها» ، وكان أولاد **عبد الملك بن مروان** بعد هذا الثراء الواسع يسألون الناس الصدقة ، أما أولاد **عمر بن عبد العزيز** بعد هذا الفقر فقد كانوا يوزعون الأموال والعطايا التي لا حصر لها . وقال **عمر بن عبد العزيز** : «ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه»(٢) .

٢ ـ عليك بهذه الأحاديث تكفيك في دينك :

عن أبي داود قال : «كتبتُ عن رسول الله خمسمائة ألف حديث ، انتخبتُ منها ما تضمنه هذا الكتاب (يعني كتاب السنن لأبي داود) ، جمعتُ فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، يكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث»(٣) .

(١ ، ٢) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ص ٢٥٤ ، طبعة دار التراث .

(٣) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ص ١١ ، وما بعدها .

ثم يقول: «نظرتُ في المسند فإذا هو أربعة آلاف حديث. ثم نظرت فإذا مدار الأربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث». :

الحديث الأول: عن أمير المؤمنينَ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعْتُ رَسول الله ﷺ يقول: «**إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّات وإنَّما لكُل امْرِيء ما نَوَى، فمَنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إلي الله ورَسُوله فهجْرَتُهُ إلي الله ورَسُوله، ومَنْ كانَتْ هجْرَته لدُنْيا يُصيبُهَا أو امْرأة يَنْكحُهَا فهجْرَتُهُ إلي ما هَاجَرَ إليه**»(١) .

الحديث الثاني: عن أبي عبدالله النُّعْمَان بن بَشير رضي الله عنهما قال: سَمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الحَلال بَينٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَينٌ، وبينهما أمُورٌ مُشتبهات لايعلمهُنَّ كثيرٌ من الناس، فَمن اتَّقى الشبُهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وَقعَ في الشبُهات وَقعَ في الحَرَام، كالراعي يَرعي حول الحمى يُوشك أن يرتعَ فيه، ألا وإنَّ لكُلِّ مَلك حمى، ألا وإن حمى الله مَحَارمَهُ ألا وإن في الجَسَد مُضْغة إذا صلحتْ صَلحَ الجَسدُ كله، وإذا فسَدت فسَد الجسدُ كلّه: ألا وهي القلبُ**»(٢) .

الحديث الثالث: عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**منْ حُسن إسلام المَرء تركُهُ ما لا يَعْنيه**»(٣) .

الحديث الرابع: عن أبي حمزة أَنَس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لايُؤمنُ أحَدكُم حتي يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنَفسه**»(٤) .

وفي رواية أخرى لأبي داود يقول: الفقه يدور على أربعة أحاديث:

---

(١) رواه البخاري، بدء الوحي ١، إيمان ٤١، نكاح ٥، طلاق ١١، ومسلم، إمارة ١٥٥ .

(٢) رواه البخاري، إيمان ٣٩ .

(٣) رواه الترمذي، زهد ١١، وابن ماجة، فتن ١٢، ومالك في الموطأ، حسن الخلق ٣، وأحمد ١/ ٢٠١، وقال الترمذي: حديث غريب، وقال مالك: الحديث حسن بل صحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري، إيمان ٧، ومسلم، إيمان ٧١-٧٢ .

قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين». .

وقوله: «لا ضرر ولا ضرار». .

وقوله: «إنما الأعمال بالنيات». .

وقوله: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

ثم يقول ابو داود: أصول السنن في كل فن[١] أربعة أحاديث:

حديث «إنما الأعمال بالنيات...». .

وحديث: «الحلال بين والحرام بين...». .

وحديث: «من حُسن إسلام المرء...». .

و «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»[٢].

٣ ـ الميزان (ميزان كل مسلم):

إن أرجح الناس عقلاً من يجعل مؤشرات هذا الميزان في أعلي درجات الخير، وأقل الناس بل وأحقرهم شأناً في الدنيا والآخرة الظالم لنفسه، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه: ١١١). ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران: ١٩٢).

لذا جعلنا هذا الميزان ليس للحساب. .

ولكن أجراس تنبيه تساعدك حتى لاتغرق سفينتك. . .

(١) كلمة فن تطلق على الإحاطة بأي نوع من العلوم شرعية أو غيرها.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ١١، والحديث رواه ابن ماجة، زهد ١، وقال النووي: أسانيده حسنة.

ميزان كل مسلم (١)

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر : ٣٢).

الصفات	الأعمال	الظالم لنفسه	المُقتَصِد	السابق بالخيرات
أركان الإسلام	الشهادة	لا يقولها إلا نادراً ولايقوم بحقها ولايفهم معناها	يرددها بلسانه	يعمل بحقها ويجاهد في سبيلها
	الصلاة	لا تخطر له على بال وإذا خطرت فثقيلة عليه	يصلي الفرائض فقط وأحياناً بعض النوافل	يخشع في صلاته ويصلي النوافل ويقيم الليل
	الصوم	يفطر عمداً ولا يفكر في ترك شهوة بطنه	يصوم رمضان وربما يوم عرفة	يقوم بآداب الصيام ويحسن في معاملته، ويصوم أيضاً الاثنين والخميس والأيام البيض من كل شهر عربي
	الزكاة	يبخل بها ولا يؤديها	يؤدي الزكاة المفروضة ويتصدق أحياناً	يزكي ويتصدق سراً وعلانية ويساعد في الخيرات
	الحج	لا يحج بل يذهب إلى المصايف	يحج حجة الفرض فقط	يواصل بين الحج والعمرة ما أمكنه ذلك
الأخلاق	الصبر	كثير الشكوى إن أصابته مصيبة ولايرضى بالمقادير	يصبر حين يذكر ما للصابرين من ثواب	الصبر خُلُق أصيل من أخلاقه، ومستسلم لله راضٍ عن ربه
	الحلم	يرد السيئة بأسوأ منها ويحقد وينتقم	يجازي من أساء إليه بمثل سيئته ويعفو أحياناً	يعفو عمن ظلمه، ويدعو له بالهداية بظهر الغيب
	الحياء	يجاهر بالمعاصي ولا يستحي من الله ولا من الناس	يستحي من الله ويترك الكبائر	يستحي من الله ومن الناس سراً وعلانية

(١) جزىٰ الله خيراً من صمَّم هذا الميزان .

الصفات	الأعمال	الظالم لنفسه	المُقتَصِد	السابق بالخيرات
	العفاف	فاجر يرتكب الفواحش ولا يبالي لمسلكه الدنئ	يجتنب الفواحش	يحفظ نفسه ويغض بصره ويبتعد عن أسباب الفجور
	الغضب	يغضب بسرعة لنفسه ثم لا يرضى بسهولة	يغضب لنفسه كثيراً ولله أحياناً	غضبه لله ولدينه لا لنفسه، فإن غضب رضي سريعاً
	الشجاعة	شجاع للدنيا جبان في نصرة الإسلام	شجاع إذا ندب لنصرة الإسلام	نذر نفسه للجهاد في سبيل الله والدعوة إليه
الفضائل	القرآن	يهجره ولا يعمل بما فيه	يقرؤه أحياناً ويفهم بعض معانيه	يقرأه ويعلمه لغيره متدبراً ويدعو لتحكيمه والعمل به
	الذكر	لا يذكر الله بلسانه ولا يخشاه في معاملته	يذكر الله بلسانه	يذكر الله كثيراً ويخشاه في معاملته للناس
	السلام	متكبر لا يُسلِّم ولايرد السلام أحياناً	يُسلم أحياناً ويرد السلام	يبدأ بالسلام على الناس ويرد التحية بأحسن منها
	الصلاة على النبي ﷺ	لا يعرف هذه القضية لذلك يبخل بالصلاة عليه ويهمل تعاليمه	يصلي عليه إذا ذُكِرَ	يكثر من الصلاة عليه دائماً مع محبته واتباعه
	العلم	يتعلم للدنيا ولا يهمه الدين	يتعلم ما يلزمه لدينه ودنياه	يزداد كل يوم علماً نافعاً في دينه ودنياه
	العمل	يبتلع الراتب ولايقوم بالواجب	يعمل بقدر الراتب	يدأب على التعليم بإخلاص غير ملتفت للراتب
	الأمر بالمعروف	ينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر	يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر	يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله

الصفات	الأعمال	الظالم لنفسه	المُقتَصِد	السابق بالخيرات
الحقوق	الكلام	يطلق لسانه فيما حرَّم الله	يتكلم بالمباح وقد يقع في المحظور ولكنه يندم	لا يتكلم إلا بخير
	المشي	مختال مغرور بنفسه	يمشي كالمعتاد	يمشي على الأرض هوناً بتواضع ووقار
	السمعة	يعمل ليراه الناس ويثنوا عليه	يعمل لوجه الله ويحبه الناس	يعمل لوجه الله ليراه الله وحده
	النفع	لا ينتفع به الناس ولايسلمون من شره	يكف عن الناس شره	يقدم الخير للناس ويكف الشر عنهم
	الوظيفة	يرتشي أو يتأخر فإن حضر تلهى بجريدة أو زائر	لا يتأخر ولكن لايهمه إنجاز العمل	ينجز عمله ويسعى جهده لقضاء حاجات المراجعين
	الأكل	مسرف يضر نفسه في المآكل والمشرب وقد يستدين ولا يفي	يأكل ولا يسرف	يأكل قليلاً دون نهم وشره ويطعم الجائعين والمحرومين
	اللبس	يبالغ في الأناقة ويتختم بالذهب ويبدو كأنه نصراني أو يهودي	معتدل في لبسه	نظيف الملبس لا يتكلف، لكن يكسو المحتاجين
	البيع والشراء	يغش ويكذب إذا باع، ويمطل في الدفع إذا اشترى	يزن بالحق ولا يؤخر الدفع	صادق يتسامح وينصح ويدفع الحق دون مطل
الأعمال	الوالدين	يطيع زوجته ويؤذي والديه	يرضي والديه في المناسبات	يبرهما دائماً ويبتغي رضا الله في رضاهما
	الأقرباء	قاطع للأرحام يأكل حقوقهم	يصلهم في المناسبات	يتفقدهم دائماً ويساعدهم بالمال والجاه
	الزوجة	يرضى سفورها وتبرجها	يأمرها بالحجاب	يلزمها بالحجاب وخفض الصوت ويحملها على الفضيلة

الصفات	الأعمال	الظالم لنفسه	المُقتَصِد	السابق بالخيرات
	الأولاد	يهمل تربيتهم الدينية ويقرهم على المعاصي	يتعهدهم أحياناً بالنصح والإرشاد	يراقب سلوكهم دائماً ويتعهدهم ويحسن تربيتهم
	المحاكم	يحتال ويرشو ويحلف ويأكل حقوق الناس	يحتكم إلى الشرع ليصل إلى حقه	لا يلجأ إلى المحاكم إلا مضطراً
	الموت	يكره ذكره ولا يستعد له	يذكر الموت في المناسبات	يُكثر من ذكر الموت ويتزود لملاقاة ربه
	الجيران	يؤذيهم بمذياعه وأولاده	يكف عنهم شره وقد يعينهم	يكرمهم وينصحهم ويقضي حوائجهم ويتحمل إساءتهم
	المال	لا يهمه جمعه من حلال أم من حرام	يبتعد عن الكسب الحرام	يتورع عن الشبهات ويقنع بالقليل
المُحرمات	الخمرة	يشربها غير مبال بحرمتها	يتركها ولا يجالس شاربها	يجتنب الخمرة ويبين للناس ضررها وحرمتها
	الربا	يتعامل به غير مبال بحرمته	يتخلص منه لحرمته	لا يقربه مهما كان وضعه ويحاربه وينهى عنه
	التدخين	يشرب الدخان ولا يبالي	يبتعد عن التدخين ولايقدمه لغيره	يحرمه على نفسه ويشرح ضرره للناس ليجتنبوه
	الميسر	يلعب القمار ويشتري اليانصيب	لا يقرب الميسر	يحذر الناس منه ولايلعب ولو للتسلية

الفصل الثالث

أخلاق المجتمع

المبحث الأول: سيرة الأخلاقي الأول محمد ﷺ .

المبحث الثاني: وحدة تماسك المجتمع من خلال: (الأخوة - حرمة المسلم - الوفاء للأشقاء - فقه المجاملات - لجان الصلح) .

المبحث الثالث : المدنية والحضارة في الإسلام (الإتيكيت الإسلامي - أثر الإسلام - حقوق الإنسان - لمسات - مشكلات وأمراض).

المبحث الرابع : طريق السعادة (السعادة بين الوهم والحقيقة - التعاون وأثره على المجتمع).

الفصل الثالث

أخلاق للمجتمع

كما أن هناك أخلاقاً للفرد يلتزم بها . . فكذلك هناك أخلاق للمجتمع ، يلتزم بها كل فرد فيه ، حتى يصبح هذا المجتمع مجتمعاً إسلامياً مدنياً حضارياً . . يسعد فيه كل فرد . . ويسود العالم كما ساده أصحاب رسول الله ﷺ .

ونتناول هذا الفصل من خلال أربعة مباحث وهي :

المبحث الأول : سيرة الأخلاقي الأول محمد ﷺ (١) .

المبحث الثاني : وحدة وتماسك المجتمع من خلال :

١ ـ الأخوَّة .

٢ ـ حرمة المسلم (حصن الأمان للمسلم) .

٣ ـ الوفاء للأشقاء .

٤ ـ فقه المجاملات .

٥ ـ لجان الصلح . . التطبيق العملي لوحدة المجتمع .

المبحث الثالث : المدنية والحضارة في الإسلام :

١ ـ الإتكيت الإسلامي الخالد (مدنية وحضارة) .

٢ ـ الإسلام وأثره في نهضة الشعوب (مدنية وحضارة) .

---

(١) إن أخلاق المجتمع تحتاج إلى أسس ثابتة راسخة لا تتغير ، وحيث إن سيرة رسول الله ﷺ نظام أخلاقي يقيم مجتمعاً واقعياً ، لذا أردتُ من هذا المبحث أن تَنْبُتَ أخلاق المجتمع من هذا النظام الأخلاقي الفريد ، فيشتد عودها ، وتؤتي ثمارها في هذا المحضن التربوي الصافي من أخلاقه ﷺ .

٣ ـ حقوق الإنسان في خطبة الوداع (مدنية وحضارة) .

٤ ـ لمسات في عمق المدنية والحضارة .

٥ ـ مشكلات وأمراض بسبب البعد عن الإسلام (إيدز ـ جنون البقر ـ مخدرات) .

المبحث الرابع : طريق السعادة :

١ ـ السعادة بين الوهم والحقيقة .

٢ ـ التعاون وأثره على المجتمع .

المبحث الأول
سيرة الأخلاقي الأول ﷺ

إن أي أسلوب للحديث عن أخلاق النبي ﷺ هو إهدار لحق النبي ﷺ؛ لأن الله تعالىٰ حينما تحدث عن أخلاق النبي ﷺ وضع قمة سامقة لا يصلها أحد، فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

ولذلك أرىٰ أن أفضل أسلوب للحديث عن أخلاقه ﷺ أن نعيش المواقف التي عاشها النبي ﷺ واقعاً عملياً.

«إن أبرز سمة في شخصية الرسول ﷺ المتعددة الجوانب هي أخلاقياته التي لا مثيل لها، فلو أنك جمعت كل خلق عظيم في العالم، وكل تصرف أخلاقي سليم تصرفه في يوم من الأيام إنسان:

١ ـ فإن ما تجده في حياة رسول الله ﷺ يربو علىٰ هذا كله مجتمعاً.

٢ ـ مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية في حياته ﷺ.

٣ ـ مما لا تستطيع معه أن تجد في حياته كلها تصرفاً يمكن أن ترىٰ منه في باب الأخلاق عند غيره، وكان أصحابه يعرفون منه هذا ويتصرفون علىٰ أساسه معه»[1].

السيرة الإجمالية قبل النبوة [2]:

كان النبي ﷺ قد جمع في نشأته[3] خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظاً وافراً من حسن

---

(١) الرسول ﷺ، سعيد حوىٰ، ص ١٣١.

(٢) الرحيق المختوم، ص ٦٨، ٦٩.

(٣) بعد العرض الإجمالي نذكر الموقف الذي عاشه النبي ﷺ ثم نذكر الخلق الذي فيه ثم نوضح كيفية تطبيقه عملياً.

الفطنة، وأصالة الفكرة، وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل، وإدمان الفكرة، واستكناه الحق، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة، وشئون الناس، وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسناً شارك فيه[1]، وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذُبحَ على النُصب، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً، بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى[2].

ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يهم باتباع بعض التقاليد غير المحمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، قال رسول الله ﷺ: **«ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كان ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجتُ حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلستُ أسمع، فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسأني فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بسوء»**[3].

وعن جابر بن عبد الله قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة،

---

(١) فمثلاً، كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ أيضاً يصومه في الجاهلية، انظر: صحيح البخاري، (٢٠٠٢) مع فتح الباري ٤/ ٢٨٧.

(٢) انظر لذلك: ابن هشام ١/ ١٢٨، وتاريخ الطبري ٢/ ١٦١، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٧٣، ٣٧٦.

(٣) رواه الطبري ٢/ ٢٧٩ وغيره، وصححه الحاكم، وتبعه الذهبي، وضعفه ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٢٨٧.

فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم آفاق: «إزاري، إزاري» فشد عليه إزاره، وفي رواية: **«فما رؤيت له عورة بعد ذلك»**(١).

وكان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبة، وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه (الأمين)، لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت عنه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «يحمل الكَلّ، ويُكْسِب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق»(٢).

يقول وليم موير في وصف أخلاق الرسول ﷺ: «كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه، فالتواضع والشفقة والصبر والإيثار والجود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبة جميع من حوله، فلم يُعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأناً، ولا هدية مهما صغرت، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه بإقباله وإن كان حقيراً، وكان إذا لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب والحزين شريكاً شديد العطف، حسن المواساة، وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم»(٣).

حلف الفضول:

في السنة العشرين من عمره ﷺ، وقعت حرب الفِجار، وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم

---

(١) صحيح البخاري، حديث ١٥٨٢، وفتح الباري ٣/ ٥١٣، وحديث ٣٨٢٩، ٧/ ١٨٠، وانظر أيضاً: فتح الباري ٣/ ٥١٧، ومسند أحمد ٣/ ٢٩٥، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٨٠.

(٢) صحيح البخاري، تفسير ٣٣٩٢، ومسلم، إيمان رقم ٢٥٢.

(٣) انظر: الرسول ﷺ، سعيد حوى، ص ١٤٩.

ابن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي، لسنه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: **«لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»**(١).

ومن اللافت في هذا الحلف أن روحه تنافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها.

ويقال في سبب **هذا الحلف**: إن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستدعى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزوماً وجُمَحاً وسَهْماً وعَدِياً، فلم يكترثوا له، فصعد جبل أبي قبيس ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعاً صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبدالمطلب وقال: ما لهذا مترك؟

حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم من حلف الفضول فعقدوا الحلف، ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي(٢).

الدرس العملي:

١ ـ حب الخير فطرة، ونشره واجب على المجتمع الإنساني.

٢ ـ أحب محمد ﷺ العدل وكره الظلم وهو في سن الشباب والفتوة، وأثنى على الخير ولو نبع هذا الخير من العصبية الجاهلية.

٣ ـ وسائل رفع الظلم كثيرة جداً، منها الكتابة بالقلم ـ أو الكلمة ـ أو اليد(١).

---

(١) ابن هشام ١/ ١٥٤، ١٥٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٢٦، ١٢٨، انظر: الرحيق المختوم، ص ٦٦ .

(٣) راجع في ذلك موضوع الظلم من هذا الباب .

خطوات رفع الظلم:

لرفع الظلم خطوات، أولها : ألا يظلم الإنسان نفسه، ثم ألا يظلم زوجته، ثم لا يظلم أولاده، ثم لا يترك أحدهم يظلم أخاه . . بعد ذلك تتأكد في النفس كراهية الظلم والنفور منه، ومن مظاهره، ومن ثم الحرص على تحديه ورفعه.

تزويج خديجة رضي الله عنها :

انتشر في الجزيرة عبير أمانته وصدقه ﷺ، فملك القلوب، وأخذ بالعقول، وكان موضع احترام الكبير والصغير برغم حداثة سنه.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم(١) إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعِظَمِ أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب(٢) من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة هذا الرجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي!!

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف(٣) أو قريباً.

---

(١) المضاربة، أن تعطي مالاً للغير ليتجر فيه فيكون له سهم معلوم من الربح.

(٢) اسم هذا الراهب نسطورا .

(٣) أضعف صار مضاعفاً .

وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرئ من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت له: «يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك[١] في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك»، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريشاً نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، وكان كل قومها حريصاً علىٰ ذلك منها لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتىٰ دخل علىٰ خويلد بن أسد[٢] فخطبها إليه فتزوجها[٣].

فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم[٤]، وهم: القاسم (الطاهر والطيب)[٥]، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام، وعبد الله.

فأما القاسم والطيب أو الطاهر فماتا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ[٦].

بناء الكعبة وقضية التحكيم:

ولخمس وثلاثين سنة من مولده ﷺ قامت قريش ببناء الكعبة، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتىٰ كاد يتحول إلىٰ حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ،

---

(١) السطة، الشرف، من الوسط كالعدة من الوعد.

(٢) هو خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

(٣) أصدقها ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها حتىٰ ماتت.

(٤) أمه مارية القبطية من (حفن) من كورة أنصنا صعيد مصر، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط.

(٥) الطاهر والطيب لقبان له واسمه عبد الله.

(٦) تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٤٣، ٤٤.

فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه هذا محمد، فلما انتهىٰ إليهم وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء وأمرهم أن يرفعوه حتىٰ إذا أوصلوه إلىٰ موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه، وهو حل حصيف رضي به القوم.

الدرس العملي: نتيجة الأمانة:

١ ـ رجاحة العقل.

٢ ـ رفع المكانة.

٣ ـ الأمين محترم في قومه حتىٰ عند الخائن لا يستطيع أن يقول فيه شيئاً وإلا كذبه الناس جميعاً؛ لأنهم يعرفون أمانته.

٤ ـ من أمانة الكلمة وأمانة النظرة، يبدأ الطريق إلىٰ كل أمانة.

بداية الوحي:

لما قاربت سنه الأربعين، حبب إليه الخلاء فكان يأخذ السَّوِيق والماء ويذهب إلىٰ غار حراء في جبل النور علىٰ نحو ميلين من مكة فيقيم فيه شهر رمضان ويقضي وقته في العبادة والتفكير تقول السيدة عائشة:

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعب ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ (العلق)[١].

---

(١) نزلت الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العَلَق: ٥).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة : ما لي؟ فأخبرها الخبر ، وقال : «لقد خشيتُ على نفسي» ، فقالت خديجة : «كلا . . والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق»(١) .

الدرس العملي : الخلق الكريم ينفي الخزي والعار :

أخلاق عملية فاضلة ينبغي الحرص عليها ، ذكرتها السيدة خديجة في زوجها ﷺ : يصل الرحم - ينفق على اليتيم والضعيف ويعطي الفقير ويقف في الأزمات .

وهنا لفتة رائعة من السيدة خديجة حين تصف النبي ﷺ بأنه يقف مع الناس في أزماتهم ، وكلامها هذا تطبيق عملي لأخلاقها هي ، فكلامها للنبي وقوف منها بجانبه في أزمته وشدته التي هو فيها آنذاك .

الأخلاقي الطهور(٢) :

أفضل الأعمال مع التزام الخلق الفاضل هو نشر الأخلاق الفاضلة وذلك للآتي :

١ - لتصبح بيئة المجتمع الإنساني بيئة صالحة .

٢ - تنقية المجتمع الإنساني من الرذائل ؛ لأن الخُلق السيئ يُعدي كما يقولون(٣) ، ولذلك حرص الأخلاقي الأول ﷺ على تربية الصحابة على مكارم الأخلاق وتنقيتهم من الرذائل(٤) .

إن الأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة ، فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير

---

(١) الكل ، الثقل ، ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك ، وإكساب المعدوم هو عطاء الفقير تبرعاً والنوائب الحوادث ، صحيح البخاري ، تفسير٣٣٩٢ ، ومسلم ، إيمان ، رقم ٢٥٢ .

(٢) الطَهور ، كماء الوضوء طاهر في نفسه مُطهر لغيره .

(٣) من العدوى ، فالطاعون والجرب أمراض معدية .

(٤) السيرة النبوية للصلابي ، ص ١٣٦ جـ١ .

خُلق، وقد ربىٰ رسول الله ﷺ صحابته علىٰ مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة، فعن النبي ﷺ قال: **«ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء»**[(١)].

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: **«تقوى الله وحسن الخلق»**، وسُئِل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: **«الفم والفرج»**[(٢)].

إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري إنما هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرىٰ ذلك السلوك العملي أو حين نرىٰ عكسه أن نتساءل أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلىٰ سلوك[(٣)]؟

ولذلك فإن القرآن الكريم يربط الأخلاق بالعقيدة ربطاً قوياً والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة[(٤)].

لقد تربىٰ الصحابة رضي الله عنهم علىٰ أن العبادة نوع من الأخلاق؛ لأنها من باب الوفاء لله والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق[(٥)]، فكانت أخلاق الصحابة ربانية باعثها الإيمان بالله وحاديها الرجاء في الآخرة وغرضها رضوان الله ومثوبته.

إن الأخلاق في التربية النبوية شيء شامل يعم كل تصرفات الإنسان وكل أحاسيسه ومشاعره وتفكيره، فالصلاة لها أخلاق هي الخشوع، والكلام له أخلاق هي الإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق هي الالتزام بحدود الله وحرماته،

---

(١) الترمذي، كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق رقم ٢٠٠٢، حسن صحيح.

(٢) الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق رقم ٢٠٠٤، حسن صحيح.

(٣) انظر: دراسات قرآنية لمحمد قطب، ص ١٣٠

(٤) انظر: آيات سورة (المؤمنون، الآيات ١، ١١) وسورة (الأنعام ١٥١، ١٥٣) وسورة (الر ١٩، ٢٢) وسورة (الإسراء ٢٣، ٣٨).

(٥) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، ص ٥٩١، راجع السيرة النبوية للصلابي.

والتعامل مع الآخرين له أخلاق هي التوسط بين التقتير والإسراف، والحياة الجماعية لها أخلاق هي أن يكون الأمر شورىٰ بين الناس، والغضب له أخلاق هي العفو والصفح، ووقوع العدوان من الأعداء تستتبعه أخلاق هي النخوة والانتصار أي رد العدوان، وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له أخلاق تُكَيِّفه ولاشيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة.

إن الله سبحانه وتعالىٰ قد جعل التوحيد ـ أي إفراد الله بالعبادة ـ علىٰ رأس هذا المنهج الخُلقي الذي رسمته آيات سورة الإسراء: **﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾** (الإسراء: ٢٣). **﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾** (الإسراء: ٢٣).

لأن للتوحيد في الحقيقة جانباً أخلاقياً أصيلاً، إذ ترجع الاستجابة إلىٰ ذلك إلىٰ خلق العدل والإنصاف والصدق مع النفس، كما أن الإعراض عن ذلك يرجع في الحقيقة إلىٰ بؤرة سوء الأخلاق في المقام الأول، مثل الكبر عن قبول الحق، والاستكبار عن اتباع الرسل غروراً وأنفة، أو الولوع بالمراء والجدل بالباطل مغالبة وتطلعاً للظهور، أو تقليداً وجموداً علىٰ الإلف والعرف مع ضلاله وبهتانه وكلها ـ وأمثالها ـ أخلاق سوء تهلك أصحابها وتصدهم عن الحق بعد ما تبين وعن سعادة الدارين مع استيقان أنفسهم بأن طريق الرسل هو السبيل إليها.

تربية الصحابة على مكارم الأخلاق من خلال القصص القرآني (١):

إن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول العقدية والتوجيهات الأخلاقية والأساليب التربوية والاعتبار بالأمم والشعوب والقصص القرآني ليس أموراً تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين وإنما هي أعلىٰ وأشرف وأفضل من ذلك، فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد والعلم ومكارم الأخلاق والحجج العقلية والتبصرة والتذكرة والمحاورات العجيبة.

---

(١) المصدر السابق.

والمثل الرائع من القرآن الكريم لهذه التربية هو سورة يوسف لترىٰ فيها ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة، لترىٰ فيها اثنتي عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة[١] .

دعوة لكل السفراء:

حفلت الدعوة الإسلامية بكوكبة كبيرة من السفراء تعلموا الأخلاق من الأخلاقي الأول

أ - السفير الأول إلى الحبشة: جعفر بن أبي طالب :

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: خُلق جعفر المقتبس من مشكاة النبوة، وجمال خلقه المنحدر من أصلاب بني هاشم فقد قال رسول الله ﷺ لجعفر: «أشْبَهْتَ خَلقي وخُلقي»[٢] .

فالسفير بين يدي النجاشي كان قدوة لسفراء المسلمين علىٰ مر الزمان وكر العصور فقد اتصف بسمات السفراء المسلمين، كالإسلام والانتماء إليه، الفصاحة، العلم، حسن الخلق، الصبر، الشجاعة، الحكمة، سعة الحيلة، المظهر الجذاب[٣].

ب ـ أول سفير في المدينة: إنه مصعب بن عمير :

اختاره رسول الله ﷺ عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرىٰ، حيث كان رضي الله عنه بجانب حفظه لما نزل من القرآن يملك من اللباقة والهدوء، وحسن الخلق والحكمة قدراً كبيراً ، فضلاً عن قوة إيمانه وشدة حماسه للدين، ولذلك تمكن خلال أشهر من أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصاراً من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ، وأسيد بن حُضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهما[٤] .

---

(١) هذه الخصال كاملة في باب الدعوة والتفسير من هذه الموسوعة (دروس من سورة يوسف).

(٢) البخاري، صلح ٦ ، فضائل أصحاب النبي ١٠ .

(٣) سفراء النبي، محمود شيت خطاب، ٢/ ٢٥٢ .

(٤) انظر : الغرباء الأولون، ص ١٨٦ ، كما في السيرة للصلابي .

لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير، رضي الله عنه، في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم، وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية وبين النبي ﷺ وصحبه بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الأمنية لانطلاق الدعوة.

وقد نزل مصعب بن عمير رضي الله عنه في يثرب على أسعد بن زرارة رضي الله عنه[١]، ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله، يقود تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب رضي الله عنه وقد انتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا الذي تعلمه من إمامه ﷺ، وقد شرح لنا بعض الآيات القرآنية المكية بصورة عملية حية مثل قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقد أسلم على يديه أسيد بن حُضير وسعد بن معاذ سيدا قومهما حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات إلا ما كان من الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقيش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد ولم يُصلِّ لله سجدة قط وأخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة.

وقد روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة قط فإذا لم يعرفه الناس قال: هو أُصيرم بني عبدالأشهل[٢].

صدق وأدب الداعية من أهم أسباب نشر دعوته:

أرسل النجاشي إلى المسلمين ليسمع منهم فحضروا وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان فقال لهم النجاشي، ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل، قال جعفر بن أبي طالب ـ وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة،

---

(١) راجع إسلامهما في كتب السيرة.

(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة ١/ ٤٤٤.

ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على ما سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

الدرس العملي :

١ ـ أثناء الحديث إنزال الناس منازلهم (أيها الملك).

٢ ـ الحرص على عدم إساءة الحديث لأحد.

٣ ـ الحرص على إبراز المبادئ والقيم التي لا يختلف عليها الناس .

قوة الداعية وشجاعته من أسباب النصر:

لما سمع عمر بن الخطاب صدر سورة (طه) من أخته فقال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه دلوني على محمد ﷺ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة الرسول ﷺ لك ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام، ورسول الله في الدار التي في أصل الصفا.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم انطلق حتى أتى الدار، فضرب الباب فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف فأخبر رسول الله ﷺ واستجمع القوم،

فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر؟ فقال: **«وعمر؟ افتحوا له الباب، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه»**، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه، فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ثم جذبه جذبة شديدة فقال: **«ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم، هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»**، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد.

الدرس العملي:

١ ـ على المرء أن يكون شجاعاً مقداماً، وألا يكون خواراً أمام أبنائه حتى لايصابوا بالإحباط والهزيمة.

٢ ـ على المرء أن يدعو لأبنائه ويطلب لهم الهداية والتوفيق إلى الخير لكل المسلمين ولا مانع من أن تخص أحدهم بأدعية مخصوصة به.

خُلق متفرد في الدعوة والاستماع:

بعد إسلام البطلين الجليلين: حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أخذت السحب تنقشع، وأفاق المشركون من سكرهم في تنكيلهم بالمسلمين، وغيَّروا تفكيرهم في معاملتهم مع النبي ﷺ والمؤمنين، واختاروا أسلوب المساومات، وبذل الرغائب والمغريات، ولم يدر هؤلاء المساكين أن كل ما تطلع عليه الشمس لا يساوي جناح بعوضة أمام دين الله والدعوة إليه، فخابوا وفشلوا فيما أرادوا.

قال ابن اسحاق: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حُدِّثتُ أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً ـ وهو في نادي قريش ـ ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون فقالوا: بلى

ياأباالوليد قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة(١) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وَعِبْتَ به آلهتهم ودينهم، وكَفَّرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه ـ أو كما قال له ـ حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع إليه قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**»، قال: نعم، قال: «**فاسمع مني**»، قال: أفعل، فقال: ﴿**حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥**﴾ (فُصِّلَت).

ثم مضى رسول الله فيها، يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا

---

(١) هي المنزلة الرفيعة المهيبة.

الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

الدرس العملي:

١ ـ احرص على أن تكون رابط الجأش وأنت تدافع عن الإسلام.

٢ ـ أثناء طرح القضايا سواء خاصة بالإسلام أو بالمنزل أو قضايا عامة، احرص على أن يكون هناك متحدث واحد والباقي يستمع ولا يتحدث أكثر من واحد في وقت واحد.

٣ ـ احرص على أن تكون جيد الاستماع (تسمع ـ تفهم ـ تُحلل).

٤ ـ استشهد بالحجج القوية.

٥ ـ دع الطرف الذي أمامك هو الذي يقرر لا تفرض عليه حكماً.

الصبر من أفضل وسائل النصر:

في شوال سنة عشر من النبوة (في أواخر أو أوائل يونيو عام ٦١٩م) خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، سارها ماشياً على قدميه جيئة وذهاباً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منها.

وقد روى البخاري تفصيل القصة ـ بسنده ـ عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتي عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت ـ وأنا مهموم ـ على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ـ وهو المسمى بقرن المنازل

---

(١) ابن هشام ١/ ٢٩٣، ٢٩٤ .

- فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: **«إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم»**، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: **«يا محمد ذلك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت»**، والأخشبان: هما جبلا مكة، أبو قبيس والذي يقابله وهو قُعَيْقِعَان، قال النبي ﷺ: **«بل أرجوا أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً»**(١).

وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من خُلُقٍ عظيم لا يدرك غوره.

الدرس العملي:

قد يكون الإيذاء شديداً جداً على النفس، ولكن الصبر والصفح: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ (الحِجْر: ٨٥) من الأخلاق الفاضلة التي تُحَوِّل المواقف المتأزمة إلى رحمة واسعة، فاحرص على الصبر على أخلاق من حولك في المنزل وفي العمل وفي المجتمع.

إظهار شعائر الإسلام من أخلاق المسلم:

لما تعرض رسول الله ﷺ للأذى من أهل الطائف، وخرج من عندهم وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، فلما رآه عتبة وشيبة رَقَّا له ودعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عَدَّاس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كُل.

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: **«بسم الله»**، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: **«ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟»**، قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوي.

---

(١) البخاري، بدء الخلق، رقم ٣٢٣١، ٧٣٨٩، ومسلم، باب ما لقي النبي ﷺ ٢/ ١٠٩.

فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس قالا له:

ويلك يا عداس!! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه(١).

* إن تسمية النبي ﷺ قبل الأكل، تطبيق لسنة من سنن الإسلام الظاهرة، وقد كان من بركة ذلك انجذاب الرجل النصراني إلى الإسلام، فما أن ذكر رسول الله ﷺ اسم الله تعالى قبل الأكل حتى اهتز كيان ذلك المولى النصراني وجاشت مشاعره فأخبر النبي ﷺ بعجبه من ذلك، حيث لا يعرف أهل تلك البلاد ذكر اسم الله تعالى.

* إن التسمية قبل الأكل كسائر السنن الظاهرة من أسباب تميز المسلمين على من حولهم من الوثنيين وهذا التميز يلفت أنظار الكفار ويدفعهم إلى السؤال عن سبب ذلك ثم يقودهم ذلك إلى فهم الدين الإسلامي والانجذاب إليه(٢).

الدرس العملي:

احرص على احترام الشرائع والشعائر وخاصة البسملة اكتبها مع الاسم على باب المنزل، واكتبها قريباً من مائدة الطعام، واكتبها على عجلة القيادة للسيارة، حتى تصبح عادة عندك في كل وقت وحال، افعل ذلك مع سائر الأدعية المأثورة.

---

(١) صحيح السيرة النبوية، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) التاريخ الإسلامي ٣/ ٢٢، كما في السيرة للصلابي.

رد الجميل والوفاء من أخلاق ترابط المجتمع:

خرج النبي ﷺ من الطائف مطروداً وصمم على العودة إلى مكة وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعني قريشاً، فقال: **«يا زيد إن الله جاعلٌ لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»**، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال سهيل: إن بني عامر لا تجير على بني كعب.

فبعث إلى **المطعم بن عدي**، فقال المطعم: نعم، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرتُ محمداً، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ: أن ادخل فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرتُ محمداً فلا يهجه أحد منكم، وانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وطاف بالبيت وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته ومطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته.

وليس هذا أول موقف للمطعم بن عدي فلا ننسى أن المطعم قام بنقض الصحيفة الظالمة مع غيره.

وقد حفظ رسول الله ﷺ صنيع مطعم بن عدي وعرف مدى الخطورة التي عرض نفسه وولده وقومه لها من أجله فقال عن أسارى بدر السبعين يوم أسرهم: **«لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»**(١).

فمع العداء العقدي فرسول الله ﷺ يفرق بين من يعادى هذه العقيدة ويحاربها، ومن يناصرها ويسالمها، إنهم وإن كانوا كفاراً فليس من سمة النبوة أن تتنكر للجميل(٢).

---

(١) البخاري، كتاب ٦٤ رقم الحديث ٤٠٢٤.

(٢) انظر: التحالف السياسي، ص ٤٤ كما في السيرة للصلابي.

الدرس العملي:

إذا كان رد الجميل واجباً على المسلم لمن أسدى إليه معروفاً ولو كان غير مسلم فهو أوجب للمسلم على أخيه المسلم، ولذلك أذكر هنا قول عمر بن الخطاب لمن جاء يشكو زوجته، فقال له عمر: أليست هي طاهية طعامك؟ وغاسلة ثيابك؟ ومربية أولادك؟ وعدَّد له عمر أفعال الزوجة.. فانصرف الرجل وقد عرف كيف يرد الجميل، وكان من فعل النبي ﷺ للسيدة خديجة وفاؤه لها بعد موتها كما قالت السيدة عائشة، أن النبي ﷺ قال عنها: **«آمنت بي حينما كذبني الناس، وواستني بمالها حينما حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد»**[١] .

حب الوطن من أخلاق المسلم:

وقف الرسول ﷺ عند خروجه بالحَزْوَرَة في سوق مكة وقال: **«والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ماخرجت»**[٢].

الدرس العملي:

إن الانتماء للوطن يفرض على المسلم أن يحرص عليه اقتداءاً بالأخلاقي الأول ﷺ، ومن صور هذا الحب للوطن:

١ ـ عدم إهدار ثرواته بأي صورة من صوره سواء بالرشوة، أو الإتلاف، أو التقصير في العمل، فلا تترك من يعبث بمرافق وطنك، واغرس حب الوطن في أبنائك فأنت في هذا الوطن كمثل قوم استهموا على سفينة[٣].

٢ ـ الدفاع عنه في كل مكان بكل وسائل الدفاع (بالكلمة ـ بالسلوك ـ بالنفس).

---

(١) راجع باب الأسرة من هذه الموسوعة.

(٢) رواه الترمذي، مناقب فضل مكة ٥/ ٧٢٢ حديث صحيح.

(٣) جزء من حديث شريف سبق تخريجه كاملاً.

خُلُق فَذّ يدل على همة عالية:

أمانات المشركين عند رسول الله ﷺ :

في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله دليل باهر على ما اعتراهم من تناقض عجيب، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر أو مجنون أو كذاب لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يأتمنون على أموالهم ولا حوائجهم إلا هو، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم(١)، وصدق الله العظيم: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ (الأنعام: ٣٣).

وفي أمر الرسول ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تُنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره(٢).

الواقع الآن: إن البشرية تعاني من مصادرات الأموال والعقارات والودائع سواء بين الدول وبعضها، والأفراد وبعضها، والأفراد والدول، وقد يتم ذلك لمجرد الشبهة، حتى الأوراق المالية والشيكات بين الأفراد إما بدون رصيد أو مُزورة، ولن يشعر المجتمع الإنساني بالأمان إلا إذا عاش هذا الخُلق الفذ لرسول الله ﷺ.

الدرس العملي:

على المرء صيانة الأمانة، وإن أساء أصحابها إليك، فالذين حاولوا قتل النبي ﷺ لم يصادر أماناتهم.

---

(١) انظر: فقه السيرة، د. البوطي، ص ١٩٣ .

(٢) انظر: الهجرة في القرآن الكريم ، ص ٣٦٤ .

وعلى المسلم ألا يستوفي حقه من أمانة عنده ، لحديث المصطفى ﷺ : **«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»**(١) .

الداعية يَعِفُّ عن أموال الناس:

١ - الراحلة بالثمن:

كَمن (اختبأ) رسول الله ﷺ والصديق في غار ثور ثلاث ليال ، وحين خمدت نار الطلب ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش ، وهدأت ثائرة قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة .

وكانا قد استأجرا عبد الله بن أُرَيْقِط الليثي وكان هادياً خِرِّيتاً - ماهراً بالطريق - وكان على دين كفار قريش وائتمناه على ذلك ، وسلما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما ، فلما كانت ليلة الاثنين غرة ربيع الأول عام ١ هـ - ١٦ سبتمبر عام ٦٢٢م - جاءهما عبد الله بن أُريقط بالراحلتين وكان قد قال أبو بكر للنبي ﷺ عند مشاورته في البيت : بأبي أنت يا رسول الله ، خذ إحدى راحلتي هاتين وقرب إليه أفضلهما ، فقال رسول الله ﷺ : **«بالثمن»** ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بسُفرتها ، ونسيت أن تجعل لها عِصَاماً فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام ، فشقت نطاقها اثنين فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر ، فَسُمِّيَتْ ذات النطاقين(٢) .

« لم يقبل رسول الله ﷺ أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر رضي الله عنه واستقر الثمن ديناً بذمته ، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد فى وقت من الأوقات فهم مصدر العطاء في كل شيء .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) صحيح البخاري ، ١/ ٥٥٣ - ٥٥٥ .

إن يدهم إن لم تكن العليا فلن تكون السفلىٰ، وهكذا يصر رسول الله ﷺ أن يأخذها بالثمن، وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩).

إن الذين يحملون العقيدة والإيمان ويبشرون بهما ما ينبغي أن تمتد أيديهم إلىٰ أحد ـ إلا الله ـ؛ لأن هذا يناقض ما يدعون إليه، وقد تعود الناس أن يعوا لغة الحال؛ لأنها أبلغ من لغة المقال وما تأخر المسلمون وأصابهم من الهوان إلا يوم أصبحت وسائل الدعوة والعاملين بها خاضعة للغة المادة، إذ ينتظر الواحد منهم مرتبه ويومها تحول العمل إلىٰ عمل مادي، فقد الروح والحيوية والوضاءة وأصبح للأمر بالمعروف موظفون وأصبح الأئمة والخطباء موظفين.

إن الصوت الذي بُعِثَ من حنجرة وراءها الخوف من الله، والأمل في رضاه، غير الصوت الذي ينبعث ليتلقىٰ دراهم معدودة، فإذا توقفت توقف الصوت، وقديماً قالوا: «ليست النائحة كالثكلىٰ»، ولهذا قل التأثير، وبَعُدَ الناس عن جادة الصواب»[1].

٢ ـ لما عفا النبي ﷺ عن سراقة، عرض عليه سراقة المساعدة، وقال: هذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: **«لا حاجة لي فيها»**[2].

فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس وحين يطعمون في أموال الناس ينفر الناس منهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلىٰ الله تعالىٰ[3].

الدرس العملي:

١ ـ لا يجوز للمسلم استغلال المنصب أو المكانة لتحصيل أي عائد مهما كان.

---

(١) انظر: معين السيرة، ص ١٤٨، ١٤٩، عن السيرة النبوية للصلابي.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣ رقم الحديث ٣ تحقيق أحمد شاكر، وقال محققوا طبعة الرسالة: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) انظر: في ظلال الهجرة النبوية، ص ٥٨، كما في السيرة للصلابي.

ولعل هذا السلوك كان خلقاً عند النبي ﷺ كما رأيت وهو (يُعلم ويوجه أصحابه إلىٰ التطبيق العملي لذلك، حينما جاء الرجل بمال الزكاة قال: «هذا لكم وهذا أُهْدِي إليَّ»، فقال النبي ﷺ: **«هلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدى له أم لا»**(١).

٢ ـ احذر من الهدايا تحت أي مسمىٰ من المسميات، فقد أُهدىٰ إلىٰ عمر بن عبد العزيز هدية (وهو خليفة) فردها فقيل له: كان رسول الله يقبل الهدية فقال: «كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة»(٢).

الأخلاق الراسخة لا تتأثر بسفر أو حضر أو خوف أو أَمْن أو صَلاح المزاج أو اعتلاله:

ففي طريق الهجرة أسلم لِصَّان علىٰ يدي رسول الله ﷺ، حيث كان في طريقه ﷺ بالقرب من المدينة لصان من أسلم، يقال لهما المهانان، فقصدهما ﷺ وعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما فقالا نحن المهانان فقال: **«بل أنتما المكرمان»**، وأمرهما أن يقدما عليه المدينة(٣)، وفي هذا الخبر يظهر اهتمامه ﷺ بالدعوة إلىٰ الله، حيث اغتنم فرصة في طريقه ودعا اللصين إلىٰ الإسلام فأسلما، وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش، والسلب والنهب دليل علىٰ سرعة إقبال النفوس علىٰ اتباع الحق إذا وُجِدَ من يمثله بصدق وإخلاص وتجردت نفس السامع من الهوىٰ المنحرف، وفي اهتمام الرسول ﷺ بتغيير أسمي هذين اللصين من المهانين إلىٰ المكرمين دليل علىٰ اهتمامه ﷺ بسمعة المسلمين ومراعاته مشاعرهم إكراماً لهم، ورفعاً لمعنوياتهم.

وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلىٰ الأمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح(٤).

٢

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري، حيل ١٥، ومسلم ١٨٣٢.
(٢) الحلال والحرام، د. القرضاوي، ص ٢٨٧.
(٣) الفتح الرباني للساعاتي ٢٠/ ٢٨٩ ورقمه في المسند ١٦٦٩١، رجاله ثقات.
(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي ٣/ ١٧٨.

استقبال الأنصار لرسول الله ﷺ :

لما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة كانوا يغدون كل غداة إلىٰ الْحَرَّة فينتظرونه حتىٰ يردَّهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلىٰ بيوتهم أوفَىٰ رجل من يهود علىٰ أُطُم[1] من آطامهم، لأمر ينظر إليه فَبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين[2]، يزول بهم السراب[3]، فلم يملك اليهودي أن قال: بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب هذا جدكم[4] الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلىٰ السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة فعدل بهم ذات اليمين حتىٰ نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحيي أبا بكر حتىٰ أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتىٰ ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بِضْعَ عشرة ليلة وأَسس المسجد الذي أُسس علىٰ التقوىٰ، وصلىٰ فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته[5].

مكافأة النبي ﷺ لأم معبد:

وقد روىٰ أنها كثرت غنمها ونمت حتىٰ جلبت منها جلباً إلىٰ المدينة فمر أبو بكر فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك.

فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدرين من هو؟ قالت: لا، قال: هو نبي الله فأدخلها عليه، فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها ـ وفي رواية: فانطلقت معي وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب فكساها وأعطاها.

---

(١) أطم، كالحصن.

(٢) مبيضين، عليهم ثياب بيض.

(٣) يزول السراب، أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له.

(٤) جدكم، حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه.

(٥) البخاري، مناقب الأنصار ٥/ ٧٧، ٧٨، ورقمه ٣٩٠٦.

قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت، وذكر صاحب (الوفاء) أنها هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها خنيس واستشهد يوم الفتح(١) .

قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: **«اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، أو أشد وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفَة، اللهم بارك لنا في مُدِّنا وصاعنا»**(٢) .

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمىٰ، وغدت المدينة موطناً ممتازاً لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين علىٰ تنوع بيئاتهم ومواطنهم(٣) .

الدستور والسياسة عند الأخلاقي الأول ﷺ :

وضع النبي ﷺ وثيقة لسكان المدينة، من المهاجرين والأنصار واليهود، وأوضحت هذه الوثيقة مدىٰ العدالة التي تميزت بها معاملة النبي ﷺ لليهود، وأعطت لمواطني الدولة مفهوم الحرية الدينية وضربت عرض الحائط بمبدأ التعصب ومصادرة الأفكار والمعتقدات، ولم تكن المسألة مسألة تكتيك مرحلي ريثما يتسنىٰ للرسول ﷺ تصفية أعدائه في الخارج، لكي يبدأ تصفية أخرىٰ إزاء أولئك الذين عاهدهم. . . وحاشاه. . وإنما صدر هذا الموقف وفق سياسة إسلامية منبثقة من شريعة ربانية(١) .

لقد عقد الرسول ﷺ مع اليهود المعاهدات التي تُؤَمِّن لهم الحياة الكريمة في ظل الدولة الإسلامية بحكم أنهم أهل كتاب (أهل الذمة) ولكن طبيعة اليهود الغدر والخيانة وعدم الوفاء، ولم يستطيعوا ـ ولن يستطيعوا لؤما وخسة ـ أن يتخلوا عن تلك الصفات الذميمة فنقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ وكانت نهايتهم جزاءاً

---

(١) السيرة النبوية، لأبي شهبة ١/ ٤٩٨، ٤٩٠ .

(٢) البخاري، دعوات رقم ٦٣٧٢ .

(٣) القيادة التربوية (٢/ ٣١٠) .

(٤) انظر: دراسات في السيرة، ص ١٥١ .

وفاقاً لخيانتهم، حيث أجلى رسول الله ﷺ بني قينقاع وبني النضير وقتل رجال بني قريظة(١).

ولقد أشار القرآن الكريم إلى طبيعة اليهود مع العهود فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٥٦).

والعهد(٢) هنا ما عقده رسول الله ﷺ مع اليهود من عهود ومواثيق بألا يحاربوه ولا يعاونوا عليه كما قال ذلك المفسرون(٣).

أخلاق حربية جهادية:

نذكر منها (الصدق ـ حسن المعاملة ـ أمانة القيادة):

١ ـ رسول الله ﷺ يقوم بعملية الاستكشاف في غزوة بدر الكبرى:

وهناك قام ﷺ بنفسه بعملية الاستكشاف مع رفيقه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحاب ـ سأل عن الجيشين زيادة في التكتم ـ ولكن الشيخ قال: لا أخبركم حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال أو ذاك بذاك؟ قال: نعم.

قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به جيش المدينة.

وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به جيش مكة.

ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه، وبقي الشيخ يتفوه: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

---

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص ١٢١.

(٢) راجع في السيرة الوثيقة أو الصحيفة التي وضعها النبي ﷺ للمعاملات بين سكان المدينة بين المهاجرين والأنصار واليهود وتتكون من ٤٦ مادة دستورية.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٣٠.

٢ ـ الحصول على أهم المعلومات عن الجيش المكي :

وفي مساء ذلك اليوم بعث ﷺ استخباراته من جديد ليستطلع أخبار العدو وانتدب لهـذه العملية ثلاثة من قادة المهاجرين، علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه، ذهبوا إلىٰ ماء بدر فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة، فألقوا عليهما القبض وجاءوا بهما إلىٰ الرسول ﷺ وهو في الصلاة فاستخبرهما القوم، فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ـ لا تزال في نفوسهم بقايا أمل في الاستيلاء علىٰ القافلة ـ فضربوهما ضرباً موجعاً حتىٰ اضطر الغلامان أن يقولا : نحن لأبي سفيان فتركوهما .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة قال لهم كالعاتب : «**إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله إنهما لقريش**» .

ثم خاطب الغلامين قائلاً : «**أخبراني عن قريش**»، قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ العدوة القصوىٰ، فقال لهما : «**كم القوم؟**»، قالا : كثير، قال : «**ما عدتهم؟**»، قالا : لا ندري، قال : «**كم ينحرون كل يوم؟**»، قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ : «**القوم فيما بين التسعمائة إلى الألف**»، ثم قال لهما : «**فمن فيهم من أشراف قريش؟**»، قالا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل ابن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف في رجال سمياهم، فأقبل رسول الله ﷺ علىٰ الناس فقال : «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**» .

نزول المطر:

وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان علىٰ المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقدم، وكان علىٰ المسلمين طلا[1] طهرهم به، وأذهب عنهم

---

(١) الطَلاَ : الصغير من كل شيء، وطِلَىٰ الشيء بكذا : دهنه بما يستره، أي أن المطر الذي نزل =

رجس الشيطان ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم.

٣ ـ الجيش الإسلامي يسبق إلى أهم المراكز العسكرية:

وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحُبَاب بن المنذر كخبير عسكري وقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**».

قال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم (قريش) فننزله ونُغَوِّر (أي نُخَرِّب) ما وراءه من القُلُب (أي الآبار).

ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرتَ بالرأي**».

فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه شطر الليل، ثم صنعوا الحياض وغوَّرا ما عداها من القُلُب.

٤ ـ الرسول ﷺ يناشد ربه :

أما رسول الله ﷺ فكان منذ رجوعه بعد تعديل الصفوف يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك**»، حتى إذا حمي الوطيس، واستدارت رحى الحرب بشدة واحتدم القتال، وبلغت المعركة مداها قال: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً**».

وبالغ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده عليه الصديق وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك.

=على المسلمين كان خفيفاً لمجرد أنه طلا الأرض تحت أقدامهم، المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٥٨٥، مادة طلى.

٥ ـ خُلُق القائد المنتصر في الأسارى:

وقدم الأسارىٰ بعد بلوغه المدينة بيوم، فقسمهم علىٰ أصحابه وأوصىٰ بهم خيراً فكان الصحابة يأكلون التمر، ويقدمون لأسراهم الخبز، عملاً بوصية رسول الله ﷺ.

ولما بلغ رسول الله ﷺ المدينة استشار أصحابه في الأسارىٰ فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرىٰ أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا علىٰ الكفار وعسىٰ أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يابن الخطاب؟**».

قال: والله ما أرىٰ ما رأىٰ أبو بكر، ولكن أرىٰ أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتىٰ يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء.

٦ ـ رعاية القائد لجنوده في حفر الخندق:

أ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق مُحفر[١] فعرضت كُدْيَة شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدية عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازل**»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكدية فعادت كثيباً أهيل[٢] أو أهيم[٣].

قال جابر: فقلت يا رسول الله ائذن لي إلىٰ البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق[٤].

---

(١) محفر، اسم فاعل من أحفر، حافر: اسم فاعل من حفر.

(٢) أهيل، رملا سائلاً، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٨٩.

(٣) أهيم، الرمل الذي لا يتمالك، انظر: لسان العرب ٣/ ٨٥٨.

(٤) العناق، الأنثىٰ من أولاد المعز، انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣١٠.

فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة[١]، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي[٢]، وقد كادت أن تنضج فقلت: طُعَيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟»، فذكرت له، فقال: «كثير طيب» قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار.

فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا[٣].

فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة[٤].

ب ـ وهذه ابنة بشير بن سعد تقول: دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية: اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذائهما.

قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال: **«تعالي يا بنية ما هذا معك؟»**، فقلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال: **«هاتيه»**.

قالت: فصببته في كفيّ رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبُسط له، ثم دعا عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغذاء. فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

---

(١) البرمة، هي القدر مطلقاً، انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢١ .

(٢) الأثافي، الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها، انظر: القاموس المحيط (٣/ ١٢٠) .

(٣) ولا تضاغطوا، أي لا تزاحموا، انظر: لسان العرب ٢/ ٥٣٧ .

(٤) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق رقم ٤١٠١ .

احترام المعارضة النزيهة(١) :

بعد الاتفاق على معاهدة الصلح (صلح الحديبية) وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة، وقوية لهذه الاتفاقية وخاصة في البندين المُلزمين للنبي ﷺ برد من جاءه من المسلمين لاجئاً، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتداً، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة، دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضة لهذه الاتفاقية وانتقاداً لها، عمر بن الخطاب، وأُسيد بن حضير سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج.

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ معلناً معارضته لهذه الاتفاقية وقال لرسول الله ﷺ: ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى: قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه**»(٢).

وفي رواية: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني**»(٣).

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**»، قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**».

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر: ناصحاً الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة وقال: «الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله»(٤).

وبعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح،

---

(١) السيرة، د. الصلابي، جـ٢، ص ٣٦٢.
(٢) انظر: معين السيرة، ص ٣٣٣.
(٣) انظر: تاريخ الطبري ٢/ ٦٣٤.
(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٣/ ٣٤٦.

وذهبت مجموعة منهم إلىٰ رسول الله ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم مجددا للصلح، إلا أن النبي ﷺ بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه في صالح المسلمين وأنه نصر لهم[1]، وأن الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبي جندل فرجاً ومخرجاً وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ.

وبهذا يتبين أن الرسول ﷺ وضع قاعدة احترام المعارضة النزيهة، حيث قرر ذلك بقوله وفعله وهو ـ والله أعلم ـ إنما أراد بهذا الفعل إرشاد القادة من بعده إلىٰ احترام المعارضة النزيهة التي تصدر من أتباعهم، وذلك بتشجيع الأتباع علىٰ إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة[2] .

وهذا الهدي النبوي الكريم بين أن حرية الرأىٰ مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه ولو كان هذا الرأي نقداً لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر.

ونفهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ أن المعارضة لرئيس الدولة في رأي من الآراء وموقف من المواقف، ليست جريمة تستوجب العقاب، يغيب صاحبها في غياهب السجون[3] .

٨ ـ دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعال [4] :

دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[5] ، وهو واضح رأسه تواضعاً لله، حين رأي ما أكرمه الله به من الفتح، حتىٰ أن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح مستشعراً نعمة الفتح وغفران

---

(١) صلح الحديبية، باشميل، ص ٢٧٠ .
(٢) القيادة الفكرية في عهد الرسول ﷺ، ص ٤٩٥ .
(٣) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٤) السيرة النبوية، د. الصلابي .
(٥) مسلم، رقم ١٣٥٨ .

الذنوب وإفاضة النصر العزيز(١)، وعندما دخل مكة فاتحاً ـ وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي ـ رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد وهو ابن مولى رسول الله ﷺ ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة(٢) .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في وصف دخول النبي ﷺ مكة:

على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله ﷺ على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء ورأسه خفيض من شدة التخشع لله لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجم. .

إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثاً إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول كيف خرج مطارداً؟ وكيف يعود اليوم منصوراً مؤيداً؟ وأي كرامة عظمى حفه الله بها هذا الصباح الميمون؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعاً وانحناءً. (٣) .

هذا وقد حرص النبي ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عبادة لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة، قال ﷺ: «**هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**»، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد، وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هو في غنى عنها وفي نفس الوقت لم يُثره ولا أثار الأنصار، وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر أن لا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه(٤) .

---

(١) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص ٣٩٦ .
(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص ٣٣٧ .
(٣) فقه السيرة، للغزالي، ص ٣٧٩، ٣٨٠ .
(٤) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ص ١٩٦ .

إعلان العفو العام:

أ - **نال أهل مكة عفواً عاماً**، رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول ﷺ ودعوته، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول ﷺ فيهم فقال: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**»، فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال: «**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**»[1] .

ب - **مثل من عفو النبي ﷺ وحلمه : إسلام فضالة بن عمير** : أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: «**أفضالة؟**»، قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «**ماذا كنت تحدث به نفسك؟**»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: «**استغفر الله**»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا .

أخلاق تشريعية:

١ - أتكلمني في حد من حدود الله؟[1]

قال عروة بن الزبير: إن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة، فلما كلمه أسامة فيها تَلَوَّن وجه رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**».

---

(١) المجتمع المدني للعمري، ص ١٧٩ .

(٢) السيرة النبوية، د. الصلابي.

ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها .

فحسنت توبتها بعد ذلك . . وتزوجت . .

قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ(١) .

وهكذا يستمر البناء التربوي للأمة لنرى العدل في إقامة شرع الله على القريب والبعيد على حد سواء، ووجدت قريش نفسها أمام تشريع رباني لا يفرق بين الناس فهم كلهم أمام رب العالمين سواء، وأصبحت معايير الشرف هي الالتزام بأوامر الله تعالى، وأن في هذا الموقف الذي أثار غضب رسول الله الشديد واهتمامه الكبير لعبرة للمسلمين حتى لا يتهاونوا في تنفيذ أحكام الله تعالى، أو يشفعوا لدى الحاكم من أجل تعطيل الحدود الإسلامية(٢) .

٢ - إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين :

كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال : نعم، فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : «**أما كان رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمت فيقتله**»، فقالوا : يا رسول الله هلا أومأت إلينا؟ فقال : «**إن النبي لا يقتل بإشارة**»(٣) ، وفي رواية : «**أنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين**»(٤) .

قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض الأعمال، ثم ولاه عثمان(٥) ، وقال ابن كثير : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح، أو بعد انقضاء صلاته في بيته(٦) .

---

(١) البخاري، المغازي، رقم ٣٤٠٤ .

(٢) معين السيرة، ص ٤٠٢، التاريخ الإسلامي ٧/٢٣٣ .

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٦ .

(٤) صحيح السيرة النبوية، ص ٥٢٨ .

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام ٤/ ٥٨ .

(٦) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٦ .

أخلاق اجتماعية:

أ - أجرنا من أجرت يا أم هانئ:

قالت أم هانئ بنت أبي طالب: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليَّ فقال: «**مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟**»، فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «**قد أجرنا من أجرتِ، وأمّنَّا من أمّنْتِ فلا يقتلهما**»(١).

ب - معاملته ﷺ لجابر بن عبد الله:

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - خرجت مع رسول الله إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال: جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: «**ما لك يا جابر؟**»، قال: قلت: يا رسول الله أبطأني جملي هذا، قال: «**أنخه**»، فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: «**أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع لي عصا من شجرة**»، قال: ففعلت قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال: اركب فركبت فخرج - والذي بعثه بالحق - يواهق ناقته مواهقة (أي يسابقها ويعارضها في المشي لسرعته).

في هذه القصة صورة جميلة ورفيعة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث لطف الحديث والتواضع الرفيع ورقة الحديث وفكاهة المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية مادياً ومعنوياً، فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جمله الذي لا يملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيداً في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم وهو مقل في الرزق(٢).

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٤/ ٥٩، ٦٠ . (١) السيرة النبوية، للصلابي ٢/ ٢٢٣ .

جـ. لم يكن يتميز على أصحابه:

كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاه فقال رجل: عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال رسول الله ﷺ: «**وعليَّ جمع الحطب**»، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: «**قد علمت أنكم تكفونني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه**»، وقام بجمع الحطب(١).

إلى الرفيق الأعلى (٢):

قبل يوم أو يومين من وفاته ﷺ: يوم السبت أو الأحد وجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه بألا يتأخر قال: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى يسار أبي بكر فكان يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ ويسمع الناس التكبير(٣).

وقبل يوم من الوفاة ـ يوم الأحد ـ أعتق النبي ﷺ غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده(٤)، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل أرسلت عائشة بمصباحها امرأة من النساء وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عُكَّتِك السمن(٥)، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير(٦).

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٤١٧.
(٢) الرحيق المختوم، ص ٣٩٩.
(٣) صحيح البخاري، مع فتح الباري ٢/ ١٩٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ح (٦٨٣، ٧١٢، ٧١٣)
(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٧، تفيد بعض الروايات أنه تصدق بها ليلة الاثنين أو يوم الاثنين أي في آخر يوم من حياته.
(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٩.
(٦) انظر: صحيح البخاري، ح (٢٠٦٨، ٢٠٩٦، ٢٢٠٠، ٢٢٥١، ٢٣٨٦، ٢٥٠٩، ٢٥١٣، ٢٩١٦، ٤١٦٧) وفي أواخر المغازي، توفي رسول الله ودرعه مرهونه وعند أحمد فما وجد ما يفتكها به (فتح الباري ٥/ ١٦٩).

آخر يوم من الحياة :

روىٰ أنس بن مالك : أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين ـ وأبو بكر يصلي بهم ـ لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر علىٰ عقبيه ليصلِ الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلىٰ الصلاة، فقال أنس : وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخىٰ الستر(١).

ثم لم يأت علىٰ رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرىٰ . .

ولما ارتفع الضحىٰ دعا النبي ﷺ فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ـ أي فيما بعد ـ فقالت : سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني أني أول أهله يتبعه فضحكت(٢) .

* وبشر النبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين(٣) .

* ورأت فاطمة ما برسول الله من الكرب الشديد الذي يتغشاه .

فقالت : وا كرب أباه، فقال لها : «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»(٤) .

ودعا الحسن والحسين فقبلهما وأوصىٰ بهما خيراً ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

وطفق الوجع يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتىٰ كان يقول : «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَرِي من ذلك السم**»(٥) .

---

(١) انظر : صحيح البخاري، مع فتح الباري ٢/ ١٩٣ ح (٦٨٠، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨) .
(٢) صحيح البخاري، ٢/ ٦٣٨ .
(٣) ويدل بعض الروايات علىٰ أن هذا الحوار والبشارة لم يكن في آخر يوم من حياته، بل في آخر أسبوع (رحمه الله للعالمين ١/ ٢٨٢) .
(٤) صحيح البخاري، ٢/ ٦٤١ .
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٧ .

وقد طرح خَمِيصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك، وكان هذا آخر ما تكلم وأوصى به الناس: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** ـ يحذر ما صنعوا ـ **لا يبقين دينان بأرض العرب»**(١).

وأوصى الناس فقال: **«الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»** ـ كرر ذلك مراراً(٢).

الاحتضار:

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عبد الرحمن ـ بن أبي بكر ـ وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره، وفي رواية أنه استن به كأحسن ما كان مستنا ـ وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه يقول: **«لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»**(٣).

وبعد أن فرغ من السواك رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه وهو يقول: **«مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»**(٤).. كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً.. ومالت يده.. ولحق بالرفيق الأعلى.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتد الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ هـ وقد تم له ﷺ ثلاث وستون، وزادت أربعة أيام.

---

(١) صحيح البخاري، مع فتح الباري ١/ ٦٣٤ ح (٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٣٤٥٤، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ٥٨١٥، ٥٨١٦) وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري، ٢/ ٦٣٧.

(٣) صحيح البخاري، باب مرض النبي ٢/ ٦٤٠، والسحر: الرئة.

(٤) صحيح البخاري، باب مرض النبي، وباب آخر ما تكلم النبي ٢/ ٦٣٨، ٦٤١.

المبحث الثاني

وحدة تماسك المجتمع

لقد أكد الإسلام مراراً على الوحدة بين أفراد المجتمع المسلم، فهذه الوحدة عبادة يجب أن يلتزم بها كل فرد في المجتمع، بل دعا الإسلام أهله إلى الحرص على الألفة والمحبة والود بين أفراد المجتمع، فالوحدة والألفة صمام أمان المجتمع.

وهذه الوحدة تتم عن طريق مجموعة من الأخلاق هي :

١ ـ الأخـوَّة

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ واتَّقُوا اللَّهَ** .. ﴾ (الحجرات : ١٠)، ويقول أيضاً : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ... ﴾ (آل عمران : ١٠٣).

ويقول الشاعر :

يا أخـي في الهنـد أو في المغـرب   أنـا مـنـك أنـت بـي
لا تـسـل عن عنصـري أو نسبـي   إنـه الإسـلام أمي وأبـي

الأخـوَّة : هذه الكلمة تعني الشـقـيق أو لأب أو لأم أو رضـاعـة . . وتعني الشريك ـ الصديق ـ المواسي ـ الصاحب الملازم .

أهميتها : في كل يوم تسمع عن قتل وسجن وتشريد على مستوى العالم . . وليس ذلك إلا لأمة الإسلام . . تداعت علينا الأكلة . . تفرق شملهم إلا علينا . . فصرنا كالفريسة للكلاب . . والسبب في ذلك : غياب الأخوَّة، بل وانتشار التشرذم والفرقة . . لو أن رابطة الأخوَّة موجودة بين أبناء الأمة جميعاً ما تجرأ أحفاد القردة والخنازير على أن يمسوا شعرة في رأس مسلم .

مصدر الأخوَّة :

١ ـ هي سر من أسرار الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا**

أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٣).

٢ - هي ثمرة من ثمرات الإيمان، وهي نتيجة طبيعية له، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلالله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف به في النار»(١).

منزلتها وفضلها:

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. منهم: ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...»(٢).

وقال ﷺ أيضاً: «إن من عباد الله أناساً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: «من هم لعلنا نحبهم»، قال: «هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»(٣). ثم قرأ: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»(٤).

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه»(٥).

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٩، ١٤، إكراه ١، أدب ٤٢، ومسلم، إيمان ٦٦.

(٢) رواه البخاري، أذان ٣٦، رقاق ٢٤، زكاة ١٦، حدود ١٩.

(٣) رواه الترمذي، زهد ٥٣، وأحمد ٥/ ٢٢٩، ٢٣٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

(٤) رواه مسلم، إيمان ٩٣.

(٥) رواه الطبراني، وأبو يعلى، وابن حبان، و الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»(١).

متطلبات الأخوة:

١ ـ أن أؤدي حقوقها ـ عدم الإيذاء باللسان ـ ولا يتغير القلب ـ أداوم على الدعاء لأخي بظهر الغيب ـ أحفظ ماله.

٢ ـ ألا أدع من يمشي بيني وبين أخي فيعكر صفو هذه الأخوة، يعني «أفديها بروحي»، فهي سبب نجاتي يوم القيامة.

٣ ـ أحافظ على درجات الأخوة، وأقلها سلامة الصدر، وأعلاها الإيثار.

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ثلاثة يصفين لك ود أخيك: تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه».

ـ وقال ابن السماك: قال له صديقه الموعد بيني وبينك غداً لنتعاتب، فقال ابن السماك: غداً نتغافر.

ـ يقول الشيخ علي مطر ـ رحمه الله ـ:

وكنت أُطعم اللقمة أخي، فأجد حلاوتها في حلقي.

ـ ويقول:

لما مرضنا أتيناكم نعودكم وتخطئون فنأتيكم نعتذر

سبل تحقيق الأخوة:

١ ـ إفشاء السلام للحديث السابق ذكره.

٢ ـ عدم الهجر، قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان**

---

(١) رواه البخاري، جنائز ٢، نكاح ٧١، أشربة ٢٨، لباس ٣٦، ٤٥، وأدب ١٢٤، استئذان ٨، مظالم ٥، ومسلم، سلام ٥، ٦، لباس ٢.

فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(١) .

٣ ـ التواضع ، فعن عياض بن حِمَارٍ، أن رسول الله ﷺ قال : **«إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»**(٢) .

٤ ـ التراحم والتواد، للحديث عن نعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ قال : **«ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»**(٣) .

٥ ـ حُسن الخلق : للحديث عن السيدة عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»**(٤) .

آفات الأخوة :

١ ـ الأثرة . . (الأنانية)، وهي عكس (الإيثار) .

٢ ـ التهكم والاستهزاء والسخرية .

٣ ـ التفاخر بالأنساب .

٤ ـ عدم الاحتكام إلىٰ شرع الله في العلاقات .

٥ ـ الغيرة والحسد والكِبر . . وباقي الأمراض القلبية .

٦ ـ عدم معرفة فضل وثواب الأخوةً .

هذه الآفات قال عنها النبي ﷺ : **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»**. قالوا : «بلىٰ يا رسول الله» . قال : **«إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»**(٥) .

---

(١) رواه البخاري، أدب ٥٧ ، ٦٢ ، استئذان ٩ ، ومسلم، بر ٢٣، ٢٥، ٢٦ .

(٢) رواه مسلم، جنة ٦٥ .

(٣) رواه البخاري، أدب ٢٧ ، ومسلم، بر ٦٦ .

(٤) رواه أبو داود، أدب ٧، وابن حبان في صحيحه، والحاكم ، وقال : صحيح علىٰ شرطهما، ومالك في الموطأ، حسن الخلق ٦ .

(٥) رواه أبو داود، أدب ٥٠ ، والترمذي، قيامة ٥٦ ، وقال الترمذي : صحيح غريب .

حقائق في الأخوة :

١ ـ عليها الجزاء، قال تعالىٰ: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ (الحجر: ٤٧).

٢ ـ تركها عليه العقاب، قال تعالىٰ: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ (الزخرف: ٦٧). وروىٰ مسلم في صحيحه قال: «**تفتح أبواب الجنة الإثنين والخميس وتعرض أعمال الرجل وأخيه، فيقول له أخروا المتشاحنين حتى يصطلحا**»[٢].

٣ ـ دائماً تذكر في مجال الشفقة: ﴿وإلىٰ عاد أخاهم هوداً﴾.. ﴿وإلىٰ ثمود أخاهم صالحا﴾.. ﴿وإلىٰ مدين أخاهم شعيباً﴾..

نماذج فذة من الأخوة:

١ ـ في الطواف حول الكعبة شُوهِدَ هذا المشهد الرائع: رجلاً أعمىٰ يحمل رجلاً كسيحاً (مُقعَداً) ويطوف به، تكاملا معاً. فالأعمىٰ يسير، والكسيح يبصر.

٢ ـ في الهجرة من مكة إلىٰ المدينة.. ما دخل مهاجري عند أنصاري إلا بالقرعة فالأنصار أكثر في العدد من المهاجرين وكل واحد منهم يريد أخاً له من المهاجرين، فكانت القرعة هي التي تحسم هذا الأمر، لذلك يقول أعداء الإسلام: إن مجتمع المدينة مجتمع مثالي ولن يتكرر[٢].

وفي المقابل: عندما هاجر الألمان بين ألمانيا الشرقية والغربية أثناء توحيدهما حدثت مجاعات، ولم تستطع المخابز الوفاء بالحاجات، ونام الناس في الشوارع والطرقات.

أما في هجرة المسلمين فكان الأنصاري يقول لأخيه المهاجر: «هذا نصف مالي لك وهذه داري لك نصفها، وأُطلق لك من تريد من نسائي لتتزوجها بعد عدتها»، وفي المقابل تعفف المهاجرون، وكان أحدهم يقول: «بارك الله لك في مالك ونسائك دلني علىٰ السوق».

---

(١) رواه مسلم، بر ٣٥، ٣٦.

(٢) نقول لهم: لو اقتربتم من الإسلام وعايشتم تعاليمه ستجدون صوراً كثيرة لمجتمع المدينة.

٢- الأمن العام للمسلم «حرمة المسلم»

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ... ﴾ (النور: ٥).

وعن عمرو بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم آمنا في سربه، مُعافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**[١]**»** .

سربه: قيل نفسه، وقيل الجماعة أي أهله وعياله - وحيزت: جمعت.

وفي خطبة الوداع قال رسول الله ﷺ: **«أما بعد.. أيها الناس اسمعوا لي لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...»**[٢].

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة وقال: **«ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة عند الله منك ماله ودمه»**[٣].

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله قال: **«لزوال الدنيا على الله أهون من قتل رجل مسلم»**[٤].

وعلى هذا يعلم المسلم أنه لا قيمة له ولا حرمة له ولا حياة له إلا بالإسلام.

---

(١) رواه الترمذي في الزهد رقم ٢٣٤٦ ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب محبة النبي ﷺ ، من خطبة الوداع .

(٣) رواه ابن ماجة واللفظ له .

(٤) رواه مسلم، والنسائي، والترمذي، ديات ٧ ، وابن ماجة ، ديات ١٠ ، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله موثقون.

ماذا فعل الإسلام لحرمة المسلم؟

١ ـ نهى عن سب المسلم:

١ ـ نهى عن سبه في حضوره، قال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق..**»(١). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه وأمه**»(٢).

٢ ـ ونهى عن سبه في غيبته، ولذا حينما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: «حسبك في صفية كذا وكذا. .» وأشارت بيدها تعني أنا قصيرة، قال لها رسول الله ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»(٣)، ومزجته أي: أفسدت ماء البَحر في حفظه للأشياء لملوحته.

٣ ـ ونهى عن سبه حتى بعد موته، فعندما رُجِمَ ماعز، قال بعض الصحابة: «هانت عليه نفسه حتى رُجِمَ رجم الكلب». .(٤).

٢ ـ نهى عن احتقار المسلم:

عندما قال أبو ذر لبلال: «يا ابن السوداء»، قال له النبي ﷺ: «**أعيرته بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية**»(٥).

٣ ـ نهى عن ترويع المسلم:

١ ـ بإخفاء النعل (ولو للمزاح).

٢ ـ بالإشارة إليه بحديدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) رواه البخاري، إيمان ٣٦، أدب ٤٤، فتن ٨، ومسلم، إيمان ١٦ .

(٢) رواه مسلم، إيمان ١٤٥ .

(٣) رواه أبو داود، الأدب ٣٥، والترمذي، قيامة ٥١، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٩، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، وفي الترغيب رقم ٤١٠٢، وأبو داود، حدود ٢٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ـ إيمان ٢٢، عتق ١٥ .

الله ﷺ: «من أشـار لأخيـه بحديدة فـإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخـاه لأبيه وأمه»(١).

٣ ـ عدم أخذه بالشبهة، فلا عقوبة إلا بجريمة، والمتهم برئ حتىٰ تثبت إدانته

٤ ـ عدم حبسه ظلماً، فقدأخبرنا النبي بأن امرأة دخلت النار في هِرَّة (قطة) حبستها.. ويقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة».

٤ ـ نهى عن اقتحام سكن المسلم:

١ ـ سواء بالنظر.. «لو اطلع أحد عليك في بيتك فأخذت بحصاة فقأت عينه لا شيء عليك»(٢).

٢ ـ أو بالدخول.. قال تعالىٰ: ﴿ .. لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا .. ﴾ (النور: ٢٧).

العقوبات التي وضعها الإسلام لمن يخوض في أعراض الناس:

١ ـ جلد ثمانين جلدة، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... ﴾ (النور: ٤).

٢ ـ إهدار كرامته فلا تقبل شهادتهم.

٣ ـ أن يكون فاسقاً ليس بعدل، أي: ألا تقبل شهادته، وإن تاب، إلا أن يعترف علىٰ نفسه بأنه قال البهتان، انظر تفسير ابن كثير.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، بر ١٢٥، وفي الترغيب رقم ٤٠٦١ .

(٢) رواه البخاري، ديات ١٥، ٣٥، ومسلم، أدب ٤٤، والنسائي، قيامة ٤٦، بلفظ: «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص».

٣ـ الوفاء للأشقاء

« ذهب فريق من الأطباء إلىٰ إحدىٰ القرىٰ، فكانت المفاجأة من نتيجة البحث أكدت خلو القرية من أمراض القلب تماماً. . واحتار الأطباء في السبب: هل السبب الطعام أم الشراب أم البيئة. . ولكن المختصين ركزوا علىٰ نوعية العلاقات بين الأفراد فوجدوا التعاون علىٰ البر، والحب في الله، فكان ذلك سبباً في راحة القلوب التي برئت من علة الاختلاف والكراهية، إن أيديهم ممدودة بالعطاء فلايحس أحد باغتراب، فالسرور يعمهم، فاستراحت القلوب. . إنهم المؤمنون»(١).

سبب ذكر هذا الموضوع:

١ ـ تقطع العلاقات بين الأشقاء في البيت الواحد من الرحم الواحد، وهذا يكون بداية لتفكك المجتمع.

٢ ـ ما نجده اليوم في ساحات القضاء. . نجد الأشقاء يقفون أنداداً لبعضهم، ويعم الظلم، ويسود الزور والبهتان، فلا تجد صدقاً أو حقاً، وغالباً ما يتطور الأمر إلىٰ التراشق بالأيدي أو الكلمات القاسية، حتىٰ إذا ما اشتكىٰ لك أحد من شقيقك شكوىٰ واحدة. . شكوت أنت له من أخيك عشرين شكوىٰ، ثم تقول: «أخي وأنا أعرفه جيداً».

ولتوضيح هذا الأمر الخطير نذكر موقفين لنرىٰ الصورة من خلالهما:

١ ـ النموذج الأول: يوسف عليه السلام:

وقف إخوة يوسف أمامه وهم لا يعرفونه، فقد رموه في البئر وهو صغير، وعندما خرج وأخذه عزيز مصر، ثم دخل السجن، ثم خرج، ثم أصبح أميناً علىٰ خزائن الأرض، وجاء إخوته يأخذون نصيبهم، كاد لأخيه كي يبقىٰ معه، وعندما

(١) د. محمود عمارة، مجلة الأزهر، جمادىٰ الأخرة سنة ١٤٢٢هـ.

استخرج الصواع من وعاء أخيه قالوا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ، وتمضي الأحداث حتىٰ يعلم إخوة يوسف ما أخطأوا فيه بحق يوسف وأخيه، فيطلبون العفو منه فيقول لهم: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

٢ ـ النموذج الثاني: محمد رسول الله ﷺ:

بعد فتح مكة وقف أهلها الذين آذوه وطردوه ينتظرون ما سيفعله رسول الله ﷺ بهم، فقال: «**ماتظنون أني فاعل بكم؟**»، قالوا: خيراً.. أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم.. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١)..

٣ ـ النموذج الثالث: سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

هذا النموذج الرائع الذي دافع عن أخيه عامر حتىٰ بعد موته..

فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالاً شديداً مع رسول الله ﷺ فارتد عليه سيفه فقتله، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «رجل مات بسلاحه» (يعني مات منتحراً).

لكن سلمة عندما سمع ذلك حزن حزناً شديداً وذهب للنبي ﷺ وقال شعراً من كلام أخيه عامر، فأُعجب وسُر النبي ﷺ بذلك، وقال: «لمن هذا؟» فقال سلمة: «إنه لأخي عامر»، فقال النبي ﷺ: «**يرحمه الله**»، فقال سلمة: «يا رسول الله إن ناساً ليهابون الصلاة عليه، يقولون مات بسلاحه، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبوا** (أي أخطأوا) **مات جاهداً مجاهداً، له الأجر مرتين، قاتل حتى تعب فوقع على سلاحه**»(٢)، وكما يُقال: «أخاك أخاك إن من لا أخ له كساعٍ إلىٰ الهيجا بغير سلاح».

واجب المسلم تجاه أخيه:

١ ـ التسلح بخلق العفو، فلا تشتم أخاك إذا شتمك، وإلا تكون قد شُتِمْتَ مرتين، حينما شتمك أخوك، وحينما شتمته.

(١) الرحيق المختوم، غزوة فتح مكة.

(٢) مجلة الأزهر، جمادىٰ الآخرة، ١٤٢٢هـ.

٢ ـ عامله بالصمت ، ومثلك في ذلك الأحنف بن قيس، سكت يوماً فلم يرد على شاتمه، فقال الشاتم : «والله ما منعه أن يرد عليَّ إلا هواني عليه»، فكن في الصمت كالقمر في سمائه العالية، يقطع رحلته ساكناً، بينما تهيج البحار مداً وجزراً.

٣ ـ إذا أخطأت في حق أخيك فاطلب العفو منه، لما شتم أبو ذر بلالاً وقال له : «يابن السوداء»، عاتبه الرسول ﷺ، فماذا فعل أبو ذر، وضع خَدَّهُ على الأرض ليطأه بلال. . لكن بلال رفعه وتغافرا.

المطلوب عمليًا :

١ ـ ربِّ أولادك على: خفض الصوت ـ الإيثار ولو بالقليل ـ الإقدام والنجدة ـ التعود على كلمات المدح والثناء والدعاء مثل : جزاك الله خيراً ـ بارك الله فيك .

٢ ـ دافع عن أخيك بظهر الغيب، حتى تجد من يدافع عنك، قال تعالى: ﴿ **وَمَاتُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا** ﴾ (المزمل : ٢٠).

٤ ـ إذا لمزت أخاك فأنت في الحقيقة تلمز نفسك، وإذا شتمت أخاك فأنت في الحقيقة تشتم نفسك، قال تعالى: ﴿ .. **وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (الحجرات : ١١).

٥ ـ انشر الخير في المجتمع، واحرص على الالتزام بسمات المجتمع المترابط الذي يسوده الخير، وقد قالت السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ : «**أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً، والله إنك لَتَصِلُ الرَّحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكَلّ**[١]**، وتُكْسِب المعدوم**[٢]**، وتُقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب**[٣] **الحق**»[٤].

والسؤال الآن: من الذين لا يخزيهم الله أبداً ؟

إنهم الذين يحرصون على وحدة المجتمع بترابطه ونشر الخير فيه .

---

(١) الكَلّ : الثقل، ويدخل في حمل الكلّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال.

(٢) كسب المعدوم : هو إعطاء الفقير تبرعًا.

(٣) النوائب : الحوادث .

(٤) رواه البخاري، بدء الوحي ٣، كفالة ٤، مناقب الأنصار ٤٥، ومسلم، إيمان ٢٥٢ .

٤ ـ تصحيح فقه المجاملات

يقول النبي ﷺ : «**تهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء**»(١) .

هذا الأمر من رسول الله ﷺ، والمفروض أن يكون واقع الأمة محبة دائمة، ولكن الواقع غير ذلك . . تغيَّرت المفاهيم، وبَعُدَ الناس عن سنة نبيهم، وللأسف تجد البعض إذ أهديته هدية، ذكر لك المثل اليهودي الذي يقول: «من أهداك فقد أذاك» . . فتقطعت الروابط والصلات في المجتمع المسلم .

أخي المسلم الحبيب : إن الكلمة الطيبة، والمجاملة الحسنة، والهدية البسيطة، تبني علاقات جيدة بين الناس . . فلا تجعل المعاملات المادية حائلاً بينك وبين تنفيذ سنة النبي ﷺ، فأحياناً يمتنع الإنسان عن أداء الفريضة لعدم مقدرته على النافلة، وهذا فهم خاطئ .

مثال: زيارة المريض واجبة عليك، ولكن ظروفك المالية متواضعة فلا تذهب لزيارة المريض لأنك لا تستطيع شراء هدية له . . لماذا ؟ فالمريض يُسر بك وليس بالهدية، فربما دعوتَ له دعوة بسيطة كانت سبباً في شفائه، فالمريض يفرح بالزيارة مع التخفيف، وقول الكلمة الطيبة .

أنواع المجاملات :

قد تكون الهدية كلمة «إني أحبك في الله»، وقد تكون زيارة، وقد تكون كوب شاي، أو حبة حلوى، أو أجرة سيارة . . أو . . . . . حسب استطاعتك .

ما يجب على المُجَامِل :

ينتظر الأجر من الله سبحانه وتعالى ، فيجامل ويحسن في مجاملته، ولا ينتظر رد المجاملة، ويغفر للمجامل إن أساء المجاملة . . وانظر لهذه الأمثال :

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، حسن الخلق، ١٦ ، قال ابن عبدالبر : هذا يتصل من وجوه شتى، حسان كلها .

■ كان **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه، ينفق على ابن خالته الفقير مسطح بن أثاثة، وحينما حدث حادث الإفك، خاض مسطح (أي تحدث بما لا يليق) في عرض السيدة عائشة، بنت أبي بكر الصديق الذي ينفق عليه، ثم نزلت سورة براءة تبرئ أم المؤمنين عائشة من فوق سبع سموات، فأقسم أبو بكر ألا ينفق على مسطح، فنزل القرآن بقوله: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (النور: ٢٢). فأعاد أبو بكر النفقة مرة ثانية وقال: «بلى أحب أن يغفر الله لي»، **لماذا؟** . . لأنه ينتظر الأجر من الله تعالى فقط.

■ وهذا الخضر - عليه السلام - الذي صاحبه سيدنا موسى عليه السلام، حينما بنى الجدار للأيتام، قال له موسى: ﴿ **لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ (الكهف: ٧٧). لكنه فعله بأمر الله، وينتظر الأجر من الله.

■ حتى إذا طلق الرجل زوجته، يوصيه الله تعالى فيقول: ﴿ **وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ (البقرة: ٢٣٧). هدية حتى بعد الطلاق. . انتظر الأجر من الله.

ما يجب على المُجَامَل:

١ - **أن يكون متعففاً**، وألا يظل يتلقى الهدايا دائماً، قال رسول الله ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»(١)، وإذا حدث له ظرف طارئ يأخذ الضروري مما يُعرض عليه. . وانظر إلى مثال عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، اللذين آخى النبي ﷺ بينهما في الهجرة.

٢ - **أن يعرف لصاحب الجميل جميله ويحفظه له:** انظر هذين المثلين:

■ حينما ذهب النبي ﷺ يدعو أهل الطائف آذوه وطردوه، فعاد ورفضت مكة دخوله، فأرسل إلى أشرافها كي يدخل في جوارهم، فرفضوا، فقام المطعم بن عدي فلبس لأمة الحرب، وألبس أولاده لبس الحرب، وقال: قد أجرتُ محمداً. .

---

(١) رواه البخاري، وصايا ٩، رقاق ١١، زكاة ١٨، ٥٠، نفقات ٢، ومسلم، زكاة ٩٤-٩٧، ١٠٦.

وفي أول موقعة بين الرسول ﷺ وكفار قريش في غزوة بدر، أسرَ المسلمون سبعين رجلاً من المشركين، وسأل النبي ﷺ عن المطعم بن عدي كي يرد له الجميل، فقيل له: إنه مات، فقال النبي ﷺ: «لو كان المُطْعَم حياً لوهبتهم له»، أي رددت له هؤلاء الأسرىٰ، رداً لجميله عليَّ.

■ وقفت السيدة خديجة بجوار النبي ﷺ، وواسته بنفسها ومالها، وآمنت به إذ كفر الناس، وبعدما ماتت، كان يعرف لها جميلها، وكان يفرح إذا زارته صويحبات خديجة، أو من كانت تحبه خديجة.

تحذيـر: هداية الرعية إلى الحكام:

بعض الموظفين ينتظر (الرشوة) ممن يقضي لهم مصالحهم، ويظن خطأ أن هذه هدية أو مجاملة، فاحذر سواء كنتَ رئيساً أو مرؤوساً، أن تهدي لغيرك أو يُهدىٰ لك شيء، لكي تقضي مصالح الناس، أو تزور في أوراق رسمية، أو تأخذ حق غيرك، أو تعطيه لمن لا يستحق.. وأمامنا هذا الصحابي الذي أرسله الرسول ﷺ ليجمع الزكاة من بعض الناس، فأهدوا له هدايا زيادة علىٰ الزكاة، فأتىٰ الرسول ﷺ فقال: «هذا لكم.. وهذا أُهْدِي لي»، فقال النبي ﷺ: **«هلا جلستَ في بيت أبيك وأمك.. وتنظر هل يُهدَى لك؟»**[1].

وفي الحديث: **«من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً** [منحناه راتباً] **فما أخذه بعد ذلك فهو غلول»**[2].

وأُهدي إلىٰ عمر بن عبدالعزيز هدية ـ وهو خليفة ـ فردها، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية!! قال: «كان ذلك له هدية، وهو لنا رشوة»[3].

---

(١) رواه البخاري، حيل ١٥ .

(٢) رواه مسلم، إمارة ٣٠، باب تحريم هدايا العمال .

(٣) الحلال والحرام، د. القرضاوي، ص ٢٨٧، الطبعة الثانية والعشرون، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

نماذج لرشاوى مقنعة :

وصلتني دعوة لحضور حفل زواج نجل أحد المسئولين في المسجد، وكان هذا المدير من أكثر الناس ورعاً وزهداً، وكان قد أحيل على المعاش قبل الحفل بأيام قليلة. . فذهبتُ إلى المسجد مبكراً، لكني فوجئت ـ للأسف الشديد ـ بأنه لم يحضر ولا شيخ ولا خطيب. . فأشار إليَّ فضيلته أن أتحدث. . فتقدمتُ وقضيتُ المهمة ولله الحمد.

وفي وفاة شيخ عموم المقارئ المصرية لم أجد في جنازته إلا شيخاً واحداً، فتساءلتُ: أين باقي قُراء ومشايخ مصر، إن لم يكن قُراء العالم كله؟ ولكن في وفاة والدته حضر كل المشايخ والقراء، لأنه كان في منصب شيخ عموم المقارئ المصرية.

٥ـ لجان الصُلح

التطبيق العملي لوحدة المجتمع

تم توجيه استجواب لوزير العدل في البرلمان المصري. . كان مفاده:

كيف يحكم القضاة في مليون قضية في العام الواحد؟

معنى ذلك أن القضايا لم تأخذ حقها في الدراسة والبحث، والأعجب من ذلك أن هناك ملايين الملايين من القضايا يرفعها الآباء ويترافع فيها الأبناء ويسمع حكمها الأحفاد. .

لقد ازدادت الحياة تعقيداً، وخربت ذمم كثير من الناس، وزج في السجون بآلاف الأبرياء. . ونسي كثير من الظالمين قول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**»(١) .

وإن لجان الصلح التي تُعقد في بعض المدن أو القرى، هي بارقة أمل للتخفيف عن الناس تعقيدات القضايا ومشاكل المحاكم وغيرها، وهي خطوة أدعو الله أن تتبعها خطوات واقتراحات ممن يقرأ ذلك ويطور هذا الأمر في مكانه وله من الله الأجر، ومن الناس الدعاء، يقول الله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ١١١).

هدف وفضل الإصلاح بين الناس:

١ ـ توفير الأمان والطمأنينة بين أفراد المجتمع:

بعد بناء الكعبة، اختلفت قريش فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وقالوا: يحكم بيننا أول داخل علينا، فكان الداخل هو: محمد ﷺ قبل بعثته، ففرحوا جداً. لماذا؟ لأنه الصادق الأمين. . لقد فكَّر النبي ﷺ كيف يصلح

(١) رواه البخاري، إيمان ٧، ومسلم، إيمان ٧١، ٧٢. .

بين هؤلاء ويرضيهم جميعاً . . فأمر بثوب ووضع عليه الحجر، ثم أمر كل قبيلة أن تحمل من طرف، ووضعوه جميعاً . . ورضوا بحكمه .

ولذلك نقول : لا يصلح كل الناس للعمل في لجان الصلح ؛ لأن ذلك يحتاج لحنكة ومؤهلات خاصة . .

إن هذا النزاع أو ذاك لو لم يحل، ربما لنشبت حربٌ بينهم ظلت عقوداً طويلة، وإن لجان الصلح والمصلحين لهم دور كبير حل النزاعات، وتوفير الأمن والطمأنينة في المجتمع المسلم .

٢ ـ إعادة الحياة الزوجية إلى وضعها الطبيعي :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء : ٣٥) .

٣ ـ أنه صدقة يؤجر عليها المصلحون :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»(١). يعدل بين الاثنين : أي يصلح بينهما .

٤ ـ أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة.. ولا يغني عنهم طبعاً :

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا : «**بلى**»، قال : «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»(٢) . ويروىٰ عن النبي ﷺأنه قال : «**هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين** » .

---

(١) رواه البخاري، صلح ١١ ، جهاد ٧٢ ، ١٢٨ ، ومسلم، مسافرين ٨٤، زكاة ٥٦ .

(٢) رواه أبو داود ، أدب ٥٠ ، والترمذي، قيامة ٥٦ ، والموطأ، حُسن الخُلُق ٧، وقال الترمذي : حديث صحيح غريب .

ما يجب أن يتوافر في أعضاء لجنة الصلح :

١ ـ حسن الصلة بالله تعالىٰ، وذلك بالدعاء قبل جلسة الصلح أن يوفقه الله تعالىٰ إلىٰ الصواب.

٢ ـ التخلص من جميع الأهواء والاتجاهات (قرابة ـ صداقة ـ مصلحة ـ هدية ـ كره أو بغض) فإن وجد في نفسه شيئاً من ذلك يعتذر.

٣ ـ الاعتذار عن حضور جلسة الصلح التي كوَّن ناحيتها اتجاهاً نفسياً أو ظن أنه لايستطيع الحكم بين هؤلاء، قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً، فإني أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»(١).

٤ ـ أن يكون عنده علم شرعي وقانوني، وقدرة علىٰ التحليل والاستنباط كي يعرف الدافع إلىٰ الفعل وأن يصل إلىٰ حقيقة ما تم حتىٰ من خلال أطراف القضية ويضع لكل نتيجة الدافع لها فإن كان الدافع للفعل حسناً أثاب عليه الفاعل ومدح فعله وأعطاه حقه.

٥ ـ لا يسلب صاحب الحق حقه أو يقوم بتمييع الحق ظناً منه أن ذلك يقرب النفوس، فيحاول تقريب الحقوق لبعضها، فإن لذلك المسلك نتائج سيئة منها :

أ ـ يوغر صدر صاحب الحق.

ب ـ يظن المخطئ أنه لم يخطئ، فيظل علىٰ الخطأ ولا يتعلم الصواب.

جـ ـ أحدثت شقاقاً في المجتمع.

٦ ـ أن يكون معه ورقة وقلم أو كراسة يسجل فيها لكل طرف النقاط التي يذكرها والتواريخ والشواهد والأدلةُ.

٧ ـ لابد أن يوافق طرفا النزاع علىٰ الشخص الذي تدخَّل للصلح، أو علىٰ كل أطراف اللجنة، حتىٰ يلتزموا بالحل بعد ذلك.

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٢٨، وابن حيان في صحيحه، والترمذي، مناقب ٦٣، وقال: حديث صحيح، رقم ٤٠٦٥ في الترغيب.

ويُفضل الآتي :

أ ـ أن يوقع كلا الطرفين على إقرار بقبول حكم اللجنة بمجرد تشكيل اللجنة ، وقبل عرض القضية .

ب ـ أخذ تعهدات مكتوبة (شيك ـ إقرار ـ إيصال أمانة . . .) على الطرفين أو أخذ أي ضمانات تراها اللجنة .

٨ ـ احذر أن تزيد أو تتطاول على أحد الطرفين بإساءة أو غير ذلك ، فأنت مازلت في مكان الاستماع ، أما مكان الحكم والقضاء بعد السماع في غرفة المداولة .

٩ ـ استند دائماً في الحكم إلى ما ورد في الشرع من أشياء مشابهة ، وأن تذكر أمثلة للمشكلة ، وكيف حلت في الشرع .

١٠ ـ أن يكون كل فرد في اللجنة على علم ببعض القوانين والقواعد والأصول والأعراف السائدة في المكان ، لقول رسول الله ﷺ : **«المسلمون عند شروطهم، إلا شرطاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً»**(١)، أو يُستعان بأهل الخبرة في المجالات المختلفة لإبداء الرأي المتخصص إذا لزم ذلك .

١١ ـ شَكْل جلسة الصلح وكيفية إدارتها تختلف باختلاف المشكلة والمكان ، وبعد السماع إلى المشكلة ، فمن الأفضل الذهاب إلى غرفة مغلقة ويتداولون القضية والحكم فيها حتى يصلوا إلى الحكم الصواب إن شاء الله . . ثم يذاع الحكم على الطرفين ويكون للجلسة مدير مسئول عنها .

١٢ ـ تقوم اللجنة بتسليم الحق لصاحبه فوراً من الطرف الآخر ، أو تسليمه الضمانات والتعهدات التي أخذتها اللجنة ، كما ورد في بند ٧ .

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي ، في أبواب الأحكام ، باب ما ذُكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس ٦/ ١٠٤ ، بشرح ابن العربي المالكي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

احذر.. أن يكون أحد المتخاصمين يحسن الكلام عن خصمه :

روىٰ البخاري أن النبي ﷺ قال: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له بقطعة من النار فلا يأخذها»[1] .

فعلىٰ مسئول لجنة الصلح أن يُمسي الله ويدعو، ثم يذكر هذا الحديث في البداية ليذكر الأطراف المتخاصمة به لعلها تعتدل في عرض القضية.

مثال رائع : ظل عمر بن الخطاب وزيراً للعدل في خلافة أبي بكر وبعد مرور عام من توليه هذا المنصب قدم استقالته إلىٰ أبي بكر الصديق وقال له: «لم تأتني قضية واحدة، فالناس عرفوا ما عليهم فأدوه، وعرفوا ما لهم فطالبوا به»[2] .

---

(١) رواه البخاري، شهادات ٣٧، حيل ١٠، أحكام ٢٠، ومسلم، أقضية ٤ .

(٢) ولذا أقول: إن المنهج الإسلامي الأمثل في عرض القضايا: أن يعرض كل طرف مشكلته، ما له فيها وما عليه فيها بأمانة وصدق، لقول الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

المبحث الثالث

الحضارة والْمَدَنِيَّة والإتيكيت.. في الإسلام

إن حضارة الأمم تقاس بالتقدم العلمي والأخلاقي، وبالأمان والاطمئنان الذي توفره لمجتمعاتها، وتقاس أيضاً بقلة المشكلات التي تعاني منها، فكلما قلَّت المشكلات ارتقت في سُلم الحضارة، ونجد ذلك ـ ولله الحمد ـ في الإسلام الذي يجعل المجتمع خالياً من المشكلات تماماً، كما تقاس بما تطبقه من قوانين عادلة.

ومن الأمثلة على ذلك: أن عمر بن الخطاب ظل وزيراً للعدل في خلافة أبي بكر الصديق، وبعد مرور عام من توليه هذا المنصب قدم استقالته إلى أبي بكر الصديق وقال له: «لم تأتني قضية واحدة، فالناس عرفوا ما عليهم فأدوه، وعرفوا ما لهم فطالبوا به»، ويؤكد ذلك ابن القيم: «إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة».

وكثيرة هي القضايا التي تثار في مجتمعاتنا الآن، وأحياناً يكون الرد في بعض هذه القضايا أننا في عصر الحضارة والْمَدَنِيَّة..

وينسى هؤلاء أن الإسلام دين المدنية والحضارة والتطور والتقدم والدعوة إلى العلم والعمل والأخذ بكل أسباب الحياة، وتوفير كل أسباب الرفاهية للمجتمع، مع الالتزام الكامل بالأخلاق الإنسانية والإسلامية.

إن العالم يُحكم الآن بمايسمى النظام العالمي الموحد، بعد أن تمرغ في وحل الشيوعية والحرب الباردة سنين عددا، وسوف تسقط ـ بإذن الله كل هذه الأنظمة والحضارات الزائفة، لأنها حضارات بلا أخلاق، تكيل بمكيالين، ولأن كل نظام من هؤلاء يحمل عوامل فنائه بداخله.

والعالم يتطلع الآن إلى نظام حضاري راقٍ يقود البشرية ويخرجها من ظلماتها هذه.. ولا يوجد إلا الإسلام.. فهو منهج حياة.

أولاً: الإتيكيت ذلك الفن الإسلامي الخالص (١)

تقول الكاتبة نبيلة عبدالعزيز : أخبرتني صديقة تعمل في مجال العلاقات العامة بإحدىٰ المؤسسات الكبرىٰ أنها فوجئت في استقبال رسمي بمقر المؤسسة بأحد الضيوف يلتقط يدها ليصافحها ـ كما فهمت ـ وإنما ليطبع عليها قبلة لولا أن بادرت إلىٰ سحب يدها بسرعة وهي قاب قوسين من فم الرجل، والحق أن الرجل سارع إلىٰ الاعتذار قائلاً في خجل ودهشة: إنها مجرد مجاملة لا شيء فيها!!

واعتذرت صديقتي للرجل أيضاً وهي تقول: أنا آسفة، ولكنني لم أعتد علىٰ مثل هذه المُجاملات، بينما رماها رئيسها في العمل وكان شاهداً علىٰ الموقف بنظرة نارية، وكأن لسان حاله يصفها بالتزمت، إن لم يكن بالتخلف والرجعية والجهل بقواعد الإتيكيت التي تدعو الرجال إلىٰ طبع القبلات فوق أيادي الحسناوات.. وأن تقابل الجميلات هذا السلوك المتحضر بالامتنان والفرحة.

وتواصل صديقتي كلامها قائلة: أشعر أن الرجل ـ تقصد رئيسها في العمل ـ لن يدع هذا الموقف يمر مرور الكرام، وخصوصاً أن ذلك الضيف يعد من أهم عملاء المؤسسة.

قلت لها في ثقة: لا تخافي يا صديقتي من أي إجراء يتخذه ضدك، فأنت فعلتِ الصواب ولم ترتكبي أي خطأ، والعكس هو الصحيح.

وتتساءل صديقتي ـ التي حباها الله بقسط وافر من الجمال إلىٰ جانب الذكاء اللامع الذي هيأ لها التفوق في دراستها وإتقان عدد من اللغات ـ:

هل أنا رجعية ومتخلفة فعلاً؟

وهل الإسلام حقاً لا يعرف الإيتيكيت ولا يعترف به؟

وللإجابة عن سؤال صديقتي تسترجع ذاكرتي مقولة لاذعة قرأتها لإحدىٰ الكاتبات العربيات: «**أي إتيكيت هذا الذي يدعو رجلاً طويلاً عريضاً لينحني على يد امرأة ليقبلها.. أي إهانة لرجولته، وأي امتهان لكرامتها؟**».

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٨٤ ، ذو الحجة ١٤٢٦ ، يناير ٢٠٠٦ م.

بصراحة لا أرىٰ في هذا المشهد شيئاً يدعو للإعجاب، وإنما للاشمئزاز من التقليد الأعمىٰ لكثير من المظاهر الفارغة التي تناقض قيمنا الإسلامية والعربية لمجرد أنها وافدة من الغرب!!

وأقول لصديقتي الجميلة : إن معظم السلوكيات الراقية التي ينبهر بها الكثيرون، بدءاً من آداب المائدة إلىٰ فن معاملة المرأة واحترامها، وحسن الأدب مع الآخرين، وعدم إيذائهم بالقول أو بالفعل، ولدت أساساً وترعرت في حضن الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي، ثم انتقلت إلىٰ قرطبة درة الحضارة الإسلامية في الأندلس، التي كانت تضم سبعين مكتبة عامة في وقت كان تعليم القراءة والكتابة في أوروبا مقصوراً علىٰ الكهنة والرهبان باعتبارهما سراً مقدساً.

وبينما كانت تلك الحضارة العظيمة تضم شبكة متطورة للمياه العذبة، والصرف الصحي، والحمامات العامة الفخمة كانت شوارع أوروبا تمتلئ بالمخلفات القذرة، حتىٰ إن (قصر فرساي) الشهير كان يخلو من الحمامات. .

وعن أخلاق الأوروبين وسلوكياتهم في ذلك العصر حدث ولا حرج، ونجد أن الأمير (أسامة بن منقذ ٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ/ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨م) في كتابه (الاعتبار) الذي يعد وثيقة اجتماعية وتاريخية نادرة، يصف أحوال الصليبين في الشام بعد أن حاربهم وعاشرهم وخبر أحوالهم طويلاً بأنهم كالبهائم.

وفي دراسة بعنوان (الإتيكيت أصله تعاليم الدين الإسلامي)، نوقشت رسالة دكتوراه[1] ترد فيه الباحثة الأشياء إلىٰ أصولها، والفضل لأصحابه، وتقول الباحثة: الإتيكيت ليس مجموعة المظاهر الفارغة التي لا تقدم بل تؤخر، إنما هو باقة من القيم الرفيعة والسلوكيات الراقية التي تطلب من المرء أن يتعامل بالصدق والأمانة والذوق والأدب، وحسن الخلق، والكلمة الطيبة، وحسن العشرة مع الأولاد والزوجة، وتقول: إن أصل الإتيكيت هو قاعدة مستمدة من مائتين واثنين وعشرين آية تشرحها وتعززها عشرات الأحاديث التي تنص علىٰ حسن التعامل بدءاً من بشاشة الوجه. . إلىٰ **«ياغلام سم الله وكل بيمينك»**. . إلىٰ سورة الحجرات في الأخلاق.

---

(١) رسالة الدكتوراه مقدمة من الباحثة المصرية: غادة صلاح، المصدر السابق.

ثانياً: أثر الإسلام في نهضة الشعوب؟
(مدنية وحضارة)

القوانين والتشريعات في العالم إما محلية قاصرة عاجزة، وإما موسمية في وقت دون وقت حتى تشريعات السماء قبل الإسلام - كما ذكرنا - كانت تأتي لطور الفعل البشري الموجود، إلى أن جاء الإسلام تشريعاً للعالم كله من يوم ظهوره إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، منهاجاً صالحاً للتطبيق في أي مكان وفي أي زمان وعلى أي إنسان مسلماً أو غير مسلم، وسوف نذكر أثر الإسلام في نهضة الشعوب جميعها. . نذكر لذلك ومضات ولمحات:

١ - الإسلام في كل ما شرعه يوافق مقدرة الإنسان، ويناسب طاقته، حتى تنهض الشعوب، قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ (النساء: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج: ٧٨).

٢ - الإسلام يساير طبيعة الإنسان، ويقدر ظروفه، واهتم بشئون دنياه وأخراه ومطالبه الجسيمة وغرائزه النفسية.

فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها. . . ، فلما جاء النبي ﷺ أخبروه، فدعاهم فقال لهم: «**أما إني أخشاكم لله، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء**»(١). . وهكذا رتب الإسلام حياة الإنسان ووضع لها أكمل نظام راعي مطالبَ جسمه: «**إن لجسدك عليك حقاً**»، وراعي مطالبَ غريزته الجنسية: «**وأتزوج النساء**»، وراعي مطالب أهله: «**إن لزوجك عليك حقاً**» وراعي حقوق الناس «**إن لزورك عليك حقاً**».

---

(١) رواه البخاري، نكاح ١ ، ومسلم ، صيام ٧٤ ، ٧٩ .

٣ ـ اهتم الإسلام بجسم الإنسان وصحته واعتنائه بها، فكان من دعاء النبي ﷺ في الصباح والمساء: «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري**»(١). وحث على النظافة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

٤ ـ دعا الإسلام إلى تناول الأطعمة الطيبة، ونهى عن الأطعمة الخبيثة التي تضر بالصحة وتؤذي الإنسان، وتجلب الأمراض، قال تعالى: ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٧). وأوصى بالمحافظة على أوعية الطعام قال ﷺ: «**أطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكئوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب**»(٢).

٥ ـ دعا الإسلام إلى التوسط في الطعام، فقال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ﴾ (الأعراف: ٣١). وحث الإسلام على التماس وسائل العلاج إذا أصيب العبد، فقال ﷺ: «**يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، إلا داءً واحداً**»، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «**الهَرَمْ**»(٣).

٦ ـ ويحارب الإسلام الفقر ويضعه بجانب الكفر، فعن أبي بكر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**»(٤).

ويرسم لنا خطة لمكافحة الفقر(٥)، يقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (المُلك: ١٥).

ويشيد بفضل العمل وينهى عن البطالة، يقول الرسول ﷺ: «**إن الله يحب العبد المحترف**»(٦).

---

(١) رواه مسلم، ذكر ٣٣، ٣٥.

(٢) رواه البخاري، أشربة ٢٢، بدء الخلق ١١، ١٦، ومسلم، أشربة ٩٧، وخمروا: أي غطوا.

(٣) أخرجه الترمذي، طب ٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد.، وسبق تخريجه.

(٥) سيأتي فصل في علاج المشكلات الناتجة عن الفقر من هذه الموسوعة.

(٦) رواه الطبراني.

٧ ـ واعترافاً بحق الفقراء في أن يعيشوا عيشة كريمة قال أبو بكر رضي الله عنه للصحابة في حربه مع المرتدين: **«والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها»**(١)

٨ ـ لم يكتف الإسلام بذلك، بل وضع الأساس لإقامة مجتمع تعاوني تسوده المحبة، وتسري فيه روح الأخوة شعاره قول الله تعالىٰ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ (المائدة: ٢). ويقول الرسول ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»**(٢) .

٩ ـ يحارب الإسلام الجهل وعدم المعرفة، وأول آية نزلت من القرآن: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ (العلق: ١). فيها حثّ على القراءة، فهي باب المعرفة، ويطلب الإسلام الزيادة من العلم، ولا يعترف الإسلام بالعلم الذي تعارف الناس على تسميته بالعلم الديني، (أو ما يطلقون عليه الآن العلوم الشرعية)، فبعض الناس يقولون أهم شيء نتعلم (العلم الشرعي)، ويقصدون بذلك علم التجويد والفقه والحديث وغيره.

ونقول لهم: كل العلوم النافعة علوم دينية أي (علم شرعي)، فالطبيعة والجغرافيا والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم الحديثة علوم دينية، ويجب أن نتعلمها لأنها سبيل القوة، وقد أمرنا الله أن نتخذ الوسائل التي تزيد قوتنا وتحفظ هيبتنا، قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** .. ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ثم أثنىٰ ربنا على العلماء بعد أن ذكر مظاهر الطبيعة وظواهرها: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾** ﴾ (فاطر).

---

(١) رواه البخاري، زكاة ١، ٤٠، اعتصام ٢، مرتدين ٣ .

(٢) رواه البخاري، صلاة ٨٨، أدب ٣٦، مظالم ٥، ومسلم، بر ٦٥ .

لكي يشعرنا الله تعالىٰ بفضل الذين يبحثون في العلوم الطبيعية والإنسانية والحيوانية والجيولوجية والنباتية، وأنه يوحي إلينا أن نتعلم العلوم الكونية: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (يونس: ١٠١).

ولو فهم المسلمون معنىٰ النظر في السماوات والأرض وأدركوا ما سخره الله لاستطاعوا أن يأخذوا من الأرض طريقاً إلىٰ السماء، وتحقق لهم معنىٰ التسخير، وكانوا أسبق الناس إلىٰ اكتشاف الأقمار الصناعية، والقذائف الصاروخية.

لقد فهم سلفنا الصالح إسلامنا، فهموا أنه يدعو إلىٰ العلم بأوسع معانيه فبرزوا في كل فن وسبقوا في كل علم، وكانوا أساتذة الغرب في سائر نواحي الحياة، ولو استمر المسلمون في طريق سلفهم الذي سلكوه لكنا اليوم سادة العالم[1] وأصحاب النفوذ والسلطان، ولكنا ضللنا عن الطريق وتنكبنا سبيل الرشد، فوقفنا حيث وقفوا، بل رجعنا إلىٰ الوراء، ونقب الغرب عن كنوزنا ونفائسنا فانتفع بها وواصل السير فأصبح صاحب الكلمة.

هكذا نرى الإسلام يحارب الفقر والجهل والمرض، ويدعو المسلمين إلى تلمس وسائل القوة والعزة والمنعة، والأخذ بأسباب المجد والرقي.

١٠ ـ اهتم الإسلام بجهاز الدولة، وحرص علىٰ أن يكون الأمر شورىٰ بينهم، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورىٰ: ٣٨).

وقد استشار النبي ﷺ الصحابة كثيراً، استشارهم في الخروج للغزوات، وفي شأن الأسرىٰ وفي غيرها... وتعلَّم الصحابة هذه المشورة فتقدموا إليه بمشورتهم حتىٰ ولو لم يُطلب منهم، فتقدم الحُباب بن المنذر في غزوة بدر بأن يجعلوا البئر

---

(١) من محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد ـ رحمه الله ـ في الكويت في ٢٣ جمادىٰ الآخرة سنة ١٣٧٩هـ، ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩م، بعنوان: «الإسلام وأثره في نهضة الشعوب».

وراءهم، وتقدم سلمان الفارسي فأشار في غزوة الأحزاب بحفر الخندق.

وبجانب الشورىٰ يوصي الإسلام باتباع العدل، ومراعاة الحق، والقضاء علىٰ الامتيازات. . هذه مبادئ الإسلام التي تصل الإنسان بالله وتصله بالناس وتبني المجتمع علىٰ أساس من الخلق الفاضل والمعاملات الكريمة وتنهض بالدولة فتنفي عنها الجهل والفقر والمرض.

هكذا الإسلام. . ملأ الدنيا علماً ومعرفة ونوراً وهداية، وأسس الجامعات والمدارس لدراسة سائر العلوم الدينية والكونية، ولقد نبغ في فروع هذه العلوم نوابغ اعترف الغرب بفضلهم، وسار علىٰ منوالهم حتىٰ وصل إلىٰ ما وصل إليه اليوم من تقدم فكري، ونهوض علمي، وسبق في نواحي الحياة الطبيعية، ومن هؤلاء الأعلام الذين حازوا قصب السبق:

- أبو موسىٰ جابر بن حيان في الكيمياء.
- والخوارزمي في الرياضيات والفلك والتاريخ.
- والحسن بن الهيثم في الرياضيات والطبيعة.
- وابن سينا علاَّمة الطب.
- والفارابي في الفلسفة.
- وابن خلدون العلاَّمة الاجتماعي.
- وابن البيطار الطبيب الصيدلي.
- وبرع علماء المسلمين في الميكانيكا والفلك، والجغرافيا، والمناجم، والنفط.
- وأول من استعمل البارود العرب عام ٩٠٦م.
- وأول من صنع الدبابة موسىٰ بن نصير في فتح الأندلس.
- واستعملوا الصواريخ، والطيران، والورق والكتابة، والحروف البارزة، والطباعة.
- وأول من اخترع الساعة الدقاقة هم العرب، وبرعوا في هندسة الري.

هكذا كُنا، وبدأنا نعود:

١ ـ الماضي مشرق، وحضارة راقية، قيادة وريادة للأمم الأخرىٰ

٢ ـ الحاضر. . الواقع الحالي، ضعف، تمزق، تخلف، تبعية ذليلة للغرب.

٣ ـ المستقبل. . بدأنا في طريق العودة للماضي المشرق والحضارة الراقية، ومن مظاهر ذلك قراءة التاريخ.

اقول: إذا عرفت الأمة أنها كانت، فقد بدأت تعود، لأن قراءة التاريخ بداية العظمة، وبداية التقدم والرقي، فلتقرأ هذه الرسالة إلىٰ صاحب العظمة ـ خليفة المسلمين ـ هشام الثالث أيام العز والسؤدد(١):

من **جورج الثاني** ملك انكلترا والسويد والنرويج إلىٰ **الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس** صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام.

بعد التعظيم والتوقير نفيدكم أننا سمعنا عن الرُّقي الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة.

فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم. .

لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبانت) علىٰ رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وقد زودت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل.

أرجوا التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص.

الإمضاء: من خادمكم المطيع

جورج الثاني

---

(١) ذكرت هذه الرسائل في العديد من المراجع العربية والإنكليزية والألمانية والفرنسية منها: كتاب العرب عنصر السيادة في القرون الوسطىٰ، لمؤلفه المؤرخ الإنجليزي السيرجون دوا نبورت.

جواب الخليفة الأندلسي هشام الثالث :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعد :

إلى ملك انكلترا وإيكوسيا واسكندنافيا الأجلّ . .

اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعلية نعلمكم أنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين، دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي . .

أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس(١) الأندلسية، وهي من صنع أبنائنا، هدية لحضرتكم، وفيها المغزي الكافي للتدليل على التفاتتنا ومحبتنا، والسلام .

خليفة رسول الله في ديار الأندلس

هشام الثالث

---

(١) الطنافس : تعني البُسُط جمع بساط، وهو السجاد الفخم .

ثالثاً: حقوق الإنسان في خطبة الوداع

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورىٰ: ٥٢).

وقف النبي ﷺ علىٰ عرفات في حجة الوداع وحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: **«أما بعد.. أيها الناس.. اسمعوا مني ما أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لاألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.. إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا.. ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها»**(١) .

الحقوق المعنوية:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته» هكذا يقرر النبي ﷺ :

١ ـ حق الإنسان في أن يملأ فراغ نفسه وينأىٰ بها عن متاهات التردي، وغياهب النفس الأمارة بالسوء، ذلك الحق الذي يفتقده إنسان اليوم.

٢ ـ حق الإنسان في أن يعبد الله وأن يتبع أوامره ويتجنب نواهيه.

٣ ـ حق الإنسان في أن يلوذ بربه ويأنس إلىٰ خالقه، ويحتمي بأمنه ويركن إلىٰ كنفه، ويسأله أن يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، قبل أن يختم علىٰ قلبه وعلىٰ سمعه وعلىٰ بصره غشاوة. فهل تقرر ذلك الحق في أي شرعة أخرىٰ؟

الحرمات:

« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم».

---

(١) صحيح مسلم، باب حجة النبي ﷺ .

١ ـ حق الأمن الفردي:

اطمئنان الفرد على دمه من أن يُراق، وماله أن يُسلب، وعرضه أن تُمزقه الألسنة: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٢ ـ أداء الأمانة:

قال ﷺ: «ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها»(١).

٣ ـ حق الملكية وحق الأمن الاجتماعي:

يحمي الإنسان ملكية الآخرين «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(٢)

٤ ـ حقوق الأسرة وحقوق المرأة:

«أيها الناس.. إن لنسائكم عليكم حقاً، وإن لكم عليهن حقاً، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم..»(٣) ثم يقرر الحقوق الكاملة الشاملة للنساء.

٥ ـ توازن الحقوق الزوجية:

صانت خطبة الوداع للمرأة أنوثتها وكرامتها وحفظت لها حقوقها كزوجة، فلا تستجدي حقوقها، بل عُدت حقوقها واجبات على الزوج وأمانة في عنقه، وهل للمرأة من كرامة أو حق يجاوز اتقاء الله فيها، وهل للمرأة من حق يعلو مساواتها في الحق بالرجل، فإنَّ لها عليه حقاً، كما أن له عليها حقاً.

٦ ـ الأخوة في الإسلام وحق المساواة:

قال ﷺ: «أيها الناس.. إنما المؤمنون إخوة.. ولا يحل لا مرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه، فلا ترجعوا كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(٤).

وقال ﷺ: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) صحيح مسلم، باب حجة النبي ﷺ، أجزاء من خطبة الوداع.

من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود فضل إلى بالتقوى»[٥].

٧ـ الحقوق والحريات السياسية وحقوق الأرقاء:

قال ﷺ: «يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّـرَ عليكم عبد حبشي مجدع، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى». ثم قال: «أرقاءكم أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بذنب عظيم لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم».

وهذا النص في خطبة الوداع ينهىٰ عن الاستعباد والاسترقاق من الإنسان لأخيه الإنسان. . ولذلك حرم الإسلام كل روافد الرق عدا:

١ ـ رق الوراثة.

٢ ـ رق الحروب المشروعة.

وقام بتوسيع منافذ تحرير الأرقاء وعتقهم. . فجعلها كفارة لبعض الأخطاء، أو لأخطاء معينة. . وجعلها من أعظم القربات إلىٰ الله عز وجل.

٨ـ دعائم حقوق الإنسان في الإسلام:

يستند تقرير الحقوق في الإسلام إلىٰ عقيدة الإيمان بعمقها وشمولها ودوامها. . والله عز وجل هو مصدر تقرير الحقوق في الدين الإسلامي. وهي حقيقة ثابتة لا مجرد افتراض غامض، والعقيدة في الله ترتكز إلىٰ أصولها في الفكر والنفس، يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ... ﴾ (الكهف: ٢٩).

٩ـ ضمانات تطبيق هذه الحقوق:

١ ـ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب ملقىٰ علىٰ عاتق الفرد والجماعة والدولة، فكل يمارس الحق في مختلف صوره، ومدافع للبغي في شتىٰ أشكاله، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٢ ـ قضاء إسلامي على أعلى مستويات لحماية حقوق الإنسان:

أولاً: الاحتكام: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ...** ﴾ (النساء: ٥٩).

ثانياً: تطبيق الشرع بين طرفي النزاع، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ (النساء: ٥٨).

ثالثاً: الجهاد لحماية حقوق الإنسان: منع استضعافه والبغي على ذاته.

رابعاً: حق الهجرة والالتجاء: فرار للمرء بنفسه وعقيدته وفكره من الاضطهاد، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء: ١٠٠).

٣ ـ أضف إلى ذلك أن إحساس المؤمن الصادق سواء كان حاكماً أو محكوماً فإنه يعلم قول الله تعالى: ﴿ **لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** ﴾ (يونس: ٦٤). ويقينه بأن دينه قد اكتمل، لقول الله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ (المائدة: ٣). . كل ذلك يدفع المسلم الصادق إلى احترام النصوص والأحكام والعمل بها.

توصية عملية: قراءة كتاب (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة)، للشيخ: محمد الغزالي ـ رحمه الله.

١٠ ـ الإسلام .. والرِّق [١]

نتحدث عن هذا الموضوع لأنه نقطة مضيئة في حضارة الإسلام، لا يستطيع أي تشريع أن يحاكيها . . حتىٰ تشيع في الناس مدنية الإسلام وحضارته . . فيهتفوا من أعماق قلوبهم: حررونا بالإسلام . .

أولاً: الرق قبل الإسلام:

جاء الإسلام وللرق وسائل أو مداخل كثيرة منها:

١ ـ البيع . ٢ ـ المقامرة .

٣ ـ النهب . ٤ ـ السطو .

٥ ـ وفاء للديون . ٦ ـ الحروب مهما كانت أنواعها وأسبابها .

٧ ـ القرصنة . ٨ ـ الطبقية .

ثانياً: موقف الإسلام من الرق [٢]:

يقول العقاد : «الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق» .

وسوف نتحدث بإيجاز عن سؤالين :

■ **السؤال الأول: لماذا لم يلغ الإسلام الرق بطريق مباشر؟**

الإجابة تنحصر في سببين :

١ ـ التكافؤ في المعاملة : فقد كانت هناك حروب بين المسلمين وغير المسلمين، وكان غير المسلمين يستحلون استرقاق المسلمين، فكان لابد أن يعاملهم المسلمون بالمثل . .

---

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، طبعة معهد الدراسات الإسلامية .

(٢) كتاب العلل مخطوط بيرلين رقم ٨٣٢٧ ورقة ٢٠٦ ، نقلاً عن آدم متز . . الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٢٧٧ .

٢ ـ للإسلام فلسفة في معالجة كل مسألة ليست أساساً من أسسه . . ففي معالجة هذه الشئون تقتضي فلسفة الإسلام أن تعالج برفق وأناةٍ حتىٰ يصل الإسلام إلىٰ هدفه بدون أن يحدث اضطراباً بين معتنقيه . . فشرب الخمر ، والرق ، وتعدد الزوجات . . للإسلام تجاهها هدف . . ولكنه يعمل لكي يصل إلىٰ هدفه بيسر وبعدة خطوات أحياناً بدلاً من خطوة واحدة . .

أما الأمور الرئيسية في الإسلام : كتوحيد الله ، وترك عبادة الأصنام ، فإن الإسلام يواجهها مواجهة صريحة مباشرة ليقطع دابرها من أول الشوط .

■ **السؤال الثاني: ما هو النظام الذى وضعه الإسلام ليلغي الرق بطريق غير مباشر؟**

اتخذ الإسلام لذلك مبدأين مهمين : تضييق المدخل ، و توسيع المخرج .

أ ـ تضييق المدخل :

١ ـ ذكرنا مداخل الرق قبل الإسلام وعددها ما يقرب من ثمانية ، ألغي الإسلام جميع هذه المداخل ولم يبق إلا مدخلاً واحداً وضيقه الإسلام حتىٰ لم يعد يتخذ منه إلىٰ الرق إلا القليل النادر ، وهذا المدخل هو الحرب الدينية (أي الجهاد في سبيل الله) ، وذلك لرد اعتداء يقوم به غير المسلمين علىٰ المسلمين ، بشرط ألا يكون الأسير وقت أسره مسلماً ولو كان في جيش الأعداء وأن يضرب الإمام عليه الرق . **ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش** : إن الشرع لا يُبيح أن يسترق مسلم أصلاً ، ثم إنه لا يبيح بعد ذلك إلا استرقاق أسرىٰ حرب شرعية قامت لإعلاء كلمة الله ، مشروطة بأن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم .

٢ ـ ومن الأدلة الواضحة في تضييق مدخل الرق في الإسلام : قال الفقهاء : إذا وجد طفل ادعىٰ رجل نصراني أنه ابنه ، وادَّعىٰ رجل مسلم أنه عبده . . فإنه يقضي به للنصراني حتىٰ لا يدخل الطفل باب الرق ولو كان في رقه إسلامه[1] .

٣ ـ ومن تضييق المدخل : وضع الإسلام نظاماً للأسري لم يكن معروفاً قبل ذلك . . فشرط اعتبارهم أسرىٰ أن يضرب الإمام عليهم الرق ، أما قبل أن يضرب عليهم الرق فقد أباح الآتي :

---

(١) د. محمد يوسف موسىٰ ، مجلة المسلمين ، العدد الأول ، ص ٨ .

أ - تبادل الأسرىٰ.

ب - قبول الفداء منهم في مقابل مادي أو أدبي، كما في أسرىٰ بدر: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد: ٤). فمنهم من دفع مالاً، ومنهم من قام بتعليم المسلمين القراءة والكتابة.

٤ - يقول ابن القيم في (زاد المعاد): «إن الرسول لم يسترق رجلاً حراً بالغاً قط مع جواز ذلك».

ب - توسيع المخرج [(١)]:

قبل الإسلام لم يكن الرقيق يعرف طريقاً للحرية، أما الإسلام فقد فتح أبوابه ليعيد الحرية لهم، أو يعيدهم إلىٰ الحرية، ومنها:

١ - **رَغَّبَ الإسلام في العتق وإعطاء الحرية للعبيد**، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)﴾ (البلد). ووعد بالثواب العظيم، فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾ (البقرة: ١٧٧).

٢ - **جعل الإسلام العتق كفارة الحنث في اليمين، وكفارة لكثير من الخطايا:** قال تعالىٰ: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ (المائدة: ٨٩). وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ (النساء: ٩٢). وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المجادلة: ٣).

---

(١) الواقع العملي والأدلة الدامغة: أن الإسلام هو الدين الذي سعىٰ لإلغاء الرق، فضيَّق مداخله، ووسَّع مخارجه، وصدق الأستاذ عباس العقاد حين قال: «إن الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق»، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للأستاذ العقاد.

٣- **مكاتبة العبد ليتحرر بدفع مال يقدمه لسيده:** ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...** ﴾ (النور: ٣٣). وأعفاه الإسلام من الزكاة ليسدد الأقساط لسيده، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ...** ﴾ (التوبة: ٦٠).

٤- **التدبير:** أن يوصي السيد أن يكون عبده حراً بعد موته ولا يجوز بيع المدبر ولا هبته ولا رهنه لقول النبي ﷺ: « **إن المُدبِّر لا يباع ولا يورث ولا يوهب وهو حر من الثلث**»[1].

٥- **إذا أصاب السيد أمته فحملت منه ووضعت حُرم عليه بيعها، أو هبتها، واعتقت بعد موته، وكان ولده منها حراً.**

٦- **إن من اعتق بعض عبد يملكه.. أعتق كله.**

٧- **أن مَلك واحداً من والديه اعتق عليه في الحال،** وقد جعل الإسلام عنصر النساء قريباً جداً من الحرية عن الرجال فينتهي رقها إن أصابها سيدها وحملت.

معاملة الرقيق في الإسلام:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ (النساء: ٣٦).

ويقول الرسول ﷺ: « **إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم**»[2].
ورأى رسول الله ﷺ عبدالله بن مسعود يضرب عبده فصاح به: «**يا ابن مسعود، إن الله أقدر عليك منك على هذا**»[3]. ونُذكِّر بدخول **عمر بن الخطاب** إلى بيت المقدس وغلامه يركب وهو يسير، لأن نوبة الركوب كانت للغلام.

---

(١) المُدبَّر «في المصباح»: دبَّر الرجل عبده تدبيراً، إذا أعتقه بعد موته، فالعبد مدبَّر، رواه البخاري، كفارات الأيمان ٧، أحكام ٣٢، ومسلم، إيمان ٥٩.

(٢) رواه البخاري، إيمان ٢٢، عتق ١٥، ومسلم، إيمان ٤٠.

(٣) رواه مسلم، في الأيمان ١٦٥٩.

رابعاً: انتهاك حقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة [١] (القانون الدولي)

أولاً: الميثاق .. قانون دولي:

يعد ميثاق الأمم المتحدة من الاتفاقيات العامة (الشارعة)، فهو قانون دولي، ذلك أن قواعد القانون الدولي تفتقر إلىٰ السلطة التشريعية الموجودة في القانون الداخلي، حيث لا توجد سلطة أعلىٰ من الدول تشرع قانوناً دولياً، ومن هنا اعتبرت الاتفاقيات الدولية هي القانون الدولي نفسه، لغياب المشرع، وهذا هو شأن ميثاق الأمم المتحدة، الذي هو عبارة عن اتفاقية موقع عليها من قبل دول العالم.

فماذا قدم هذا الميثاق لحقوق الإنسان؟ وهل يمتلك منهجية لحماية حقوق الإنسان؟ أم هو يتبنىٰ حقوق الإنسان من غير منهجية حقه لتفعيلها علىٰ صعيد الواقع؟ وهل يتضمن ثغرات أو تشريعات تفضي إلىٰ انتهاك حقوق الإنسان، فيكون التشريع نفسه هو الذي يساعد علىٰ انتهاك حقوق الإنسان؟

ثانياً: قصور الميثاق عن الوفاء بحقوق الإنسان:

وصف آرنولد توينبي صاحب كتاب (مختصر تاريخ الحضارة)[٢] ميثاق الأمم المتحدة بـ (الميثاق السخيف)، نظراً لأنه تضمن حق الفيتو للدول الكبرىٰ، الذي يمكن بموجبه إجهاض أي قرار لنصرة المظلوم، ونحن معه في ذلك.

١ ـ الوعد غير الصادق:

إن الوعد الذي وعد به الميثاق البشرية يوم أن صدر عام ١٩٤٥م نجد في ديباجته نصاً يقول: «نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد آلينا علىٰ أنفسنا أن ننقذ

---

(١) هذا المبحث عن كتاب الأمة، العدد ٨٨، ربيع الأول ١٤٢٣ هـ، حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون د. منير حميد البياتي.

(٢) توينبي: مختصر تأريخ الحضارة ٤/ ١٩٦، ط٢، الإدارة الثقافية بالجامعة العربية.

الأجيال المقبلة من ويلات الحرب، التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف، وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرهم وصغيرهم من حقوق متساوية وأن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار»(١).

ونظرة واحدة إلى عالم اليوم ترينا أن هذا الذي سطره الميثاق من إشادة بحقوق الإنسان(٢)، وإظهار الرغبة في تحقيقها وصونها لم يقدر أن ينفذه على صعيد الواقع، ولن يقدر على الإطلاق والسر في ذلك: غياب الأنظمة المصلحة للنفس الإنسانية، المصلحة للفرد والجماعة والدولة وأشخاص السلطات الحاكمة على المستوى الدولي لذلك فإن العالم اليوم وبرغم ما سطره الميثاق من نصوص في حقوق الإنسان يعيش حالة غالب ومغلوب وظالم ومظلوم وباغ ومبغي عليه، وتفرد قوة عظمى بالهيمنة على العالم بل واختطاف الأمم المتحدة نفسها.

وهذا الوضع المنتهك لحقوق الشعوب والأمم جعل ممثل الصين في مجلس الأمن وهي عضو دائم ينفد صبره ويصرح بأن: أمريكا تتعامل مع مجلس الأمن بالحذاء(٣).

وهذا هو نص عبارته التي نشرتها الصحف في حينه.

وتأسيساً على ذلك نقول: إن النص على حقوق الإنسان وحقوق الأمم والشعوب شيء وامتلاك منهجية تفعيل هذه الحقوق شيء آخر.

---

(١) انظر نص الميثاق في د. عبدالكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، الكتاب الرابع، ص ٢١٥.

(٢) أعلنت الأمم المتحدة اليوم العالمي لحقوق الإنسان في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨م، وأقول: إن ذلك كان تقنيناً لانتهاك حقوق الإنسان ولذلك في ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨م لم يحتفل العالم بمرور ستين عاماً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولكن كان التعليق اليوم أحيل هذا الإعلان للتقاعد تمهيداً لتشييع جنازته.

(٣) صحيفتا الرأي والدستور الأردنيتان الصادرتان أثناء العدوان على العراق عام ١٩٩٨م.

وإذا كانت العلمانية ونظرية القانون الطبيعي هما الأساس الفكري لهذه التشريعات فإنهما لا يمتلكان منهجية لتفعيل هذه الحقوق لأن مدار ذلك كله على إصلاح الإنسان، وإصلاح أشخاص السلطات الحاكمة، وإصلاح المسيطرين على العلاقات الدولية ، حتى يكونوا متورعين عن الظلم، والفساد، والجشع، والطمع، لئلا يعيثوا في الأرض فساداً، ومنهجية الإصلاح هذه لا يمتلكها غير الإسلام لأن مدارها على العقيدة، والأخلاق والعبادة.

وعلى ذلك يكون تسطير الحقوق والنص عليها من غير وجود (منهجية تفعيلها) كمن يغذي المعدة برائحة الخبز فقط!!

٢ ـ معضلات كبرى في الميثاق تقوض حقوق الإنسان:

إذا كان (الميثاق) قد نص على حقوق الإنسان الأساسية، ونص أيضاً على حقوق متساوية للأمم، كبيرهم وصغيرهم فإنه قد أعطى هذه الحقوق باليمين ولكنه قد سحبها بالشمال وقوضها من أساسها بأربع وسائل خطيرة في الميثاق نفسه تشكل أربع معضلات:

المعضلة الأولى: تقويض الحقوق بواسطة حق الفيتو (١):

وبيان ذلك: أن تشريع الميثاق لحق الفيتو للدول الخمس الدائمة العضوية يمثل قمة الدكتاتورية والاستبداد والطغيان في عصر الديمقراطية لأنه يجعل من إرادة دولة واحدة متحكمة في إرادة جميع دول العالم وعددها اليوم ١٨٩ دولة، فلو أن هذه الدول جميعاً توجهت إرادتها مباشرة أو بواسطة ممثليها في مجلس الأمن باتجاه قرار منصف وشريف لنصرة شعب مظلوم وإنصافه، فإن إرادة واحدة هي إرادة الدولة صاحبة الفيتو كافية لإجهاض جميع تلك الإرادات.

والأمثلة على ذلك كثيرة كان آخرها استخدام أمريكا حق الفيتو لإفشال رغبة

---

(١) نص المادة ٢٧ من الميثاق المعنية بنظام التصويت في مجلس الأمن، وهي تنص على أنه: (٣، تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى غير الإجرائية بموافقة تسعة من أعضائه يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة).

جميع الدول في إرسال مراقبين دوليين إلى فلسطين لحماية الشعب الفلسطيني من اليهود، الذين أهلكوا الحرث والنسل، وأهلكوا البلاد والعباد قتلاً وتدميراً وتشريداً على مدار الساعة أمام أنظار العالم والأمم المتحدة.

وإذا كان حق الفيتو هنا يقوض حقوق الإنسان ويصادرها بإفشال قرار منصف لحقوق الإنسان فإن له تأثيراً أشد ظلماً من ذلك، فلو أن الدولة صاحبة حق الفيتو أرادت إفناء شعب أو أمة عن بكرة أبيها، وتدمير أي من البلاد التي ترغب في تدميرها، وباشرت ذلك بالفعل على صعيد الواقع بعمل عدواني تباشره بنفسها خارج إطار ما يسمى بالشرعية الدولية، فإنها حسب بنية الميثاق ونصوصه تستطيع فعل ذلك، من غير أن تقدر الأمم المتحدة على إيقافها ابتداءً أو استمراراً أو انتهاءً لأن المختص بذلك الإيقاف هو مجلس الأمن بقرار من عنده وسيكون مجلس الأمن عاجزاً عن اتخاذ مثل هذا القرار ويستمر تقويض حقوق الإنسان!!

وماذا ينفع المظلوم أن يشتكي في مجلس الأمن إذا كان ظالمه يملك حق الفيتو؟!

وفوق ذلك تستطيع الدولة صاحبة حق الفيتو استخدامه ليس من أجل نفسها، وإنما من أجل دولة حليفة لها تعتدي على شعوب من حولها فتحظى بتغطية لاستمرار عدوانها وتقويض حقوق الإنسان بطريقة جماعية مع أنها لا تملك حق الفيتو، كما تفعل إسرائيل حالياً بالتحالف مع الولايات المتحدة.

المعضلة الثانية: تمكين الميثاق للدولة المعتدية من الإفلات من القضاء الدولي:

وبيان ذلك: أن الميثاق شرع إقامة محكمة العدل الدولية بطريقة تقضي إلى إفلات الدولة الظالمة من القضاء الدولي وإبقاء الظلم على حاله.

إبقاء الظالم ظالماً، والمظلوم مظلوماً، من غير قدرة للقضاء الدولي على التدخل لأن النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية - وهو جزء لا يتجزأ من الميثاق[1] - ينص على أن لا يتدخل هذا القضاء الدولي إلا إذا رضي الطرفان الظالم

---

(١) انظر المادة (٩٢) من ميثاق الأمم المتحدة في كتاب: الوسيط في القانون الدولي (الكتاب الرابع)، ص ٢٤٠ .

والمظلوم بالاحتكام إليه، والظالم لا يرتضي الاحتكام إلى العدالة؛ لأنه ظالم ما دام مخيراً أن يقبل أو لا يقبل هذا الاحتكام؟ وهذا ما نص عليه النظام الأساسي للمحكمة الدولية في المادة (٣٦)[١] منه.

فبهذا التنظيم الفاسد للقضاء الدولي يسهم الميثاق في تقويض حقوق الإنسان بصورة جماعية، فماذا ينفع بعد ذلك أن الميثاق نص على حقوق الإنسان الأساسية وكفلها؟!! ونص على حقوق متساوية للأمم كبيرهم وصغيرهم؟ ونص على منع العدوان؟!

المعضلة الثالثة: إغفال الميثاق لمبدأ (العدالة) في أهداف الأمم المتحدة ومبادئها:

من المؤسف والمدهش في نفس الوقت أن الميثاق أغفل مبدأ العدالة، فلم ينص عليه ضمن أهداف الأمم المتحدة التي تزيد تحقيقها في العالم[٢]، كما لم ينص عليه أيضاً ضمن المبادئ التي تسير عليها الأمم المتحدة[٣]، وعلى ذلك فتحقيق العدالة ليس هدفاً منصوصاً عليه في أهداف الأمم المتحدة ولا مبدأ من مبادئها!!

النصوص الدالة على إغفال مبدأ العدالة ونتائج ذلك في الواقع:

حددت المادة الأولى من الميثاق أهدافاً أربعة سمتها (مقاصد الأمم المتحدة) ليس من بينها تحقيق العدالة في العلاقات الدولية بين الدول أو الأمم والشعوب بينما أعطت في الفقرة الأولى من هذه المادة الأولوية لحفظ السلم والأمن الدولي، فنصت عليه، وعلى ذلك[٤]: إذا تقاطع السلم مع العدالة، فلا عبرة بالعدالة وإنما العبرة بالسلم والأمن الدولي، وذلك بإعادة السلم إلى نصابه.

ويظهر هذا التقاطع في النزاعات المسلحة، فإذا اعتدت دولة كبرى تملك حق الفيتو أو حليفتها على دولة صغيرة أو متوسطة وأفقدت شعبها كل حقوق الإنسان

---

(١) المادة (٣٦) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٢) انظر المادة (١) من ميثاق الأمم المتحدة، المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٣) انظر المادة (٢) من ميثاق الأمم المتحدة، المرجع السابق، ص ٢١٦ وما بعدها.

(٤) انظر الفقرة (١) من المادة الأولى، المرجع السابق، ص ٢١٦.

وأدخلته في نفق الحصار أو مصادرة وطنه مع الجوع والفقر والتشريد والقتل التي تمثل انتهاك حقوق الإنسان بصورة جماعية، فإنه مع نص الميثاق على السلم وإغفال العدالة لا يكون أمامه إلا ثلاثة خيارات :

الخيار الأول : أن يستسلم مكرهاً أمام القوة المادية المعتدية ويسكت على فقدان حقوق الإنسان، وبذلك يتحقق السلم بين ظالم قوى ومظلوم ضعيف فبموجب ميثاق الأمم المتحدة يكون قد تحقق السلم أو عاد السلم والأمن الدولي إلى نصابه، ولا عبرة بإنصاف هذا الشعب وتحقيق العدالة له ما دام قد تحقق السلم وهو الهدف وليس العدالة .

ولا شك أن في ذلك هضماً كاملاً لحقوق الإنسان بصورة جماعية يسهم فيه الميثاق بتبنيه هدف السلم وإغفاله هدف العدالة .

الخيار الثاني : أن يرفع شكواه إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة، لتجيبه أنها غير مختصة بذلك، وإنما المختص بذلك مجلس الأمن حسب أحكام الفصل السابع من الميثاق الخاص بالنزاعات المسلحة(١)، فيتحول الأمر إلى مجلس الأمن الذي رتب الميثاق مسبقاً عجزه عن اتخاذ قرار لإيقاف عدوان الدولة الكبرى المعتدية، بسبب حق الفيتو فيستمر العدوان إلى أن يتم الاستسلام، فيتحقق السلم والأمن الدولي ولا عبرة بضياع العدالة وحقوق الإنسان .

الخيار الثالث : أن يلتجئ إلى محكمة العدل الدولية لتحقيق العدالة فتجيب أنها غير مختصة في نظر شكواه حسب نصوص الميثاق إلا إذا قبل الطرف المعتدي أي الجاني، الترافع أمام المحكمة، وما دام الجاني لا يقبل الترافع أمام المحكمة فلا سبيل إلى اختصاص المحكمة أو تحقيق العدالة(٢)!!

وكل ما تقدم يدل على أن الميثاق بني على تبني مبدأ السلم وتقديمه على مبدأ العدالة، بل مبدأ العدالة في النزاعات المسلحة أصلاً، وهو بذلك يسهم في هدم حقوق الإنسان التي نص عليها فسيكون قد نص عليها من جهة وعرضها لأبشع درجات الإهانة والإذلال والمصادرة من جهة أخرى .

---

(١) انظر الفصل السابع من الميثاق، المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

(١) المادة ٣٦ من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، المرجع السابق، ص ٢٥٤ .

هذا كله فيما يتعلق بأهداف (مقاصد) الأمم المتحدة الأربعة التي ليس من بينها هدف العدالة.

موقف الإسلام: العدالة أعلى من السلم :

أما المنهج الإسلامي، فهو على العكس من ذلك تماماً فإنه من أجل العدالة يقاتل المعتدي والباغي والظالم في العلاقات الدولية ويقدم العدالة عند التقاطع بينهما، ولا يُحترم السلم المبني على الظلم، وذلك انتصاراً لحقوق الإنسان، بل إن القرآن الكريم يبين أن إقرار العدالة في الأرض[1] هو أعظم هدف بعد عبادة الله بل هي جزء عظيم لا يتجزأ من عبادة الله نفسها، التي هي أعلى غاية على الإطلاق.

فقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط أي العدل، قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ (الحديد: ٢٥).

وقال سبحانه: ﴿ **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ (الحجرات: ٩).

وفي تقرير العدالة صون حقوق الإنسان كلها؛ لأن معنى العدالة واسع يسع حقوق الإنسان كلها، وهو ما نهجه الإسلام وفي إغفال العدالة تدمير حقوق الإنسان لأنه بدون التزام العدالة لن يكون الحكم إلا لشريعة الغاب، وسياسة القوة والقهر وهو ما نهجه القانون الدولي ممثلاً بالميثاق وعدم الانخداع بديكورات الجمل والعبارات التي تذكر صون حقوق الإنسان، والإشادة بها!!

وتأكيداً لما تقدم من إغفال ميثاق الأمم المتحدة لمبدأ العدالة في بيان أهداف الأمم المتحدة، فإنه أيضاً أكد ذلك الإغفال في المادة الثانية من الميثاق حين ذكر (المبادئ) التي تعتمدها الأمم المتحدة على وجه التحديد فذكر سبعة مبادئ تعمل بموجبها الأمم المتحدة ليس من بينها مبدأ العدالة أيضاً[2].

---

(١) أقول: إن الله تعالى في سورة الرحمن قال: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ ولم يقل بعدها والأرض وضعها، بل قال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾؛ لأن الأرض لا تقوم إلا بالعدل فكان لابد أن يسبقها. راجع الباب الثاني (العدالة والعلاقات الدولية).

(٢) مادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة المرجع السابق، ص ٢١٦ وما بعدها.

المعضلة الرابعة: ضمان الميثاق لبقاء المعضلات السابقة واستمرارها دون تغيير:

ومن حق قائل أن يقول: فما بال الدول الضعيفة والمتوسطة في الأمم المتحدة لا تسعى إلى تعديل هذا القانون الدولي المسمى بالميثاق ما دام يحتوي على كل هذا الطامات الكبرى التي تعرض حقوق الأمم والشعوب إلى انتهاك حقوق الإنسان بصورة جماعية وما دام التصويت في الهيئة العامة للأمم المتحدة يتم بالأكثرية المطلقة منها والموصوفة؟

والجواب: إن واضعي الميثاق الذين ضمنوا فيه تكريس هيمنة الدول الكبرى هيمنة كاملة على العالم قد احتاطوا لذلك من أجل إبقاء هذا الوضع المؤسف دون تعديل فجعلوا التعديل نفسه خاضعاً لاستخدام حق الفيتو ضده، فلا يتم التعديل حتى لو أرادته دول العالم كلها مجتمعة ورفضته دول الفيتو وحدها، وهذا ما نصت عليه المادة ١٠٨ من الميثاق[1]!!

وهكذا ستبقى الدول الضعيفة والمتوسطة أسيرة بموجب الميثاق للدول الكبرى صاحبة حق الفيتو، وتبقى حقوق الإنسان لشعوبها وأممها عرضة للعدوان والانتهاك في كل حين، ما دامت الأمم المتحدة وميثاقها باقيين وهو وضع مؤسف ومأساوي بالنسبة لحقوق الإنسان.

كل ما تقدم يتعلق بالميثاق بوصفه قانوناً دولياً له أساسه الفكري وخصائصه ونتائجه.

أما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م فإنه لا يعد قانوناً دولياً له صفة الإلزام؛ لأنه لم يكن معاهدة دولية وإنما صدر في صورة مناشدة ومناداة لها قيمة التوصية غير الملزمة، كما يدل عليه ما جاء في ديباجة الإعلان[2]، ونظراً لعدم الإلزام فيه من جهة وإغراقه في الفردية من غير نظر إلى الجماعات والشعوب من

(١) المادة ١٠٨ من الميثاق المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

(٢) انظر ديباجة الإعلام العالمي لحقوق الإنسان في د. غازي صاريني: الوجيز في حقوق الإنسان، ص ٢٧١، والإعلان ليس اتفاقية دولية شارعة، وإنما هو إعلان دولي ومناشدة قيمتها القانونية توصية غير ملزمة.

حيث حقوقها فقد عُضد بالعهدين الصادرين عام ١٩٦٦م في صورة معاهدتين دوليتين(١) مفتوحتين للدول للتوقيع عليها، واللتين تطابقت المادة الأولى فيهما ونصت على ما يلي :

المادة الأولى :

١ ـ لكافة الشعوب الحق في تقرير المصير، ولها استناداً إلى هذا الحق أن تقرر بحرية كيانها السياسي وأن تواصل بحرية نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

٢ ـ ولجميع الشعوب تحقيقاً لغاياتها الخاصة أن تتصرف بحرية في ثرواتها ومواردها ولا يجوز بحال من الأحوال حرمان شعب من وسائله المعيشية الخاصة.

ومثلما كان الإعلان العالمي حبراً على ورق في التطبيق الدولي، فإن النصوص المتقدمة في العهدين المذكورين صارا حبراً على ورق أيضاً، ولكن هذه المرة على يد (الشرعية الدولية) ممثلة بالأمم المتحدة راعية القانون الدولي في صورة حصار للشعوب يفقدهم كل مقومات حقوق الإنسان الفردية والجماعية.

ميثاق الأمم المتحدة والرق: إن الإصدارات التي تحدثت عن الرق ذكرت أسباب (مداخل) تقترب من الثمانية أسباب ولكنها تجاهلت عمداً أو سهواً أو جهلاً مدخلاً لم أجد مدخلاً للرق أشد ولا أنكى ولا أقبح منه إنه الرق الذي قررته الأمم المتحدة في ميثاقها.

فقد أدخلت جميع دول العالم ١٨٩ دولة في دائرة الرق ذلك عن طريق حق الفيتو فجميع إرادات هذه الدول تابعة لدولة من الخمس الكبار أصحاب الفيتو.

ولذلك اقول: إن ما يسمونه ميثاق الأمم المتحدة وأسميها عصبة الأمم وميثاقها

---

(١) هما : (الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، و(الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية) انظر نصوصهما في كتاب الوجيز في حقوق الإنسان مرجع سابق، ص ٢٧٨، ٢٩٢ .

ميثاق الذل والخضوع هذا الميثاق خالف الأصل الذي قرره الإسلام أن الناس جميعاً ولدتهم أمهاتهم أحراراً: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩). وحرية العقيدة من الخالق للمخلوق هي أعلى درجات الحرية.

ولذلك لما جاء الإسلام شرع العتق فانتهت مسألة الرق.

ولكنها عادت للظهور بميثاق الأمم المتحدة، فحيث كان الرقيق قلة بسيطة جداً في الدولة الواحدة تحولت جميع الدول ورعاياها إلى عبيد ورقيق عند هذه الدول الخمس أو عند دولة واحدة من الخمس.

والسؤال: إذا كان ميثاق الأمم المتحدة بهذا الشكل من الذل والخضوع والتبعية وسلب الإرادة لشعوب العالم كله، لماذا لا تنسحب هذه الدول المهدرة كرامتها من عصبة الأمم هذه وميثاقها وتركها لخمس الكبار يتبارون بينهم باستخدام حق الفيتو ضد أنفسهم حتى يُعانوا من ويلاته فيرفضونه إلى الأبد؟

وإن ذلك لكائن، فدوام الظلم من المحال.

وأول من يحترق بنار الظلم هو الظالم نفسه.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء).

الواقع: يؤكد الواقع صدق ما ذكرناه فكم من دول احتلها الكبار وصادروا جميع آراء الدول الأخرى بحق الفيتو حتى إنها جنّدت لذلك (مجلس الأمن الدولي).

الزمان: السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

المكان: قطاع غزة بفلسطين المحتلة.

الحدث: يتعرض لأبشع أنواع الإبادة بطائرات إف ١٦ وتدمير وأشلاء وجثث من جانب العدو الصهيوني المحتل، و لا يستطيع أحد الأنظمة العربية وغيرها أن تقول كلمة واحدة سوى الشجب والاستنكار والإدانة وحينما سيصل الموضوع إلى مجلس الأمن الكل يوافق على وقف إطلاق النار ومحاسبة إسرائيل بتهمة جرائم الحرب وبعد أن يوافق الجميع (تقول أمريكا فيتو) إن أمريكا لن توافق على قرار يدين إسرائيل، ولم توافق إذن لتفعل إسرائيل كل ما تشاء من عربدة فحليفتها أمريكا تُجهض كل شيء بكلمة (الفيتو).

من الأساليب التربوية الناجحة للفهم والتحصيل أن يأتي الإيجاز بعد التفصيل :

تلخيص عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

حقوق الإنسان في الجاهلية الأولى(١)	حقوق الإنسان في خطبة الوداع	انتهاك حقوق الإنسان في الإعلان العالمي لميثاق الأمم المتحدة
١ ـ عندما صرخ مظلوم في مكة وهو ليس من أهلها هبو لنصرته وكان حلف الفضول لنصرة المظلوم.	١ ـ المساواة وحق الأخوة: لافضل لأبيض على أسود ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ـ يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.	١ ـ انعدام المساواة على جميع المستويات وسيطرة العنصرية وانتشار الحصانات بأنواعها (برلمانية ٠ قضائية ـ ومجالات لا حصر لها من الحكام وأبنائهم وانتشرت طبقات الأسياد والعبيد من جديد.
٢ ـ حوصر جميع المسلمين في شعب أبي طالب وعلقت صحيفة المقاطعة وبعد فترة من الزمن قام خمسة أفراد من غير المسلمين لنصرة المظلوم وشقوا الصحيفة.	٢ ـ هذه الحقوق منذ ١٤٣٠ عام والتي جاءت في خطبة الوداع التي هي المذكرة التفسيرية لحقوق الإنسان وفي المنهاج القرآني والتي سعدت الإنسانية في ظلها قروناً طويلة فشبعت الطير وأُعطي لفقراء أهل الكتاب من بيت المال وحكم القاضي على رئيس الدولة(٢) فلا دليل معه ويُنفذ الحكم بدون الفيتو.	٢ ـ حصار للشعب الفلسطيني في غزة عام ونصف في مقاطعة ظالمة أقذر من شعب أبي طالب والأنظمة العربية لا تستطيع أن تتكلم فالفيتو جاهز وكان من صور الذل والإهانة : ـ لابد وأن تشارك في حصار إخوة لك في الجوار والعقيدة. ـ قامت بعض الأنظمة باعتقال من يحاول فك الحصار عن

(١) سبب ذكر الجاهلية الأولي لكي يتضح أن الوضع المأساوي الذي تعيشه الإنسانية الآن غير مسبوق في التاريخ ولا حتى في الجاهلية الأولى بقيادة أبو جهل.

(٢) إنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، واليهودي والدرع راجع ذلك في النظام التعليمي من هذه الموسوعة.

<table>
<tr>
<td>٣ ــ رفض أبو جهل قائد الجاهلية الأولى أن يدخل بيت النبي من فوق الجدار وقال: حتى لا يُقال أنا تسورنا على بنات محمد.
٤ ـ كان الرجل في الجاهلية يقول أغض طرفي إذا بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مثواها.
أصون عرضي بمالي لا أبدده
لا بارك الله بعد العرض في المال.
٥ ـ كانت هناك أسباباً للرق (حروب وغيرها) والذي يُضرب عليه الرق أفراد وليست دول.</td>
<td>٣ ـ حرمة الأعراض: فلا يجوز أن تنظر من ثقب في الباب؟
٤ ـ حق الزوجة: إن لنسائكم عليكم حقاً استوصوا بالنساء خيراً.
٥ ـ شرع العتق وجعله من الكفارات وأعظم القربات
٦ ـ حرمة الدماء: أعظم من حرمة الكعبة وأعظم من زوال الدنيا كما في الحديث.
٧ ـ حرمة الأموال: المحافظة عليها من السرقة والربا والرشوة ولقد أتضح دمار الاقتصاد العالمي بسبب الربا.
٨ ـ هناك ضمانات للتطبيق منها: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ تطبيق للشرع بين طرفي النزاع ـ لا يكتمل إيمان المؤمن إلا بها ـ حق الهجرة والالتجاء فراراً للمرء بنفسه وعقيدته: «من يهاجر في سَبيل الله».</td>
<td>غزة تبلغ المهانة ذروتها لأننا في القرن الحادئ والعشرين.
٣ ـ هتك الأعراض ـ الاغتصاب ـ تكسير الأبواب ـ المنازل ودخول المنازل بوحشية (زوار الفجر).
٤ ـ المرأة: تباع بأبخس الأثمان في سوق الرذيلة والعري ـ ممنوع التعدد ـ ولا بأس بمئات العشيقات.
٥ ـ شرع الرق: (حق الفيتو) استرقاق للدول بأكملها.
٦ ـ الدماء تسفك ليل نهار ولا حرمة لها أمام الفيتو.
٧ ـ الأموال تصيبها المصادر والنهب والسرقة.
٨ ـ لا توجد أي ضمانات للتطبيق بعد ستين سنة أُحيل للتقاعد وتركه الذين وضعوه ولم يفعل أي خير للإنسانية وإن شئت فقل أضر بالإنسانية ضرراً بالغاً فقد قنن للإنسانية إهانتها وإذلالها.</td>
</tr>
</table>

القرن الحادي والعشرين: انتكاسة المجتمع الإنساني :

إن المجتمعات الإنسانية التي أعلنت الحرب على الإسلام ـ ففصلت الدين عن الدولة ـ تشهد الآن انتكاسة شديدة عادت بها إلى ما قبل الجاهلية ، فالبشرية الآن في أعلى درجات الشقاء هذه هي الحقيقة . . **كيف ذلك؟**

ألسنا في عصر الرفاهية والسعادة؟!

ألسنا في عصر الفضائيات والمحمول وعلبة الكبريت[١]؟!

ألسنا في عصر الطائرات بدون طيار؟!

ألسنا في عصر الريموت كنترول[٢]؟!

أليس كل هذا تقدم وحضارة؟!

والسؤال: هذا العصر، ماذا نسميه؟!

عصر الرفاهية ، عصر المدنية والحضارة!!

في الحقيقة إن هذا العصر عصر الانتكاسة والرفاهية الكاذبة .

الأدلة على انتكاسة هذا العصر:

١ ـ الرفاهية:

رفه: أصاب نعمة وسعة من الرزق

رفة به: رحمه ورأف به

الرفاهية: رغد العيش وسعة الرزق والخصب والنعيم[٣] .

هذه الرفاهية اللغوية تُعد وبالاً على الإنسان إذا بات قلقاً مضطرباً ففي

---

(١) إشارة إلى سرعة معرفة أخبار الكرة الأرضية وأنت تجلس في مكانك وكأنها علبة كبريت في يديك .

(٢) أجهزة التحكم عن بُعد كما في إدارة الموجات الإذاعية عن بُعد وفتح أبواب السيارات وغلقها وغير ذلك .

(٣) المعجم الوسيط : مادة رفة ، جـ١ ، ص ٣٧٦ .

الحديث: **«من بات آمناً في سربه، معافاً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**(١).

إن رغد العيش لنفوس كسيرة ذليلة سجينه ليس رفاهية لها بل قمة الشقاء لهذه النفوس، فما قيمة الحَضَّانَة للطفل الوليد إذا كان سيخرج منها إلىٰ مصير مجهول (ملاجئ أو دور أيتام) فلا أم ولا أسرة(٢).

- إن الرفاهية الحقيقية لهذا الطفل أن ينمو في أحضان أم وفي وسط أسرة، وما قيمة رغد العيش لنفوس كسيرة ذليلة سجينة إن أكل اللحم ليس رفاهية لهذه النفوس بل قمة شقائها إن أكل العُشب في الحرية أفضل بكثير من أكل اللحم في العبودية.

- إن الرفاهية الحقيقية أن يعيش الناس أحراراً كما في قول عمر بن الخطاب: «يا عمرو متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»، وما قيمة (الريموت كنترول) لشخص فقد ساقيه في حرب ظالمة إن تجرعة آلام فقد ساقيه ظلماً يفوق ملايين المرات جميع أجهزة الريموت.

- إن قيمة الساقين عند الإنسان لا تدانيها قيمة حتىٰ ولو امتلك أسطول طائرات لا تعوضه عن قدميه فلن يدخل دورة المياه بالطائرة.

- وما قيمة مُدن الملاهي والحدائق الواسعة ونوافير المياه في الميادين لشعوب ظمأىٰ إلىٰ الحرية؟

- إن الشعوب في سجن كبير مفروض عليها من أنظمتها فإذا حانت لحظة واحدة والتقىٰ فيها المحكومين بالحاكم سارعوا إلىٰ الفتك به وإن كان في ذلك إزهاق لأرواحهم (أما الخليفة العادل فقد نام في ظل شجرة) إن الأسد في حديقة الحيوان داخل القفص يأكل اللحم ولكن انظر إلىٰ وجهه ترىٰ البؤس والذل يعلو قسمات وجهه.

---

(١) رواه الترمذي، الزهد ٣٤، وابن ماجة، الزهد ٩.

(٢) تشير الإحصاءات إلىٰ أن هناك أكثر من نصف مليون طفل لقيط في الشارع كل عام.

٢ ـ الأمراض النفسية:

إن أكثر العصور أمراضاً نفسية هو هذا العصر إن ازدياد العقد النفسية الذي يدل عليه ازدياد حالات الانتحار كما في السويد التي تعاني من أعلىٰ نسبة انتحار مع كثرة الأموال ووفرتها لدليل قاطع علىٰ أنها انتكاسة ورفاهية كاذبة خادعة .

٣ ـ حروب الإبادة للشعوب الضعيفة:

في قانون الغابة يأكل القوي الضعيف أما في قانون الإنسانية الذي حددته الشريعة : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا» ، وفي الإعلان العالمي لانتهاك حقوق الإنسان الفيتو يسحق جميع الشعوب ماعدا الخمسة الكبار .

إن الذي يحدث الآن في غزة لن يُمحىٰ من ذاكرة التاريخ أبداً أذكره في هذه النقاط دون تفصيل :

أ ـ حصار كامل لقطاع غزة منذ عام ونصف فرضته إسرائيل ونفذته أيدي الأنظمة العربية والإسلامية المحيطة .

ب ـ تسيبي ليفني ، وزيرة خارجية الكيان الصهيوني المحتل في القاهرة الخميس ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٨م تقول أمام وزير الخارجية علناً في المؤتمر أنها ستحرق غزة ، ولم يتنفس أحد من الحضور ، وبدأ التنفيذ بعد ٢٤ ساعة السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م ، بدأت محرقة غزة والمقاومة الباسلة لا تهدأ .

جـ ـ استخدام الكيان الصهيوني لجميع الأسلحة بما فيها المحرم دولياً والتي تحتوي علىٰ الفسفور الأبيض .

د ـ صمت عالمي رهيب من جميع الأنظمة العالمية والعربية باستثناء فنزويلا وتركيا أما الشعوب فلم تهدأ مظاهراتها .

٤ ـ ذبح الإنسان وذبح الخراف[1] ووفاة القطة:

١ ـ منعت استراليا تصدير الأغنام لمصر لانتهاكها حقوق الحيوان (الخرفان)

---

(١) حث الإسلام علىٰ الرفق بالحيوان بشكل غير مسبوق ، ففي الحديث الصحيح : «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته» .

والسبب المباشر هو تصوير سائحة استرالية مشاهد لذبح الأضاحي، ومشاهد أخرى لشحن الخرفان في سيارات قديمة[1]. ألم ترى هذه السائحة وحكومتها والعالم أجمع ما يحدث للإنسان في غزة من خراب وتدمير وقتل وتجويع وتشريد وتضييق؟

٢ـ تلقى البيت الأبيض العزاء في وفاة قطة بوش أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة.

٣ـ ذبح وقتل ما يقرب من ٤١٠ طفل في غزة ويرد الرئيس الأمريكي من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها.

٥ـ الحضارة:

إن روح أية حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد فأي حضارة بدون قيم وأخلاق ومبادئ هي انتكاسة للبشرية تحطم نفسياتها.

إن أعظم قانون لحقوق الإنسان لا يستطيعه أي نظام بعيد عن المنهج القرآني، فمن غير المسلم الذي يُطبق: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»، كما ورد في الحديث، طُبق هذا المنهج ردحاً من الزمان ثم حدثت الانتكاسة فما هي ثروة ابن عمر الخليفة الأول وما هي ثروات أبناء الحكام؟

إن الذي يضع قانوناً عادلاً أو يساعد على تطبيقه لابد وأن ينعم بآثاره هو أو فرعه[2] للحديث: «**من سن سنة حسنة**» والذي يضع قانوناً ظالماً أو يرتضى قانوناً ظالماً لابد وأن يطبق عليه أو على فرعه: «**ومن سن سنة سيئة**».

٦ـ الجاهلية:

لم أكن أحب ذكر هذه الكلمة ظناً مني أن الجاهلية الأولى لن تتكرر ولن يحدث للمسلمين بعدها ما حدث لهم من تعذيب وسفك دماء أثناءها، ولكن

---

(١) من مقال د. أحمد عبدالخالق على شبكة الإنترنت، نافذة دمياط ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٧م.

(٢) فرعه: أولاده وإن نزلوا.

الأحداث التي عاصرت حدوثها وشاهدت وقوعها، وعند تحليلها تأكد لي أن الجاهلية التي بدأت تطُل برأسها على الإنسانية هي أخطر من الجاهلية الأولى يقول أ. محمد قطب: «أعتى جاهلية في التاريخ وأخبث جاهلية في التاريخ هي التي استخدمت كل ثمار العلم وكل ثمار التقدم المادي والحضاري لتفتن الناس عن دينهم»(١).

ولذلك أقول: لو خرج أبو جهل قائد الجاهلية(٢) الأولى لاستحى مما يحدث الآن.

استحى أبو جهل أن يتسور منزل النبي ﷺ والآن تكسر الأبواب وتقتحم المنازل وتنكشف السواءات التي استحى أبو جهل منها «أغض طرفي إذا بدت لي جارتي».

ولكن مع ظهور أول خيوط هذه الجاهلية لاح في الأفق شمس الصحوة الإسلامية فبدأت عودة القلوب إلى الله، كما يقول صاحب الظلال: «**فسوف يعود الإنسان إلى الله**».

٧ ـ جريمة قتل تكراء منذ بداية الإنسانية على الأرض:

قتل أحد ابني آدم أخيه كما في الحديث الصحيح من رواية بن مسعود قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل**»(٣).

---

(١) الإسلام كبديل عن الأفكار المستوردة، أ، محمد قطب، ، ص ,٩٩

(٢) **الجاهلية لغة**: أصلها من الجهل الذي هو ضد العلم، أو الجهل بمعنى الضلال، وقال الراغب في مفرداته، ص ١٠٢: الجهل على ثلاثة أضرب: **الأول**: وهو خلو النفس من العلم، **والثاني**: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، **والثالث**: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل، سواء اعتقده اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً. **وفي الشرع**: هي الحال التي تعم فيها مخالفة الدين، ويغطي الانحراف كل جوانب الحياة من غير نظر إلى مرحلة بعينها، ولذلك تطلق على حال البشر في عهد نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام، انظر: المنهاج، د. عبدالستار، ص ١٤٤.

(٣) رواه البخاري، جنائز ٣٣، أنبياء ١، ديات ٢، اعتصام ١٥، ومسلم قسامة ٢٧.

يقول أ.سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «إن هذه الشريعة النافذة بالقصاص العادل تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة فإذا ارتكبها على الرغم من ذلك وجد الجزاء العادل المكافئ للفعلة المنكرة»(١).

وظاهر أن القاتل لم يكن رأى من قبل ميتاً يدفن ـ وإلا لفعل ـ وقد يكون ذلك لأن هذا كان أول ميت على الأرض من أبناء آدم، هذه جريمة نكراء أن يقتل الشقيق شقيقه.

والجريمة الأشد نكارة منها أن تحاصر الأنظمة العربية والإسلامية قطاع غزة وتُكبل المقاومة ثم تستدعي الصهيوني المحتل ليحرق غزة (أمسكني أخي وقيدني وكبلني وسلمني للصهيوني ليقطع رأسي) والكل يتفرج ولا يتحرك أي نظام.

٨ ـ الانهيار الاقتصادي:

كان من سمات القرن العشرين كثرة الأموال بطريقة فاحشة ولكن هذه الطفرة المالية لم تكن حقيقية بل كانت ربوية ولذلك انهار الاقتصاد وحدثت الانتكاسة المالية المدوية والتي تنذر بكارثة، كل هذه الأدلة توضح انتكاسة هذا القرن (الحادي والعشرين).

وأقول: إن الإنسانية التي تحارب قانون سعادتها وتتنكر لطريق عزتها وكرامتها لابد من إهلاكها واستبدالها فهي ليست جديرة بحمل منهج الله في الأرض والسعي به لسعادتها.

بُشرى في حقيقة:

وصل منحنى الظلم إلى أعلى نقطة له في تاريخ الإنسانية وهبط فجأة بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م، وتأتي البشرى من انتصار المقاومة في غزة وتأكدت حياة الأمة حقيقة: «**ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة**»(٢). فليستعد المجتمع الإنساني ببزوغ عصر الرفاهية الحقيقية ـ والعدل ـ والثراء الواقعي الواسع، لا ثراء الوهم والربا المنهار فبدأت عودة الإنسانية إلى الله وتنكرت للقوانين الأرضية وطالبت بشريعة خالقها.

---

(١) في ظلال القرآن، جـ٢، ص ٨٧٧.

(٢) رواه أحمد ٤/ ٢٧٣.

خامساً : لمسات في عمق الحضارة والمدنية

هذه اللمسات تكشف فشل حضارة الغرب المزعومة، وأنها خداع وسراب: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (النور: ٣٩).

الشعاع الأول: إلينا أيها الحائرون (١) :

التلميذ الذي انتحر :

حاول الصبي الياباني ـ وكان عمره أحد عشر عاماً ـ حاول أن يسأل أستاذه في أمر ذي بال، ولما لم يستأذن التلميذ في السؤال عدها الأستاذ إهانه له فأهانه، وعلى الفور اتخذ التلميذ القرار الصعب وهو الحكم على نفسه بالإعدام شنقاً . . وفعلاً نفذ الصبي الحكم على ما كان فيه من قسوة وتسرع . .

وبعد موت الطفل . . وفي الوقت الضائع قرر ناظر المدرسة اصطحاب المدرس المعتدي إلى بيت التلميذ ثم قدما لوالده اعتذار المدرسة كلها . .

وكان على المدرس أن يستثمر في تلميذه روح الطموح فينفتح صدره لهمومه.

وإذا كانت الأشياء تتميز بأضدادها . . فإننا نواجه هذا الموقف القاسي ببعض صور ودروس التربية الإسلامية مع رسول الله ﷺ مُعَلِّم البشرية، حتى تتأكد به حاجة الإنسانية إلى الإسلام في هذا الزمن الرديء . .

الصورة الأولى : حذيفة بن اليمان رضي الله عنه..

كان أسعد الناس بصحبة الرسول ﷺ، ولكن الذي كان ينغص حياته هو : ماذا بعد وفاة النبي ﷺ؟ كيف تكون صورة الحياة؟ . . وكيف يتصرف الأحياء؟

يقول حذيفة : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قلت : «يا رسول الله ﷺ إنا كنا في جاهلية فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟»، قال : «نعم» . .

---

(١) د. محمود عمارة، جريدة صوت الأزهر، ١٩ ربيع الآخر سنة ١٤٢٦ هـ.

قلت : «فهل بعد هذا الشر من خير؟» .

قال : «نعم وفيه دخن» . . قلت : «ما دخنه؟» .

قال : «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي.. تعرف منهم وتنكر» .

قلتُ: «وهل بعد ذلك من شر؟»،

قال : «نعم.. دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها..» .

قلت : «يا رسول الله ﷺ فما تأمر إن أدركني ذلك؟» .

قال : «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..» .

قلت : «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟» .

قال : «تعتزل تلك الفرق كلها.. ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[١] .

انظر إلى الحوار الرائع بين أستاذ البشرية كلها وأحد تلامذته . .

ما أحوج البشرية إلى هذا الواقع المشرق . .

الصورة الثانية لشاب يأتي إلى النبي ﷺ ويقول له:

«يا رسول الله ، رخص لي في الزنا لشدة عندي في الشهوة» . .

ولم ينهره النبي ﷺ، ولم يجلده ، ولكنه قال :

«أترضاه لأمك؟»، قال الشاب : «لا ، والذي بعثك بالحق» . .

قال ﷺ : «أترضاه لأختك؟»، قال الشاب : «لا» . .

قال ﷺ : «أترضاه لابنتك؟»، قال الشاب : «لا» . .

قال ﷺ : «هكذا الناس لا يرضونه لأمهاتهم ولا أخواتهم ولا لبناتهم» .

. . فانصرف الشاب وليس أبغض إليه من الزنا[٢] .

---

(١) رواه البخاري ، فتن ١١ ، ومناقب ٢٥ ، ومسلم ، إمارة ٥١ .

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٥٧ ، حديث رقم ٢٢٢٧٤ .

صورة ثالثة للحوار والحضارة والمدنية.. مع مُعلِّم وأستاذ البشرية..

يبول أعرابي في المسجد، فيقوم الناس إليه ليضربوه. . فيقول النبي ﷺ: «دعوه لا تروعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء» (ذنوباً من ماء)(١) .

الشعاع الثاني: ماذا لو صعد زنجي فوق تمثال الحرية في مدينة كولومبيا، ونادى بأعلى صوته بالمساواة بين البشر؟ :

في عام ١٩٤٦م في مدينة كولومبيا قصد زنجي وأمه إلىٰ محل لإصلاح الراديو الخاص بهما، وبعد أن دفعا الأجرة المطلوبة تبين لهما أن الجهاز لا يزال علىٰ حاله؟ فأمر صاحب المحل بطردهما، ورفس أحد المستخدمين الأم برجله فخرت علىٰ وجهها، فغضب الزنجي لأمه وضرب المعتدي عليها فأهوىٰ به إلىٰ الأرض، فما كان من جاره إلا أن صرخ في الجماهير: اقتلوا هذا الفاعل!

وتجمهرت الجماهير وأخذت تنادي: فلنقتص منهما!

والاقتصاص من الزنوج يكون بفصل رؤوسهم من دون محاكمة!

وأخيراً أنقذا من بين أيدي الجماهير، وسيقا إلىٰ السجن، فلم يرض الجمهور بذلك، بل هرع إلىٰ حي الزنوج ليقتص من الزنجية وولدها، وحاصرت الشرطة الحي المنكوب، وطرد الزنوج المساكين من بيوتهم ومحالهم، فنهبت وأحرقت وأطلق الرصاص علىٰ أولئك المساكين فوقع كثير بين قتيل وجريح؟(٢) .

ومع ذلك يرفعون تمثالاً للحرية يعد من المعالم الحضارية في بلادهم.

ترى لو ان زنجياً صعد على هذا التمثال ونادى بأعلى صوته: بأن الله تعالى خلق الناس جميعاً سواسية، ودعا إلى المساواة بين البشر، فهل كان هذا الزنجي ينزل كما صعد [illegible] حياته تنتهي قبل وصوله إلى الأرض؟!

عن المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذر بـ (الربذة) وعليه بُرد، وعلىٰ غلامه

---

(١) رواه البخاري، وضوء ٥٨، حديث رقم ٢٢٠، ومسلم، طهارة ٣٠، حديث رقم ٢٨٤.
(٢) مجلة منار الإسلام، القطرية، جمادىٰ الآخرة ١٤٢٧هـ، ص ٩٦ .

مثله، فقلنا: «يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة؟»، فقال: «إنه كان بيني وبين أحد من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»، قلت: «يا رسول الله ﷺ من سب الرجال سبوا أباه وأمه». قال ﷺ: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم مما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[1] .

في حضارتنا ومَدَنيتنا . . وقف بلال الحبشي يوم الفتح فوق الكعبة ليؤذن ويعلن كلمة الحق: «لا إلا إله الله محمد رسول الله» وليتردد في جنبات الكون كله قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

فأي الحضارتين أحق بالتقدير ؟ [2] .

الشعاع الثالث : لماذا ثلث للتنفس؟

علمنا الإسلام كيف نأكل، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف: ٣١) . والرسول ﷺ يعطينا المذكرة التفسيرية [3] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فيقول: «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنَفَسه**»[4] .

وبعد النظر . . نستنتج الحقائق التالية :

١ ـ الإنسان الذي لا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع لا يصاب من الناحية المادية بأي شيء يفسد أي جهاز فيه، وحفاظاً على هذه الأجهزة حدد النبي ﷺ لكل شيء حدوده، فقال ﷺ: «**فإن كان ولابد آكلاً.. فثلث لطعامه.. وثلث لشرابه.. وثلث لنفسه**».

---

(١) رواه البخاري ، إيمان ٢٢ ، أدب ٤٤ ، ومسلم، إيمان ٣٨، ٤٠ .

(٢) مجلة منار الإسلام، جمادي الآخرة سنة ١٤٢٧هـ، ص ٩٦ .

(٣) كتاب عظمة الإسلام، الشيخ : الشعراوي ـ رحمه الله .

(٤) رواه البخاري، رقاق ٦٥١٤، ومسلم، زهد ٢٩٦٠ .

ما للنفس وللمعدة؟ إن المعدة إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز، وبالتالي يضغط على الرئة فيضايق التنفس، ومعنى الضغط على الرئة تقليل حجمها. أي أن الهواء الذي بداخلها يكون قليل فيحدث اضطراب في التنفس وسرعة.

٢ ـ هذا هو المستوى الرفيع في الاقتصاد، لأن الإنسان إذا جاع فأي طعام يكفيه، أما تعقيد الأطعمة وكثرتها مع الشبع يصيب النفس بالملل، فنحمل أنفسنا على الأكل.

٣ ـ الجوع يجعل الإنسان يقبل على الطعام بنفس راضية، وأي كسرة خبز تكفيه، ولذلك قال الأعرابي: «نعم الإدام الجوع».

جرب وادخل بيتك وأنت جائع وفي البيت «ديك رومي» لم ينضج، فإنك ستبحث عن بقايا طعام كان منذ أمس وتأكله بشهية ولذة. حقاً «نعم الإدام الجوع».

لماذا الطعام والمعدة بالذات؟

هناك لمسات في عمق الحضارة الإسلامية تفوق الوصف والحصر ومن أسباب إلقاء الضوء على هذه اللمسة:

١ ـ أن المعدة واقع ملموس لدى جميع الناس يسعدوا براحتها ويتألموا لألمها.

٢ ـ يستطيع الإنسان أن ينعم بالنتيجة الطيبة بعد ساعات من الالتزام بالتوجيهات التي ذكرها الهدى النبوي في ذلك.

كما أنه يتجرع الآلام والمعاناة في حالة المخالفة لهذا الهدي النبوي.

الشعاع الرابع: الإسلام هو النور وسط كل الظلام الدامس..

اقرأ هذين المثلين وتأمل فيهما:

المثل الأول: فتاة نمساوية سافرت إلى ميونخ في ألمانيا، واتجهت إلى المركز الإسلامي وتبرعت للمركز بعشرة آلاف مارك وسط دهشة الحاضرين «لأنها غير مسلمة»، ثم طلبت الزواج من شاب مسلم[1].

---

(١) راجع مقدمة هذا الباب.

المثل الثاني : مسلم أمريكي وقف يخطب في الحجاج ـ وكان حاجاً ـ فقال : «أيها الظالمون . . لقد صدرنا إليكم من أمريكا كل وسائل اللهو والعبث والانحلال الأخلاقي وقلدتم الشواذ . . و . . ولم تصدروا إلينا الإسلام العظيم الذي ظللنا سنوات نبحث عنه»!!

ثم قف .. وقارن بين هذين المثالين :

المثل الأول : الإسلام يأمر الزوج أن ينفق على زوجته مهما بلغت ثروتها ، ولا تأخذ هي من زكاة مال زوجها بل من أصله ، أما هي فتعطي لزوجها من زكاة مالها إن كان فقيراً ويحتاج لذلك . .

المثل الثاني : زوج يقتل زوجته ليستولي على نقودها. .. إنه غراهام بلاك هاوس . . مزارع بريطاني غارق في الديون عليه ١٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني . . قرر أن يتخلص من زوجته ليحصل على قيمة بوليصة التأمين الخاصة بها والمسجلة باسمها وقيمتها ١٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ، فوضع قنبلة في سيارة زوجته ، إلا أن أجل زوجته لم يحن بعد ونجت من القتل .

الشعاع الخامس: ما أحوج العالم إلى رسالة الحج :

تؤكد رسالة الحج على عقيدة التوحيد للرسل والأنبياء جميعاً .

ويمتد شمول الحج ليشمل الزكاة ، فالحج زكاة العمر ، وأيضاً الصدقة . .

أيضاً في الحج طهر جسدي وطهر نفسي . .

أما الطهر الجسدي فهو إزالة الأظافر والشعر والغسل والطيب ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج : ٢٩) .

أما الطهر النفسي .. فما أحوج العالم الذي تقسمه المبادئ والشعارات والأهواء لهذا الأمر . . لهتاف واحد هو «لبيك اللهم لبيك» . .

ما أحوج العالم إلى هذا المنظر الفريد . . الكل يطوفون في مشهد رائع .

إن العالم الآن يبحث عن الإسلام . . لأنه الحل الوحيد لمشاكلهم وأزماتهم . . إنهم يبحثون عنه لمدنيته وحضارته وتقدمه .

ولقد قالت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة: «إن أوروبا حبلي بالإسلام».
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) ﴾ (الإسراء).

الشعاع السادس: الحجر الصحي:

١ - **الطاعون:** في الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامه بن زيد: «ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟» فقال أسامة قال رسول الله ﷺ: **«الطاعون رجز أرسل على طائفة بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه»**[1]، يعني عمل كردون صحي حول المكان لمحاصرة المرض[2].

٢ - **اعتزال الحائض:** يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾(البقرة: ٢٢٢)

٣ - **تحريم الزنا:** يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٢).

٤ - **نجاسة الكلب:** لعاب الكلب يسمى (كيانات)، وهذه الكيانات لا يطهر منها الإناء الذي ولغ الكلب فيه إلا بالتراب، لحديث النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات أولاهن بالتراب»**[3].

---

(١) رواه البخاري، أنبياء ٥٤، ومسلم، سلام ٩٢، ٩٤، ٩٥ .
(٢) الطب النبوي، لابن القيم، ص ٢٨ .
(٣) رواه البخاري، وضوء ٣٣، ومسلم، طهارة ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣ .

الوصية العملية:

أخي الحبيب .. نفذ الوصايا العشر لتقوية جهاز المناعة:

بدأ اهتمام العلماء بالعوامل المختلفة التي تنشط جهاز المناعة والأسباب المتعلقة بحدوث الخلل والتدهور في هذا الجهاز، وذلك بعدما اتضح أن أمراضاً كثيرة من أمراض العصر مثل: التهاب الكبد الفيروسي، والسرطان، والأمراض البكتيرية والفيروسية، تصيب الإنسان بسبب تدني كفاءة جهاز المناعة. . ويمكن تلخيص هذه الوصايا العشر كالآتي:

١ ـ تناول الأغذية الغنية بمضادات الأكسدة مثل فيتامينات أ، ج، هـ، والزنك والمغنسيوم، وأكسيد لنيبوم، وتتوافر هذه العناصر في الجزر والسبانخ والكرنب والفلفل الأخضر والبرتقال والبلح والتفاح والموز والعنب والأسماك وزيوت الزيتون والحار والصويا.

٢ ـ تناول الزبادي وعسل النحل(١)، وحبة البركة(٢)، وعيش الغراب، والشاي، والزنجبيل، والكمون، والقرنفل، والزعفران.

٣ ـ الإقلال من تناول اللحوم الحمراء والسمن والزبد والقشدة، وهي أغذية اتضح أنها تضعف جهاز المناعة.

٤ ـ ممارسة رياضة المشي ثلاث مرات على الأقل أسبوعياً بحيث تستغرق كل مرة نصف ساعة أو أكثر.

٥ ـ التغلب على الإرهاق ومتاعب العمل وهموم الحياة بالاستجمام والاسترخاء. . وأخذ قسط وافر من النوم، لقول النبي ﷺ: **«إن لبدنك عليك حقاً»**(٣). والتأمل في جمال الطبيعة التي أبدعها الخالق.

---

(١) راجع كتاب: (الشفاء بعسل النحل)، وكتاب (الطب النبوي) لابن القيم.

(٢) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام (الموت)»**. رواه البخاري، طب٧، ومسلم، سلام ٨٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد في المسند عن عائشة، وراجع كتاب (معجزات الشفاء في الحبة السوداء).

(٣) رواه البخاري، صوم ٥١، أدب ٨٦ .

٦ ـ المواظبة على الصلاة والصوم والعبادات، وتوثيق أواصر المحبة والمودة والتعاطف والتراحم بين الناس.

بالنسبة للصلاة: فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه (أي: أحزنه) أمر قام إلى الصلاة.. وقال لبلال: «**أرحنا بها يا بلال**»، وقال ﷺ أيضاً: «**وَجُعِلَتْ قُرة عيني في الصلاة**»(١).

بالنسبة للصوم: ذكرت مجلة الصحة في روسيا بحثاً قالت فيه: على الإنسان إذا أراد الصحة أن يمتنع كل عام عن الطعام والشراب لمدة ٣: ٤ أسابيع طوال النهار، ثم تقول المجلة: يخطئ من يظن أن الجسم في حالة الصيام لا يتغذى إنه يحول الميكروبات والجراثيم الموجودة فيه إلى طاقة ويستفيد منها، وبذلك يتخلص الجسم من الميكروبات والجراثيم التي فيه فتذهب عنه الأمراض.

بالنسبة لتوثيق أواصر المحبة: فقد قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُنسأ** (أي: يبارك) **له في عمره، فليصل رحمه**»(٢).

٧ ـ تجنب الانفعالات الشديدة والتوتر والغضب والأحقاد.. لأن نتائجها سيئة على الإنسان، قال تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)** ﴾ (يوسف: ٨٤).

٨ ـ الامتناع عن التدخين وعدم التعرض للتدخين السلبي(٣)، حيث اتضح أن دخان السيجارة يحتوي على مركبات من شأنها إضعاف جهاز المناعة، والقاعدة الشرعية تقول: «**كل ما يضر فأكله وشربه حرام**»، ولقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ (النساء: ٢٩)، ولقول النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٤)،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في السنن، تم تخريجه في الباب.

(٢) رواه البخاري، بيوع ١٢، ١٣، ومسلم، بر ٢٠، ٢١.

(٣) التدخين السلبي: أن تجلس بجوار مدخن، وتستنشق الدخان المحيط.

(٤) رواه ابن ماجة، أحكام ١٧، ومالك في الموطأ، أقضية ٢٦، وأحمد ٥/ ٣٢٧، وفي الزوائد: حديث عبادة هذا إسناد رجاله ثقات؛ إلا أنه منقطع، لأن إسحاق بن الوليد =

ولنهي النبي ﷺ عن إضاعة المال(١) ، وعلى هذا أفتت دار الافتاء بحرمة التدخين بجميع صوره .

وقال **العلامة الدكتور يوسف القرضاوي** في كتابه (الحلال والحرام) : «إن تناول التبغ الدخان حرام لأنه يضر» .

٩ ـ عدم تعاطي المخدرات والمنشطات والمسكرات .

١٠ ـ عدم تناول الأدوية التي تضعف جهاز المناعة إلا بعد استشارة الطبيب ، مثل أدوية الكورتيزون والمضادات الحيوية(٢) .

أقول : بعد أن أخذت بوسائل تقوية جهاز المناعة . . احذر السبب الرئيسي لتدمير جهاز المناعة وهو الاتصالات الجنسية الشاذة والمحرمة .

فائدة : العسل وقيمته الصحية والطبية :

من نتائج التجارب التي أجريت على عسل النحل النقي غير المغشوش ظهر :

١ ـ العسل مطهر للأمعاء ولا تعيش فيه الميكروبات ، فتركيز السكر به ٨٠ ٪ .

٢ ـ يفيد العسل في علاج أمراض الحساسية الناتجة عن الغبار ، وذلك بإضافة حبوب اللقاح للعسل .

٣ ـ تأثير العسل على البشرة والجلد ، فهو من مصادر الجمال ، وذلك بعمل محلول للوجه من العسل واللبن .

٤ ـ للعسل قدرة على حفظ الأغذية والتعقيم ، فاستخدمه قدماء المصريين في تحنيط الموتى ، واستعمله الإغريق والرومان في حفظ اللحوم ، لكي تبقى طويلاً محتفظة بطعمها الطبيعي .

=قال عنه الترمذي وابن عربي : لم يدرك عبادة بن الصامت ، وقال البخاري : لم يلق عبادة ، وقال مالك في الموطأ ، وصله ابن ماجة عن عُبادة بن الصامت .

(١) رواه البخاري ، زكاة ١٨ ، خصومات ٣ ، استقراض ١٩ .

(٢) هذه الوصايا العشر ، للدكتور عز الدين الدنشاري ، الأستاذ بصيدلة القاهرة .

٥ ـ وُجد أن العسل عند مزجه بالمواد الغذائية الخالية من فيتامين ك يظهر فعالية مؤكدة ضد النزف .

٦ ـ تأثيره أفضل على مجموعة الأعصاب .

٧ ـ في حالة قرحة المعدة أو الاثنى عشر ينصح بتناول العسل قبل الأكل بمدة ساعة إلى ساعتين ، وخاصة في وجبتي الإفطار والغداء .

٨ ـ وللعسل تأثير قوي في سرعة التئام الجروح ، وله تأثير على مرضى السكر ، ويفيد في علاج السعال الديكي .

٩ ـ وللعسل تأثير مقوٍ لمرضى الكبد ، ويقوي عضلة القلب فيرفع الضغط المنخفض .

. . . وغير ذلك كثير .

سادساً : مشكلات وأمراض مَدَنِيَّتَهُمْ

«إيدز - مخدرات - جنون البقر»

١ - الإيدز:

طاعون القرن العشرين . . عقوبة القدر الألهي . . كارثة العصر الكبرىٰ . . حصاد الشذوذ، يقولُ الله تعالىٰ : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** (١٦) ﴾ (الإسراء).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس خصال إذ ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن أو يقعن بكم، ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم...**»[١] .

الطاعون: أي الوباء - والأوجاع: أي الأمراض - أسلافهم - السابقين.

تجتاح الأوساط الطبية والشعبية في الولايات المتحدة وأوربا الشرقية والغربية وجنوب شرق آسيا موجة عارمة من الذعر والهلع سببها: ظهور هذا المرض في الولايات المتحدة، فقد كان أول اكتشاف له في عام ١٩٧٩م في مدينة نيويورك عن طريق رجل شاذ جنسياً. ومعظم المصابين رجال شاذون. . والعياذ بالله.

- **تعريف مرض الإيدز**.. وهو انهيار وسائل الدفاع الطبيعية في الجسم (انهيار جهاز المناعة).
- **السبب الرئيسي للمرض**: الاتصالات الجنسية الشاذة المحرمة. . سواء (اللواط أو الزنا).
- **طريق العدوى**: عن طريق نقل الدم، أو عن طريق الإبر الملوثة، كما هو الحال عند المدمنين على حقن المخدرات.

---

(١) رواه ابن ماجة، فتن ٢٢، حديث رقم ٤٠١٩، وقال في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به.

■ **خطورة المرض:** اتصف هذا المرض منذ ظهورة بانتشاره السريع، فالإصابة والوفيات تتزايد كل ستة أشهر، والنتيجة الحتمية لهذا المرض الموت خلال وقت قصير جداً.

الإيدز يتحدى الأطباء.. والشواذ يرتعدون:

فالمصابون بالمرض يموتون أمام الأطباء دون أن يتمكنوا من إنقاذهم، **يقول د.هدى ماسيور- من المعهد الوطني للصحة-** : «إنه لا يعرف حالة واحدة من الحالات التي قام بدراستها قد نجت من الموت في مدة أقصاها ثمانية عشر شهراً، فما إن يصابوا بالمرض بشدة إلا وأعتقد أنهم هالكون، وقد نشر مرض الإيدز الذعر في مجتمعات الشواذ».

ويشبه (لاري كرامر) حالة الذعر هذه السائدة الآن بين الشواذ في أمريكا بحالة سكان لندن أثناء القصف الألماني في الحرب العالمية الثانية.. فهم لا يعرفون أين تسقط القنبلة الثانية، ويقول: «إنه شخصياً فقد حتى الآن ١٧ صديقاً، والآخرون في المستشفيات»(١).

وفيات الإيدز: نسبة الوفيات منه تقترب من ١٠٠٪، المصابون يموتون بنسبة ٤٨٪ خلال سنة واحدة، وبنسبة ٧٥٪ خلال سنتين، وبنسبة ٩٢٪ خلال ٣ سنوات، وإن ٩٨٪ من الحاملين لمرض الإيدز لا يزالون غير مكتشفين وغير معروفين، ويقدر الباحثون أن عدد الحاملين للمرض أكثر من المعروف بكثير.

ففي مدينة لوس أنجلوس الأمريكية حيث سجل أكثر من ألف إصابة حتى منتصف عام ١٩٨٥م امتنع رجال الشركات والعاملون في الخدمات العامة عن التعامل مع الأشخاص المصابين مما دفع المجلس البلدي للمدينة إلى إصدار قرار يعاقب من يميز بين هؤلاء المرضى وبقية السكان.

هذا حصاد حضارتهم ومدنيتهم انحلال وانحراف وإيدز ومخدرات، ومليون طفل لقيط في الشارع كل عام من أطفال الزنا غير الشرعيين.

---

(١) مجلة الأمَّة، العدد ٣١ .

وهذا المرض قد انتقل إلى بعض بلادنا الإسلامية عن طريق المنحرفين والعصاة في ملاهي أمريكا وأوربا وأماكنها المشبوهة . .

ما الحل؟

الحل في العفة والطهر . . الحل في منهج الإسلام، الذي يجعل من الإنسان خليفة لله في الأرض . .

صحيح أن الغرب قد تقدم في مجال الطب والهندسة والتكنولوجيا والأسلحة وعلوم الإدارة والتنظيم وبعض العلوم المادية . . لكن غابت الأخلاق والمبادئ، وزادت المشكلات والأمراض . . ولذلك يُقال إن الحضارة الغربية تحمل أسباب فنائها في داخلها . .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإليك أحد التقارير عن أمريكا [1] :

في اليوم الواحد يُلقى القبض على ١٢٥٣ بتهمة تعاطي الحشيش، ويجري اغتصاب ١٨٠ امرأة، ويقتل ٥٣ شخص، وتسرق ٢٦١٨ سيارة، ويحدث السائقون المخمورون خسائر بحوالي ١٨ مليون دولار، ويولد ١٢٨٢ طفل غير شرعي، ويعقد ٥٩٦٢ زواج، ويفسخ ٢٩٨٦ زواج، وتُشْرَب ٩٠ بليون زجاجة بيرة، ويهرب ٢٧٤٠ طفل من منزل والديه، وتحمل ٢٧٤٠ مراهقة من الزنى، وتجهض ٣٢٣١ امرأةـ عافانا الله.

ويصاب ٦٨,٤٩٣ شخص بجرثومة السفلس (مرض الزهري كالإيدز ينتقل عن طريق الزنا والشذوذ والممارسات الجنسية المحرمة كالسيلان وغيره) . . كل هذا لعدم التزام منهج الطهر والنقاء . . منهج الإسلام . . منهج الأخلاق .

لقد ظن الغرب ومن على شاكلتهم أن الأخلاق قيد على الحرية والتطور،

---

(١) زادت أمراض الإصابة بالإيدز في أمريكا، وأصيبت امرأة أمريكية ساقطة بالإيدز فبذلت جسدها لـ٤ آلاف شاب ساقط يجهلون حقيقتها، وحينما سُئلت في ذلك قالت: «تظنون أن أموت بمفردي، لابد وأن يموت معي أي عدد ولو أكثر من ذلك».

حتى لقد قال قائلهم: «الأخلاق قيدٌ لا معنى له» . . وهذا وهمٌ خاطئ، فالأخلاق هي التي تحمي الإنجازات والمبادئ والتطور والتقدم والحضارة.

ونقول لمن قال: «الأخلاق قيدٌ لا معنى له»: أراد الدكتور (بل) من أدنبره عام ١٧٩٣م أن يفرق بين مرض السفلس وبين مرض السيلان، فأخذ مجموعة من طلابه فحقن جزءاً منهم بعينات من مرض السفلس، ومجموعة بعينات من مرض السيلان، فثبت أن مرض السفلس غير مرض السيلان وكان سبباً في شهرته، رغم موت الطلاب بسبب تجربته.

ماذا لو كان ولدك أحد هؤلاء الطلاب الموتى؟ أكنت تقول ذلك؟

أم تهتف قائلاً: «الأخلاق حماية لابد منها»؟!!

وهذا د. وليام من دبلن أخذ عينات من مرض السفلس وحقن بها المرضى العاديين دون علمهم، وكانوا يظنون أن هذه الحقن لعلاج أمراضهم. . أراد أن يدخل التاريخ على أشلاء وجثث الضحايا[١] .

وهكذا يظهر استهتار الحضارة والمدنية الغربية بالإنسان، واحتقارهم له، فلايهم أدعياء التقدم والحضارة إلا مصالحهم وشهرتهم ولو على حساب الأرواح.

وإليك ما فعلته أمريكا ـ التي تدعي محاربة الإرهاب ـ : أجرت وزارة الصحة الأمريكية عام ١٩٣٢م دراسة غير إنسانية على ٦٠٠ مصاب بمرض السفلس من الزنوج السود، واستمرت هذه الدراسة ٤٠ عاماً دون أن تعالجهم فقد استغلوا فقرهم واستعملوهم حيوانات تجارب وقد وعدوهم أن يقدموا لهم الطعام والمواصلات وإجراءات الدفن مجاناً . . انظر إلى هذا الإرهاب الأخلاقي.

أما أخلاق الإسلام ورحمته . . فلا مثيل لها . .

قال ﷺ: **«دخلت امرأة النار في هرة حبستها..»**[٢] .

---

(١) اقرأ كتاب (غضب الله تعالى يلاحق المتمردين على الفطرة) (الإيدز).

(٢) رواه البخاري، أذان ٩٠ ، مساقاة ٩ ، أنبياء ٥٤ ، ومسلم، بر ١٣٣ .

وقال ﷺ : « إن امـرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يـطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها (يعني خفها) فسقته فغفر لها به»[1] .

فشل العلاجات الوضعية.. ولا حل إلا بالإسلام:

لقد تخبطت القوانين الوضعية كثيراً، فبعض الدول أغلقت المواخير وبيوت الدعارة . . فازداد الأمر سوءاً . . فأصبحت البيوت العادية والشوارع هي أماكن الدعارة والزنا . . لأنهم لا يعرفون معنىٰ الأخلاق . . ولم يتعودوا الطهر .

بل إن بعض الدول قتلت المومسات، وشردت بعضهن، فتحولن إلىٰ بغايا متجولات . . فكان في لندن وحدها (٢٠٠٠ بيت دعارة)، تضم ٥٠ ألف مومس، وفي فرنسا ٣٠ ألف مومس . وباءت جميع هذه الحلول بالفشل، لأن العلاج عبارة عن علاج أعراض وليس علاج أمراض، فلابد من إلغاء القوانين التي تحمي الشذوذ وتشجع عليه والعودة بالناس إلىٰ الفطرة السليمة والتعلق بهدي الله .

أما شريعة الإسلام فقد وضعت تشريعات لاقتلاع الداء من جذوره فهي :

١ ـ تحث علىٰ الزواج وتيسره .

٢ ـ تحرم فعل الفاحشة والإباحية .

٣ ـ تحرم المخدرات .

أيها الغربيون . . هيا إلىٰ مجتمع الطهر والعفاف والأخلاق الفاضلة . . هيا إلىٰ صحة الفرد وصحة المجتمع . . هيا إلىٰ هذا النبع الصافي الذي قال عنه الوليد بن المغيرة (المشرك) : «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو ولا يعلىٰ عليه» .

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٥٠٧ ورقم الحديث ١٠٥٩٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢ ـ المخدرات والخمر (١) :

يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ (المائدة) .

قالت صحيفة برافدا السوفيتية: « إدمان الخمر جريمة ، لأن المدمن يسبب أضراراً للمجتمع والأسرة والأقارب» .

لم يقل أحد : هذه رجعية في القرن العشرين .

يقول المستشرق الأمريكي (فران فوجال) في لقاء أجرته معه مجلة «المجتمع» الكويتية: «إن الحدود الإسلامية ليست بربرية ولا وحشية كما يصورها البعض ، بل إنها تحقق النجاح في منع الجريمة ـ لو طبقت ـ أكثر بكثير من قوانيننا في الغرب ، والسبب يعود للعقاب الرادع ، أما عندنا في الغرب تزداد الجرائم يوماً بعد يوم وتكلف المجتمع تكاليف باهظة في الأرواح والأمن والاطمئنان» .

ثم خاطب المسلمين قائلاً : «أرجو أن تنجحوا في الاستفادة من د كم وقوانين شريعتكم ليس هذا من أجلكم فحسب ، بل من أجل الإنسانية ، إن لديكم مبادئ أصلية من دينكم فبإمكانكم أن تنجحوا»(٢) .

بالمثال يتضح المقال:

الشريعة الإسلامية تأمر بقتل الفاعل والمفعول به ممن يقترفون (اللواط) عمل قوم لوط . . أما في المادة رقم ١٩٣ إذا واقع رجل رجلاً آخر بلغ الثامنة عشرة وكان ذلك برضائه عوقب كل منهما بالحبس مدة لا تزيد عن ٣ سنوات أو غرامة لا تجاوز ٣ آلاف روبية ، أو إحدىٰ هاتين العقوبتين .

---

(١) راجع الباب الأول في عظمة التشريح الإسلامي تحريم الخمر .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٦٦١ ، جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ .

إن الخمر أم الخبائث . . بل هي أصل لجميع الجرائم . . فهي تدمر كل شيء الأفراد والمجتمع والاقتصاد، والأمل الوحيد في التخلص من هذه المعاناة والأمراض التي تهدد العالم بالدمار الشامل هو «الإسلام» الطريق الوحيد لإصلاح العالم أجمع مما حل به من علل وأدواء . . نعم إن الإسلام هو الحل الصحيح لعقد الحياة المعاصرة، التي سببتها قوانين البشر الهدامة .

الخمر: هو كل ما خامر العقل وستره أياً كان اسم التداول : هيروين ـ أفيون ـ حشيش ـ بانجو ـ أقراص .

الخمر أعظم الكبائر: عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : **«إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل نفساً، أو يزني، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه؟ فاختار الخمر وإنه لما شرب الخمر لم يمتنع عن شيء أرادوه منه»**[1] .

حقائق:

- خمسمائة مليار دولار حجم الأموال المهدرة في إنتاج المخدرات سنوياً[2] .
- ٦٣٪ من المدمنين أعمارهم أقل من ٣٠ عاماً، ٣٦٪ منهم أطفال .
- الإدمان وراء الإصابة بأمراض الإيدز ـ التهاب الكبد الوبائي ـ والعدوانية ـ والريبة تجاه الآخرين .
- الإسلام يحرم تناول المخدرات والمتاجرة فيها والتستر على زراعتها أو صناعتها أو ترويجها .
- ظاهرة تعاطي وإدمان المخدرات تستهدف تخريب عقول الشباب وتنتشر بين الأقل تعليماً .

---

(١) رواه الطبراني بإسناد صحيح والحاكم، وقال : صحيح على شرط مسلم، الترغيب والترهيب جزء ٤ ، حديث رقم ٣٤٣٠ .

(٢) مجلة منار الإسلام ٣٧٨ ، جمادي الآخرة ١٤٢٧هـ، يوليو ٢٠٠٦م .

- وباء الإدمان أشد خطورة وفتكاً بحاضر الأمم ومستقبلها وشبابها من الحروب المعروفة .
- أمتنا في أشد الحاجة إلىٰ استراتيجية عربية إسلامية لمحاربة المخدرات والوقاية من الإدمان .
- أجهزة الدعوة في العالم الإسلامي تحمل المسئولية الكبرىٰ في مواجهة خطر الإدمان علىٰ شبابنا .
- الإدمان يدمر الإنسان ، ويخرب الاقتصاد ، ويهدد الأمن القومي ، وينشر الرذيلة في المجتمع .

أسباب انتشار التعاطي والإدمان بين الشباب :

١ ـ رفقاء السوء .

٢ ـ السعي وراء الأوهام الزائفة بتعاطي المخدرات .

٣ ـ الرغبة في التجريب .

٤ ـ إن أغلبية المدمنين يعانون من مشكلات أسرية وتعليمية ومهنية .

العلاج :

يكون بمنع الأسباب التي تؤدي لذلك ، فلابد من الجليس الصالح ، وإزالة وحل المشكلات ، وحسن التربية علىٰ الإسلام . . والأخذ علىٰ أيدي من يجلبون ويروجون لهذه المخاطر .

ولابد أن يقوم علىٰ هذه الحملة ، رجال يتمتعون بدرجة كبيرة من الخبرة والورع والتقوىٰ والخوف من الله ، ومعرفة جيدة بآثار المخدرات التدميرية في الدنيا والآخرة . . وقد قال وزير داخلية مصر السابق : «إنه لا حل لمشكلة المخدرات إلا بالإسلام ، وأن يتقي الله كل رجال حرس الحدود والمطارات ، وبالتالي نكون قضينا علىٰ المخدرات تماماً في مصر ، ثم تكون الخطوة التالية أخذ المدمنين إلىٰ مصحات للعلاج . . وبذلك تقي البلاد والعباد من شر المخدرات» .

٣ـ جنون البقر (١) والخروج عن الفطرة :

قال تعالىٰ : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (الأنعام: ١٤٥).

ظهر مرض جنون البقر عندما غير الإنسان من غذاء الأبقار والأغنام والماشية من الأعلاف النباتية إلىٰ الأعلاف الحيوانية، وعندما قدم لها غذاء يشتمل علىٰ مخلفات حيوانية جافة مصنعة من جثث الأبقار والأغنام النافقة المصابة بأمراض مثل: جنون البقر والحكة بالنسبة للأغنام، أو حتىٰ جثث الحيوانات غير المصابة بهذه الأمراض، وتدخل جثث هذه الحيوانات في سلسلة من المعالجات مثل التعقيم بالبخار وفصل العظم لاستخدامه في صناعات مستحضرات التجميل، وتجفيف اللحم وطحنه، ويخلط مسحوق اللحم بمسحوق العظام، ومسحوق الدم المجفف الذي يتم جمعه من المجازر ويضاف الخليط إلىٰ علف الحيوان كعليقة تمتاز بكونها عليقة غنية بالبروتين رخيصة الثمن.

ولم يخطر ببال الإنسان أنه غيَّر من نظام تغذية هذه الماشية من تغذية نباتية عشبية إلىٰ تغذية حيوانية .

وهذا التغير هو خروج عن الفطرة، فالمولىٰ ـ عز وجل ـ قد حرص علىٰ الإنسان فحرَّم عليه أكل الميتة والدم ولحم الخنزير (والذي إذا أصيب بهذه الأمراض تكون إصابته بالغة كماً وكيفاً، بالإضافة إلىٰ أن جسم الخنزير مشحون بالطفيليات ودهونه تسبب أمراض القلب).

قال تعالىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (المائدة: ٣).

---

(١) مجلة الأزهر، شهر صفر ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م .

ويرجع سبب تحريم أكل الحيوانات النافقة إلىٰ تحللها بواسطة المحللات والرميات والكائنات الحية الدقيقة، وأيضاً إلىٰ احتواء لحوم الميتة علىٰ الدم الذي يتعرض لتفاعلات كيميائية وتغيرات فسيولوجية وبيوجزيئية غريبة تنتج أنواعاً من الأحماض الأمينية والبروتينات غير العشرين حمضاً أمينياً المعروفة في الطبيعة.

وعندما تتغذىٰ الأبقار والأغنام والماشية بالأعلاف الحيوانية لا يتم هضم البروتين كأي بروتين غذائي آخر، وعلىٰ هذا الأساس لا يتغير تركيب البريون ولا يستطيع الجهاز المناعي في الجسم مقاومته، ويخترق الأمعاء الدقيقة ويتم امتصاصه ويصل إلىٰ المخ والنخاع الشوكي عبر الأوعية الدموية ويحدث مرض التحول المخي الإسفنجي المعدي ويسمىٰ بمرض جنون البقر (أو مرض جاكوب).

والذي من أعراضه فقدان المخ لوظائفه الحيوية بالتدريج فيخرج الحيوان عن طبيعته ويصاب بتشنجات في الجسم ويجلس جلسة الحصان ويسير بنفس طريقته ويقل إدرار اللبن ويفقد الحيوان وزنه، ويحرك رأسه حركة بندوليه، ويلعب أنفه ويصبح سريع الهياج والقلق والتعصب في السير، ثم يصاب بالشلل في النصف الخلفي، ثم الشلل التام، ثم الموت[١] .

خطورة ذلك على الإنسان والصحة العامة:

يعتبر مرض جنون البقر من الأمراض المشتركة بين الحيوان والإنسان، لذلك تفاقمت أزمة جنون البقر عام ٢٠٠١م عندما صدرت بريطانيا منتجات ومعدات طبية وطعوم لشلل الأطفال ملوثة بمرض جنون البقر إلىٰ ١١ دولة في أنحاء العالم ومنها دول بالشرق الأوسط.

وأعلنت إيرلندا أن طعوم شلل الأطفال المصدرة إليها من بريطانيا[٢] تحتوي علىٰ زلال مستخلص من دم متبرع بريطاني مصاب بمرض جنون البقر.

فقد حصل الأطفال علىٰ معظم الجرعات المعطاة من الطعم وعددها

(١ ، ٢) مجلة الأزهر، شهر صفر ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٠٠ , ٨٣ جرعة، وقد كشفت الشركة المصنعة لهذه الطعوم عن هذه المعلومات الخطيرة.

وقد تم تصدير منتجات بلازما دم المصابين بمرض جنون البقر والذي استخدمت في تصنيع عقار الجلوبيولين المناعي الذي يستخدم كبديل للمضادات الحيوية.

ولذا وجب علينا - نحن المسلمين - أن نبتعد عما نهى الله عنه، فلا نأكل اللحوم الميتة والدم، ولا نستعملها كعلف للحيوان، ولا نأكل لحم الخنزير.

المبحث الرابع

السعادة بين الوهم والحقيقة

يقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود: ١٠٨).

تعريف السعادة عند أهل اللغة: هي ضد الشقاوة. . فلان سعيد أي ضد الشقي.

وعند أهل التربية وعلماء النفس: هي ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والبهجة، وهذا الشعور السعيد يأتي نتيجة الإحساس الدائم:

١ ـ خيرية الذات .

٢ ـ خيرية الحياة (وهذا المهم) .

٣ ـ خيرية المصير.

سبب ذكر هذا الموضوع في فصل المدنية والحضارة. . لأنه يقال: إن الحضارة والمدنية لابد وأن تصل إلى رفاهية وسعادة الإنسان. . وكل حضارة تقوم، أو حكومة تُنتَخب ، أو مُرشح للرئاسة أو المجالس النيابية، يبني حملته الانتخابية على توفير السعادة والطمأنينة والرفاهية لشعبه. .

وإن الحضارة الحالية والمدنية إن استطاعت توفير السعادة لشعوبها، فلن تدوم إلا لحظات، ثم يحس الإنسان بخواء روحي وقلبي وعقلي، ولن توجد السعادة الحقيقية إلا في منهج رباني متكامل لم يصبه التحريف، ولن تجد ذلك إلا في الدين الإسلامي الحنيف.

أشياء يتوهمها الناس عن السعادة (١) **:**

١ ـ يتوهم البعض أن السعادة في المال : يقول الشاعر :

ولستُ أرىٰ السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

(١) السعادة، د. ناصر سليمان العمر.

فصاحب المال قلق حيران ـ حزين ـ مهموم بشيء من اثنين ـ ولابد أن يحدث له واحد منهما :

أ ـ إما أن يزول المال عنه (سرقة ـ حريق ـ مصادرة ـ إنفاق جنوني).

ب ـ أو يزول هو عن المال بالموت وغير ذلك . . (١) .

وإليك بعض النماذج :

أ ـ **قصة قارون** التي وردت في القرآن، قال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)** ﴾ (القصص)، ويوم القيامة يقول أمية بن خلف وأمثاله: ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)** ﴾ (الحاقة).

ب ـ **قصة كرستينا أوناسيس**: فصول هذه القصة خمس عشرة سنة أو تزيد، فهذه الفتاة كانت وحيدة بعد موت أخيها، وورثت من أبيها المليونير الشهير الذي كان يملك الجزر والأساطيل، ورثت عشرة آلاف مليون جنيه.

هذه الفتاة تزوجت في حياة أبيها برجل أمريكي وعاش معها شهوراً ثم طلقها.

ثم تزوجت برجل يوناني وعاش معها شهوراً ثم طلقها أو طلقته.

ثم تزوجت شيوعياً روسياً، وعندما سألها الصحفيون عن سبب هذا الزواج؟ قالت: أبحث عن السعادة، ثم ذهبت معه إلىٰ روسيا، وكان النظام الشيوعي لايسمح بسكن أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة فظلت تخدم نفسها في غرفتيها وعاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته.

وبعد ذلك أقامت حفلة في فرنسا فسألها الصحفيون: هل أنت أغنىٰ امرأة؟

قالت: نعم أنا أغنىٰ امرأة، ولكني أشقىٰ امرأة.

---

(١) الشيخ: محمد متولي الشعراوي.

وكان آخر المطاف أن تزوجت بغني فرنسي (أحد رجال الصناعة) وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتاً ثم طلقها بل طلقته.

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهمّ، ثم وجدوها ميتة في شاليه في الأرجنتين لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية أم قتلت..

حتىٰ إن الطبيب الأرجنتيني أمر بتشريح جثتها ثم دفنت في جزيرة أبيها..

ونسأل: هل أغنىٰ عنها مالها؟

٢ ـ ويتوهم البعض أن السعادة في الشهرة : الرياضة ـ الفن ـ الشهادات العلمية :

كثيرة هي الأمور والأعمال التي يظن الناس أن فيها السعادة.. وربما تكون فيها السعادة كما يظنون، لكنها سعادة ظاهرية مؤقتة.. لا تدوم طويلاً.. عندما يختلي صاحبها بنفسه يحس بالتعاسة.. والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جداً..

فمثلاً دولة السويد هي أغنىٰ دولة في العالم من حيث دخل الفرد، ولكنها أعلىٰ دولة في العالم في نسب الانتحار.. هل حقق الدخل لها سعادة؟

بينما الدول الإسلامية تسجل أقل نسبة في الانتحار في العالم، مع أن معظم أهلها فقراء، أو حتىٰ تحت خط الفقر.

إن السعادة الحقيقية في أن تربط قلبك بخالقك.. وتنفذ أوامره..

ما هي موانع السعادة ؟

١ ـ الكفر :

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ...** ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

يصور القرآن هنا مصدر السعادة.. ومصدر التعاسة والشقاء.

٢ ـ اقتراف المعاصي والآثام والجرائم :

والقصص علىٰ ذلك كثير.. انظر إلىٰ قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، و أصحاب الجنة في سورة القلم...

٣- الحسد والغيرة..

فإنهما يقتلان كل سعادة.. فلا يحس المرء الحاسد بأي نعمة في يديه، وفي الحديث عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسُول الله ﷺ: «لا تحاسدُوا، ولا تناجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تدَابَرُوا، ولا يَبِع بَعضُكم علي بَيع بَعض، وكُونُوا عبادَ الله إخواناً. المُسلمُ أخُو المُسلم: لا يَظلمُهُ، ولا يَخذُلُهُ، ولا يَكذِبُهُ، ولا يَحقرُهُ، التقوى هَهُنا ــ ويُشيرُ إلى صَدره ثلاث مرات ــ بحَسْب امريءٍ منَ الشر أن يَحقرَ أخاهُ المُسلمَ، كُل المُسلم علي المُسلم حَرَامٌ: دَمُهُ ومالُهُ وعِرضُهُ»[1].

ويقول الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمده ... يكفيك منه لهيب النار في كبده

ويقول الشاعر أيضاً:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

٤- الحقد والغل:

قال تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٤٣).

٥- الغضب:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (الشورى: ٣٧). ويقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد منكم بالصرعة، إنما الذي يملك نفسه عند الغضب»[2].

---

(١) رواه البخاري، بيوع ٥٨، ٦٤، ٧٠، شروط ٨، ومسلم، نكاح ٥٢، بيوع ١١، بر ٣٠، ٣٢.

(٢) رواه البخاري، أدب ١٠٢، ومسلم، بر ١٠٦، ١٠٨.

٦ ـ الظلم :

فلا يعيش ظالم مستريحاً أبداً، بل يظل الخوف وشبح الظلم يطاردانه حتى في ساعات نومه . . والأمثلة على ذلك كثيرة .

٧ ـ الخوف من غير الله عزوجل :

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

٨ ـ التشاؤم:

إنه من أسباب التعاسة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاعَدْوَى ولا طِيَرَةَ ويُعْجِبُنِي الفَأْلُ؛ قيل: ومَا الفَأْلُ؟ قال: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[1].

٩ ـ سوء الظن:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ (الحجرات: ١٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[2].

١٠ ـ الكبر: المتكبر في شقاء دائم وتعاسة أبدية . .

١١ ـ تعلق القلب بغير الله تعالى ..

١٢ ـ المخدرات ...

أسباب السعادة وصفات السعداء [3] :

حينما امتن الله على المؤمنين . . امتن عليهم بإصلاح البال، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ (محمد: ٢). ولذلك من أسباب السعادة :

---

(١) رواه البخاري، أدب ١٠٢ ، ومسلم، بر ١٠٦ ، ١٠٨ .

(٢) رواه البخاري، وصايا ٨ ، نكاح ٤٥ ، فرائض ٢، أدب ٥٧، ٥٨ ، ومسلم، بر ٢٨ .

(٣) راجع الباب الأول من هذا الكتاب: كيف تتغلب على الأحزان؟ .

١ - **الإيمان بالله والعمل الصالح..** قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** وهو في سجن القلعة: «ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري لاتفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي من بلدي سياحة».

٢ - **الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره**: ما من إنسان إلا ويبتليه الله، فإن ابتلاك فليكن دعاؤك: «يارب إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أعطيت وأبقيت».

٣ - **العلم الشرعي..** فالعلماء العارفون بالله هم السعداء.

٤ - **الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن.**

٥ - **الإحسان إلى الناس.**

٦ - **انشراح الصدر وسلامته من الأدغال.**

٧ - **النظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا وإلى من هو فوقك في أمور الآخرة.**

٨ - **قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا والاستعداد ليوم الرحيل.**

٩ - **اليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة لا في الدنيا..**

خرج ابن حجر العسقلاني رئيس القضاة بمصر بأبهته ذات يوم، فرآه يهودي حاله رثة فقال اليهودي: كيف تفسر قول رسولكم «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»، وأنت كما ترىٰ وأنا هكذا؟ فقال ابن حجر: «أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة في الدنيا لما ينتظرك من عذاب أليم في الآخرة بعد الموت، وأنا إن أدخلني الله الجنة فهذا النعيم في الدنيا يُعد سجن بالمقارنة لما أعده الله للمؤمنين في الآخرة»، فأسلم اليهودي وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

١٠ - **مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة.**

١١ - أن تعلم أن إيذاء الناس لك خير لك، ووبال عليهم. . مع الأخذ على يد الظالم، لقول رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»(١) .

١٢ - الكلمة الطيبة ودفع السيئة بالحسنة.

١٣ - اللجوء إلى الله عز وجل وكثرة الدعاء.

الوصية العملية : التعاون وأثره على المجتمع :

١ ـ التطبيق العملي لما ذكر في هذه الموسوعة . . .

٢ ـ تنفيذ أعمال تجلب السعادة لك ولمن حولك من المجتمع :

فتنفذ أوامر الشرع في معاملة الأب والأم والزوجة والأولاد والضيف . . .

فمثلاً مع الجار : عن معاذ بن جبل قال :

«قلنا يا رسول الله ، ما حق الجار؟» .

قال ﷺ: «**إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن احتاج أعطيته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعتَ جنازته، وإن أصابه خير سرك وهنأته، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته، ولا تؤذه بقتار قدْرك إلا أن تغرف له منها، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عنه الريح إلاَ بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، وإلا فأدخلها سراً، ولا يخرج ولدك بشيء منه يغيظون به ولده**»(٢) .

ويقول الحسن البصري : «ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن الجار ، ولكن حسن الجوار أن تتحمل أذىٰ الجار» .

ومثلاً مع رفاق الطريق : قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه**»(٣) .

---

(١) رواه البخاري، مظالم ٤ ، إكراه ٧ ، ومسلم، بر ٦٢ .

(١) كنز العمال، جـ٩ ، حديث حسن . . انظر الحقوق الإسلامية، طه العفيفي ص ٥٠٠ .

(٢) رواه البخاري، استئذان ٤٧ ، ومسلم، سلام ٣٧ ، ٣٨ .

إن التعاون والمعاملة الطيبة والالتزام بآداب وأخلاق الإسلام تبعث السعادة والبهجة والسرور في نفس كل فرد في المجتمع، مما ينعكس أثره الإيجابي على العمل والتطور والحضارة.

الفصل الرابع

الأُمَّة

١ـ وعي الأمة.

٢ـ من أخلاقها : الشكر لله تعالى .

٣ـ من منهجها : فن إدارة الأزمات .

٤ـ من واجباتها : القدوة وأستاذية العالم .

الفصل الرابع

الأمَّــة

عندما ينام سائق التاكسي تحدث كارثة لأربعة أفراد، وعندما ينام سائق الأتوبيس تحدث كارثة لخمسين فرداً.. وهكذا.. وعندما تنام الأمة القائدة الرائدة تحدث الكارثة للبشرية كلها، ويحل الدمار والخراب على العالم.

كما أن للفرد أخلاقاً يسعد إذا التزم بها، وكما أن للمجتمع أخلاقاً يسعد إذا التزم بها، فكذلك الأمة إذا التزمت بهذه الأخلاق . . تسعد وتعز إن شاء الله .

١ ـ وعـي الأمَّــة

المحور الأول : واقع الأمــة :

تشهد الأمة في الآونة الحاضرة عودة القلوب إلى الله، ولعلها جربت السُبل فتفرقت بها ولم تجد من ورائها إلا ضياع الوجدان، وهزيمة حزيران، وخراب الأوطان .

والذين رفعوا شعارات المذهبية أو العرقية أو الحزبية لم يستطيعوا أن يقوموا بما قامت به عقيدة التوحيد من جمع هذه الأمة على أمر واحد، وتعريبها على لسان واحد، وتوجيهها إلى هدف واحد، حتى اهتدت بعد طول التجربة وفداحة الثمن ألا ملجأ من الله إلا إليه : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠) .

ولقد كانت ـ ولا تزال ـ للناس تجاه الدين مواقف ووجهات نظر ، فمنهم :

١ ـ **السلبيون** : الذين لا يشغلهم إلا دنياهم وما يحصلون منها، فهم متفاوتون غناً وفقراً وقوة وضعفاً ولكنهم مشتركون في أنهم يعيشون في حدود أنفسهم وما تُريد .

٢ ـ **التقليديون المجتزئون** : فهم أناس طيبون صالحون ولكن آفاقهم الإسلامية وقفت بهم عند أداء العبادات والشعائر فإن زادوا فالتطوع والنوافل، وغير وارد عندهم أن يكون من تكاليف الإسلام التصدي للحياة بالإصلاح .

ورب معتزلٍ للناس معتكف يظن أن اعتزال الناس إسلام
هم في بحار من الأوراد قد غرقوا وبالمسابح والتسبيح قد هاموا
والله ما عرفوا الإسلام أو غرقوا أمر الإله ولو صلوا ولو صاموا
الدين يا قوم فرض ثم نافلة الدين يا قوم ميدان وحسام
والدين حرب على الأشرار يشهرها والمسلم الحق سباق ومقدام

٣- **الرافضون** : وهم ثمرة الثقافة الغربية التي اعتمدت الفصل بين الدين والدولة، وهم لا يدرون أن المتحدث باسم الدين الكهنة والسدنة (وليس الدين نفسه) ولذلك وقفوا في وجه العلم، فلم انتصر العلم أخرجوا الدين من حلبة الحياة، ونسي هؤلاء أن الإسلام دين العلم، وأن أول كلمة فيه ﴿اقرأ﴾، وأن آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تُحفِّز على طلب العلم، ونسوا أيضًا أن الإنسان لايتكلم نيابة عن الله في التحليل والتحريم، ولكن يتكلم بما أوحى الله به إلى نبيه، ونسوا كذلك أن الإسلام لا يصلح للحبس داخل أماكن العبادة، فهو دين شامل يحتوي مظاهر الحياة جميعاً، وكما يقول الإمام حسن البنا ـ رحمه الله :

٤- **العِرقيون** : وهم الذين يضعون خيار العِرق بدل الدين، وحجتهم أن الأمة جميعاً ليست على دين واحد، ونسي هؤلاء أن الأمة جميعاً ليست على عرق واحد كذلك وبينما استطاع الإسلام أن يحل مشكلة الأقلية لم تستطع ذلك العرقية وإنه بينما يرض عرق أن يذوب في عقيدة يأبى عرق أن يذوب في عرق آخر، بل إننا نحن العرب كثير منا لم يُعربهم إلا الإسلام.

لقد جاء الإسلام فجعل أبو بكر وعلي وصهيب وبلال وسلمان إخوة، وإذا كفار قريش أعداء ولو كانوا من قريش.

الواقع في عيون الشعر :

يقول د.**حسان حتحوت**: « نظمتُ هذه القصيدة في الستينات في غرفة العمليات في فسحة بين جراحتين على وصفة دواء »[1] :

---

(١) هذه القصيدة تصور حال الأمة وكيفية العلاج.

في عشة الدجاج :

في عُشة شرقية عالية السياج | وخلف باب مغلق ومحكم الرتاج
كانت تعيش في نعيم أمة الرجاج | في فيض رزق غدق وظل امن ساج
سمينة معجبة بشحمها الدجاج | لاهية إلا عن الطعام والزواج
والبيض والفقس والانبساط والمزاج | شعب يقضي العمر في أنس وفي ابتهاج
خلف زعامات له منفوخة الأوداج | من دل ديك عُرفه يُزري بألف تاج
يصيح بينهم بمثل خطبة الحجاج | وينطق الزور بلا خوف ولا إحراج
فتثبت الأمة بالتصفيق والهياج | وتزدهي الديوك في عالية الأبراج
كأنها من زهوها الكباش في النعاج | وداهمتها عرسة في ذات ليل داج
جلابة للموت كالفانتوم والميراج | مطفئة منهن نار جوعها المهتاج
ما خطفت واحدة فالقوم في انزعاج | راثين صداحين بالأشعار والأهزاج
باكين حياحين بالشكوىٰ والاحتجاج | وركزوا اهتمامهم بالقفل والمزلاج
وعادت العرسة من صدع لدىٰ المزلاج | وقام منها واحد في مثل لون العاج
يقول إن داءنا ليس بلا علاج | إن الصراخ والبكاء جهد بلا إنتاج
لديّ رأي أنا فيه للخلاص راج | فإن أطعتموه فالازمة لانفراج
إن عادت العرسة تبقىٰ باقي الخراج | ثرنا جميعاً ثورة كهادر الأمواج
نوسعها نقراً كثج المطر الثجاج | ونقذف العينين بالتراب والعجاج
فألف منقار علىٰ رأس ولو من صاج | كفيلة ترديه بالنزف والارتجاج
صاحت به ديوكها من ثائر الفجاج | ما هذه الطلاسم السوداء والأحاج
أنت السفيه الخائن المولع باللجاج | لنا إلىٰ رأيك يا دخيل باحتياج
لو كنت منا ما جهلت شيمة الدجاج | ليس الشجاع عادة من قومة بناج
وقد يكون الصدق سلعة بلا رواج | جزاؤه وقع العصا ولسعة الكرباج
والعمر في غياهب السجن بلا إخراج | والموت للمخلص والإطفاء للسراج

تكررت بين الدجاج قصة الحلاج . .

يا أمتي وجب الكفاح (١) . .

للدكتور يوسف القرضاوي :

يا أمـــتي وجب الكفـــاح	فـدعِ التـشـدق والصـيـاح
ودعِ التـقــاعس؛ ليس ينـ	ـصر من تقـاعس واسـتـراح
مـــا عـــاد يجـدينا البكاء	علىٰ الطـلـول ولا النـواح
إنـا نـتــــــوق لألـسـن	بكم علىٰ أيد فـــصـــاح
يا قـــوم. . . إن الأمـــر جـد	قـــد مـــضىٰ زمن المزاح
سـمـوا الحـقـائق باسـمـهـا	فـالقـوم أمـرهم صـراح
سـقط القناع عن الوجـوه	وفـــعـلهم بالســـر باح
عـــاد الصليـبـيـون ثانيـة	وجــــــالوا في البطـاح
عـــاثوا فـســاداً في الديار	كـــأنهـــا كـــلأ مـــبـــاح
عـادوا ومـا في الشـرق (نور	الدين) يحكم أو (صــلاح)!
كنا نســينا مـــا مــضىٰ	لكنـهـم نكأوا الجـــراح!
أرأيت لبنـانـاً ومــــا	يجــري به في كل ســاح؟
أرأيت (شـاتيـلا) وصـبـرا	و « البـراجن » والضـواح؟
يـا ألف مـليــــون وأيـن	هـمـــو إذا دعت الجـــراح؟
هـاتوا من المليــار مليــوناً	صـحـــاحـــاً من صـحــاح
مـن كـل ألف واحـــــداً	أغـــزو بهم في كل ســاح
من كل صـافي الروح يوشك	أن يـطيـــــر بـلا جنـاح
ممن يـخف إلىٰ صــــلاة	الليل بـادئ الارتيـــاح

(١) انطلق الدكتور القرضاوي ـ حفظه الله ـ من آلام عموده الفقري إلىٰ آلام أمته، فكتب المشاعر الفياضة في هذه القصيدة كتاب نفحات ولفحات، طبعة دار التوزيع والنشر، ٢٠٠١م.

ممـن يـعـف عـن الحــرام ... وليس يسـرف في المبــاح
ممن زكـا بالصــالحــات ... وذكــره كــالمسك فــاح
ممن يهـيم بجنة الفـردوس ... لا الغـــيـــد الملاح
بَكَّاءُ مــحــراب، ولكن ... في الوغىٰ كــبش النطاح
مُــرٌّ علىٰ أعـــدائه ... ولقـــومــه مــاء قــراح
في الروع يبـــذل روحـــه ... ويقــول عند الغنم: صــاح
إن ضـــاقت الدنيــا به ... وسـعـتـه (سـورة الانشـراح)
لابد من صنع الرجـــال ... ومـــثله صنع الســلاح
وصناعـــة الأبطال علم ... قـــد دراه أولو الصـــلاح
مـن لـم يـلـقـن أصلـه ... من أهله فـقـد النجــاح
لا يُـصـنـع الأبـطـال إلا ... في مـســاجـدنا الفـســاح
في روضـــة القـــرآن في ... ظل الأحــاديث الصـحــاح

لا يســتــوىٰ في منطق ... الإيـمـان سكران وصــاح
من همـه التـقـوىٰ وآخـر ... همـــه كــأس وراح
شـعب بغـيـر عـقـيـدة ... ورق تــذريــه الــريــاح
من خـان (حي علىٰ الصلاة) ... يخـون (حي علىٰ الكفـاح)
يا أمــتي، صـبـراً، فليلك ... كــاد يسـفـر عن صـبـاح
لا بــد لــلــكــابــوس أن ... يــنـزاح عــنــا أو يُـزاح
والليل إن تشـتـد ظلمـتـه ... نقـــول: الفـــجـــر لاح
والفـجـر إن يبـزغ فـلا ... نـوم وحي علىٰ الفـــلاح

المحور الثاني : الواجبات العملية :

التأصيل الشرعي للمقاطعة

من أقوىٰ الأسلحة في المعارك التي يخوضها المسلمون مع أعداء الإسلام . . ذلك السلاح سلاح المقاطعة والمنع وهو من أمضىٰ أسلحة المسلمين اليوم، بما له من آثار اقتصادية مدمرة علىٰ عدوهم، وبخاصة أن الشارع المسلم يملك ذلك .

وهذه الرسالة توضح أمرين :

١ ـ خطأ من يقول بأن هذه المقاطعة محرمة ولا تجوز ويبكي بكاء التماسيح (كيف تمنع عنهم البترول) .

٢ ـ إن الذي يخرج عن إجماع المقاطعة ولا يقاطع أعداء الإسلام هو آثم أمام الله عز وجل ولا عذر له فيما يفعل . . إلا إذا تاب ورجع عما هو فيه .

وإليك هذا التأصيل الشرعي والواقع العملي:

أولاً: في غزوة بدر الكبرى :

نزل النبي ﷺ عشاءاً أدنىٰ ماء من مياه بدر وهنا قام الحُباب بن المنذر كخبير عسكري، وقال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتىٰ تأتي أدنىٰ ماء من القوم (قريش) فننزله ونغور (أي نخرب) ما وراءه من القلب (أي الآبار) ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ لقد أشرت بالرأي .

فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتىٰ أتىٰ أقرب ماء من العدو فنزل عليه شطر الليل ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من القُلُب(١) .

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٩٦، القُلُب : الآبار .

هذا ما حدث ولم نجد من المسلمين . . من يمط شفتيه ويقول حرام، حرام أن يموت الناس من العطش ولا من يمص شفتيه ويقول أين الرحمة .

كما يقول بعض المسلمين الآن . . . ونقول لهم : أين الرحمة بالمسلمين؟

فأنت إذا ما وضعت أصبعك على أي مكان على الخريطة ستجد في هذا المكان مسلمين يقتلون سواء أطفالٌ نساءٌ شيوخ . . . .

هذا قطع للمياه عن العدو المغير على المدينة حتى لا يشرب، والماء شريان الحياة وبدونه تنعدم الحياة ووافق على ذلك النبي ﷺ والشرع الحكيم لم يعتبر ذلك فعلاً خاطئاً وبخاصة ضد عدو متربص بالمسلمين، فلم يتنزل تشريع يرفض ما حدث أو يُعدله كما حدث في الأسرى .

بهذا التأصيل الشرعي لا يحق لأحد ان يقول : لا يجوز ان نقاطع منتجات اعدائنا .

وبمنطق هؤلاء يجوز لأعدائنا أن يستخدموا معنا سلاح المقاطعة أما نحن فلا يجوز أن نستخدمه هذه مكاييل ليست مُطففة بل مكاييل حُذفت منها كفتنا فأصبح مكيالاً بكفة واحدة، كفة ضدنا على طول الخط . . **الم تُستخدم المقاطعة ضدنا!!**

ثانياً: في شعب أبي طالب:

قبل غزوة بدر في بداية الدعوة (المقاطعة العامة)[١] : زادت حيرة المشركين ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبي الله والقيام دونه كائناً ما كان فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل[٢] . وعلى هذا فسلاح المقاطعة يستخدم وهو من حق مستخدمه، وأنت ترى الآن الإرهاب الأمريكي ضد الدول الإسلامية والعربية . . . فالدول التي لا تدور في فلكه تُحاصر اقتصادياً ويُمنع عنها الدواء والطعام وكل شيء وما تباكى أحد من المسلمين ولا جامعتهم العربية .

(١ ، ٢) الرحيق المختوم، ص ١١٢ ، طبعة دار الوفاء .

قالوا عن المقاطعة:

١ - **الأستاذ العقاد:** المقاطعة من أمضى الأسلحة من أقدم العصور لقد عرف العرب الجاهليون خطرها وأثرها فاستعملوها ظالمين في مقاطعة بني هاشم والمسلمين حتى يرغموهم على ترك دينهم وقد قال العقاد منذ أكثر من أربعين عاماً في إحدى ندواته لرواده .

إن العرب لن يستطيعوا أن يهزموا إسرائيل عسكرياً لكن هزيمتهم الاقتصادية فممكنة ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق المقاطعة وقد كانت معظم دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية وأسيا وبعض دول أوروبا تقاطع إسرائيل حين كان العرب يقاطعونها . . فلما تخلى العرب عن هذه المقاطعة تخلى عنها الجميع فقد أصبح لإسرائيل سفارات في كثير من الدول العربية وفي بعضها الآخر مكاتب تجارية أهم من السفارات .

وفي الوقت الراهن دعا مؤتمر القمة إلى اجتماع طارئ من أجل المقاطعة فاعتذر كثير من دول البترول اعتذارات واهية ، فلو علمت أمريكا أن مصالحها عند العرب (خاصة دول البترول) مهددة لغيرت موقفها .

الملك فيصل ـ رحمة الله:

ورحم الله الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود الذي قال : «إن بترول العرب ليس أغلى من الدم العربي الذي يُراق كل يوم هنا وهناك» . . وأدخل سلاح البترول في معركة العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر فكان له أثره الفعال في وقف أمريكا عند حدها ومعها أوروبا المنافقة(١) .

وأقول : إن طلب المقاطعة لمنتجات أعدائنا من ولاة الأمور أمر بعيد المنال ولكن نطلب طلباً متواضعاً جداً . . هو ألا تساعدوا أعداء المسلمين على قتل المسلين . . فلولا الطعام الذي كان يمر من قناة السويس ما دمر الأمريكان بغداد . . وما هي بغداد ! !

---

(١) مجلة الأزهر جمادى الآخرة عام ١٤٢٢هـ.

ـ ولولا زجاجات المياه التي خرجت من مطارات مصر وعبر طائرتها ما دمر الأمريكان بغداد!!

ـ ولولا القواعد العسكرية في الدول الإسلامية المحيطة ما دمر الأمريكان بغداد!!

ـ ولولا أرض الكويت وشوارعها ومستشفياتها ما اغتصب الأمريكان نساء بغداد!

المقاطعة الآن تستخدم ضد فلسطين... فماذا انتم قائلون؟!

ـ الشعب الفلسطيني اختار في الأعوام الماضية إحدىٰ المنظمات في انتخابات تشريعيه وسارت الأمور.

ـ وفي العام الماضي اختار الشعب نفسه منظمة من المنظمات.. وقامت الدنيا ولم تقعد حتىٰ الآن ولن تقعد.. وتم استخدام المقاطعة ضد حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين واتخذ الصور الآتية:

١ ـ مصادرة الأموال والتبرعات التي من حق الوزارة الجديدة.. لماذا لأنها تنادي بتحرير كل فلسطين(١).

٢ ـ فرض الحصار الاقتصادي عليها، وفرض عقوبات علىٰ الدول التي تفكر في مساعدتها طواعية مختاره وهناك دول منعت المساعدات لها هي في ذلك حرة مختارة ولكن الغريب في الأمر أن تطلب منها أمريكا منع المساعدات عن فلسطين.

وا قدساه.. سيبقىٰ الأقصىٰ.. ما بقيت الله أكبر.

هل للمقاطعة نتائج إيجابية؟

الذي يملك يستطيع أن يُؤثر.. وأمة الإسلام تملك الكثير(٢)، ولا يعتقد أحد أن أمة الإسلام أمة عاجزة.. وليس من المقبول شرعاً أو عقلاً أن تقف دولة فقيرة معدومة مثل كوريا الشمالية هذه الوقفة أمام أمريكا ولا تستطيع أمة الإسلام أن تقف هذه الوقفة في وجه أعدائها ومن يحاربون دينها.

---

(١) سيأتي تفصيل لذلك في الملحق الخاص بفلسطين في نهاية الموسوعة.

(٢) لسنا في زمان أبرهة، د. راغب السرجاني، ص ٣٦.

والسؤال : ما إمكانات كوريا الشمالية مقارنة بأمة الإسلام؟

إنهم ٣٠ مليون مواطن شيوعي ملحد، ومساحة كوريا الشمالية ١٢٩ ألف كيلو متر مربع فقط!! وهناك ٦,٤ مليون مواطن كوري مهددين بالموت جوعاً، ويعاني الشعب الكوري الشمالي من فقر مدقع، فهم يعيشون على الطحالب والأعشاب.

أما إذا تحدثت عن أمة الإسلام فأنت تتحدث عن إمكانات هائلة:

فأمة الإسلام مليار وثلث مليار مسلم، وتمتلك إمكانات اقتصادية وبشرية وعقلية وجغرافية واستراتيجية، وفوق ذلك إمكانات عقائدية ليست لغيرها من الأمم: «**الله مولانا ولا مولى لهم**».

كيف يستطيع أهل كوريا أن يصنعوا سلاحاً ولا نستطيع نحن؟

كيف لا يقبل أهل كوريا خفض رؤوسهم وتقبل أمة المليار أن تخفض رأسها؟

المسألة مسألة إرادة وعزيمة وهدف واضح تريد أن تصل إليه..

ونسأل أيضاً: المقاطعة لمن ؟

ونقول: المقاطعة لكل ما هو يهودي أو أمريكي أو يحارب الإسلام(١).

فقد أصبح واضحاً جداً أن الشراء منهم إثم وذنب وخطيئة، فلم يعد من المقبول أبداً تحت أي مبرر أن نتعامل بالبيع والشراء مع الذين يسفكون دماء إخواننا وأمهاتنا وأطفالنا وشيوخنا.

إن الفتور في المقاطعة يعني غياب الفهم وانعدام الرؤية.

والمقاطعة للأعداء ليست بدعة في وسائل المقاومة.. وإليك الحقائق الآتية:

في عام ٢٠٠٣م بحثت الحكومة الأمريكية مقاطعة الصادرات الألمانية لأمريكا والتي تتجاوز سنوياً ٦٠ بليون دولار سنوياً، وبحثت أيضاً مقاطعة الطيران الفرنسي والجبن الفرنسي، وذلك لأن ألمانيا وفرنسا تعارضان (مجرد معارضة) السياسة الأمريكية تجاه العراق.

---

(١) راجع المدنية والحضارة من هذه الموسوعة.

كذلك طلب عضو في الكونجرس تغيير اسم الـ French Fries (البطاطس الفرنسية) إلى اسم الـ Free Fries (البطاطس الحرة) مع أن هذا مجرد اسم والبطاطس لا تصنع في فرنسا ولكن العضو يرفض كل ما يحمل اسم فرنسا حتى البطاطس(١) .

المحور الثالث : الأمل في نصر الله عقيدة :

أولاً : من القرآن الكريم :

يقول رب العالمين: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١).

ويقول تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤).

قال العلماء: إن المكر هو التدبير في الخفاء. . . أحياناً ينسى أكثر الناس هاتين الآيتين، ويظنون حين تخضع لهم الأرض ويمسكون في أيديهم بسلطان القوة أنهم غير مسئولين ولا محاسبين، وكيف يسألهم أحد أو يحاسبهم أحد وفي أيديهم قدر من القوة يستطيع أن يخرس أي لسان بشري، وينسف معه كل منطق إنساني.

وكثيراً ما يحدث في الدنيا أن تقف البراءة في قفص الاتهام، ويجلس الشر في مقاعد الحكم ويمشي الباطل منتفخاً وقد أحاطته الأبهة بينما يسير الحق متعسراً في عباءة الأحزان والآلام، وأحياناً يأتي النبي لإنقاذ الناس فيقاتله الناس. . . وينظر المرء إلى الدنيا ويقول في نفسه: ما هذا الظلم كيف ينهزم الحق أمام الباطل، وتتراجع البراءة أمام الجريمة، ويكسب الأشرار معاركهم مع الطيبين لم يعد في الأرض عدل. . . لقد سقط معنى الحياة وصارت مسرحاً للعبث.

لا تتسرع يا سيدي ولا يخرجك الغضب عن حكمتك...

إن الله يدفع الناس إلى أعماق التجارب ومشارف اليأس..

ليرى كيف يعملون.. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠).

---

(١) الأهرام الخميس ٢/ ١١/ ١٩٩٥م أ. أحمد بهجت، صندوق الدنيا.

تأمل هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٢١) .

لقد وردت في سورة يوسف تأمل ما حدث ليوسف لقد كانت تهمته عند إخوته أن والده يؤثره عليهم لحسن أخلاقه وكان ذنبه في مصر أنه رفض أن يخون ربه ، وقاوم الغواية :

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يوسف : ٢٣) .

كان الجمال والشرف والبراءة هي التهم التي حوكم عليها في مصر محاكمة هزلية وسيق إلى السجن ، أتظن أن الله قد نسيه سبحان الله وتعالى عن ذلك لقد خرج من السجن إلى الوزارة رأساً وصار هو الرجل الأول في مصر . . صار عزيز مصر ، أما إخوته الذين تآمروا عليه فقد ضربهم الله بالفقر وأذلهم بالسؤال وتحولوا في نهاية الأمر إلى متسولين يقولون ليوسف :

﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف : ٨٨) .

ثم تأمل **قصة قارون** . . . لقد سقط في فخ ثروته واستكبر فدبر الله له زلزالاً مخيفاً خسف به الأرض وهو يسير في زينته مزهوا غافلاً عما ينتظره .

إن الله هو الذي يغلب في النهاية ، والمؤمنون هم الذين يكسبون في النهاية ، والشر ينهزم ، والناس يدبرون ، والله يدبر ، فأي تدبير ينتصر والدنيا أيام ، ثم يطوي الموت صفحة الناس ويقفون فرادى أمام وعيد الله سبحانه ويلمع سيف الانتقام الإلهي في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة : ٢٢) .

ثانياً : من السنة :

راجع قيم الهجرة في باب المناسبات الإسلامية «الأمل في نصر الله » .

ثالثاً : الشعر :

حقيقة

سنملك أمر دنيانا ... إذا القرآن أحيانا

ونور في مفاوزنا ... وحكم في قضايانا

كتاب الله أرشدنا ... إلى إصلاح مثوانا

شربنا المجد من يده ... أفانيناً وألوانا

معانيه تعطرنا ... على الأزمان ريحانا

وأعلى من مفاخرنا ... وأصلح شأن ما شانا

بلغنا المجد ذروته ... فضاعفنا عطايانا

زرعنا في منابتنا ... نخيلاً حف رماناً

وأعطينا لمعوزنا ... حبيب المال إحساناً

زهدنا في مغانمنا ... وعند الكرب تلقانا

رقاق في مساجدنا ... نفيض الدمع هتانا

وعند الحرب تنظرنا ... على الأفراس فرسانا

كتبنا النصر من دمنا ... على أشلاء قتلانا

جعلنا من جماجمنا ... لشرع الله بُنيانا

زحفنا من معاقلنا ... كسيل ضم طوفاناً

بذلنا النفس في شمم ... إلى الإسلام قربانا

سلوا الأمجاد تعرفنا ... وتعجب من سجايانا

فإنا معشر نُجُبُ ... عرفنا العدل شباناً

معاني الخير ننشرها ... ترانيماً وألحانا

ودار الدهر دورته ... ليرجع كل ما كانا

تساوى الصحب فامتلأت ... قلوب الناس تحنانا

تلاقينا على رشد ... ورب العرش قوانا

---

(١) الشاعر الشهيد : محمد عواد .

رابعاً : التوجيه :

الصحوة الإسلامية بيت القصيد والأمل المنشود :

يقول د. حسان حتحوت : « لقد اتيح لي أن أتصل بهذا الجنين الإسلامي النامي في أحشاء الغرب في هذا الزمن الذي بلغت فيه ما تسمىٰ بالدول الإسلامية أسفل سافلين أو تكاد ولعل لله في ذلك خطة وحكمة ولعله يُمكن في مكان آخر لقوم يحبهم ويحبونه لهم الجد ولنا الهزل وفيهم من يقبض علىٰ دينه ولو قبض علىٰ الجمر وفينا من جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده» .

ثم يقول :

« الصحوة الإسلامية بيت القصيد والأمل المنشود حيي الله شبابها وشوابها ومع ذلك فقد تمنيت أن يُتاح لي أن ألقاهم فرداً فردا لأطلعهم علىٰ حقائق أراها بحكم اتصالاتي ورحلاتي وقراءاتي وبصيرتي، أوجزها في الآتي :

أولاً : أن الصحوة الإسلامية شغل شاغل واهتمام مركزي لقوىٰ هائلة في العالم ولا أعني العالم الغربي وحده فهذه القوىٰ تكره الإسلام وتكيد له بمكر الليل والنهار وعلىٰ هذا فمعركة الإسلام اليوم معركة ذكاء لا يغني فيها الإخلاص وحده عن الدهاء والفهم والألمعية وحسن المناورة وبعد الغور وطول النفس .

ثانياً : إن ما يخطط لها أن يكون حماس دعاتها ناراً عليها لا علىٰ أعدائها، وذلك بأن يوضع في طريقهم ما يُستطاع من الأمور الفرعية والخلافية فلعل توقفهم عندها يصرفهم عن المضي إلىٰ تأليف الأمة حول رأس الأمر وعموده وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ثالثاً : إن من وسائل محاربتها تأجيج حماس دعاتها تأجيجاً يخرج بهم عن نطاق الصبر والمصابرة والتبشير المستأني إلىٰ نطاق ضيق الصدر وقلة الصبر والمبادرة إلىٰ التقطير والتجريح فتُباعد بينها وبين من يكسبهم الصبر ، وتقرب نفسها عمن تفصلهم عنها المسافة القريبة فإذا هم بَعَدُوا عنها بمسافة بعيدة .

خلاصة التوجيه :

يقول د. حسان حتحوت : « يفرح المسلم أن يتجه أبناؤه إلى الله ويقلقه أن يضطرب ترتيب الأولويات والقابلية المفرطة للانجذاب نحو الخلافات ورحم الله أستاذاً[١] لنا صادق الإيمان كان يكرر في غير ملل نفذ ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ألا ما كان أصدقه لأننا إن لم نفعل فلن ننفذ شيئاً مما اتفقنا عليه ولا مما اختلفنا فيه، ونريد للبعث الإسلامي أن يكون فِعْلاً لا رَدَّ فِعْلٍ . .

ونريد له أن يدرس الماضي بعقله لا بعاطفته ليعلم كيف نُصبت الشراك فيتقيها، بل كيف كان قصور الحنكة والدهاء رغم توافر الإخلاص وحسن النية عوناً على الوقوع في الشرك لا على اتقائه أو النجاة منه .

رجوت شبابها لغد ... يُميطون الأذى والشَين
جنود الله في حرب ... تناهت عن متى والأين
فهم في القلب حبته ... وهم في العين ملء العين

---

(١) إنه الشيخ الأستاذ : حسن البنا ـ المرشد العام الأول لجماعة الإخوان المسلمين ـ رحمه الله .

٢ ـ من أخلاقها :

أولاً : الشكر لله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهي: ٧).

وقال أيضاً: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴾ (سبأ).

تأمل في الآيات تجد:

١ ـ الحكمة الأولى في الوجود: الشكر لله تعالى ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾.

٢ ـ الشكر يزيد النعمة. . ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

٣ ـ الخراب والدمار يأتي من عدم الشكر ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

نريد أن تكون الأمة شاكرة بكل طوائفها وأفرادها، لأن عدم شكر النعمة يأتي بالخراب والدمار على كل المستويات:

١ ـ على مستوى الفرد:

إذا لم يشكر الفرد نعمة الله عليه يحل عليه الدمار. . وانظر إلى قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ . . . ﴾ (آية ٣٢).

لكنه حينما كفر بالله، وكفر بالبعث بعد الموت، ولم يؤمن ولم يشكر نعمة الله عليه، جاء العقاب والدمار.. قال تعالىٰ: ﴿ ... وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٢).

وكذلك في قصة قارون، يقول الله تعالىٰ في سورة القصص: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ... ﴾ (آية ٧٦).

لقد نصحه قومه بشكر النعمة، وعدم نسيان الآخرة، والإحسان إلىٰ الله كما أحسن الله إليه، لكنه عاند وجحد نعم الله عليه، فجاء الدمار، قال تعالىٰ: ﴿ ..فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ .. ﴾ (القصص: ٨١).

٢ ـ على مستوى الأسرة:

إذا لم تشكر الأسرة كلها يحل عليها الخراب والدمار، كما حل بأصحاب الجنة، عندما أقسموا أن يحرموا الفقراء من جنتهم، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) ﴾ (القلم).

أصحاب الجنة هؤلاء كان أبوهم يشكر نعمة الله، ويعطي للفقراء منها.. لذا حفظ الله له جنته، لكنه وقع في خطأ كبير أنه لم يُعلم أولاده ويربيهم علىٰ شكر النعمة مثله.. ولذلك حينما مات، اتفق الأولاد علىٰ منع الزكاة، وهذا نوع من عدم الشكر.. لكن اعترض أحدهم علىٰ ذلك فسخروا منه ولاموه.. فتنازل عن رأيه ولم يثبت علىٰ موقفه بل سار معهم في طريقهم.. **فماذا كانت النتيجة؟**

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ (القلم).

هذا في الدنيا.. أما في الآخرة:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٣٣).

٣ ـ على مستوى الدول والحكومات:

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧) ﴾ (سبأ).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: كانت المرأة تسير بالزنبيل (الوعاء الذي تجمع فيه الثمار) على رأسها وسط الأشجار فتتساقط الثمار فيه حتى يمتلئ دون أن ترفع يدها لجني الثمار.

تأمل هذا الرزق وهذه النعمة.. وطلب منهم الحق سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ (سبأ: ١٥).

فالمطلوب هو الشكر حتى تظل هذه النعم، فقالوا: لماذا نشكر؟ السد موجود والماء موجود، والأرض موجودة، فلماذا الشكر؟ ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾..

فكانت النتيجة الحتمية لعدم شكر النعمة: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ (سبأ).

حمل هذا السيل السد واقتلعه من جذوره، فذهب الماء، وتبدلت سبأ بأشجارها وفاكهتها وثمرها... شجراً ونباتاً صحراوياً..

فإذا اتفقت أفراد الدولة كلها على عدم الشكر.. كان الدمار لها كلها.

٤ ـ على مستوى العالم:

إذا كفر العالم بنعمة الله ولم يشكر، وفضل عبادة الأوثان على عبادة الواحد الديان، كان الدمار والخراب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ (هود).

٥ ـ على المستوى العلمي والحضاري في الغرب :

١ ـ **سفينة الفضاء (شالينجر)** : قالوا أسميناها كذلك لأنها تتحدىٰ أي قوة في هذا الكون . . كان يمكن أن يقولوا : أي قوة علىٰ الأرض ، أو علىٰ الكواكب الأخرىٰ أو في دولة كذا . . أو . . ولكن قالوا : «تتحدىٰ أي قوة في الكون» ، ونسوا قدرة الواحد القهار . . فكانت سفينة الفضاء (شالينجر) بعد دقيقة من إطلاقها كومة من التراب . . فصاحب هذا الكون جعلها هكذا . . فالكون كونه وهو يتصرف كيف شاء سبحانه . . ولنتذكر ، أصحاب الجنة ، وصاحب الجنتين ، وقارون . . . .

٢ ـ شب حريق في مصنع كبير في مصر ونتج عنه خسائر كبيرة . . فقام صاحب المصنع باستيراد أجهزة للإطفاء حديثة جداً . . وبعد أن قام بتركيبها في أنحاء المصنع قال : «استوردنا آلات للإطفاء تتحدىٰ القدر»[1] .

تأمل إنه قال : «تتحدىٰ القدر» . .

ونقول له : «يا مسكين . . من الذي يتحدىٰ الله جل في علاه»؟ . .

المهم . . بعد ثلاثة أيام كان المصنع كومة من الرماد .

والآن تبدو حقيقتان واضحتان :

الحقيقة الأولى: أن الله لا يرضىٰ أن ترتفع في هذا الكون رايات ، إلا راية واحدة فقط ، ألا وهي : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ، فكل الرايات وكل القوميات وكل الافتات إلىٰ زوال ، قال تعالىٰ :

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة : ٢١) .

الحقيقة الثانية: العلاقة بين المالك والمستأجر تقوم علىٰ اتفاق :

١ ـ إذا أحدث المستأجر تغييراً في العين المؤجرة مصيره الطرد .

٢ ـ إذا أحدث المستأجر تغييراً في النشاط المتفق عليه مصيره الطرد .

---

(١) هذه الكلمة من الكلمات المخالفة للعقيدة ، والتي تعلمناها من الغرب . . فاحذروا . .

فالإنسان بالنسبة للنعم التي معه مُستأجِر لها، وليس مالكاً، لأنه لا يستطيع أن يشتريها، فقل لي بربك: بكم اشتريت هذه العين، أو الأذن، أو اللسان؟

أنت مستأجِر.. والمالك يقول لك: لا تغير النشاط المتفق عليه، وأنت وقعت على هذا العقد بهذا النشاط، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾ (الأعراف).

فنحن كلنا شهدنا علىٰ ذلك ونحن في عالم الذرّ ووقعنا إقراراً بذلك.

والآن نصل إلىٰ السؤال المهم:

ما المطلوب منا؟! وكيف نشكر حتى لا تزول هذه النعم؟

هل نقول ونحن نرفع وجوهنا إلى السماء: شكراً يارب؟

أم ماذا علينا؟..

نقول: لابد من الشكر العملي.. فكل نعمة لها شكر خاص بها.. فمثلاً:

١ ـ **شكر الحواس:** يكون بالصلاة ـ وغض البصر ـ والصيام ـ والحج ـ والحجاب للفتاة.

٢ ـ **شكر المال:** يكون بالصدقة ـ والزكاة ـ وأن يكون الكسب من حلال والإنفاق في الحلال المشروع.

٣ ـ **شكر الولد:** يكون بتربية الأبناء علىٰ الإسلام وتعليمهم الصلاة والقرآن.. سيأتي في ذلك مفصلاً.. الوالدان..

٤ ـ **شكر أعظم نعمة وهي نعمة الإسلام والإيمان:** قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة**»[1].

---

(١) رواه مسلم في التوبة ٢٧٦٩، بلفظ: «**فما أنعم الله عليَّ بنعمة بعد الإسلام أعظم**».

وشكرها يكون بالاستجابة لله والرسول ﷺ في كل أمر ونهي، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٤).

٥ - **شكر المنصب والترقية في الأعمال**، ويكون بالعدل بين الناس، والسيرة في الناس بأمر الله تعالى دون زيغ أو شطط، قال تعالى: ﴿ **فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ (سورة ص: ٢٦).

وإليك هذه الرائعة من روائع الإسلام: دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً بعد أن طُرِدَ وَعُذِّبَ وقُوتِل، فماذا قال لمن فعلوا به ذلك؟! قال: «**ماتظنون أني فاعلٌ بكم؟**»، قالوا: «خيراً، أخٌ كريم، وابنُ أخٍ كريم»، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

توصية عملية:

١ - إذا أردت الزيادة في النعم كلها.. فعليك بالشكر لوعد الله بذلك: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ (إبراهيم: ٧).

٢ - **قال د. مصطفى السباعي**(٢):

- زر السجن مرة في العمر لتعرف فضل الله عليك في الحرية.
- وزر المحكمة مرة في العمر لتعرف فضل الله عليك في حسن الخلق.
- وزر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والمرض.
- وزر الحديقة مرة في الأسبوع لتعرف فضل الله عليك في جمال الطبيعة.
- وزر المكتبة مرة في اليوم لتعرف فضل الله عليك في العقل.
- وزر ربك كل يوم لتعرف فضل الله عليك في نعم الحياة.

---

(١) الرحيق المختوم، غزوة فتح مكة.

(٢) عن مجلة كلمات: العدد الثاني سبتمبر ٢٠٠٧م.

ثانياً : رعاية المُسنين في الإسلام :

يقول الله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (الروم : ٥٤) .

إن القوانين الوضعية حينما تحيل الإنسان إلىٰ سن التقاعد تكون قد حكمت عليه بالإعدام . . . يحال الإنسان إلىٰ سن التقاعد ويجلس في البيت بلا عمل ، ولا يبقىٰ أمامه إلا أن ينتظر الموت فقط فالأولاد تزوجوا ولم يعد يخرج للعمل وليس منتجاً . . . وماذا بهد هذه الفترة . . . الموت . . . فيموت قبل الممات . . . ولكن الإسلام لا يعرف شيئاً من هذا كله ولا يعرف سناً للمعاش ولا إحالة للتقاعد ففي الحديث : «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة واستطاع أن يغرسها فليغرسها**»(١) .

انظر إنها فسيلة أي تؤتي ثمارها بعد أعوام طويلة وليست نباتاً يؤتي ثماراً سريعة.

رعاية المسنين في الإسلام (٢):

أسن الرجل : كبر وكبرت سنه(٣) . . . . يمكن ترتيب مراحل عمر الإنسان بعد المراهقة كالتالي : شاب ثم كهل ثم شيخ ثم هرم فكل من تجاوز مرحلة الشباب وهي الأربعين فهو مسن في اللغة وتلاحظ أن الهرم هو آخر هذه المراحل وهو الزيادة في كبر السن الذي هو أرذل العمر وقد عدها النبي ﷺ آخر مرحلة قبل الموت عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غني مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً**»(٤) ، وهذه المراحل نسبية تتفاوت من فرد لآخر فقد يضعف الإنسان ويشتعل رأسه شيباً وهو دون هذا العمر .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جزء ٣ : ١٨٤ (وسبق تخريجه) .
(٢) هدية مجلة الأزهر شوال عام ١٤٢١هـ للأستاذ : عبد الله ناصر السدحان .
(٣) لسان العرب لابن منظور .
(٤) عارضه الأحوزي شرح صحيح الترمذي ابن العربي - دار الكتاب العربي ج ٩ ص ١٨٥ ، وهذه رواية الترمذي ، فتن ٣٠ ، وعند مسلم ، إيمان ١١٨ «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع أحدهم دينه بِعَرَضٍ من الدنيا**» .

أولاً : التغيرات التي تصاحب كبر السن:

أ- تغيرات بدنية (تجعد الجلد، وجفافه، ثقل السمع، ضعف البصر والحواس).

ب- تغيرات اجتماعية : تتقلص العلاقات الاجتماعية وتتدهور المشاركة الاجتماعية ويميل إلىٰ الانعزال والجلوس بمفرده.

جـ- تغيرات نفسية (قلق، اكتئاب، ملل، عدم ثقة في الآخرين، ضعف ذاكرة) وكلها عوامل منشؤها إحساس المسن أنه أصبح لا قيمة له ولا إنتاج له ولا عمل .

ثانياً : موقف الإسلام من التغيرات في مرحلة كبر السن:

يقول الله : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ (النحل : ٧٠).

وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو أخسه وأدونه (من الدونية) وآخره الذي تضعف فيه القوىٰ وتفسد فيه الحواس ويختل فيه النطق ويحصل قلة العلم وسوء الحفظ وخصه الله بالرذالة؛ لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد.

ولكن هذه حالة يستثنى منها المؤمنون نجد ذلك في :

١ - حفظ الله لعقل المسلم :

- **قال ابن عباس :** «ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول البقاء والعمر إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة».
- **قال القرطبي :** «إن هذا لا يكون للمؤمن »: يعني الخرف والرد إلىٰ أرذل العمر - لأن المؤمن لا يُنزع عنه علمه(١).
- **ذكر السيوطي عن عبد الملك ين عمير قال :** كان يُقال : إن أبقىٰ الناس عقولاً قراء القرآن(٢).

---

(١) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جزء ١٠ .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي دار الفكر جزء ٥ ص ١٤٦ بيروت.

- **وقال الشنقيطي :** «إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر لأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله فهو كامل العقل وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يصاب بالخرف ولا بالهذيان»(١).

- **ونُقل عن محمد بن كعب القرظي قوله :** «من قرأ القرآن بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة»(٢)، معنى بعقله : أي لا يُصاب بالخرف ولا الهذيان.

٢ - حفظ الله لقوة المسلم عند كبره :

ذكر ابن رجب عند شرحه لحديث النبي ﷺ : « **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»(٣).

إن من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله(٤). وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده بالداء عن الجسم**»(٥).

فقيام الليل نوع من العبادة يزيد في عافية البدن ويطرد الداء عن الجسم.

- وعن ابن عمر أن النبي ﷺ كان قلما يقوم من مجلس حتى يدعو : « **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا**»(٦).

والوارث هو الباقي، والمراد إبقاء قوته إلى وقت الكبر.

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي مكتبة بن تيمية جزء ٩ ص ٣٣٤ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف بيروت جزء ٩ .

(٣) رواه أحمد في المسند ١ : ٢٩٣ ، والترمذي، قيامة ٥٩ ، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي.

(٥) رواه الترمذي، باب الدعوات ١٠٥ ، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٦) رواه الترمذي، دعوات ٧٩، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

٣ - دل الرسول ﷺ على بعض الأعمال التي بسببها يطول العمر:

ومن ذلك: بر الوالدين، صلة الرحم، حسن الخلق، حسن الجوار، تقوىٰ الله، وقد فسر بعض العلماء الزيادة في العمر بأنها البركة في العمر، وبعضهم قال : إنها الذكر الحسن بعد وفاة الإنسان، وبعضهم قال إنها الذرية الصالحة يدعون له من بعده وقيل إنها نفي الآفات والزيادة في الأفهام والعقول وقيل السعة في الرزق واليسار والزيادة فيه(١).

ثالثاً : أسس رعاية كبار السن في الإسلام:

١ - إن الإنسان مخلوق مكرم ومكانته محترمة في الإسلام : ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** ﴾ (ص: ٧١-٧٣).

٢ - المجتمع المسلم متراحم متماسك متواد : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (الفتح: ٢٩).

وفي الحديث : « **ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

٣ - جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ (الرحمن: ٦٠). وللحديث عن أنس : «**ما أكرم شاب شيخاً لسنة إلا قيض الله له من يكرمه عند سنة**»(٣).

---

(١) رعاية المسنين (مرجع سابق).

(٢) رواه البخاري ، أدب ٢٧ ، ومسلم، بر ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) رواه الترمذي، بر ٧٥ ، وقال الترمذي: حديث غريب .

٤ ـ كبير السن المؤمن له مكانته عند الله ولا يزاد في عمره إلا كان له خيراً.

٥ ـ توقير الكبير والتشبه به سمة من سمات المجتمع المسلم للحديث: « **إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم**»(١).

٦ ـ كبير السن ذو الشيبة المسلم له منزلة ومكانة متميزة في الإسلام.

رابعاً: بعض الأحكام الفقهية الخاصة بكبار السن:

١ ـ الترخيص لكبير السن في إنابة من يحج عنه لكبر سنه وعجزه: عن ابن عباس جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه قال: «**نعم**»(٢).

٢ ـ الرخصة لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان حين عجزه والإطعام عن كل يوم مسكيناً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤).

٣ ـ أمر النبي ﷺ الأئمة بالتخفيف، فعن أبي هريرة: « **إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**»(٣).

٤ ـ ذكر بعض الأئمة أن جلسة الاستراحة بعد السجدة الثانية وقبل القيام إلى الركعة خاصة بكبار السن.

---

(١) رواه أبو داود، أدب ٢٠.

(٢) رواه البخاري، حج ١، جهاد ١٥٤، ١٦٢، ١٩٢، أدب ٦٨، ومسلم، حج ٤٠٧، فضائل الصحابة ١٣٥، ١٣٧.

(٣) رواه البخاري، علم ٢٨، أذان ٦٢، ومسلم، صلاة ١٨٣ ـ ١٨٦.

نصائح :

١ ـ إلىٰ كبار السن : أملأ حياتك بالعبادات وصلة الأرحام والأعمال اليدوية الخفيفـة .

٢ ـ إلىٰ كبار السن : لا تتركوا أولادكم ومنازلكم إلىٰ دور المسنين .

٣ ـ إلىٰ الأبناء : لا تتركوا آباءكم وأمهاتكم أبداً لقول الله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء : ٢٣) .

لاحظ ان كلمة عندك ظرف مكان يعني لا تتركهم بمفـــردهم أو في دار مســنين بل عندك أنت.

٣ ـ من منهج الأمة : فن إدارة الأزمات (١)

الأزمة : هي الشدة والقحط . . أزمة مالية . . أزمة سياسية . . أزمة مرضية .

الأزمة في الطب : نهائية فجائية تحدث في مرض حاد كالتهاب الرئة والحميات .

يقول الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) ﴾** (الأحزاب) .

إن المتأمل في آيات سورة الأحزاب السابقة يجد فيها أزمات متتالية ومتلاحقة وشديدة.. وهذه الأزمات منها:

١ ـ تجمع هائل من الأحزاب والجنود للقضاء على المسلمين .

٢ ـ بدأوا الهجوم في كل الاتجاهات .

٣ ـ زلزلة صفوف المؤمنين .

٤ ـ النفاق وتحطيم المعنويات يقولون : **﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾** .

٥ ـ ترك فريق منهم أرض المعركة **﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾** .

والسؤال الآن :

---

(١) تراجع كل أحداث السيرة في هذا المبحث من كتب السيرة وخاصة الرحيق المختوم للمباركفوري والسيرة النبوية للصلابي ، وتفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله .

كيف تعامل النبي ﷺ مع هذه الأزمات .. وغيرها ؟

لقد أدار النبي ﷺ كل الأزمات التي واجهته بحكمة وذكاء . .

وهذه بعضٌ من الأزمات التي واجهته . . وكيف حلها النبي ﷺ :

أولاً : في مكة المكرمة :

الأزمة الأولى: اشتداد الإيذاء بأصحاب الرسول وبشخصه وأولاده ﷺ، ويذهب الكفار إلى عمه أبي طالب يطلبون منه أن يمنع ابن أخيه من هذا الطريق، ويرد النبي ﷺ على عمه رداً جميلاً ويقول: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أموت في سبيله**»[1]، هذه الأزمة تعامل معها النبي ﷺ بالتمسك بالدين، والإصرار على الدعوة إلى الله، والثبات.

الأزمة الثانية : موقف سيدنا خباب بن الأرت، كان الكفار يوقدون الفحم ويعذبونه ولا يطفأ الفحم إلا عندما يسيح (دهنه) ويتساقط عليه . . فقالوا لرسول الله ﷺ: «ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟» . . ويرد عليهم النبي ﷺ قائلاً: «**إنه فيمن كان قبلكم يُؤتَى بالرجل فيمشط بأمشاط الحديد...**»[2]، هذه الأزمة تعامل معها النبي ﷺ بعامل الصبر والمثابرة.

الأزمة الثالثة : موت أبي طالب حامي رسول الله ﷺ، وموت السيدة خديجة رضي الله عنها، سند رسول الله ﷺ في شهر واحد . . ماذا يفعل؟

ذهب إلى الطائف سيراً على الأقدام، وعرض دعوته على زعمائهم، فسخروا منه وآذوه وأغروا به سفهاءهم فأدموه، حتى لجأ إلى بستان، فجلس يدعو ربه ويقول: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي**».

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ١/ ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) رواه البخاري، مناقب ٢٥، مدينة ٢، ١٠، مناقب الأنصار ٢٩، إكراه ١، مسلم، بر ٥٣ .

وفي طريق العودة، يُسلم عداس النصراني، ويسلم نفر من الجن . .

وعلىٰ مشارف مكة يقول الرسول ﷺ لزيد بن حارثة : «**إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومعز نبيه**»[1] .

بمقاييس البشر هذه رحلة خاسرة . . ولكن بمقاييس الله ناجحة . . إيمان عداس . . إيمان الجن . . رحلة الإسراء والمعراج .

فهذه الأزمة تعامل معها النبي ﷺ بعامل :

١ ـ اللجوء إلىٰ الله .

٢ ـ الأمل والثقة في الله .

ثانياً: في المدينة :

الأزمة الأولى: يوم الخندق ، زاغت الأبصار من شدة الخوف ، ولا يستطيع الرجل أن يأمن علىٰ نفسه الذهاب للخلاء ، ويتم حفر الخندق ، وتمر الأيام صعبة علىٰ المسلمين ، ثم يأتي النصر من الله بأن قلب قدور المشركين ، وقلع خيامهم ، فارتدوا علىٰ أدبارهم خائبين ، وهذه الأزمة تعامل معها النبي بعامل : حسن الظن بالله ، والأخذ بالأسباب .

الأزمة الثانية: حادث الأفك ، الذي رمىٰ فيه المنافقون السيدة عائشة في عرضها ، وعلىٰ رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول ، ويصعد النبي المنبر ، ويقول : «مَنْ يعذرني في رجل اتهمني في أهلي» . .

تعامل النبي ﷺ مع هذه الأزمة بعوامل عدة ، منها : الأخوة ـ وتوحيد الصف ـ ولم الشمْل . . وهذه العوامل أدت إلىٰ التمكين لدين الله . . وهي من عوامل النصر التي واجه بها النبي ﷺ الأزمات . .

---

(١) رواه البخاري ، بدء الخلق ، رقم ٣٢٣١ ، ٧٣٨٩ ، ومسلم ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذىٰ المشركين ٢/ ١٠٩ .

وأيضاً في المنزل مع نسائه:

«كما حدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها حينما كسرت طبق الحلوىٰ التي أهدتها السيدة حفصة لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ وهو يبتسم لأصحابه: «غارت أمكم»، ثم أمرها بتعويض السيدة حفصة حلوىٰ بحلوىٰ، وطبقاً بطبق»[١].

وهذه مبشرات [٢] النبي ﷺ للأمة:

١ ـ حديث: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، حتى لا يترك بيت مدر ولاوبر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل**»[٣].

٢ ـ سئل النبي ﷺ: «أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية؟» فقال: «**القسطنطينية**»، وفتحت بعد موت النبي ﷺ بـ ٩ قرون، علىٰ يد محمد الفاتح وكان عمره واحداً وعشرين سنة.

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت أن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي من الأرض**»[٤].

٤ ـ حديث «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود...**»[٥].

٥ ـ حديث «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، قاهرين لعدوهم حتى تقوم الساعة وهم كذلك**»، فقالوا: «**أين نجدهم يارسول الله؟**»، قال: «**في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[٦].

---

(١) الرسول ﷺ، سعيد حوىٰ، ص ١٦٢؛ في ذكرىٰ المولد النبوي الشريف، د. ياسر أبو شبانة، ص ٢٩.

(٢) نوصي بسماع مجموعة شرائط د. يوسف القرضاوي بعنوان: المبشرات بنصر الإسلام، وهي أربعة شرائط: «مبشرات من القرآن ـ مبشرات من السنة ـ مبشرات من التاريخ ـ مبشرات من الواقع»، إنتاج شركة أصالة.

(٣) رواه أحمد ٦/ ٤، ٤/ ١٠٣.

(٤) رواه مسلم، فتن ١٩.

(٥) رواه مسلم، فتن ٦٥، ٨٢.

(٦) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٩.

التوصية العملية:

١ ـ ضع لنفسك أسلوباً للتعامل مع الأزمات التي تقابلك . . سواء أزمات في العمل ـ في المذاكرة ـ في المنزل . . وكيفية التعامل مع كل واحدة .

٢ ـ اترك المعصية ، لأن أزمة الرزق لا تحل إلا بترك المعصية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق) .

من المواقف الإسلامية للتعامل مع الأزمات:

«يقول د. **محمود عمارة** تحت عنوان : **(أمتنا.. وفن إدارة الأزمات)**: من الأدعية الأثيرة لديَّ، العزيزة عليَّ ما كان يدعو به الصالحون : «اللهم أصلحنا لحكامنا ، وأصلح حكامنا لنا» ذلك بأننا ـ الحاكم والمحكوم ـ ركاب لسفينة واحدة يتربص بها مجرم عظيم . . فماذا نفعل؟

نقتله؟ أم نستسلم له ليقتلنا هو؟ ثم نحن جثث طافية؟

إن أفضل من الاحتمالين معاً . . أن نحتويه معنا لصالحنا ، كل علىٰ قدر طاقته وإمكاناته ، والموقف الأمثل لهذه الأزمة التي تحيط بأمتنا أن نتسلح بـ:

١ ـ عقل يفهم .

٢ ـ وإرادة تنفيذ .

٣ ـ وقلب مخلص يتجه بالفعل والإرادة في الاتجاه الصحيح .

أعني أن يتعاون الحاكم والمحكوم معاً ، فإذا ارتفع الحاكم إلىٰ مستوىٰ مسئوليته فأعد للخطر عدته ، وإذا وقف المحكوم إلىٰ جانبه وفي خندق واحد . . فلاخطر حينئذ . . بعدما صارت الأمة صفاً واحداً يواجه خطراً واحداً .

وفي مشاهد تاريخنا المجيد.. ما يجلي هذه المعاني تجلية تلقي علينا مسئولية فقه ذلك التاريخ، ونحن واجدون فيه ما يشفي الصدور.

ذات يوم خرج (**المعتضد**) الخليفة العباسي من معسكره ومعه خادمه ، فلقيه

أسد وهو على فرسه، فقال الخليفة لخادمه: هل فيك خير اليوم؟ فقال: لا! فقال له المعتضد: ولا أن تمسك بلجام فرسي؟ فقال الخادم: أما هذه، فنعم! فنزل الخليفة: ثم ضرب الأسد ضربة قطعت رجله، ثم كر عليه فصرعه ماسحاً بفروته سيفه!

يقول الخادم: ثم مضى الخليفة البطل، ولم يحدث أحداً بما فعل، كما وأنه لم يلم خادمه على ضعفه»(١).

ونقول بلغة العصر: إن الأمة تواجه خطراً يتهددها، وقد تحمل الحاكم مسئولية الموقف برمته.. ولكنه يطلب معونة الشعب ممثلاً في هذا الخادم.. والذي تحسس قواه.. فاعتذر عن مواجهة خطر هو غير كفء له.. لكنه لم يتحلل من المسئولية بالمرة.. عندما وافق على أن يمسك بزمام الفرس وهو جهد المقل لكنه في نفس الوقت عمل وإن بدا صغيراً إلا أنه يعين الحاكم على الإنجاز الكبير، لقد واجه الخليفة الموقف بما يكافئه:

١ ـ إعداد القوة المادية متمثلة في سيفه البتار.

٢ ـ ثم العدة الروحية.. المتمثلة في مجموعة القيم التي تسلح بها وهي:

أولاً: أنه لم ينفرد باتخاذ القرار، وإنما عرض القضية على الخادم.. شريكه في الخطر.. مؤكداً أهمية الشورى في تناول الأمور.. لاسيما في المواقف الصعبة.

ثانياً: شجاعته النادرة، والتي لولاها لما نفع السلاح في شيء.

ثالثاً: وجود العتاد والسلاح.

رابعاً: التوكل على الله، وحسن الظن به، والأخذ بالأسباب.

خامساً: الذكاء.. عندما بدأ بقطع رجل الأسد ليشل حركته أولاً حتى يمكن الإجهاز عليه.

---

(١) مجلة الأزهر، صفر سنة ١٤٢٢هـ ـ مايو سنة ٢٠٠١م الجزء الثاني، السنة ٧٤.

سادساً : زهده في عدم التحدث بما صنع . . على عظمته . . وكان الظن أن تتقدم أجهزة الإعلام لتلقي الضوء على الموقف تنويها به وتقديراً له، لكنها لم تفعل لأن الرجل كان زاهداً فقضيته الأولى والأخيرة هي : حماية الأمة من الخطر .

ولقد تم ذلك كله في إطار من الحكمة التي كان من مظاهرها أنه لم يفرض الدور على الخادم فرضاً لم يرهق الأمة من أمرها عسراً ملتمساً له العذر نازلاً به إلى ما يحسن من عمل فراراً من نكسه متوقعة إذا أسند إليه دوراً لم يتهيأ له.

ولقد كان الخادم صريحاً غاية في الصراحة حين اعتذر بأدب عن القيام بدور فعال في هذا الموقف العصيب .

لم يحاول أن يرهق نفسه من أمرها عسراً حين يُحَمِّلها دوراً لا تطيقه، فكان صادقاً مع نفسه ومع الخليفة، ولم يكن ليستطيع أن يغير نفسه هكذا قسراً لمجرد أنه يرضي الخليفة، فالذين يحاولون تغيير مواقفهم لتنسجم مع آمال الآخرين، سوف يفقدون أنفسهم في نهاية المطاف .

وكما قيل : إذا لم تنبت المعاني من رأسك . . كما تنبت أوراق الشجر . . فلا داعي لأن تفكر في شيء .

والتطبيق الصحيح لإدارة الأزمات أن نضع خطة عملية :

خطة عملية لإدارة الأزمات.. وكيفية الخروج منها :

إن المتاعب والآلام هي التربة التي تنبت فيها بذور الرجولة

وما تفتقت مواهب العظماء إلا وسط ركام من المشقات والجهود[1] .

تصنيف الأزمات :

هو بداية حل الأزمات حلاً صحيحاً :

---

(١) جدد حياتك، الشيخ الغزالي، ص ١٤٥ .

١ ـ الأزمة النفسية:

فَوَحَقِهِ لأُسَلِّمَنَّ لأمْرِهِ في ... كُل نازلَـةٍ أو ضِيقِ خِنَـاقِ

موسىٰ وإبراهيم لَمَّا سَلَّمَا ... سَلِمَا من الإغْرَاقِ والإحْرَاقِ

يقول د.**يوسف القرضاوي** إنه قرأ هذا الشعر في مسجد بتركيا، وعليك إذا أردت أن تتجاوز الأزمات أن ترضىٰ بقضاء الله، وتُسَلِّم التسليم المطلق، يقول **ابن تيمية** مستهيناً بأذىٰ خصومه: «إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة»، ويقول **الشيخ الشعراوي**: «أغلق باب الحزن بمفتاح الرضا».

وقريب من هذا المسلك القوي ما رواه (ديل كارنيجي)[١] عن سيدة نُقلت مع زوجها الضابط إلىٰ صحراء موحشة فضاقت ذرعاً بمعيشتها وهمت بترك زوجها وحده والعودة إلىٰ أهلها، قالت هذه السيدة ولكن خطاباً ورد إليَّ من أبي تضمن سطرين أذكرهما ما حييت لأنهما غَيَّرا مجرىٰ حياتي وهما: «من خلف قضبان السجن تطلع إلىٰ الأفق اثنان من المسجونين فاتجه أحدهما ببصره إلىٰ وحل الطريق، أما الآخر فتطلع إلىٰ نجوم السماء»، تقول السيدة: «خجلت من نفسي وعزمتُ أن أتطلع إلىٰ نجوم السماء»[٢].

ولذا أقول: إن اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ والدعاء هما العوامل الأساسية لحل الأزمة.

٢ ـ الأزمة الحسية:

سواء كانت مالية أو بدنية أو إدارية أو مهنية . .

خطة حل الأزمة

أولاً: تحديد الهدف:

إذا كانت مالية مثلاً هل الهدف أن أخرج من هذه الأزمة وفقط أم أن أخرج منها وأضع خطة لعدم تكرارها؛ لأن عدم تحديد الهدف يجعل الأزمة مستمرة وقد تزداد وقد يُبذل فيها جهد كبير جداً ولكن دون فائدة كما في هذه القصة الرمزية[٣].

(١، ٢) المصدر السابق، ص ١٥٥ .

(٣) سيطر علىٰ حياتك، د. إبراهيم الفقي، طبعة ٢٠٠٨، ص ١١، ١٢ .

كان هناك عاملان في إحدىٰ شركات البناء، أرسلتهما الشركة التي يعملان لحسابها من أجل إصلاح سطح إحدىٰ البنايات، وعندما وصل العاملان إلىٰ المصعد وإذا بلافتة مكتوب عليها (المصعد معطل) تصدمهم، فتوقفوا هنيهة يفكرون في ماذا يفعلون لكنهم حسموا أمرهم سريعاً بالصعود علىٰ الدرج بالرغم من أن العمارة بها أربعين طابقاً، سيصعدون وهم يحملون المعدات لهذا الارتفاع الشاهق لكنها الحماسة. . فليكن.

وبعد جهد مضن وعرق غزير وجلسات استراحة كبيرة وصلا أخيراً إلىٰ غايتهم.

هنا التفت أحدهم إلىٰ الآخر وقال: لدي خبران أود الإفصاح لك بهما: أحدهما سار، والآخر غير سار!!

فقال صديقه: إذن فلنبدأ بالسار .

فقال له صاحبه: أبشر لقد وصلنا إلىٰ سطح البناية أخيراً!

فقال له صاحبه بعدما تنهد بارتياح: رائع لقد نجحنا إذاً، وما الخبر السيئ؟

فقال له صاحبه في غيظ: هذه ليست البناية المقصودة!!

المغزى من هذه القصة: هناك من يمضىٰ في الحياة كهذين العاملين يجد ويتعب ويعرق وفي النهاية يصل إلىٰ لا شيء لماذا؟

لأنه لم يخطط جيداً قبل أن يخطو ولم يضع لنفسه برنامجاً دقيقاً يجيب فيه علىٰ السؤال الهام (ماذا أريد بالتحديد؟ وكيف أفعل ما أريد؟).

ثانياً: سلاحك في الأزمة:

إن السلاح من عوامل النصر في المعارك ولكي تخرج من الأزمة فإنك تحتاج إلىٰ:

١ ـ عقل يفهم .

٢ ـ إرادة تنفذ.

٣ ـ قلب مخلص يتوجه بالفعل والإرادة في الاتجاه الصحيح .

ثالثاً: الخطوات العملية لحل الأزمة:

أمسك ورقة وقلماً وابدأ:

١ ـ حدد نوع الأزمة.

٢ ـ حدد الأسباب التي جعلتها تحل بك.

٣ ـ دون خمس طرق بإمكانك استخدامها للتغلب على هذه الأزمة.

٤ ـ ابحث عن شخص ينال احترامك وتثق في خبرته وتعتقد أنه من الممكن أن يساعدك في الوصول إلى حل لمواجهة الأزمة.

٥ ـ ابدأ بتقييم جميع الحلول الممكنة ويُراعى في الحلول أن تكون: حلولاً جذرية دائمة وليست مؤقتة ـ كاملة وليست جزئية ـ (تجنب الترقيع) ـ لاتستخدم حلولاً وهمية ـ فمثلاً: الديون لا تُحل بالقروض الربوية ولكن بالعمل والتنظيم والتخطيط وحتى لا تكون كالمستجير من النار بالرمضاء.

٦ ـ ابدأ فوراً بحماسة قوية واصبر لعلك تكون على بُعد خطوات قليلة من، باب الخروج من الأزمة[1].

رابعاً: نموذج حل الأزمة:

من الخطوات اللازمة لحل الأزمات أن تتعرف على نماذج لأزمات وكيف تم حلها وكما يُقال بالمثال يتضح المقال:

الأزمة الاقتصادية: تعرضت الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للابتلاء ومن أعظم الابتلاءات في عهد عمر رضي الله عنه الأزمة الاقتصادية عام الرمادة ولقد دفع عمر هذه الأزمة بسنة الأخذ بالأسباب والتضرع والدعاء لله رب العالمين.

---

(١) من النقطة ٢ : ٤ كتاب المفاتيح العشرة للنجاح، د. إبراهيم الفقي، طبعة إبداع ٢٠٠٨م.

التعريف بالأزمة: في سنة ١٨ هـ أصاب الناس في الجزيرة مجاعة شديدة وجدب وقحط واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس واشتد القحط وعزت اللقمة حتى هرع الناس من البادية إلى المدينة ويقيمون فيها.

الخطوات التي سار عليها عمر في التعامل مع هذه الأزمة [١] :

١ - **ضرب من نفسه للناس قدوة:** جيء لعمر بن الخطاب بخبز مفتوت بسمن فدعا رجلاً بدوياً ليأكل معه فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك في جانب الصفحة[٢]، فقال له عمر : كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي : أجل ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس وحينما نحروا يوماً جزوراً فأُتي له بجزء من سنام ومن كبد فقال بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها[٣]، ارفعوا هذا الطعام[٤].

٢ - **معسكرات اللاجئين:** أمر عمر رضي الله عنه رجاله يقومون بمصالح الناس وتوصيل المساعدات لهم وذلك بعد حصرهم.

٣ - **الاستعانة بأهل الأمصار:** (طلب المساعدات) فكتب إلى عماله على البلاد الغنية يستغيثهم واغوثاه وكتب إلى كل عامل من عماله على الشام : ابعث إلينا من الطعام.

٤ - **الاستغاثة بالله وصلاة الاستسقاء :** ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)**﴾ (نوح).

---

(١) عمر بن الخطاب، د. الصلابي، ، ص ٢٥١ وما بعدها، طبعة دار الأندلس الجديدة عام ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م الطبعة الأولى.

(٢) الودك : الدسم والدهن. . وصفحة الشيء : وجهه وجانبه.

(٣) كراديسها : عظام محل البعير.

(٤) أكرمني الله تعالى بزيارة بعض المصابين من غزة والذين يُعَالَجُون في مصر، فسألته : لماذا يلتف الناس في فلسطين حول حماس؟ فقال لي : إن إسماعيل هنية وهو رئيس وزراء يسكن في منزل من الطوب مسقوف بالأسبستس وليس من الخرسانة.

٥ - **وقف إقامة الحد عام المجاعة:** وهذا ليس تعطيلاً للحد كما يُقال، ولكن لأن شروط الحد لم تكن متوفرة.

٦ - **تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة:** وبعد أن انتهت المجاعة وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة، أي اعتبرها ديناً على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين وليبقى في بيت المال رصيداً بعد أن أنفقه كله.

توجيه الواقع:

أرجو أن تأخذ الأنظمة العالمية الآن بهذا النموذج حتى تنتهي الأزمة الاقتصادية الحالية فهذه الخطوات غاية في الدقة وتيسير الحلول.

الواقع: إن الأنظمة الحاكمة تقوم بالآتي:

١ - فرض ضرائب جديدة على الناس!

٢ - زيادة المقررات والرسوم على الخدمات.

٣ - القسوة المفرطة في العقوبات.

٤ ـ من واجبات الأمة : القدوة وأستاذية العالم

يقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ (آل عمران : ١١٠).

ذكرنا في بداية هذا الباب أن بين العبادات والأخلاق في الإسلام مزجاً واضحاً، وذكرنا أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ (سورة المؤمنون).

« وعلى نفس النسق.. آيات سورة آل عمران، التي تضع على كاهل الأمة المسلمة في الأرض واجباً ثقيلاً بقدر ما يكرم هذه الأمة، ويرفع مقامها ويفردها بمكان خاص لا تبلغه أي جماعة أخرى، إنها أمة ذات دور خاص، ولها مقام خاص، ولها حساب خاص.. وهكذا ينبغي أن تعرف الأمة المسلمة أنها أُخْرِجَتْ لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة بما أنها هي خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض »[1] .

ولذلك فإن على هذه الأمة القدوة أن تعطي لغيرها من الأمم، لا أن تتلقى منهم، تعطي دائماً الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح، لابد أن تكون في الطليعة، وفي مركز القيادة، ولهذا المركز تبعاته فهو مركز القدوة.

---

(١) الأستاذ الدكتور : حمدي والي ، مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٤٢٧هـ، نوفمبر ٢٠٠٦م.

إن الدعوة إلى الإسلام ليست فقط خطباً تلقى، أو مواعظ تؤدى، أو كتباً تكتب، أو كلمات تذاع، وإنما الدعوة الحقة: هي ما يراه الناس من سلوك الداعي ومن أفعاله وأقواله وأحكامه وآدابه.

يقول د. الفرماوي: «إذا فسدت القدوة. . ضاعت الدعوة»(١) .

[إن الإسلام الذي فتح الدنيا وانتشر في الأرض كلها في زمن وجيز لا يعدو بضعة عقود من السنين، لم يحتج في انتشاره إلى مدارس وجامعات، وكتب ومكتبات، وإنما احتاج إلى نماذج من البشر، كان كل واحد منهم يمثل الإسلام أخلاقاً وسلوكاً وأحكاماً ومعاملات.

• يقول الشيخ محمد الغزالي. رحمه الله. : «إن الدعوة إلى الإسلام تكون بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال، أعني ثماره في أتباعه المؤمنين به، ويومئذ ترجى الإجابة، ويرتقب الاهتداء».

لقد دخل معظم أهل الأرض في الإسلام تأثراً بأخلاق الدعاة المسلمين دون أن يروا جيشاً، أو يرفع أحد عليهم سيفاً، مما يجعلنا ندرك مقدار ما يتركه السلوك العملي في أخلاق الناس من أثر.

إن الجماهير حين يرون ممن يدعونهم إيثاراً لهم على أنفسهم، وتعباً من أجلهم ليستريحوا، وتعرضاً للأذى ليسعدوا، يدركون قيم الحق والعدل والجمال فينجذبون إليها انطلاقاً من فطرتهم التي فطرهم الله عليها.

إن جماهير الناس عندما رأوا فيهم نماذج رائعة من الفضل والعدل لم يلبثوا أن تابعوهم وزاحموهم في هذا الفضل والعدل، الذي مثلوه بسلوكهم وأخلاقهم خير تمثيل، ولذلك لا يحسب دخول الناس في الإسلام، وانتقالهم من حالة الفوضى الأخلاقية إلى الالتزام بأحكام الدين لا يحسب ذلك بانقضاء الأزمان، ولكن بمدى صدق الدعاة إلى الله في إظهار الإسلام سلوكاً يمارس، وأخلاقاً تطبق في أروقة الحياة»(٢) .

---

(١) سورة يوسف، مشاهد ودروس، د. عبدالحي الفرماوي، ص ١٢٠ .

(٢) مجلة الأزهر، شوال ١٤٢٧هـ .

إن النفس البشرية مهما بلغت في تسفلها وانحطاطها لا يمكن أن تعجب وتبهر بالمجرمـين والمنحرفين.

القيم هي القيم(١):

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - : القيم هي القيم حتىٰ عند المنحـرف، فالصـادق مـحترم حتىٰ عند الكاذب، والمستقيم مـحترم حتىٰ عند الأعـوج.. ولأضـرب مثلاً.. أنتم ثلاثة.. اثنان اتفقـا علىٰ الانحـراف والثـالث اعتزلهـما، وظل في قيمه وفي مبادئه وفي أخلاقه، فإذا صح أن واحداً من الاثنين المنحـرفين له أخت وأراد صـديقه المنحـرف أن يخطبـها لنفسـه، وأراد الجـاد الذي اعتزلهما أن يخطبها لنفسه، فأسألكم بالله لمن يقبل خطبتها؟ للصديق المنحرف أم للذي جانبهما وظل في حقه وخيره وجماله؟

لا شك أنه سيؤثر الثاني.. لماذا؟ لأن المسألة مسألة قيم، فحينما مسته لجأ للقيم فهو لا يأمن المنحرف علىٰ أخته.. لماذا؟ لأنه يعرف نظرته للقيم وللخير.

ومن الأمثلة أيضاً:

١ - هذه اللقطة من قـصـة يوسف وهو في السـجن، سُجن مـعـه فتيـان، فـأعـجبـهـمـا سلوك يوسف، فـقـالا له: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾، لو لم يكن عندهما مقياس للإحسان لما استطاعا أن يُقَيِّمَا فعل يوسف.

٢ - المشركون في مكة بالرغم من عداوتهم للنبي ﷺ كانوا يضعون أماناتهم عند النبي ﷺ لماذا؟، لأنهم يعرفون أن قيمة الأمانة ثابتة عند محمد، حتىٰ ولو كانوا علىٰ عداء معه، ولذلك نام علي بن أبي طالب في فراشه يرد الأمانات إلىٰ أهلها.

إن المسلمين استحقوا أن يتأسىٰ الناس بهم، وأن ينسجوا علىٰ منوالهم، وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلىٰ اللغة العربية الوافدة، لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجددة راشدة مسعدة.

ومن هنا فإني أقول للعقلاء في العالم: هل تعتقدون أن أمريكا تستطيع أن

---

(١) خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي، طبعة دار الحرية.

تنال حب العالم واحترامه لمجرد أنها تمتلك القدرة العسكرية، والقوة العضلية، وتخاطب العالم كله وهي تضع فوهة المسدس في رأسه؟ لا . .

إن الضعيف الذي لا يملك قدرة الدفع عن نفسه قد يستسلم ويتظاهر بالانقياد والطاعة، ولكن بركان الغيظ المكتوم في أعماقه، وشواظ الكراهية المتأجج في وجدانه ينتظر الفرصة لكي يشتعل ناراً في وجه هذا المتأله الكفور.

إن الإسلام وحده يملك كل مقومات السعادة التي تحكم بها البشرية لأنه هو منهج الله الذي خلق الإنسان وأبدعه، وشرع له من المبادئ والأخلاق ما يصلحه وما ينفعه: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك : ١٤).

لكن هل يكفي أن نقول للناس:

نحن نملك كل مقومات السيادة، وأسباب التمكين.. ثم يرى حالنا مخالفاً لكل ما نزعمه وما ندعيه؟

خداع عقلي (١) :

إنني لا أصدق الجائع البائس الذي يبدو بهيئة رثة، وثياب قذرة إذا هو ادعى أنه يملك الأرصدة الكبيرة، والعمارات الضخمة، حتى وإن أصر على هذا الادعاء، لأن واقعه شاهد على كذب دعواه، أما إذا أحضر من الشواهد والوثائق ما يدل على ذلك، فإن هذا لن يزيدني نحوه إلا احتقاراً أو اشمئزازاً، لأنه انتقل في عيني من حالة الرثاء والإشفاق إلى حالة الحمق والشح والحرص الممقوت.

إن الأمة التي تملك مقومات القيادة والسيادة ثم تُرى تابعة ذليلة، هي أمة غير معذورة، لأنها لم تستثمر نعمة الله عليها، تلك النعمة التي أدركها أسلافنا، فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس، وإذا كانت الغالبية العظمى من هذه الأمة مازالت تطمئن نفسها على أنهم مشمولون بهذا الوصف الكريم، وهو أنهم من خير أمة أخرجت للناس، فإنني أرى أن هذا الشعور شعور وهمي، بل إنه أقرب إلى الخداع

---

(١) د. حمدي والي، المصدر السابق.

العقلي منه إلى الحقيقة، وذلك لأن أسلافنا استحقوا هذا الوصف لأنهم كانوا أهلاً له، ويقومون في حياتهم بمقتضياته، فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وذلك انطلاقاً من الأحاديث النبوية، فعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»(٢).

وعن ابن عميرة الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا علمت الخطيئة في الأرض فإن من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها**»(٣).

إن الإيمان ليس دعوى تدعى، ولا شعاراً يرفع، وإنما هو اعتقاد قلبي، يظهر أثره في واقع الناس، توحيداً خالصاً، وغيرة صادقة، في حب وخشوع وشعور يمن الله علينا به.

إن الأمة التي استحقت شرف السيادة والقيادة لأهل الأرض جميعاً، كانت أهلاً لهذا الشرف، وتلك السيادة، عندما استشعر كل فرد فيها أنه قدوة لغيره من أهل الأرض، بدءاً من رسولنا ﷺ، الذي قدم للبشرية أعظم نموذج بشري عرفته الأرض، فكان القدوة والمثل في أرقى صوره، وأعظم معانيه.

واستحق أصحابه هذا الشرف عندما أحسنوا الاقتداء به، فقدموا للبشرية أعظم جيل شهدته الأرض، واستطاعوا مع ضعف حالهم، وندرة مواردهم أن يقدموا للبشرية نموذجاً للكمال البشري في جميع مجالات الحياة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، إيمان ٧٨.

(٢) أخرجه الترمذي، فتن ٩، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو داود، ملاحم ١٧.

ونختم هذا الباب فنقول: إن مرض الأمة لا يعني موتها، فهي صاحبة مجد سياسي، ومجد اقتصادي لا ينكر، كما أنها تحمل بين جنباتها عناصر خلودها.

ما عناصر خلود الأمة؟

١ ـ حفظ كتابها من التحريف.

٢ ـ اتباع سنن الله فتعرف بماذا تنتصر [١] وبماذا تنهزم الأمم وبماذا تسقط الأمم.

٣ ـ التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

الوصية العملية:

أن تكون قدوة لأولادك ولجيرانك وطلابك والعاملين معك، وذلك بأن تطبق عملياً هذا الباب في حياتك، فتسعد أنت بحياتك، ويسعد بك المجتمع، وتسعد بك الأمة.. فهذه خطوة على طريق أستاذية العالم إن شاء الله.

---

(١) **يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ**: إننا نعلم أن انتصارنا وانكسارنا لا يرجع إلى قوة أعدائنا أو ضعفهم، إن انتصار المسلمين وانكسارهم يعود إلى الأمة الإسلامية نفسها فإذا وحدت كلمتها ومن قبل وحدت ربها، ولزمت أمره، وأقامت حقه، نصرها: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧). فالقلة والكثرة ليست من أسباب النصر، وقد انتصر المسلمون في «بدر» وهم قلة، وانهزموا في «حنين» وهم كثرة، إنما ينتصر المسلمون إذا أحسنوا علاقتهم بالله وأدوا ما عليهم له، انظر: مجلة الأزهر: شعبان ١٤٢٨ هـ أغسطس ٢٠٠٧م.

فهرس

الموضوع	صفحة

الباب الرابع

رابعاً :

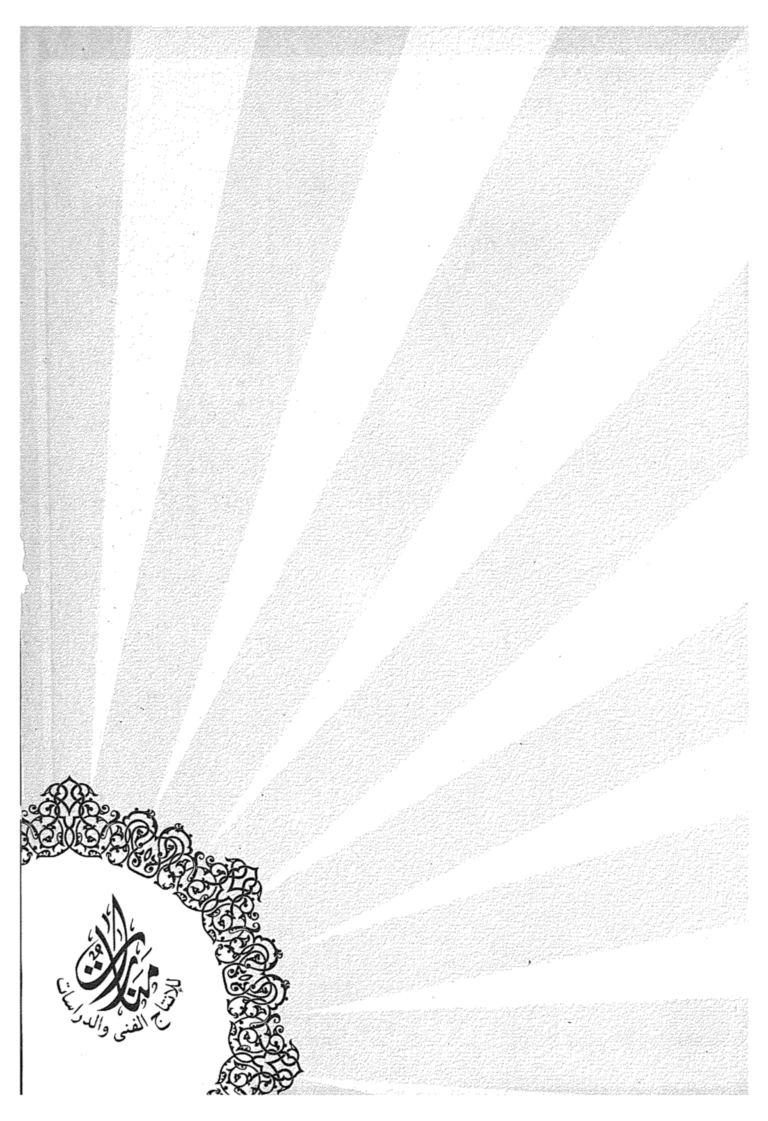


الجزء الثاني

صف وإخراج
محمود محمد المتولي عوض حجاز
مصر ـ المنصورة ـ مركز طلخا ـ ميت عنتر
٢٥٢٩٩٠٧ / ٠٥٠ / ٠٠٢ محمول ٠١٢٧٤٠٣٢١٥

منارات للإنتاج الفني والدراسات

٧ شارع أبو القاسم المهدي - الحي السابع
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٠١٠/١٤٥٠٣٧٥


منارات
للإنتاج الفني والدراسات


الأستاذ/ محمد مصطفى

هذه الموسوعة

هذا هو الإسلام

إذا طلب منك إنسان - لا يعرف شيئا عن الإسلام أن ترشده إلى كتاب يَعرف الإسلام من خلاله..
وإذا طلب منك مسلم أن ترشده إلى كتاب يفهم الإسلام فهما صحيحًا عمليًا من خلاله.. فإلى أي كتاب سترشدهما رغم ما بينهما من تباين؟

إنها هذه الموسوعة الجديدة فى فكرتها وأسلوبها.. يستفيد منها الإنسان فى أي مكان من أرجاء المعمورة، فكل عبارة فيها تحمل قيمة علمية أو توجيهًا أخلاقيًا أو حلا عمليًا لمشكلة أو رابطة أسرية اجتماعية.

هذه الموسوعة تخاطب الإنسان من حيث كونه إنسان بغض النظر عن انتمائه الفكري والعقيدي، سواء له ديانة أو تشريع، أو ليس له ديانة أو تشريع، سيجد فيها ما ينفعه فى دنياه وما يدفعه إلى إلتزام هذا الدين والدخول فى الإسلام العظيم، كما قال أحد المستشرقين: « إن أوربا كلها إلى الإسلام إن لم يكن دينًا وعقيدة فسلوكًا وأخلاقًا ».

هذه الموسوعة تحتاجها أيضا المراكز الإسلامية فى أوربا وغيرها فهى تغنيها عن كثرة الكتب والكتيبات والنشرات والإرشادات العلمية والعملية.

هذه الموسوعة تضم بين دفتيها أبوابًا شتى من المعرفة منها ... والتشريع، الأخلاق والمدنية والحضارة، المرأة والأسرة، الفقه وأ... الشرعية، الدعوة والفهم والتفسير، المناسبات، والقضايا المعاصرة».

هذه الموسوعة تجد فيها واقع عملي لهذه العبارة: « إن عمر ... الفقيه العبقرى لا يحمل داخل عقله فتاوى كالقوالب الجامدة، وإن... يتحرك فى كل الاتجاهات».

هذه الموسوعة تعطيك مقدمتها ومقدمة الأبواب والخاتمة فوا... فالمقدمات والخاتمة فيها موضوعات ودُرر عظيمة الفائدة إن شاء ...



الناشر